

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 01662721 8









وبالجملة فان الحاج الزبير هذا هو الذي قوى عزم التعايشي علي البقاء  
 بام درمان وثنائه عما كان عازما عليه في بداية خلافته من ان يأخذ نصيبا  
 من الاسلحة ويغادر أم درمان ويؤسس دولته بغرب السودان

﴿ انتهى الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثالث وأوله البدء بحملة دنقلة »

( كل نسخة من هذا الكتاب تكون مختومة

بجتم المؤلف الذي هو هذا )





الكبار ومن خيرة أصحاب المهدي جعلكم الله مثله ومكث نحو ساعتين يقرر هذه الخرافة ولم يصل المغرب الا في آخر الساعة الاولى من الليل

أما الحاج الزبير هذا فانه رجل كثير التلق والاحتيال وقد ذكرنا فيما مضى ان التعايشي كان يشاوره في بداية خلافته ويستمد منه الآراء ولكن مدته لم تطل حيث نكبه وصادر أمواله بعد خلافته بعامين لظهور خيانتة مع عمه عبد الله الطريفي الذي كان عاملاً للمهدوية على القضايف وقد نكب عبد الله المذكور وسائر أقاربه أيضاً وحبسوا وعذبوا ليظهروا خبايا أموالهم

وقد ذكرت ان عبد الله الطريفي هذا وشى بي عند التعايشي لما كان ينوي انفاذي مع دراويشه الى خط الاستواء وقد كافأته علي هذا حيث نصحت التعايشي أن لا يولى غير أقاربه البقارة

ومكث الحاج الزبير مسجوناً نحو عام ثم اطلق سراحه ولكنه لم يعد الى منزلته الاولى

وكان اذا ناداه التعايشي يرفع صوته قائلاً (لييك يا خليفة المهدي عليه السلام) ثم يظهر التغير في صوته والاضطراب في جسمه كأن هيبة خليفة المهدي ونور محياه هما اللذان نشأ عنهما ما اعتراه وقد مكث بعد اطلاقه من السجن محفوا من التعايشي الذي لم يعده الى منزلته الاولى الا بعد حادثة العقرب التي شرحناها في هذا الباب وأخيراً توفي حتف انقه قميل فتح أم درمان وكان أبوه عبد الرحيم الطريفي أميناً من قبل التعايشي على احدى الورش الحربية التي تصنع بها الذخيرة والمعدات الحربية

العقارب لانها كانت قبل اتخاذها عاصمة للمهدوية برية ليس فيها زرع ولا ضرع وأرضها مكسوة بالحجارة ويستحيل نجاة من لسعته عقرب الا اذا كانت صغيرة وكثيرا مارأيت عقربا يبلغ طول ما بين رأسها وذيلها عشرين سنتمترا

وفي ذات يوم وقف التعالشي لصلاة المغرب فابصر بعد تكبيرة الاحرام وقراءة أم الكتاب عقربا تدب نحوه فارتاع وصار يكرر قراءة الفاتحة ويشير بيده الى من خلفه من المصلين فلم يفهموا قصده بل ظلموا وقوفا في الصلاة ولكنهم ادركوا انه لم يكرر قراءة الفاتحة الا لسبب قوى من الاسباب فقطع المدعو (الحاج الزبير) أحد حراسه الصلاة ولحقه في حالة الاضطراب والفرع الشديد من العقرب ووقف بازائه فإشار بيده الى العقرب فقتلها ثم ان التعالشي خرج من الصلاة بتسليمة وهو في خجل شديد من اعتقاد الناس جبنه الى هذا الحد فجلس مضطربا وقد بلل العرق جبينه وبعد ان ثاب اليه رشده قليلا عزم على التخلص من ذلك بوضع اكدوبة في غاية الغرابة حيث جلس وألقى على الناس خطبة هذا نصها.

اعلموا يا أصحاب المهدي عليه السلام ان هاته العقرب لم تجسر على الدخول في هذه المقصورة الا لان ساعة انتضاء حياتي كانت وشيكة غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهدي والخضر عليهم السلام حضروا في هذه اللحظة واخبروني انهم سألوا الله عز وجل تأخير منيتي لان الامة في حاجة شديدة الى هذا التأخير وقد أمروني بقتل هذه العقرب . أما الدهشة التي ظهرت علامتها على فأنها نتيجة أسرار لا يمكن اخباركم بها كانوا يخبروني بها حتى ودعوني وانصرفوا فاشرت اليكم فلم تفقهوا اشارتي حتى ألهم الله الحاج الزبير فهمها فهو من الشهداء

ونقل لى أحد الثقة ان يونس أمر بسجن على بن الامين أحد صغار القواد وابن الشيخ محمد الامين رئيس علماء السودان الذى ذكرناه مرارا فى هذا الكتاب فاحدق به مائة وخمسون عبدا وأخذوا يضربونه (الفرقة) حتى بلغوا به السجن مغشيا عليه ومكث يوما وليلة لا يعى شيأ فيئسوا من حياته وبعد أيام أمر بالنقل أيضا الى السجن لذنب طفيف فاسرع الى الاقتراب منه ووقع على الارض وانكناأ علي بطنه وقال له ياسيدى الامير اتوسل اليك ان تأمر بضربى (الفرقة) أمامك ثم تحظر على الحراس أن يضربوني فى الطريق فضحك وقال أنت خائف من الفرقة فقال كيف لا أخاف فقال له أتتوب فقال تبت الى الله والرسول والمهدى وخليفة المهدي ومولاي يونس فقال قد عفوت عنك فانهض ولا تخف .

هذا قليل من كثير من أخبار يونس التى لاتسعها المجلدات الضخمة أوردناه للدلالة علي ما كان يقاسيه الدنقليون من حيفه وسوء معاملته وقد هلك نحو ثلاثة أرباع السكان وأمست أراضيهم فقرا بلقما. وكانت وفودهم تشخص تباعا الي التعايشى متظلمة من جور عماله فلا تجديهم الشكوى ولا ينفعهم لتظلم وكثيرا ما كان يسجن الشاكين وينكل بالمتظلمين والخلاصة انهم انقطعوا عن الشكوي وصبروا على مر البلوى حتى أراد الله تعالى انقاذهم خملت الحكومة على دنقلة وأجلت الدراويش عنها فخرجوا منها مذمومين مدحورين كما سيأتى ذكر ذلك فى مكانه والله الهادى الى سواء السبيل

### ذكر مسألة العقرب مع التعايشى

يوجد بام درمان الحشرات السامة بكثرة فوق التصور وخصوصا نوع



وانه اذا ذكر اسمك في مصر ولوندره يموت الناس فزعا فينتفخ من هذا الثناء الكاذب ويلتفت لمن حوله من الرجال والمشيرين فيقول لهم أما سمعتم ما يقول هذا الرجل فيقولون سمعنا فيقول وهل صدق الرجل فيقفون على أقدامهم ويرفعون أصواتهم قائلين ياسيدنا الامير اطلب منا دليلاً على الشمس والى متى تنكر صفاتك التي لا يجملها أحد وانت فوق الاسود شجاعة وعزيمة ويحلفون انهم في حالة وجل وروع شديدين من رؤية وجهه والدنومنه فيطير سروراً ويأمر في الحال بضرب الطبول ودعوة المقاتلين للاستعراض ثم ينعم بالمال على الرجل الذي اثني وعلي الذين ايدوا أقواله

هذامع انه جبان لم يذكر بمنقبة في حرب وقد ظهر جنبه في سنة ١٣٠٣ لما أنقذه التعايشي لقتال عساكر بن كلام زعيم قبيلة (الجمع) شرقي كردفان لما خلع طاعة المهدوية وكان عساكر هذا فارساً مقداماً يشق صفوف الرجال ويزحزح الابطال وكان كلما حمل ليبارز يونس يتخفى منه ويقول لمن حوله اياكم ان تتركوني ابارز هذا الشقي ثم يتظاهر بانه سيهجم عليه فيتعلق الناس بدابته فيرجع قائلاً أما لو تركتموني لمبارزته لجندلته لكم علي الارض بغير سلاح بل كنت اختطفه من قربوس سرجه واجلد به الارض وكان هذا حاله طول الايام التي نشبت فيها الحرب بين الجمع حيث انتهت بقتل عساكر وعودة قومه الى الطاعة

أما قسوته وغلظته فحدث عنهما ولا حرج فانه كان اذا أمر بحبس واحد أمر خمسين من عبيده بالاحاطة به وضربه بالعصي والسياط حتى يبلغ السجن وهم يسمون هذه العادة (الفرقة) أي المسافة ما بين منزل الامير والسجن وهي لا تقل عن ميلين وقد لا يصل المسجون حيا بل يقضي عليه وهو في الطريق

الذى يضرب بسببه على كل شخص قدر من المال يؤدي له ونفقات البعوث  
والسرايا وهى أجل من أن تدخل تحت حصر

واذا سافر جيش أو سرية من الدراويش من مكان لا خرفانهم لا يحملون  
ميرة ولا علفا لدوابهم بل يذهبون ويأكلون ويذبحون قطعان الماشية في  
الطرق ولا يستطيع أحد من الاهلين منعهم أو الحيلولة بينهم وبين ما يريدون  
وعلى أثر ذلك استأثر يونس ومواليه بخيرات البلاد وانطلقت أيديهم  
في أموال الناس وبات الاهلون تحت ائقال هذا الظلم يئنون

وقد مدّ موالى يونس أيديهم الى الاعراض واستحلوا نكاح الحرائر  
المسلمات بملك اليمين فكنت تجد عند الواحد منهم أكثر من أربع حرائر  
وكانوا يعيشون بالنساء الحسان الى التعايشي وأخيه يعقوب وابنه شيخ الدين  
وجميع كبراء البقارة

ومكث يونس علي هذه الحالة ثلاث سنوات ثم عزله التعايشي وولى  
بدله محمد خالد زقل الذى كان أميرا علي دارفور وقد ذكرنا شيئا كثيرا  
من سيرته فشرع في تخفيف الوطأة عن الدنقليين لانه دنقلى منهم ولكن  
مدته لم تطل حيث عزل بعد سنة وسجن ثم نفى الى خط الاستواء  
وقد أعيد يونس الى الولاية وعادت كل المظالم التى ابتدعها ومكث كذلك  
الى ما قبل الحملة عليها ببضعة شهور

ويونس هذا أصله من قبيلة (التعايشة) التى منها التعايشي وكان  
زوجا لام التعايشي وكان قصير القامة جدا وجسمه ضئيلا نحيفا  
وكان أميا لا يعرف الكتابة والقراءة يأتيه الناس فيقولون له انك شجاع  
وان الاسود فى آجامها تفرع منك وان ملامح وجهك ترعب من ينظر اليها

لما تفشت المجاعة في دنقلة وغادرها عبد الرحمن النجومي الى حيث لاقى حتفه  
 في ( طوشكي ) ضعف أمر الاحزاب التي كانت متشعبة له وهجر أهالي  
 دنقلة الشمالية أو طائهم فارين من وجه الظلم حيث لحقوا ببلاد مديرية الحدود  
 وكان يونس قد عزل كل الجبابة الذين أصلهم من أهالي السودان الاوسط  
 أي الذين لم يكونوا من البقارة وعين نحو سبعين جايا من عبيده بدلهم  
 أما طريقة جباية الخراج فقد ذكرنا فيما مر من هذا الكتاب أن الضريبة  
 في دنقلة منذ دخول السودان تحت طاعة مصر كانت عقارية ولما كانت بلاد  
 دنقلة خصبة ومن حاصلاتها القمح والذرة واللوييا التي هي متعددة الاصناف  
 عدا التمر وريها بالآلات كالسواقي والشواذيف فقد اخترع يونس لجباية  
 ضريبة الجبوب طريقة سماها ( التخريص ) وهي ان الجاني يذهب الى المزرعة  
 ويقدر ان محصولها يبلغ كذا فيلزم الزارع بتأدية نصف التخريص الذي  
 لا يقل عن ثلثي المحصول ثم يلزم صاحب الزرع بتأدية ريال مجيدي عن كل  
 أردب من المطلوب تأديته وهذه الضريبة ليست لبیت المال بل هي للجاني  
 ويسمونها ( ضيافة العامل ) وزد على ذلك أنهم كانوا يطلبون من كل زراعة تبلغ  
 مساحتها فدانين فأقل نحو عشرة ريالات قيمة ثمن التبن اذا كان المحصول  
 قمحا وقيمة ثمن البوص اذا كان من الذرة أو الجذور اذا كان من اللويياء  
 وهناك ضريبة أخرى تجبي لغذاء الامير يونس الديكم وتتجدد كل  
 شهرين أو ثلاثة وهي ضريبة المسلي والاعنাম وهي لا تقل عن عشرة ارطال  
 وخروفين عن كل مزرعة فيرسل السبعون جايا الامير ما يجتمع عندهم وأقل  
 ما يتحصل من ذلك عشرون قنطارا من السمين ومائة راس من الاعنাম  
 أما الضرائب التي لا تدخل تحت قيد فكثيرة منها ما سببه اعسار بيت المال



الشورى وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أخبره بان  
سراثرهم قد ملئت بالاخلاص للمهدوية وانه عليه الصلاة والسلام امره ان  
يعيدهم الى اوطانهم دعاء للمهدوية وأمرأ على عشائهم ليصدقوا في الواحات  
بدعوة المهدي ويناوؤون الحكومة المصرية فرقت افئدتهم طربا لما لاحت  
لهم بارقة النجاة ولكنهم بكوا وانتحبوا وأظهرا كراهة ان يكونوا بعيدين عن  
خليفة المهدي الذي كان يكثر الاحاح عليهم بوجوب الامثال لما اشار به الرسول  
صلى الله عليه وسلم وهم يتأسفون وينتحبون وما زال بهم حتى تابوا  
الى الطاعة وكتبت لهم صكوك الامارة وتلقوا التعليمات ونقدم بيت المال  
نفقات السفر وشدد عليهم في موافاته بالضرائب التي يجلبونها من أعمالهم  
فغادروا أم درمان وهم وجلون لا يصدقون بالنجاة حتى بلغوا الحدود المصرية  
وهناك مزقوا المرقعات ودفعوا للحكومة صكوك الامارة ومنشورات  
الدعوة واعلموها بما وقفوا عليه من ضعف المهدوية وانحراف الناس  
عن طاغيتها وكانت نجاتهم في الزمن القريب من حملة دنقلة

### دنقلة قبل الحملة عليها

انتهينا في الكلام عن دنقلة فيما مضى من الكتاب الى ذكر المجاعة التي فشت  
فيها سنة ١٣٠٦ والى ذكر عزل عبد الرحمن النجومي عن امارتها وولاية  
يونس بن الديكيم

وهنا نشرع في الكلام على مدة يونس التي ابتدأت من ذلك العهد  
تبينا للمظالم التي دمرتها فنقول

عليهم حيلته ثم قال لخمسة عشر عميدا من رؤساء القبائل وللمهندس اذهبوا  
معي لمقابلة الامير فامتطوا الحمر وذهبوا معه وهو يخذعهم بقوله هو نازل وراء  
هذه الربوة أو الغابة حتى مضى النهار كله وحينذاك ايقنوا بانهم خدعوا وان  
القصد من ذلك ايصالهم الى دنقله التي بلغوها بعد بضع ليال

ولما وصلوا دنقله استقبلهم يونس الديكيم وأطلق واحدا وعشرين  
مدفعا علامة الانتصار وكانوا في حالة سيئة من شدة مانالهم من وعشاء السفر  
الفجائي ثم لم يلبثوا في دنقله الا ليلة وبعض يوم ثم أرسلوا الى أم درمان  
تحت الحفظ

ولما مثلوا بين يدي التعايشى عاتبهم وألان لهم القول فائلا نحن واياكم  
اعراب وكلنا نبغض الترك الكفار وننفر منهم فلماذا لم تنضووا الى لواء  
المهدوية وتحاربوا الترك الكفار الذين نبذوا الشريعة وتمسكوا بالبدع  
وأصروا على الكفر

فأجابوه بقولهم نحن نتوب الى الله مما سلف ونحمد الله الذي قدر لنا  
الخلاص من ربقة الكفار ومن علينا برؤية وجه خليفة المهدي عليه  
السلام فأمرهم بمبايعته فبايعوه ثم استدعى أحد التجار وأمرهم بالاقامة في  
داره وخصص لهم مرتبات من بيت المال فقام التاجر بكل لوازمهم بجد  
وسخاء أما بيت المال فانه كان اذا نقدهم مرتب شهر ما طلبهم ثلاثة شهور  
وهذا التاجر اسمه (البلال الاسيده) وهو رجل سخي مشهور بالرافة بالمصريين  
الاسرى وخصوصا المؤلف وقد مكثوا على هذا الحال زهاء عامين كانت  
حالتهم فيها تتقل من سيئ الى أسوأ

وفي ذات يوم استدعاهم التعايشى الى منزله بحضرة القضاة وأهل

كما مر وكان يونس الدكيم أميرا على دنقلة وقتئذ من قبل التعايشي وعثمان  
ازرق قائد الدراويش المعسكرين في الجهات الشمالية بالقرب من ضواحي حلفا  
وكان عثمان هذا لا يترك عن الغارة على الجهات الواقعة شمال حلفا طمعا  
في السلب والنهب وكان يونس الدكيم يرسل الكتب تباعا الى التعايشي  
منفعة بالثناء على عثمان ازرق واقدامه وما حازه من النصر المتتابع في  
وقائع وسطواته التي أضر بنا صنعا عن جملها ولم نذكر الا القليل منها اذ هي  
أشبه بما يجري من عصابات السطو واللصوصية

وفي أوائل سنة ١٣١١ هجرية كتب التعايشي الى يونس الدكيم كتابا  
يأمره بانقاذ عثمان ازرق في الف راكب على ظهور الابل للغارة على الواحات  
وكان ذلك اجابة لالتماس يونس الذي كان يشحن كتبه الى التعايشي بذكر  
الواحات وما فيها من المال الذي سيفنمه اذا أغار عليها فتحركت اطماع  
التعايشي وأمره بالغارة عليها وأوصاه أن يفاجئها تحت ظلام الليل

فسار الالف راكب يقودهم عثمان ازرق وبعد ان مضى عليهم بضع ليال في  
السير واقتربوا من الواحات أتقذ عثمان العيون ليأتوه بالخبر فقضوا الليلة  
وعادوا في الغد وأبلغوه ان أعراب الواحات كثيرون جدا وأن أطنابهم  
متدانية من بعضها وعندهم الاسلحة النارية وليس بينهم حامية للحكومة بل  
هناك ضابط للشرطة ومهندس لحفر الآبار فخاف عثمان ازرق مغبة محاربة  
أهل الواحات فعول على خديعتهم حيث زحف في مقاتلته حتى بات قريبا  
من احيائهم ثم تقدم اليهم في الغد بصفة سلمية وأفهمهم ان يونس الدكيم  
أمير دنقلة نازل على مسافة مرحلة من حيزهم وانه قادم لفتح مصر عن طريق  
الواحات وانه جاء من قبله لبذل الامان لهم فانخدع الاعراب وراجت



استوطن أبوه بربر (وعبدالرحمن منصور) من أهالى أم درمان وصهر النور  
الجريفأوى فصار هؤلاء التجار ينفذون أعوانهم الى مصر فيبتاعون المنوعات  
ويحتالون على تهريبها بوضعها في أكياس الارز ومن العجيب ان الحكومة  
لم توفق لاجباط أعمالهم حتى استدروا على ذلك عدة أعوام وجابوا  
مقادير عظيمة من الرصاص وغيره من العقاقير وتمكن أعوان على محمود  
الضوى من استحضار ذخيرة من خرطوش مدفع «المتريوز» الانكليزي  
الذى غنمته المهدوية من حملة الجنرال هيكس وكان التعايشى يؤدى لهم الاثمان  
مضاعفة ويتجاوز لهم عن مكوس سلعهم التى يصدرونها الى مصر أو يجلبونها  
منها تنشيطا لهم فكانوا يجلبون هذه الاشياء دفعتين فى العام وفي بعض  
المرات بلغ ما جلبوه مقدارا عظيما من الرصاص وارتقت همة على محمود  
الضوى الى انه ابتاع نحو ألف وعاء من الاوعية التى يسمونها «شنطه» وضع فى  
كل واحدة خمسين خرطوشة جلبها من مصوع ويقال ان الحكومة لم  
توفق الى معرفة حيلهم واجباط أعمالهم الا فى الايام الاخيرة

والحاصل ان هؤلاء التجار كانوا من أقوى الاسباب فى تقوية المهدوية  
وامدادها بالذخيرة التى لولاها ما استطاعت محاربة الاحباش فى القلابات  
والشلك فى فشوده وغيرهما من الحروب الاهلية التى شبت نيرانها فى دارفور  
واكثر انحاء السودان وكان أبو شعبان الجاسوس الآنف الذكر ممن يجلبون  
المنوعات أيضا

### ذكر غارة الدراويش على الواحات

لما افلح عثمان ازرق فى الغارة على (آبار المرات) وقتل صالح بك خليفة

## ذكر جلب المنوعات من مصر

ومن أنواع جواسيس التعايشى ناس يجلبون له «المنوعات» من مصر  
وهى الذخائر الحربية التى منعت الحكومة ارسالها الى السودان ولذلك  
أطلقوا عليها اسم «المنوعات»

وقد تقدم ان التعايشى أنشأ معامل لتعبئة الخرطوش وغيره من ذخائر

الحروب

وقد مر الكلام على الرصاص فى قصة الايقاع بالمقدم عمر الجملى  
وكذلك ما أتاه المسمى كمال الدين الهندي الذى أحرقت رفات قتلى الخرطوم  
ومثل باشلائهم أبشع تمثيل مدعيا أنه يستطيع اخراج صنف البارود من تلك  
العظام وقد ذكرنا فشل جميع هؤلاء الدجالين ماعدا اليونانى برديقاجى فانه  
وفق لاستخراج صنف البارود ثم احترق هو وواعوانه لما انفجرت عليهم  
آنية البارود

وقد كان نجاح هذا اليونانى متوقفا على إيجاد شئ كثير من العقاقير  
الكىماوية التى لا توجد فى السودان لاتمام تجهيز «عجينة الكبسون» (وملح  
البارود) وغيرهما من المواد القابلة للانفجار التى على محورها يدور عمل المعامل  
الحربية ولا سبيل الى ذلك الا بجلبها من القاهرة فاهتم التعايشى بهذا الامر  
واستقدم اليه النور الجريفأوى وكان يومئذ أميناً لبيت مال بربر وفاوضه فى ذلك  
الامر فأشار عليه بالاتفاق مع جماعة من تجار بربر وأم درمان للاستعانة بهم  
على التحايل على تهريب تلك «المنوعات» وهؤلاء التجار هم (عمر كشه) وأصله  
من أهالى سواكن (وعلى محمود الضوى) وأصله مصري من مديرية الحدود

صودرت أمواله ونفي الى أعالي النيل  
 هذا ما فعله حينما اتصل به الخبر وهو يدل علي ما مر من عدم حصول  
 فائدة للتعايشي من هذا التجسس  
 ويقولون ان أغلب جواسيسه متفقون مع الحكومة عليه ومنها يتلقون  
 ما يرفعونه اليه ولا ينافي ذلك ما قلناه من ابلاغهم اياه أمر الحملة قبل حركتها  
 ببضعة شهور اذ يحتمل انهم موعز اليهم بهذا الامر ليرى الموعزون ما يكون  
 من وراء ذلك

والخلاصة ان رواد التعايشي كان جاهلهم من أهالي مديرية الحدود وأخبارهم  
 ملفقة مبالغ فيها كقولهم للتعايشي ان حكومة مصر في رعب شديد وكلما طرق  
 آذان رجالها ذكرك ارتبكوا وكذلك أهلها فانهم يصرعون خوفا وجبنا كلما  
 سمعوا بذكرك فيتمایل طربا ويظن أن ما قالوه حق

علي أنه يوجد في البلاد رواد ولكنهم قاصرون في ارتيادهم علي ضبط  
 السكيرين وصناع البوطة والمدخنين والذين يتاجرون بالدخان

وفي كثير من الاحوال يتناولون الرشا منهم ويتركونهم ويلفقون  
 الدعاوى الكاذبة علي من كانوا مظنة المال ليتوصل بيت المال الى مصادرة  
 أموالهم بمجرد اتهامهم بوجود دخان أو بوطة في منازلهم وقد خطب التعايشي  
 يوما فقال ان القدر الذي يوجب مصادرة المال من الدخان هو ربع درهم  
 ومن البوطة ربع رطل وربما دفع المتهمون الالوف من المال بغية النجاة  
 من الضرب والتعذيب والاهانة ومصادرة المال

الحدود فيذهبون بها على ظهور الهجن الى بربر وقد اتهمت الحكومة كثيرين من هؤلاء الكبراء وحاكمتهم أمام المجالس العسكرية ولكنها لم تتمكن من قطع دابر جاسوسية التعايشى التي لم تعد بزيادة عليه

وفي الايام الاخيرة صار للمهدوية جواسيس بعضهم يتجسسون ليونس الديكيم أمير دنقلة وبعضهم للتعايشى وآخرون للزاكى أمير بربر وكان من أشهر جواسيس التعايشى رجل يدعى ولد الحسين وأصله سوداني وآخر يدعى أباشعبان وهو مصرى من سكان مديرية الحدود وللأول منهما نادرة مع سلاطين باشا وهي أنه وشى به الى التعايشى بأنه على أهبة الفرار حتى خيف من التعايشى على سلاطين باشا الذى تمكن من استمالة القضاة الى جانبه حتى وشوا بولد الحسين الجاسوس عند التعايشى فحبسه وارتاب فى صدق ما رفعه اليه من الأنباء

أما أبو شعبان فكان التعايشى ذاتقة عظيمة به وكان يتردد على الحدود المصرية ومع شهرته التي لا يجهلها جواسيس قلم المخابرات كان يعود دون أن يصيبه مكروه حتى ذهب بعض الناس الى انه مأجور لقلم المخابرات ومتواطىء معه على ان لا يبلغ التعايشى خبرا الا بموافقة

والحاصل انه كان للتعايشى جواسيس ولكنهم قلما يرفعون اليه ما يستفيد منه العلم بشيء قبل وقوعه

على ان جواسيسه رفعوا اليه قبل حملة دنقلة ببضعة شهور ان الحكومة مصممة على الزحف الى دنقلة واستدلوا على ذلك بانها جمعت الملاحين الذين لهم خبرة بالشلالات الواقعة جنوب وادى حلفا ولما اتصل به هذا النبأ أمر باخراج تجار المصريين من البلاد وضرب لهم موعداً يخرجون فيه ومن تخلف منهم



الخلوات يضرعون الى الله أن يخلصهم من هذا البلاء واذا سمعوا بشيء من أخبار الحملة ظهرت عليهم علامات الفرح والسرور وبذلوا الصدقات للفقراء والمعوذين شكرا لله تعالى وقد كان التعايشي أول من أنبأ بتقدم الحملة علي دنقلة قبل تقدمها ببضعة شهور وسيأتي ذكر ذلك

### جواسيس المهديّة

قلنا فيما مر ان أهالي مديرية الحدود كانوا ميالين الى دعوة المهديّة في بداية امرها وخصوصا (البرابرة) الذين يسكنون بين أسوان وحلما وقد أشرنا الى العذاب الممين الذي أرهقهم به النورالجرىفاوى في بربر اذ كانت مغبته نفورهم عن المهديّة وانحراف جلمهم عن موالاتها وقبل ذلك كان جلمهم يتقربون الى المهديّة بابلاغها أخبار الحكومة بفعلو فاحش في اسناد العيوب اليها ونسبة الوهن الى حامياتها في الحدود وبقي كثير منهم على الولاء حتى قتن عبد الرحمن النجومى حيث كانوا يستعدون لمعاونته والانضواء الى لوائه بالرغم عن فظائع النورالجرىفاوى التى عامل بها تجارهم لولا الحيلة التى اتخذها السير غرانفيل باشا سردار الجيش المصرى وقتئذ ويقال ان الاسباب التى دعت هؤلاء الى التمسك بولاء المهديّة والانحراف عن الحكومة هى تحرير الارقاء وابطال النخاسة

واذ ذاك أى فى بداية دعوة المهديّة كان كباراء مديرية الحدود كما قلنا يرسلون أمراء المهديّة بالاخبار ويتطوعون لهم بالتجسس وفى كثير من الاحيان كانت أخبار سواكن وما يقع فيها من الحوادث تبلغ التعايشي قبل وصول بريد سواكن اليه فكانوا اذا حملها البرق من سواكن يتلقاها الروادف

الملك « امتيسه » صاحب أوغنده وقتئذ

على ان هاته العربة لم تكن مقصورة على ركوبه بل كانت تسير في شوارع المدينة ليلا فيها الخصيان ليقبضوا على النساء البارعات في الجمال ويمضوا بهن الى دار التعاشي فيلبث بها حتى اذا قضى وطره منهن أعادوهن الى بيوتهن وقد كانت بداية عملهم هذا اثر القبض على الخليفة شريف وسائر أقارب المهدي الذين نفوا وقتلوا في زمن تلك الحوادث المريعة ولا فرق بين امرأة ذات بعل أو أيم أما ذات البعل فان الخصيان يفهمون بعلمها أن خليفة المهدي يريد اسماعها مواعظها التي يسمونها (المذاكرة) وأما التي لا بعل لها فليسوا في حاجة الا الى أخذها وادخالها العربة

ومن اللواتي أخذن بهذه الصورة زهراء بنت محمد شقيق المهدي الذي تقدم انه قتل يوم الهجوم على الابيض عاصمة كردفان وكانت تحت أحد أقاربها الذين نفاهم التعاشي الى خط الاستواء وكذلك فعل بنات حامد شقيق المهدي وفد مر أنه قتل في إحدى وقائع جبال قدير

وقد كان التعاشي متزوجا بأمة كلثوم بنت المهدي وأولدها بضعة أولاد ثم طلقها لغير ذنب جنته غير انه أراد الاقتران باختها مريم لجمالها المفرط حيث تزوجها ودخل بها بعد وقوع الطلاق بيوم وليلة

أما المظالم فقد تضاعفت ويئس الناس من الخلاص بثورة داخلية حيث تمكن الطاغية من القضاء على كل قوة يتوقع منها القيام للخلاص من ظلمه

وبالجملة فان حلقات المصائب قد استحسنت ولم يبق للناس صبر على الخطوب المتوالية والمصائب النازلة على رؤسهم حتى انهم كانوا ينقطعون في

والخلاصة ان الولد بقي محجورا في منزل بان النقا الى يوم دخول اللورد  
كتشنر أم درمان ظافرا حيث أصيب بان النقا بجروح بليغة كانت من أقوى  
الاسباب على نجاة الولد لانه لما انهزم التعايشي وركن الى الفرار انقذ الى بان  
النقا يأمره باللاحاق به مستصحباً الولد فلم يستطيع مغادرة فراشه بسبب الجراح  
ولما دخل كثير من اخواني الضباط المصريين منزل بان النقا ورأوا  
الولد فيه وضعوا الحراس علي المنزل فحفظ من عبث بعض الاعراب  
الموالية للحكومة وهم الذين اعملوا النهب والسلب على أثر دخول الجنود المدينة  
أما تأثير حبس ابني علي فكان سيئاً جداً حيث فقدت الرشد ولقد أخبرني  
من كانوا حولي أنه لما فاجأني ذلك الخبر قطعت سبجتي وقلت وأنا ذاهل يا الله  
رضيت ببلائك في نفسي ولزمت طاعتك شاكرًا على السراء والضراء فابتليتني  
بحبس ابني لا تركن الصلاة وسائر العبادات

ولما عدت الى صوابي واخبروني بما قلت أسرعت بالتوبة والاستغفار وعدت  
الى ما اتفاه من ملازمة الفكر والانقطاع الى الذكر ولم أعلم أن رحمة الله تعالى  
ستدركني وابني الذي صار حبسه سببا لصيانة من حبس عنده فالحمد لله  
الذي انقذني وابني وجعل لنا بعد الضيق فرجا وبعد الخوف أمنا ونجاة

### التعايشي قبل حملة دنقلة

لما تمكن التعايشي من قهر أقارب المهديّ وسجن مناظره الخليفة  
شريفًا كما تقدم اطلق لا قاربه البقارة العنان في البلاد يظلمون وينهبون  
وعكف على شهواته وصار يركب العربّة التي ذكرنا في اخبار فتوحات خط  
الاستواء ان الطيب الذكر غردون باشا جلبها من القاهرة ليقدمها هدية الى

الشقاء الا ليم ولما مضى عليّ ثلاث سنوات ونصف في السجن كان سن ابني هذا عشر سنوات وشهورا فذهب في أحد الايام الى التعايشى باصيا مسترحا يسأله ان يطلق سراحي فرق له وقال له اذهب الى أهلك وأخبرهم اني ساطلق عقل أبيك في الغد فاقضوا ليلتكم هذه بفرح وسرور فذهب الولد واخبر اخوته بذلك فقصوا تلك الليلة بفرح وسرور

وفي الغد ذهب الولد مستنجزا للوعد فاعرض عنه التعايشى فصار يتعرض له حتى التفت اليه غاضبا وقال لمن حوله « هل يلد الثعبان الا ثعبانا » فقالوا نعم فقال « وهل يحسن بالانسان ان يربي ابن الثعبان » فقالوا كلا فقال أليس هذا الولد ابن المنافق ابراهيم فوزى فقالوا بلى فقال لا بد من الحاقه بابيه فاستدعى كاتب أخيه يعقوب المسمى « بان النقاموسى » وقال له خذ هذا الولد الى بيتك وضع في رجليه القيود ووكّل به غلمانك يحرسونه ويشغلونه بسياسة خيلك ودوابك

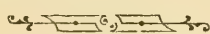
فأخذ به بان النقا ووضع في رجليه القيود ومع كونه كان يراعيه ويرأف به في السر فانه كان يلاقى من عبيده وخدمه المذلة وسوء المعاملة

والسبب في اخلاف التعايشى ما وعد به وعدوله الى حبسه انه في نفس اليوم كانت جواسيسه قبضت على واحد من جواسيس اللورد كتشنر جاء أم درمان من قبل سلاطين باشا لارسال مكاتيب الى بعض الناس وكان ذلك الجاسوس يسأل بعض الناس هل ابراهيم فوزى حي يرزق وهل شارل نيوفيلد على قيد الحياة وسأل عن بقية المسجونين بتهمة تهريب سلاطين باشا كابراهيم حمزة وغيره من الذين مر ذكرهم فقبض على ذلك الجاسوس وكانت الحملة المصرية وقتئذ في دنقلة



وشرعوا في الاختتان وكانت عدتهم نحو أربعائة فكان الرجل يختتن مع ابنه وأخيه ومنهم من قاسوا آلاما شديدة من الجروح ومكثوا نحو شهرين طريحى الفراش

ثم بعد ذلك ذهبوا إلى التعايشي إليه متظلمين من عدم مقدرتهم على نفقات أكثر من زوجة لما هم فيه من شظف العيش والفقر المدقع فلم يقبل منهم بل توعدهم فعادوا وشرعوا يعتقدون الجوارى ويتزوجون بهن لأن المسلمين لا يرضون بمصاهرتهم وعلى ذكر ختان هؤلاء نورد هنا قصة مصرى مكث عدة سنوات لا عيش له ولا كسب إلا من تهديد جماعة المسيحيين بأنه سيعرض على التعايشي أنهم غلف فكانوا يدارونه ويؤدون له ماشاء من المال حتى جاءت حادثة جورج ونعوم بما لا يستطيعون دفعه فكانوا يتذمرون منهما ويسخطون عليهما زيادة على ما أصابهما من ضياع مالهما ومقاساتهما آلام الجروح وزد على ذلك اضطرابهما إلى تعدد الزوجات التي لم يجدوا منه مفرًا



### ذكر سجن ابن المؤلف

مر الكلام على أن زوجتي كانت على وشك الوضع لما سقطت مدينة الخرطوم وفي شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٢ سكنت بالخرطوم ابتغاء الحصول على قابلة مصرية تساعدني على الوضع وقد تقدمتني بسبب ذلك وشي بي للتعايشي واتهمت بانني انما قدمت الخرطوم لتدبير مكيدة ضد المهدوية ولذلك أمرت أنا وسائر المصريين بمغادرة الخرطوم وسكني أم درمان التي بعد أن وصلت إليها بإيام قلائل وضعت زوجتي غلاما سميته (محمد فوزي)

ولما أن سجن كان عمره زهاء عشر سنوات فوقعت عائلتي في

بصناعة صك النقود وانهما قادران على تحسين حالة المعاملة فقبول طلبهما من التعايشي بالاستحسان فكتب الى أمين بيت المال يأمره بمساعدتهما على جلب ما يطلبانه من القوال بواسطة الترسانة فاخذ ما طلبها ويعدهما من يوم لا خر حتى يدبر حيلة للايقاع بهما تخلصا من استيلائهما على دار الضرب الذي يتسرب من ايرادها شيء كثير الى جيب النور الجريفاوي امين بيت المال واقاربه القابضين على منابع تلك الايرادات. وبالجملة فانه اخذ يغرر بهما حتى انفقوا نحو مائة جنيه من مالهما في سبيل تهية القوال واعداد المعدات

ولما يئسا وايقنا انهما خدعهما النور الجريفاوي ذهبوا متظلمين الى الطاغية التعايشي الذي استدعى النور وعنفه على ما ارتكبه فاخذ يعتذر بان ابدال المسكوكات يوقع بيت المال في أزمة مالية شديدة اذ تكون النقود القديمة بأيدي الناس ثم يطلبونها مما ضرب حديثا ثم ذيل اعتذاره بأن ذينك الرجلين لا يزالان نصرانيين فسأله التعايشي كيف يكونان كذلك وما هو الدليل على صدق هذا القول فقال الجريفاوي انهما وسائر الذين أسلموا على يد المهدوية لا يزالون غلفا لم يختتنوا حتى الآن وهناك دليل آخر وذلك انهم لا يزالون يحافظون على توحيد الزوجة فغضب التعايشي وأرغى وأزبد واستدعى القضاة وسائر المسيحيين الذين تظاهروا باعتناق الاسلام وفي مقدمتهم جورج ونعوم فسألوه هل أنتم غلف فاعترفوا بذلك فدخل القضاة على التعايشي وأخبروه بهذا الاعتراف فخرج علي عادته متسربلا سربال القهر وخاطبهم بعبارات التعنيف ولم يسكن غضبه حتى بالغوا في الاعتذار بانهم لم يمنعهم من الاختتان غير الخوف من ألم الجروح فقال لهم اذهبوا واختنوا على يد متطبب اسمه شعبان فذهبوا وهم لا يصدقون بالنجاة

يكن قدركم معظما عندي لما سمحت لكم باستعمال هذه الدنيا في منزلي  
وقس على ذلك وقد ذكرنا ان التعايشي كان يريد ان يخرجها لولم يعارضه الناس  
ويخبرونه بان تجارة البن منبع ثروة عظيمة لبيت المال وانه هو رأى المهدي يشربها  
ولولا ذلك لحمل الناس على تركها فتأمل

## ذكر ختان المسيحيين واجبارهم

على تعدد الزوجات

كان في السودان تاجر من اهل حاب الشهباء مسيحي اسمه «جورج  
اسلامبوليه» يتردد بالتجارة بين الخرطوم وكردفان حتى ادركته الثورة  
المهدية في مدينة الابيض فغادرها واسلم نفسه للمهدي صيانة لامواله وجاهر  
باعتناق دين الاسلام ولكنه مالبث طويلا حتى نكب وصودرت امواله  
واتهم بانه يبطن النصرانية ويقلد اطفاله الصلبان من داخل الملابس وانه  
يراسل الحكومة في الخرطوم فضبط كتاب منه باحدى اللغات الاجنبية  
فطلب التعايشي مترجما يترجم له الكتاب فتصدي للترجمة يهودي اسمه  
(داود منديل) مع انه لا يعرف لغة اجنبية وتوعد جورج بانه اذا لم يدفع له  
خمسائة ريال ترجم الكتاب بما يوجب قتله فاسرع جورج باجابة ماطلبه  
اليهودي الذي ترجم الكتاب بان جورج يدعو الحكومة للتسليم للمهدوية  
ويحذرهما مغبة عدم التسليم فسجن الرجل وصودرت امواله ثم اطلق سبيله  
وقدم الخرطوم مع المهدي وهناك اجتمع برجل آخر حلبي ايضا  
اسمه (نعوم العجبي) وتصاهرا بزواج اولادهما وكان نعوم مدعيا انه يعلم  
بعض العلوم الكيماوية فذهبا الى التعايشي ذات يوم وقالا انهما يعرفان

عن الكواخ من الخوص فيها كراسى من الخشب والجلد تشبه (العنقريب) وفي بداية الامر اصدر امرا بابطال المقاعد وان لا يجلس شاربو القهوة الا على الارض فاستعاض اصحاب القهاوى عن المقاعد بالحصر السودانية التى تسمى (برشا) ثم وشي له واش بأن الذين يتسامرون فى القهاوى جلهم من المصريين وانهم اذا جلسوا فى تلك الاماكن يخوضون ويتحدثون فى شأنك وهم يطلقون عليك اسم (الزر) فاذا جلسوا تحدثوا مع بعضهم ماذا فعل الزر فيحيون بعضهم فعل كيت وكيت فاصدر امرا بابطال القهاوي وجرت فى ذلك محادثات ومداولات كثيرة وكان التعايشي ميالا الى وضع قانون يحرم به القهوة كتحریم الدخان الا انه عاد الى الصواب وقال لولا اننى رأيت المهدي يشربها لحرمتها ولا غرابة فى ذلك فان اعراب السودان الغربى الذين منهم التعايشي لا يعرفون القهوة ولا البن ولما قدموا الى الخرطوم ورأوا الكثيرين من الاهلين يشربونها كانوا يجاهرون بانكار ذلك ويعمدونه من دلائل قلة العقل وفقدان الرشد فيقولون ماهى الفائدة من شرب شي شديد الحرارة مر الطعم أسود اللون وبعضهم يسميها « القطران » ومن الشتاءم التى يشتمون بها الاهالى (ياشاربى القطران) ولهم نوادر كثيرة فى القهوة لا باس من ايراد بعضها لما فيها من التفككة. منها ان اعرابيا قدم له « فنجال قهوة » ففتح فاه فلما وصل جوفه كان سببا فى موته ومنها أنه نزل اضياف من أهالى السودان على أحد امراء البقارة فقال لهم انتم اضيافى وانا ابذل الجهد فى اكرامكم اكراما حقيقيا اقدم لكم فيه الاغذية من الخبز واللحم واللبن والعسل اما الشيء القبيح الاسود فانه يدل على قلة عقل من يستعمله فلذلك لا اقدمه لكم ابدافضحكوا وقالوا نحن لانكلفك ذلك بل نصنعه بايدينا وتتناوله فقال لهم لولم



ان يحضر عشرين ريالاً فدخل على صديقاي ابراهيم حمزه ومحمد الشافعي عميدا  
بربر اللذان سجننا من أجل تهمة الاشتراك في تهريب سلاطين باشا وقالوا  
ان أمير السجن وعدنا بالصفح عنك على ان تدفع له عشرين ريالاً فقلت لهما  
كيف ذلك واتما لا تجهلان اني لا املك قرشا من العشرين ريالاً وليس  
عندي متاع ولا أرقاء غير عبدي المسمى «لدوم» وهو لا يبلغ ثمنه عشرين ريالاً  
مع ان قيمته الادبية عند توازي الآلاف من الريالات لانه كما تعلمان يطوف  
على منازل اصدقائي واخواني المصريين يجمع منهم ما تجود به مروءتهم  
لغذائي وغذاء زوجتي وولدي فاذا كان لا يعفني فاني اختار الموت لارتاح  
ويبقى عبدي «لدوم» ليقوم بحمل تغذية عائلتي الشقية اذ هو ينفق كسبه  
عليها زيادة على ما يتبرع به المصريون لي فرقالي ورثيا لحالي ودفعوا العشرين  
ريالاً من مالهما وخلصاني من هذه الورطة التي لارتاب ان التعايشي يأمر  
باعدامي لو وصلت اليه هذه القصة فجزاهما الله خير الجزاء وعوضهما عن ثروتهما  
وما خسراه من الاموال الطائلة التي اتفقاها في السجن خيراً أما مشار القصة  
فان احد اعدائي وشي بي عند اقارب التعايشي وافهمهم اني خال مولانا  
الخديوي عباس حلمي باشا وقصده من ذلك زيادة تعذيبي او اعدامي لان  
انتسابا كهذا مما يضر ضرراً بليغاً بل يكون سبباً للهلاك فتأمل في غباوة هؤلاء  
المهدين وظلمهم

### ذكر ابطال القهوة

من غرائب احكام التعايشي انه امر بابطال الاماكن العمومية التي تباع  
فيها القهوة ويجلس الناس فيها للسمر واصحابها في الغالب من المصريين وهي عبارة

مصرى وهو سودانى فقالوا وضح لنا الحقيقة فقلت لهم ان خليفة المهدي عليه السلام زوجنى امرأة عباس هذا زوج أختها فقالوا يظهر انك لم تفهم كلامنا لانا نسألك عن (عباس خديوى مصر) وفى غضون ذلك كان شارل نيوفيلد قد وقف بجانبنا فالتفت اليه وقلت ان الفرق بينى وبين عباس خديوى مصر كالفرق بين خليفةكم وبين «عاكيش» هذا وأشرت الى العبد السالف الذكر فقالوا كذبت فقد علمنا انك خاله ثم انصرفوا عني وذهبوا الى امير السجن فقصوا عليه ما دار بينى وبينهم من الكلام فغضب وامر الخفراء باحضاري فساقوني اليه بعد ان اوسعوني ضربا ولما وقفت بين يديه امر الخفراء بضربي حتى صرت استغيث فلا اغاث وبعد ان مزقوا جسمي امرهم بالكف عني وقال لى يا كافر انت شاك فى خليفة المهدي عليه السلام فقلت ياسيدي ما الدليل على ذلك فقال انك قلت للذين كانوا يحادثونك «خليفتم» ولم تقل خليفة المهدي عليه السلام وهذا يدل على كفرك فانكرت اننى قلت هذه الكلمة واستشهدت بشارل نيوفيلد فاحضره بحالة تشبه الحالة التى احضروني بها وبعد ان اوسعوه ضربا سألوه فانكر انه سمع هذه اللفظة منى وأصر على الانكار فقال له انت تشهد لابن عمك وامر امير السجن بجلد شارل نيوفيلد خمسين جلدة وضاعفوا قيوده

اما انا فقد ضعفت قيودي واغلالى وعلت يداي الى عنقي وامر بوضعي فى الغرفة المعدة لمن يراد قتله وهى التى اعدم فيها القاضيان احمد بن على والحسين بن الزهراء اللذان تقدم لنا ذكرهما وهم امير السجن بالذهاب الى منزل التعايشى لاستصدار امر باعدامى وفى الحقيقة لو ابلغه القصة لامره بذلك فترامى المسجونون على اقدامه يرجونه الصفيح عني فقال لهم لا بد من

يموت بعضهم اختناقاً وفي إحدى الليالي اتفقت مع أمير السجن على أن ادفع له في كل ليلة ريالاً وهو في نظير ذلك يأمر بتركى جالساً عند باب الغرفة لاستنشاق الهواء من شقوق الباب

ولقد كنت لأملك قرشاً من هذا الريال ولكنني أقدمت على الاتفاق معه رجاء تركى تلك الليلة فمضى الخبر إلى أحد معارفى وهو يونانى اسمه الخواجه مانولى ديا كوينى كان تاجراً في الخرطوم وله في معى صداقة قديمة ومعاملات مذ كنت حاكماً على أقاليم خط الاستواء وبعد سقوط الخرطوم وقع أسيراً في قبضة المهدوية فاستعمله التعايشى في صناعة الصابون فأرسل إلى أمير السجن وتعهده له بتأدية الريال في كل يوم وإن لا يطلبنى به بل يدفعه هو في نظير مطالب قديمة كانت لى في ذمته وبذلك تمكنت من الجلوس خلف الباب كل ليلة واستمر الخواجه مانولى يؤدى عنى ضريبة الريال حتى من الله على بالخلاص لما دخل اللورد كتشنر أم درمان فاتحاً

### النادرة العباسية في السجن

رأيت أن أعنون هذه النادرة بهذا العنوان لما تراه فيها من الخبر الغريب الذى أقصه عليك وقد كنت ذكرت أن التعايشى زوجنى امرأة من نساء الخرطوم اللاتى كن عنده وكانت لها أخت متزوجة بسودانى اسمه «عباس» وفى ذات يوم دخل على بضعة أشخاص من البقارة وكنت وقتئذ جالساً بالقرب من عبد متهم بقتل واسمه (عاكيش) فخطبني أولئك الأشخاص قائلين يا فوزى فقلت نعم فقالوا أصدقنا ماهى قرابتك من عباس فقلت انه عديلى فقالوا كلا بل هو ابن أختك فقلت كلا كيف يكون ذلك وأنا

على اجسامهم ليلا مع الضرب بالسياط واذا كان الوقت صيفا وضعوا الاغلال في اعناقهم وجردوهم من ملابسهم واجلسوهم في الشمس مع الضرب بالسياط أيضا كل ذلك عدا ما تؤديه الى السجنائين والخبراء فلكل واحد الحق في طلب ما يريد من المسجونين مثل مطالب اميرهم التي هي الضريبة الشهرية وضريبة المواسم والاعياد وضريبة الزواج وضريبة الاولاد وعدد الخبراء يبلغ المائة ورؤساؤهم اربعة لكل واحد منهم نوبة يوم وليلة يتصرف في خلالها التصرف المطلق بدون ادنى معارضة من امير السجن

### صلاة المسجونين

من نظمات السجن ان المسجونين يصلون الصلوات الخمس جماعة ولهم امام منهم وفي كثير من الاحيان نكون وقوفا في الصلاة فيهم علينا الخبراء بالسياط ويضربوننا بحجة اننا لم نحسن الصلاة فنفرع وتترك الصلاة ونهرب مذعورين

وفي احدى ليالى الصيف قنا للصلاة المغرب التي بعد انتهائها يدخلوننا الى الغرف التي تقدم لنا وصفها فرجونا الامام ان يطيل القيام والسجود لتتمكن من استنشاق النسيم في خلالها ففعل وكأن الخبراء ادركوا ذلك فوثبوا علينا بالسياط واوسعونا والامام ضربا ففترقنا شذرا منذر واسرعنا الدخول الى الغرف

### ضريبة ريال كل يوم على المؤلف

قلت ان المسجونين يدخلون الغرف في ليالى الصيف وفي كل ليلة



الخرطوم فوقفت وسلمت علينا وهي باكية متحسرة وسألتنا لماذا قرنتما في قيد واحد فقلنا لها هكذا أمر أمير السجن فذهبت متشفعة ومسترحة لنا فقبل شفاعتها وأمر بوضع كل واحد منا في قيود على حدته

### أمير السجن في منزله ونسائه

لامير السجن دار بالقرب من المسجد لم ينفق في تشييدها قرشا بل كان يشغل المسجونين في بنائها

وكان عنده من النساء خمس عشرة امرأة منهن واحدة مصرية من اللواتي أخذن مسبيات من الخرطوم والبقية من أجناس مختلفة من السودانيات وكان له حارس اسمه طنبل الشايقي يجلس على باب المنزل وله سلطة كبيرة في السجن اذ لا يؤذن بادخال طعام الى أحد المسجونين الا اذا رآه طنبل فاذا كان جيدا أمر بادخاله الى منزل أمير السجن واذا كان متوسطا دعا بقية الخفراء الى الاكل منه وقل ان يتركوا صاحبه ربهه وقد أطلق المسجونون على طنبل لقب ( شنقل منقل ) ومعناه المنشار يأكل صاعدا ونازلا

هذا وقد ذكرت الضريبة الشهرية التي كنا نؤديها الى أمير السجن وعدا ذلك فانه كان يجمع المسجونين كلما أراد ان يشتري محظية أو يتزوج امرأة جديدة أو يولد له ولد ويخاطبهم قائلا انكم لا تجهلون اننى لست تاجرا ولا زارعا بل انتم زراعتى وتجارتي فعليكم ان تجمعوا الى مائة ريال لاننى أريد الزواج أو ولدى ولد نم يضرب لهم موعدا للدفع فاذا تأخروا أمر السجناء بتعذيب المسجونين فاذا كان الفصل شتاء يكون التعذيب بصب الماء البارد

اثنان يحفران بداخل وأنا أجذب الاناء الذي يضعان فيه التراب وكان هذا الاناء من الحديد وورنه لا يقل عن خمسين رطلا والحبل الذي أجذبه به جنزير من حديد فتورمت كفاى بسبب ذلك وسالت الدماء منهما والسجانون حولي يضربونني بالسياط فددت يدي لهم با كيا مسترحما من ألم الجروح التي بهما فما كان منهم الا ان ضربوني بالسياط عليهما فوقعت مغشيا علي فاخذوا يضربونني ضربا مبرحا

### شارل نيوفيلد

والمؤلف مقرونان في القيود

ذكرت انني في الليلة الاولى التي سجنتم فيها كنت مع شارل نيوفيلد ثم فرقوا بيننا وكان كثيرا ما يجتمع بي كلما لاحت له فرصة في غفلة السجانين الذين كانوا قد تلقوا عن التعايشي تعليمات سرية بالحيلولة بيننا خشية ان نتفق على الهرب

وفي ذات يوم كان السجان الاكبر مارا فوقع نظره علينا فامر بجعلنا في قيد واحد زيادة في تعذيبنا وبعد بضعة أيام أصبت بحمى شديدة كادت تودي بحياتي وأصيب شارل نيوفيلد باسعال شديد يضطره الى الذهاب الى المرحاض كل خمس دقائق وأنا بسبب شدة الحمى لا أقدر على القيام من مضجعي وكان الفصل صيفا شديدا الحر فتقب ثوبا في الارض بجوار مضجعنا لقضاء حاجته فكنت على ما بي من الم الحمى في أشد حالة من تنن رائحة المرحاض الذي بجانبنا وظلمنا على هذه الحالة السيئة مدة خمس ليال ثم مرت بنا ذات يوم أم احدي نساء أمير السجن وكانت مصرية من أهل

يصرع كل من صارعه وآخر اسمه « كبه كله » ومعناه ان خلاله كلها مما  
يمجه الانسان ولا يقبله احد وقس على هذين العلمين سائر اسماء الخفراء  
والسجانين

وهؤلاء لا يدفع لهم التعاشي مرتبا ولا يجري عليهم رزقا فاذا ذهبوا  
الى بيت المال طالبن اعطية قابلهم موظفوه بالاستغراب قائلين كيف تطلبون  
عطاءً من بيت المال وعندكم من الناس المسجونين من يمكنكم ابتزاز المال  
منهم وضرب الضرائب عليهم وهم مرغمون على اجابة مطالبكم فكان امير  
السجن يفرض الضرائب على كل مسجون بما يزيد عن طاقته وكان ابراهيم  
حمزة عميد قبيلة ( الانقرياب ) الذي ذكرت امر سجنه كثيراً ما يؤدى تلك  
الضريبة عنى اذ لم اكن املك درهما منها وكنا فى ايام الاعياد والمواسم نؤدى  
ضريبة فوق العادة عدا الضريبة الشهرية التى لامناص من دفعها وعدا  
ماندفعه كل يوم وليلة للسجانين الذين كثير اما كانوا يأخذون ملا بسنابدل الرشوة  
ومن نظمات السجن ادخال المسجونين فى الغرف التى لا منفذ فيها  
ليقضوا الليل فى فصلى الصيف والربيع فى الحر الشديد أما فى فصلى الخريف  
والشتاء فينامون تحت السماء مقرنين فى الاغلال فراشهم الارض وغطاؤهم  
السماء يحيط بهم السجانون بايديهم السياط ويأمرونهم بالاضطجاع على جنب  
واحد فاذا تحرك احد هم حركة ولو خفيفة اوسعوه ضربا بالسياط

### الايام الاولى فى السجن

لما ادخلوني السجن ضاعفوا قيودى حتى بلغت ستة قيود ثم  
انتدبوني مع آخرين لحفر بئر فى منزل امير السجن المجاور للسجن فكان

لما حل به من القضاء المحتوم

وعلى ذكر الشيخ الحسين نقول ان من الوشايات التي كان التعاشي يقبلها وييطش بالموشى به ان يقال له ان فلانا من أهل العلم لانه يوقن اذ ذاك بان من كان عالماً لا بد ان يكون غير راض بالمهدوية وفي ذات يوم قال ان العلماء مفسدون في الارض ولا أمان لنا من مفسدهم التي يفرسونها في افئدة الناس الا بقتلهم ومثل العالم في البلاد كمثل شجرة في وسط مزرعة تأوى العصفير اليها وتقات ثمار المزرعة وهكذا العالم يأوى اليه الناس ثم يبيت فيهم معارفه التي تأكل ايمانهم وتصديقهم بالمهدوية كما تأكل العصفير ثمار المزرعة فكما انه لا سبيل لحفظ المزرعة من عبث العصفير الا بقطع الشجرة كذلك لا سبيل لحفظ عقائد الناس في المهدوية بغير قتل العلماء

وخلاصة القول ان الشيخ الحسين كان اعلم أهل السودان ومن اكبر الذين شايعوا المهدوية في بدايتها وقد رأيت ما حل به من الانتقام مثل كثير من الذين ساعدوا المهدي وأعانوه على دعوته ومن اعان ظالماً سلط عليه

### خفراء السجين

كل خفراء السجين والسجانين من أقارب السائر السجان أى من قبيلة الجوامعة التي عرفناها فيما تقدم من هذا الكتاب وجلهم من أبناء السفاح الذين يقال لهم ( عينة خاله ) فاذا سألت واحداً منهم عن اسم أبيه يجيبك بقوله « أنا ابن أخت فلان » ولم اسمع بواحد منهم اسمه من الاسماء المألوفة والاعلام المعروفة كمحمد واحمد وغيرهما بل لهم اعلام هي في الحقيقة صفاتهم مثال ذلك ان احدهم اسمه ( شقيب ) ومعنى هذا الاسم « الصارع اى انه

لهم لست بساحر ولكن الله سقاني الماء لما طلبته منه فآخذوا منه الابريق  
واصلحوا ما تدعى من ركن الغرفة وبعد ليلتين دخلوا عليه فألقوه في سكرات  
الموت بثبات جاش غريب ولما توفي أمر التعايشى بعدم غسل جثته وتكفينها ودفنها  
وصرح بأن تلقى على وجه الارض لانه كافر بزعمه وأمر بكتمان أمر وفاته عن  
ذويه الذين ظلوا يروحون ويفدون الى السجن حاملين له الاطعمة والملابس  
فكان السجنانون يأخذونها منهم ويعودون لهم قائلين ان الشيخ يأمركم  
باحضار كذا وكذا من الاطعمة والملابس فيسرعون باجابتهم وهم لا يعلمون  
ان الشيخ مضت على مفارقتها الحياة بضعة أسابيع وجثته قدمت غداء للنسور  
وظلوا على هذا الحال زهاء شهر من الزمان حتى أمر التعايشى عقيها بمصادرة  
امواله وأخذ نسائه فعلم ذووه انه فارق الحياة

أما وفاته فقد كان لها تأثير سيء عند الاهلين واطهر المسجونون حزنهم  
عليه وكان له تلامذة عديدون اختفوا وخافوا الايقاع بهم. ولا بأس بايراد لمعة  
من ترجمته اتماماً للفائدة فنقول. هو من قبيلة صغيرة في الجزيرة قدم القاهرة  
صغيراً وتلقى العلوم بالازهر الشريف وبرع في العلوم العقلية وكان ذا ذكاء  
عظيم ودين متين حتى قال أحد مشايخه الازهريين انه لم ير سودانياً مثله ذكاء  
ولما قفل راجعاً الى دياره وهبت ثورة المهديوة صادفت هوى في قلبه  
لانه كان ناظراً اليها من الوجهة السياسية وقد تقدم أنه لما قابل المهدي  
ونصحه بقصيدهته التي أودعها مغامز كثيرة ندم ولم يعد قادراً على احتمال  
معاشرة المهديوة فكان يقضى اكثر أوقاته في قرية بالجزيرة راضياً بالحمول  
والبعد عن المهديوة وشروطها حتى استدعاه التعايشى وكلفه قراءة درسين  
في الحديث والمواريث وكان قصده من ذلك الحجر عليه بام درمان تمهيداً



بالوفاء تطيبوا لخواطرهم فاحتدم الشيخ الحسين غضبا وضرب ييده محمد حمدان قائلا

استغفر الله مماقلته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقتض ويوفي دائنيه ولا يجوز ابدا أخذ اموال الناس بالطريقة التي قلتم افساء ذلك التعايشي واحتدم غضبا وقال مخاطبا الشيخ الحسين

لقد كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ملزما بتأدية ما يقتضيه وقد اباح الله اخذ اموال الناس ثم أمرهم بالانصراف وقال للقاضيين الضالين حسين جزو ومحمد حمدان احكما بكفره لانكما قاضيان يجب انفاذا ما تحكما به فاخذاه وذهبا به الى السجن وامرا بوضع ثلاثة قيود في رجله وغل في عنقه ثم ذهبا الى منزل يعقوب اخي التعايشي ليتداولا في الامر ثم رفعوا الى التعايشي حكما فحواه ان الشيخ الحسين كفر وان عقوبته احدى ثلاث اما ان ينفي واما ان تقطع يده ورجله من خلاف واما ان يسجن مؤبدا فاختر التعايشي هذه ظاهرا واضمر قتله فاعوز الى السجن بوضعه في احدى غرف الاعدام ومنع الاغذية عنه فنقله اليها بعد ان وضع في رجله اثني عشر قيداً وجزيرين ومنعوا عنه الماء فكان يستغيث من الظمأ وفي ذات ليلة رفع صوته بالاستغاثة طالبا شربة ماء ليستعين بها على معالجة سكرات الموت فلم يعطوه شيأ وكانت ليلة شديدة الحر فلم يشعر الا بالمطر قد هطل على السجن كافواه القرب مع اننا في فصل لا تمطر السماء فيه في السودان ابدا وتداعى ركن من اركان الغرفة المسجون بها فامتلات بماء المطر فشرب الشيخ واغتسل وتوضأ وملا ابريقه وفاض الماء حتى تجاوز ركبتيه

وفي الغد دخل عليه السجنانون واوسعوه ضربا قائلين انك ساحر فقال

وقد كان التعايشى استقدم الشيخ الحسين من بلده في الجزيرة وعهد  
اليه بالقاء دروس في علمي الحديث والمواريث في المسجد ولما قبض على القاضي  
احمد بن علي ولاه القضاء بدله

ولما ولي القضاء قال لخواصه اني لا أريد المحابة بل أريد الوقوف عند  
حد الشرع وكل أمر يعرض عليّ لا أقول فيه غير الحق وأنا لا أجهل ان  
عاقبة ذلك ستكون الموت

وبعد أن تولى القضاء عرضت عليه مسألة وهي ( ان رجلاً من الموسرين  
اسمه عوض الكريم من أهالي قرية ( المتمة ) بمقاطعة بربر هجر دياره  
فراراً من ظلم المهدوية ولحق بالحرمين الشريفين وتوفي هناك فافتي القضاة  
بكفره ووجوب مصادرة أمواله ) فقال الشيخ الحسين لم يكفر هذا الرجل ولا  
تجوز مصادرة أمواله أبداً فيحقد التعايشى عليه وأضر له سوء

وفي ذات يوم دعاه ومعه قاضيان هما حسين جزو ومحمد حمدان وكلاهما من  
أهالي السودان الغربي لا يعرفان شيئاً من الاحكام الشرعية ولكنهما يحفظان  
الفاظ القرآن وكانا من اكبر قضاة الجهل والظلم ومعهما أمين بيت المال ولما  
استقر بهم الجلوس بين يدي التعايشى خاطبهم قائلاً « أيها القضاة ان بيت  
المال ليس فيه نقود وان الانصار يطلبون أعطيتهم فماذا نضع » فاجابه محمد  
حمدان بما يأتي

انني سمعت المهدي عليه السلام يقول ان الناس بايعوني على ان  
اتصرف في رقابهم واموالهم تصرف المالك فيما يملك لانني خليفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وعليه فيجوز لأمين بيت المال ان يكره ذوى اليسار على  
ان يقرضوه ما يطلبه منهم وليس بيت المال ملازماً بالسداد ولكن يعد الدائنين

ومن هذه الخطبة أيقن الناس ان القاضي احمد سيقتل  
وفي اليوم التالى ذهب يعقوب أخو التعايشى الى السجن وانقرض بالقاضى  
احمد وخدعه بانه سيسعى فى خلاصه من السجن فانخدع له ثم سأله عن  
أمواله فأوضحها له وكانت شيئاً كثيراً من الذهب والفضة فضبطت كلها  
وصودرت لجانب بيت المال

وبعد استصفاء أمواله طرح منفرداً فى احدى غرف السجن ومنع عنه  
الطعام والشراب حتى توفى بعد بضع ليال وكان طويل القامة بدين الجسم  
شديد سواد اللون وكان غير مصدق بدعوى المهديّة وكثيراً ما رأيت  
منه محابة لجانبى فى أمور اُحليت محاكمتى فيها عليه بسبب فلتات من اللسان  
عقوبتها الجلد بالسياط عند الدراويش

### ذكر تولية الشيخ الحسين الزهراء ( القضاء وقتله صبراً )

تقدم لنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب شىء من أخبار الشيخ  
الحسين بن الزهراء وما كان من أمر قصيدته الهمزية التى نصح بها المهدي  
وقد نشرناها برمتها وأن المهدي أنقذه الى كسلا وقد كان التعايشى  
حاقداً عليه بسبب النصيحة المذكورة اما هو فقد رجع على نفسه باللائمة  
لما فرط منه من الميل الى دعوى المهديّة التى انكر كل اعمالها وجاهر  
المهدي بانكاره والمهدي يفضى عن عقابه رعاية لجلالة قدره وتقواه حتى  
توفى المهدي وخلفه التعايشى الذى كان ذاميل شديد للانتقام من الشيخ  
الحسين المذكور

فقام القاضى وقبل يد التعايشى وبكى وانتحب وتاب واستغفر وخرج  
مع زملائه يرجوهم أن لا يذكروا شيئا مما جرى في هذه الحضرة لاحد من الناس  
وبعد مضى بضعة أسابيع على هذه الحادثة ضبط محتسب السوق  
شخصين يدعى أحدهما عبد المجيد عبد الله الدنقى ويدعى الآخر عبد الله سليمان  
يزيفان المسكوكات من نوع ريبالات المهدوية وأحضرهما امام التعايشى الذى  
سألهما عن جنايتهما فقالا له لم نزيف بل نضرب العملة لك فتمعجب من هذه  
الجرأة وسألهما الايضاح فقالا ان القاضى احمد بن على هو الذى أمرهما بسك  
هذه النقود وأفهمهما انه مأمور من قبل التعايشى وكانا يؤديان له كل ما يصنعا  
منها ثم أبرزنا كتابا من القاضى بخطه متضمنا هذا المعنى فأمسك التعايشى  
الكتاب واطلع من حوله عليه فأكدوا صحة صدوره من القاضى احمد بن على  
فاستدعاه وسأله قائلا ألم يكفك ما غتلته من الاموال حتى صرت نزيف  
النقود فأنكر ذلك فأبرز له التعايشى الكتاب المذيل بتوقيعه ثم عاد الى  
الاعتراف فاحتدم التعايشى غضبا وقام من مجلسه ودخل الى أودة جلوسه  
واستدعى القضاة فجلسوا ولم يكلمهم بشيء بل أمر باحضار القاضى احمد  
ابن على فلما حضر بين يديه أمر الحراس بايداعه فى السجن فسيق اليه ثم قال  
لمن حوله من القضاة سأقوم فيكم خطيبا بعد صلاة المغرب فليكنم أن تسمعوا  
ما أقوله لكم ومروا الناس بانتظارى لسماع ما أقوله فخرجوا من عنده وبعد  
صلاة المغرب صعد منبر الخطابة وقال ما يأتى

ان احمد الاسود (لانه كان أسود اللون) أصله مولى قبيلة بنى هلبه  
ولم يكن منها وقد أفسد وظلم العباد واغتال أموال المسلمين فلذلك أرى ان موته  
خير من حياته فرد عليه الحاضرون بلسان واحد حسنا تفعل

ومن غرائب شعودته في القضاء وخراب ذمته وميله الى الارتشاء ما أورد منه هذه النكتة ليقاس عليها بقية أعماله وذلك انه في احدى السنين تشاجر جاب اسمه حسيب مع احدى قبائل البحر الابيض لاسباب طفيفة كان الحق فيها مع رجال تلك القبيلة فأمر مقاتلته باطلاق الرصاص على الحى فقتل من الرجال نحو ثلاثين رجلا عدا الجرحى فرفعت الحادثة للتعايشي فأكبرها وغضب على الجابى وأحال محاكمته على القضاء فعقدت الجلسة الاولى ثم ارجئت الى الغد وفى تلك الليلة حمل الجابى الى القاضى أحمد بن على ثلاثة آلاف ريال فأمر فى الغد بايداع المتظلمين من تلك القبيلة السجن وأفهم التعايشي انهم شهروا حربا على المهدي وخليفته وبعد عناء شديد اخرجوا من السجن وذهبت دماء المقتولين هدرًا ومثل هذا كثير لا يسع المقام ايراده وانما أوردنا هذا مثالا تقاس عليه حالة ذلك القاضى

وفى أواخر سنة ١٣١١ كتب التعايشي سرا الى الجباة يأمرهم بارسال الكتب التى ترد اليهم من القاضى احمد بن على يأمرهم فيها بمعافة المنتمين لرايته من الضرائب والخراج فاجتمع عنده شىء كثير منها فجلس ذات يوم ومعه القضاة واستدعى القاضى أحمد وقال للحاضرين ما يأتى

أيها القضاة أخبركم اننى اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي عليهما السلام وبينما كنت معهم اذ رأيت شخصا معذبا بين السماء والارض فسألت عنه فأجابني المهدي بانه القاضى احمد بن على فدهشت لذلك فقال لى الخضر عليه السلام انه نقض عهدهك وجمع الاموال وظلم العباد فلهذا أنا أمر القاضى احمد بالتوبة والاستغفار كما أمره بالتخلي عن الرايات التى يقودها والانقطاع الى القضاء فقط اه



وذلك لان المهدي أقام نوابا للفصل في القضايا المهمة ونصب أمناء ينوبون عنه في نظر مايرفع اليه من المسائل وقد تقدم ذكر ذلك فيما مر من الكتاب

وقد ذكرنا ان لكل من القاضي والنواب والامناء اختصاصا في وظيفته ولكن النواب والامناء تجاوزوا حدود اختصاصهم ولم يتركوا للقاضي اختصاصا ينظر فيه حتى صارت وظيفته اسما بلا مسمى الى أن هلك المهدي واستبد التعالشي بالملك فألغى وظيفة الامناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة تحت رئاسة أحمد بن علي تنظر في كل مايرفع اليها من الدعاوى والخصومات وقد أشرنا فيما مضى الى الغرض الذي كان يرمى اليه التعالشي من وراء هذا الانقلاب الذي يتوخى به الاضرار بأقارب المهدي واضطهادهم. وحاصل القول ان أحمد بن علي أصبح ذا مركز سام ونفوذ عظيم ولم تقف حظوته عند القضاء فان التعالشي وأخاه يعقوب كانا لا يقطعان أمرا دون مشاورته فاستفحل أمره وتلاعب بالقضاء أيّ تلاعب وانضم الى رايته أغنياء البلاد وسراتها في سائر أنحاء السودان وصار يكتب الى الجبابة بمعافاة المتهمين اليه من أهالي البلاد من الضريبة والخراج التي صاروا يؤدونها له واقتنى عدداً كبيراً من السفن الشراعية وامتلك كثيراً من قطع الاراضي الخصبة أما الرشوة فقد كان دخله اليومي منها يقدر بالآلاف من الريالات وشاد لنفسه داراً واسعةً بالقرب من ضفة النهر ملأها بالنساء الحسان من السودانيات والمصريات وجلهن قبليات من سكان الخرطوم اللاتي استباحهن المهديون وامتلات الفياقي وأما كن المرعى بقطعان ماشيته من الابل والبقر والغنم وبالجملة فقد أصبح ذا ثروة طائلة

كذابون وعلى كل حال فأنا لا اطلب لديناى أو آخرتى غير رضا خليفة المهدي  
فاذا عزم على قتلى فأنا راض بأمره واسأله أن يرضى عني وان شاء استحيائي  
فاننى لا أرغب في الحياة الا اذا كانت مصحوبة برضاه فذهب القاضيان له  
وأخبراه بما قلته وبعد ساعتين عادا الى وقالا لى ان خليفة المهدي عفا عنك  
واستبدل قتلك بسجنك مؤبداً فسجدت بين يديهما شاكراً لله تعالى ثم  
رفعت رأسى وقلت لهما أبلغا تحيتى لمولاي خليفة المهدي عليه السلام وقولا  
له ان عبدك طامع في عفوك ومتوسل اليك بحمدك وحنانك فذهبوا ولم يعودا  
الا بعد سنتين وسيجيء ذكر ذلك في مكانه

### ذكر قتل القاضي احمد بن علي

القاضي احمد بن علي أصله من عشيرة اسمها ( بنى هلبه ) تسكن جنوب  
دارفور وكان يحفظ القرآن الشريف ويعرف قليلا من الفقه على مذهب  
الامام مالك وولى القضاء فى أحد مراكز مديرية (شكا) احدى مديريات  
دارفور ولما ظهرت دعوة المهديوية فى جبال قدير فر احمد المذكور ولحق بها  
وشهد مع المهدي واقعة يوسف باشا الشلالى وقدم معه الى الابيض عاصمة  
کردفان حتى كانت وقعة يوم الجمعة التى قتل فيها احمد بن جباره الذى كان  
قاضيا للمهدوية كما مر ذكر ذلك باسهاب فى الجزء الاول

وكان احمد هذا ميالا لجانب عبد الله التعايشى الذى جعله قائدا صغيرا  
على عشيرته ( بنى هلبه ) وأعطاه راية صيرها تابعة لرايته الزرقاء فتكلم  
مع المهدي فى شأنه وسأله أن يوليه القضاء بدل احمد جباره فولاه  
ولقبه بلقب ( قاضى الاسلام ) ولكن وظيفته هذه صارت اسما بلا مسمى

من هذه الغرفة التي فيها متبئان فقال لي على شرط أن تنقذني ريالاً فقلت له  
أنقذك الريال مع انني لا أملك قرشاً واحداً ولا في بيتي درهم ولا دينار  
فأخرجني من تلك الغرفة الى غرفه أخرى فيها أكثر من مائة مسجون فقضيت  
بقية الليل واقفاً على قدمي والناس يضجون من شدة الحر والازدحام  
وتوفي اثنان منهم في تلك الليلة

ولما لاح الصباح أخرجونا من الاوذة فسمعت السجناء يقولون ان  
(الاوذة كرمت) اي أنها ضحت هذين الرجلين ثم جروا الرجلين من  
أرجلهم وألقوهما في النهر

هذه أخبار الليلة الاولى في السجن أوردتها بإيجاز كثير وسأعود الى  
ذكر بقية الاخبار في محالها والله الهادي الى سواء السبيل

### انذار المورِّف بالاعدام

وبعد خروجي من الأوذة جلست مع المسجونين في حوش السجن  
وبعد بضع ساعات كنت أستنشق الهواء في خلالها جاءني أحد السجناء  
يدعوني للخروج الى أوذة أمير السجن فخرجت أرسف في قيودي فوجدت  
بها اثنين من القضاة أحدهما سليمان بن الحجاز والثاني احمد بن حمدان  
فقالا لي ان خليفة المهدي عليه السلام بلغه عنك انك كنت تصنع أشياء  
مخالفة لمنشورات المهدي عليه السلام وانه رأى وجوب قتلك فقلت ان خليفة  
المهدي عليه السلام أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان المهدي عليه السلام  
أخبر بانه من اهل الكشف فاذا كان هذا القول من عندياته فهو  
صادق والا فان لي أعداء يرومون التشكيل بي من قبل زمن المهدي فهم

وقبيل الصباح دخل علينا السجانون فأوسعوني وأصحبني ضربا بالسياط  
 قائلين لنا لماذا يا أولاد الريف يا كفار تجلسون مع بعضكم ثم وضعوا كل  
 واحد منا في أودة مع أناس من المسجونين فجلست بجانب عبد أسود تظهر  
 عليه علامة المرض فبدأته بالحديث مستفهما عن جريمته فرفع رأسه وقال لي  
 أما تعرفني فقلت كلا فقال أنا عيسى بن مريم نبي الله ورسوله فظننته مازحا  
 فقلت له أصحيح ما تقوله فالتفت إلي وقال لي ستري مصداق ذلك قريبا فقلت  
 له ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه أبيض اللون وانت عبد أسود فأجابني  
 بثبات جاش ان جميع الالوان بيدي ولوشئت جعلت لوني أبيض ولكنني اخترت  
 سواد اللون تواضعا لله تعالى ثم رأيت بجانب رجل آخر ذا ملابس نظيفة  
 وهيئة مهية فقلت له هل سمعت ما يقوله هذا الذي يزعم انه عيسى بن مريم  
 عليه السلام فلم يرد علي فظننت انه مستغرب هذا الخبر وأخذت أكله  
 وقلت له حقا ان هذا الامر غريب جدا وهل يظن مثل هذا الكذاب  
 ان دعواه تقابل بالتصديق ولو من البسطاء فلم يرد علي بشيء بل أعرض  
 عني وبينما أنا متعجب اذ التفت الى خلفي فرأيت احمد الفحل ورفيقه  
 الصادق بن عثمان اللذين سبق لنا الكلام عنهما وانهما هربا سلاطين باشا  
 يضحكان فلم أفهم لماذا يضحكان فدنوت منهما وسألتهما عن سبب  
 ضحكهما فقالا لي ان الرجل الذي تكلمه وتشكوه له أمر المتنبى يدعي هو ايضا  
 انه عيسى بن مريم عليه السلام فازددت تعجبا ودخل ساعتئذ أحد  
 السجانين واسمه (ابولباده) وقال لي يا ابن الريف لماذا حبسوك فقلت  
 لا أدري فقال لي انكم معشر أولاد الريف لا تتركون كفركم وانكازكم على  
 المهدي وخليفته فدنوت منه وأخذت أترامى على اقدامه ورجوته أن يقتلني

بالاحجار وليس فيها نوافذ غير الباب الذى يدخل منه وهى مظلمة جدا  
فدخلت وليس على جسمى من الملابس غير السراويل فوجدت فيها نحو مائتى  
مسيجون وهى لاتسع أكثر من ربع هذا العدد فرأيت بينهم ثلاثة رجال  
بيض الوجوه يكادون لفرط ما هم فيه من العذاب مع طول مدة السجن أن يكونوا  
أشباحا بلا أرواح فدنوت منهم وجلست بجانبهم فاذا أحدهم الموسيو شارل  
نيوفيلد الذى تقدم لنا ذكر خبره والآ خر صيدلى مصرى اسمه خليل أفندى  
بسيم والثالث رجل من تجار اليهود فى أم درمان جلست بينهم وأنا اتقلب  
فى الام الجروح والضرب اللذين ذكرتهما قبل فاطهروالى من المواساة  
والتوجع لمصابى ما كاد يعزىنى واخذت أجيل نظرى فى الغرفة فاذا الذين  
فيها جلهم مرضى مصابون بالاسهال واذا بجانب كل واحد حفرة يتغوط  
فيها ولضيق الغرفة كان الناس مترامكين على بعضهم ومنهم من هو واقف  
على نخذغيره ومنهم من يصيح وطئت على رقبتي كل ذلك ولا منفذ يستنشق  
منه الهواء غير الشقوق التى فى الباب

ولم يمض على أكثر من ساعة حتى أغمى على وفقدت الشعور ولم أفق  
الا على صوت الموسيو نيوفيلد الذى كان يصيح من داخل الباب لخفير  
السجن قائلاً ( ان الرجل الذى جثم به قد مات ) لانهم أيقنوا بموتى فلم يعبأ  
الخفير ولا السجنانون بكلامه ولما رفعت رأسى سمعت أصحابى الثلاثة  
يقولون ظنناك فارقت الحياة فالحمد لله على سلامتك وكان عند كل واحد  
قطعة من الخرق بالية يروح بها على نفسه من شدة الحر فكان  
الثلاثة يروحون على بخرقهم وقد نسوا أنفسهم فجزاهم الله عنى  
أحسن الجزاء



السلام أنا أعتقد أن مدينتك طاهرة مطهرة من كل رجس وليس فيها خمر أو محرّم - س - هل كان سلاطين تاركا للصلوات الخمس - ج - ان سلاطين كان ملازما خليفة المهدي عليه السلام في أوقات الصلوات الخمس وبدا لا يكون تاركا للصلاة وهذا ما نراه نحن بأعيننا أما البواطن وما تخفي الصدور فان علمها عند خليفة المهدي عليه السلام

وعند نهاية هذه الكلمة التفت التعالشي لمن حوله وقال خذوا هذا (وأشار الي) الى السجن وكان ذلك آخر عهدى بمحادثته ورؤية وجهه فاجتذبنى أربعة من الحراس الى خارج الباب وهناك اجتمع علىّ نحو خمسين منهم فاخذوا يضربوننى حتى سال الدم من أنفى وجسمى ثم نزعوا عمامتى وشدوا بها وثاقى وساروا بى الى السجن والسياط تمزق جسمى فلم أقدر أن أمشى الا بعض خطوات ثم سقطت على وجهى وقد أغمى علىّ فأمسكونى وأسندنى بعضهم والبعض الآخر يضربنى بالسياط حتى بلغت باب السجن فتلقانى حراسه بالضرب بالسياط أيضا ووضعوا فى رجلىّ ستة قيود يربو وزنها على أربعين رطلا ووضعوا فى رقبتيّ غلاّ كبيرا (جنزيرا) وامسك الحراس عن ضربى بالسياط فالتفت اليهم وقلت اسقونى ماء فكان جوابهم الضرب بالسياط وقالوا الى مثلك لا يستحق شربة ماء ياعدو خليفة المهدي عليه السلام ثم أدخلونى السجن

### أول ليلة فى السجن واخبار اثنين يدعيان النبوة

كان وصولى الى دائرة السجن فى أصيل النهار وبعد وضع الحديد فى رجلى ادخلت الى أودة يطلق عليها اسم (أودة الحجر) لانها مشيدة

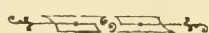
وبينما أنا في غفلة من هذا اذ فاجأني الطلب فارتعت له وأدركت ان  
المصير سيء فحاولت اخفاء ما ألم بي فلم أفلح وذهبت وكأني أودع الحياة  
على أن ما قاله مشيرو السوء لم يكن له نصيب من الصحة اذ كنت  
لا أجتمع بسلاطين باشا الا نادراً وليس بيني وبينه غير مودة سطحية لانه  
كان يخاف على من تهمة كهذه ولكن لا يغني حذر من قدر

ولما دخلت على التعايشي ألفيته جالسا على عنقريب ( سرير ) وحوله  
القضاة والمشايرون جاثين على الارض كعادتهم وسيفه موضوع على فخذه  
ممسكا بيمينه على قبضته كانه يريد أن يستله والغضب باد على وجهه فخطبني  
قائلا يا ابراهيم فوزي فقلت ليك يا خليفة المهدي عليه السلام فقال أين سلاطين  
صاحبك فقلت لا أعلم ياسيدي وأظن انه في منزله فاتهرني بصوت جهوري  
قائلا اذهب اليه وأحضره لي فمشيت بضع خطوات نحو الباب فقال لي  
يا ابراهيم فوزي فعدت اليه فقال ألم يكن عندك خبر بهروب سلاطين فقلت  
كلا فقال لي انه هرب فقلت باند هاش (أهرب أهرب) فقال لي ماذا تقول  
في أمر هربه فقلت يا خليفة المهدي عليه السلام ان سلاطين نصراني ارتد  
عن الاسلام وعاد الي دينه النصرانية وقد أبعد الله عن التمتع بمشاهدة أنوار  
خليفة المهدي عليه السلام في الدنيا والآخرة ومع ذلك فانه لحق بمصر التي  
ينوى مولانا الزحف عليها في هذا العام ولا بد من وقوعه في قبضة المهديّة  
ويذوق جزاء خيائته وفراره فأطرق التعايشي الى الارض هنيهة ثم رفع رأسه  
وألقى على الاسئلة الآتية

س - هل كان سلاطين يدخن التنباك - ج - لا أعلم شيئا من هذا -

سن - هل كان سلاطين يشرب الخمر - ج - أستغفر الله يا خليفة المهدي عليه

وأما غرف المسجونين فهي كثيرة منها ماهو مشيد بالحجارة وجلها ليس له نوافذ لتبديل الهواء ويوجد من الغرف ما يطلق عليهما اسم (الاعدام) وعلى كل حال فإن السجن نوعان خفيف وثقيل أما الخفيف فهو عبارة عما يعامل به الذين يسجنهم القضاة بسبب الديون أو الحدود وغيرها وأما الثقيل فمخصوص بالذين يسجنهم التعاشي وهم في الغالب ذوو الجرائم السياسية وما ياحق بها وسترى فيما يأتي ذكر كثير من أخبار السجن وغرائبه والله الموفق



### ذكر سجن المؤلف

لما فر سلاطين باشا استدعى التعاشي القضاة وكثيراً من أهل شوره وجلس معهم وعدد لهم مآثاه مع سلاطين باشا من أنواع الاكرام وما غمره به من الاحسان ومع ذلك فقد كفر تلك النعماء وارعد عن الاسلام ولحق ببلاد الكفار فأجابوه بالاستغراب وقال له أحدهم انه لا أمان لمن كان وجهه أبيض خصوصاً اذا كان ذا وظيفة في الحكومة وقال له آخر ان سلاطين قد كان مضمر الكفر مظهرّاً للاسلام والدليل على ذلك انه كان صديقاً حميماً لبراهيم فوزى (المؤلف) وكانا يجتمعان في منزليهما ويشربان الخمر ويدخانان التنباك ولا بد أن يكون ابراهيم فوزى ذا ضلع في مسألة فراره فقام ثالث وقال للتعاشي انك اذا لم تأمر بسجن ابراهيم فوزى فر ولحق بسلاطين لان سلاطين أصغر منزلة في الحكومة من ابراهيم فوزى اذ هو حائز رتبة (باشا) أما سلاطين فلم يكن حائزاً الا على رتبة (بك) فصادفت هذه الاقوال أذنا صاغية من التعاشي فأرسل أحد حراسه لاحضاري

اعتقالي منه اللورد كتشنر يوم دخل أم درمان

ولما كان جل ما يحىء ذكره في أخريات هذا الجزء من أخبار السجن  
التي قاسيتها رأيت أن أقدم هذا التمهيد في ذكر نظمات السجن وترجمة السجن  
المسمى (الساير) ادريس الذي اطلق اسم الساير على كل سجن من سجون  
المهدوية وفي الانحاء الخاضعة له لاجله فاقول أما ترجمة الساير المذكور فانه أعرابي  
من قبيلة (الجمع) التي تسكن شرقي كردفان وقد تقدم لنا ذكر شيء من  
عوائدها التي من جملتها ان الفتاة لا تتزوج الا بعد ان تلد بضعة أولاد من الزنا  
ليمنوا اخاها ويطلق عليهم اسم (عينة خالهم) وكان الساير هذا من أكبر أشقياء  
تلك القبيلة وكان رئيس عصبة تقطع الطرق بالهلب والسلب

ولما ظهرت دعوة المهدوية في جبال قدير لحق بها الساير فقلده المهدى  
وظيفة سجان ومن ثم اطلق على السجن اسم الساير  
وأما أوصافه فانه كان ربة في الطول بدين الجسم ولونه نحاسي غامق ووجهه  
عبوس وكان عيذه شعلة نار

وكان التعايش لا يدفع له مرتبا ولكنه ذو ثروة عظيمة تقدر بمئات الألوف  
جمعها من الذين أوقعهم نكد الطالع بين يديه وسترى فيما يأتي أمثلة من ضروب  
ابتزازه اموال المسجونين

وأما عوانه منهم كثيرون وجلهم من البعيد (الجهادية) ورؤساؤهم من ذوى  
قربته من قبيلة الجمع

وأما السجن نفسه فانه عبارة عن سور من اللبن الاخضر على أكمة  
مرتفعة عند ضفة النهر وفي داخل السور العام عدة اسوار ومبان اسكنى  
الخبراء وجاوس السجنان

ولما فر سلاطين باشا كما تقدم وبلغ قرية ( الفحلاب ) ذهب مخبر الى  
ابراهيم حمزة هنا وأعلمه بمكن سلاطين فامتنع من القبض عليه وبعث اليه  
من حذره وامره بسرعة الرحيل وأوصي قومه بعدم التعرض له وتظاهر  
بعدم العلم بامرهم فاتصل ذلك بالتماشي فارسل يستقدم ابراهيم وبعض أقاربه  
ومنهم ابن عمه محمد الشايق وكذلك استقدم منصوراً ومحمداً ابني العجمي وهما  
عميدا عشيرة في بربر أيضاً

ولما قدم ابراهيم جلس التماشي مع القضاة واهل الشورى وادخل  
عليه فسأله قائلاً لماذا تركت سلاطين اجتاز بلادك فاجابه يامولاي اني لم  
اعلم بامرهم وانه شيطان قدر على الفرار من بابك وفلت من ايدي الالوف  
من حراسك فكيف لا يقدر على اجتياز بلادني التي هي فلاة مملوءة بالادغال  
والغابات فاطرق التماشي ثم امر بسجنه وابن عمه وكذلك ابني العجمي  
ووضع في رقبة كل منهم جنزيراً من الحديد وجملة من القيود فكتبوا في السجن  
خمس سنوات حتي اتقدم اللورد كتشنر يوم فتح ام درمان وسنذكر بقية  
اخبارهم في السجن وما كان من احتفالهم بي فيه اذ لولا ما كان به يذله  
ابراهيم حمزة من المال في سبيل دفع اذي السجنانيين عني لهلك فجاءه الله  
عني أحسن الجزاء

تمهيد في ذكر السجن ونظاماته واطلاق اسم

الساير على كل سجن

علمت مما تقدم كيف هرب سلاطين باشا الذي لم ألبث بعد فراره الا  
أياماً قلائل صار سجنى تبعها حيث ظلت في السجن خمس سنوات ثم أطلق



الى أوصله قرية ( الفحل ) وسلمه الى أخوة أحدهما أحمد الفحل فذهبت  
وأوصاته لهم ثم لا أعلم ماذا صار فاسر به الى السجن وبعد أيام أطلقه ولم  
يصبه بسوء فتحقق صدقه ثم أرسل لنقبض على أخوة أحمد بن الفحل  
الثلاثة وأودعوا السجن وبعد أن مضى عليهم شهران في السجن سجنوا في  
خلالها معهم كما ذكر ذلك في مكانه فاشعرت الاونحو خمسين عبداً من حراس  
يعقوب دخلوا السجن وبايديهم السياط فاخرجوا أحمد الفحل والصادق عثمان  
وابن أبي بشر وأخوة أحمد الفحل الثلاثة ونزعوا ثيابهم عنهم وقرنوا في  
الاصفاد وأخذوا يضربونهم بالسياط حتي تمزقت جلودهم وسالت الدماء منهم  
وكانت إحدى البواخر راسية على ضفة النهر فسيقوا اليها وهي على وشك  
السفر الى خط الاستواء ولما وصل هؤلاء المسجونون الى ضفة النهر أغشي  
عليهم من شدة الضرب فكان الحراس يحملونهم كما يحمل المتاع ويلقونهم  
في عنابر البخرة فكانت تسمع مصادمة اجسامهم مع جسم قاع البخرة  
كانهم من نوع المتاع ثم اقلعت بهم البخرة الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم  
فهؤلاء هم الذين ذهبوا ضحية سلاطين باشا وانا سابعهم لكنني والله الحمد  
نجوت بعد عذاب قاسيته خمس سنوات في السجن كما سيأتي ذكر ذلك

### ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة من اعيان بربر

ابراهيم حمزة عميد قبيلة في بربر اسمها ( الانقرياب ) ولما وصلت دعوة  
المهدي الى بربر نفر عنها ابراهيم وقومه وبقى على ولاء الحكومة حتى اكراه على  
الخنوع لأمهيدوية وهو كريم جواد ذو أياد بيضاء على جل اسري المصريين  
وذو سعة وسجيء في اخبار سجن المؤان ذكر كثير من شمائله الفراء

القول ولو لم يكن كذلك لما خفي على الزاكي ما يحاوله أحمد الفحل ولا استطاع أن يقبض على سلاطين باشا قبل مغادرة قرية الفحل لاب وقد نقل الى مخبري أيضاً أن أحمد الجواسيس أخبره بأن سلاطين باشا لما بلغ قرية الفحل ذهب وأخبر الزاكي بمكمنه فأمر بإيداعه السجن لكيلا يذاع الخبر وبعد بضعة ليال أطلقه بعد أن أمره بكتمان هذا الامر

والخلاصة اني أرجح اشتراك الزاكي في مسألة هرب سلاطين باشا وأنه تناول رشوة اذ كان أحمد الفحل صديقاً حميماً له ومقرباً عنده. والحاصل أن أحمد الفحل ورفيقه لما غادرا بربر ولحقا بأمر درمان وأوعزا الي سلاطين بالهرب وظل التعماشي في حيرة لا يعرف معها من ساعده علي الهرب قدم عليه عبد الماجد بن الحاج محمد وهو ابن أخي محمد الخير الذي كان داعية المهدي في بربر فأخبره أنه رأي أحمد الفحل ورفيقه الصادق عثمان ومعهما دليل يتعاون الجمال في بربر فأرسل التعماشي العوض المرضي أمين بيت المال الى أحمد الفحل فاستدعاه اليه وقال له اننا نريد منك أن تجلب لنا موسيقي من القاهرة فقال لهم نعم أتعهد لكم باحضارها وبنيما هو في الكلام اذ هجم عليه العبيد وقبضوا عليه وأوثقوه كتافهم زجوه في السجن وكذلك قبض على رفيقه الصادق عثمان وعلى شخص آخر يدعي ابن أبي بشر اتهم بأنه كان يعينهما ثم أرسل التعماشي الي بربر فقبضوا على الدليل الذي رآه معهم وهو عبد الماجد الآنف الذكر ولما أوقف الدليل بين يدي التعماشي خاطبه قائلاً اذا صدقتني الخبر فانت آمن علي نفسك ومالك فاجابه قائلاً ان أحمد بن الفحل والصادق عثمان استأجرا نني من بربر وجاءا بي مع الجمال التي اشترياهما منها وتركانني في سفح جبل ( كردي ) ثم أتيا نني في يوم كذا بنصراني مبيتور الاصبع الوسطى وقالوا

ذكر لك مفصلاً فيما يأتي وكما سيجيء ذكر القبض على اللذين دبرا له الفرار  
وهما أحمد الفحل والصادق عثمان

ذكر نفي أحمد الفحل والذين ساعدوه علي فرار سلاطين باشا  
قلت ان أحمد بن الفحل كان جاسوساً لقلم الخبارات المصرية يتناول  
راتباً قدره عشرة جنيهات ورفيقه الصادق بن عثمان كان كذلك لكنني لا أعرف  
مقدار الراتب الذي كان يتناوله على الجاسوسية

وأحمد الفحل هذا من قبيلة صغيرة من الجميلين تسكن قرية اسمها  
(الغلاب) في الضفة الغربية لل النيل وعلى بعد بضعة أميال جنوب بربر وأما  
الصادق عثمان فانه كان من أهالي بربر وكان من جنود الحكومة (الباشبوزق)  
ثم ترك الجندية وصار يتجر بالسلع ظاهراً وبالجاسوسية باطناً

ولما عقدا الاتفاق مع قلم الخبارات الذي لا بد أن يكون نقدهما شيئاً من  
المال يستعينان به على ابتياع الجمال وشراء الدواب واستئجار الادلاء غادرا  
القاهرة ولحقا ببربر ويظهر أنهما كانا غير مباليين بعاقبة ما عقدا النية على انفاذه  
حيث أخذوا في شراء الجمال بنفسهما ومعهما الادلاء وهما في بربر وقد كنت في  
حيرة عسر على الاهتداء معها الى الاسباب التي ملأت قلوبهما جرأة حتي  
صارا في حركة كانت سببا في وقوعهما في برائن التعايشي حتى نقل الي بعضهم  
أن أحمد الفحل قدم رشوة من المال الي الزاكي عثمان أمير بربر يومئذ وأطلعه  
على ما ينويه فوعده بالكف عن عرقلة حتى صار يباشر شراء الجمال غير خائف  
ولا متهمب حتي أن التعايشي لم يستبدل علي الذين هربوا سلاطين باشا الامن  
احد أهالي بربر كما تراه مبسوطاً في هذا الباب ويظهر جلياً للمتأمل صحة هذا

التماشي بسبب ان بعض التجار جاء باعداد من احدي الجرائد المصرية وفيها من الاخبار ان الحكومة باذلة جهدها لانقاذ سلاطين باشا وان الجائزة التي كانت بمجولة لمن ينقذه ضوعف مقدارها فاشترى سلاطين باشا احدي تلك النسخ بمبلغ من الريالات ثم علم بوجود غيرها وانه لا سبيل الى شرائها بغير مبالغ عظيمة وذلك من جملة الاسباب التي جرته على المخاطرة بحياته في سبيل الفرار كما قيل

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا فلا يسع المضطر الا ركوبها  
وكان التماشي وقتئذ ملازما داره لانحراف طرأ على صحته فاعتنم سلاطين باشا الفرصة وغادر ام درمان فارا الى اصوان حتى بلغها بعد جهد جهيد وبعد ما عين الهلاك بعينه ولا فائدة لنا بعد ذلك في سرد مآلقاته في الطريق من الصعوبات وما قاساه من فادح الاخطار لانه والحق يقال شجاع من الذين لا يبالون بالاخطار وذو ذكاء تضرب بحذقه الامثال على انه اذا كان الفضل لكتشنر باشا فيما أبداه من الحنكة والتدريب في فتح السودان ونجحت باشا في ادارة الخبايا التي تتوقف عليها اسباب النجاح فان سلاطين باشا لا يصح أن يغفل ذكره كلما ذكره هذا القائد اذ هو صاحب المعلومات التي كان الاثنان في حاجة لها في جميع أطوار الحملة. والخلاصة انه من الذين كانوا السبب الاكبر في انقاذ بلاد السودان من ربة الظلم والاستبداد وسيذكر ما ذكر هذا الفتح الحميد والى الله عابدة كل شيء

وأما التماشي فلم يتصل به نبأ فرار سلاطين باشا الا بعد ايامين مضتا على فراره فاحتمل غيظا واركب خلفه الركبان الذين رجعوا بغير أن يدركوا غباره وقد كان من شدة غضب التماشي انه أمر بسجنى خوفا من فرارى كما سيحيى

يلزم له من ضمانه العدالة والمساواة اللتين هما اس العمران وله اصدقاء  
غير هؤلاء واولئك وهم البقارة والذين معه في ملازمة باب التعايشي وهؤلاء  
يظهر لهم في كل لحظة وحين انه من اخلص المخلصين للتعايشي وربما اتى عليهم  
من المواعظ ما يزيدهم تمسكا بولاء التعايشي حيث يقول لهم ان لاسلامه  
للانسان في الدنيا والاخرة بغير ان يكون طائفا لحليفة المهدي في كل  
ما يأسر به

والخلاصة انه صار ذا صداقة مع جل الناس ومع ذلك كله لا تجدد منهم  
من لا يحترمه ويشهد له بالعقل والدعاء

وأما علاقته مع قلم المخابرات في مصر فبالطبع انه كان يكتمها كل  
الكتمان ولكن يظهر انه كان ذا علاقات كثيرة معه اذ كان يوافيه ببعض الانباء  
مع حذر وتيقظ

هذا يجمل حال سلاطين باشا وفي اواخر سنة ١٣٠٣ كان التعايشي  
انفذه بمأمورية الي يونس الديكم لما كان معسكرا في (ود العباس) فعاد منها  
ويقال انه قدم للتعايشي نصائح عديدة كان البعض يظن وقوعها موقع القبول  
عند التعايشي فخابت ظنونهم

وأما فراره فقد تم الاتفاق عليه بين قلم المخابرات وشخص يدعى  
(احمد الفحل) احد أفراد قبيلة الجمليين وكان علي مابلغني جاسوسا لقلم المخابرات  
براتب قدره عشر جنيهات وكان يتستر بالتجارة في ذهابه وايابه الي مصر  
وكذلك يوجد شخص آخر اسمه (الصادق بن عثمان) كان يعاون أحمد الفحل  
لانجاز هذه المهمة قدم الشخصان أم درمان وخباء الجمال وادلاء الطريق خارج  
ام درمان واخبراه بالامر فلم يربدا من الفرار لانه أصبح في خطر من



## ذكر بقية اخبار سلاطين باشا وفرار

وعدت بذكر بقية اخبار سلاطين باشا التي وقعت فيها عند ذكر سجنه لما وقعت عليه تهمة مخافة المأسوف عليه غردون باشا واقول الآن انه ظل مسجوناً الى ما بعد سقوط الخرطوم حيث أطلقه التمايشي من السجن وأمره بالازمة بابه مع شرذمة من حراسه يطاق عليهم اسم (اللازمة) فظل مقبلاً هكذا وشاد لنفسه داراً بالقرب من منزل يعقوب أخي التمايشي وكان يقضي مضطراً ليله ونهاره في باب التمايشي رافعاً صوته بالتهليل وكان صوته أشبه بنغمات الافرنج وكان عنده من الخيل حصان يركبه كلما ركب التمايشي وكان في بيته جوار لخدمته أهداهن له التمايشي وهن رقيات عليه وكان يلبس الملابس الرثة اظهراً لازهد وتمويهاً على اجتناب الرفاهية وكان عشي في أكثر الاحيان حافياً وكان له حذاء من نوع النعل الذي يقال له (شقبانه) واذا ركب جواده في موكب التمايشي تععم بعمامة حمراء وتمنطق بمنطقة حمراء مثل سائر الفرسان وفي بعض الاوقات يحمل بندقية من طرز رامنجنون من انواع المخصص للفرسان

وكان شديد الحذر والنيقظ فلا يظهر ما تكنه نفسه من المقاصد وله اصدقاء كثير من منهم من لا يصدق بدعوى المهدوية أصلاً وهؤلاء لا يحتسب من التصريح لهم بما يوافق مشربهم وله اصدقاء أيضاً من الذين يصدقون بدعوى المهدوية لكنهم ينتمون على التمايشي ويودون أن يكون سيره مطابقاً للعادلة التي تكفل عمران البلاد وتنظيم الحالة وهؤلاء يظهر لهم انه من الذين من الله عليهم بالهداية الى الاسلام وانه يود من صميم قواده ان تصبح دولة المهدوية من أرقى دول الارض ويتخفهم بكثير من اخبار تقدم الممالك وما

ويبدي ما يمين له من الانتقاد فانظروا الى هذه السخافة فكأن هذا الطاغية  
 الغشوم لم يكنف بما صار له من السلطان على الناس يحكم فيهم كيف شاء  
 حتي أراد ان يجعل نفسه معلم صبيان ويجعل شعبه كاطفال يتعلمون  
 على أنه ربما كان الباعث له على هذا الامر هو أن والده ( النعاشي ) كان  
 يعلم الصبية القرآن وقد كانت نفسه قبل نيله الملك تتوق لان يكون معلم  
 صبيان كاليه وكان بينهما وبين تلك الامنية صعوبة تعامه القراءة والكتابة فلما قدر  
 له أن يكون ملكا رأي أن يقضي وطره من تلك الامنية التي كان دون وصوله  
 اليها خبط القناد هذا ما يمكنني ان ابرر به سخافة ذلك الظالم ان كان ثمت ما يبرر  
 السخافة والا فالناس كلهم كانوا في حيرة لا يهتدون معها الي الباعث له الي  
 هذا الامر

والحاصل أن الناس ظلوا أكثر من عامين عاكفين على القراءة في المسجد  
 والنعاشي بتلذذ بالتبخر حولهم وتفقد حلقاتهم التي كانوا يتكوفون فيها  
 ويرفون أصواتهم بالقراءة

ولسنا ندري بعد ذلك هل زالت عنه بلادة الفهم ووفق الي حفظ بضع سور  
 من القرآن الشريف فانه استمر على القراءة سرا سواء كانت الصلاة مما يسرفي  
 قراءتها أو يجهر فيها وكان يحمل لوحا مثل بقية الناس يخرج به من منزله ويعود  
 به وكان من جملة ما أمر به أن يحمل أرباب الحوانيت من التجار والصناع الواحا  
 تكون معهم مدة العمل وبعد غروب الشمس يحملونها الي المسجد لينضموا  
 الي الحلقات التابعة لها حتي ارتفعت أصوات الناس بالندم والشكوى وبعد  
 أكثر من عامين أصدر أمره بمعاقتهم من القراءة فتركوها وهم فرحون

## ذكر قراءة الناس بالالواح

كان التعالشي أميا يجمل الكتابة والقراءة وكان اذا أم الناس في الصلاة الجهرية يسر في القراءة حتي لا يسمع من وراء قراءته التي يرجح الا كثرون انها لم تكن قرآنا لانه فضلا عن جهره المركب كان بليد الفهم حتي قيل ان الذي أقرأه فاتحة الكتاب نضي معه مدة في سبيل تلقيه اياها وفي سنة ١٣١١ شرع في قراءة السور الصغيرة من القرآن الشريف وخطب في الناس قائلا يجب على كل فرد من أفرادكم صغيرا كان أو كبيرا أن يحضر بعد ثلاث ليال لوحا من الخشب ويبتديء في كتابة القرآن كما يفعل صبية المكاتب فاجابه أحدهم بأن كثيرا من الناس يحفظون القرآن عن ظهر قلبهم ومنهم العلماء والفقهاء فالأولى أن تكون القراءة الزامية بالنسبة للاميين والذين لا يحفظون القرآن فاجابه التعالشي بان حفظه القرآن والعلماء والفقهاء لا تنفعهم معرفتهم ولا تغني عنهم تمثيلا الا اذا امثلوا ما أشرت به عليهم فاجابوا بالسمع والطاعة وانصرفوا الى حوانيت النجارين لصناعة الالواح فارتفعت أثمان الالواح وكان الفائز من يحصل على لوحه قبل الميعاد المضروب لكيلا يصبح تحت طائلة العقوبة

وبعد ثلاثة أيام أحضر جل الناس الالواح فلما رآهم رقى منبر الخطابة وقال لهم هيا ابدأوا بقراءة القرآن من اوله وعلى كل أمير أن يجمع أتباعه في المسجد بعد غروب الشمس ويوقد نارا من الحطب يحيط بها الناس ويقرؤن ألواحهم على ضوءها حيث يصير الأمير كنفقيه يعلم الصبيان فينتهر هذا ويزجر ذاك وهكذا ثم يمر التعالشي متفقدًا تلك الحلقات كأستاذ أكبر ويقف على كل حلقة

الى رجل اسمه مدني السني وأصله من عشيرة (البصيلية) في جنوب مقاطعة  
قنا سكن هذا الرجل في قرية بين الخرطوم وسنار يطلق عليها اسم (ودمدني)  
ثم مصرتها الحكومة ابان الفتح الاول وجعلتها قاعدة حكومة السودان وكان  
المترجم من رعا ع وأوغاد هذه العشيرة وكان يرعي غنم المرحوم الشيخ محمد  
بخت الجمل سر تجار تلك المدينة

ولما خضع السودان للمهدوية وصار ابراهيم عدلان الذي تقدم لنا  
ذكر تربيته أميناً لبيت مالها وكانت أمه من هذه العشيرة لحق به المترجم فلم  
يزال ابراهيم يرفعه رعاية لحقوق القرابة حتي صار رئيساً لقلم مبيعات بيت  
المال فكان جزاء ابراهيم أن أحمد السني هذا صار من أعدائه الذين وشوا  
به عند التعايشي وكانوا السبب الاقوى في الايقاع به كما ألمعنا الى ذلك فيما  
تقدم من هذا الكتاب

وبسبب وشاية هذا الوضع بمن أحسن اليه ورفعته من حضيض  
الخنول الى ذروة العلي التي صار بها ذا حيئية في الوجود رفعه التعايشي حيث  
آنس منه لؤما ودناءة هو في حاجة الى استخدامهما للنهب والسلب وأكل  
أموال الناس بالباطل فولاه على الجزيرة كلها فارهاق أهلها ظلماً يعجز عن  
وصفه القلم وسلب ما بقى في يد الاهالي من الثروة ووسائل الحياة وجمع  
لنفسه أموالاً طائلة تقدر بمئات الالوف

والحاصل أن حالة السودان في هذه السنة أى سنة ١٣١١ هجرية  
كانت تفتت الاكباد وتندر بسوء المصير ولا غرابة فان الظلم مدمر لكل عمران



صار أضعاف ما كان عليه قبل ذلك

أما الأهلون فقد فقدوا كل شيء ولم يبق بأيديهم من وسائل الحياة سوى بعض الأراضى التى يستغلون منها الحاصلات التى يأخذ بيت المال نحو ثلاثة أرباعها

وكثر النفي والقتل فى الأعيان لأسباب غير انتقاض الخليفة شريف ومن الذين نفوا وقتلوا فى منفاهم اسماعيل بن عبد القادر ابن أخت الشيخ المكي وكان فقيهاً أزهرياً اجتمع بالمهدي فى الأبيض واشتغل عدة سنوات بكتابة سيرة المهدي وتدوين وقائع المهديوية وفى أخريات أيامه صار من عقربي التمايشى فوشى به حساده بأنه يعقد اجتماعاً سرى ضد المهديوية فنفي الى خط الاستواء وقتل فى منفاه

وأصدر التمايشى أمراً قال فيه ان كل رجلين اجتماعاً بعد صلاة العشاء خارج المسجد يعد اجتماعاً لغاية هى الانتفاض كما أصدر أمراً بإبطال المتدييات العمومية ( القهاوى ) لان أكثر الذين يديرونها صريون ولان الذين يجلسون فيها الشرب القهوة يتكلمون فى أشياء تمس المهديوية وهذا كله كما لا يخفى خوف من الاجتماعات التى ربما اتفق المجتعمون فيها على خلع طاعة التمايشى وقد تغيرت حالة المال والجبسة الذين سبق لنا الكلام عنهم حيث عين التمايشى أحمد السنى جاكاً عاماً على أقسام الجزيرة وألزمه بتقديم مائتى ألف ريال الى أخيه يعقوب وثمانين ألف أردب من الذرة ومائة ألف ثوب من خرقة ( الدمور ) وهذا الهدايا والتحف والجوارى الحسان والحيول

وعلى ذكر أحمد السنى نورد هنا ترجمته فنقول هو من عشيرة صغيرة تنسب



الامراء أموالا طائلة ليدمي في خلاصهم من ظلم حامد بن علي أولا ومن  
معسكر أصوبري ثانياً فأمرهم بتدوين مطالبهم في عريضة يقدمونها له ففعلوا  
وكتب إلى النعاشي يسأله إجابة التماسهم فأصدر أمره إلى أحمد بن فضيل بمصادرة  
أموال حامد بن علي والغناء معسكر أصوبري وإضافة مقاتلته على القصارف  
فتناول أحمد بن فضيل أموالاً طائلة من حامد وأرسلها إلى النعاشي وقفل  
راجعاً إلى القصارف ومن يومئذ أنى معسكر أصوبري

### اجمال حال السودان بعد ذلك

رأيت من مفصلات ما سردناه أن حالة المهذوبة تبدلت تبديلاً عظيماً  
وتوالى عليها الفشل في أماكن متعددة وبالجملة فإنها لم تقم لها قائمة منذ سنة  
١٣٠٦ ولم تنجى ثمرة انتصار في ميدان قتال بعد نصرتها على أبي جميزة في  
دارفور ونجاشي الحبشة يوحنا في (القلابات) وكلا الانتصارين كانا في سنة ١٣٠٦  
ثم تلت ذلك الفتن الداخلية والاضطرابات الأهلية كانتقاض الخليفة  
الشريف وغيره ممن بينا لك حوادثهم واستقصينا فيما تقدم أخبارهم  
وقد أضربنا عن ذكر كثير من سفاسف الأمور فراراً من التطويل  
ولأنها كثيرة تحتاج إلى مجلدات ومنها أخبار الذين حاولوا قتل النعاشي الذي  
صار لا هم له غير المحافظة على حياته ودفع من يريدون به السوء ولذلك زاد  
في عداد حراسه حتى بلغوا ثلاثين ألف مقاتل فكان إذا خرج من منزله إلى  
المسجد أحاط به عشرون ألفاً مدججون بالسلاح ثم يحيطون بالمصورة بعد  
دخوله فيها فلا يستطيع أحد الدنو منها  
أما هو فقد انغمس في ملاذه أكثر من ذي قبل وضغهم جسمه حتى

من الرؤساء والمؤسسين من الاجناد والمقاتلة فاقبل الناس الى داره يقدمون له الرشاش على تركهم فكانت الرشوة عن كل شخص خمسمائة ريال فصاعداً كل بحسب ثروته وما يملكه من المال فاغتنم حامد بن علي القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وقد كان للتعايشي وأخيه يعقوب النصيب الاوفر من هذه الغنيمة

وبعد أن فرغ حامد بن علي من أخذ الرشاش سار في بضمة آلاف الى أصوبري وجعل معسكره على ضفة نهر (اتبره) وأقام الناس وهم في حالة ضنك شديد لان ما حوالى اتبره لم يكن مأهولاً بغير الاعراب الرحالة الذين بادوا وختل الديار منهم منذ أعوام وكذلك كان من في الممـ كرفي شظف من العيش تجلب لهم الجبوب من القضايف التي تبعد عنهم بمسيرة عشر مراحل ودواب النقل قليلة جداً وليس في المعسكر شيء من الخضر وقس على ذلك سائر حاجيات الافرات وشاد حامد داراً واسعة لسكناه وقصره على مصادرة أموال من معه من المقاتلة واغتصاب نساءهم حتي جمع في داره من المحظيات النواتي تضرب الامثال بجمالهن اكثر من عشرين محظية ونحو أربع مائة غلام لا تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاماً فاشتد البلاء على الذين معه من القواد وعيل صبرهم وأخذوا في رفع الشكاوى تباعاً الى التعايشي يوضحون بها سوء سلوك حامد المذكور ويخبرونه بأن معسكرهم لا أهمية له وأن الايطاليين لا يتقدمون خارج كسله

وكان في القضايف أحمد بن فضيل البقاري ابن عمه التعايشي أميراً من قبله عليها فكتب اليه يأمره بالاشخوص من القضايف الى معسكر أصوبري لتحقيق شكاوى الامراء من حامد بن علي فشخص الى أصوبري وقدم له

وبعد ان جاءت اخبار الايطاليين الى أم درمان بايام جمع التعاشي رؤساء  
قبائلي (الجمليين) والدنقليين وجمهم من التجار وأولى اليسار وخطبهم في  
المسجد «قائلا انكم انصار الدين واصحاب المهدي الاقدمون وقد توفي المهدي  
وهو عنكم راض وقد علمتم امر الايطاليين وأنهم قد أخذوا كسله منا ونحن  
نود منكم ان تكفونا ما اهدنا من أمرهم وقد جعلت لكم ميزة على غيركم  
وذلك اني تركت لسكم الخيار في من ترضونه أن يكون قائداً عاماً عليكم  
وانكم لا تجهلون ما فيه بيت المال من العسر وأنتم بحمد الله موسرون فعليكم  
أيضاً أن تقوموا بنفقة سفركم من خاصة أموالكم» وأعقب ذلك بكلام طويل  
في مدح المجاهدين بأموالهم وأنفسهم واستشهد بالآيات الشريفة الآمرة والمادة  
للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم فقام جماعة منهم وقالوا لا نرى أهلاً لهذا المنصب  
غير حامد بن علي الذي كان أميراً على كسله وهو أخو أحمد بن علي الذي  
مات قتيلاً في واقعة اتره فاندھشنا من كلام هؤلاء الذين لم يروا أهلاً  
لرئاسة عليهم غير بقاري ولكننا ما لبثنا أن علمنا انهم موعز اليهم بهذا  
الاختيار لانه لا يمكن أن يولي الرئاسة في دولة التعاشي غير البقارة .  
فاستدعي حامد بن علي وصدر نطق التعاشي الذي كانوا يسمونه ابان دولته  
باسم (النطق الشريف) كما كانوا يسمون بابه باسم (الباب العالي) بتعيين حامد  
على قائداً على الجمليين والدنقليين ومرابطاً في معسكر أصوري

هذا وقد كنا نظن أن التعاشي يروم أن يري الايطاليين من هذا الجيش العرمرم  
بما لا قبل لهم به ولم يكن يدور في خلدنا أن غايته الاستفادة من ثروة الجمليين  
والدنقليين وجمهم كما قلنا من التجار وأولى اليسار فقد أصدر أمراً خفوا  
التفويض لحامد بن علي في إشخاص من يري إشخاصه وترك من يري تركه

بعد نحو ست مراحل من كسله وهناك أرسلوا يلبفون التعايشي الذي كاد يفقد صوابه لشدة الفزع ماجرى فأرسل الى بان النقا والد عبد الرحمن يخبره أن ابنه مات كافراً لأن مساعدا لم يجد عذراً يعتذر به عند التعايشي غير اخباره بان عبد الرحمن كان يطلع العدو على عورات المعسكر ويرفع اليه أخباره واخيراً قدم مساعدا الى أم درمان فتقبل من البقارة والتعايشي بالازدراء والاحتقار لفراره من وجهه العدو ولكن التعايشي أصدر منشوراً قال فيه ان المهدي أخبره بامر هذه الواقعة وان مساعدا شجاع وليس جبناً ونهى الناس عن تحقيره وتعميره

وقد استولى الخوف والرعب على قلب التعايشي وخاف تقدم الايطاليين الى جهات القضارف فامر باقامة معسكر في جهة (اصوبري) على ضفة نهر اتره

ذكر معسكر اصوبري واخبار حامد علي واحمد فضيل (اصوبري) اسم لمكان على نهر اتره لم يكن حوله عمران ولا بلاد وغاية الامر انه علم على جهة صحراء (ريره) التي كانت قبيلة الشكرية البائدة ضاربة أطناها في ارجائها وهي صحراء واقعة بين النيل الازرق ونهر اتره ولما خلت الصحراء من أعراب الشكرية باتت اصوبري وغيرها قفرا بلقما ليس فيها دار ولا ديار غير وخوش الفلاة وحيوانات الفقار ولما انهزم الدراويش وأجلموا عن كسله لحق الفارون بجهة اصوبري حيث اجتازوا النهر وصاروا آمنين غارة الايطاليين الذين كانت طلائعهم تصل الى الضفة الشرقية من نهر اتره الذي صار حداً فاصلاً بين الفتتين

وهلكت قبيلة الهدندوه التي كان عدد نفوسها تربو على مليون نسمة كما هلك غيرها من القبائل التي لا يقل مجموع نفوسها عن مليوني نسمة وحمل حامد بن علي القناطير المنظرة من الذهب والنفضة الى التماشي وأخيه يعقوب

وفي سنة ١٣٠٩ عزل التماشي حامد بن علي وولي عليها مسعود بن قيدوم الذي كان في دنقلة مع ابن النجومي وقد ذكرنا بعض أخباره ضمن حوادثها التي تقدم إيرادها

ثم تلا ذلك الواقعة التي قتل فيها أحمد بن علي وهلك معه اثنا عشر ألفا من الدراويش

وكان مع مسعود في حامية كسله عبد الرحمن بن بان النقا الذي كان مع الجنرال هيكرس وقد ذكرنا بعض أخباره هناك وأنه أصابه ضربة سيف فقتل عينه فأخبر عبد الرحمن هذا مسعود بأن الايطاليين اقتربوا من المدينة فمزأ بقوله ولم يأخذ لنفسه حيلة حتي ارتفعت الشمس فاذا الايطاليون زاحفون على المدينة بانتظام حيث كانت القوة مشككة من قلب وجناحين فاندعر مسعود ومن معه من الدراويش وأسرعوا بالفرار وتركوا نساءهم في المعسكر الذي دخله الايطاليون ووضعوا السيف في رقاب من فيه وأحرقوا الاكواخ بالبترول والنار

وتخلف عن الدراويش كثير من أسري المصريين وكذلك تخلف في المعسكر عبد الرحمن بن بان النقا الآنف الذكر فاصابته رصاصة أودت بحياته ويقال انه كان يرسل الايطاليين ويطلعهم على عورات الدراويش هذا ما كان من أمر الايطاليين أما مسعود ومن معه من الفارين فانهم لحقوا بمكان اسمه (اصوري) في الضفة الاخرى من نهر اتره وعلى



وجهه الايطاليون خدعة ثم كروا عليه وهاجموه على غرة فسقط أكثر من  
اثنى عشر الب. قتيل من الدراويش وقتل أحمد على ومن معه من القواد  
ولم ينج غير النور عقرة أحد القواد ومعه نحو ستة آلاف مقاتل ولوامذعورين  
حتى وصلوا الى كسله وأرسلوا يخبرون التمايشي بأمر الهزيمة التي ساء وقعها  
عنده وجزع جزعا شديدا حيث لم يبق عنده جيش يعول عليه غير جيش  
محمود الذي هزم في واقعة أتبره

### ذكر احتلال الايطاليين كسله

ذكرنا ما كان من أمر كسله وسقوطها في قبضة المهديين الذين التفت  
القبائل حولهم في باديء الأمر عندما القبائل التي كانت قاطنة بالزرب من  
نجر مصوع فانها بقيت على ولاء الحكومة حتي احتل الايطاليون نجر مصوع  
وأشهرهاته القبائل قبيلتنا ( بنى عامر والهاباب )

وكانت كسلة تابعة لإمارة عثمان دقنة الذي لم يعض على سقوط المدينة  
في قبضته الا عام واحد نفرت في خلاله القبائل عنه واشتدت وطأته عليهم  
فلجأ جلها الى ارباض مصوع واحتموا بالايطاليين

وكان الحاكم على كسله من قبل عثمان دقنة محمد بن علي دقنة وهو ابن  
أخي عثمان دقنة وفي أيامه نارت قبيلة الهدندوه عليه لانه سجن زعيمها  
وهجمت على السجن وأطلقتة من اعتقاله

وعقب ذلك ولي التمايشي أباقرجة وعزل عثمان دقنة عن منصب الإمارة  
كما مر ثم عزل أباقرجة أيضا وفصل حكومة كسله عن إمارة السودان  
الشرقي وولى عليها حامد بن علي أحد أقاربه البقارة فعمرها الظلم والدمار

إغارتهم على (أبو حمد) وقتلهم ابن نعمان قاتل الكولونل ستيوارت قبل سقوط الخرطوم

وفي أوائل سنة ١٣١٠ هجرت شردمة بن الدراويش على ضابط انكليزي برتبة بكباشي وآخرين في جهة وادي حلفا وقتلهم غرة وحملوا رؤسهم الى التعايشي وقعد صالح خليفة ومن معه بالسبل وقبضوا على كثير من جواسيس المهديّة الذين هم من مناظرهم (المشاباب) ومن بينهم رجل اسمه كرار ابن بشير كرار رئيس حملة بريد التعايشي وأسلموه للحكومة فأودعته سجن اسوان ولم تطلقه الا بعد ان كلمها في شأنه بشير ابو جبران شيخ قبيلة المشاباب فماد الرجل الى أم درمان وأخبر التعايشي بما يقاسيه جواسيسه من تضيق صالح خليفة عليهم وقطعه السبل عليهم فسأله التعايشي عن عدد المقاتلة الذين معه فأجابه بأنهم لا يتجاوزون لما تين فارسى التعايشي الى يونس الديك أمير دنقله يأمره بانفاذ خمسمائة راكب من (المرات) تحت قيادة عثمان ازرق للهجوم على صالح خليفة فانفذهم وفي صباح بعض الايام هجموا عليه ونشبت الحرب بينهم فقتل صالح خليفة وحملت أسلابه الى التعايشي الذي خطب في الناس بأن الله تعالى قد أهلك صالح بن خليفة وقتله بيد أنصار المهديّة شر قتلة

### ذكر واقعة (غوردت) بين الايطاليين والمهديين

لما وصل أحمد على الذي خلف الزاكي طمل في القيادة الى كسله سار بحيشه وكان نحو عشرين الف مقاتل واغار على حدود الايطاليين وأنخن في القبائل الموالية للحكومة الايطالية واسقولى على أحسد الحصون وفر من

ووثب الآخرون وأمسكوا سيفه ثم صرعوه وغلوا يديه فأخذ يصبح مستغيثا  
 يعقبوب الذي أمر بإرساله إلى السجن فوضعوها في رجله عشرة قيود  
 وجنزيرا كبيرا ومكث ثلاث ليال مع سائر المسجونين ثم عزل إلى غرفة في  
 السجن تسمى (غرفة الأعدام) فأجلسوه في وسطها وشبحوه بالأغلال  
 حتى كان لا يتمكن من الترحل عن مقعده يمنة أو يسرة وربطوا الكمام ملابسه  
 وصار اثنان من السجناء يذهبان إلى الخربات ويلتقطان المقارب ويدخلانها  
 داخل ملابسه وقد منع عنه الغذاء والماء فمكث أربع ليال يصبح صياحا فيفت  
 الجمادات حتى ضعفت قوته ومات في منتصف الليلة الخامسة وحملت  
 جثته وألقيت خارج البلد غذاء للطيور والكلاب وعين أحمد علي التماشي  
 قائدا للجيش بدله ولحق بكسلا بعد أن تلقى أوامر التماشي بالهجوم على  
 الإيطاليين وسيأتي ذكر هزيمة الدراويش من وجه الإيطاليين

### ذكر قتل صالح حسين خليفه

تقدم لنا إيراد شيء عن قبيلة (العابدة) والمناظرات الشديدة التي بين  
 (العشاباب) و(المليكاب) وقد أوردنا أن العشاباب نالوا أربهم من المليكاب  
 في دولة التماشي وتمكنوا من الإيقاع بحسن أبي خليفه الذي كان معسكرا  
 في نقطة آبار (المرات) بجيش من قبل التماشي

ولما قبض التماشي على حسن أبي خليفه ونفاه إلى خط الاستواء كما مر  
 ذلك احتل ابن عمه صالح بن حسين خليفه تلك النقطة برجال من قبيلته  
 (المليكاب) الذين كانت الحكومة المصرية تدفع لكل رجل منهم رواتب  
 من جنده لاثنين فاخذوا يغيرون على حدود المهدويين وقد ذكرنا فيما مضى

بلاد الجزيرة جلب البيض حتى تم النقش والتبييض  
ولما اتصل بالتمايشي خبر هذا القصر أرسل الى الزاكي يأمره بهدمه فهدم  
الدور الاعلى وترك الدور الاسفل وكان قد جلب له البنائين والنجارين من  
الخرطوم وكلهم مصريون

وبعد هدم القصر أمر التمايشي الزاكي بمغادرة القضايف واللاحاق بكسله  
لاخذ الالهة للغارة على الايطاليين فغادر القضايف وعسكر في كسله  
وكان الزاكي في جميع أحوال ولايته حكاهم مطلق يفعل كل ما يراه واذا  
قدم أم درمان يستقبل بالحفاوة والاكرام ويخرج أنى سار في موكب يحيط به  
خمسون حارسا مسلحون وكان بما احرزوه من الانتصارات على الاحباش والشك  
وما كان يقدمه للتمايشي من الاموال الطائلة يرى نفسه ذامنة على  
التمايشي حتى اخذ يتفوه في حديثه بانه قادر على سلب الملك من يد التمايشي  
ولولاه لم تقم له قائمة فسمى به الى التمايشي وبعد وصوله انقضت فيه  
السعاية وارتاب التمايشي في أمره ونمي اليه انه طامح للاستقلال فارسا  
اليه يستقدمه فقدم اليه وخرج للقاءه وبالف في الاحتفاء به حتى انه تنازل  
الي معانقته وهي حفاوة لم يسبق من التمايشي مثاها وبعد بضعة أيام اجتمع في  
منزل يعقوب جماعة من مشيريه أحدهم القاضي أحمد بن علي وأنفقوا على  
طريقة القبض على الزاكي فاستدعوه من منزله وجلس يعقوب داخل ثلاثة  
أبواب فلما دخل الزاكي الباب الاول حجبوا عنه الحراس فدخل بالاحراس  
ثم قابله القاضي أحمد وجلس معه داخل الباب الثاني ثم فارقه حيث ولج الباب  
الثالث الذي في داخله يعقوب فجاء اليه جماعة بصفة رجال من حراس يعقوب وجثوا  
على ركبهم امام الزاكي ومد أحدهم يده مسلما عليه فدفع له يده ليقبلها فاستكها

من عاقبتها اراحة الحبشة من حرب دينية كحرب الدراويش ومن جهة أخرى انه تمكن من اشغال قسم من حامية ايطاليا بدفع الدراويش عن حدود بلادهم ثم كان من وراء ذلك انتصاره الباهر في واقعة (الاريتره) التي لا يجملها القراء وهو ما يجعلنا في غنى عن التصدي لارادها وتدوين تفاصيلها

### ذكر سجن الزاكي طمل وقتله بام درمان

الزاكي طمل هو الذي خلف القائد أبا عنجه في قيادة جيش القلابات كما بسطنا ذلك في مكانه وفي بداية ولايته انهزمت جيوش الحبشة في القلابات وقتل النجاشي يوحنا ثم وجهه التعاشي لاختضاع الشلك في فشوده فقتل زعيمها عمر وأتى فيها ما سبقت الإشارة اليه وأهله من قبيلة اسمها (البنضله) وهي التي منها أبو عنجه سلفه وهي قبيلة من العبيد المتوحشين في جنوب دارفور تسكن قبيلة (التعاشية) وقد تقدم تعريفها بأوفى من هذا فلا حاجة لتكراره هنا وكان الزاكي هذا في بداية أمره جنديا مع النخاسين الذين يمشون الفساد في بلاد العبيد وهم المعروفون باسم (البجارة) وفي أيام المهديوة صار قائداً من قواد جيش أبي عنجه حتي صار وكيله

ولما خلف أبا عنجه في الامارة خالفه في كثير من أحواله وصار فظاً غليظاً بسفك الدماء ويقتل مرؤسيه لاقل هفوة وأخذ يتظاهر بالانغماس في الترف وشاد اسكناه القصور في القلابات حتي أنه شاد قصرًا زوج فيه ابنه وشرع في نقشه وزخرفته بصفار بيض الدجاج وفرض على الاهالي تقديم البيض ومن تأخر عن الميعاد المضروب له عاقبه عقابا صار ما فارتفع ثمن البيض الواحدة الي بضعة قروش ورحل الناس من القضايف على ظهور الهجن الي



قيل (التيرة) وقتئذ أول مستهجن لهذه السياسة الخرقاء وقد نصح النجاشي بالعدول عنها فلم يلتفت لنصائحهم

ولما قتل يوحنا النجاشي السابق وخلفه منليك أعاد الحرية الدينية إلى حالتها الأولى ومن ثم أزمّت جنود الحبشة حدودها وامتنعت من الاعتماد على تخوم الدراويش وبعد سنة سحب التعاشي جيشه من القلايات كما تقدم ولم يترك لحراستها أكثر من ألف مقاتل

وقد ذكرنا أنه وجه جيش القلايات لاختضاع أشلك في فشوده ثم وجهه إلى القصارف ومنها إلى كسله لمهاجمة تخوم الايطاليين من جهة مصوع وكان هذا الاستعداد في وقت كان الايطاليون يستعدون فيه للوثبة على الاحباش في (لاريتره) مما يدل على أن تقدم الزاكي إلى كسله متفق عليه بن التعاشي ومنليك وسيجيء أن التعاشي لما أحس بدنو الحملة الانكليزية المصرية من أم درمان أنفذ سفيراً يستصرخ منليك لمعاونته

ولا مندوحة لنا عن الإشارة هنا إلى أن الايطاليين كانوا حلفاء للدراويش على الحبشة وقد تمت هذه المحالفة بمعاوضة بعض رؤساء الحبشة الذين كانوا على رأي البعض معاضدين لانكتر التي كانت ترمي بهذا الغرض لاشغال المهديين بمحاربة الحبشة عند حدود مصر حيث تجبني انكترا وايطاليا من وراء تلك الحروب أضعاف ما يجني الدراويش والاحباش معاً لتقضي ايطاليا لمباتها من هؤلاء وتترك انكترا غايتها من أولئك

على أن ذلك كله مأخوذ من قرائن الاحوال ومن روايات بعض الذين لهم اطلاع على سياسة التعاشي الذي لم يصرح بشيء من أمر المحالفتين مما يدل على أنهما سريتان والحاصل أن منليك أفلح في سياسته التي نهجها إذ جني

داراً لسكناء وأطلق العنان لمقاتلته فانتشروا في مدن الجزيرة كلها ونهبوا أموال  
الاهالي وحملوهم من المظالم والمغارم ما نتوء بحمله الجبال حتي كان آخر سنة ١٣١٠  
أصدر التعايشي أمره الى الزاكي طمل بمغادرة أبو حراز واللاحاق بالقضارف وهي  
البلاد التي ذكرنا فيما مضى أنه خربها وحمل أموالها الى التعايشي ثم من القضايف الى  
كسله التي اتخذها معسكراً له بقصد شن الغارة على حدود الايطاليين في مصوع

### علائق التعايشي ومنليك

يدل تتبع الحوادث التي جرت بين المهديين والاحباش على أن منليك  
نجاشي الحبشة الذي خلف النجاشي يوحنا الذي مات قتيلاً بيد الدراويش  
في واقعة القلابات التي مر الكلام عليها وعلى ما تقدمها من حروب الدراويش  
والاحباش على هزيمة هؤلاء وظهور الاولين

وأول هاته الادلة أن الاحباش لما انهمزوا من القلابات وقتل ملكهم  
يوحنا كان المنتظر أن يعيدوا الكرة لآخذ الثار وجلاء العار فلم يفعلوا  
وعلم من ذلك أن منليك الذي خلف يوحنا أيقن أن مصلحة مملكته تقضى  
بالكف عن مناوأة الدراويش لينفرغ لصد الفاتحين من الايطاليين الذين اغاروا  
على الحبشة من جهة مصوع وانتقصوا المملكة من أطرافها وهم طامعون في  
الاستيلاء عليها والقضاء على استقلالها

وقد أشرنا فيما تقدم الى أن سبب الحرب بين المهديين والاحباش أن  
النجاشي يوحنا خاف من انتشار دعوة المهدي بين مسلمي الاحباش فشرع  
في اضطهادهم واجبارهم على اعتناق النصرانية ديناً فساء عمله اقبال الحبشة  
واستهجنوه وخافوا تفرق كلمة الاحباش الذي لا تحمد عاقبته وكان منليك

## الزركي في أبو حراز

أبو حراز قرية في الضفة الشرقية للنيل الأزرق تبعد عن أم درمان مسيرة سبع مراحل وهي بفتح الطارق الموصل إلى القضايف عن طريق الصحراء المسماة ( عقبة العذنباية ) وهي موطن لقبيلة صغيرة اسمها ( العركين ) ومن هذه القبيلة نبغ رجال في القرون الماضية اشتهروا بالصلاح وحازوا منزلة عالية في مشيخة الطريقة القادرية وأشهر هؤلاء النابغين ( الشيخ الطربني ) وكان ماضراً على ما يروونه للشيخ تاج الدين الفاكهاني من مشاهير رجال الطريقة القادرية ببغداد وقد صحبه الشيخ الطربني وأقام معه في بغداد زهاء عشرين عاماً ثم عاد إلى قرية أبو حراز وانتشر نفوذه الديني في سائر أنحاء السودان حتى أكرمه ملوك السودان واقطعوه الأراضي الواسعة وخلفه عدد كبير من أولاده كانوا على قدمه في الشهرة واعتقاد الناس وماتوا كلهم ولهم قبور شيدت عليها قباب

ومن نسلهم الشيخ حمد النيل العركي وكان ذا نفوذ كبير في السودان وكتب له المهدي كتاباً تقدم لنا إرادته يتوعده هو وعوض الكريم بن أبي سن زعيم قبائل الشكرية لأنهما ساعدا الحكومة على قتل داعيته الشريف أحمد طه الذي تقدم ذكر قتله

ولما ولي النعاشي بعد المهدي صادراً مول الشيخ حمد النيل وقتله صبراً في سجن أم درمان

ولنعد إلى ذكر الزركي طمل فنقول أنه لما وصل إلى أبو حراز عكبرها وأباحها لجنوده فأرهبوا سكانها سلباً ونهباً وأمر بقباب المشايخ فهدمت وشاد بانقاضها

من ضفة النهر حتى يبلغ منزله ثم يتجه الى الشمال حيث يصير شرقي المسجد  
وغربي منزله ثم ينتهي الى ضفة النهر أيضا وانه صلى الله عليه وسلم أمره أن  
لا يأذن في السكنى داخل هذا السور لغير البقارة والجاهدية ووضع أساس السور  
وجعل عرضه أربعة أمطار ووزع حصصاً على القبائل ومن جملة المصريين  
الذين كإمر الكلام كنت أحد أمراءهم فكانوا ذهب الى شاطئ النهر فاستخرج  
منه الحجارة ونحلوها الى محل العمل ومكثنا على هذه الحالة نحو سنتين ثم في  
خلالها تشييد السور بسخرة الناس وبلغ ارتفاعه فوق خمسة أمطار

### ذكر قدوم الزاكي طمل من فشودة الى أم درمان

لما فرغ الزاكي طمل من قتال الشلك وأخضعهم لسلطة المهدوية حيث  
قتل ملكهم (عمر) الذي قيل عنه أنفا أنه مولى عن قبل المهيدي وحمل رأسه  
الى النعاشي الذي أمره بمهادنة الشلك وإبرام معاهدة معهم وتولية ملك  
عليهم يكون من اعداء عائلة الملك السابق فأقام رجلاً من أطراف الشعب  
سماه (عبد الفضيل) ملكاً عليهم غادر فشوده بجيشه قاصداً أم درمان وذلك  
في أوائل سنة ١٣١٠

ولما بلغ أم درمان استقبله النعاشي بالخفاوة والاكرام وقدم له الاغذية  
ثم قدم الزاكي للنعاشي مقدارا عظيماً من المال الذي غنمه من الشلك وكثيراً  
من الماشية وأمره بأخذ الالهبة والاستعداد لمغادرة أم درمان الى بلدة  
أبو حراز

وعقب افضاء الخلافة للتعايشي وسع منزله حتى ادخل فيه الميـدان  
الذي كان بين منزله ومنزل المهدي

ولما نار الخليفة شريف وأقاربه وصارت مقـذوفات جماعة الخليفة  
شريف تقع في وسط دار التعايشي خاف التعايشي عاقبة اختلاط المنازل  
فامر باخراج جميع اقارب المهدي واتباع الخليفة شريف من منازلهم التي  
هدم جلها وأسكن أقاربه البقارة فيما بقي منها ليكون منزله محاطا من جميع  
الجهات بمن يأمنهم على حياته

وأسكن من أخرجوا من منازلهم في الجهة الواقعة شمال معسكر ابن  
النجومي الذي صار لا يسكن جنوبه غير البقارة وقد قاسى الناس أهوالا  
شديدة من جراء اخراجهم من منازلهم وصاروا في حالة تفتت الكبد اذ  
صاروا بينما يكونون في منازلهم يدخل عليهم البقارة فيأمرؤهم بالخروج  
منها بغير ان يتمكنوا من حمل امتعتهم التي يأخذ البقارة جلها فيخرجون  
وليس عليهم غير ثيابهم وما خف حملهم من ثافته متاعهم فيعضون على هذه  
الحالة التعيسة زمناً لا يستطيعون في خلاله تشييد مساكن الا ان كانوا من أولى  
اليسار وقليل ما هم وظل الفقراء في هذا الشقاء حيناً وقد كان نصيب من  
هذه المصيبة عظيماً وسيأتي تفصيله بعد حيث اخرج المصربون الساكنون  
بالقرب من معسكر أبي عنجه من منازلهم وكنت أنا من جملتهم

على أن بناء سور أم درمان يدل على ماخسر التعايشي من الخوف على  
حياته من ثورة الخليفة شريف

وفي ذات يوم رقى التعايشي منبر الخطابة وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره باخراج من أخرجهم من منازلهم وأمره ببناء سور من الأحجار يتدنى



الغربي والجنوب الشرقي الي قرب المعسكر الذي كانت به جنود الحكومة  
وهو (خندق أم درمان) ويبعد عن المسجد جهة الجنوب ببضعة اميال  
وقد اتخذ هذا الخندق معسكراً للجهادية الذين يقيمون بأم درمان  
وسمى معسكر أبي عنجه

ونزل جماعة من المصريين الذين كانوا بكردفان شمال هذا المعسكر  
عند نقطة (الموارد) وأمير هؤلاء المصريين هو حسن حسين الذي تقدم  
لنا الكلام عنه

ونزل يوسف منصور رئيس الطوبجية ومن معه من المصريين شمال  
معسكر أبي عنجه

ونزل الخليفة على حلو في الشمال الشرقي من منزل المهدي ونزل أتباعه  
(دغيم وكنانة) في الشمال الغربي من المسجد ممابلى السوق الذي نزل فيه  
جماعة من التجار وجاهلهم من اليونانيين واليهود والسوريين وأطلق على حيهم  
اسم (حارة المسلمين) ونزل الخليفة شريف شرقي منزل المهدي ونزل  
أقارب المهدي وسائر اتباع الخليفة شريف الذين جاهاهم من أهالى السودان  
الاطوسط في الجهة الشرقية من منزله وامتدوا الي الشمال حتى اتصلت  
منازلهم بضفة النهر وحد المدينة يومئذ يقف في جهة الشمال عند معسكر  
ابن النجومي الواقع في شمال المسجد بنحو ميلين فقط ولما أمر التماسي  
بتخريب مدن الجزيرة في سنة ١٣٠٤ وحشد سكانها في أم درمان نزل سكانها في  
الجهة الشمالية لمعسكر ابن النجومي وصاروا يسمون أحياءهم بأسماء بلادهم الاصلية  
فيقال (حى المسلمية) و (حى رفاعة) وغيرهما من بلاد الجزيرة حتى وصل امتداد  
حدود المدينة الي جهة (خور شبات) التي تبعد عن المسجد بسنة أميال

## ذكر سورام درمان

قبل الكلام على السورناني بتحديد في تخطيط مدينة أم درمان ومواقع  
احيائها ليكون القاري على بينة من ذلك فنقول

من الاصطلاحات التي جرى عليها المهديون أن يسموا كل جهة سكن  
فيها للمهدي باسم (بقعة) وقد يضاف هذا الاسم إلى اسم المدينة الأصلية  
أو الجهة التي سكنها المهدي فيقال (بقعة الأبيض) مثلاً لأن المهدي كان  
ساكناً فيها أو (بقعة الرهد) وهو منهل جنوب الأبيض لأنه كان نازلاً فيه  
كما تقدم لنا ذكر ذلك

ولما زحف المهدي على الخرطوم كان أول معسكر اتخذته في جنوب أم  
درمان على بعد عشرين ميلاً عند مكان اسمه (الفتيح) بعيداً عن شاطئ  
النهر اتقاء لمقذوفات البواخر التي كانت تحاربه في الخرطوم ولم يجسر على الدنو  
من شاطئ النهر إلا بعد سقوط الخرطوم في قبضته

وقد أشرنا فيما تقدم أنه عقد مجلساً للمداولة في أمر سكنه فلم يوافق على  
ذلك الأمر لأنهم قالوا إن نقطة أم درمان يمكن أن تغادرها بسهولة إلى  
کردفان إذا حدث ما يضطرنا إلى التفرق فنزل المهدي بها واختط المسجد  
وداره بعيداً عن ضفة النهر بنحو ميل واحد ونزل التعايشي جنوب بيت  
المهدي بنحو مائة متر في الجنوب الشرقي للمسجد حذاء منزل المهدي المقابل  
لنقطة الوسط من قبله المسجد وكان بين منزل التعايشي ومنزل المهدي ميدان  
فسحیح ونزل الاعراب والبقارة الذين أصلهم من جهات كردفان ودارفور  
وهم التابعون لآيات التعايشي جنوب منزله وامتدت مساكنهم إلى الجنوب

أما اختصاص بيت مال الفيء فهو عبارة عن جميع موارد الإيرادات المهمة وذلك مثل خمس سلع التجار المصريين وعشر بضائع التجار السودانيين وخمس واردات بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الأجنبية وعشر الصادرات التي تخرج من البلاد السودانية إلى البلاد الخارجية كالصمغ والعاج وريش النعام وكذلك عشر واردات التجارة التي ترد على أم درمان من داخلية السودان وأهمها الحبوب والملح والباج والخص الذي يصنع منه الحصر المسماة (إراش) وكذلك إيرادات السنين الشراعية التي تنقل الحاصلات من جميع الجهات التي اغتصبها التمايشي كلها وجمعها مذكوره وكذلك عوائد التزام (التمدية) في جميع الجهات وكل هذه الإيرادات مضبوطة بدفاتر وحسابات جارية لا يصرف منها فلس واحد في غير لوازم التمايشي على يد رئيس خصيانه (عبد القيوم)

وأما اختصاص بيت المال الثالث فإنه قاصر على الإيرادات التي تجلب بواسطة الجباة التي تقدم لنا الكلام عنهم وله اختصاص آخر هو مصادرة أموال الأغنياء وطلب القروض المالية من التجار حيث لا ترد لهم أبداً ومن امتنع صوذر ماله كله وتنفق هذه الإيرادات على أقارب التمايشي فقط والحاصل أن التمايشي استأثر بجميع إيرادات البلاد حتى أصبحت في نهاية الفقر المدقع وأخذ يتفنن في أساليب زيادة الخراج ومضاعفة المكوس التي صارت التجارة معها كاسدة لا ترجح شيئاً وبالجملة فإن الحالة كانت نتقل من سيء إلى أسوأ وبمد الله كل شيء

وقد روى لي ثقة ان النور هذا كان سائراً من المسجد الى منزله في ليلة  
حالة الظلام منفرداً وكان الراوي متأثره وهو لا يراه فسمعه يحدث نفسه  
ويقول « أحلف بالطلاق ان التعايشي سيصلبني كما صلب ابراهيم عدلان  
ليحصل على ثروتي والاجدر بي ان أسلمه هذه الثروة واحفظ حياتي لانفرد  
بنفسي واحترف بادنى حرفة يتعيش منها اطفالي » ثم يعود فيقول « كلا اذا  
دفعت له أمواله فانه يظن انني خبأت معظمها ولم أظهر له غير جزء يسير  
منها واذا ذاك تحرك اطاعه ويعذبني لاسلمه الباقي ولا شك في انني أموت  
بسبب العذاب وحينئذ اكون قد جنيت على نفسي » ثم يقول « أحلف  
بالطلاق الثلاث ان المسألة معقدة لا يقدر أحد على حلها والاولى بي أن أظاهر  
بالجنون والله تعالى يفعل بي ما يريد »

ثم انه أظاهر بالجنون مدة حتى بداله أن يتضرع الى التعايشي ليقيله من  
أمانة بيت المال فأجابه التعايشي الى ذلك على شرط ان يجزى اختصاص بيت المال  
الى ثلاثة اجزاء احدها أمين بيت مال يختص بمعامل الذخيرة ( الورش  
الحربية ) والثاني يختص بمال الفيء الذي يزعم التعايشي انه خاص به والثالث  
هو بيت المال العام وأن يكون النور الجريفاوي اميناً لبيت المال الاول وان  
يكون محمد بشير كزار العبادي قائد دابة التعايشي اميناً للثاني وأن يكون العوض  
المرضى اميناً للثالث

وعلى ذلك صار اختصاص أمانة بيت مال ( الورش الحربية ) منوطاً بالنور  
الجريفاوي وعليه ان يتفق مع التجار الذين يفدون الى الديار المصرية ليجابوا  
المقاير اللازمة لتلك المعامل ويهربونها حتي لا تظفر بها الحكومة ولهذه  
المسألة كلام خاص بها سنورده في غير هذا المحل

كان موقنا بأنه ساع الى حتفه بظلمه لانه كان ذا ذكاء وعقل  
ولما وصل خط الاستواء أودع السجن هو ومن معه وقد بلغنا ونحن نهيء  
هنا الكتاب للطبع انه قد فر من سجن خط الاستواء ولحق باحد  
معسكرات بلجيكا التي في جهات بحر النزل ثم لحق بمملكة «برقو» فاکرم  
وفادته سلطاتها وانزله على الرحب والسعة لكنه لم يسمح له بالعودة الى بلاده  
على مألوف عادة اهل تلك البلاد خشية ان يكون رائداً يجرس خلال الديار  
هذا وان أبقرجة وان كان عاملاً مهماً من عمال دعوة المهدي لكنه كان أقلمهم  
شراً وأكثرهم خيراً واقربهم الى العدل والاحسان  
واني بسبب ما ذكرته عنه واحسانه الي في يوم كنت أساق فيه لاثوث  
لا يسمي الان أنني له نوال الخير في غربته والخلص من رتبة أسره

### عود الي ذكر بيت المال

ذكرنا آنفاً ما كان من صاب ابراهيم عدلان أمين بيت المال السابق  
وتولية النور الجريفاوي بدله  
وقد كان النور هذا ثروة عظيمة جمعها مما نهبه من تجار المصريين  
في بربر كما مصر ذلك وقد تناول سبعة عشرة ألف ريال من الحكومة ليشتري  
بها غلال فاغتالها وفر بها ولحق بالمهديين وبعد ان مضى عليه عامان في  
بيت المال زادت في خلالها ثروته زيادة عظيمة أخذ يفكر في وسيلة يتمكن  
بها من ترك وظيفة امانة بيت المال ليتاح له الانزواء بعيداً عن نظر التماسي  
الذي كان يطمع الى ثروته فمظاهري في أواخر سنة ١٣٠٩ بالجنون على أثر وقوعه  
من جواده وأخذ يخلط في الكلام بحضرة التماسي



وقد رأيتهم وقت خروجهم من السجن يحيط بهم الحراس والاغلال في أعناقهم والقيود في أرجلهم فكان الحراس يحملون الواحد كما يحمل المتاع ويرمونهم في غدير السفينة كما ترمي الامتعة وهكذا ساروا الى خط الاستواء وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٠٩ هجرية

### ذكر نفي الأمير أبي قرجة

ختمت سنة ١٣٠٩ وحوادث السودان فيها تماكي ما جري على الخليفة شريف وحزبه وأقارب المهدي ودخلت سنة ١٣١٠ ولم يبق من الأمراء أو أصحاب المقامات من الذين تجمعهم مع الخليفة شريف جامعة التجزب أو الجنسية غير أبي قرجة الذي تقدم لنا كلام كثير عنه حيث هو من أكبر أمراء المهدي الذين حاصروا الخرطوم وولى القيادة العامة على جيش السودان الشرقي بدل عثمان دقنه كما مر ذلك

ولما عزل أبو قرجه عن بربر أعيد الى السودان الشرقي ولما ثار الخليفة شريف كان هو غائباً لم يحضر تلك الحوادث فالتدعاء التعايشي في أوائل سنة ١٣١٠ وأظهر له رغبته في توليته الامارة العامة على خط الاستواء لسابق خبرته بتلك الانحاء فجمع نحو ثلاثمائة مقاتل سافر بهم الى خط الاستواء على احدى البواخر وسافر معه قائد من قواد البقارة يحمل كتاباً من التعايشي فخواه القبض على أبي قرجة ومن معه وزجهم في السجن حينما يلفون خط الاستواء ودفع ائتعايشي الى أبي قرجة أمراً مضموناً انه أمير عام على سائر انحاء خط الاستواء

والحاصل ان أبا قرجة سافر من أم درمان أميراً على خط الاستواء ولكنه

ساعدوا المهدي على الاستيلاء عليها

ولما ثار الخليفة شريف كان هؤلاء الامراء في جملة من بايعوه من الناس فوشى بهم الى النعاشي أحد خصمـيـان المهدي المسمى « شكر الله » ثم ذهب أولئك الامراء وأخبروا النعاشي بانهم ما فعلوا ذلك الا ليقفوا على سر المسألة كي يوففوه عليه فشكرهم وأظهر لهم عظيم الميل والانعطاف وبعد حبس الخليفة شريف بأيام دعاهم الي مجلسه وأخبرهم ان رباط كسله ذو أهمية لا تخفي وان الايطاليين يطعمون في التقدم الى كسله وان أميرها مساعد قيـدوم البقاري ضعيف الرأي وانه ينوي انفاذهم الى كسله ليقوموا بحفظ الرباط فشكروه وانصرفوا به ان تعهدوا له بأن يجهزوا أنفسهم ومقاتلتهم من ما لهم الخاص

وبعد أيام غادروا أم درمان وخرج النعاشي لوداعهم وساروا الى قرية ( رفاعه ) التي تبعد عن الخرطوم بست مراحل في النيل الازرق ليضموا اليهم المتفرقين من مقاتلتهم في قري الجزيرة وأقاموا فيها نحو شهر وبدلا من أن يجمعوا الرجال ويسيروا الى وجهتهم ضربوا على كل مقاتل ضربة يقدمها كفدية ليتركوه فجمعوا من ذلك أموالا طائلة والنعاشي يكتب لهم في كل يوم يحثهم على مغادرة رفاعه واللاحاق بكسله وهم يقدمون له الاعذار في كل مرة وفي ذات يوم أرسل لهم مندوبين قبضوا عليهم في رفاعه ونهبوا أمتعتهم وما جمعوه من ضريبة الكفدية وجيء بهم الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال ونهبت دورهم التي بأمر درمان

ولما أدخلوا السجن ناداهم الخليفة شريف قائلا « أن خيانتكم لم تدفع عنكم مكروها » ومكثوا في السجن نحو شهر ثم نفوا الى خط الاستواء

وقدم محمود هذا أوالا طائلة للتمايشي وأخيه يعقوب

ثم انه تزوج براقصة شهيرة اسمها بنت بدوى كان الشعراء يتغزلون  
ببراعتها في الرقص وجاهر في حفلات الزواج بشرب الخمر وأحيى إلى  
الرقص بما يخالف آداب المهدوية وصادر كشيرا من الجوارى المومسات  
وأشهرهن جارية اسمها « السكات » وجمع حوله كثيرا من الخنثين والمغنين  
الذين تقدم لنا الكلام عليهم وسيأتي ذكر الجارية السكات وانها اباحت قرية  
( الجميعاب ) للجهادية فنهبوها وألقوا بها النار

وأقام محمود بام درمان بضعة شهور ثم قفل راجعا بجنوده إلى دارفور  
وستجيء بقية أخباره

## ذكر القبض على امرأ الجميلين ونفيهم

ذكرنا ان جل تجار كردفان من قبيلة ( الجميلين ) التي تسكن بربر وقد سبق  
لنا شرح احوالهم فلاحاجة لاعادته هنا وقد استوطنوا كردفان منذ زمن مديد  
وكان من أمرهم انهم أعانوا المهدي على الاستيلاء على الأبيض عاصمة كردفان  
وكان الياس باشا أم بربر في مقدمة أولئك التجار الذين تقدم لنا الكلام عليهم  
وقبيل ثورة الخليفة شريف باشا جمع التمايشي نحو أربعين من أمراء  
الجميلين ودفع لكل واحد منهم راية وكان من بينهم عمر بن الياس باشا الذي  
ذكرنا بمض مآلاته في دارفور لما ذهب إليها مع محمد خالد زقل

وعين التمايشي قائداً عاماً على الأربعين أميراً اسمه البدوي بن العريف  
كان أخوه محمد بن العريف سر تجار الأبيض عاصمة كردفان ومن أكبر الذين

يستقده الى أم درمان بمن معه من المقاتلة وقصد بذلك ان يهرب أهالي الجزيرة الذين مالوا للخليفة شريف ويرهبهم قوة التي في دارفور وأن يوفق بين محمود والذين نعموا عليه من جنوده ومقاتلته ففادر محمود أحمد الفاشر عاصمة دارفور ومعه نحو أربعين الف مقاتل منهم بضعة آلاف من الجهادية ومثلهم من الفرسان والبقية من المشاة

وبعد ان وصلوا الى جهة ( الهود ) وهي أول بلاد كردفان مما يلي دارفور نار عليه قواد الجهادية واطلقوا عليه الرصاص وكادوا يقتلونه وكانت عدة انوار خمسة عشرة قائدا يقود كل واحد منهم مائة مقاتل كلهم مسلحون بالاسلحة النارية من طرز ( رامنجتون ) وانفصل الثوار عن المعسكر وابتعدوا عنه فإرسل اليهم محمود قاضي المعسكر يدعوهم الى الطاعة ويعدهم بلعفو عن جرمهم ثم دفع لكل واحد منهم الف ريال فاخذوا المال ولم يقبل العودة الى الطاعة غير ثلاثة منهم وأصر الباقون على عصيانهم وابتعدوا عن المعسكر وحنوا بجبال ( اب جنوب ) وهي جبال واقعة في الجنوب الغربي لكردفان وسكنها من العبيد ( النوبة ) الذين تقدم لنا الكلام عنهم فلا حاجة لتكراره هنا ووصل محمود الى أم درمان في منتصف ذي القعدة سنة ١٣٠٧ أي بعد ان زالت مخاوف التمايشي من الخليفة شريف والذين بايعوه فخرج لاستقباله خارج البلدة وظهر سروراً عظيماً بمقدمه وبالغ في اكرامه الى درجة انه أمر بعمل ألعاب نارية اجريت امام محمود وجنوده وهي أول مرة صنعت فيها تلك الألعاب في ايام المهديوية

وارتفعت أسعار الاقوات على أثر قدوم محمود أحمد ومقاتلته الذين قدموا بنحو مائة الف نسمة من الارقاء باعوها في أم درمان كما تباع البهائم

ماله خطر مع انه عبد اسود من عبيد ( البنضلة ) لجاورين للتعايشة كما انه أخذ  
من حرار النساء نحو خمسين امرأة من بنات الاعيان كلهن موطوات  
بملك اليمين

وبعد سقوط الخرطوم بامين كان لي عبد قد أبق ولحق بجهادية  
أم درمان الذين بقودهم عبد المولى هذا فذهبت اليه أسأله ان يعطيني ذلك العبد  
أو ثمنه فكان أول كلمة كلمني بها أن قال لماذا أنت ضخم يا ولد الريف أعندك مال مخبأ  
تخرج منه ما تنفقـه على نفسك فطار لي من هذا الكلام وقلت له لا  
يا سيدي بل أنا رجل فقير أعيش من هبات سادتي الامراء امثالك فقال  
وهل هبات الامراء تسمنك الى هذا الحمد فقلت نعم وان مولاي خليفة  
المهدي عليه السلام يتعاهدني باحسانه في كثير من الاوقات فانكسرت  
شوكة حدته وقال لي ماذا تطلب الآن فقلت أطلب عبدي فقال أنت عبده  
فقلت له نعم انني عبده لانه صار عبـدك فشفع لي عنده أحد الحاضرين  
فقال انني سمحت لك باخذ العبد اكراما لحاظ من شفـع فيك واحذر من ان  
تعود الي بمثل هذا الطلب فاني اذ ذك أضرب عنقك هذا المملوء لهما فاخذت  
العبد وانصرفت به الى النخاس وبعته باول ثمن عرضه على فيه

### ذكر قدوم محمود احمد من دارفور

مر لنا الكلام على موت عثمان آدم أمير دارفور وتولية محمود أحمد  
ابن عم التمايشي بدله وذلك في سنة ١٣٠٧ وقد سار محمود هذا سيرة عوجاء  
أوجبت انحراف القواد عنه ونفور الجنود عن ولأئه واشتدت الحالة في إبان  
ثورة الخليفة شريف فتخوف التمايشي من هذه الحركة وكتب الى محمود



## ذكر مؤامرة عبد المولى صابون علي قتل التعايشي

عبد المولى صابون اخو حمدان أبي عنجة فاتح بلاد الحبشة الذي تقدم  
لنا ذكره وكان عبد المولى هذا قائدا للجهادية في أم درمان وفي سنة ١٣٠٥  
أصيب بمرض الجذام وقد مر لنا الكلام على ان التعايشي كان يحبه وانه قد نفى أم  
زوجته بعد ان قطع يدها لما قيل له ان مرض عبد المولى ناتج من كثرة ما تصنعه له  
من الشعوذة والاسحار اللتين تقصدهما استمالته لحبة بنتها ولما توفي حمدان  
أبو عنجة في القلابات كان أخوه عبد المولى يتوق لنيل منصبه فلم يفلح وولى  
التعايشي الزاكي طمل بدل أبي عنجة وعزل عبد المولى أخاه من قيادة الجهادية  
وولى بدله أحد أقاربه البقارة فاغتاظ عبد المولى من التعايشي وأضر له السوء  
وحالف الخليفة شريفا عليه لئلا يظهر مخالفته له وانضم اليه نفر من  
التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ان التعايشي قتله لما فر من أم درمان  
وتآسروا على قتل التعايشي غرة بين منزله ومنزل أخيه يعقوب حيث تعود  
التعايشي ان يسير بينهما بحراس قليلين وكن المتآسرون في الطريق قبل الوقت  
الذي يخرج فيه التعايشي من داره الى دار أخيه يعقوب بنحو ساعة من  
الزمن ليفتكوا به اذ ذاك

وبئنا كان التعايشي يتأهب للخروج استأذن عليه أحد المتآمرين  
فاذن له ولدي دخوله عليه ترامي عليه مظهرات توبته واخبره بما دبره له عبد المولى  
ومن معه فارسل التعايشي من قبض عليهم وأودعهم السجن ثم نفوا الى  
خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم

وكان عبد المولى هذا ذا فظاظة وكبر ونال من الرفعة والثروة في أيام التعايشي

المهدي الثلاثة وهم الفاضل ومحمد والبشرى وسجنهم في منزل جدهم لامهم أحمد شرفي ومنعهم من الخروج منه وكان محمد متزوجا بنت التعايشي فعلقها منه ومكث الثلاثة في الحبس ولم يخرجوا منه الا بعد استيلاء الجيش المصري على دنقلة

على ان أولاد المهدي لم يكونوا طامعين في الخلافة وانما كانوا متدمرين مما أصاب ذوي قراباتهم من الظلم والاضطهاد ثم القتل والنفي وكان محمد كما قلنا متزوجا بنت التعايشي وكان يبغضها ويسب أباهما بحضرتها ويذكر كفرانه بنعمة أبيه وعدم وفائه بعهده فكانت تخبر أباهما بذلك كله حتى آل الامر لطلاقها منه

وعلى ذكر أولاد المهدي نذكر الشيخ الحسين زهرا الذي أوردنا قصيدته الحمزية التي امتدح بها المهدي ونصحه خبسه التعايشي ثم انه بعد وفاة المهدي قدم للتعايشي قصيدة ملاًها بالنصح ومن ضمنها قوله له ان استخفافك بأولاد المهدي واضطهادك لأقاربه يحملان الناس على الاعتقاد بانك غير مصدق بمهديته فغضب عليه التعايشي وسجنه وبعد أيام أطلقه وأمره أن يسكن في قربه في جهات (المسلمية) على بعد ثمان مراحل من أم درمان جهة الجنوب والحاصل ان جميع أقارب المهدي أصبحوا بين قتلى ومسجونين وكذلك الأمراء والقواد الذين أسسوا دعوة المهدي معه فقد فعل بهم التعايشي ما فعله بأقارب المهدي وأولاده ولا غرو فان المهدي سبب كل هذه المصائب التي حاقت بأقاربه وقواده حيث استخلف التعايشي عليهم وهو لا يدرى ان عدوا عاقلاً خير من صديق جاهل

قبض على الخليفة شريف جاء التعاشى الى منزل المهدي ومعه ألف مقاتل  
 مسلحون بالاسلحة النارية فاحاطوا بنساء المهدي وهن داخل ستر وضع لهن  
 وقال لهن ( انكن عصيتن الله ورسوله ومهديه وكفرتن بهن وقد حكم القضاء  
 باعدنكم رميا بالرصاص ) فرفعن رؤسهن فوجدن أفواه البنادق موجهة  
 اليهن نصرخن ولطن وجوههن ومنهن من هربن لتساق الجدران التي  
 كانت تناطح السحاب ومنهن من القت نفسها في بئر وبالجمل ان أولئك النساء  
 روعن روعا شديدا فضلا عما هن واقعات فيه من شظف العيش وسوء الحال  
 ولما رأي التعاشى ما صارت اليه حالتهن وأن بعضهن ثبتن وقلن له انا  
 لا نرهب الموت الخدي تهمدنا به لانك انما تقتل نسوة لا يشرفك قتلهن  
 ومع ذلك فان قتلنا شئ لا يذكر في جانب كفرانك بنعمة المهدي الذي أجلسك  
 على الملك فاذا كنت تنادي كل يوم ولية على رؤس الاشهاد بان المهدي  
 دنقلي فان قتلنا لا يذكر في جانب هذه الشتائم

ويقال ان زينب اكبر بنات المهدي امرأة الخليفة شريف أغلظت  
 له القول واهاته بالشتائم فانصرف وقال لنساء المهدي اني عفوت عنكن وانما  
 قصدت بفعل هذا ارهاب اللواتي تظاهرن منكن بولاء الخليفة شريف  
 والحاصل ان نساء المهدي وخصيانه مكثوا في الذل والهوان يقاسون  
 من شظف العيش أشده حتى فتحت أم درمان وانقشع ظلم دولة الدراويش  
 عن السودان

### ذكر سجن أولاد المهدي

لم يكتف التعاشى بما فعله بالخليفة شريف والذين بايعوه حتى أمسك أولاد

والقضاة وعرض عليهم اخلاء سبيل كل امرأة لم ترزق ولداً من المهدي  
لأن كثيراً منهم لم يقترب منهم فعارض الخليفة شريف في هذا الامر وقال  
ان نساء المهدي كنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وهن أمهات  
المؤمنين اللواتي أمرهن الله بعدم الخروج من بيوتهن وأورد الآيات التي  
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم كأنها نزلت في نساء المهدي فقبل  
الحاضرون قوله وأعرضوا عما أشار به التعايشي

ومكث أولئك النسوة في داخل بيت يسكن كل خمس منهن في كوخ  
من البوص واجري التعايشي على كل واحدة منهن راتباً شهرياً قدره خمس  
ريالات يتناولنه في السنة كلها مرتين أو ثلاثة و لكل حراستهم إلى نحو خمسين  
من الحصيان الذين كانوا ملوكاً لوجوه وأعيان المصريين في سائر مدن السودان  
وصارت حالة النساء والحصيان تنتقل من سيئ إلى أسوأ. وبالجملة لولم  
يكن لهاته النسوة أقارب يتسدا ركوهن ببعض القوت لمتن من الجوع  
وكذلك الحصيان كان قوام معيشتهم من التسول ومد ايدي السؤال للامراء  
واعيان البلاد

وفي سنتي الجماعة مات كثير من النساء اللواتي لم يكن لهن أقارب ومات  
كثير من أطفالهن أولاد المهدي

وكن كلما شكون إلى التعايشي ما هن فيه من شظف العيش يبكي وينتحب  
ويقول لهن انكن آل بيت المهدي لا نصيب لكن في الدنيا وليس لكن غير الآخرة  
حتى اذا كانت سنة ١٣٠٩ وانتقض الخليفة شريف على التعايشي قام نساء  
المهدي بمظاهرة ولاء للخليفة شريف فاغتاظ التعايشي وأمر بإحاطة منزل  
المهدي بسور من الحجارة ليفصله عن ملاصقة منزل الخليفة شريف وبعد أن

ولما انتقض الخليفة شريف كان محمد عبد الكريم معه أما عمه عبد القادر فكان ملتزما بجانب الحياذ

وبعد ان قبض التعايشي على الخليفة شريف وسجنه قبض على عبد القادر ساقى وابن أخيه محمد عبد الكريم وأرسلهما الى الزاكي طمل في فشوده فقتلها  
ضربا بالعصى كما قتل احمد سليمان ومن معه

وقد جرت بينهما وبين الزاكي طمل مكالمة تشبه التي جرت بينه وبين احمد سليمان ورفقائه وقد أظهر عبد القادر ساقى عليّ جلدًا وشجاعة بخلاف ابن أخيه محمد عبد الكريم فإنه جبن وخارت عزيمته وطمع في الحياة بالتزلف للزاكي الذي كان لامندوحة له عن انفاذ ما أمر به التعايشي

هذا وقد جئنا بذكر قتل هذين لشهرتهما بين أقارب المهدي الذين يقدر عدد من قتل منهم ومن أقاربهم بسبب هذه الحادثة بنحو ثلاثة آلاف رجل عدا الشيبان الذين كانوا حراسا للخليفة شريف فقد طرح عدد كبير منهم طعمة لاسماك النيل

وكان لمحمد عبد الكريم محظيات في نهاية الحسن والجمال فكان التعايشي يرسل الي الواحد منهن ويجلبها الى منزله فاذا قضي منها وطره أخرجها وأعادها الى منزلها

### ذكر شأن نساء المهدي مع التعايشي

ذكرنا ان المهدي مات عن نيف ومائة امرأة اكثرهن قد استحل وطأهن بملك اليمين على الطريقة التي تقدم الكلام عليها فلا حاجة لاعادتها ولما مات المهدي وأتمت النسوة عدة الموت جمع التعايشي الخلفاء



ابن أخى عبد القادر ساني على وكان الاول فقيها شاعراً أديباً ولد في الخرطوم  
وتربى فيها ولحق بقريبه المهدي في كردفان فاکرم وفادته وعرف منزلته  
وصار مبعجلاً عنده وعهد اليه برئاسة الامناء الذين ينوبون عنه في نظر المسائل  
العمومية وجعله أميناً على خاتمه

وكان عبد القادر ساني على شديد البغض للتعايشي يعيبه بالجهل ويرميه  
بالظلم وكثيراً ما طلب من المهدي اقصاءه عن منصب الخلافة وكان يئامه في  
انفاذ كثير من مآربه ويزدرية ويحقره ولا يجلس بين يديه جاثياً على ركبته  
كما هي عادة الدراويش في آداب الجلوس عنده

ولما توفي المهدي كان أول عمل أتاه التعايشي عزل عبد القادر عن منصبه  
ثم بعد بضع سنوات صادر أمواله وحبس به بضعة شهور. وكان لعبد القادر معرفة  
بالطب فاشتغل بهذه المهنة ليحصل منها على قوته حتى اتصل بالتعايشي ان  
عبد القادر أصبح ذا ثروة عظيمة من مهنة التطبيب فاستدعاه الى مجلس حافل  
بالقضاة وقال له لا يليق بك وأنت عم الامام المهدي عليه السلام ان تشتغل  
بمهنة دنيئة كالتطبيب فقال له (نعم يليق بعم المهدي ان يموت جوعاً) فقال له  
اياك ثم اياك والتطبيب واعلم أنك ان لم تلتزم عن هذه الصناعة تكن قد  
عصيت أمرى وأنت عالم بعقوبة من يعصيني فذهب الى منزله وامتنع من  
التطبيب خوفاً على حياته حتى صار في حالة يرثى لها من الفقر وفقدان القوت

وأما محمد عبد الكريم فانه ابن عم المهدي وكان من اكبر قواده وهو  
الذي فتح سنار واغتال منها قناطر مقلنة من الذهب كما سبق الكلام على ذلك  
وكانت طريقته في الازدراء بالتعايشي لا تختلف عن طريقة عمه عبد القادر  
وقد صادر التعايشي أمواله أيضاً جملة مرات

وشعراء المهديّة ينظمون فيه الموشحات ويذكرونه كثيرا في قصائدهم  
وكان الخليفة شريف متقلده في غضون ثورته

وفي اليوم الثالث من شهر رجب سنة ١٣٠٩ جمع التمايشي القضاة  
والامراء وطلب منهم ان يكتبوا محضرا يقولون فيه ان الخليفة شريفا  
اعتزل الجمعة والجماعة واصر على العصيان ولزم منزله فكتبوا ذلك ثم قال لهم اذهبوا  
مع الخليفة علي حلو وادعوه الى الحضور في داخل قبة المهدي ثم اقبضوا  
عليه فذهبوا وارسل اليه الخليفة علي حلو يدعوه الى الحضور فامسكه محمد أحد  
أولاد المهدي وقال له لا تذهب واعتذر بانك مريض فاذا أرخى الليل سدوله  
فاهرب الى الجزيرة فقال له لا تخف فانهم لا يستطيعون ايصال الاذي الى  
فذهب معهم وما كاد يستقر به المجلس حتي وثب عليه من حوله وقبضوا عليه  
واخذوا سيف النصر من يده وأوسعوه ضربا وساقوه الى باب التمايشي  
وأسلموه للحراس الذين أخذوا يلطمونه ويهينونه ودخل الخليفة علي حلو  
والقضاة على التمايشي واخبروه بما صنعوا. ويقال ان التمايشي طلب منهم ان  
يوافقوه على صلبه وأخيراً أمر به فسيق الى السجن وما وصله الا بعد أن بلغت  
روحه التراقي لكثرة ما لحقه من الضرب وهناك وضعوا في رجليه عشرة  
قيود من الحديد ووضعوا في عنقه جنزيراً وزنه خمسون رطلا وسنعود الي  
ذكر بقية أخباره

ذكر القبض علي عبد القادر ساتي علي

ومحمد عبد الكريم وقتلها

عبد القادر ساتي علي ابن عم المهدي ومحمد بن عبد الكريم

ضمن كتاب المنشورات التي تقدم لنا ايراد بعضها لان التعايشي منع من طبعه  
وفي المنشور معميات وألغاز كالتى يستعملها بعض المتصوفة ومنها كلمتا (دهمودي  
بهمودي) وفيه أيضا عبارة تشبه اللفز وهي ( انه لن يصح انتقال من الدنيا  
حقيقية مادام الخليفة شريف موجوداً بها )

على ان بعض الناس ينكرون صدور هذا المنشور من المهدي والحاصل  
ان الخليفة شريف كان آمناً على نفسه اعتماداً على هذه الخزعات ولذلك لم  
يعباً بمشورة الذين حثوه على الفرار

وتوجد مسألة خلاف قديمة بين التعايشي والخليفة شريف وهي ان  
المهدي زعم في أوائل دعواه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهده سيفاً  
قال له هذا سيف النصر وخاصيته أنه لا ينصر أحد على من كان حاملاً له وقد  
جعل له من ضمن الكرامات التي خص بها وقد تقدم ذلك في كثير من  
المنشورات التي تقدم ايرادها

ولما توفي المهدي أمسك الخليفة شريف هذا السيف وامتنع من تسليمه  
للتعايشي الذي كان يلج في طلبه من الخليفة شريف لالاعتقاد بما يقال عنه  
بل لانه كان يرى ان بقاء هذا السيف في يد غيره يخفض من شأنه قليلاً في  
حقوق الخلافة اذ العامة من الدراويش تتحدث بشيء كثير عن كرامات هذا  
السيف فيقول بعضهم انه يضطرب ويسمع له صوت كقصص الرعد اذا  
اقترب العدو من مدينة المهدي. ومنهم من يقول انه اذا اقترب منه الجنب  
ضرب عنقه بغير ضارب ولا يستطيع أحد حمله غير صاحبه المهدي الى غير  
ذلك من أقوال البسطاء. ونقل لي مصري كان مقرباً من المهدي انه سيف  
مثل سائر السيوف وليس فيه خاصية مما تتحدث به العامة ويصدق البسطاء

أما فوزي واخوته فأنهم كما قلنا ذنقيون كان أبوهم قاضيا في أحد مراکز  
کردفان فلحق فوزي بكتابة التمايشي حتى صار رئيسهم  
وقد صودرت أموالهم وأخذت نساؤهم مسبيات وهدمت منازلهم  
وأصبحوا عبرة لمن يعتبر والي الله مصير كل شيء

### ذكر القبض علي الخليفة شريف وحبسـه

لما قبض التمايشي علي احمد سليمان ومن معه لزم الخليفة شريف منزله  
وامتنع من الذهاب الي منزل التمايشي الذي أمر بالقبض علي نحو ألفي رجل  
من حزب الخليفة شريف ونفاهم الي النيل الاعلى وقتل اكثرهم في الطريق  
وشاع بين الناس ان التمايشي ظفر بالقائمة التي فيها أسماء من بايعوا  
الخليفة شريفا وجلهم من الامراء ووجوه البلاد فخافوا العاقبة وأرسلوا  
للخليفة شريف سرا يدعونه للفرار من أم درمان واللاحاق بالجزيرة  
ليظهروا مبايعته ويقوموا بأمره وحينئذ يكون أحد الامرين إما الموت  
أو الظفر وهذا قريب من الصحة لما قدمناه من انحراف الناس عن التمايشي  
وسمهم في الخلاص من يده

ولما كان الخليفة شريف هذا بليدا لم يلتفت لما أشار به أنصاره ولم يعبا بما  
عرضوه عليه من الآراء الخازمة وظل مقبلا في داره حتي شاع بين الناس  
ان التمايشي أوشك أن يقبض عليه فذهب واحد من خواصه وأخبره  
بذلك فسخر منه وقال له ان ذلك لا يمكن أبدا لاني ثالث الخلقاء وان  
المهدي أخبرني في أحد منشوراته بان المهديـة لا تقوم قائمتها بغيري  
وعلي ذكر المنشور نقول انه يوجد منشور منسوب للمهدي ولكنه لم يدرج

الكلاب وأمر أن يضرب كل واحد منهم عشرة أشخاص بالعصى الفليضة  
حتى يموت فمكثوا على هذه الحالة بضع ساعات حتى تهشمت رؤسهم  
وسحقت سحقاً

ولما شرعوا في ضربهم قال أحمد سليمان لفوزي نحن الآن على شفا الموت  
ولا مطعم لنا في الحياة فانا أناشدك الله هل المنشور الذي يتلى كل يوم في  
المسجد وفيه ان التعايشي أوتي الحكمة وفصل الخطاب مطابق للاصل الذي  
صدر من المهدي فقال فوزي اللهم لا بل التعايشي هو الذي أمرني بوضع الزيادة  
التي زيدت فيه فقال أحمد سليمان اعلّموا ابن المهدي كان ينوي الفتك  
بعبد الله التعايشي ولم يستخلفه الا لانه كان مظلماً على كثير من اسراره  
وكان يظن انه ترك قوة عظيمة في يد الخليفة شريف نقدر على كبح جماح  
التعايشي متى أراد الخروج عن طوره ولكن يا للأسف ان الخلفية شريفا خدع  
في بداية الامر وأسلم رايته للتعايشي وأصبح بلا قوة ثم خدع في هذه المرة  
وسيلاتي ماجنته يداه فالتفت اليهما سعيد محمد فرح وقال لهما كفا عن هذا  
الهديان واعلم يا أحمد بن سليمان ان مهديكم كاذب ظالم وعقله اسخف من عقل  
قريبه الخليفة شريف والدليل على ذلك انه لم يختار من جميع الناس الذين تبعوه  
ممن هو أهل خلافته غير بقاري أجهل من الحمار وليته كان بقاريا ذا حيثة في  
قومه بل هو كما يعلم الكل ذكروري من أوباش البقارة ثم طرأ عليهم كلام  
مامنهم عن الكلام فأتوا وألقيت اسلاؤهم للكلاب والذئاب

وكانوا كلهم عدا سعيد محمد فرح من اكبر انصار المهدي ومن خيرة اعوانه  
وقد تقدم لنا كلام عن أحمد سليمان ومنزلته عند المهدي فلا حاجة لاعادته  
هنا وقد ذكرت أيضا ما لحقني من تعذيبه لي



الى السجن الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بادخالكم فيه وقال للخبراء الذين يحيطون بهم سربوا السجن ان لا يضع في رجل كل واحد منهم غير قيد صغير لانهم من أجل أصحاب المهدي عليه السلام وذوى قرابته ثم قال لهم هيا اذهبوا على بركة الله فودعوه وخرجوا من الباب فاحاط بهم نحو خمسمائة بقارى وضربوهم الضرب الذي يسمونه (مطر دصبت) وكيفيته ان يجتمع مائة نفر فاكثر ويضربوا بالعصى شخصاً واحداً أو عدة أشخاص

ثم سيقوا الى السجن وعاد الخبراء واخبروا التعايشى بانهم قد أودعوه السجن فامر الناس بالانصراف الا واحداً من أقاربه فلما انصرفوا قال لاحد الخبراء عد الى السجن وقل له ضع في كل واحد عشرة قيود وزن كل قيد عشرون رطلا من الحديد ثم قال لقريبه اعلم اننى منذ ست وعشرين ليلة مازار النوم اجفاني أى من يوم سمعت بامر الخليفة شريف الذي لم يكن في ظني ان مساعى تقرر في مسأله بالنجاح وتأتى بمثل هذه النتيجة المرضية ومن حبست أحمد سليمان ومن معه شعرت براحة في نفسى وهجم النوم على جفنى فاستودعك الله لاننى ذاهب الى حجرة نومي فودعه وانصرف ودخل التعايشى الى حجرة نومه فلم يستيقظ الا بعد ظهر اليوم التالي ومكث أحمد سليمان ومن معه ثلاثين ليلة في السجن ثم حملوا الى فشوده على إحدى البواخر النيلية وأرسل معهم التعايشى كتابا الى الزاكي طمل وكان معسكراً وقتئذ في فشوده لقتال (الشلك) كما قدمنا

ولما وصلوا اليه استدعاهم في مجلس خاص بقواده وخاطبهم لماذا يامعشر الدناقلة تحاربون خليفة المهدي فردوا عليه أقبح رد وقالوا له ان المهدي الذي أورثكم الملك دنقلى منا وانتم بقارة ارقاء فساءه ذلك وقال لهم لا قتلنكم كما قتل

سليمان امين بيت مال المهدي وفوزي واحمدي ابني محمود باريه واخويه  
 وسعيد محمد فرج من رؤساء قبائل دنقلة وادريس وريدي أحد قضاة  
 بيت المال وهو قريب فوزي واخوته وخمسة عشر رجلا من أقارب  
 المهدي وبني عمومته وكلهم من الذين أسسوا دعوي المهدي وحي  
 بهم الى منزل التعايشي وكان جالسا ومعه القضاة والخليفةان على حلو ومحمد  
 شريف فلما مثلوا بين يديه رحب بهم وهش وبش في وجوههم كأنهم  
 مدعوون لولية عنده وأمرهم بالجلوس وبالع في اكرامهم ثم قال لهم  
 يا اخواني ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرني في الحضرة ان ازجكم في  
 السجن اياما قلائل ريثما يأمرني باطلاقكم فما قولكم فاجابه الخليفة  
 شريف بقوله لا يمكن سجنهم لان ذلك مخالف لما تعاهدنا عليه فسكت التعايشي  
 وأجاب الخليفة على حلو الخليفة شريفا بحدة وغضب قائلا أنت تعارض  
 في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ووثب رجل من قواد (دغيم) اسمه  
 ابن أبي بلال وانهر الخليفة شريفا وقال له كان المهدي قريبك يحكم في  
 الخلق بامر الحضرة ولا يستطيع احدا ان ينكر عليه فلماذا أنتم اليوم تحرمون  
 على غيركم ما كان لكم حلالا بالامس فسكت الخليفة شريف وعلم ان  
 الخدعة تمت عليه وترك الكلام في أمر معارضته في حبس رؤساء حزبه  
 وأخذ يحتج على ما كان من اهانة ابن أبي بلال له مع ان ذلك لم يحصل  
 منذ قامت دعوة المهدي لانه لا عقاب لمن يتجارى على مخاطبة  
 أحد الخلفاء اقل شيء تشم منه رائحة الاهانة غير القتل فغير التعايشي الكلام  
 وخاطب أحمد سليمان بعبارات المحبة والتبجيل وذكر قربه من المهدي  
 وحظوته عنده ثم قال يا اخواني طبوا نفسا ولا تظنوا سوا قوموا واذهبوا

من المناع فعملوا وكانوا يجرّدون النساء من ملابسهن حتى المآزر  
وانفذ السرايا الى الجزيرة فقبضوا على رؤساء الذين بايعوا الخليفة شريفا  
ونهبوا أموالهم

على ان اكثر الناس كانوا مشايخين للخليفة شريف وكانوا على يقين بان  
قيامه سيأتي بفائدة الخلاص من نير البقارة وأنه لو لم يصالح على الشروط المتقدمة  
وشهر الحرب لظهر على التعايشي الذي لا قوة عنده غير الجهادية الذين اكثرهم  
يظاهرونه على التعايشي

والحاصل ان ثورة الخليفة شريف جاءت مغبتها سيئة عليه وعلى كثير من  
الذين مالوا اليه اذ يبلغ عدد من ذهبت دماؤهم هدرًا بسببها بضعة آلاف شخص  
كلهم ماتوا في المنفى وقتلوا بسيف انتقام التعايشي كما سيأتي ذكر ذلك كله في  
مكانه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر القبض علي كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم  
تقدم لنا الكلام على المعاهدة التي انخسعت بها ثورة الخليفة شريف  
وقد مضت على هذه المعاهدة اثنان وعشرون ليلة يبدى التعايشي في كل يوم  
منها من دلائل الاحترام للخليفة شريف ما جعله له أطوع من بنانه حتى  
أسلمه جميع الاسلحة النارية التي كانت عنده وكانت تبلغ زهاء ألفي بندقية من طرز  
وامنجنون وكان التعايشي يركب في كل يوم والى جانبه الخليفة شريف الذي هممه  
بكثرة عطاياه حتى وردت عليه انباء من انفذهم للقبض على رؤساء القبائل الذين  
لهم ضلع مع الخليفة شريف وجرى بهم مقرنين في الاصفاد فقلب له ظهر  
الحجن وأرسل في اليوم الثالث والعشرين لتقرير المعاهدة من قبل علي أحمد

وقد تم الاتفاق شفاهياً على هذه الاوجه وحلف الخليفة على حلو على المصحف الشريف أن يكون ظهيراً للخليفة شريف ان لم تنفذ هذه الشروط ثم اصطحب الخليفة شريفاً معه الى منزل التعايشي الذي قابله بالتجلة والاكرام وأخذ يبكي ويمانع الخليفة شريفاً ويقول له ان المهدي جاءه في الحضرة وأمره باجابة مطالب الخليفة شريف وان النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه به وحلف التعايشي على المصحف أنه لا يبدل شرطاً من الشروط انني اشتراطها عليه الخليفة شريف وانصرف الخليفة شريف الى داره وارسل له التعايشي ثلاثة آلاف ريال وأمر الناس بالكف عن الحرب وأمر الرؤساء بالذهاب الى تجديد بيعة التعايشي فوق ذلك على الجميع موقع الصاعقة وعلّموا ان ذلك خدعة وان التعايشي سيقبض منهم فلاموا الخليفة شريفاً على تسرعه في ابرام المصلح بدون مشورتهم فاخذ يؤكّد لهم استحالة اقدم التعايشي على الانتقام منهم فهزّوا بقوله ولكنهم لم يجدوا سبيلاً عن الكف عن الحرب والتوجه لمبايعة التعايشي الذي قابلهم بالبشاسة والاكرام وعفا عنهم وحلف لهم على الوفاء بما جاء في الشروط التي أوردناه افلم يصدقوه وايقنوا ان العاقبة وخيمة

ويقال ان الخليفة شريفاً عمداً الى المصالحة مضمراً الفدر حيث كان موعد الاجتماع عليه في أواخر شهر رجب فصالح على ان يقوم بأمره عند حلول ذلك الاجل حيث يجتمع عليه الناس ولكن ساء فآله واتخذ التعايشي الحيلة لاجباط ذلك كله

وفي اليوم التالي ركب التعايشي في نحو ستة آلاف فارس واجتاز الاحياء التي يسكن فيها المنتقضون مع الخليفة شريف وأمر الفرسان بنهب ما في المنازل



شريف عليه

وقد جمع الخليفة على حلومقاتلته وكانوا زهاء خمسة آلاف فارس ونحو عشرة آلاف من الرجال وكلهم من عشيرته ( دغيم وكنانة ) وهم الذين مرلنا السكلام على انهم اول من بايع المهدي يوم اجتاز النهر من جزيرة آبا الى الضفة الغربية وهم الذين نصره في جبال ( قدیر )

وفي غداة اليوم التالي فرق التعايشي مقاتلته فأحاطوا بمنزل الخليفة شريف من جميع الجهات وابتدأ إطلاق النيران من الفريقين واستمر نحو ساعتين لم تظهر في خلالهما نتيجة غلبة أحد هما وهجم شايب احمد شاهرا سيفه على مائتين من جهادية التعايشي فولوا مذعورين

وفي ساعة وقوع القتال كان الخليفة على حلوم مع الخليفة شريف يعرض عليه شروط الصلح وهي كما يأتي

أولا تعاد للخليفة شريف راياته

ثانياً يدفع له مرتب ٢٠٠٠ ريال في كل شهر

ثالثاً يدفع لكل واحد من اولاد المهدي مرتب يكفيه

رابعاً يعفو التعايشي عن كل الذين بايعوا شريف على الانتفاض

خامساً يتعهد الخليفة على حلوم بانفاذ هذه الشروط

سادساً يعزل يعقوب أخو التعايشي عن وزارة أخيه لانه مرش

ولانه سبب جميع المظالم التي أخربت البلاد

سابعاً يعزل قاضي الاسلام أحمد على

ثامناً لا يقطع التعايشي أمراً دون مشاورة الخليفة شريف

تاسعاً يطلق سراح محمد خالد زقل ( الذي تقدم لنا ذكر سجنه )



من الخروج حتى لا ينضموا الى الخليفة شريف وحولت الازقة التي بين منزل  
الخليفة شريف ومنزل التعايشي الى متاريس وخطوط نار

وكان التعايشي وقمتد في بيته فلم يخرج حتي وثق من ان مقدوفات  
المنتقضين لا تصل اليه وأقيمت عدة متاريس على جدار منزل المهدي الملاصق  
لمنزل الخليفة شريف ووقع الرعب في قلوب البقارة وفر ثلاثمائة فارس منهم  
قاصدين كردفان وبلغ الحماس مبلغا عظيما من المنتقضين حتي ان النساء تسلحن  
مع الرجال وفي اصيل النهار هجمت مائة امرأة منهم على نحو خمسين فارسا  
من البقارة كانوا يسقون خيولهم على ضفة النهر فاسعوم ضربا بالاصي ففروا  
وتركوا خيولهم غنيمة للنساء المتحمسات

وبات الناس ليلتهم يحترس بعضهم من بعض والتعايشي يرسل الرسل الي  
الخليفة شريف ويبلغ له الكلام

وفي منتصف الليل هجمت رجال الخليفة شريف على صفوف التعايشي  
حتي زحزحوهم عن مواقيهم ونهبوا بعض أمتعتهم

وانضم الى الخليفة شريف أحمد سليمان الذي كان أمينا لبيت مال المهدي  
وسعيد محمد فرج من رؤساء القبائل في دنقلة وكان قد وفد على التعايشي في أم درمان  
متظلما من يونس الديك أمير دنقلة وانضم اليه أيضا شايب بن أحمد أحد أمراء  
الدناقلة المشهورين وكان مع عثمان دنقة وأخبار فروسيته وإقدامه معروفة  
يتحدث بها أهل سواكن

أما موقف الخليفة على حلوا الملقب ( بخليفة الفاروق ) في هذا الانتقاض  
فكان موقف خديعة للخليفة شريف ومباينة للتعايشي لانه كان يظهر للخليفة  
شريف انه معه ويقال انه هو الذي أخذ بر التعايشي بأمر انتقاض الخليفة

وضربوا لذلك اجلا يجتمعون فيه بام درمان وهو السابع والعشرون من شهر رجب سنة ١٣٠٩ ودخل في هذه البيعة كثير من الوجوه والقواد واكثرهم من حزب التعايشى الذى لم يكن عالما بما دبروه حتي اذا كانت ليلة الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني دخل عليه أحد الجواسيس وأوقفه على المسألة فاستدعى رجلا من أهالي كردفان وهو دنقلى الاصل اسمه السيد المكي بن اسماعيل الولي وكان أول انسان بآيئه يوم توفى سلفه المهدي وقال له اذهب الى الخليفة شريف وبآيئه بما يريد على شرط ان تقف على مادبره وتخبرني به فاطاعه وذهب الى شريف وعاهده على المصحف الشريف وعلم منه كل ما يريد التعايشى الوقوف عليه ثم عاد اليه واخبره به فجمع التعايشى أخاه يعقوب وذوي قرابته ليتداولوا في الامر فقر رأيهم على ان يهجم رجال التعايشى على الخليفة شريف وأولاد المهدي ويقبضوا عليهم قبل ان يحل الاجل المضروب وكان فوزى وأحمدى ابنا محمود باريه الدنقليان كاتين للتعايشى فاعلما الخليفة شريفا بما أجمع عليه رأى التعايشى لانهما كانا ممن عاهدوه على اتمام امره

وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني فشا الخبر بين الناس فاصدر التعايشى أمرا الى الجهادية بالزحف من ممسكرهم الى داره فخرجت الجهادية مارة على (الموردة) وما حولها من السوق فنهبوا كل ماصادفهم فى طريقهم حتى وصلوا الى دار التعايشى

واجتمع حول منزل الخليفة شريف نحو عشرة آلاف مقاتل جلهم من الدناقلة وأهالى القرى التي حول أم درمان وكان منزل التعايشى لا يبعد عن منزل الخليفة شريف باكثر من مائة متر واحتشد فى المسجد اكثر السكان الذين يظن التعايشى انهم مع عدوه فامر الجهادية بالوقوف على أبواب المسجد ومنع من به

وأقاربه ومنع عنهم المطاء من بيت المال منذ وفاة المهدي فكان الخليفة شريف يعطى مرتباً شهرياً يبلغ مائتي ريال وهو قدر زهيد بالنسبة لما كان يتناوله في أيام المهدي وليتهم كانوا ينقدونه إياه في كل شهر إذ الحقيقة أنه كان لا يقبضه إلا مرتين أو ثلاثاً على الأكثر في السنة كلها وزد على ذلك أن التعايشي انتزع راياته من يده ووزع جيوشه التي أهمها الجيش الذي هلك مع ابن النجومي في الحدود المصرية

وكان للخليفة شريف حراس من ذوي قرابته يطلق عليهم اسم (الملازمة) يركبون الخيول الكريمة ويحملون الحراب الطويلة ويحيطون به كلما خرج من داره فانزعهم التعايشي منه والحقهم بثمان دقنة في السودان الشرقي وبالجملة أصبح الخليفة شريف مجرداً عن كل مميزات الخلافة التي كان حائزاً أو فخر نصيب منها في أيام قريبه المهدي وكذلك أولاد المهدي الذين ذكرناهم فانهم صاروا في نهاية الاضطهاد الا محمداً الذي تزوج بنت التعايشي فانه كان معتمداً بشؤونها ويقدم الطعام لها ولصهره فقط

وكان للمهدي أولاد غير هؤلاء في سن الطفولية ونساء يزيد عددن على المائة وكان الكل في نهاية الضنك يتضورون جوعاً ولما فشت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كادوا يهلكون من الجوع لولم يتداركهم ذووم

ولما دخلت سنة ١٣٠٩ وصارت حالة السودان الى ماأشرنا اليه وتغيرت قلوب الاهلين وتحفزوا للوثبة على التعايشي اغتتم الخليفة شريف وأولاد المهدي والمضطهدون من أقاربهم هذه الفرصة وأرسلوا الدعاة سرا الى بلاد الجزيرة يدعون الاهلين للانتفاض على التعايشي ومبايعة الخليفة شريف

فاعلمنا التعايشي فاستدعاني وهو جالس في مقصـورته بالمسـجد وقال لما  
ذا امتنعت من حضور الصلاة مع رفيقيك فقلت له يا مولاي انك عيـنتني  
اميراً ولا ريب انك رايت في أهلية لان اكون مرشداً لمن وليتني عليهم فانا  
أقوم اليوم بتربيتهم وحضور الصلاة معهم فضحك وقال لذيـنك البقاريين  
اتركاه وبذلك خلعت من ربة ذلها وبت آمناً من وشائهما في اكثر أوقاتي  
ولله الحمد من قبل ومن بعد

ويوجد مئات من الناس قضوا اكثر ايام المهديـوية في مثل هذا الحال الذي  
وصفناه وكثير منهم فقدوا ثروة طائلة في سبيل استرضاء الموكليـن  
بحراستهم بمثل الطريقة التي تقدم الكلام عليها مما يدل على ان المقصود الحقيـقي  
من وضع الناس تحت المراقبة في الصلاة هو تسريب مافي جيوبهم من المال  
الى جيوب ضعفاء البقارة وكذلك أمر السجن فان السجناء واعوانه يتناولون  
من المسجونين أموالاً طائلة حتي أصبح السجناء ارباب أموال كثيرة

### ذكر انتقاض الخليفة شريف واولاد المهدي

الخليفة شريف ابن عم المهدي وثالث الخلفاء كما مر الالماع الى ذلك وهو  
الذي لقب ( بخليفة الكرار ) وكان قبل وفاة المهدي صاحب الخطوة عنده  
بالرغم عن تقدم التعايشي عليه

وقد ذكرنا انتقاضه على التعايشي بعد وفاة المهدي وكان للمهدي ثلاثة  
اولادهم الفاضل ومحمد والبشري وكانوا في سن الطفولية لما توفي أبوهم  
وفي أوائل سنة ١٣٠٧ زوج التعايشي محمد بن المهدي بنته واسكنه  
معه في داره فكان يظهر لها الكراهة والنفور لان التعايشي اضطهد اخوته



أعدت الرجاء عليهما حتى رضيا بثلاثة ارباع الريال ثم بنصفه وهكذا حتى صرت ادفع عن كل وقت قرشين

ولما اشتدت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كانا يقولان لي يظهر لنا انك في سعة من العيش فكنت أحلف لهم اني في نهاية الضنك وفقدان القوت وكنت في ذات يوم تناولت غذاء من اللحم وجئت المسجد فتجشيت فصاح بي هل تغذيت بلحم فقلت كلا فغضبا وشماني وقالوا لي انك لا تزال مصرا على الكفر وكلما اعتقدنا فيك حسن الاسلام يبدو منك ما يغير هذا الاعتقاد لانك تاكل اللحم وحدك فاجتهدت في نفي هذه التهمة عني وزدت لهما الراتب وبعد عناء شديد تحصلت على رضاها وصرت أمانع التجشي وانا جالس معهما

ومما يشبه هذه النادرة ان أحدهما قال لي يوما ان بنته مريضة وهي تشتهي السكر فقلت له اني ما ذقته منذ خرجت من الخرطوم لان المهدي أوصاني بالزهد في الدنيا والسكر ذو طعم حلو لا يليق بالزهاد تناوله فتمجبا من قولي وقالوا لي لا بد من احضار (عجل سكر) هكذا يسمون القمع من السكر فقلت لهما ان ثمنه مرتفع جداً ولا يمكنني دفعه وبعد اللتيا والتي تمكنت من إقناعهما بتركه وقلت في نفسي يكفيني تقديم الملابس لهما ومعلوم الاوقات فاذا فتحت باب السكر واللحم اكون قد جنيت على نفسي جناية ربما كانت مغبتها سيئة على

ومكثت على مثل هذه الاحوال من سنة ١٣٠٥ هجرية الي أوائل سنة ١٢٠٩ حيث تعينت اميراً كما مر ولما تعينت اميراً امتنعت من حضور الصلاة بجانب دينك البقاريين



الى منزلي الذي كنت لا أدرك فيه راحة اكثر من بضع ساعات حتى صرت في حالة يرثي لها من العذاب الاليم والحاجة الى الراحة فانفقت مع البقاريين الحارسين على ان أدفع لهما ريالين عن كل وقت أتخلف فيه عن حضور الصلاة فقبلا بعمد رجاء شديد وعدا ذلك أنهما كانا يذهبان معي الى منزلي ويتناولان معي الطعام ويكافاني بشراء ملابس لهما ولاولادهما ونسائهما بعد كل شهرين أو ثلاثة وفي بعض الاحيان يأخذني احدهما الى الحلي الذي تقيم فيه عشيرتهم فيجتمع حولي منهم نحو مائتي شخص أظل نهاري كله اكتب لهم الخطابات الى ذويهم في جهات مختلفة واقراء لهم الخطابات التي تأتيهم منهم وكلهم يدعونني (النوبي الذي دفعه الخليفة رقيقاً لهم)

وتصنع نساؤهم آنية من سعف (الدوم) محكمة الاطراف الى درجة ان الماء لا يقطر منها كانها من الاجسام الصلبة ويتخذها الناس أنيسة يشربون فيها الماء فكانا يأتياني ببضع أواني منها في الاسبوع ويكافاني ببيعها والويل ثم الويل لي اذا لم أجد من يشتريها فكنت أحملها واذهب الى معارفي واكفهم بشرائها وأعود بثمنها اليهما .

وفي ذات يوم قضيت نحو نصف النهار ولم أجد من يشتري تلك الآنية فعدت بها اليهما فاعتاظا وقال لي انك لا تزال كافراً يا منحوس وسنخبر الخليفة بذلك نجهد الدم في عروقي واسرعت الى حانوت أحد أصدقائي التجار وكان أوروبيا والدمع يسيل على خدي فاخبرته الخبر فاسرع باعطائي ثمن الاواني وأخذها لنفسه فعدت اليهما ودفعته لهما فقال لي الآن اسلمت .

وصرت بعد ذلك الح عليهما واكثر الاعتذار حتى صارا يقبلان ريالاً واحداً عن كل وقت من أوقات الصلاة أتخلف عن حضوري فيه ثم بعد بضعة شهور

## ذكر ملازمتي الصلوات في المسجد

قد تقدم اني لما فررت في أوائل سنة ١٣٠٥ عدت الى أم درمان بالكيفية التي مرّ الكلام عليها

وفي يوم عودتي الى أم درمان اسلمني التعاشي الى بقاري يقوم بحراستي في الصفوف التي خلف مقصورته ولما رأي ذلك البقاري قال (يا ولد الريف) لماذا أنت ضخم الجثة ولماذا وجهك أبيض مع أنك كافر فقلت هكذا خلقني الخالق فقال احمل سلاحي وسر خلفي خملت سلاحه وذهب معي الى منزلي وتناول طعام العشاء معي

وفي اليوم التالي بدأت بأداء الصلوات بجانب ذاك البقاري الذي انضم اليه آخر ليكونا معاً في حراستي فكانا ينعمانى من الخروج من المسجد ولو لقضاء حاجة الوضوء كما ينعمانى من أخذ الراحة فلا أجلس الا جأياً على ركبتي كما يجلس المصلى وقال لي يوماً (يا ولد الريف) اعلم أنك كافر وان الخليفة اسلمك الينا لنعلمك الصلاة والصوم وضيقا على حيث صرت لا أقدر على التخلف عن الصلاة بالمسجد وكان منزلي يبعد عن المسجد جهة الجنوب بنحو أربعة أميال فكنت أخرج من منزلي قبل طلوع الفجر بنحو ساعتين وبعد أداء الصلاة أجلس لقراءة (راتب المهدي) حتي ترتفع الشمس ثم أعود لصلاة الظهر قبل نهاية الساعة الثامنة من النهار على الحساب العربي لانهم انما يصلون الظهر في بداية الساعة التاسعة وبعد نحو ساعتين يصلون العصر وفي بعض الاحيان لا يصلون العصر الا قبل الغروب بنحو ساعة وصلاة المغرب في الغالب تكون بعد غروب الشمس بنحو ثلثي ساعة وبعد ذلك اذهب

كلمة تفرح في ندائه على بيع الترمس واستبدلها بقوله «خليها على الله» فأمسكوه  
ثانياً وجلدوه بعد ان قالوا له انك تقصد بهذه الجملة مقصدك الاول ومثل  
هذه العبارة كثير يعد بالالوف ومنها ان امام أحد المساجد في الجزيرة قال في  
خطبة الجمعة « اللهم حولّ حالنا الى أحسن منه » وجلدوه وغلزوه وقالوا له انك  
تقصد عودة الحكومة السابقة فقال لهم ماذا أقول فقالوا قبل ( اللهم أدم علينا  
هذا الحال » فالتزم ذلك

على ان كثيراً من المصريين تقدموا عند المهديين ونالوا وظائف كتابية  
وصناعية جمّة كانوا بواسطتها في رغد من العيش الا انهم كانوا عرضة للسخرية  
والازدراء من المامة حيث كانت ألوان بشرتهم بيضاء وكانوا ممنوعين من السفر  
الى الجهات الشمالية كيلا يفروا الى مصر حتى ان التعايشي كتب منشوراً باهدار  
دم أي مصري وجد في جهة ( خورشنبات ) شمالي بلدة أم درمان بسبعة  
أميال تقريباً

هذا وقد فاتني ان اذكر ان التعايشي لما مثلت بين يديه في هذه المقابلة  
قال يا فوزي ان النصاري كتبوا لنا في شأنك وهم على ما ظن يحبونك فقطعت  
عليه الكلام وقلت هم يحبونني لانني خدمتهم باخلاص فيما مضى واني أقسم  
بالله انني أخدمك باخلاص أشد مما خدمتهم به لانني اذا كنت خدمتهم  
بصدق وهم كفار فكيف لا أخدمك وأنت خليفة المهدي عليه السلام الذي  
هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وتمايل طرباً من هذا  
المدح وقال لي جزاك الله خيراً وبارك فيك أيها الرجل الصادق

هذا وقد فرحت بالامارة لانني رجوت بها خلاصاً من ربقة الموكلين  
بحراستي في المسجد الذين سيجيء ذكر ما قاسيته من عذابهم بضع مدة سنوات

وكان مع ما هو فيه من شدة التمسك بالمهدوية ذاتوية حسنة لقومه المصريين فكان يدافع عنهم عند التعاليشي الذي كان لا يرد له قولا وكثيراً ما دفع عنهم الضرر وبالجملة انه كان يريد منهم أن يتظاهروا بولاء المهدوية ليتمكنوا من داخلتها ويقبضوا على كثير من وظائفها التي لا يمكن لغيرهم القبض عليها وقد ذكرت فيما تقدم انه رأى ابني محمد ايمثل تدخين السجارة فسأله عن ذلك فأجابه بقوله هكذا يفعل أبي وأخيراً حذرني من اطلاع هذا الصبي على مثل هذا العمل ولم يصنع معي شيئاً يكدرني مع ان مثل هذه المسألة لو وقف عليها غيره جلبت علي ضرراً بليغاً

وعلى ذكر المصريين نذكر هنا حالتهم التي كانوا عليها في اسر المهدوية وهي لا تقل عن الحالة التي قاسيتها الا أن بعضهم نالوا وظائف كتابية في بيت المال وعند عمال الحراج ونال بعضهم وظائف صناعة البارود وتبئة الخرطوش وسائر الادوات الحربية وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم وفريق منهم وأكثرهم من الضباط وذوي المراتب السامية قبل الاسر احترقوا بمن تافهة وفتح كثير منهم حوانيت للاطعمة والخبز ومع ذلك كانوا كلهم في حالة الاضطهاد والتحقيق من جميع السودانيين ولم يكن لذلك من سبب سوى بياض بشرتهم الذي يدل على جنسيتهم

ومن الغرائب المضحكة ان رجلاً كان جاوisha مصرياً ثم صار يبيع « الترمس » وكان يرفع صوته في السوق ويقول ( تفرج ) فأمسكه حاكم السوق وقال له انك تقصد بكلمة « تفرج » عبادة حكم الترك وزوال المهدوية فتصل من هذا التأويل وحلف انه لا يقصده فأمر بجلده فجاءه مائة جلدة وفي أثناء الجلد كان يصيح بقوله « لا تفرج » لا تفرج ثم إنه ترك



طوبجيا مع يوسف منصور وأنتي عليهما وامتدح اخلاصهما للمهدوية وقال  
ياحبذا لو صار المصريون كلهم مثلهما في الاخلاص للمهدوية ثم التفت الى  
يمينه ويساره وقال مالي لأرى ابراهيم فوزي فأسرعت بتلبية ندائه وخرجت  
من الصفوف فقال لي يافوزي أما ترى الاخوين الصادقين المخلصين لنا يوسف  
منصور والسيد جمعه فهلا اقتديت بهما وفلت فعلهما ألم ترهما يقضيان أكثر  
الوقت في بابي ولا تترتاح نفوسهم الى غير رؤيتي فقلت يا مولاي اني أشد اخلاصا  
منهما ولكنك لا تقربني منك كما قربتهما فسكت وقال لقد أزممتي الحاجة ثم  
جلسنا وقد ماولنا أربع زكائب مملوءة تمرا ونثرناها أمامنا على الارض  
فصرنا نأخذ التمر من التراب ونأكله فقلت له يا سيدي أريد أن أحمل جزءا  
من التمر تبركا لآل بيتي فضحك وقال لي حمل كل منكم ما شاء

وبعد الاكل استدعاني أنا واسكندر بك وأعطاني راية لا كون أميراً على  
جميع المصريين الذين كانوا من جند الحكومة النظاميين ودفع الى اسكندر بك  
راية وجعله أميراً على جماعة ( الحلبة ) أي الرعاع الذين يقضون حياتهم رحالة  
وبحتر فون بالنسول بعضهم بالقردة وبعضهم بالدفوف ويتغنون على  
نغماتها ويضحكون الناس وهم المعروفون في مصر باسم ( غجر الشام ) ودفع  
الى رجل كردي الاصل اسمه ( حسن قره شولي ) راية وجعله أميراً على  
الذين كانوا من جند الحكومة الغير نظاميين ( باشبوزق ) وكان أيضاً  
للمصريين أمير آخر اسمه ( حسن حسين ) مصري الاصل كردفاني المولد  
والنشأة عنه المهدي أميراً على جميع ( المواليد ) وهم المصريون الذين ولدوا في  
انحاء السودان وكان حسن حسين هذا تقياً ورعاً صالحاً يتظاهر بالاخلاص  
للمهدوية ذا منزلة عليّة عند المهدي والتعالشي وسائر الامراء وموظفي المهديوية



في غير الجمعة فإذا صعد عليه احتشد الناس حوله فيبدأهم بقوله « السلام عليكم يا أصحاب المهدي » فيردون تحيته ثم يكلمهم بما شاء ويأمرهم بما يريد ويعظمهم ويحثهم على مواظبة الصلوات الخمس في المسجد  
وجملة القول ان التعاشي تغيرت عليه قلوب الناس وتبدل ولاؤهم له  
بنضاً وسرت روح الثورة في جميع انحاء البلاد وبتنا ننتظر انقلاباً نرجو  
من ورائه فرجاً

ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين امرأ  
قلت اني لما رجعت من قرية ( ولد الزاكي ) في البحر الابيض اثر  
هروبي الى ( شركيله ) ورجوعي منها أسلمني التعاشي الى بقارى يقوم  
بحراستي في المسجد وقد ظلت خمس سنوات في اسره وسيأتي بيان ما قاسيته  
في تلك السنوات حتى دخلت سنة ١٣٠٩ هجرية وحالة السودان على الصفة  
التي بناها

وفي عصر أحد الايام سمعنا منادياً يقول ان الخليفة يدعو جميع أولاد  
الريف ( المصريين ) الى الاجتماع ضحوة الغد في ساحة دار أخيه يعقوب قفزنا  
من هذا الخبر وبتنا بليلة طويلة نتوقع في غداتها سواً يصيبنا وذلك ان التعاشي  
عودنا انه لا يدعونا الا لامر نكرهه وتقدم بيان بعض دعواته فيما مضى  
وفي ضحوة الغد اجتمعنا في منزل أخيه يعقوب وكنت جالسا خلف  
المحتشدين من المصريين وكانوا زهاء خمسة آلاف رجل وبعد هنية جاء  
التعاشي فوقفنا اجلالاً له ورفعنا أصواتنا بكلمتي الشهادة فسلم على يوسف  
منصور رئيس الطوبجية المهديوية والسيد جمعه الذي كان مدير الفاشر ثم صار

وأما التمايشي فلا يوجد في بلاده الا النمل العربية فكان في بداية أمره لا يلبس غيرها وقد رأيت بعيني شقوق قدميه التي تكاد تخفى الحشرات الصغيرة فيها كل هذا ذهب وأصبح في خبر كان وصار يلبس الاحذية الشرقية والحف

وكان المهدي قد حذر من سكني القصور وبالع في ذلك حتى ألزم الذين يشيدون المنازل باللبس الننيء ان لا يتجاوزوا في ارتفاعها أكثر من ذراع أو ذراعين وكان التمايشي شديد البغض لمن يرى داره مرتفعة عن هذا الحد وكثيراً ما أمر بهدم بعض المنازل التي يزيد ارتفاعها عن ذلك

هذا ما يعامل به الناس أما هو فقد شاد داراً واسعة شرقي الجامع واحاطها بسور من اللبن المحروق ورفع بناءها حتى كانت يخالها الانسان حصناً أو معقلاً وشاد قصرًا فيما يلي جدار المسجد وجعل نوافذه مطلة عليه وعلى ساحة الاستعراض « العرضة » الواقعة غربي المسجد ومنع الناس ان يقولوا انه « قصر » وكان القضاة يزرون من يقول ذلك وقال التمايشي للناس انه ما شيده ليسكن فيه بل ليصعد عليه في كل غداة جمعة لينظر الى ساحة استعراض المقاتلة وأطلق عليه اسم « كشافة العرضة » مع ان نوافذ القصر كما قلنا مطلة على المسجد والناس يرون باعينهم المصاييح فيه وروائح العطر تفوح من نوافذه ولا يجسر أحد على القول بان التمايشي ساكن في ذلك القصر وهدم حمام سراي الحكمدارية ونقل انتاقضه وأدواته من الخرطوم الى أم درمان وشاد بها حماما في داره يستحم فيه ونقل منبر مسجد الخرطوم ووضع في مسجد أم درمان وشاد فونه بناء شاهقاً واحاطه بمقصورة من قضبان الحديد وخصصه للخطابة

منها منذ عصر يوم الاحد ويصبح منقطعاً عن كل عمل كما يفعل اليهود في السبت  
ومكث على ذلك زهاء سنة ثم انه ذهب يوم الثلاثاء الى النهر للاستحمام فاختطفته  
الامواج وكان لا يحسن السباحة فانتشل بعد أن أشرف على الهلاك فخرج  
من النهر وهو يقول اللهم لا اعتراض على حكمك في يوم الاثنين عذبتنا بالقتل  
والنهب وفي يوم الثلاثاء عذبتنا بالفرق فتشاءم من يوم الثلاثاء أيضاً وصار يمتكف  
من عصر الاحد فلا يخرج الا صبيحة الاربعاء وبعد أشهر مضت وهو على  
هذه الحال دخل عليه في داره جماعة من الدراويش وأوسعوه ضرباً بدعوي انه  
يستعمل الدخان وبعد اللتيا والتي خلص منهم فقال اللهم ارفع غضبك عنا في  
يوم الاثنين عذبتنا بكذا وفي يوم الثلاثاء بكذا وفي يوم الاربعاء بالضرب  
بالسياط وتشاءم أيضاً من يوم الاربعاء وصار لا يخرج من داره الا في صبيحة  
يوم الخميس ثم توفي بعد ذلك رحمة الله عليه

هذا وقد انهمك التعايشي وبطالته في الترف اكثر من ذي قبل  
وصار في حالة من السمن بحيث يكاد الذي رآه حين افضاء الملك اليه  
أن لا يعرفه وقد تقدم لنا انه كان نحيف الجسم مشوه الحلقة بآثار الجدري  
التي تركت في وجهه كهوفا صغيرة زادت في شناعة منظره أما في سنة ١٣٠٨  
فقد محيت آثار تلك الكهوف من وجهه فصار مستديراً بعد ان كان قبيحاً  
مستطيلاً وصارت عيناه كأنهما عينا لث يظنهما الرأى مصابتين برمد لشدة  
احمرار بياضهما

وقد فعل التعايشي أشياء كثيرة تخالف ما كان المهدي ينهي عنه ويحذر من  
استعماله بل كان يرمي مستعملها بالمروق من جادة الحق وآداب الدين  
فقد كان المهدي يلبس حذاءً شرقياً ويلبس نعلاً عربياً سبق لنا تعريفها

التعاشي والله أعلم بالحقيقة

وقد حدث في خلال السبع سنوات التي مضت على ولاية التعاشي كثير من الحوادث التي لو أوردناها لضاق بنا المقام وأخصها مصادرة أموال كثير من الأغنياء لأسباب تافهة ان لم نقل انها مختلفة يقصد بها الحصول على أموال الناس

وقد حور التعاشي أكثر الاحكام التي وضعها المهدي في الحدود منها أن المهدي لما كان في جبال قدير أصدر منشوراً بشأن الدخان قال فيه ما يأتي « من استعمل الدخان مضغاً في الفم أو حرقاً بالنار أو وضعاً في الأنف يجلد سبعا وعشرين جلدة بالسياط »

ثم بعد استيلائه على كردفان أصدر منشوراً آخر جعل فيه العقوبة ثمانين جلدة وحبس سبع ليال وبمشل هذه العقوبة يعاقب شارب الخمر ولما ولي التعاشي قال للناس وهو على منبر الخطابة (من وجد في بيته ربع درهم من الدخان يجلد ثمانين جلدة وبؤخذ جميع ماله غنيمته للمسلمين) وذلك بخالف لما قاله المهدي وليست مخالفته من جهة العقوبة فقط بل ومن جهة أن المهدي اشترط ثبوت استعماله بالأوجه التي أوردناها وامتلات البلاد بالجواسيس الذين يهجمون على المنازل لضبط الدخان مع أنهم يحملونه معهم ويدعون أنهم ضبطوه في المنزل ليتدبروا إلى مصادرة أموال أولى اليسار ولهم في ذلك حكايات يطول شرحها

ونقل لي ثقة مارايت إرادته تفككة للقاري، وذلك أن أحد أهل العلم من أهالي الخرطوم فقد كل ما يملكه وقتل كثير من ذوى قرابته فصار في حالة تقرب من حالة الجنون. ومن نكاته المضحكة أنه كان يتشامم من يوم الاثنين الذي كان فيه سقط الخرطوم فكان يعتكف في داره لا يخرج



لانزال نصاري فأرجوك أن تترك هذه الدعوى وتدعي غيرها كما يدعي المسلمون فاتهرها وقال لها اذهبي فقالت له انتظر الموت لان أصحاب الدعاوي الملائمة لاذواق المسلمين يقتلون ويسجنون فكيف بمن يدعي مثل دعواك التي تدل على انه نصراني ثم هرع أقاربه اليه وحملوه الى داره فمات بعد أيام يسيرة

والحاصل ان اهل البلاد صاروا في حالة غريبة وجل الناس تغيرت عقيدتهم في المهدوية وتبدلت أميالهم نحوها بالنفور عنها ولم يعد التعايشي يثق بأحد من الاهالي غير أقاربه البقارة ولذا جمع ألوفاً من العبيد (الجهادية) وسلحهم بالاسلحة النارية

وقد نفي الى خبر حادثة لأري بأسا بايرادها وان كنت لأجزم بصحتها وهي أن رجلاً من التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ذكر قتله استأذن على التعايشي فأذن له ولمن معه وكانوا زهاء عشرين رجلاً وبعد ان أخذ الحراس مامعهم من السلاح دخلوا عليه وأجمعوه ضرباً ( ولم يشعر بذلك غلمانه لبعدهم عن غرفة جلوسه التي لا يؤذن لهم في الدنومنها الا اذا استدعي واحدا منهم ) حتى أغشي عليه ثم تركوه وانصرفوا وكانت هذه النادرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ وفي الغد قبض على الرجل والذين كانوا معه ونفوا الى خط الاستواء واشتد مرض التعايشي حتي أرجف الناس بموته ومكث مريضاً الى العشر الاولي من شهر ذي الحجة . وقد تضاربت أقوال الناس في اسباب نفي أولئك الرجال فمنهم من يرى ان السبب فيه هذه الحادثة ومنهم من يقول ان التعايشي أسر اليهم كلاماً فافشوه في ليلتهم فقبض عليهم في الغد والذين رووا الحكاية الاولي يخالفونهم ويؤيدون قولهم بمرض



من ثقل وطأة مظالمهم ويتأففون من سوء سيرهم ولكن بقيت في قلوب  
الاهلين بقية من الاعتقاد بمهدوية المهدي وكانوا يلقون تبعة المظالم كلها على عاتق  
التعايشي ويسمون في الخلاص من ظلمه بمبايعة أحد الخليفين على حلو ومحمد  
شريف الا أن آمالهم في هذا الأخير كانت أوثق منها في ذاك نظراً لقربته من  
المهدي ولأن ذاك كان له بمض حظ في دولة التعايشي

ومن المضحكات ان الناس لفرط ما أصابهم من ظلم التعايشي قام كثير  
منهم وكل يزعم أنه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يرومون  
بذلك الوصول الى سلب الملك من التعايشي اذ ظهور المسيح يعقب المهدي فكان  
لا يمر يوم الا ويظهر فيه كثير منهم عدا الذي ذكرنا خبره في (القلابات)  
ولقد قام رجل مصري من أهالي الخرطوم اسمه ( خليل جامع ) مدعياً  
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة عثمان بن عفان عليه  
سحائب الرضوان وأمره بتوزيع مافي بيت المال من الاموال فقبض عليه  
وسيق الى التعايشي الذي كان يعرفه حيث كان متزوجاً بنت عمه فقال له  
يا خليل ماهذا الذي تدعيه فأنهره وقال له هذا أمر جاءني من الله ورسوله  
وأنت لا تجهله فقال التعايشي انه مجنون وان الجاني الذي مسه ماكن في بيت  
المال فاذهبوا به الى سجن بيت المال فكث فيه بضع سنوات ثم أطلق سبيله  
واستمر على حالة جنونه

وكان بجوار بيت المال قبطي اسمه ( محروس ) يسكن مع قريبة له  
اسمها ( مصطفىة ) وكلاهما من أهالي الخرطوم أصيب ذلك الرجل بجمحة فصعد  
علي رابية عالية وخطب في الناس قائلاً انه ( ماري جرجس ) فدنت منه  
قريبته المذكورة وقالت له يا محروس انك بدعواك هذه تلمصق بنا تهمة أننا

الجماعة فاقدة تسعة اعشار سكانها وأصبحت البلاد قاعا صفصفا وكأن التعاشي  
انما رضى بتلك النتيجة لانه بها أمسي آمنا على ملائكة من ثورة الاهالي عليه  
وأخذ في توزيع أقاربه البقارة واسكانهم في المقاطعات الحصيبة

أما بلاد كردفان فانها لم تصب بالجماعة في الستين الماضيتين لان الامطار  
هطلت فيها غزيرة ولكن التعاشي أرسل لها نحو اثني عشر ألف فارس  
انتشروا في البلاد انتشار الجراد فالتهموا محاصيلها في أشهر قليلة وما جاء آخر  
سنة ١٣٠٧ حتي تصاعدت أسعار الاقوات ودخلت سنة ١٣٠٨ والجماعة فاشية  
في اقليم كردفان وانحبس المطر عنها وهلك من هلك من السكان وفر باقيهم  
ولجؤا الى الجبال

ويرى الذين وقفوا على الحوادث السودانية منذ بدايتها ان المهدوية  
تلاشى أمرها منذ سنة ١٣٠٦ ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وانهمزمت جيوشها  
في أكثر الجهات ففي سنة ١٣٠٦ قتل ابن النجومي في حدود مصر وسيأتي  
ان الايطاليين هزموا الدراويش شر هزيمة قبل أن يحتلوا كسلة في واقعة  
(غردت) ثم أخذت في التلاشي والهبوط

ومن الحقائق التي لامرأ فيها ان الحكومة المصرية لو قصدت فتح  
السودان في سنة ١٣٠٦ أو ما بعدها لقدرت على الاستيلاء عليه بغير عناء يذكر  
بالنسبة لما صادفته في طريق فتحه فقد أرسل اليها في سنة ١٣٠٦ أكثر الامراء  
المرابطين في دنقلة يرضون خضوعهم لها ويسألونها العفو عن جرائمهم

أما التعاشي وقومه البقارة فقد انغمسوا في الترف وتغنموا بالملاذ وبذلك  
فقدوا ما كان فيهم من صفات الشجاعة والبدادة ومع ذلك فقد كان  
لا يوجد بين الاهلين خمسة في المائة يخلصون لهم الولاء بل كان الكل يثنون

هذا ما وقع لاهالي ( قري وادي شعير ) ولم توجد في بلاد السودان  
كلها قرية لم يقع لها مثل ما وقع لهاته القري وانما أوردنا جادثها مثالا يقاس  
عليه ما حاق ببقية القري لضيق المقام عن استيعابه

وكان من العوائد المألوفة عند الدراويش انهم اذا سافروا من بلد الى خري  
لا يحملون زاداً ولا ميرة بل يذبحون ما يصادفهم في طريقهم من الماشية  
ويدخلون منازل السكان يأخذون ما يجدونه فيها من الاغذية يأخذون  
الحبوب لعلف دوابهم وينزل القواد في منازل الاكابر فيقدمون لهم الاغذية  
الفخرة وليتهم يقفون عند ذلك بل لا بد من دفع الرشا لهم فاذا تناولوا المال  
وأكلوا ماشاؤا من الاطعمة ورحلوا عن القرية أو البلد بدون أن ينتحلوا لها  
أسبابا يستحلون بها أخذ المال وسبي النساء عند ذلك من أكبر النعم على أهل  
تلك القرية وفي غالب الاحوال تكون نجاتهم هذه لاسباب منها ان لا تكون نساؤهم  
جميلات وأن لا تكون أموا لهم الا قدر ما يقوم ببعض ضرورياتهم أما اذا كانت  
النساء حسانا والمال زائدا عن الضروريات فلا بد لهم من يوم يذوقون فيه  
العذاب الاليم

ونقل اليّ واحد من المصريين سافر مع احدى السرايا الى جهة النيل  
الابيض وكان الدراويش زهاء أثنى مقاتل أنهم بعد ان غادروا أم درمان بمائة  
ميل ذبحوا مائة وخمسين رأسا من البقر ومائتي رأس من الغنم وهكذا كان  
فعلهم بالماشية التي تقابلهم في الطريق أما الغلال فكانوا لا يأخذون منها غير كفايتهم  
وفي ذات يوم وصلوا الى أحد الاسواق وفيه أجران النلة فنهبوها وكانت  
نحو ثلاثة آلاف أردب

وجملة القول ان بلاد السودان في أوائل سنة ١٣٠٨ أصبحت بسبب

عدا المجاعة التي عمت السودان كله

ونحن لم نذكر تفاصيل ما أصاب القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى لعلنا ان ذلك يستغرق مجلدين ضخمين لا يقل حجمهما عن حجم كتابنا هذا ولكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله. وهانحن موردون لك نرا من تلك المظالم ليكون لك دليلا على ما أصاب السودان ونبدأ بذكر حادثة « قري وادي شعير » فنقول

هذه القرى واقعة في جنوب شرقي الخرطوم بمسيرة بضع مراحل وتبعد عن النيل الازرق بنحو عشرة أميال وأرضها خصبة تجود بمحاصيل وافرة من الذرة والقطن ذهب اليها جماعة من الدراويش لجباية الضرائب ثم دخلوا احدى القرى ومدوا أيديهم الى الماشية فذبحوا منها ما زاد على كفايتهم ثم نهبوا الاغذية من داخل البيوت فلم يعترضهم السكان ولا حركوا ساكناً لمنعهم بل تركوهم وشأنهم فمدوا بعد ذلك أيديهم الى النساء وعبثوا بهن فهبّ الاهلون حينئذ ووقفوا في وجوههم وقفة المدافع عن عرضه الذاب عن حريمه فلم يثن الدراويش عن الاعتداء ولجوا في الطغيان وضربوا الاهلين بالاسلحة فسقط منهم قتلى وجرح منهم كثيرون ونشبت الحرب بين الفريقين وسالت الدماء واستصرخ أهالي القرى بعضهم وتألّبوا على قتال الدراويش الذين فروا أمامهم مدحورين حتي بلغوا ضفة النهر وهناك بعثوا يخبرون التعايشي فأرسل خمسة من النواب توجهوا الي محل الواقعة وعادوا فاخبروه بما وقفوا عليه فأصدر أمره بمصادرة أموال سكان تلك القرى وأخذ نساءهم مسبيات لانهم كفار حاربوا دراويش المهدي ولم يرضخوا لكل ما يأتونه من المنكرات



وحيداً إلا بسبب فظاظته وسوء سيره

وكان عثمان دقنه مدركاً لما أحقق به من الخطر بسبب غضب التمايشي الذي لا يطفؤه غير الرشا التي تدفع لآخيه يعقوب

ويحسن أن أورد هنا قصة تحققت ثقة راويها وهي أن عثمان دقنه كان قد خبأ قدراً عظيماً من المال في أحد الجبال القريبة من كسلة فخرج في سيره إلى كسلة على ذلك الجبل وأخذ نحو مائتي ألف ريال وزرع منها خمسين ألفاً على من كان معه من الأعوان وحمل الباقي معه إلى أم درمان حيث بلغها في أواخر شهر ذي القعدة فدفع منه مائة ألف ريال ليعقوب أخى التمايشي الذي توسط له عند أخيه فصنع عنه. وفي أواخر شهر ذي الحجة أمر التمايشي عثمان دقنه أن يذهب إلى جهة (دارامه) على نهر اتبره بين بربر وكسلة وأن يجتهد هو وجنوده في زراعة الذرة ليحصلوا على قوتهم منها ودفع لهم نحو مائة رأس من البقر والغنم ليقتاتوا من نتاجها فمادر عثمان دقنه أم درمان وعسكر في (دارامه) وأخذ ينير على أطراف سواكن للسلب والنهب ولم تعد له أهمية تذكر

### حالة السودان بعد ذلك على الأجمال

ظهر لك مما تقدم كيف استبد التمايشي بالملك وكيف قدر على التغلب على من ناوأه وكيف أرهق البلاد بمظالم تنوء بحملها الجبال وقد ذكرنا ما حاق ببعض القبائل الكبيرة من الهلاك والدمار ولا يظن القاري أن القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى قد سلمت من ضرر هذا السيل الجارف فانها نالت نصيباً من الحيف لا يقل عما نالته القبائل الكبيرة



فصدتهم المقدوفات وولوا منهزمين لابلون على شيء وكان عثمان واقفاً وراء مقاتلتهم بعيداً عنهم بمسافة ألفي متر

وبعد الهزيمة احتملوا ماخف من امتعتهم ونساءهم وقصدوا كسلة وتحلف عن مرافقتهم عدد كبير من المصريين ولم تقدم القوة الى طوكر وخاف المصريون ان يكر عليهم عثمان في الليل فحملوا الاسلحة واستمدوا لدفعه عنهم حتي تبليج الصباح وسار أحد أسرى المصريين الي معسكر الجنود المصرية واخبر القائد بفرار عثمان دقته وتحلف المصريين عن مرافقته وانه ودراويشه حملوا متاعهم ونساءهم وغادروا طوكر قاصدين كسلة منذ صباح أمس ولم يبق في طوكر غير المصريين الذين كانوا مأسورين فتقدمت الحامية واحتلت طوكر ومن العجب ان الجنود مدوا أيديهم وسلموا ممتلكات المصريين وعاثوا في أعراضهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

### شان عثمان دقنة بعد ذلك

لما انهزم عثمان دقنة من طوكر سار فيمن بقي معه من المقاتلة خائفين مذعورين يتبعون عن الفجاج التي تقرب من العمران ويختفون في الغابات خشية أن تشعر بهم قبائل الاعراب النازلة بين تلك الغابات والجبال وجعلوا وجهة سيرهم كسلة فهلكت دوابهم ومات اكثر الضعفاء من الاطفال والنساء ونفذت أقواتهم حتى صاروا يقتاتون بورق الشجر وكان سيرهم بطيئاً لما هم فيه من الجوع وفقدان الدواب والخوف من الاعداء

ولما وصلت أنباء هزيمتهم الى التعايشي أظهر غضبه على عثمان دقنة ونسب اليه سوء التصرف في الامور وان أنصاره ما انفضوا من حوله وتركوه

قليل الأدب يضيق صدري من وقاحته وأخشي أن تفرط مني كلمة تغير  
خاطره ولو تغيراً خفيفاً فاكون قد أسأت والده أستاذي الشيخ الطاهر  
الذي أجله وأحبه أكثر من حبي لنفسه وأفديه بأبويّ وانه كما علمت أهدي  
إليّ الامارة وبوأني منصّبها واني أطالب من الله أن أخرج من الدنيا  
وتكون حياتي ومالي فداء لشرائك نعل أي أحد من عترة أستاذي الشيخ  
الطاهر رحمة الله عليه. وأما خوفي من الخليفة التعايشي (وعندئذ تنهد عثمان  
وخنقته العبارة وقال يضيق صدري ولا ينطلق لساني) فاني أخاف ان أنا  
خالفته ان يقبض عليّ وينفيني الي خط الاستواء (ثم سكّت طويلاً) فقال  
واقسم لك على كتاب الله انني لأأهاب الموت ولست جباناً ولكنني أتق  
شهامة الأعداء

ومن هذا الحديث يفهم القاريء ماوصلت اليه حالة عثمان دقنه من  
الارتباك في أيامه الأخيرة

ولما دخلت سنة ١٣٠٨ منعت الحكومة خروج الاقوات من سواكن  
فتصاعدت الاسعار ثم عز وجود المؤنة في معسكر طوكر فقر من المعسكر  
كل من قدر على الفرار من المقاتلة وتجهز عثمان فيمن بقى معه منهم للغزوي  
يحصلوا من النهب مايقوم بحاجتهم من القوت فاوغل في وسط الجبال ونازل  
الاعراب الموالين للحكومة ففاجأه نبأ احتلال الجنود المصرية هندوب فاسرع  
الاربة الي طوكر فبلغها قبل ان تهاجمها الجنود ببضع ليال

وفي أواخر شهر رجب سنة ١٣٠٨ هاجم هو لدسميث باشا طوكر  
ببضعة طواير من الجيش المصري فخرج عثمان دقنه للقائه في ببضعة آلاف  
مقاتل وانتشبت الحرب بين الفريقين وحاول الدراويش اقتحام المربع

الاماع اليها وفر أكثر هؤلاء المقاتلة ولحقوا بديارهم في الحرطوم لانه كان لا يعطيهم ما يقوم بجوائجهم الضرورية

ويظن كثير من الناس ان عثمان دقنه قد ندم في أخريات أيامه على ما فرط منه من متابعة المهدوية لما شاهده من أعمال التعاشي التي تخالف أعمال المهدى على خط مستقيم ولكنه كان لا يأمن جانب الحكومة بعد ان أتى ما آناه معها

ولقد حكى لي أحد القواد الذين كانوا معه انه سامر في خلوة وقال له ان الحكومة تدعوني الى الطاعة وتعني بكل خير ان أنا خضعت لها فماذا تظنها تفعل بي اذا أسلمت نفسي لها فقال القائد وقد ظنه يختبر ما يضره لا تأمن جانب الكفار فاني أرى انهم اذا تمكّنوا منك سجنوك وجعلوا غذاءك القلة تمضغها كما تمضغ الخيل الملوقة وربما فتقوا عينيّك وتركوك في قعر السجن فاربّد وجه عثمان وقال له ما قلت الا حقاً

وحكى آخر ما يفهم منه ان عثمان دقنه أدرك خشونة مركبه وانه صار بلا سند في السودان الشرقى ولذا أصبح في حاجة للاستمرار على ولاء التعاشي الذي كان يبغضه في السر وينسب الى سوء ادارته ومظالمه خراب السودان وأنه قال يوماً لبعض خاصته ما يأتي

أحلف بكتاب الله هذا ( ووضع يده على المصحف الشريف ) أتى لأخاف الا من ثلاثة فقال جليسه ومن هؤلاء الثلاثة فقال هم الخالق عز وجل والمجذوب بن أستاذي الشيخ الطاهر والخليفة التعاشي فقال له لم أفهم قصدك وأرجو أن تفصح لي عن مرادك فأجابه عثمان اني أخشى الله تعالى لانه قادر على خذلاني في الدنيا وعذابي في الآخرة وأما خوفي من المجذوب فلانه رجل

حالة بدواة تكاد تكون قريبة من حالة الشملك التي تقدم لنا وصفها  
فاجتذب عثمان بمذوبة الفاظه وبلاغة كلامه أفئدتهم للإسلام حتى تمكن  
الايمن من قلوبهم وحكى لنا اكثر من واحد أنه جمع ذات ليلة نساء  
(المهندوه) ووعظهن حاثا لهن على الصدقة وانفاق المال في سبيل الله فما  
منهن واحدة الا ونزعت ما عليها من حلى ومصاغ وألقته بين يديه فاجتمع  
من هذه الصدقات مقدار وافر من الذهب والفضة وبلغ من حماس أولئك النسوة  
انهن كن يرافقن أزواجهن في الغزوات يحملن الماء والزاد لهناء المقاتلين  
ويجهزن على الجروحين بما يحملنه في أيديهن من السلاح حتي صرن يمثلن  
باشلاء القتلى تمثيلا شنيعا وقد تقدم لنا ذكر ذلك

والحاصل ان عثمان دقنة نال حظوة في السودان الشرقي كانت كافلة له  
أن يبقى بمد مودته في مركزه ولو كره ذلك التعايشي الذي كان  
يمجز عن مناوآته ولكنه ما لبث أن انفض الناس من حوله وجاهروه  
بالعداوة ولا غرو فان الظلم مرتعه وخيم

هذا وقد أمد التعايشي عثمان دقنه بالجيوش الجرارة بقصد ارغام الاهالي  
على الطاعة فلم تقرن أعماله بالنجاح ولو فرض أنه نجح في اخضاع الناس فلا  
يكون خضوعهم الا مداراة حيث كانت القلوب منصرفة عنه كما بات التعايشي  
في أخريات أيامه تداريه الالسننة والقلوب تتربص به الدوائر لتتخلص  
من وطأة ظلمه الذي أرهقهم به

وأصبح عثمان دقنه اثر ذلك فريداً لا أنصار له من أهالي البلاد وكان جنده  
عبارة عن المقاتلة التي أمدته التعايشي بهم وجلهم من مقاتلة أبي قرجة الذين  
بفضوه ونفروا عنه لما كان بينه وبين قائد هم أبي قرجة من المنافسة التي تقدم لنا



يضرب به هام رجال الحكومة

وذلك انك ترى فيما كتبناه عنه في ما تقدم من هذا الكتاب أنه أحرز شهرة تكاد تضارع شهرة المهدي نفسه لأنه قام بدعوة قبائل السودان الشرقي بالصفة التي تقدم ايرادها وكان في بداية أمره يتذرع بنفوذ استاذ الطاهر المجذوب ولكنه مع هذا النفوذ أظهر سياسة تكيفت بالتفاف القبائل حوله واستيلائه على قلوبهم حتى بلغ من أمره انه لو قال لهم خوضوا البحر الأحمر حتي تبلغوا الهند لبوا الى ذلك مسرعين

وتوجد مشابة بين المهدي وعثمان دقنة وذلك أن المهدي عرف كيف يتمكن من التأثير على أهالي السودان بما يفتره من الدعاوي الطويلة العريضة وهي مهارة لا يتردد أحد في ان متوخيها عرف ان لا سبيل للتأثير على الامم الا من الجملة التي تميل اليها

وكان عثمان دقنة يتأثر المهدي الذي كان ذا طلاقة في اللسان وتصرف في البيان يقدر معه على التعبير عما يكنه فؤاده بجمل عامية يفهمها الجهلاء ويمثلون بخمرة بلاغتها من حيث تأديتها المعنى المقصود بالفاظ عامية توافق أذواق السامعين سيما أهالي السودان الشرقي الذين لا يتكلمون باللغة العربية بل لغتهم أعجمية همجية وكان من المحال ان يبلغ المهدي غايته من التأثير عليهم فقام فيهم عثمان مقام المهدي وعرف طريقة استمالهم بما أوتي من البراعة في لغتهم حتى انه كان اذا قام فيهم واعظا أو خطيباً يؤثر عليهم تأثيرا يجعلهم له أطوع من بنانه

وكان يقرأ عليهم آيات القرآن الشريف ويعقبها بتفسير معانيها. على ان أهالي السودان الشرقي كانوا لا يعرفون من الاسلام الا اسمه وكانوا في



في هندوب ثم تعود تلك القوة الى سواكن حيث تبحر منها الى ثغر ( ترينكيتات )  
ومنه الى طوكر براً

وبعد ليلتين مضتا على وصول هذا النبا جاء الى التعايشي خبر من هندوب ان  
ثلاثة طوابير زحفت من سواكن على هندوب فباغت الدراويش عند شروق  
الشمس وكان شيخ ( أمارار ) ومن معه من قومه كانوا على علم بهذه المباغثة  
فامتطوا دوابهم ولم يبدوا أقل مقاومة وولوا مدبرين من وجه الحامية  
المصرية التي كانت سائرة الى المعسكر بسكينة وانتظام كأنها داخلة الى  
احدي ثكناتها العسكرية ونجا رجال ( أمارار ) ووقع في أسر الحكومة بعض  
اعراب من الذين يجهلون ما بين الحكومة وشيخ أمارار الذي قيل إن مآتاه  
أخوه احمد محمود كان بايعاز من حكومة سواكن وان ما قدمه ليعقوب أخى  
التعايشي من المال كان من مصروفاتها السرية

ويدل على ذلك انهم بعد هزيمتهم من هندوب عادوا الى سواكن من  
طريق آخر فقبولوا بالاكرام واجريت عليهم المرتبات وبلغني أن موت أحمد  
محمود لم يكن الا من سم دسه له التعايشي في الدسم  
والحاصل ان قبائل السودان الشرقي التي كانت موالية لعثمان دقنة  
على الحكومة رجعت بالعداء عليه وصارت مع الحكومة عليه

### ذكر هزيمة عثمان دقنة من طوكر

ان من يتأمل في الحالة الاولى التي كان عليها عثمان دقنة في اوائل دعوته  
للمهدوية وما كان يصادفه في خطواته كلها من النجاح والظفر ثم ما آل اليه  
أمره من الفشل والهزيمة يرى انه قضى على نفوذه بنفس السلاح الذي كان

الموالين للحكومة وسنعود الى ذكر بقية أخباره وهزيمته في طوكر

ذكر هزيمة الدراويش من هندوب وأخباراً مآراً  
أما راسم لقبيلة في ارباض سواكن وهي قبيلة رحالة ماشيتها من الابل  
والنعم ولقتها أعجمية مثل سائر سكان السودان الشرقى وكانت هاته القبيلة  
أول من خلع طاعة الحكومة وظاهر عثمان دقنة عليها وزعيمها أحمد بن محمود  
كان اكبر انصار المهديوية في أوائل الدعوة اليها ولم يكن لذلك من سبب سوى  
انه كان من مریدی الشيخ الطاهر المجذوب استاذ عثمان دقنة

ثم مالبث طويلاً حتى مج عثمان دقنة وبغضه بسبب ما رهنق به (أما راسم)  
قبيلته من المظالم والمغارم واشتد الخصام بينهما فتحفز عثمان دقنة للوثبة على  
على احمد محمود شيخ أمارار والبطش به فقر ولجأ الى حكومة سواكن ثم فر منها  
ولحق بالتعايشي بام درمان وقدم مالا طائلاً الى يعقوب اخي التعايشي وسأله  
ان يكون وسيطاً له عند اخيه ليكتب له بالامارة على قومه على أن لا تلزمه  
طاعة عثمان دقنة فأجاب التعايشي طلبه وكتب له بالامارة على قومه وان  
يحمل معسكره في هندوب وفوض اليه أخذ العشور من التجار الذين  
يخرجون ببضائعهم من سواكن فغادر أحمد محمود أم درمان آيأ الى سواكن  
في أواخر سنة ١٣٠٧ فتوفي في أحد المناهل التي بين بربر وسواكن وكتب  
التعايشي الى أحد اخوته بان ينوب عنه في عمله

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٨ ارسل أحد جواسيس التعايشي في أصوان  
عدداً من اخدي الجرائد المصرية فيه أن عدة طواير من الجيش المصري  
ستبصر من السوييس الى سواكن لتأليف قوة حربية تهجم معسكر الدراويش

وعقب واقعة المتاريس تقهقر عثمان دقنة الى طوكر وعسكر بها وكانت  
 الحجة وقتئذ ضاربة اطنابها في انحاء السودان كله خلا طوكر فان الاقوات كانت  
 تجلب اليها من سواكن ومكث عثمان دقنة في طوكر بقية سنة ١٣٠٦ يوالى  
 الفسار على الاعراب الذين انحازوا الى الحكومة وشقوا عصا الطاعة  
 عليه لاشتداد وطأته عليهم حيث زاد المكوس زيادة فاحشة وصار  
 يقتل منهم في كل يوم عشرات فكانوا يهرعون الى الخليفة متظلمين منه فلا  
 يجدون لديه مايشفى غليهم وكثيراً ماأمسك المتظلمين وجلدتهم بالسياط  
 حتى أنه جلد واحداً منهم الفا وخمسمائة جلدة بسياط قد وضعت فيها حلقات  
 من الاسلاك الحديدية حتى مات

ولما علم الاهلون ان لانصاف من عثمان دقنة ولا راحة من مظالمه  
 قلبوا للمهدوية ظهر المجن ووالوا الحكومة وحالفوها على حربه فوزعت  
 عليهم الاسلحة النارية ومن ثم اشتغل عثمان دقنة بالفارة عليهم وكان في اكثرها  
 يرجع مدحوراً متكبداً خسائر جمة

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدمه التمايشى الى ام درمان عن طريق بربر  
 ثم اذن له في العودة عن طريق القضارف فكسلة فطوكر واعطاه أمراً الى  
 جميع الامراء ان لايعترضوا من رغب من الناس في مصاحبته

ولما وصل القضارف تبعه أناس كثيرون من أهلها فارين من الحجة  
 التي أناخت عليهم بكلكلها ومنهم كثير من اسري المصريين الذين كانوا في كسلة  
 ثم لما وصل الى كسلة تبعه كثير من المصريين أيضاً ولحقوا بطوكر فرارا من  
 الحجة أيضاً كمن تقدمهم

ووصل عثمان دقنة الى طوكر وجعل همه الفسار على الاعراب

اقتربت متاريسه من الاسوار وصارت على بعد خمسمائة ( برده ) فقط  
وعين عثمان دقنه رجلاً دنقلياً اسمه عثمان النائب قائداً للمقاتلة الذين  
في المتاريس الامامية ووالوا اطلاق النيران على سواكن حتى خيف سقوطها  
في أيديهم لولم تدركها حماية السفن الانكليزية في البحر وأحرق حصن شانه  
الذي كان من الشوك وضويقت سواكن وافترقت حاميتها الى النجدة وكانت  
الحكومة ترى وقتئذ اجلاء الحامية وترك المدينة للدراويش وبعد مداولات  
قررت حفظها

ثم دخلت سنة ١٣٠٦ وسواكن في حالة ضيق شديد وطم العدو اكثر  
الآبار التي تستقي الحامية منها اذ كانت خارج الاسوار  
وفي أوائل شهر صفر من السنة المذكورة وضع عثمان دقنه المدافع على  
حصونه وصار يطلقها على حصون الحكومة فاندحش القواد من انتظام  
مقدوفاتها واصابتها المرمي

وفي ربيع الثاني من السنة المذكورة وصل الى سواكن الجنرال غرانفيل  
باشا سردار الجيش المصري وقتئذ فارسل اليه عثمان دقنه كتاباً يخبره فيه بان  
أمين باشا حاكم أقاليم خط الاستواء والمستر ستانلي السائح الانكليزي المبعوث  
لاتخاذ حامية خط الاستواء قد وقعا في أسر المهذوبة وكان مقصده من ذلك  
الارهاب والتضليل

وبعد أيام قلائل هاجم الجنرال غرانفيل معاقل عثمان دقنه بعدة طوابير  
من الجيش المصري فدصرها وقتل من فيها من المدافعين وكانوا لايزيدون  
عن سبعمائة مقاتل ولكنهم بلوا بلاء حسناً ودافعوا عن موقعهم دفاع الابطال  
وكانت هذه الواقعة في أواخر شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٦ هجرية



ولهم عادات ومراسم تقرب مما نسمعه عن طوائف اليزيدية والدروز  
هذا وقد اتحن أبو قرجة في هذه القبائل وأغار عليها إغارات كثيرة  
ونهب شيئاً لا يحصى من ماشيتها

وبعد سنة زحف إلى طوكرو واحتل ( هندوب ) وهي موقع يبعد من  
سواكن ببضعة أميال وأغار على القبائل التي خلت الطاعة فظفر بمعضها وفر  
أكثرها ولجأ إلى الجبال واعتصم بالكهوف

وحصلت جملة مناوشات بين عثمان دقنة والاعراب الموالية للحكومة وبينه  
وبين الحكومة من جهة أخرى وقد جرح كتشنر باشا جرحاً خفيفاً في إحدى  
المناوشات وكان وقتئذ قزمنندان حامية سواكن وكانت الحامية في غضون هذه  
المناوشات مشغلة ببناء الحصون وتشديد الاسوار على سواكن

ثم حصلت بعد ذلك واقعة بين عثمان دقنة وحامية سواكن قتل فيها  
ضابط إنكليزي اسمه السكاين تاب

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٥ شفى كتشنر باشا وعاد إلى سواكن. وفيه  
هاجم عثمان دقنة مقل ( ردوت والجيزه ) وأمد أبو قرجة عثمان دقنة  
بسبعة آلاف مقاتل وتعززت قوة الدراويش في هندوب ولكن خرق  
الخلاف اتسع بين عثمان دقنة وأبي قرجه فهذا يرى أن لا فائدة في مناوشة  
سواكن والمرابطة في هندوب وذلك يخالفه ويتمه بالجن وعدم الاقدام بل  
بالحياة والميل لجانب الحكومة وإذاع عثمان دقنة أن أبا قرجة كان يجتمع  
مع قواد الحكومة ليلاً فاستدعى التعاليشي أبا قرجة على أثر ما علمه من عثمان  
دقنة الذي أعيد للإماراة وخلال الجوف في السودان الشرقي

وفي شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٥ اشتدت مضايقة عثمان دقنة لسواكن حتى



عن عثمان دقنه الذى شق عليه العزل ومكث في كسلة هو وابو قرجة الذى  
 سار في الناس سيرة حسنة فثاب اكثر الثائرين على عثمان دقنة الى الطاعة  
 وأمن أبو قرجة السبل واعاد الصلات التجارية بين مصوع وكسلة  
 واخذ في مخبرة القبائل التي حوالى طوكر وسواكن بلهجة سلمية وقصد بذلك  
 ارجاعها الى الطاعة فلم تفلح مخبراته لان انصار عثمان دقنة كانوا يذيعون في  
 الناس أن ولاية ابي قرجة اسم بلا مسمي وأن الفرض منها تسكين الثوار  
 حتى يعودوا الى الطاعة فاذا عادوا صاروا تحت سلطة عثمان دقنه الذى هو  
 الأمر الناهي لابي قرجة في باطن الامر ففشلت مسامحي ابي قرجة  
 وذهبت ادراج الرياح هل اثر اذاعة انصار عثمان دقنة هذه الاقوال التي  
 لا تخلو عن الصحة

وأنفذ أبو قرجة حملات متتابعة الى بعض القبائل التي تسكن في المنطقة  
 القريبة من حدود الاحباش حوالى جبلي (الهيكوت والمناع) وأكثرها القبائل  
 مجوس لادين لهم وهم من قبائل الزنوج القديمة واشهرها قبيلتا ( الباريه  
 والباذه ) وقوام معيشة هذه القبائل لحوم الماشية والصيد والالبان ويندر  
 بينهم من يعرف الخبز وهم مثل سائر اهالي شرق السودان من حيث العادات  
 حيث لا يرفون اكل الخبز والخضراوات التي يعتبرونها غذاء الانعام يرفع  
 عن اكلها الآدميون ويسكن معظم تلك القبائل فوق قمم الجبال الشاهقة  
 وفي سفوحها وكهوفها التي يتخذونها معاقل اذا دهمهم عدو وهي متسعة يأوون  
 اليها بماشييتهم التي هي الغنم والابل والبقر ورجال الباريه والباذه فرسان  
 لا يشق لهم غبار ولا يصطلى لهم بنار يقطعون السبل ويمترضون القوافل  
 للنسب والنهب

وهناك وجد البواخر التي انفذها له التمايشي وحشد الملك عمر جيشه  
للدود عن بلاده فهاجمهم الدراويش هجوما عنيفا وقتل الملك عمرو حملت  
رأسه الى التمايشي

ومكث الزاكي نحو ثلاث سنوات في فشوده يعمل في الشكك السيف  
والنار فخربت القرى التي على ضفة النهر وسالت الدماء كالانهر وصادر  
ماشيتهم وارسلها الى الخليفة فكان يختار منها ما هو صالح للنتاج ويؤلف  
منه قطعانا ينتفع بتاجها ويبيع الباقي بواسطة بيت المال هذا اعدا الارقاء الذين  
جلبهم منهم حتى هبط ثمن الجارية الى بضع ريالات وثنم الرأس من البقر الى  
ريالين وبالجملة ان الزاكي طمل خرب بلاد الشكك كلها ودمرها وجلب منها  
اهلها ارقاء اختار التمايشي نحو خمسة آلاف من غلمانهم جعلهم من ضمن  
الجهادية حراسا له وسيأتي ذكر بقية اخبار الزاكي وقتله

### ذكر بقية اخبار عثمان دقنه

قلنا في ما تقدم ان التمايشي استدعى عثمان دقنه الى ام درمان وعزز  
قوته بعشرة آلاف مقاتل مع أبي قرجة على أثر ما علمه من انحراف القبائل  
في السودان الشرقي ونفورهم عنه

ولما غادر عثمان دقنه طوكر اغارت عليها القبائل الخارجة عليه بمساعدة  
بعض جنود الحكومة ثم عادت عنها بغير جدوى اذ لا مقاتلة فيها ولا جنود  
تدفع غارتهم عنها

وفي منتصف سنة ١٣٠٤ وصل عثمان دقنه الى سواكن معززا بقوة ابي قرجه  
الذي ولاه التمايشي على السودان الشرقي بدله اتقاء لثورة الاهلين ونفورهم

طعنه صاحبه بحربة جندلته في الحال وثار الشلوك كلهم ورفعوا رايات الحرب التي من عاداتهم رفعها بالليل بكيفية يفهم منها اخذ الالهة للحرب وهي ان ياخذوا قناة يدهنونها بالزيت ويشعلون النار فيها فيراها أهل القرية القريبة منها فيرفعون مثلها لأهل القرية التي تليها وهكذا حتي يعلم أهل البلاد كلها بالحرب في ليلة واحدة ويحتشدوا في أسرع ما يمكن ويرسلوا وفودهم لتلقى الأمر بالحرب

وبعد عناء شديد وأخذ ورد بين قائد الدراويش وملك الشلوك تاب التآثرون إلى السكينة وعاد الأمن إلى مجراه

وكان مع الدراويش شلوكي من رؤساء القري التي في الشمال ولكنه بالنسبة لقربه من بلاد العرب تشبه بهم وصار يلبس الثياب فأخذه قائد الدراويش معه بصفة دليل واسمه (ايك) بن (غري) وهو من أقارب عائلة (كيكون) التي منها الملك كيكون بك. وحدثني أحد الحاضرين ان الملك عمر أرسل خمسين مقاتلا ومعهم عشرة من الشيوخ والكجور إلى منزل (ايك) وكان بجوار معسكر الدراويش فجلس العشرة معه ووقف الخسوف على بعد واخذوا يوبخونه على مخالفته هوأند الشلوك وتشبهه بالعرب وانه جاء مع العرب بصفة دليل وعدوا ذلك خيانة للملك يعاقب عليها ثم وثبوا عليه وضربوا عنقه وحملوا راسه إلى الملك فلم يجسر أحد من الدراويش على مقاومتهم أو الذب عنه واخيراً استاء التمايشي من عصيان الشلوك وخطرتة ملكهم فجهر إليهم في سنة ١٣٠٨ الزاكي طمل أمير جيش القلابات في نحو عشرين ألف مقاتل جلهم فرسان ومسلحون بأسلحة رامنجتون فسار الزاكي من القضايف ثم اجتاز النيل واخترق الجزيرة حتي وصل إلى اطراف فشوده

السكر فاذا قوه طعمه فقال انه لذيد. ثم قال ان الجواري اللاتي أهدهن الى الخليفة يمنعي من قبولهن أنهن متمدنيات يلبسن الثياب وكان يمكنني قبولهن لو كنت أجد لهن في بلادي ثياباً مثل التي يلبسها وأخشى ان يصبن بضرر اذا ألزمتهم بان يظللن عاريات مثل نسائي وأما الملابس فلا أستحسن أخذها حيث اني لم أعود لبسها والاولى ان اردھا الى الخليفة ليهديها الي من يلبسها وأما السكر فان في بلادي عسل النحل بكثرة ويمكنني أن استعيض به عنه واني وان وجدته لذيداً واشتيت نفسي تناوله ولكنني أمتنعها عنه لانه غير موجود في بلادي اذ أخشى أن تتعلق نفسي به في وقت لا أجده فيه

واما الاعشار التي يطلب الخليفة مني تاديتها له فلا أدفعها اذ لست خاضعاً له لاني مولى من قبل المهدي الذي هو مثل (النيكامه) والخليفة ملك العرب وأنا ملك الشلك وأنا مثله فلا تلزمني طاعته ولا تلزمه طاعتي غير انني أدفع له أني اردب من الغلال على سبيل الهدية ومكافأة له على هديته التي رفضت قبولها لعدم صلاحيتها لي

وكتب الملك عمر كتاباً الى التعاشي ضمنه هذا المعنى وأنفذه مع رسولين من قبله فقدموا على التعاشي بام درمان فعجب من وجود من يحسن الكتابة عند الشلك وأخيراً علم أن الكاتب غلام ابوه مصري وأمه من الشلك وكان مع والده في الخرطوم حتي قتل يوم سقوطها ففر مع امه ولحق ببيلاد الشلك اخواله وأمه قرية احدرؤساء الشلك الكبار فجعله الملك كاتباً له

وحدث في بعض الايام ان أحده الدراويش أراد نهب جدي من ماشية لرجل من الشلك فلم تكدر تصل يد المتعمدي الى لمس الجدي حتى



ثورات قتل في احداها يوسف بك حسن المشهور بكرده مدير فشوده  
وتقدمت تلك المديرية في مدته تقدما عظيما. ولما ظهر المهدي على جند الحكومة  
في جزيرة (آبا) ولحق بجبال (قدير) وحمل عليه راشد ايمن بك مدير فشوده  
وكان من امره ما تقدم لنا إرادته في مكانه كان (كيكون بك) ملك الشلك معه  
وقتل مع من قتل فقام أحد رؤساء الشلك وأخذ معه وفداً شخص  
به الي المهدي في جبال قدير فكتب له المهدي بالامارة على الشلك وسماه  
(عمر) واعطاء أبواقا من التي غنمها من الحكومة فعاد الى الشلك وأخبرهم  
بان المهدي اله وانه أخو معبودهم (النيكامه) وانه ولاده ملاكا عليهم فاتبعوه  
لانهم كانوا يعرفون المهدي مذكان شيخا في جزيرة (آبا) فجمع عمر قومه  
وشرع في مناوأة الحكومة وامتنع عن تأدية الضرائب وتوطد نفوذه بينهم  
وحافظ على عوائدهم التي تقموا على كيكون بك ملكهم السابق من أجل نبذها  
ولما فك المهدي بحملة الجنرال هيكس وقررت الحكومة جلاء  
حاميتها عن فشوده لتعزيز حامية الخرطوم خلا الجو لعمر ملك الشلك واستقل  
بالتصرف في البلاد كلها

ولما توفي المهدي أعلن عمر أن المهدي استخلفه على العبيد واستخلف  
الحامية على العرب وهم يسمون العرب (بون) بتمطيش النون واستمر  
في بلاده مستبداً بالحكم فيها حتى دخلت سنة ١٣٠٦ هجرية وفشا القحط في  
السودان ونسل الناس من جميع الفجاج الي فشوده جلب الغلة فارسل التعايشي  
باخرتين تقلالن الف مقاتل احتلوا فشوده وكتب الي الملك عمر يأمره بتأدية  
عشر محصولات بلاده منذ عودته من جبال قدير أي نحو ثمانى سنوات  
وأرسل له هدية من الجوارى الحسان والسكر وبعض الابس فسألهم عن ثمة



ولما دخلت السودان تحت حوزة مصر لم يلتفت الحكام والولاة الى تنظيم حكومة للجهات الجنوبية على النيل الابيض التي منها فشودة بل كان الشلك وغيرهم من سكان البلاد عرضة لغارة عصابات النخاسين الذين يجلبونهم ارقاء وينهبون حاصلاتهم وماشيهم

وفي سنة ١٢٨١ اعنتى المرحوم موسى باشا حمدي حاكم دار السودان بامر الجهات الجنوبية ونظم حكومة لها فكانت فشودة أول مديرية أسسها وولى عليها القائم مقام حلمي بك الذي طرد النخاسين عنها ولكن الشلك قابله بالجفاء ونفروا منه وشهروا عليه الحرب حتى اضطر الى ان يتحصن منهم في نقطة فشودة الواقعة في وسط الاقليم واختارها عاصمة لمديريته وبعد ذلك هادنوه فقدم لهم كثيراً من الهدايا والملابس التي كان يفرغ جهده في اقتناعهم بضرورة لبسها فلم يفلح بل كان كبارؤمهم يلبسون بعضها عند قدومهم الى مركز الحكومة فاذا عادوا الى قراهم خلعوها وبقوا عراة كما كانوا

ولما ولي المرحوم جعفر مظهر باشا حاكم دارية السودان اهتم بشأن مديرية فشودة وبذلت الحكومة الجهد في استئلافهم حتي صاروا يأدون لها بعض ضرائب لا تقوم بعشر معشار نفقات الحماية والادارة

ولدى تولية الطيب الذكر غردون باشا على جهات النيل الابيض أنشأ في فشودة عدة مراكز وشاد معاقيل في الجهات الشمالية والجنوبية وكان اذ ذلك ملك الشلك من عائلة اسمها ( كيكون ) فاخذ ذلك الملك في أسباب التمدن وصار يلبس الثياب ويأكل على الموائد . وقد اهدى له غردون باشا عدة هدايا ومنحه لقب ( بك ) فزاد اخلاصاً للحكومة الا ان قومه امتعضوا منه وذموا مخالفته لعوائدهم وتشبهه بالترك واضمروا له الشر فثاروا على الحكومة عدة

التي تظهر على وجه الماء بعد جذب الحبل فيرشقونها بالسهام حتى يقضى عليها  
فيقتسمون لجها بعد اخراج اطاييه للملك ويحفظون جلدها الذي يصنع منه  
السياط المعروفة في مصر

وهم يسكنون الضفة الغربية للنهر ويسكن الضفة الشرقية أمة اسمها  
( الدينكة ) لا تختلف في شيء من العادات عن الشلك الا انهم لم يحرزوا  
صفات الشجاعة التي للشلك ولا يعرفون صيد البر والبحر مثل الشلك  
ولا ملك عندهم بل لسكل قرية رئيس مطلق ولذلك يضطهدهم الشلك  
ويغيرون عليهم وينهبون ماشيتهم حتى ان الواحد من الشلك يطارد عشرة من  
الدينكة الذين لهم صنم من خشب كصنم الشلك يسمونه ( دينديت ) وعدد  
نفوس الدينكة يبلغ أضعاف الشلك بسبب فرقة الدينكة صاروا عرضة لغارة  
جيرانهم الشلك الذين هم مع ما هم فيه من القوة والعزة تراهم ذلاء امام جيران  
لهم في الجنوب وهم أمة اسمها ( نوير ) حيث يوالون الغارة على الشلك وينهبون  
ماشيتهم مع ان عدد نفوس الشلك يبلغ أربعة أضعاف عدد نوير والحاصل  
ان نوير آفة الشلك كما ان الشلك آفة الدينكة

وعوائد نوير و اخلاقهم مشابهة لعوائد الشلك الا انهم اكثر ثباتا من الشلك  
واجرا و قدامتهم أطول منهم

وأرض الشلك والدينكة ونوير خصبة التربة وريها بالامطار التي تهطل غزيرة  
جداً عندهم غير انهم كسالي لا يحرثون من الارض الا شياً قليلا يقوم  
بضرورياتهم

وحاصلاتهم الذرة الرفيعة والسمسم والدخان الذي يستعمله رجالهم ونساؤهم  
صغارهم وكبارهم ويمتاز الدينكة عن الشلك بزيادة الحاصلات وكثرة الحرثة

الفيل وبقر الوحش وهى ان يجتمع اثنا عشر رجلا منهم بيد كل واحد منهم  
 حربة طويلة يقتربون من الفيل أو بقر الوحش ثم ينفرد واحد منهم دون  
 رفاقه فيطعم ما يريدون صيده في افتراسه ويتجه نحو مطاردته فيثب عليه الباقيون  
 ويطعنونه بجراهم في دبره قبل ان يتمكن من افتراس رفيقهم لان الطعن  
 لا يؤثر في بقية جسمه للملاسة جلده وصلابته. أما صيد بقية الوحوش فانه دون  
 هذا في العناء وللملك نصيب من كل ما يصطاده الافراد فاذا كان من نوع الفيل  
 فله العاج وأطايب اللحم أما الغزلان فانهم يقدمون له أحسن نصيب من لحمها  
 ومهارتهم في صيد دواب الماء تكاد تفوق تفننهم في صيد وحوش القلابة  
 وذلك انه يوجد في بلادهم فرس البحر بكثرة والتساح والاسماك الكبيرة الى  
 يزيد طولها عن مترين ولهم زوارق صغيرة مصنوعة من الخشب ومن  
 العجب انهم يربطونها بالخيوط فقط اذ لا مسامير من الحديد عندهم والزوارق  
 المذكورة محكمة الصنع متساوية الاطراف يركبونها ويحملون بأيديهم  
 مزاريق صغيرة رؤسها كالصنارة يقذفون بها الاسماك في عمق الماء فلا تعود  
 بغير مصيد ويندر أن يخطئ المزارق وصيد التساح يقرب من هذه  
 الطريقة. أما طريقة صيد فرس البحر فهي انهم يربطون جبلا متينا في أسفل  
 حربة رأسها كالصنارة وفي آخر الحبل حزمة من نوع خشب اسمه (العبيج)  
 يشبه (الفلين) في خفته وطفوه على وجه الماء ويتربصون على ضفاف النهر  
 بعد غروب الشمس حتي تخرج فرس البحر لتأكل الحشائش التي تنبت على  
 الضفة فيرمونها بالحربة في دبرها فتولى عنهم وتعود الى اليم وقد  
 غاصت الحربة في دبرها والحبل والعبيج خلفها وبعد أيام قليلة يتفنن الجرح  
 فيجتمع الصيادون في زوارقهم الصغيرة ويمسكون الحبل ويطاردون الفرس

المك وبين يديه أنواع السلاح كلها وانما يعاقبون بالقتل وعند نهاية الجلسة يتناول المك نوعا من السلاح الذي بين يديه يومئ به نحو الجاني وينصرف فينفذ الحاضرون العقوبة عليه بنوع السلاح الذي أو مابه

ومن دأبهم مع ما هم فيه من التوحش والهمجية حيث لا فرق بينهم وبين الانعام المحافظة على الآداب حتي يظن الانسان انهم في نهاية التمدن فلا توجد بينهم فاحشة ألبتة والزاني والزانية لا عقاب لهما الا القتل

ومما زاد في إعجابي باولئك الاقوام ان المرأة منهم في نهاية الحرية تختلط مع الرجال وتجالسهم وهي محترمة عندهم كاحترامها عند الافرنج ومن عوائدهم ان الرجل اذا انتصب ذكره وهو جالس مع غيره عوقب بالقتل في الحال مع انهم يجلسون عراة والنساء معهم

ومنازلهم اكواخ مستديرة واعاليها مستطيلة كالقبة والنظافة متوفرة فيها حتي ان أرض منازلهم مرصوفة بشيء من الحجارة يخالها الناظر لاول نظرة رخاماً وفي كل قرية مكان كبير يحرقون فيه روث البقر حتي يصير رماداً ينامون عليه ويتمرغون فيه

ويغسلون وجوههم ببول البقر ويتضمضون به ويضعونه في اللبن والسمن وياكلون الميتة والدم ولا يذبحون الماشية الا اذا اشرفت على الهلاك حينئذ يذبحونها بقصد الحصول على الدم اذ هو احسن غذاء عندهم وفي بعض الاحايين يحرقون البقر في شرايينها ويتزفون الدم في آنية ثم يضمدون الجرح ويربطونه حتي يندمل

ولهم مهارة غريبة في اقتناص الضواري كالفيل والسبع والنمر وبقر الوحش والزرافة وسائر أنواع الوحوش . ولندكر هنا طريقة صيد

وأغذيتهم من لحوم الصيد ولبن الماشية والبوظة المسكرة وما شيتهم من  
الغنم والبقر كثيرة جداً وهم يقدسون الفحل من البقر ويلقون على قرنيه  
الاجراس والحرز وسائر أنواع الزينة ويسمون (مجوك) ويخرجونه في الحفلات  
والمواسم حيث يكون موضع احترام الجميع

وإذا خرجوا يستسقون المطر يخرجون الفحل أمامهم متوسلين به  
والحاصل أن (مجوك) عند الشلك يشبه العجل (أليس) عند قدماء المصريين  
وعادة الزواج عندهم أن الرجل يتزوج بما شاء من النساء بمعنى أنه يتزوج  
ما شاء من النساء بغير قيد ولا حد

ومهر الزواج لا يقل عن ستمين رأساً من البقر للمتوسطة من النساء ومائة  
لاهل الطبقة العالية ولا يجيزون أن يكون المهر أقل من أربعين رأساً من البقر  
والمهر حق لا قارب الزوجة يأخذ أبواها القسم الأكبر منه ويوزع الباقي على  
أقاربها من جهة الأب والام وهو لا ينالهم أكثر مما ينال أولئك

وإذا توفي الزوج خلفه أكبر أنجاله على جميع نساؤه عدا أمه والأولاد الذين  
يولدون له منهم يعتبرهم أخوته لأنه يرى نفسه نائباً عن والده واسم (مريم)  
علم لجنس النساء كما أن اسم (ثور) علم لجنس الرجال كلهم وتخضع قبيلة الشلك  
كلها إلى ملك يسمونه (الملك) وحكمه نافذ فيهم وطاعتهم له عمياء وهم يعتبرونه  
مقدساً يستمد سلطته من معبودهم (النيكامه) كما كان قدماء المصريين  
يعتقدون شبه هذا الاعتقاد في فراعنتهم

وهذا الملك عاري الجسم مثلهم ولا يدنو منه أحد إلا بعد أن ينحي  
ويزحف على ركبتيه ولا يرفع أحد عينه إليه بل يظلون جلوساً كأن الطير على  
رؤسهم ويجلس حواليه الشيوخ والكجور فإذا عقدت جلسة لمحاكمة جلس



رؤسهن مما يزيد في تقييح مناظرهن وتشويه خلقهن والرجال يسملون شعورهم ويدهنونها بالمواد الغروية كالصمغ ويسملون منها شكلا يخاله الرأى من بعد قبع الافرنج

وهم غلف لا يعرفون الختان ويزعمون ان الختان هو كسر أربعة أسنان من اسنان الرجل أو المرأة من الفك الاسفل ليتمكن احدهم من اخراج اللسان بغير أن يقف شيء في طريقه

ويزين الرجال نحورهم وأذرعهم بكثير من الخرز وأجراس النحاس الصغيرة وقطع العاج وزينة المرأة شيء من الودع والخرز على خصرها وعلى كل حال تربو زينة الرجل وخليته على زينة المرأة وحليها والرجال مع استئثارهم بالنصيب الاكبر من الزينة على ما ذكرنا تراهم مع سواد بشرتهم طوال القامات حسان الوجوه مفتولى السواعد يبدو على وجوههم العجب والزهو ويحملون بأيديهم الاسلحة من المزاريق والحراب ولا يعرفون هم ولا نساءهم لبس نعل أو حذاء

وديانهم وثنية همجية لهم صنم من الخشب اسمه ( النيكامه ) بتمطيش النون وأما ( الكجور ) فهو كعالم ديني يرجعون الى مشورته في أمور الدنيا والدين والطب وهو إن صح مانسمعه من قومه عنه لا يخلو من معرفة شيء من علم النجوم والانواء علما نظريا لانه كثيراً ما يخبرهم بأخبار المطر وغيره قبل الحصول

ومما يدل على ذلك ان وظيفة الكجور لا تكون الا وراثية من الاسلاف للاعقاب وبالجملة ان الكجور عند الشلك أشبه شيء بالكاهن والعراف في عهد الجاهلية

يستمد فيها لمناجزة الايطاليين في الواقعة الاخيرة بينهما كانت جيوش  
ال دراويش أيضاً تحف من جهة أخرى لمهاجمة مراكز الايطاليين مما يدل على أن  
ال دراويش كانوا أولاً على وفاق مع الايطاليين ضد الاحباش ثم انعكس الحال  
فصاروا مع هؤلاء على أولئك

والحاصل ان التعايشي بعد أن ملأ القلابات خيلاً ورجالاً ونال جنده  
من الاحباش ما نالوه من الظفر حصن القلابات بسور من الحجارة وأصدر  
أمراً الى الزاكي طمل قائد الجيش ان يترك القلابات ويوكل حراستها الى ألف  
رجل تحت إمرة أحمد علي البقاري فصعد الزاكي بالامر وغادر القلابات  
وعسكر في القضارف وارهب أهلها نهباً وصادر غلاتهم بالكيفية التي ذكرناها  
في الكلام على القحط الواقع في القضارف

وفي أواخر سنة ١٣٠٧ قدم الزاكي طمل على التعايشي ودفع له مائة  
وثمانين ألف ريال وقبناطير مقنطرة من الذهب والفضة فأمره بالعودة  
الى القضارف وأخذ الالهية لاختراق الجزيرة والغارة على بلاد (الشلك)  
بأقليم فشودة

### ذكر غارة الزاكي طمل على الشلك

الشلك اسم لقبيلة من العبد تسكن إقليم فشودة وهم حفاة عراة يلبس  
الاغنياء والعظماء منهم قطعة من خرقة تستر أنصاف أخذاهم فإذا جلس احدهم  
طوي الخرقة ووضعها على كتفيه وبقيت عورته بلاستر

أما النساء فيأترن بفروة من الجلد اذا كن متزوجات أما اللائي لم  
يتزوجن فهن عاريات كيوم ولدتهن أمهاتهن وهؤلاء النسوة يحلقن شعر

اليه فكانت الواحدة منهن تدخل عليه في حجرته وهي عارية كيوم ولدتها أمها  
وبعد ان ينعم نظره فيها وهي مقبلة يأمرها ان تدبر ثم يدينها منه فاذا أعجبته  
أبقاها في داره موطوءة بملك اليمين وان لم تعجبه أمر باخراجها واهدائها  
لاحد أقاربه البقارة

أما دخول النساء عليه وهن عاريات فكان لا يقصد به التمتع بالنظر اليهن فقط  
بل كان يخاف ان يحملن تحت ثيابهن سلاحاً أو مادة سامة وهو يعامل كل نسائه  
بهذه المعاملة الا من يشق بامانتها وقل ان يأتين واحدة منهن

### ذكر انسحاب الجيش من القلايات

تقدم لنا ذكر ما كان من أمر محاربة الدراويش والاحباش الى قتل  
النجاشي يوحنا

ويقولون ان النجاشي منليك الذي خلف يوحنا في سلطنة الحبشة  
عقد مهادنة مع الدراويش على ان يكفوا عن حربه والتعدي على حدوده  
لانه لم ينب عنه ان المملكة الحبشية مشغولة بدفع غارة الايطاليين عليها من جهات  
(أسمره) وفتحها بابا للحرب مع الدراويش يضاعف مشغوليتهما ويزيد خسارتها  
فداهن الدراويش بل صافاهم على انه كان موقناً بان سوء تصرفات سلفه  
هي التي فتحت على المملكة هذا الباب الذي كانت في غنى عنه لكي تنفرغ  
لوقوف امام المغيرين على بلادها من الفاتحين الايطاليين

والتعاشي لم ينشر شيئاً يدل على وقوع هذه المهادنة الا ان قرائن الاحوال  
تدل عليها لان بعض مصادر الاخبار تؤكد ان غارة الدراويش على الاحباش  
لا تخلو من يد للايطاليين في تدبيرها . وفي نفس الوقت الذي كان منليك

## ذكر استخراج الرصاص والنحاس

والكحل من معادن حفرة النحاس

تقدم لنا ان الطيب الذكر غردون باشا افتتح جهة ( حفرة النحاس )  
المملوءة بمعادن النحاس وشرع في استخراج النحاس منها ثم أهمل خلفه أمر  
هذه الحفرة ولم يحفل باستخراج النحاس منها حتى دخلت بلاد دارفور في  
حوزة المهدوية

وفي سنة ١٣٠٧ أنفذ التمايشي أناسا الى تلك الجهة فاستخرجوا شيأ  
كثيراً من الرصاص والنحاس والكحل فاستخدم الرصاص في تعبئة الخرطوش  
بعد ان حبطت مساعيه التي بذلها في استخراج هذا الصنف بسبب الفش  
الذي قطعت يد ورجل المقدم عمر الجعلي من أجله  
وصنع من النحاس ظروف الخرطوش ثم لم يعد لاستخراج شيء  
من هذه الأصناف بعد أن حصل على كفايته منها

## ذكر بنات الجعليين

الجعليين اسم قبيلة تقدم لنا تعريفها في حوادث بربر  
وفي أوائل سنة ١٣٠٨ أنفذ التمايشي رجلاً اسمه محمد وهي بن حسين  
اداي المشهور بالرئيس وكان من موظفي الحكومة في بربر الى قرى الجعليين  
الواقعة بين بربر وأم درمان على احدى البواخر ليأخذ كل حسناء من بنات  
الجعليين ويحملها على الباخرة ويأتيه بها فمكث بضعة شهور متجولاً في شواطئ  
تلك القرى بباخرته ثم عاد بها وهي مكنظة بالنساء الحسان وجلهن عذاري  
وسمعت من أحدهن ان التمايشي كان يأمر بنزع ثيابهن عنهن لدى وصولهن

بانه عينه خادما يحمل نعل محمد خالد زقل فادرك سر المسألة وكتب الى التعايشي يستأذنه في القدوم عليه ويسأله ان يعين من ينوب عنه في دنقلة فاجابه بتعيين يونس نائبا عنه وأمره بالقدوم عليه فاستقبله بالاكرام وبعد أيام يسيرة عقد مجلساً لمحاكمته لما جاء في الجريدة المصرية فحكم المجلس باعدامه ولكن التعايشي أوقف التنفيذ وأمر بسجنه ومصادرة أمواله ووضع في رجليه من القيود ما أثقله حتى عجز عن المشي ونهبت أمواله وبقي في السجن بضع سنوات ثم نفي الى خط الاستواء في مستهل سنة ١٣١١

وكان زقل شديد البغض للمصريين مع انه كان موظفاً أميرياً بدارفور كما قدمنا وحائزاً للرتبة الثالثة ولما استولى على دارفور ارسل الى المغفور له الخديو توفيق باشا كتاباً ينصحه فيه بالتسليم للمهدوية واستهل كتابه بمقدمة مملوءة بالوقاحة والسفاهة والمطاعن الشخصية التي يتجافى اليراع عن رفقها. ولما ولى على دنقلة أرسل له كتاباً آخر لا يختلف عن الكتاب الاول مملوءاً بالمشاب والمطاعن وقد اتصل بنا ونحن نبض هذه السطور ان محمد خالد زقل فر من منفاه بخط الاستواء بعد هزيمة التعايشي بأمر درمان ولحق بمملكة (برقو) فأمسكه سلطانها كأسير ولم يفلته حتى الآن ويقول العارفون بعادات تلك البلاد انهم لا يسمحون لغريب ذهب الى ديارهم أن يعود من حيث جاء مخافة أن يكون جاسوساً يحوس خلال الديار ويعود منها مزوداً بالاسرار ومهما يكن من الحال فان زقل لم يتمتع بلذة الحكم على بلاد دارفور التي استخلصها من جنود الحكومة بالصفة التي تقدم لنا ذكرها الا زهاء سنين كانت مغبتها السجن ونهب ما جمعه من الاموال في خلالها ولا غرابة في ذلك فهكذا كانت معاملة المهدوية لكل من أعانها والله الامر من قبل ومن بعد



ولما استعجلت تلك الاختلافات انفذ التعايشي الشيخ الطاهر بن الجذوب  
ومعه محمد خالد زقل الى السودان الشرقي ليفصلا بين المختلفين فتوفي الشيخ  
الطاهر في (طوكر) وقفل محمد خالد زقل راجعا الى ام درمان ومعه عثمان دقنة  
ثم عزل التعايشي أبا قرجة واعاد عثمان دقنة الى الامارة ثم ولي محمد خالد  
زقل على دنقلة زهاء سنة حتى دس له يعقوب أخو التعايشي الدسائس  
وكان في دنقلة أميران من البقارة هما مساعد قيدوم الذي تقدم لنا ذكره  
مع ابن النجومي وكان قائد المقاتلة من البقارة وعربي دفع الله وكان قائد الجهادية  
المسلحين بالبنادق

وعربي هذا كان خادما عند محمد خالد زقل تربى في منزله بدارفور  
ولما عين زقل أميراً على دنقلة وصار عربي تحت إمرته حفظ لزقل  
حق التربية فكان يتواضع أمامه ويجلس متأدبا بمحضرة ولم يكن  
في الحسبان أن ينقلب حالهما ويتبدل صفاؤها بالعداوة لولا مادسه يعقوب  
أخو التعايشي لعربي حتى دفعه الى السبي بزقل عند التعايشي . وفي ذات يوم  
جمع عربي رجاله وكانوا زهاء ألفين وأحاط بهم منزل زقل ومنعه  
من الخروج فانقسم جيش دنقلة فريقين فريقاً ينتصر لزقل والآخر  
يظاهر عربي عليه وهذا مؤلف من الجهادية والبقارة وذلك من  
الدناقلة والجمعلين وكان قد وصل في غضون هذه الحوادث أحد أعداد  
جريدة مصرية فيه نبأ يشير الى أن زقل أمير دنقلة اتفق مع الحكومة  
على ان يسلمها دنقلة بنير مقاومة وأن الحكومة الحديوية وعدته  
بالمكافأة الحسنه فلم يبق ريب لدي التعايشي في صحة الخبر وخشى ان يكون  
زقل قد قرر ذلك مع من معه من القواد فانفذ اليه يونس الديكم ومعه أمر

الذين أدركتهم غيرة أولي الشفقة فصبوا على جراهم الزيت المحمي بالنار  
لقطع نزيف الدم وقد قال التعاشي وقتئذ لمن حوله اتى لم أفعل ذلك إلا بأذن  
من النبي صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي فانهم أمروني بالامس بهذا  
العمل فقال رجل من الدناقلة وهو نوتى ان صدقنا انهم أمروا بالصلب وضرب  
الاعناق وقطع الايدي والارجل فهل نصدق أنهم أمروا باخذ النساء الحسن  
ونكاحهن كموطآت بملك اليمين فسمعه بمض الحاضرين وأبلغ التعاشي مقالته  
فأمر بأحاله على المحاكمة حيث ادعى عليه أنه لمن أبا المهدي فحكم القضاة بضرب  
عنقه فضربت في اليوم التالي في محل استعراض الجيش

وأخذت نساء البطاحين مسيات ووزعن على البقارة والقواد وامتلات  
أم درمان بالتسولين منهم وكانوا كما قدمنا من أشد القبائل تشيعاً للهدوية ومن  
شدوا أزرها فانتقم الله منهم بيدها ومن أعان ظالماً سلط عليه  
وبيعت ماشيتهم التي جلهما من الضأن والبقر في أم درمان فهبطت اثمان  
الماشية حتى بلغ ثمن الرأس من الضأن نصف ريال

### شان محمد خالد زقل بعد ذلك

ذكرنا ما كان من حوادث محمد خالد زقل في دارفور وما وقع له مع  
حمدان أبي عنجه الي سجنه بام درمان بضعة شهور وخروجه من السجن حيث  
أمره التعاشي بملازمة الصلوات الخمس في المسجد معه وكان زقل هذا ذا دهاء  
شديد فأخذ يتظاهر بولاء التعاشي وعبته حتى خدعه ما يتظاهر به الي أن  
دخلت سنة ١٣٠٦ وكثرت الاختلافات بين عثمان دقنه وأبي قرجة الذي  
تولى على شرق السودان بدله

فقال له التعاشي كلاً بل أخبرني الحضر عليه السلام انهم لم يتركوا شيئاً مما كانوا فيه بل زادوا جرأة واقداماً على السطو وقطع الطرق فسكت عثمان واذعن لقول التعاشي

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ انفذ اليهم التعاشي رسولا اسمه ابن جاز النزي فذهب الى حبيهم وقرأ عليهم أمراً من التعاشي بمغادرة بلادهم والحقا برباط دنقله فقابلوا الرسول بالضرب والاهانة وهما يقتله وألقوا به وبمن معه جروحاً خفيفة فقر من وجوههم وقفل راجعاً الى أم درمان فلي التعاشي خارجاً من داره لصلاة المغرب فأخبره بما أصابه فأمر في الحال باعداد نحو عشرة آلاف مقاتل بين فرسان وجهادية مسلحين بالبنادق وان يغادروا أم درمان بعد صلاة العشاء تحت قيادة قريبه عبد الباقي عبد الوكيل

وبعد صلاة العشاء ركب التعاشي والابواق حوله قاصدا ضفة النهر لتوديع الجيش وتزويد القائد بالوصايا التي يعمل بها وما انتصف الليل حتي اجتاز الجيش كله النيل على البواخر والسفن وتابع مسيره في الصحراء الى المساء وبعد ثلاث ليال داهم حى البطاحين في الفلج وأمطرهم النيران الحامية فسقط منهم نحو ألفي قتيل وسبق الباقيون أسرى بنسائهم وأطفالهم ونهبت ماشيتهم كلها وجيء بنحو ثلاثة آلاف أسير منهم الى أم درمان عدا الصبيان والنساء فاختار التعاشي مائة وخمسين رجلاً من أعيانهم ومشايخهم وأصدر أمراً بجلب خمسين منهم في ميدان السوق وضرب أعناق خمسين أيضاً وقطع أيدي وأرجل الخمسين الآخرين

وركب التعاشي في ظهر ثاني يوم ووصلهم الى ميدان السوق وشهد انفاذ هذه الاحكام القظيمة ومات أكثر الذين قطعت أيديهم وأرجلهم ونجا

الدماء وكان ذا دهاء تمكن به من الظهور بمظهر الزهادة والتفاني في حب المهدوية والاخلاص لها فجعله المهدي نائباً من النواب الموكل اليهم النظر في القضايا السكية فاستخدم هذه الوظيفة في سبيل اطلاق يد قومه البطاحين في النهب والسلب ووقف وظيفته لدرأ كل عقوبة يراد عقابهم بها على ما يرتكبونه من جنایات السطو والقتل وقطع الطرق فانطلقت ايديهم في النهب والسلب بلا خوف من طائلة عقاب حيث صار قريبهم نائباً من نواب المهدوية ومقرباً من مقربي التماشي وارتفعت الشكوى منهم الى التماشي الذي كان مع ظلمه لا يرضي بجولان يد في العبث والفساد غير يده وايدي قومه البقارة فكتب الى قبيلة البطاحين يأمرها بمغادرة ديارها والحقاق بابن النجمي في دنقلة وذلك في سنة ١٣٠٥ فسافر منهم نحو ائف رجل واختفى الباقون في قفار بلادهم وصحاريها حتى كانت سنة ١٣٠٦ وفشت المجاعة في السودان

وفي أواخر هذه السنة ازدادت مفسد البطاحين وانتشروا في بلاد شرق النيل وقطعوا الطرق على القوافل التجارية والسابلة التي تجتاز الصحراء بين النيل الازرق ونهر (اتبره) وحدود الحبشة وأبادوا عدة قوافل بعد ما نهبوها وسطوا على أكثر القبائل النازلة في انحاء تلك الصحراء وكلما رفع المجنى عليهم شكواهم وأحيلوا على القضاء الذي من اكبر رجاله قريبهم عثمان السالف الذكر خرجوا ظافرين بريئين

وفي ذات يوم جلس التماشي في محرابه وحوله القضاة والنواب فقال لهم لقد طني البطاحون وزادت شرورهم ومفسدهم فأجابه عثمان النائب بقوله يامولاي انهم تركوا السطو وقطع الطرق منذ بايعوا المهدي ونصروا دعوته

يبحثوا له عن الاشياء التي تقوي الباء وأكد عليهم في الكتمان فذهبوا وبعد  
 المداولة قر رأيهم على ان يحضروا له شيئاً من العنبر مضافاً على نوع الحشيشة  
 المطبوخة المسماة (قراوش) فقصدها محل رجل كان يبيع الحشيشة سرّاً اسمه  
 بكتاش أغا وعادوا بالقدر الكافي ثم طبخوه مع العنبر ووضعوه في حق  
 وذهبوا الى دار النعائشي الذي فغتمه رائحة العنبر فأمرهم ان يأكلوا منه  
 بحضرة خشية ان يكونوا قد دسوا له فيه السم فاكلوا منه فشكروهم واجاز  
 كل واحد منهم بمئزر ريالات وأكثر من أكل هذا النوع حتى نفذ فأمرهم  
 بتجهيز غيره وصار ذلك عادة له لا يقدر على تركها

### ذكر حادثة البطاحين

البطاحين قبيلة بدوية تسكن شرق النيل الازرق غرب صحراء (بره)  
 وماشيتها من الغنم والبقر وبعض الابل ورجالها مشهورون بالشجاعة والاقدام  
 مع قلة عددهم وكلهم لصوص وقطاع طرق ولا توجد عصاة سطو أو جمعية  
 سلب في سائر انحاء السودان الا من البطاحين وقد أمسكت الحكومة  
 كثيراً منهم قبل المهدوية وعاقبتهم على ما كانوا يأتونه من قتل النفوس  
 ونهب الاموال

ولما ظهرت دعوة المهدوية كانت قبيلة البطاحين في مقدمة القبائل  
 التي مالت اليها طمعاً في النهب والسلب اللذين هما ديدنها. ولحق بالمهدي  
 في جبال (قدير) أحد رجال هذه القبيلة المدعو عثمان بن أحمد وكان  
 من حفظة القرآن وهو كقومه البطاحين الذين جبلوا على الفساد وسفك



الذين لا يعرفون من أنواع الاطعمة غير المصيدة وادام ( المندجية ) الذي سبق لنا تمريره ولحوم الصيد

وقد كان التماشي عريقاً في هذه العوائد وكان يتطيب بكبريت المامود ذي الرائحة الكريهة التي تنقبض النفس من شمهـا وكان احسن الطيب عنده وهذا بخلاف اهالي السودان الاوسط فانهم يتطيّبون بمطور الصندل والمحب وغيرها من انواع الطيب التي يتخذها المصريون وينفرون من رائحتها والحاصل أن عوائد التماشي وقومه تباين عوائد اهالي السودان الاوسط وتختلف عنها اختلافاً كبيراً وهي كما قلنا في منتهي الخشونة والبداوة

وكان قبل افشاء الخلافة اليه نحييف الجسم مقوس الظهر كأنه شيخ هرم طويل الوجه غائر الصدغين المنتشر بهما آثار الجدري وكان يلبس مرقعة بالية ممزقة يظهر جسمه من خلال خروقتها ويتمم على قلنسوة من (الدمور)

ولم يلبث بعد ذلك حتى نبذ عوائده كلها ولبس المرقعات النظيفة وتشبه بالمهدي في ملابسه واخذ يتطيب بمطر المحلب والصندل وصار يأكل الاطعمة المصرية التي كان يقوم باتقانها نسوة مصريات من أهل الخرطوم وجمع عنده نحو مائة وعشرين امرأة من أجمل نساء السودان وضخمت جثته وتغيرت سحنة وجهه حتى انه يخيل للناظر اليه انه شخص آخر غير التماشي ولكن لم تمض عليه ثلاث سنوات حتى تنفص عيشه بما اعتراه من ضعف أعضاء تناسله وخمود شهوته فاستدعى طبيباً مصرياً اسمه حسن زكي من أطباء الحكومة السابقين وتاجرين اسم أحدهما محمد طه الشامي واسم الثاني بندليه اليوناني وشكاهم ما انتابه من الضعف وفقدان الشهوة وسألهم ان

الاولى واسـترسل كعثمان ابن التـعايشي في الدعارة وانهمك في حضور ليالي الرقص والغناء التي ذكرنا بعض اوصافها وتغالي في حب المومسات وجمع حوله عددا ليس بقليل من الخنثين المتشبهين بالنساء وله أخ اسمه ابراهيم الخليل هذا حذوه وسار على وتيرته

وقبيل توليته توفي والده وكان فيما يزعمون بارعا في معرفة علم الرمل ومعرفة البخت مثل ابن أخيه عبد الله التـعايشي الذي كان خيرا بهـذا الفن والحاصل ان ترجمة محمود أحمد لا تختلف كثيرا عن ترجمة عثمان ابن التـعايشي وفي أوائل سنة ١٣٠٨ خرج التـعايشي لتشييع محمود وسار معه أيضا مندوبون من القضاة ليعلموا أمر توليته ويأمروا القواد بطاعته

ولما وصل الي دارفور امتعض القواد منه لانهما كه في الشهوات وعكوفه على المعاصي والدنات وظهر لمؤسسه الفرق بينه وبين سلفه الذي كان على نهج كبار المهدويين

والحاصل انه قبض على زمام دارفور وبقي بها حتى شغب الدنقلون أقارب المهدي على التـعايشي وتحفز الـاهلون كلهم للثورة عليه فاستدعاه من دارفور الي أم درمان بجيشه وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر صفة معيشة التـعايشي

كان التـعايشي قبل ان يفضى اليه الملك مثل سائر بني جلده البقارة في الدرجة القصوى من الخشونة والبداوة لا يعرف شيأ من ضروب التـنعم في الاحوال المعيشية على طريقة المترفين من أهالي السودان الاوسط التي هي وان كانت عوائد بربرية غير مألوفة الا أنها تعد مدنية بالنسبة لخشونة البقارة

على شيء كثير من الاقوات والماشية ثم وجهه عزيمته الى بلاد الغرب لفتح  
 بلاد (مسلات) وبلاد (أبوريشه) وهما مكنان واقعتان بين (برقو ودارفور)  
 فظفر ببعض قرى في تخوم تلك البلاد وقصد التوغل لفتح البلاد كلها حتى  
 يقف عند حدود (برقو) فاصيب بحمي خبيثة وقضى نحبه بعد ثلاث ليال فاحتمله  
 جنده وتقهر روا به راجعين الى دارفور وأخفوا وفاته على العامة واقاموا  
 وكيله محمد بشاره مقامه وارسلوا بنعيه الى التعايشي الذي وقع عليه هذا الخبر  
 وقع الصاعقة وسالت الدموع من عينيه لانه كان يحبه ويعتقد فيه الكفاءة  
 في دفع الملمات ومقدراً نجاحه في دارفور حق قدره

وبعد ايام يسيرة من وصول نعي عثمان آدم أعلن التعايشي نبأ تعيين ابن  
 عمه محمود أحمد بدله

وعلى ذكر محمود هذا نأتى هنا على ترجمته تيمناً للفائدة فنقول. انه ابن أحمد دى  
 عم التعايشي وكان مولده ببلاد التعايشة بجهة (الساككة) وقد رأيناه بعد سقوط  
 الخرطوم مع والده وكان عمره اذ ذاك لا يتجاوز خمسة عشر عاماً ووجهه  
 مشوه بآثار الجدري والمتربة ظاهرة على اطماره البالية لا يأنف من مديد  
 السؤال الى أولى اليسار من الامراء والوجوه حتى وصلت خلافة المهديين  
 الى ابن عمه التعايشي. والحاصل أن المترجم كان مثل سائر أقاربه في الغاية القصوى  
 من الفاقة وشظف العيش وأهالي السودان الاوسط يحتقرون سائر البقارة  
 الذين هم في الدرجة القصوى من الهمجية والبدانة الوحشية ولنتمهم مع  
 كونها شبه عربية تكاد تكون غير مفهومة. وبالجملة ان المترجم كان بقاريا  
 في جميع أخلافه وأطواره ولكنّه مالبث بعد ان صار قريبه التعايشي ذا  
 سلطان على السودان حتى غير أخلاقه وعوائده وتشبه بأهل السودان

لا سبعة آلاف كما قال فاستاء التعاشي وأضرر السوء لعل سعد الذي يثس من  
 نيل أماره بربر وامتعض من التعاشي واخيه يعقوب الذي خدعه  
 وأغراه علي الطعن في محمد الخير توصلا الي عزله واقصائه عن الامارة وأطمعه  
 في تبوي ذلك المنصب ثم لم ير منه وفاء بل قلب له ظهر المجن

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدم التعاشي علي سعد من دنقلة وقدم  
 له غذاء وضع فيه مادة سمية فما كاد يفرغ من تناوله حتى أحس  
 بانحراف شديد فلزم داره وتوفي بعد ليال قليلة بعد أن ظهرت عليه  
 اعراض التسمم

وخلفه في وظيفته أخوه عبدالله سعد الذي خرج على التعاشي قبل فتح  
 أم درمان فقتله الامير محمود في من قتله ويحییء ذكر ذلك فيما يلي والله الامر  
 من قبل ومن بعد

ذكر موت عثمان آدم وتولية محمود احمد بدله  
 ذكرنا ما كان من أمر عثمان آدم أمير دارفور وكيف جمع جيشاً جراراً  
 هاجم به دارفور واستولي عليها بعد ثورة اهل سلطنتها القديمة ثم ما كان من أمر  
 ظهوره على (أبو جيزه)

ولما فرغ عثمان من أمر أبو جيزه عم الدمار بلاد دارفور حيث اباد  
 القحط البعض والبعض الآخر هجروا بلادهم ولحقوا بالبلاد التي في الغرب  
 وكانت لم تخضع للمهدبين مثل بلاد (أبو ريشه) وبلاد (وداي) وغيرها  
 وأخذ عثمان يوالى الغارة على سكان الجبال ليتحصل على نفقات جنده حيث  
 صارت البلاد خراباً لا تقوم ببعض نفقات واقوات أولئك المقاتلة فتحصل



سليمان هذا فله جائزة عظيمة ثم ألني امر هذه الجائزة قبل قتله ورجع  
المغيرون من العبادة بعد أن قتل منهم وقتل من أعدائهم فكوفي صالح  
خليفة رئيسهم على قتل سليمان نعمان براتب خمسين جنيا شهريا وقد كان  
أثر هذه الحادثة على التعايشي سيئا حيث وقع في روعه أن الحكومة تنوي  
التقدم لفتح السودان واستبدل الناس على ذلك بأنه خرج بعد أن قرأ  
بريد (أبو محمد) فصلى بالناس صلاة العصر ست ركعات ثم سجد للسجود فعرف  
الناس ارتباكهم إذ كانت عادته أن يسهر في الصلاة إذا فوجئ، بنسأ يفزع  
ثم هدأ روعه بعد أيام حيث علم أنها غارة بسيطة ليس وراءها فتح

### ذكر موت الحاج علي سعد

الحاج علي سعد من قبيلة الجميلين وكان ضيماً خامل الذكر ذا مهنة دينية  
ولما دخلت دعوة المهدي في بربر رفع محمد الخير منزلته حتى صيره أميراً  
على سكان القرى الواقعة جنوب نهر (أبهر) ثم كان من أمره مع محمد الخير  
أمير بربر ما تقدم لنا ذكر طرف منه حيث سعى بمحمد الخير عند التعايشي  
على أمل أن يخلفه في إمارة بربر وقد وعدته التعايشي بالوصول إلى غايته  
وقضاء لبائته فبالغ في توجيه المطاعن إلى محمد الخير فعزله التعايشي وولي  
بدله أحد أقاربه البقارة وقبائل ظهر الحجن لعل سعد ثم أمره باحصاء عدد المقاتلة  
الذين تحت أمرته فبلغوا سبعة آلاف مقاتل فأمره بأن يصحبهم إلى دنقلة  
في أوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا مع ابن النجومي فغادر علي سعد بربر ولحق  
بإبن النجومي في دنقلة فأحصى من معه من المقاتلة فاذا هم ستمائة مقاتل فقط  
فكتب ابن النجومي إلى التعايشي يخبره بأن مقاتلة علي سعد ستمائة رجل فقط



شيخا كبيرا وفي أوائل سنة ١٣٠٧ حملوا الى منفاهم في خط الاستواء على السفن الشراعية بغير زاد فمات النساء والاطفال جوعا واهلك الرجال أيضا وعلى أثر ذلك خلا الجو للشباب واستأثروا بمنافع دولة التعايشي وانتقموا من اعدائهم شر انتقام وقطع دابر المليكاب من السودان فسبحان من يغير ولا يتغير

ذكر غارة العباددة علي ابو حمد وقتل سليمان نعمان قمر  
ذكرنا ما كان من أمر المجاعة التي فشت في السودان وقد خلت  
الحدود من المرابطين فيها وقتل وجود المقاومة حتى صار عدد الموجودين بام  
درمان من المقاومة لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل وبات التعايشي خائفًا  
يتربق تقدم الجنود المصرية لمناجزته حيث لا يجدون من يدافع عن البلاد  
أقل دفاع

وزيادة على ذلك ان التعايشي أيقن بانحراف الناس عنه وميلهم لجانب  
الحكومة على أثر ما أرهقهم به من المظالم والمغارم

قلنا ان الحكومة وكلت حراسة (آبار المرات) الى صالح بن حسين خليفة  
الذي هاله ما أتاه الخليفة مع ابن عمه حسن أبي خليفة وقومه المليكاب فجمع  
نحو مائتي راكب من قبيلته وأغار بهم على معسكر (أبو حمد) وانتشبت الحرب  
بينه وبين من فيه من الدراويش ومعهم سليمان بن نعمان قر قاتل الكولونيل  
ستيوارت فاقتحم سليمان صفوف العباددة وقاتل حتى سقط قتيلاً بينهم  
خز وأرأسه واحتملوا

وكانت الحكومة نشرت نشرة فخواها ان من يأتيها برأس

واستخدمت الحرية أيضا عدداً ليس بقليل من رجال العبادلة ليجولوا في الصحاري وناطت بعضهم مهنة التجسس للحكومة وصار آخرون منهم تجسسون للتعايشي فاستحكم النفور بين المليكاب والعشاباب وصار جواسيس الحكومة من العشاباب يسمون عند الحكومة بجواسيس المهديوية ويلحقون بهم المصائب اذا كانوا من المليكاب أما اذا كانوا من العشاباب فلا يتعرضون لهم وربما اعانواهم على قضاء أوطارهم وبمثل هذه المعاملة يعامل المليكاب جواسيس المهديوية فينكون بالعشاباب ويتركون أقاربهم

ولبت العشاباب والمليكاب يحاربون بعضهم في دائرتي نفوذ الحكومة والتعايشي وينكون بعضهم أشد النكال وفي سنة ١٣٠٦ قويت حظوة محمد بشير كرار أحد العشاباب عند التعايشي حتى جعله قائداً لدابته يأخذ بخطامها في المواكب واتفق ان الحكومة ارسلت صالح بن حسين خليفة الى ابن عمه حسن خليفة للمخاطبة فنزل عليه ضيفاً في (آبار المرات) ثم قفل راجعاً الى اصوان فتمى خبره الى التعايشي فاستشاز غيظاً وكانت وشايات قائداً دابته قد تمكنت من قلبه وكتب جمع من الامراء الذين في بربر والمرابطين في أبو حمد الى التعايشي يتهمون حسن خليفة بالخيانة والميل لجانب الحكومة فاستقدمه التعايشي الى أم درمان فلما قدمها قبض عليه فيها وسجنه وأصدر أيضاً أمراً بالقبض على سائر أفراد قبيلة المليكاب من ذكر واثني وكان معظمهم يسكن حوالى بربر فقبض عليهم وصودرت أموالهم وسيقوا الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال وسبيت نساؤهم وهم يبلغون بضعة آلاف

وتوفى محمد خليفة والد حسن خليفة غماً مما أصاب ابنه وقومه وكان

الماشية كسائر الاعراب ولكن بسبب عدم خصب البلاد التي  
يسكنونها لا تقوم الماشية بمعيشتهم قياما يصرف وجهتهم عن غيرها من  
سبل الارتزاق

ولما افتتح المغفور له محمد على باشا السودان اشتغل رجال قبيلة العبابدة بمهنة  
تسيير القوافل التجارية والحربية في طريق الصحراء بين (كروسكو وأبو حمد)  
وبالرغم عن قلة عدد المليكاب وكثرة سواد العشاباب استأثر المليكاب بالزعامة  
على القوافل التي تسيير بين مصر والسودان وبالعكس ونبع منهم رجال احرزوا  
الشهرة والنباهة في الازمان التي تقدمت ولاية ساكن الجنان محمد على باشا  
على الديار المصرية

ولما قامت ثورة المهدي في السودان كان حسن ابو خليفة بن اخي حسين  
باشا خليفة قابضا على رئاسة تسيير القوافل بين مصر والسودان فانضم الى  
المهديين وكتب له المهدي أمرا بالرئاسة على قبيلة العبابدة والدعوة له حوالى  
مديرية اصوان وشهد بمض الوقائع التي انهزم فيها دعاة المهدي في اقليم دنقلة  
وبسبب استبداد المليكاب بالرئاسة على القوافل دون العشاباب تولدت  
بينهم العداوة واستحكمت الاحنة في صدورهم ونالوا من دماء بعضهم ما زاد  
الطين بلة والظنور نفمة واستعقرت العداوة بين تينك البطنين وتوارثها  
الحلف عن السلف

وقبض كثير من العشاباب على وظائف بريد التعاشي وبعض وظائف  
بيت المال فاشتدت المناظرة بينهم وبين المليكاب الذين ولي التعاشي رئيسهم  
حسن أبا خليفة الامارة عليهم ووكل اليهم رئاسة القوافل أيضا وجعلهم مرابطين  
في (آبار المرات) بين كروسكو وأبو حمد

ثمّنه في مصارف بيت المال العامة مع ان العاج فيء والفيء من نصيبه الخاص به واستدعى أعوان بيت المال ووبخهم على ما فعله رئيسهم ابراهيم عدلان فلم يكن منهم غير الاستغفار والتضرع بطلب العفو وهم لا يجهلون ان الأمر ببيع العاج هو التعايشي وفي بيت المال الامر الصادر منه ببيعه ثم أفتى القضاة بإبطال بيع العاج وجواز مصادرته من التجار فأرسل مندوبين خلفهم الى سواكن أخذوا ما بأيدي التجار من العاج قبل أن يتصرفوا فيه وكتب التعايشي بدفع العاج المصادر الى تاجر سواكني اسمه (عمر كشه) ليبيعه بمعرفته وليشتري منه بعض أدوات كياوية تحتاج لها معامل الخرطوش

وبلغت قيمة ما صودر من العاج أربعمائة ألف ريال مجيدي وفقد أكثر من أربعمائة تاجر رأس مالهم وصاروا في حالة يرثى لها ولم يبق لديهم نفقة عودتهم من سواكن الى أوطانهم

وأكثر التعايشي من البحث والتنقيب على ثروة ابراهيم عدلان فلم يعثر على شيء منها والمرجح انه غيب أمواله في جوف الارض ولا يعرف موضعها غيره وستكون نصيب من يخدمه الحظ فيفتنم تلك الحبيثة التي تقدر بمئات الالوف من الذهب

وخلف ابراهيم عدلان في وظيفة أمانة بيت المال النور ابراهيم الجريفاوي الذي كان أمين بيت مال بربر وقد ذكرنا فيما مضى طرفا من سيرته وأعماله

### ذكر حادثة العبادلة وإبعادهم

العبادة قبيلة تسكن حوالي مدينة أصوان وهي تنقسم الى بطنيين (العشاباب) و (المليكاب) وهؤلاء أقل عددا من الاولين وقوام معيشتهم

ذكر بقية اخبار ابراهيم عدلان ومسألة مصادرة العاج  
لما ألقى التعايشي القبض على ابراهيم عدلان انتدب الزاكي عثمان  
البقارى واحمد دى أحد كتبتة لمرجعة دفاتر بيت المال وابداء رأيهم فى أعماله  
فقبضوا على كاتب أسرار ابراهيم عدلان وأودعوه السجن وقتشوا بيته فوجدوا  
ضمن أوراقه وريقة فيها رسم من نوع الرسوم التى يسميها جماعة المشعوذين  
(الوافاق) أو (الخواتم) مكتوبا فيها « الملك عبد الله » أي التعايشي  
وفىها أيضا اسم ابراهيم عدلان فاستنتجوا من ذلك ان تلك الورقة صنعت  
لاستماله قلب التعايشي لمحبة ابراهيم عدلان فعرضت تلك الورقة ضمن  
أوجه الاتهام التى اتهم بها ابراهيم المذكور فقال قضاة الجهل والظلم ما يأتى  
« ان تسمية الخليفة بالملك تدل على ان فاعلها غير مصدق بالمهدية ومن كان كذلك  
فهو كافر ودمه هدر وماله وأولاده غنيمة للمسلمين »

ومنذ استنوات المهدوية على أقاليم بحر الغزال وخط الاستواء صار عملها  
يجلبون لها العاج وفى آخر عهد ابراهيم عدلان جاءت ارسالية من العاج  
فاصدر التعايشي أمراً ببيعها من التجار الذين أذن لهم بحملها الى سواكن  
ليبيعها هناك فتسلاعب ابراهيم عدلان فى تقدير قيمتها حتى انه كان يبيعها  
للتجار بنصفها ويشركهم فى الربح وأثبت كاتب أسرارده انه أعطى أحد أولئك  
التجار أربعة آلاف ريال وكتب صكاً بينهما على أن يكون رأس المال ديناً  
على التاجر والارباح مناصفة بينهما فاشتري التاجر بالاربعة آلاف ريال عاجا  
من بيت المال تقدر قيمته الحقيقية بثمانية آلاف ريال فعقد التعايشي مجلسا  
من القضاة وقال لهم انه لم يأذن لابراهيم عدلان فى بيع العاج وقد باعه وأنفق



السكان ظنا منه ان هذه الاقوال تكون اعظم شفيع له لدي التعايشى الذى كان لا يجهل صدق قوله ولكنه لما كان يقصد خراب البلاد وهلاك سكانها أظهر تكذيبه واستدعى القضاة فاستنطقوا ابراهيم عدلان عن سبب عدم ارساله الغلال من الجزيرة فاعتذر لهم بما تقدم فاستدعى التعايشى رجلا اسمه (أحمد السنى) من عمال بيت المال فتعهد له باحضار الغلال من الجزيرة فزوده بالأوامر وذهب اليها وبعد ايام قلائل أرسل له السفن مملوءة بالغلال. ويحىء فيما بعد ذكر بقية أخبار أحمد السنى وما آل اليه أمره من الرئاسة على الجزيرة كلها ولا يعزب عن القارئ انه قام بانفاذ رغبة التعايشى حيث صادر مابقى بيد الاهلين من اسباب الحياة. على ان امتناع ابراهيم عدلان من انفاذ ماأراده التعايشى عاد بفائدة هى قرب موسم الزراعة حيث كان ما بيد الناس من الغلال يقوم ببعض ضرورياتهم ريثما يجيئ زمن هطول الامطار ثم ان التعايشى قبض على ابراهيم وكبله بالحديد وفى الغد شكل مجلسا لحاكمته تحت رئاسة الخليفة على حلو حكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ ذلك الحكم بعد ساعتين من صدوره

وابراهيم عدلان هذا أصله من قبيلة حقيرة فى الجزيرة اسمها (الحوالدة) وأمه من قبيلة تسكن (ولد مدنى) يقال لها (المدنيين) وكان يتجر فى كردفان بأموال بعض تجار الاسرائيليين المصريين ثم لحق بالمهدى حينما حاصر الابيض ومن ثم اصطحبته احمد سليمان أمين بيت المال ووكل اليه بيع الارقاء والماشية التى لبيت المال ثم جوزى كما جوزى سنار وسيأتي ان أحمد السنى سعى بابراهيم عدلان عند التعايشى فكان من أمره ماكان

وصار ابراهيم المذكور ذانفوذ عظيم وشاد لنفسه داراً واسعة ملائها بالمحظيات من الفتيات الحسان وجمع حوله عدداً كبيراً من الغلمان وتغالي في اظهار الابهة وتمادي في الغرور حتى حسده القريب والبعيدوا كثروا من السعاية به عند التعايشي وكان يعقوب في طليعة أولئك الواشين

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ قبض عليه التعايشي وزجه في السجن وصادر ماظهر من أمواله حيث لم يمتد الى جميعها ثم اطلقه وأعادته الى منصبه

وفي جمادي الثانية سنة ١٣٠٦ نفذت الاقوات التي كان ابراهيم عدلان صادرها من أهالي الجزيرة كما ذكرناه فيما تقدم ثم دخلت سنة ١٣٠٧ وقد ألهم الجراد محاصيل البلاد قبل زمن الحصاد وقل ورود الغلة الى أم درمان حيث لم يجد الجبابة محصولاً جديداً يأخذونه لبيت المال وهلك الناس من مجاعة السنة الماضية ولم يبق غير أولي الثروة الذين نفذ معظم ثروتهم ولم يبق لديهم من المحصول غير قليل من الذرة استبقوه لقوتهم وأصبح التعايشي عاجزاً عن تقديم الاقوات الى أقاربه البقارة فعزم على مصادرة ثلاثة ارباع مابقى من الغلال في ايدي أهل الجزيرة فاستدعي ابراهيم عدلان وعرض عليه انفاذ هذا الامر فامتنع من قبوله وقال للتعايشي ان ما بقى بايدي الاهلين لا يقوم بحاجتهم وان مصادرة هذا القدر منهم ضربة قاضية على من في الجزيرة من السكان فاجابه هكذا أمرت وعليك ان تسافر بنفسك لانفاذ هذا الامر فامتنع وغادر أم درمان وأقام بالجزيرة زهاء ثلاثة أشهر فتكت في خلالها المجاعة فتكا ذريعاً بالبتارة وظل التعايشي ينتظر من وقت لآخر مجيء الاقوات من ابراهيم عدلان الذي لم يوافه بشيء ما وأخيراً عاد الى أم درمان وطعن يخبر التعايشي بما استعقب المجاعة من تدمير البلاد وهلاك

الي أم درمان فسادروا ديارهم ولحقوا ببلاد (وداي) ولولم يفتقر الفزالي  
بسراب وعود التعايشي ويجب دعوته لما جاء الى أم درمان أحد من قبيلة التعايشي  
التي كان مقيماً شوما وويل على البلاد وعلى كل حال فان الفزالي ذهب كما ذهب  
غيره من الذين ساعدوا المهديونية وعاونوا المهدي وخليفته على المظالم ولا غرو  
فن أعان ظالماً سلط عليه

وكان يعقوب شقيق التعايشي يضمر السوء للفزالي ويخاف على مركزه  
منه لزعامته على قبيلة التعايشة ولذا سعى بينه وبين أخيه التعايشي حتي أوقع  
النفرة بينهما لينام مطمئناً في منصبه الذي كان حريصاً على بقاءه فيه

### ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين بيت المال

ذكرنا ما كان من أمر عزل أحمد سليمان أمين بيت المال واسناد منصبه الى  
ابراهيم عدلان الذي كان صنيعته وأحد اعوانه في بيت المال

ولما مات المهدي وظهر ما يضمره التعايشي لأحمد سليمان مال ابراهيم  
عدلان عنه وصار يشي به عند التعايشي حتي بوأه منصبه وقربه منه وصيره  
من ذوى شوره فاستخدم هذا المنصب وجمع بسببه أموالاً طائلة وقد أشرنا  
الى ما اغتاله من الغلال في سنة المجاعة الاولى والحاصل انه أصبح ذا ثروة  
كبيرة تعد بمئات الالوف وتمكن الفرور منه حتي صار ينازع يعقوب  
في النفوذ ويسمى به عند أخيه التعايشي الذي كان يبتدش من جرائه  
ويخفي تأثره من وقاحته التي دفعت الى منازعة أخيه وقد رأيت ابراهيم المذكور  
جالساً بحضرة يعقوب غير مكترث به ولا جاث على ركبتيه كما يفعله

ولما استقدم التعايشى قبيلة التعايشة ليشد بها عضده وعد زعيمها  
 الغزالي بان يجعله وزيره وبذلك تمكن من استمالته  
 وكان الغزالي بعد وصوله أم درمان يستنجر التعايشى الوعد فلا يجد منه  
 غير الماطلة والتسويق وكان من سياسة التعايشى ان يسند الوظائف الى  
 ضعفاء البقارة وزعانفهم ممن تؤمن غائلته لا الى من يكون فارسا قوى الشكيمة  
 مثل الغزالي خوفا من استمالته الناس بقوته وحزمه

ولما نيس الغزالي من نيل ما تواق نفسه اليه من الرئاسة وشاهد مظلالم  
 التعايشى وسوء تصرفه وطعن عزمه على الفرار من أم درمان واللاحاق ببلاد  
 التعايشة في دارفور حيث يلحق بالذين تخلفوا عن مرافقته الى أم درمان من  
 قبيلته وكان يظن ان اكثر قومه الذين جاؤا معه يرافقونه ولا يتقاعدون عنه  
 ولكن خاب ظنه ولم يتبعه الا أحد مواليه وابن أخته فغادر الثلاثة أم درمان في  
 أول الليل وساروا متجهين الى جهة الغرب وفي القد نبي خبرهم الى عبد الله  
 التعايشى فامر نحو سبعمائة رجل ان يتأثروهم وبعد مسيرة بضعة ليال ادركوهم في  
 الطريق وقد بلغوا جهة يقال لها ( كجر ) بالقرب من بلاد كردفان الشمالية  
 فوقف الغزالي وقفة من لا يحسب للموت حسابا وأطلق على رجال التعايشى  
 النيران من بندقيته حتى طرأ عليها خلل أوقف متابعة الاطلاق فامتشق  
 حسامه حتى أحاطت به الخيل وقتلوه وحملوا رأسه الى التعايشى اما رفيقاه  
 فقد وقعا أسيرين وقفل القوم راجعين الى أم درمان ، وقد ساء وقع هذه  
 الفاجعة في قلوب التعايشة واشتد حنهم على عبد الله التعايشى وسيأتى ذكر  
 شيء من نتائج هذه المسألة

هذا وقد تقدم لنا ان نحو النصف من قبيلة التعايشة كرهوا ان يرجعوا

لزم سيده فقال له التعايشي ان قتل الكلب ومحو اثره من الارض خير  
من اجاعته وكان قصد ذلك المقرب من كلامه أن يصادر التعايشي غلات  
رعاياه فتكون نتيجة ذلك الجوع فاجابه بان موتهم خير من هذه الطريقة  
أما ما اصاب المؤلف من هذه المجاعة فإنه يفوق الوصف فن  
ذلك أني ذهبت يوما الى دور البقارة لالتقاط الجبوب المبعثرة حول  
اسطبلات الخيول وبمد ان جمعت نحو مدين منها جاءني اعرابي فاخذه  
مني فيشت من الحياة وكدت أهلك انا واولادي لو لم تصل اليّ نقود  
مرسلة من صديقي الوفي محمد ماهر باشا محافظ مصر الآن اذ بها امكنتي  
أن اتخلص من مخالب المجاعة الاولى حتى دخلت سنة ١٣٠٧ وهبطت  
أسعار القوت الى النصف والذين استطاعوا الخروج من هذه السنة  
من أولي اليسار لم يخرجوا الا فقراء لا يملكون شروى نقيير أما الفقراء فقد  
ماتوا رحمة الله عليهم

وقد ملك التعايشي كثيرا من اقاربه البقارة الاراضى التي مات اهلها  
في سنتي المجاعة فانطلقت ايديهم في البلاد بالسلب والنهب وما بقي في  
ايدي الاهلين من مواد الحياة اصبح عرضة لعبث البقارة ومع ذلك كله  
كانوا ناقلين عليه غير راضين باحكامه حتى أنهم كانوا يخنون الى ديارهم  
ويودون العودة اليها

### ذكر فرار الغزالي وقتله

الغزالي بن احمد خوف زعيم قبيلة التعايشه وكان ذا ثروة واسعة من الماشية  
ونفوذ عظيم في قبيلته وكان فارسا صنديدا تهابه القبائل وتقي بأسه الاعداء



وهجرها سكانها ولحقوا بالجلال التي حوالى كردفان وسكنوا بها ليمعدوا عن  
المهدويين وظلمهم الفاحش

وأما دارفور فقد اجتاحت الحروب بلادها وفشى القحط فى أرجائها  
وخربت بلادها ونزح أكثر سكانها الى الجهات الغربية واستوطنوها ومنهم  
من اعتصم بالجلال ولحق بها. والخلاصة ان البلاد السودانية كلها قد عصت  
بناب القحط وحل الخراب والدمار محل العمار حتى صارت تلك البلاد كلها  
ينطبق عليها قول الشاعر

أُمت خلاء وأُمسى أهلها احتملوا      أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وليس لذلك من سبب سوى قصد التعايشى لحول هذه المصائب بأهالى  
تلك البلاد ليضعفهم ويأمن عاقبة ثورتهم عليه فانه لو لم يرسل الجهادية  
ويوعز اليهم بنهب محصولات الجزيرة لما وصل حال المجاعة الى الدرجة التي  
وصفناها لان أهالى السودان يخزنون الغلال بكثرة حتى ان الواحد منهم ليخزن  
فى السنة غلة تقوم بقوته عدة سنوات اتقاء شر المجاعات التي تنتابهم فى  
أكثر السنين وقد علمت ان مجاعة الجزيرة لم تصل الى الحد الذى تقدم لنا  
ذكره الا بعد ان صودرت غلات أهلها ومجاعات بربر لم يقصد بها التعايشى  
غير هلاك أهلها وكذلك مجاعة كسلة والقضارف قد علمت أسبابهما وكل  
ذلك لم يقصد به التعايشى الا اضعاف الاهلين فانه لما أحس بامتعضهم منه  
وخشى عاقبة ثورتهم عليه لم يغير سياسته العوجاء التي أوجبت امتعضهم  
منه بل عمد الى اهلاكهم وفنائهم ليصبح آمناً على مركزه ويبيت مطمئناً على  
ملكه فصار مثله مثل اليوم يسر بالخراب أكثر من العمران

ونقل لى ثقة أن احد مقربى التعايشى قال له يوماً ان الكلب اذا جاع

فهلك الناس واكلوا الميتة والجلود واكل بعضهم أولادهم وقد حكى لى من كان بالقضارف وقتئذ ان احدى نساء الامراء توفيت بغتة وكانت ضخمة الجثة فتآمر أناس ممن عرفوها ونبشوا قبرها فى الليل وقطعوا لحمها وانضجوه فى القدور واكلوه قبل ان يسفر الفجر وفى الغد وجد القبر منبوشا فمقتشوا المنازل فوجدوا فيها لحوم الآدميين وعظامهم مما يدل على ان أهالى القضارف كانوا يقتاتون بلحوم بعضهم ولذلك لم يعرف من نبش قبر تلك المرأة

ولم ينبج من مخالب المجاعة فى القضارف غير أولى اليسار واقصد رأيت فى ام درمان رجلا من اهل القضارف متسولا وقد كان راس مال تجارته لا يقل عن مائة الف ريال وكان له نحو الف مملوك يشتغلون بحراثة أراضيه الواسعة فذهب رأس ماله وأراضيه ومماليكه فى شراء الغلة حتى خرج من تلك السنة لا يملك شروى نقيير. والحاصل ان القضارف لم يبق فيها من السكان اكثر من بضعة آلاف نسمة وهلكت قبيلة (الضباينة) ايضا وهى قبيلة رحالة كبيرة تفوق قبيلة الشكرية التى تقدم ذكر فنائها ماشية ونفوسا

وأما كردفان فقد قلنا ان المطر هطل فيها بكثرة فرويت ارضها ونجت حاصلاتها من الجراد وبالرغم عن ذلك كله وقعت فى المجاعة لان التعاشي جمع اكثر من عشرة آلاف فارس من أقاربه وانفذهم اليها فنزلوا القرى ونهبوا ما بأيدي سكانها من الحبوب وذبحوا ماشيتهم فارتفعت أسمار الحبوب وفشت المجاعة فى البلاد حتى تجاوز ثمن الارذب عشرين ريالا أما مظالم المهديوية فى كردفان فحدث عنها ولا حرج اذ قد تجاوزت حد المعقول وبعد ان كان أهاليها اغني أهالى السودان لان الصمغ وريش النعام من اكثر محصولات بلادهم صاروا فى نهاية الفقر المدقع وخربت قري عديدة

### المجاعة في دنقلة

اما المجاعة في دنقلة فن أهم أسبابها انخفاض النيل في تلك المديرية لان ري مزروعاتها مثل ري اطيان صعيد مصر يتوقف على زيادة النيل وزد على ذلك ان المهديوية منذ حلولها في دنقلة حافت على النفوس وصادرت الاموال وبلغ ثمن الكيلة من الذرة عشرين ريالاً ولكن ساعد على تخفيف وطأة المجاعة وجود التمر بكثرة في دنقلة من محاصيل النخيل

### المجاعة في كسلة

ذكرنا ان التعايشي فصل مديرية كسلة عن سلطة عثمان دنقة وولي عليها قريبه حامدين على الذي حكمها بصرامة وصادر أموال قبائلها وقطع السبل عليهم فهلكت القبائل ونزح اكثرها الى بلاد الحبشة وهلكت قبيلة المهدندوة التي كان عدد نفوسها نحو مليون نسمة . ومما يجب ذكره هنا ان حامدين على أرسل الى التعايشي نحو مائتي ألف ريال عدا الذهب والفضة اللذين سلّهما من الاهلين

### المجاعة في القضارف

ذكرنا القضارف وخصوبة تربتها وكثرة حاصلاتها ولما تفشت المجاعة في السودان في أوائل سنة ١٣٠٦ لم تكن وطأة القحط شديدة على تلك الجهة وفي بداية سنة ١٣٠٧ زحف الزاكي حامل من القلايات بعد ان ترك بها حامية لا تتجاوز ألف مقاتل الى القضارف ووزع جنده في القرى فأنهبوا ما بأيدي الناس من الفلال وجمعها في بيت المال وأمر أن لا يباع الا ردب منها الا بمائتي ريال

ببضعة أسابيع نزل الجراد على المحصول فاتهمه ولم يبق منه شيئاً  
ودخلت سنة ١٣٠٧ والمجاعة لا تزال في أم درمان والجزيرة ولكن الاسعار  
هبطت الى النصف حيث بيع الاردب بعشرين ريالاً مجيدياً وليس لذلك من  
سبب غير فناء الناس ويقول الحبيرون ان الذين هلكوا بالمجاعة لا ينقصون  
عن ثلاثة أرباع السكان

### المجاعة في اقليم بربر

ذكرنا ما كان من أمر عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الديكيم عليها  
وفي أوائل سنة ١٣٠٦ حين بدأ القحط بأم درمان والجزيرة أصدر  
التعاليشي منشوراً بمنع ارسال الاقوات الى بربر وتوعد من حملها اليه بالقتل ووضع  
حراساً على ضفة النهر لمنع السفن التي تحاول الوصول الى شمال أم درمان  
ثم أصدر أمراً الى عثمان الديكيم حاكم بربر ببث الرجال في انحاء البلاد لاتلاف  
الزرع قبل استوائه فقلع الزرع وطوله نحو شبرين وبعد ذلك أمر بقطع  
السبل ومنع أهالي بربر من مغادرة ديارهم وخطب على المنبر خطبة عدد  
فيها سيئات الجميلين سكان ذلك الاقليم ولم يترك وصمة الا نسبها اليهم وقال  
انهم اغتالوا المال يوم فتح بربر ولما أرسل لهم المهدي المنشورات وأمرهم برد  
ما غلوه من الغنائم كادوا يشيرون على المهدي ويخرجون عن طاعته وكان  
الانكليز وقتئذٍ زاحفين على (بربر وابوطليح) ثم أمر أن لا يترك زرع لهؤلاء  
المنافقين وأن يحجر عليهم ليموتوا جوعاً في بلادهم فنفذت أوامره وهلك  
الجمليون وماتوا في مضاجع نومهم ولم ينج منهم الا نحو العشر وبلغ ثمن الكيلة  
من الذرة عشرين ريالاً وفقد القوت بالكيلة

ما يدي الاهلين من الحبوب وأخيرا أصدر التعايشي أمره بمصادرة  
 نصفها وترك النصف الآخر لهم فارتفع ثمن الذرة حتى بلغ ثمن الاردب  
 منه أربعين ريالاً مجيداً أي نحو سبع جنيهات إنكليزية واغتال ابراهيم عدلان  
 ومن معه من المندوبين عشرة آلاف أردب تقدر قيمتها بأربعمائة ألف ريال  
 وكانت بلاد العميد الواقعة جنوب الخرطوم قد هطل فيها المطر بكثرة  
 فهرع التجار اليها لطلب الغلال منها فأصدر التعايشي أمراً باخذ نصف جميع  
 الغلال التي تجلب من خارج أم درمان بسعر ست ريالات من الريال المسمى المقبول  
 تباع لأقاربه التعايشة الذين تقدم لنا ذكر وصولهم لام درمان فارتفعت الاسعار  
 وعز وجود القوت وهلك أهالي القرى الواقعة جنوب سنار وبادوا حتى  
 صرنا ندخل القرية فلا نجد فيها دياراً والناس أموات على أسرة نومهم  
 وداخل حجراتهم هم وأولادهم ولم تصب كردفان بشيء من هذا القحط اذ كانوا  
 أمطروا بمطر غزير أحيا موات الارض وأنبت الزرع فهرع التجار  
 اليها ليجلبوا غلتها كما هرعوا الى بلاد العميد وكان ثمن الاردب من دخن كردفان  
 لا يتجاوز ريالين ولكن لا توجد جمال للحمل واني توجد وقد قصصنا عليك  
 فيما تقدم ما حاق بالابل والقبائل الرحالة فكانت أجرة حمل الاردب من كردفان  
 الى أم درمان أخذ نصفه ثم كانت النتيجة صعود الاسعار في (كردفان وفشوده)  
 اللتين هرع الناس اليهما لطلب الاقوات منهما واشتدت وطأة المجاعة وتضاعفت  
 ويلاتها وزاد الطين بلة تفشي الطاعون البقري في ماشية السودان تفشياً مريعاً  
 حتى هلك جل البقر ولم يبق منه في أنحاء السودان كله الا شيء قليل  
 جداً فارتفعت أسعار اللحوم وساءت الاحوال وفي أواخر السنة هطلت الامطار  
 فتفاهل الناس خيراً وجادت الارض بمحصول وافر ولكن قبل اوان الحصاد



تروهم من البنائين والفعلة فلا عمل لهم في الحقيقة بل هم متحركون بارادة الملائكة فقال المهندس اسماعيل أفندي للبنائين أسمعتم ما قاله الخليفة فقالوا بلى فقال لهم ان الخليفة اعتبركم ملائكة في الحقيقة وهذا الاعتبار هو الذي حال دون اعطائكم شيئاً من الاجرة لان الملائكة في غنى عن الطعام والشراب الذين من كان منزلها عنهما لا يعطي شيئاً من أجرته فضحكوا وتعجبوا من وقاحة الخليفة وبعد سنة تم تشييد القبة ووضعت في داخلها المصابيح وفرشت بالابسطة وأحيط القبر بمقصورة من النحاس ووضع عليه تابوت من الخشب صنعه نجارون مصريون ووضع على التابوت كسوة من الجوخ وثريرات من الفضة والذهب وصار الناس يقصدونها للزيارة في كل يوم

### ذكر المجاعة في سنتي ١٢٠٦ و ١٢٠٧

لما كانت هذه المجاعة قد لحقت السودان كله وكانت أسبابها مختلفة رأينا ان نذكر تأثيرها في كل إقليم على حدة مبتدئين بذكرها في أم درمان فنقول

#### المجاعة في أم درمان والجزيرة

من عادة أهل الجزيرة انهم يخزنون محصولاتهم من الذرة اتقاء شر المجاعات التي تنتاب البلاد بسبب انحباس المطر عنهم وقد ذكرنا ان التعايشي لما أصدر الاوامر لأهل الجزيرة بمغادرتها وسكني أم درمان عادوا الى بلادهم فوجدوا المخزون من محصولاتهم قد نهبه الجهادية وفي سنة ١٣٠٦ لم تجد السماء عليهم بمطر فانتدب التعايشي ابراهيم عدلان أمين بيت المال ومعه عشرة من الامناء ووجههم الى الجزيرة لاغتصاب

## ذكر تشييد قبة المهدي

سردنا كثيراً من أعمال التعايشي بعد وفاة سلفه المهدي ولما كان بعضها يدل دلالة صريحة على أنه إنما كان يظهر اعتقاد دعوي المهديّة حرصاً على سلطانه الذي ورثه من وراء هذه الدعوى وبذل على ذلك أنه صادر أموال أقارب المهدي واضطهد أولاده وصار يحقرهم في مجالسه الخصوصية ويميرهم بأنهم دنقاويون لا يصلحون الحراسة الابواب والاشتغال بمهنة ملاحاة السفن وتداولت اللسان هذه الأقوال وعندها الناس دليلاً ساطعاً على أنه لم يكن مصداقاً بالمهدي وإنما كان يراءى الناس عزم على تشييد قبة على قبر المهدي ليبرهن للناس على عكس ما خالج صدورهم فكلف مهندساً مصرياً اسمه اسماعيل افندي فوضع رسماً لهذه القبة ذا أربع زوايا يبلغ طول كل زاوية منها سبعة عشر ذراعاً وجعل عرض الأساس أكثر من مترين وبعد رفع البناء نحو خمسة أمتار جعلوه مشمّاثم مستديراً وفي يوم وضع الأساس اقيم احتفال كبير وذبحت البدن والثيران والحرفان وقدمت الاطعمة للآلاف من الحاضرين وامسك التعايشي بيده معولاً وبدأ بحفر الأساس

أما الاحجار فانهم كانوا يجلبونها من انقاض منازل الخراطوم التي كانوا يهدمونها ومن انقاض ديوان الحكمديارية والمديرية والارصفة التي على ضفة نهر المرقن وانقاض ما هدم من الكنيسة الكاثوليكية. وجميع البنائين الذين بنوها مصريون أما القعلة فهم متطوعون من الدراويش والامراء وكان البنائون يقضون اياماً عديدة في العمل ولا يعطون شيئاً ما وفي بعض الايام جلس التعايشي وكلم من حوله قائلاً ان الذين يباشرون بناء قبة المهدي في الحقيقة هم الملائكة اما الذين

وجماعتهم وكان حيرانه وجلهم مصريون يجتمعون في منزله فيصلي بهم جماعة ثم يعظهم ويبين لهم فساد دعوي المهدوية ومخالفة مدعيها للشرعية المحمدية الفراء حتى أفق بوجوب قتال هذه الفئة الضالة فمني خبره الى التعاشي الذي أرسل اثنين من خاصته حضرا مجلسه وسمعا مايقوله وعادا اليه فاخبراه به فارسل اليه مائة رجل قبضوا عليه وعلى جارين له احدهما مصري وطرحوه في السجن وكان الوقت ليلا وفي الند عقد مجلس اجتمع فيه القضاة كلهم برئاسة الخليفة على حلو وقدم الرجل وجاراه للاستئطاق وكان المجلس هائلا اذ كانت القضاة والرئيس محاطين بالوف من الفرسان والمشاة والسيوف مسلولة على رؤسهم فلم يهب الشيخ محمد عبد الماجد هذا المنظر الهائل بل جلس ثابت الجنان ولما سئل اعترف بكل ما اسند اليه من التهم وسردها معززة بالادلة الشرعية وقال لهم هذا هو الحق واتم في ضلال وأنا أدعوكم الى التوبة والعدول عنه أما صاحبا فانكرا انهما يعرفانه وادعيا ان ليس بينهما وبينه علاقة وهما في ذلك صادقان اذ احدهما لم يكن ساكنا في هذا الحي بل جاء لزيارة الثاني الذي هو تاجر مشغول بتجارته لا علاقة له مع هذا الرجل الذي أخم من في المجلس بادلته حتى احتدم من فيه بالغيظ والحلق عليه فامروا بالرجل وصاحبيه ان يصلبا فسيقوا يحيط بهم بضعة آلاف رجل حتي قدموا الى المشنقة فصاب الشيخ محمد عبد الماجد الذي كان من أمره انه لما اقترب من المشنقة صعد الى السكرسى ساكن الجاش وفاه بكلام يدل على انه آثر الموت دفاعا عن الحق وانتصارا للملة الحنيفة فرحمه الله رحمة واسعة واكرمه بكرامة الشهداء أما صاحبا وهما عبد المجيد حسن ومحمد نور فاعيدا الى السجن وعوفيا من الصلب

وعدت الى جوار يوسف المذكور

ومن الحوادث التي اتفقت لي بعد عودتي انه كان لي ابن اسمه محمد ولد بعد سقوط الخرطوم ببضعة شهور وكان عمره وقتئذ ثلاث سنوات وكان يراني اختبئ في قعر بيتي وأدخن السجائر وفي ذات يوم أخذ الورق الذي ألف فيه الدخان وقعد امام المنزل ولف فيه رملا على هيئة السجائر واتفق ان حسن ابن حسين أمير المصريين جاء لزيارتي وكان شديد التعلق بالمهدوية لكنه كان يحب بني جلده المصريين ويغار عليهم ويدفع عنهم كثيراً من المصائب فخرجت للقائه فرأى ابني محمداً وبين يديه سجائر الرمل فسأله قائلاً ما هذه يا بني فقال له ان أبي يصنع مثل هذه ويشعلها بالنار فيخرج الدخان من انفه وفيه قفطن حسن حسين الكلامه وادرك اني أدخن في منزلي فها اني ذلك وانتهرت ابني فقال لي أذهب الى داخل البيت وآتي بالسجائر التي تدخنها فاسكتته حسن حسين والتفت اليّ يحذرنى من وخامة العاقبة اذا شاع عنى ذلك ولم ينلني منه أقل مكروه لانه كان كما قدمنا مصرى لا يرضى لقومه ان ينالهم سوء من المهدوية بالرغم عن تعلقه بها وبعد انصراف الزائر أمسكت الغلام وأوجعته ضرباً كيلا يعود الى مثلها

### ذكر مسألة الشيخ محمد عبد الماجد وصلبه

كان في أحد أحياء أم درمان القريبة من سوقها رجل من اهالي مديرية بربر وكان ذا دين وورع وكان ناقماً على المهدوية منكرًا لكل أعمالها وكان الخليفة كما تقدم قد حذر الناس من الاجتماع لجمعة أو جماعة في غير مسجده وكان الشيخ محمد عبد الماجد ملازماً لمنزله منقطعا عن شهود الجمعة مع المهديين

وأخيراً خفض صوته وقال لي انني آت اليك برسالة من مصر فطار عقلي ولم  
أشك في أنه عين عليّ فانتهرته من داخل الباب وقلت له اذهب أيها  
الكاذب فاسرع الرجل بالانصراف خوفاً على نفسه أيضاً وبت ليلتي  
وأنا خائف أتربق وفي ضحوة الغد جلست أمام بابي فجاءني رجل بزي  
التجار المصريين فسلم عليّ وقال لي انني جئتك البارحة لأدفع لك نقوداً  
وكتاباً من أخ لك في أصوان فقلت له اني أخاف أن تكون عيناً عليّ فان  
كنت صادقاً فأقسم لي علي المصحف الشريف أنك صادق فيما تقول وانك  
لست بجاسوس خلف لي على المصحف فاطمأنت وسكن روحي ثم دفع الى  
كتاباً ففضضت غلافه فראيت فيه توقيع محمد ماهر باشا فقرأته فاذا فيه  
السؤال عن ضحتي وانه مرسل اليّ بأربعين جنيتها انكليزيا ورجاني أن أخبره عن كل  
ما يلزمي ثم دفع اليّ الرسول الأربعين جنيتها فأحببت مكافأته باعطائه خمسة  
جنديات فلم يقبل وقال لي ان الذي أرجوه منك هو أن تكتب لي كتاباً الى  
أخيك محمد ماهر محافظ أصوان بانني أسلمت اليك الأربعين جنيتها تامة  
لتظهر أمانتي عنده نوعده بذلك ثم انصرف وعاد اليّ في المساء بهدية من  
السكر والصابون والبن والملابس فكتبت له الكتاب بما أراد وأودعته ذكر  
الهدية التي قدمها لي الرجل من نفسه. فجزى الله عني الشهم الهمام محمد ماهر  
باشا خير الجزاء وبلغه مأموله في الدنيا والآخرة آمين

وعلى اثر ذلك ذهبت الى حيّ المسلمين وبنت فيه منزلاً انفقت عليه  
اكثر من مائة ريال فذهب يوسف منصور وأخبر الخليفة بانني سكنت في  
حي المسلمين وطلب منه اخلاءه عن المسؤولية اذا فررت فاستدعاني  
التعاشي وأمرني بالعودة الى جوار يوسف منصور فبعت المنزل بربع قيمته



أهل دارفور بنتها من نسائه الأول وقد رزقت منه بولد وكان يمنع أقارب  
 نسائه من رؤيتهن حتى ان المرأة كانت تظل عامين أو ثلاثة لا يؤذن لها بالدخول في  
 بيته لرؤية بنتها وكان خصيان التعايشي يعظمون هذه المرأة ويكرمونها نظرا  
 لاحفادها أولاد التعايشي ولذا كانوا يدخلونها خلسة لرؤية بنتها وفي ذات يوم  
 رآها التعايشي لابسة تمام كالأوف عادة نساء السودان اللواتي يلبسن  
 أحجية كبيرة فاصر بالقبض عليها وتمزق أحجبتها التي جعل يتأمل فيها كأنه  
 يقرأ ما فيها بادية عليه علامات الدهشة والاستغراب وبعد أن أمر بسجنها  
 نفاها الى خط الاستواء فمات جوعا في الطريق وعاقب الخصيان أشد  
 العقاب وقطع يد الذي اذن لها منهم في الدخول فتأمل



### ذكر رسالة محمد ماهر باشا للمؤلف

كنت قد عرفت محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن منذ كنا تلاميذين في  
 المدارس واتصلت المحبة بيننا من ذلك العهد  
 ولما وليت على مديريات خط الاستواء كان هو وكيلا لبراوت بك  
 الأمريكاني الذي كان حاكما على تلك الاقاليم قبلي. وفي أوائل سنة ١٣٠٦  
 أمر التعايشي بهدم منزلي ومنازل جيراني لتوسيع ماردة أم درمان فوقعت  
 في حيرة شديدة لما كنت فيه من الاعسار وزيادة علي ذلك اتني كرهت المقام  
 بجوار يوسف منصور فعزمت على الاقامة بجوار السوق في حي المسلمين  
 واسكنني كنت غير قادر على انفاذ هذا العزم لما كنت فيه من الفقر المدقع  
 وبينما أنا في هذه الشدة طرق باب داري طارق بعد العشاء فسألته عن اسمه  
 فلم يجابني فداخني الخوف وظننت أنه جاسوس وامتنعت من فتح الباب له

## ذكر قصتي المراتين

المرأتان هما حماة عبد المولى صابون أمير الجهادية وشقيق حمدان أبي عنجة. وقصة الاولى هي انها كانت امرأة أحد صناعق الشايقية ولها منه بنت ذات جمال بارع أخذها المهديون سبية فاعطاها التعايشي لعبد المولى صابون الذي تغالي في حبها وأقبل عليها وترك نساءه ولم يلتفت اليهن

وفي سنة ١٣٠٥ أصيب عبد المولى صابون بداء الجدام ولزم الفراش فجزع التعايشي عليه اذ كان يحبه وأخذ يتردد على داره ليعوده فاعتنم نساؤه فرصة وجود التعايشي عنده للايقاع بالمرأة التي حازت منزلة عند سيدها اكثر منهن حيث تركهن كما قلنا ولم يلتفت اليهن فاجتمعن وقلن للتعايشي ان مرض عبد المولى صابون مسبب من كثرة أعمال السحر والشعوذة التي تعملها له المرأة الشايقية للاستئثار بمحبته فصدقهن التعايشي لانه كان يعتقد السحر والشعوذة ويخاف على نفسه كثيراً منهما فسأل المرأة فانكرت وقالت انها لا تخرج من دارها وأنا لها بالدجالين والمشعوذين الذين يعملون هذه الاعمال فلم يصدقها وعزم على القبض عليها فالح عليه زوجها وتضرع له ان يتركها فقبل له ان امها هي التي تذهب الي خارج الدار وتروح الي الدجالين فاستنطقها فانكرت وقالت له انني لم أصنع شيئاً من الاسحار والشعوذة ألبتة فقال لها ولم اذا أصيب عبد المولى بهذا المرض اليس ذلك نتيجة أعمالك السحرية وأمر بقطع يدها فقطعت وتوفيت بعد بضع ليال

ولشدة جبن التعايشي خاف على نفسه من مثل ما أصيب به عبد المولى معتقدا ان ذلك المرض لا يحدث الا من الشعوذة والاسحار وكانت له حماة من

على أهلها ان يعملوا بها هذا العمل فاحتدم التعاشي غيظاً وخرج من غرفته ليلاً وأمر عشرة من رجاله أن يحضروا قطعة من جلد بقر نىء، ويقبضوا على عبد القادر ويضعوا قطعة الجلد على عينيه ويتركوها عليها حتى تجف ويغلا يديه ويسافروا به الى الابيض عاصمة كردفان واعطاهم أمرا الى عامل كردفان باستلام عبد القادر منهم وزجه في السجن فذهب الرجال الى منزله ليلاً وهجموا عليه بصورة مزعجة وساقوه من بين أهله واولاده وانفذوا ما اشار به التعاشي وسافروا به ليلاً قاصدين كردفان واصبح الخبر شائعاً في المدينة والناس لا يعلمون اين ذهب به الذين قبضوا عليه وخرج التعاشي علينا لصلاة الظهر والغضب ظاهر على وجهه والشرر يقدح من عينيه وبعد انقضاء الصلاة عاد فدخل الى منزله ولم يتكلم بشيء يختص بابن أم مريوم ولا بغيره ثم لزم السكوت ولم يتكلم بشيء ماعن هذه المسألة وبعد نحو ثمانية عشر شهراً جاء عبد القادر بن أم مريوم الذى ظل في سجن كردفان وعيناه معصوبتان لا يعرف في أى بلد هو ثم بعد ثمانية أشهر أمر التعاشي بازالة الجلد عن عينيه فازبل ولكنه مكث اياماً لا تبصر عيناه شيئاً ومكث بعد ذلك نحو عشرة شهور في سجن كردفان ثم اعيد الى ام درمان وأطلق سراحه ولم يعده التعاشي الى سابق قربه

ولما اعاد التعاشي عبد القادر بن أم مريوم اعاده بهيمة مزعجة حيث بلغت اظفاره منتهى الطول وشعر رأسه ولحيته يكاد يستر جسمه وكان مسجوناً في غرفة ليس فيها غير نافذة صغيرة يناولونه الماء والخبز منها ومن أعان ظالماً ساط عليه



وكانوا يقصدون داره زرافات لهذا الغرض ويقدمون له الهدايا وكانت أخباره  
تصل الى التعايشي الذي كان يكره تزلف الناس الى غيره فيغض الطرف عنها  
ولا يبدي لعبد القادر شيئا يكرهه

وفي ذات يوم جاء رجل يحمل البريد للتعايشي من احدي الجهات  
فقال له عبد القادر سلمني المظروف الذي باسم التعايشي لاسلمه له فدفعه له  
فاخذه وذهب الى المسجد ووضعه أمامه مما يلي مقصورة التعايشي حتى اذا  
فرغ من الصلاة ناوله له فتركه وذهب الى منزله بعد ان قضيت الصلاة فعثر  
به احد حراس الخليفة وقرأ عنوانه وسلمه له فاستغرب التعايشي وجود ذلك  
المظروف فاستدعى الذي جاء به فاخبره ان عبد القادر بن أم مريوم استلمه منه  
ليدفعه اليه فاستاء من ذلك ولم يكشف عبد القادر بشيء من أمر المظروف  
ولكنه أعرض عنه كل الاعراض واقصاه من قربه فعمد عبد القادر الى طريقة  
يستجلب بها رضي التعايشي فاشار عليه احد اصداقائه بتقديم ابنته هدية للخليفة  
فقدمها له وكانت بارعة في الجمال فنالت حظوة عظيمة عند التعايشي فخرج  
من منزله واستدعى عبد القادر واثني عليه وزاد في تربيته والاحتفاء به بما أدهش  
الناس اذ لم يكونوا عالمين بسبب الجفاء والابعاد الاولين كما انهم كانوا يجهلون  
اسباب هذا التقريب الفجائي ولكن ظهرت الحقيقة بعد ايام قلائل وصار  
عبد القادر بن أم مريوم أقرب مقرب الخليفة الذي آس هو منه شدة الميل الي  
قضاء شهواته من القتيات الحسان فاخبره بوجود فتاة جميلة هي بنت رجل من  
أهالي (الكلاكله) أقاربه فارسله الى ذويها يطلبها منهم فبعثوا بها اليه فراعه  
جمالها ولكنه لما اقترب منها وجد خفاضا بها ليس على طريق خفاض النساء  
في السودان فسألها عن سبب ذلك فقالت ان عبد القادر بن أم مريوم أشار

وأولادك فقال له يوسف منصور مهلاً ان هذا الكلام غير لائق بك وان المهدي عليه السلام أوصانا بمراعاة الاسرى وعدم كسر خاطرهم واشتد اللجاج بينهما فقامت من بينهما وانصرفت لسبيلي

ومن النوادر المضحكة اني كنت يوماً بحضرة محمد بن البصير الحلاوي داعية المهدي في (الحلاوين) وكان معي أيضاً يوسف منصور فقال ابن البصير إن أصحاب المهدي أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ان نبي الله الخضر شرب من هذه (الركوة) وهي إناء يصنع من الجلد ولم يشرب من ركوة أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا الى تلك الركوة وقبلناها وضممنها الى صدورنا ووضعناها على رؤسنا التماساً لبركتها فقلت لاحد الحاضرين هل أنت مصدق بهذه الاكذوبة فالتفت اليّ وقال يزعم التعايشي ان الخضر جاسوس له وهذا يقول انه شرب من ركوته ونحن نقول لهما صدقتهما مادمننا لا تقدر على تكذيبهما ثم قال لي وهل نستطيع تكذيبهما لو ادعيا على جبريل أمين الوحي باضعاف ما دعيابه على الخضر فقلت واني لنا القدرة على تكذيبهما فقال قبل وضم وضع واسكت والسلام

### ذكر نفي عبد القادر بن أم مريوم

ذكرنا ماجري بين عبد القادر بن أم مريوم والمأسوف عليه غردون باشا ولما أفضت خلافة المهديين الي عبد الله التعايشي قرب اليه عبد القادر المذكور وأدخله في عداد النواب الذين يعاونون القاضي في نظر القضايا التي ترفع اليه مع بقاءه في وظيفة قائد لعرب (الكلاكله) الذين هم أقاربه فازداد نفوذه بين أولئك الاعراب حتي صاروا يحكمونه فيما شجر بينهم



قد أحسنت معاملة جميع الذين والوه ولم تقم ببعض من كل للذين والوها  
وبهذا التصرف الغريب مهدت كرامة جديدة للمهدي يتمسك بها السخفاء  
الذين يقولون ان جثة المهدي رفعت الى السماء من قبره قبل أن ينش بضع  
سنوات وسيأتى ذكر ذلك في مكانه

### ذكر ما لقيه المؤلف في مقابلته بعض الامراء

من أنواع الذل التي قاسيناها وضروب الالهانة التي كنا نعامل بها من  
أتباع المهدي ما أورده هنا

وذلك اني كنت ذات يوم ماشيا مع يوسف منصور في الخرطوم فررنا بمنزل  
أحد أتباع المهدي المسمى الحاج خالد العمراني الذي أصله من تجار الابيض  
فدعاني يوسف منصور للدخول عليه لاجل زيارته فدخلنا عليه فألقيناه  
جالسا على فروة فقام واقفا على قدميه واستقبل يوسف منصور بكل  
احتراف وفرش له فروة أيضا أجلسه عليها فتقدمت للسلام عليه فانهرنى وقال لي  
اجلس هناك وأشار بيده الى أقصى مكان منه جلست على الارض فجيء  
بالقهوة فقدمها الغلام الى يوسف منصور فقال له قدمها لقوزي فقال له الحاج  
خالد ولماذا تقدمه على نفسك فقال لانه ضابط عظيم وكان ضابطاً عليّ ولأنه  
عزيز قوم يجب اكرامه فقال كان عزيز قوم كفرة وأنت سيده وأفضل منه  
وهو رقيق بل من يخرج من صلبه من الاولاد أرقاء الى يوم القيامة وانه  
كافر يجب على كل مؤمن ومؤمنة اهانة واحتقاره واظهار كراهيته فقلت له  
ياسيدي الحاج خالد اذا كنت كافراً فيما مضي من عمري فقد أسلمت على يد  
المهدي فأجاني بالشتم وقال بل لا تزال كافراً يحمل بيعك واسترقاقتك أنت

اجتماعنا يقول ان عورات الخندق لا بد ان يكون المهدي علمها من عمر ابراهيم والعطا الدود وأنهما هما اللذان اطعاه في الهجوم على الخرطوم بعد ان كان يتأهب للتقهقر الى كردفان على أثر ما أصاب دراويشه من الهزيمة والانكسار في واقعة (أبوطليح)

وبعد ان سقطت الخرطوم ووقعنا في الاسر تحققتنا من نفس قواد المهدي ومستشاريه انهم كانوا على وشك الزحف الى كردفان لولم يقيض الله عمر ابراهيم والعطا الدود لاطلاعهم على عورات المدينة. رجلة القول ان حسن بك البهنساوي براء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقد ظهرت براءته امام المجلس العسكري العالي الذي عقد لمحاکمته وكفى بذلك حجة على ان الذين رموه بالخيانة كانوا ذوي قصد سيء به

وقد يحار الانسان من اقدام الحكومة على محاكمة البهنساوي بك مع أنها عاملت كثيرا من الخوان الذين لا يختلف اثنان في صحة مانسب اليهم من الخيانة بالاعزاز والاکرام حتى أنها قد اغدقت النماء على عمر ابراهيم ولم تترك وسيلة لاسترضائه الا فعلتها وقد أعجز الناس فهم مقاصدها ولم يفسره كثير من السودانيين الا بأنه من كرامات المهدي الذي تكافىء الحكومة الذين صدقوا في ولائه ولقد قال لي واحد من السودانيين انظر الى عمل حكومتكم كيف تصنع الجميل مع الذين ادوا خدما جليلة للمهدي مما يدل على صدق مهديته وكيف عاملتكم انتم الذين بقيتم على ولائها وناوآتم المهدي فأخفني هذا القاتل ولم أحر جوابا أقنعه به لانني لم أفقه كنه مقاصدها فلعلها أقصى نظراً مني

على ان الحكومة التي هدمت قبة المهدي لتقضي على الاعتقاد بمهديته

سقوط المدينة وقد شرعنا كيفية دخوله وان اللذين اطلعا المهدي على عورات الخندق هما الصنجقان الخائنات عمر ابراهيم والعطا الدود ولم نعلم شيئاً يدعو الى اتهام الميرالاي حسن بك البهنساوى بانه تواطأ مع المهدي على ادخال دراويشه من جهة الخندق الجنوبي اذ يستحيل وقوع مثل ذلك من مثل حسن بك البهنساوى حيث هو من خلاصة من صدقوا في ولاء الحكومة

وبعد سقوط المدينة وقع حسن بك في الاسر وعذب عذاباً شديداً وصودرت امواله وأخذت بنته مسبية وقدمها أمين بيت المال للمهدي وكانت له زوجة هي بنت رجل من مشاهير التجار اسمه عبد السلام أصله من مدينة حلب قدم السودان مشغلاً بالتجارة فآثرى وكنت أنا متزوجاً باختها فآخذنا مسيبتين وماتت زوجتي غماً بعد ايام قلائل مضت بعد أخذها

وقد ذهبت يوماً مع حسن بك البهنساوى الى المهدي وكلمناه في أمر زوجتينا فامر أحد نوابه بردتينك الزوجتين فشكرناه وانصرفنا من حضرته وما كدنا نخرج من باب الدار حتى ابتدرنا جماعة من الدراويش اللذين اغتصبوا هاتين المرأتين بالضرب والاهانة وتوعدونا بما نخشاه اذا عدنا الى الشكوى فانصرفنا واقنعنا النائب باستحالة رد المرأتين ثم ذهب الى المهدي وكله بما جري لنا فلم يكن لكلامه أثر ومكث البهنساوى بك في الاسر زهاء سنة ثم فر الى بلاد الحبشة ماشياً على قدميه وما بلغها الا بعد ان نادت روحه تزهرق لشدة ما ناله من المشقة ثم غادر بلاد الحبشة ولحق بمصر وعلى أثر وصوله سمعنا خبراً ادهشنا وهو أن الحكومة آتت حسن بك البهنساوى بالحيانة وانه ادخل الدراويش مدينة الخرطوم في حين اننا نعلم الحقيقة دون الكثيرين وقد كان الطيب الذكر غردون باشا الى الساعة الاخيرة من

منا فارسلت اليهم في الحال فجاءوا وما وقع نظرهم عليها حتى عانقوها وارتفعت  
أصواتهم بالبكاء والنحيب ثم قصوا عليّ حديثها وأنها أخذت منهم مسبية بعد  
سقوط الخرطوم فلم يقفوا لها على أثر ولم يعلموا الى أين طوحت بها المقادير  
وقد قالت هي انها أخذت الى بيت الطاغية التعايشي وما زالت فيه حتى أراد  
الله خلاصها منه وقد رزقت منها بنت وهي في عصمتي الى الآن

على انني كنت اخاف مستقبلا ربما كان مما يزيد في شقائي ويضاعف على  
أنواع الذل وعذاب الاسر حيث انه كان لي كما تقدم زوجة غيرها وكنت أخشي  
ان يتسع نطاق الخلف بينهما بسبب الغيرة فاقع بينهما في شقاء لا يذكر في  
جانبه ما أنا واقع فيه من شظف العيش وذل الاسر الذي سيأتني وصف كثير من  
ضروبه ولكن الله من فضله كفاني ما كنت اخشاه اذ صارت زوجتي  
كانهما أختان لا أثر للغيرة عندهما ولا هم لهما غير تخفيف ويلات حزني وتسلية  
خاطري من الاكدار التي تساورني فكانتا تقضيان النهار وشطراً من الليل  
في خياطة بعض الملابس للدراویش باجرة طفيفه

وقد كانت حالي المعيشية تتقل من ردي الى أردأ حتى سجننت ومع  
ذلك بقيتا على ما كانتا عليه من الصفاء والوفاء الى أن من الله عليّ بالخروج من  
السجن الذي سيأتي الكلام عليه في مكانه

## ذكر الميرالاي حسن البهنساوي بك

كان الميرالاي حسن البهنساوي بك ميرالاي اللواء المصري الخامس  
وأصله ضابط مصري قضى من عمره زهاء عشرين سنة في السودان وكان  
لواؤه قائماً بحراسة الخندق الجنوبي جهة المكان الذي دخل منه العدو يوم



فكما وشماني وقالوا ( يا ولد الريف ) ايلم ان هذه السيدة كانت حرم خليفة  
المهدي فافتح عينيك هكذا وحلقا بأصبعيهما الابهام والسبابة اشارة الى الريال  
فكنت أجابهما بانني عارف بذلك ومقدر هذه النعمة حق قدرها وأخيراً  
انصرفا غاضبين وبعد نصف الليل دخلت منزلي كاني أساق الى الموت  
لشدة ما تولاني من الفزع من هذه الزوجة التي مكثت معي بضعة أيام  
لم أعرف شيئاً من أمرها ومعاملي لها كانت بالحذر الشديد ولم أسألها عن  
عائلتها ولا عن بلدها

وفي ذات يوم جلست لتناول الطعام معها وكان ردياً من خبز الذرة وادامه  
من ورق اللوبيا فرأيت الدموع تتساقط من عينيها فقلت لها ماذا يبكيك  
فاشارت الى الطعام قائلة أما ترى هذا الطعام فقلت لها هذا طعام انصار  
المهدي فخنقتها العبرة ورفعت صوتها قائلة لعن الله المهدي وخليفته  
الظالمين الباغين أليساهما اللذان هتكاً عرضي وقتلا أهلي وسلبا نعمتي فاندشت  
من كلامها ورفعت هي صوتها بالعويل والنحيب اللذين فتتا كبدي فسألتهما  
من هم أهلك وأين كان مقامك فقالت أنا بنت حسن أغا أرناؤد وكان مقامي  
في الخرطوم فمعبت من ذكرها هذا الاسم لانني اعرف أباه وأنه  
تركي من قواد الاتراك في الخرطوم استوطن بها وصار من وجهائها  
وكان له ابن اسمه علي كان موظفاً معي في خط الاستواء بوظيفة سامية فقلت  
لها ثم ماذا صار فقالت من يوم سقوط الخرطوم الى هذه الساعة مارأيت أهلي  
ولأعلم هل هم أحياء أو أموات فداخني الريب في أمرها وظننت انها كاذبة  
في دعواها حيث أنني أعرف والدها وأخاها ومالهما من الوجاهة وأعرف ان  
من أهلها من هم على قيد الحياة ومن حسن الحظ انهم كانوا يسكنون بالقرب



القديم فركب اليه ذات يوم بعد الظهر واستدعاني بعد وصوله اليه فقال اني  
 ذاهب الي معسكر خارج المدينة وقد أمرت الخليفة على حلولي بمباشرة عقد  
 زواجك بالمرأة التي أخبرتك بأمرها وقد أمرت الحصيان ان يتقلوها الى  
 دارك في هذه الليلة فشكرته ودعوت له وبعد غروب الشمس أرسل الخليفة  
 علي حلولي خصيا الى داخل الحرم ليسأل المرأة عن توكله فمادقائله انت وكيلها  
 وكنت انتظر ان تجري صيغة العقد طبق الشرع فلم يفعل الخليفة على شيئاً غير  
 انه رفع يديه وقرأ فاتحة الكتاب ثم قال لي بارك الله لك فيها وانصرف فدهشت  
 لهذا العقد الذي لم يكن فيه ايجاب ولا قبول ولا ذكر للمهر ألبتة ثم قال لي احد  
 الحصيان أرسل حمالين لحمل متاع السيدة فاحضرت عشرة حمالين ليحملوا  
 متاعها ولما اخرجوه اذا هو عبارة عن (عنقرب) وحصير من الخوص (برش)  
 وصندوق من الخشب فيه ملاءتان من القماش فتمعجبت من هذا المتاع وانصرفت  
 مع حمال واحد حمله وقصدنا منزلي

علي اني أقول انني كنت خائفاً من هذه الزوجة حاسبا لها الف حساب اذ  
 كنت أظن انها ستكون عينا للخليفة في بيتي ورقيبا على أعمالي في داخل منزلي  
 ولذا أمرت آل منزلي باخراج الدخان الذي أستعمله سرا في منزلي وايداعه بمنزل  
 احد أصدقائي وبعد هنيئة جاءت العروس راكبة على حمار التعاشي يحيط  
 بها خصيان وبعد دخولها في الدار استدعيت اربعة من جيران المصريين وقدرنا  
 المهر وجددنا عقد النكاح بما يطابق الشرع الشريف سرا

وقد اتفق ان منزلي كان في تلك الليلة خلوا من الطعام فقدم لي احد جيران  
 المصريين أطباقا مملوءة اداما وخبزاً من الذرة فقدمته للخصيين فامتنعوا من  
 الاكل حيث كانوا يريدان عطية من الدراهم التي لم أكن املك منها شيئاً اعطيها اياه

وأقول لهم لم يقل لي الخليفة شيئاً تخشى مغيبته

وبعد بضعة أيام استدعاني التعايشي إلى داره فوجدته جالسا ومعه  
القاضي أحمد علي وقاضيان آخران وبعد أن قبلت يده أمرني بالجلوس  
فجلست على الأرض بجانب هؤلاء الثلاثة ثم قال لأحد غلمانہ أحضر الطعام  
فجاء بقصعة مملوءة بخبر الذرة ادامها من الطبخ الذي يصنع من البامية  
المجففة (الويكة) وعلى وجه القصعة خمس قطع من اللحم يبلغ وزن القطعة  
منهارطلا فتناول التعايشي قطعة منها وقال خذ هذه يا فوزي ثم دفع لكل  
واحد من القضاة الثلاثة قطعة وأبقي لنفسه قطعة فامسكت قطعتي بيدي  
اليمنى ونهشت جزءاً منها فوجدتها غير ناضجة وعلمت أنها من لحم الأبل  
فامسكتها بيدي اليسرى واخذت أكل بيدي اليمين ولما فرغنا من الأكل وجدت  
ملايسي ملوثة بالطبخ فصاح بي التعايشي ماهذه القطعة التي تحملها يا فوزي  
فقلت له انني اكلت منها كفايتي واريد أن حمل الباقي إلى آل بيتي ليتبركوا بقطعة  
اللحم التي صنعت في بيت مولاي وناولني اياها بيده الشريفة فتبسم والتفت إلى  
القضاة وقال لهم لا ريب أن فوزي صار من خيرة انصار المهدي وأنه نبذ  
الرافاهية ولم يلتفت إلى شيء من الدنيا والتفت إلى وبلغ في الثناء على ثم  
تناول من القضاة ما بأيديهم من قطع اللحم وضماها إلى قطعتي وناولني الأربع  
قطع وقال اذهب بها إلى آل بيتك فحملتها في جيتي وخرجت من الدار  
حتى اذا صرت في طريق خالية من المارين طرحت اللحم من جيتي على الأرض  
وذهبت إلى منزلي واخبرتهم بما اتفق لي فاخذوا الجبة وغسلوها ومكثت  
حتى جفت اذ لم يكن لي غيرها ثم لبستها وذهبت إلى المسجد  
وكان للتعايشي منزل في الجهة الجنوبية لام درمان عند حصن الحكومة

كيت وكيت فقال له من حوله ان ذلك الكذاب مصري وكنت مصغيا لاقواله  
 فسمعتنه يقول انه أبض اللون قصير القامة ضخم الجثة مستدير الوجه فقال  
 لي بعض الحضور سرا يمازحني ان هذه الاوصاف تنطبق عليك فداخني  
 وجل شديد وقلت في نفسي رب واش أبلغ هذا الطاغية عني أنني مزعم  
 على ادعاء هذه الاكذوبة وانه قال مقالته هذه ليمهد بها طريقا للقبض عليّ  
 والايقاع بي . ففتحيت من موقفي وجلست في المسجد واسندت ظهري  
 الي حائط وانا غارق في بحار الافكار فسمعت مناديا يقول يا فوزي فعلمت  
 ان التعالشي يدعوني فذهب عقلي وقت وانا لا أشك في تحقق ماوقع في روعي  
 واني مدعو الآن للتكامل بي فشيت مسرعا حتى بلغت مقصورة التعالشي  
 فلما رأيته قام علي قدميه وخرج منها وأمسك بيدي ومشينا الى باب داره فقال  
 الناس لا ريب ان الذي أمسكه الخليفة هو الذي قال عنه انه سيدعي انه المسيح  
 عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه

ولما وصلنا عند الباب وقف معي وقال مخاطبا لي يا فوزي فقلت نعم  
 يا سيدي خليفة المهدي عليه السلام فقال اني أريد ان أزوجه امرأة مؤدبة  
 مهذبة حسنة التربية حسنة الخلق متدينة متورعة وهي احدي نسائي فقلت له  
 يا سيدي انني متزوج فقال أليس لك زوجة واحدة فقلت بلى فقال وما المانع من  
 ان يكون لك ثلاث زوجات أو أربع فقلت لا مانع سوى أنني فقير مدقع وليس  
 لي كسب يعاوتني على القيام بواجبات زوجتين فقال لا تلتفت الى ذلك لان الله  
 متكفل بارزاق العباد ثم قال لي ما قولك قلت انا لا أرغب عما يختاره لي مولاى  
 فقال بارك الله لك فيها ثم قال لي لا تخبر أحدا بشيء من هذا الحديث ثم  
 تركني ودخل منزله فتكأ الناس على يسألوني فكنت أصرفهم بالمجاملة

هاجمته الحامية هجوما عنيفاً فسقط في ساحة القتال نحو نصف مقاتلته الذين صاروا لشدة فتك المجاعة بهم كغنم تساق الى الذبح

ومن المضحك ان أحد قبيلة الكنوز الذين كانوا مع ابن النجومى أرسل كتابا الى بعض أقاربه في أم درمان قبل مذبحة ( أرغين ) جاء فيه ما يأتى  
انني ذبحت فرسى في هذه الليلة وتعشيت من لحمها أنا ومن ممي  
وادخرت الباقى للتزود به حيث صرنا على مقربة من حدود الكفار وعما  
قريب يأتىكم بفتح مصر اه فانظر هذه العباوة واعجب لسخانة عقل من  
تعشى من لحم فرسه وتزود بالباقي كيف يفتح مصر

وبعد واقعة ( أرغين ) سار ابن النجومى بجيشه حتى التقى بالسير غرائيل  
باشا قائد الجيش في ( طوشكى ) حيث قتل ابن النجومى وتمزق جيشه  
كل ممزق

ولما كانت هذه الواقعة معلومة عند المصريين وقد وقفوا على تفاصيلها  
فلا حاجة لا يراد شئ عنها زيادة عن هذا  
اما تأثير هذا الخذلان على التعايشى فكان سيئاً ولكنه اظهر عدم  
الاكتراث به

### ذكر زواج المؤلف باحدى نساء التعايشي

بعد أن أسلمنى التعايشى للبقاري الذي وكل اليه مراقبتي في الصلاة  
ببضعة شهور جلس في محراب المسجد بعد اداء صلاة الظهر وأخذ يكلم الناس  
بامور زعم انه أخبره بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملتها انه قال لهم سيظهر  
كذاب يدعى انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وان أوصافه

على أهل دنقلة فاصدر التعايشي أمراً بعزل ابن النجومي وتعيين يونس الديكيم  
التعايشي بدله وأمر يونس المذكور باكره ابن النجومي على مغادرة دنقلة  
لفتح مصر

هذا وقد كان من الاسباب التي بعثت التعايشي لانهذا عبد الرحمن النجومي  
الى فتح مصر أن بعض الجماعرة سكان مديرية أصوان كانوا يبعثون الكتب  
تباعا الى التعايشي يظهرون فيها ولاءهم له وانهم ينتظرون بفروغ صبر تقدم  
جيش المهديوية الى بلادهم وانهم سيقونون في عدد عظيم من المقاتلة ويقدمون  
له ما يحتاجه من الاقوات وتفشي المجاعة في السودان كله مع ما ظهر له من ان  
الاهلين يودون الخلاص من ظلمه سيما وقد تفرقت دراويشه من حوله  
وأمرسي وليس معه منهم في أم درمان اكثر من بضعة آلاف فاشار عليه  
بعضهم بانفذ جيش ابن النجومي الى حدود مصر ليظهر من الضعف قوة  
ومن جهة أخرى كان هلاك جيش النجومي مما يسمي اليه التعايشي لانه كما  
تقدم لنا من القول كان من حزب الخليفة شريف وكان ابن النجومي بعد ان عاد  
من أم درمان قد عاوده المرض وانتكست صحته فكتب يونس الديكيم الى  
التعايشي يخبره بان ابن النجومي ملازم للفراش وان حالته منذرة بالخطر فاجابه  
بان يحملوه على نعش ويسيروا به امام الجيش لان الحضرة النبوية اخبرته بان  
فتح مصر سيكون على يده فحمل ابن النجومي على نعش سيروه امام الجيش  
كانه تابوت بني اسرائيل وشخص من دنقلة ومعه اثنا عشر الف مقاتل  
وعشرون الفا من النساء والصبيان وأعطى لكل مقاتل من مقاتله كيلتين  
من الذرة وهو قدر لا يكفيه بضعة أيام

ولما اقتربت الدراويش من حدود الحكومة عند مكان اسمه (ارغين)



جباناً وعديداً ثم تقدم الى صرص فلقية جواسيس أخر اخبروه بمثل ما خبره به الاولون فترك الجيش وعاد الى دنقلة واستخاف أحد أقاربه على الجيش فتابع سيره الى صرص ولم يصادف كيداً في طريقه ثم قفل راجعاً الى دنقلة ولم يلتق بالجيوش المصرية التي قصدت صحراء (المرات) لاكتشاف آبارها

وفي سنة ١٣٠٥ استدعى التعايشي عبد الرحمن النجومي الى أم درمان واكثر من تأنيبه وتحقيره أمام الملائكة حتى قال له انك رجل مغفل لا تصلح للولاية على امراءك وأولادك فضلاً عن ولايتك على جيش جرار

ولقد ذكرنا فيما مضى ان ابن النجومي كان من أعظم قواد المهدي الذين لهم عنده اكبر منزلة وفد كتب اليه مرات عديدة يقول ان الحضرة النبوية تقرأ عليك السلام وقال له يوم سقوط الخرطوم مفسراً الآية الشريفة (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ان الذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور الذي ذكرنا خبر قتله في واقعة (الجريف) وان الذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي فانظر كيف كانت منزلة عبد الرحمن بن النجومي عند المهدي وكيف سقطت الى الخضيض عند التعايشي الذي أنبأت أفعاله انه لم يكن مصداقاً بشيء من دعوى المهدي وتخريصاته وانه كان واقفاً على كنهه كاذباً بل كان مشاركاً له في وضعها واختلافها

ثم أعيد ابن النجومي الى دنقلة في أواخر سنة ١٣٠٥ وأمر باخذ الالهبة لفتح مصر فدخلت عليه سنة ١٣٠٦ ولم يتقدم اليها بل أخذ في مماطلة التعايشي وود الاستقالة من عمله

وفي أواسط سنة ١٣٠٦ فشّت المجاعة في السودان واشتدت وطأتها

خيانة توجب الازدراء بمرتكبها وكان ابن النجومي ذا بساطة فطرية مع بله فلم يفتن لهفته هذه وبقي منزلاً للتعايشي

وبعد أن وصل ابن النجومي الى دنقلة انتدب التعايشي مساعد قيـدوم البقاري في بضعة آلاف مقاتل كلهم من البقارة وارسله الى دنقلة ليكون وكيلا لعبد الرحمن النجومي

ولما وصل مساعد الى دنقلة زاره النجومي ذات يوم بمنزله فقدم له شرباً من العسل دس له فيه زرنخاً فتناول منه النجومي جانباً فابتدأت فيه اعراض التسمم ولزم داره واشتدت به العلة حتي اشرف على الهلاك وبعد مدة عوفي وزال عنه الخطر واشتد النفور بينه وبين مساعد الذي كان يطالب أمين بيت المال بنفقات باهظة تعدل نفقات الجيش كله فشكا ابن النجومي الى التعايشي الذي كان لا يجاوبه بغير العبارات المبهمة مثل أنت قائد الجيش ومساعد انما هو وكيلك والامر مشترك بينكما فاستحكم النفور بين مساعد وابن النجومي حتى خيف انتشار الحرب بينهما وتفرقت كلمتهما وصار كل واحد منهما يستعرض جنوده على حدة

وفي ابان ذلك نمي الى ابن النجومي ان السير غرانفيل باشا سر دار الجيش المصري ينوي الهجوم على معسكر الدراويش في جنوب حلغا وهو معسكر ( صرص ) فارسل يبلغ التعايشي الخبر ويستأذنه في التقدم الى صرص فكتب له التعايشي يقول انك لن تزال في دور النقاها فابعث مساعداً بجميع فرسان الجيش وهم زهاء ثلاثة آلاف فارس فانفذ النجومي مساعداً الى صرص فالتقي قبل وصوله اليها بجواسيس المهـدوية قادمين من حلغا فاخبروه بان السير غرانفيل معه قوة كبيرة وانه ربما كن لكم في الطريق فارتاع مساعد وكان

الرابع وأحسن أمير اللواء على بقية الضباط بالرتب ومن بينهم واحد اسمه عبد الله محمد كان حائزاً لرتبة ملازم ثان من الحكومة الحديوية منحه رتبة الملازم فاستاء من ذلك وعده إهانة كبرى لشخصه ولكنه لم يخبرهم باستيائه . على انه لو أخبرهم بما داخله من الغيظ لمنحوه ما يشتميه من الرتب ولكنه سكت فخالوا سكوته رضاء

وأجمع آدم كرامة واعوانه على الوثبة على الدراويش في الفلج ورسوموا كيفية الهجوم وانصرفوا الى منازلهم على ان يجتمعوا في وقت عينوه ولكن لم يتم لهم ما اردوا فقد ذهب عبد الله محمد الى مصطفى جباره واخبره بما دبره الجهادية فتمنع الجدد وجمع حوله الفا وخمسمائة فارس وارسل خمسمائة مقاتل قبضوا على آدم كرامة وسرور أبي عنجة وبعد ان سئلا فانكرا استشهد بعبد الله محمد الذي قال لهما انكما دبرتما كيت وكيت ثم ضربت اعناقهما وأعناق نحو عشرين من القواد الذين معهم وأرسل مصطفى جباره يخبر عبد الرحمن النجومي بهذه الحادثة وكان عبد الرحمن يفضله فاتخذ هذه المسألة ذريعة الى الانتقام منه فكتب الى التعايشي يبرئ الجهادية مبرامهم به مصطفى جباره وادعى انه ما قتلهم الا لقصد سيء فرد التعايشي على عبد الرحمن النجومي قائلاً ان الحضرة النبوية أخبرته بصحة ما قاله مصطفى جباره وان ما فعله لم يكن عن سوء قصد كما قال عبد الرحمن النجومي الذي غادر بربر على أثر هذه الحادثة ولحق بدقلة وتكاملت جيوشه بها

هذا وقد ألمعنا الى ان النجومي كان من حزب الخليفة شريف الذي كان التعايشي يسمى في تلاشي أمره واضمحلاله وقد كان من أمر النجومي انه رغب عن الخليفة شريف واحتقره ومال الى التعايشي الذي قابل ميسله بالفتور وعسده

أمر تطيب نسائهم وتدريبهن على أساليب الغنيج والدلال لانهم على زعمهم  
أعرف من نسائهم بهذه الاشياء وهو عذر ان صح نقله عنهم أقبح من الذنب  
لانه لا يبعد أن يتمتع أولئك المختنون بالنساء ويشاطرون هؤلاء الامراء المغفلين  
الخطوة بهم كما ان العقل يستبعد سلامة أولئك الامراء من التلطيخ باوضار تهمة  
اللوأط أعاذنا الله منها

### حوادث دنقلة وقتل ابن النجومي

لم نذكر من حوادث دنقلة غير وصول عبدالرحمن النجومي وهنا نذكر  
بقية حوادثها الي سفره منها ومهاجكه بعد ان اجتاز حلقا فنقول  
لما غادر عبد الرحمن النجومي ام درمان قاصدا بربر ومنها الى دنقلة كان عدد  
مقاتله سبعين ألفا ولكنه لما وصل الي بربر تفرقوا عنه ولحقوا ببلادهم  
ولم يبق معه منهم الا عشرون ألف مقاتل عدا الجهادية الذين يبلغ عددهم نحو  
عشرة آلاف مقاتل وكان قد ارسلهم من بربر الى دنقلة تحت قيادة مصطفى  
جبارة وكيل الجيش وكان قواد أولئك الجهادية آدم كرامة وسرور أباعنجة اللذين  
كانا في جنسية الحكومة في الايام السالفة ولما وطئت أقدامهما أرض دنقلة  
ورأوا أنفسهما قريين من حدود الحكومة اشتد ميلهما الي اللحاق بها  
فتشاورا علي اضرار نار الثورة وشق عصا الطاعة علي المهديين فاجتمعوا بصغار القواد  
الرؤسنيين بهما وتحالفوا علي أن يباغتوا الدراويش يأخذوهم على غرة وعينوا  
آدم كرامة قومنداناً عاما عليهم ولقبوه بآدم (باشا) كرامة ومنحوه رتبة  
أمير اللواء ومنحوا سرور أباعنجة رتبة (أمير ألای) وسموا لواءهم اللواء



ورقباء وأمرهم بمواظبة الصلوات الخمس في المساجد فتركوا التشبه بالنساء وصاروا في وجل شديد ثم انه قبض على كثيرين منهم أيضا ونفاهم الى خط الاستواء فلقوا حتفهم في الطريق قبل أن يبلغوها

ولكن ما لبثنا بضع سنوات حتى رأينا الرقباء والموكلين بالخنثين قد تركوهم وشأنهم وصرنا نرى أولئك الخنثين قد عادوا الي ما كانوا فيه من التشبه بالنساء وارتداء الشعور وصار عدد ليس بقليل منهم يسكن دور عثمان شيخ الدين واضرابه من شبيبة البقارة ومنهم محمود احمد اسير وقمة اتيه وأخوه ابراهيم الخليل فتعلق الناس بالخنثين وبعد ان كانوا لا يسكنون في غير محلات الباغيات وأحياء المومسات صار مأواهم دور الامراء ومنازل القواد ولا غرو فالناس على دين ملوكهم وكان محمود احمد قد تغالي في تعلقه بالخنثين الذين جمع منهم في منزله اكثر من عشرين واحدا منهم يرافقونه في الشخوص الي دارفور ويعودون معه لدى قفوله راجعا الي أم درمان

والبقارة يطلقون على الخنث اسم (عقليط) ومن ثم صار الخنثون أصحاب الكلمة النافذة عند عثمان شيخ الدين ومحمود احمد وسائر الامراء وبالجملة انهم صاروا شفعا لا ترد شفاعتهم عند عثمان وسائر الامراء حتى صار أولئك الامراء المفتونون يناظرون بعضهم بأولئك الخنثين

وقد بلغ من تقرب عثمان شيخ الدين للخنثين والانتصار لهم ان أحد الرقباء الذين كانوا موكلين بمراقبة الخنثين وكان شديد الوطأة عليهم حتي كان من أمرهم ما ذكرناه رماه بعضهم عنده بتهمة أنه يود إعادة المراقبة عليهم فقبض عليه وسجنه ولم يطلقه الا بعد عناء شديد

ويزعم أولئك الامراء انهم لم يأووا الخنثين في منازلهم الا ليوكلوا اليهم



التعاشي بحيث لا ينتفع يعقوب منه الا بالطفيف  
وكثير من كبار أمراء البقارة يرسلون المال رأساً الي التعاشي بدون  
وساطة يعقوب وللاسباب التي سردناها تحوات ثروة السودان الي خزائن  
التعاشي وأخيه وابنه وقبيلته وبات الاهلون يقاسون الفقر المدقع ليس  
لديهم من المال غير ما يورثونه وليت المهدوية كانت تترك لهم من ثمار أرضهم  
ما يقوم بحوائجهم الضرورية ولا حول ولا قوة الا بالله

### ذكر المخنثين

يوجد في بلاد السودان مخنثون يتشبهون بالنساء في ملابسههم وربما  
سدلوا شعورهم مثلن وهم يأوون الى اماكن المومسات ليقوموا بمهنة القيادة  
اليهن ولا تخلو بلد من بلاد السودان من مومسات اكثرهن من الجوارى  
التي يفرض عليهن مواليهن ضريبة يقمن بادائها في كل شهر وقد جاء في كتاب  
(السيف والنار) ذكر أولئك البنايا ومواليهن الذين هم وجوه أهل السودان  
واغنياؤهم ولا عيب عندهم في ارتكاب البنايا هذا الفعل الشنيع لما ان هذه  
العادة قديمة متأصلة عند أهالي السودان ولذا لا يأنفون من أخذ المشاهرة  
من هؤلاء الجوارى

ولما ظهرت المهدوية وأقيمت الحدود الشرعية على الزانى والزانية مد  
المهديون أيديهم الى البنايا فاغتصبوهن من ملا كهن بصفة سبايا وبقي أمر  
المخنثين على ما هو عليه حيث ظلوا قائمين بحرفتهم في أمكنة التجور السرية  
وفي سنة ١٣٠٤ قبض التعاشي على مئات منهم وزجهم في ظلمات السجون  
وعذبهم بالاشغال حتى اشرفوا على الهلاك ثم استتابهم وجعل عليهم حراساً

تؤخذ قسراً من التجار ومن يظن انه ذو مال

هذه موارد خراج المهذوبين ومقاديرها ظاهرة ولكن الحقيقة انهم كانوا يأخذون اكثر من ثلث محصول الجبوب وهذا اذا لم يدعوا على المزي انه شرب خمرأ أو استعمل دخاناً ليتوصلوا بذلك الى مصادرة أمواله كلها

ويدفع الجابي قبل تعيينه الى يعقوب الف ريال من العملة القديمة ونحو خمسمائة ريال الى أمين بيت المال ونحو خمسمائة ريال لكتبة يعقوب وبيت المال وحجاب يعقوب فالجملة ثلاثة آلاف ريال ثم تصدر الاوامر من التعاشي بتعيين أولئك الجباة فيغادرون أم درمان في شهر محرم من كل سنة ويعودون اليها في العشر الاولى من شهر ذي الحجة فيؤدي كل جاب اثني عشر الف ريال الى يعقوب ونحو خمسة آلاف أردب من الغلة عدا الماشية من أنواع البقر والغنم وعدا الركائب الجيدة من الخيول والحمر الاهلية والهجن وعدا هذا وذاك الجوارى الحسان

واذا صادر الجباة أموال أحد الناس أرسلوا المال كله الى يعقوب والويل ثم الويل لمن اخفى ولو شيئاً تافهاً

وجملة القول ان ما يتناوله يعقوب كان يبلغ خمسة وعشرين الف ريال ولا محيص للجابي عن تقديم مثل هذا القدر الى بيت المال عدا ما يرثى به أمين بيت المال فيكون المجموع نحو ستين الف ريال أما الغلال فانها لا تدخل تحت حصر لكثرتها ثم ان الجابي وكتبته واعوانه يتناولون من المال ما لا يقل عن نصف هذه القيمة عدا نفقاتهم مدة العمل حيث الاهلون مكفون بتقديم الاغذية لهم والعلف لدوابهم

ولا يفوتن القارى ان ما كان يتناوله يعقوب من الرشوة كان يصل خزائن

تنقسم البلاد السودانية في كيفية جباية الخراج الى قسمين. القسم الاول  
 أمراء البلاد الذين لهم شبه استقلال في اماراتهم ولاسلطة لأمين بيت  
 المال عليهم وهؤلاء أمراء شرق السودان كثمان دقنه وأمير دنقلة عبد الرحمن  
 النجومي والذين خلفوه وأمير جيش القلابات حمدان أبي عنجة ومن خلفه  
 وأمير دارفور وكردفان عثمان آدم ومحمود أحمد الذي خلفه بعد وفاته وكذلك أمير  
 بربر فهؤلاء الأمراء لهم شبه استقلال في أعمالهم بحيث يقتلون وينفون في دائرة  
 نفوذهم لانهم يقودون جيوشا جرارة ويحكمون على عدة أقاليم ولكل واحد  
 من هؤلاء الأمراء بيت مال خاص وسجن وشرطي خاص بامارته وهو الذي  
 يعين الجباة من طرفه وينفق ما يجتمع في بيت ماله على الحامية التي تحت إمرته  
 وكانوا في ظاهر الحال غير مكافئين بأرسال شيء من خراج بلادهم الى أم درمان  
 ولكن الحقيقة انهم يؤدون اكثر من نصف ما يجمعونه من الخراج الى يعقوب  
 أخى التعايشي بصفة هدايا واذا صودرت أموال أحد الاغنياء فان القيمة  
 التي صودرت ترسل برمتها للتعايشي وأخيه وابنه وفي جميع الاحوال كان  
 ما يرسل الى الخليفة من نوع الذهب والفضة الخالصة ونوعي الريال  
 المجيدى والنمساوى وان كان الذهب أحب هذه الاصناف الى التعايشي .  
 والقسم الثاني جباة صغار يعينهم أمين بيت مال أم درمان يبلغون عشرة  
 جباة كل جاب لا تتجاوز دائرة نفوذه قسما من أقسام مديرتي الخرطوم  
 وسنار وهذان الاقليان هما اللذان بقيا تابعين لبيت مال أم درمان

اما الخراج الذى يجبي فهو عبارة عن عشر الحبوب وزكاة الماشية من الغنم  
 والبقر والابل حسب الفريضة الشرعية وزكاة الفطر يأخذونها قهراً من كل من  
 صرهم وليس بيده قسيمة بتوقيع أحد العمال تفيد انه أدى زكاة الفطر وزكاة المال

سوى انه كان في بعض الاوقات يقبض على بعض ندمائه ويهدمهم الى جهات  
خط الاستواء

هكذا وقد مد عثمان يده الى الجبابة وامراء الجهات فكانوا يدارونه  
بالهدايا اتقاء شره وكانوا في حيرة من أمره لان عمه يعقوب كان يحذرهم  
من إعطائه شيئاً من بيت المال

وجمع التعايشي نحو أربعمائة من غلمان الاحباش الذين أخذوا أسرى في  
حروب الاحباش واركبهم الخيول الكريمة وجعلهم حراساً لابنه  
وقد حذا حذو عثمان شيخ الدين في جميع اخلاقه واطواره شبان البقارة  
الذين شبوا في أم درمان وصرت تري دور أمراءهم وقوادهم خاصة بالمغنين  
والمطربين وانغمسوا كلهم في الترف واللهو وشرب الخمر حتي صاروا يتباهون  
بذلك ويفاخر بعضهم بعضاً بهذه المنكرات وسيأتي الكلام على الخنثين وما  
كانوا يعاملون به في ايام المهديين ثم ماصارت اليه حالتهم من الانقلاب  
على عهد عثمان شيخ الدين واضرابه من شبان البقارة  
والحاصل ان التعايشي رأى ان لا مناص له من ترك أخيه يعقوب يشاطره  
النفوذ والسلطان في ملكه بالرغم عن طموحه لرفع شان ابنه وترشيحه لنيل  
الملك من بعده ويبد الله كل شيء

### السكلام علي المخرج والحجبة والعمال

عقدنا هذا الباب لنأتي فيه على ذكر نظمات المهديين وعوائدهم  
في جباية الخراج وتعيين الجبابة والعمال اذ من هذا الباب يقف القارئ على  
نظمات القوم ويعرف أساليب الخراج وتعيين الجبابة فنقول



كانت ارجح منها في جانبه فضلاً عما يعلمه من سير ابنه الذي شب ولا هم له غير  
اللهو والتفاني في حضور ليالى الرقص وشرب الخمر مع ان المهدوية منذ ظهورها  
شدت النكير على الراقصات وسنت العقوبة الشديدة عليهن كالجلد بالسياط  
وحلق الرأس ومصادرة الاموال وفي الحقيقة ان المهدوية بسببها هذه الاحكام  
أحسنّت صنماً لان عادة الرقص سيما في الاعراس من أقبح عوائد السودان  
وأشدّها مساساً للآداب العمومية ان يجتمع في ليلة الزفاف عدد كبير من  
الشبان والفتيات يغنون بانغام مختلفة بين ثقيل ووسط وخفيف ويطنبرون  
باصوات مزججة كأنها حشرة الصدور ثم ترقص الفتيات ومن ضمنهن  
العروس على هذه الانغام ويحنن ظهورهن حتى تكاد رؤسهن تمس الارض  
واجسامهن عارية ليس عليها غير الحلى وعلى عوراتهن سيور من جلد طولها  
أقل من عشرين سنتمتر تري من خلالها عورة الراقصة وتسمى هذه  
السيور ( الرهط ) ويظل الرقص والغناء مستمراً في منزل العروس مدة  
أربعين ليلة أولاهن ليلة الزفاف

هذا ولنمد الى ذكر عثمان شيخ الدين الذي طرح الوقار وتهتك في حب  
الراقصات ووالى السهر في ليالى الرقص وجمع حوله عدداً كبيراً من المغنين المطنبرين  
وأخذ عمه يعقوب يرفع الى والده التعايشي أخبار ما يقف عليه من قبيح سيره  
واسترسالة في قضاء الشهوات وشرب الخمر ولم يترك باباً من أبواب الفسق الا  
ولجّه وبالجملة انه ظهر في مسرح الخلاعة وضروب اللهو ظهور المهتكين وامسى ولا هم  
له غير اغتصاب كل بنت تعجبه والمتع بها بضع ليال وجمع حوله عدداً كبيراً  
من الخنثين وصار الامراء وسائر الناس يخفون أولادهم عنه حيث كان  
يأخذهم بصفة حراس وخدام له ولم يعمل أبوه لكبح جماحه عملاً



التي كانت قاصرة على اللحوم والتمر وبعض الخضراوات قد بلغت نفقاتها  
قدراً طائلاً من المال

وكان لحمدان أبي عنجة دار كبيرة شيدها بالآجر واللبن الأحمر فاخذها  
التعايشي وأسكن فيها ابنه عثمان ومن ثم ظهر عثمان بن التعايشي بمظهر الامارة  
وحاول أبوه ان يولييه قيادة الجيوش ويستورزه بدل أخيه يعقوب الذي اضم  
لعثمان الكراهة وأوجس خيفة من ان يشرع أخوه التعايشي في اقصائه عن  
منصبه ويستعيز عنه بابنه عثمان الذي أخذ يجاهر عمه يعقوب بالمداوة ويعيب  
أعماله ويشدد النكير عليه حتي أفضى ذلك بينهما الى منازعات شديدة ظهر بها  
للتعايشي ان قبائل الاعراب البقارة سيما التعايشة شديدو التعلق بأخيه يعقوب  
وانهم منقادون له انقياداً أعمى وكثير من القواد صناعته وفي الحقيقة ان صفات  
يعقوب هي التي جذبت هؤلاء الاقوام وجمعت قلوبهم على ولائه والاخلاص  
له لانه كان اكرم خلقاً من أخيه التعايشي وألين جانباً منه ولشدة دهائه وتفننه  
في أساليب الخداع كان لا يباشر أحداً بسوء أما سياسة أخيه فكانت خرقاء ولذا  
كان لا يظهر بغير مظهر القوة والجبروت فامتلات الافئدة برهبتة وفزعت  
من قهره ومالت الى جانب أخيه يعقوب الذي كان قابضاً على زمام أعطية الناس  
وبيده ارزاقهم فمن أرضاه منهم أمن غائلة أخيه التعايشي وتناول عطاءه وحصل  
على رزقه وان كان من أولى الوظائف فانه يصير آمناً على وظيفته بعد ان يؤدى  
الى يعقوب مايفترضه عليه من المال وسيأتي أن ماكان يتناوله يعقوب من  
رشا الوظائف وغيرها كان يدفع جله الى أخيه التعايشي

هكذا وقد ايقن التعايشي ان محاولة اقضاء يعقوب ستكون ذات  
مغبة سيئة وكان يخشى أن يهب لمناواته حيث ان القوة في جانب أخيه

وبعد ان أعلن التعايشي بين أهله ترشيح ابنه عثمان للخلافة عاد فسكت  
عن هذه المسألة ولم يتكلم عنها بعد لان اخاه يعقوب حذره من ولوج هذا  
الباب وقال له انك ان فتحت باب الكلام في أمر الخلافة أوجبت على نفسك  
السير على حسب ترتيب الخلفاء وإذ ذاك يجب تقديم على حلو خليفة الفاروق على  
ابنك الذي تريد جعله خليفة لعثمان ولا يبعد ان الخليفة على حلو يحول بين الخلافة  
وبين ابنك ويجعلها وراثه لأولاده اذا قدر له ان يخلفك فعدل التعايشي عن تولية  
ابنه الخلافة واخذ في أسباب تناسي الناس ذكرى الخلافة واهمية الخلفاء فجلس  
ذات يوم والناس حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي  
اخبروه بان لا خلافة بعده وان الملك والسلطان سيكونان بيد اقرب الناس اليه  
وقال مرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بعبارة مبهمه حيث قال له انت اربعون  
فلم يفهم معنى الاربعين أي اربعون عاماً ام اربعون شهراً أم اربعون يوماً  
فاخذ من حوله من المتملقين في البكاء وكان ابن النجومي حاضراً فقال لماذا  
تبكون فقالوا لقد ساءنا ان سنى حكم سيدنا اربعون سنة فقال لهم التعايشي  
سواء كانت سنو حكمي اربعين سنة أو اربعين شهراً أو اربعين يوماً فانه لا يبق  
بعدي على وجه الارض مؤمن وان الساعة لم يبق عليها غير ما هو باق من أجلي  
وفي هذه السنة أي سنة ١٣٠٥ زوج التعايشي ابنه عثمان بنت عمه  
يعقوب وبالرغم عن التقاليد التي سنّها المهدي بتخفيض مهر البكر الى عشر ريات  
والثيب الى خمس ريات وتحذيره من الاحتفالات في ليالى الاعراس وتوعده  
من خالف هذه القواعد بالعقوبة الصارمة تعالى التعايشي في إظهار الابهة  
في الاحتفال بقران ابنه حيث اقيمت الافراح وادبت نحو خمسين مأدبة  
حضر كل واحدة نحو الالفين من المدعوين ومع بساطة الأطعمة في هذه المآدب

وقالوا اذهبوا الى الصلاة ومن العادة المتبعة عند الدراويش انهم يضربون الباعة وأصحاب الحوانيت بالسياط لينذهبوا لاداء الصلاة في المسجد والحقيقة انهم انما يفعلون ذلك لينهبوا ما في الحوانيت من السلع فسرنا مع الدراويش الى المسجد ونحن نلج في الضراعة ونلتمس الاحسان علينا بشيء من القروش التي أخذت منا وبعد اللتياء التي اعطونا خمسة قروش بعد ان اشترطوا علينا عدم مباشرة هذه الحرفة لما فيها من كثرة الايراد وحيث اننا مصريون وكفار بزعمهم فلا يصح ان نحصل على شيء يزيد على ثمن الخبز بلا ادام

هذا وقد استطاع صاحبي على خير الدين الهرمب واللاحق بمصر بعد هذه الكوارث بنحو عامين



ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين بن عبد الله التعايشي  
لما أفضت خلافة المهدي الى التعايشي كان سن ابنه عثمان لا يتجاوز  
عشر سنين تقريباً

ولما كان التعايشي ذا طموح لجعل الملك وراثياً في آل بيته مهد كل الصعوبات  
التي تعترض هذا السبيل وحط من قدر انجال المهدي وسائر ذوى قرابته  
وأخذ يعيرهم في مجالسه الخصوصية بانهم ذناقلة أسافل لا يصلحون لشيء غير  
حراسة الابواب

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ دعا ابنه عثمان وعمره لا يتجاوز اذ ذاك ثلاثة  
عشر عاماً وقال على رأس الملائكة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه بلقب  
(شيخ الدين) وانه مرشح ليكون خليفة رابعاً ويجلس على كرسي عثمان بن  
عفان عليه سحائب الرضوان

تسليمته وتهوين المصيبة وما زلت به حتي أخذته وذهبنا الى منازلنا  
 وكان التعايشي ذاهبا بموكبه الى منزل له بالقرب من هذه الجهة وبعد  
 ان أوصلت رفيقي الى منزله ذهبت خلف التعايشي فوجدته جالسا في المسجد  
 فقال له أحد الحاضرين ان ابراهيم فوزي ورفيقا له كانا يبيعان البطيخ فداهمهم  
 الانصار ونهبوا البطيخ فقال ( في شأن الله ) ثم قال لمخاطبه من هو ابراهيم  
 فوزي كأنه لا يعرفني فوقفت بين يديه فقال هل البطيخ الذي أخذه الاخوان  
 لك فقلت نعم فقال ومن أين لك رأس المال فقلت تداينته من بعض الناس  
 على شرط ان يكون الرمح بيننا فقال وماذا قلت لما أخذه الانصار فقلت لم  
 أقل غير ( في شأن الله وفي حب سيدنا الخليفة ) فتبسم وقال أهكذا قلت مع  
 ان رأس المال دين فقلت لم أقل غير ذلك ثم حان وقت الافطار فدخل  
 التعايشي داره وذهبت الى منزلي للافطار أيضا ثم عدت وأنا لا أشك في  
 انه سيعطيني تمويضا فقضيت الليل حول مقصورته حتي انتهت صلاة القيام  
 ودخل الى منزله وبعد أيام قلائل ارسل لي مع أحد خدامه أربعين ريالاً من  
 الريال المسمى ( مقبِل ) الذي تقدر قيمته وفتنذ بخمسة قروش

وفي اليوم التالي قال لي صاحبي على خير الدين ان كثيراً من الذين  
 يتبايعون البقر والغنم يرغبون ان يكتبوا عقوداً بين البائع والمشتري يضمونها  
 أوصاف البهيمة المشتراة وان أجرة تحرير عقد بيع الراس من المعز أو الضأن  
 قرش ومن البقر قرشان وكذا الابل فذهبت مع صاحبي الى السوق واستأجرنا  
 مظلة من البوص وجلسنا تحتها وجاء أصحاب الماشية للبيع فاخذنا نكتب  
 العقود فاجتمع لدينا نحو أربعين قرشاً قبل ان ينتصف النهار ثم أذن لصلاة  
 الظهر فجاء الدراويش بالسياط وأوسعوني وصاحبي ضربا وأخذوا ما جمعناه



آخر وباشرنا بيع القهوة فيه

ولما أبصر من حولنا من الدراويش حانوتنا صاروا يترددون علينا لشرب  
القهوة وإذا طلبنا منهم ثمنها أهانونا وضربونا وانصرفوا وبعضهم يقول لنا  
اتركوا ثمن القهوة ( في شان الله ) اى لوجه الله فاذا قلنا لهم لا نتركه يضربونا  
ويقولون انكم ما زلتم كفاراً

ومكثنا نحو شهر نباشر هذه المهنة وقد بلغ ماتديناه من التاجر عشرين  
ريالاً لم تحصل منها على اكثر من ستمين قرشاً وما بقى ذهب بين ( في شان  
الله ) وبين ديون على بعض دراويش لا تقوي على مطالبتهم بسدادها لاننا  
موقنون اننا لو ذهبنا الى مطالبتهم لقينا مانكره وربما رمونا بتهمة  
الكفر وساقونا الى موقف يستحيل عودتنا منه سالمين فهدمنا الكوخ  
وبعنا أخشابه وحصره وأدوات القهوة وذهبنا الى التاجر لنوفيه حقه فتنازل  
عن النصف ودفعنا له النصف الآخر ثم زين لصاحبي عقله أن نحترف بمهنة  
شراء البطيخ من المزارع وبيعه فاستحضرنا ثلاثين ريالاً مجيداً جعلناها  
رأس مالنا وذهب صاحبي الى قرية ( العيلقون ) واشترى بطيخاً شحن به سركبا  
صغيرة وعاد الى أم درمان في العصر وكان ذلك في شهر رمضان فأخرجنا  
البطيخ من المركب ووضعناه على شاطئ النهر ريثما نبيعه للبيعة وذهبت الى  
منزلي وتركت صاحبي يحرس البطيخ وبلنا كنت عائداً من المنزل رأيت  
موكب التعاليشي ماراً فأبصرت الدراويش الذين خلقه قد اختطفوا البطيخ  
وبعد ان اجتاز الموكب ذهبت الى صاحبي على خير الدين فالفيتة جاثياً على  
ركبتيه واضمأ يديه على رأسه شاخصاً ببصره الى الارض ووجدت  
عنده بعض بطيخ مشتم فعمم علي نهب البطيخ وانكفي أخذت في



## ذكر حرف المؤلف

ذكرت اني كنت مقياً بجوار منزل يوسف منصور وبجواني ضابط  
برتبة يوزباشى اسمه على خير الدين كان بحامية سنار

وفى ذات يوم زارني أحد معارفى من أهالى السودان فأعطاني  
خمسین ريالاً مجيداً وأعطي جاري على خير الدين عشرة ريالاً ثم  
انصرف فقال لى جاري أرى اننا فى حاجة شديدة الى حرفة نرتزق منها فقلت  
ماهى الحرفة الذى ترى اننا قادران على القيام بها فقال نفتح حانوتاً نبيع فيه  
( القهوة ) فى ساحل الموردة فقلت لا بأس وذهبنا الى ذلك الساحل واشترينا  
بوصاً وأخشاباً واستأجرنا أناساً عاونونا على تشييد كوخ فرشناه ( بالابراش )  
وهى نوع من الحصر يصنع من الخوص وفى اليوم التالى فتحنا الحانوت وما  
مضت ساعتان على فتحه حتى جاءنا الحاج خالد العمرانى محتسباً ساحل الموردة  
وقسّد وأمرنا بهدم الكوخ فأخذنا نتضرع له ونستعطفه فلم يجاوبنا بغير  
الشتائم القبيحة ومنها يا كفار يا أولاد الريف يا أسرى وأخيراً أمر أعوانه بهدم  
الكوخ فهدموه ونهبوا أدوات القهوة وأخذوا الحصر والأخشاب ولم يتركوا  
لنا شيئاً من البوص وكانت نفقات تشييد هذا الكوخ قد بلغت عشرين ريالاً  
مجيداً عدا ثمن أدوات القهوة فقلت لصاحبي على خير الدين ماذا نعمل فقال نبتعد  
عن ساحل الموردة ونشيد كوخاً آخر نبيع فيه القهوة أيضاً فقلت ان مابقى  
لدينا من المال لا يكتفى لتشييد كوخ آخر فقال نفق مابقى عندنا من النقود  
أما ثمن البن فقد اتفقت مع تاجر مصري يبيع البن على أن تشدين منه  
ما يكفيننا من البن فاتبعنا عن دائرة نفوذ الحاج خالد العمرانى وشيدنا كوخاً

مقاتلا في ترتيب جيش الدراويش فقال لي أمثلك يكون اذنه بيد المتقدم فقلت  
 كلاً ولكنني اضطررت لهذا السفر بسبب ما لحقني من الجوع وضيق العيش  
 فصاح التعايشي قائلاً أين القاضي أحمد على فجيء به فقال له أسلم هذا وأشار  
 الى واحد الاعراب المواظبين على الصلاة بالمسجد ليكون رقيقاً عليه فأسلمني  
 القاضي الى بقارى كان أول كلمة سمعتها منه قوله لى (يا ولد الريف لماذا أنت  
 ضخم هكذا) فاحنيت رأسي تذلاً له وقلت (هكذا خلقني الله) وبعد انقضاء  
 صلاة العصر قال لى (يانوبى) وهى كلمة يقولها البقارة لكل انسان لم يكن  
 بقاريا من جنسهم وهى تدل على ان المنادى بها رقيق الى أين تذهب فقلت  
 الى منزلي فقال أذهب معك لأتمشى معك فقلت لا بأس فذهب معى وتناول  
 الطعام وسأعود الى ذكر بقية أخباري مع هذا البقارى الذي ظلت أربع  
 سنوات فى اسره وتحت مراقبته

أما نبأ غيابى فقد وصل الى الخليفة بعد غيابى ببضعة ايام من يوسف  
 منصور الذي كان موكلاً بحراستى منذ سقوط الخرطوم وهو من ضباط  
 الحكومة وقد هال التعايشي امر غيابى حيث أيقن انى فررت الى الديار المصرية  
 وفي مساء يوم وصولى لأم درمان أظهر التعايشي من الفرح والسرور  
 ما حمله على أن دعا نفاخى الابواق وعازفى الطبول فقضوا ثلاث ساعات فى  
 اللهو والطرب ولم يخرج التعايشي لصلاة العشاء الا بعد منتصف الليل والحاصل  
 أنى أنفقت فى بضعة شهور نحو عشرين جنيهاً من الثلاثين جنيهاً التى كانت  
 معى فى سبيل مداراة الاعرابى الموكل بى ولولا ان الله لطف بى ووصلت الى  
 نقود مرسله من صديق الحميم محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن لأوقعنى ذلك  
 الرقيب فى مهاوى الهلاك وسيأتى ذكر الرسائل والله الموفق

نحوي فوقفت لهما وصاحتها جلسا بين يدي بأدب ووقار فقلت لهما أأنتما قادمان من البقعة المنورة فقالا نعم فقلت لعل خليفة المهدي عليه السلام بخير فقالا نعم بخير وهو يقرأ عليك السلام فوقفت على قدميَّ اجلالا لذكر الخليفة وقد طار قبلي فرعا من هذا الكلام ثم قال لي ان الخليفة يدعو لك للحضور عنده فقلت ولماذا لم تخبرني بذلك قبل التحية لان أوامر الخليفة يجب انفاذها في الحال فساءلاني أين غمامتك ومنطقتك فقلت سرهما للصوص مني في هذا المكان فقالا وما الذي جاء بك الي هذا المكان فقلت قصدت بعض معارفنا هنا فاحسنوا عليَّ بهذه الذرة وهما أنهما قيم لأجل حراستها ريثما تمر سفينة أحملهما أو قصداذ ذاك أم درمان فقالا اننا نريد إشخاصك معنا الي أم درمان فكيف تقابل الخليفة بلا عمامة ومنطقة فارسلت في طلب عبد الفتاح فاسرع بالحضور وقال للرسولين انه جاء الي هذا المكان بقصد أن يتحصل على شئ من الذرة يناله من أولى البر والاحسان فجمع هذا القدر من الذرة وأخيراً أعطاني عبد الفتاح عمامته ومنطقته وترك الذرة وديعة عنده ريثما يجد سفينة يرسلها بها الي بام درمان ثم قمنا للسفر فاردفني أحد الرسولين خلفه وغادرنا قرية (ولد الزاكي) قاصدين أم درمان وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصلناها قبيل العصر وانحنا الجمال امام باب دار التعايشي الذي خرج علينا فقال له يوسف منصور هاهو عبدك ابراهيم فوزي فالتفت الي وقال الي أين ذهبت يا ابراهيم فوزي فقلت يا مولاي انني شخصت الي احدى قرى النيل الابيض لانال شيئاً من احسان أولي البر فجمعت عشرة أراذب من الذره فلم أجده سفينة شرعية تحملني فالتفت في حراسة الذرة حتى جاءني هذان الرسولان وهنا قصص عليه الرسولان ما راياه من حالتي فسكن جاشه وقال من الذي أذنك بالسفر فقلت أخذت اذنًا من المقدم وهو قائد عشرين

السفينة فأراد صاحبها أن يرجعها على أعقابها فألححت عليهما بالبقاء ريثما يتباج الصباح ولما بدأت طلائع الصباح وولت جيوش الظلام ودّعاني وعاداني طريقهما إلى ( شريكه ) والسباع تزجر حولي فحملت وعاء الزاد وسرت على ضفة النهر فوق بصرى على زورق يشبه قوارب الصيادين فدنوت منه عساني أجد عنده أنيسا فلم أجد فقلت في نفسي لا بد لهذا القارب من صاحب يأتي إليه فمكثت نحو ساعتين ولما لم يأت أحد وأدركني يأس عظيم هون على حيائي التي سئمتها دخلت في الزورق وقذفته في جلة البحر ووضعت وعاء الزاد تحت رأسي واضطجعت في الزورق الذي توسط جلة النهر وسار به التيار إلى جهة الشمال وظل هكذا حتى إذا كان الاصيل أبصرت قرية على ضفة النهر الغربية فرسا الزورق عند هذه القرية فوثبت للنزول إلى البر فأمسك بملاسي شخص وقال لي ( يا ولد الريف ياسارق ) ولطمني على وجهي عدة لطمات فأخذت أتضرع له وكنت أود أن أعطيه جنيها من الثلاثين التي معي ولكنه مديده وسلب مني ملاقي وعمامتي ومنطقتي ثم انصرف فدخلت القرية وسألت هل بها مصري فقيل لي إن فيها مصريا اسمه عبد الفتاح فقصدت محله فإذا هو ضابط برتبة ملازم ثان كان بحامية الخرطوم فتلقاني بالأكرام وأخبرني بأن رسل الخليفة قصدت جميع الجهات في طلي فأخرجت بضع جنيهات وقلت له أدركني بشراء عشرة أراذب من الذرة لاضعها على ضفة النهر وأجلس بجانبها حتى إذا أدركتني رسل الخليفة وجدتي على هذه الحال فأسرع عبد الفتاح بشراء عشرة أراذب من الذرة ووضعها على شاطئ النهر وجالست بجانبها وفي ضحوة الغد بينما كنت مضطجعا أبصرت راكبين قد أناخا هجينيهما بالقرب مني وبصرهما مصوب نحوى فعقلا جليهما وتقدما



واردفني أحدهما خلفه وماسرنا نحو عشرين ميلاً وسط الفلاة ووجهتنا الجنوب  
 الغربي حتي اسفر الفجر وهكذا ظلمنا سائر النّهار كله حتي مضى الثالث  
 الاول من الليل حيث بلغنا (شركيله) في حدود كردفان الجنوبية وهناك  
 نزلنا ضيوفاً على اعراب حلفاء لصاحبيّ فقدموا لنا جانبا من اللبن الحامض  
 وخبزاً من الذرة وفي الغد قلت لصاحبي هيا بنا نتابع سيرنا فقالا اننا منتظران  
 شخصين تركناهما في أم درمان ليأتيا باناس فارين مثلك فضقت ذرعاً من هذا الكلام  
 وأخذت في حثهما على السفر وأظهرت تخوفي من اقتضاح الامر اذا عثر بنا الدراويش  
 فلم يصغيا لقولي وأقمنا في (شركيله) سبعة أيام ننتظر القادمين من أم درمان فلم يأتيا  
 وفي صبيحة اليوم الثامن جلست أمام الكوخ فاذا أنا بشخص راكب على حمار وخلفه  
 عبد فأمنت النظر فيه فاذا هو قبطي من كتبة جيش يعقوب أخى  
 التعايشي فتقدمت للسلام عليه فترجل عن دابته وحيانى وصاحني وعلامات  
 الدهشة بادية على وجهه ثم ابتدري بالكلام قائلاً ان الخليفة فقدك وقد  
 سير الركبان الى كل الجهات فى طلبك فقلت له انني قصدت هذه الجهة لان  
 لي بها صديقاً قديماً أرجو أن أنال من رفده درهيمات ثم استخلفته على أن  
 يكتم خبر رؤيته اياي فى ذلك المكان خلف أن لا يذكر شيئاً من هذا الامر ثم  
 انصرف وتابع هو سيره قاصداً كردفان وعدت الى صاحبيّ فاخبرتهما بما  
 أنبأني به القبطي وقلت لهما إما أن تسيرا بي فى هذه الليلة واما أن ترجعاني الى  
 التربة الخضراء فقالا لا سبيل الى السير ما لم يحىء صاحبانا فألحمت عليهما  
 بارجاعى الى التربة الخضراء وقضيت ذلك النّهار وفى الاصيل رضيا باعادتي  
 الى التربة الخضراء فركباهما هجينهما وأردفني أحدهما خلفه وابتدأنا السير من أول  
 النهار وفى الغلس وصلنا الى ضفة النيل الأبيض عند المكان الذي رست فيه



قرية في البحر الأبيض لا عود منها بشيء من الذرة تقتاتون به وتزودت  
بشيء من خبز الذرة المجفف وأخذت قليلا من البصل وركبنا السفينة ومعي  
الاعرابيان وقد أوصياني بالابتعاد عنهما والتظاهر بعدم معرفتهما مادامنا  
في السفينة فغادرنا أم درمان وكان الفصل شتاء وليس معي غير الوعاء  
الذي فيه خبز الذرة وملاءة من الانسجة الخفيفة المسماة (مرمر) ومعي  
ثلاثون جنبها انكليزيا وضعتها في منطقة من الجلد تمنطقت بها تحت الملابس  
وبعد مسيرة أربع ليال رست بنا السفينة في ساحل التربة الخضراء فحملت  
وعاء الزاد ونزلت من السفينة والماء يكاد يبلغ تراقي والشاطئ بعيد عنا بنحو  
خمسائة متر وتبني الاعرابيان كأنهما لا يعرفان من امرى شيئا فخرجت من  
الماء وقد جمد الدم في عروقي من شدة البرد فلجأنا الى غابة مظلمة  
تزار فيها الاسد وتوالب فيها النمر والذئب وسائر الضواري فقضينا تلك  
الليلة حول نار أوقدناها للاصطلاء بها واتقاء السباع لأن صاحبي قال لي ان  
السباع تفر ولا تقترب منها وقضينا مدة الليل لم يزر الكرى لنا اجفانا ولم  
نضطجع على الثري

وفي الغداة سرنا نحن الثلاثة على اقدامنا نخترق الغابة متجهين الى جهة  
الجنوب الغربي وقضينا مدة النهار في السير حتى أرخي الليل سدوله فسمعنا  
نباح الكلاب حيث وصلنا الى قرية ( التربة الخضراء ) وهي قرية كبيرة  
سكانها زهاء خمسة آلاف نسمة ثم غادرناها وانتهينا الى اكواخ خربة فدخلت  
انا وواحد منهما في أحدها وذهب الآخر الى القرية كي يعود منها بالجمال  
فذهب بعد ما قطع غصنا من الشوك ووضع على باب الكوخ فاضطجعت حتي  
كان الثلث الاخير من الليل جاء صاحبنا الذي ذهب الى القرية يحملين فامتطياهما

انكليزى مع شخص اسمه الحاج صالح على من قبيلة العباددة فدفع لى منها  
مائة جنيه واغتال المائة الثانية فاخذت المائة جنيه ولم أطلع أحدا على أمرها  
وفي غضون ذلك جاءنى اعرابيان من قبيلة الكبابيش واخبرانى ان محمد  
ماهر باشا محافظ القاهرة الآن ووكيل محافظة الحدود وقتئذ أوصاهما بمساعدة  
على الفرار ووعدهما بمكافأة قدرها مائتا جنيه لى وصولي الى الحدود المصرية  
وبعد ان تناولنا في كيفية الفرار قالالى انا سافر من أم درمان على احدى السفن  
الشراعية قاصدين ( الترعَة الخضراء ) التى تبعد عن أم درمان مسيرة ثمانى  
مراحل جهة الجنوب على النيل الابيض ثم تقصد جهة ( شرقيه ) فى الجنوب  
الشرقي من إقليم كردفان ثم نمتطي الجبال من هناك ونحترق اقليم كردفان  
من الجنوب الى الشمال حيث نكون فى جنوب ( صحراء بيوضه ) التى نحترقها  
الى الشمال وينتهي سيرنا بالوصول الى حلفا

على ان اختراق الصحراء كان يستدعى مسيرة ثلاثين مرحلة بسير الهجن  
الحديث عدا مسافة السير من الترعَة الخضراء الى ( شرقيه ) وجهات كردفان  
الشمالية وقد كانت هذه الرحلة على ما فيها من الشقة كافلة لنجاتى و خلاصى من  
الاسر اذ المسافرين فيها يأمن ان يدركه رجال التعاشي الذين لا يعرفون هذه  
الطريق وغاية ما يفعلونه ان يتأثروا الفارين فى الطريق التى تمر على بربر  
والصحاري التى حولها

ولما اجعت أمرى على الفرار مع ذينك الاعرابيين اللذين تعهدالى  
بأنهما لا يأخذان شيئا من النقود قبل ان نصل الى الحدود المصرية تركت  
لعائلتى خمسين جنيها من المائة جنيه ودفعت نحو عشرين جنيها كنت مدينا  
بها لبعض التجار ولم أخبر أحدا بأمر الفرار وقلت لعائلتى انى ذاهب الى جهة

أم درمان وسنعود الى وصف تلك المجاعة وفشت أمراض الجدري والحُميات بين أهالي الجزيرة وصارت الوفيات في كل يوم تعد بالمئات والحاصل ان أهالي الجزيرة هلك نحو نصفهم بالامراض التي تفشت فيهم وذهب الباقون الى مزارعهم بالحالة التي وصفناها

### ذكر تخریب الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر التعايشي مع اسرى الخرطوم يوم جمعنا في المقرن وأمرنا بمغادرة الخرطوم والسكنى بأم درمان وبقي بعض الامراء ساكنين في الخرطوم ولما عزم التعايشي على تخریب مدن الجزيرة أصدر أمراً للدرأويش الذين كانوا ساكنين في الخرطوم بهدم المنازل التي يسكنونها وحمل الاخشاب لتشييد منازل بأم درمان فكانوا يهدمون الدور ويأخذون الانقاض يشيدون بها منازلهم في أم درمان وهكذا تم خراب الخرطوم حتى لم يبق من المنازل غير بضعة دور حوالى (الترسانة) أقيمت لسكنى عمال الترسانة وبقيت الحدائق التي على ضفة النهر عامرة يبيع بيت المال محمولاتها وتجلب منها الفاكهة والخضراوات الى أم درمان واحتكر التعايشي لنفسه حديقة سراي الحكمدارية وكان المهدي وهب أحمد شرفى احدى حدائق الخرطوم الكبيرة واختص الخليفة شريف بحديقة كنيسة الكاثوليك والحاصل ان الخرطوم صارت خرابا بلقما ومنازلها وقصورها تلالا والدوام لله

### ذكر فرار المؤلف وارجاعه الى أم درمان

في أول سنة ١٣٠٥ هجرية بعث لى صهرى عثمان فهمى باشا مائتي جنيه

وما اقترب الاجل حتى خربت جميع القرى والمدن التي في الجزيرة  
وقدم سكانها الي أم درمان وتركوا غلالهم وحاصلات أرضهم في البلاد مودعة  
في بطون الارض ففهم الذين ساروا في البر حتي اجتازوا النهر الي أم درمان  
باجرة باهظة فرضها عليهم أصحاب الزوارق ومن سار في السفن الشراعية  
أدي أجرة لا تقل عن عشرة أضفاف الاجرة الاصلية لركاب السفن الشراعية  
وبعد اجتماع سكان هاته البلاد في أم درمان وهم سكان مديريات الخرطوم  
وسنار وفيزو غلي أنزلهم التعايشي في أم درمان في أماكن متفرقة حيث جعل  
سكان كل قرية أو مدينة وحدهم فهلكت ماشيتهم التي لم تجد مرعى بام  
درمان وانتدب التعايشي سرية من رجاله تحت قيادة (أبو أم فضالي) ليمروا على  
القرى ويقبضوا على من تخلف عن امتثال ما أمر به التعايشي خربت هذه  
السرية ما بقي من القرى ومد رجالها أيديهم الى الحاصلات الخبوءة تحت الارض  
فهبوها ولم يبقوا على شيء منها

وكان سكان الجزيرة اكثر أهالي السودان دعة وسكونا وثروة  
وبسبب هذا الانتقال فقدوا ماشيتهم وثورتهم وجاء هذا العمل من اكبر اسباب  
تفشي المجاعة في السودان وهي مجاعة سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ اللتان أبادتا النفوس  
وخربتا البلاد

وبعد استقرار هذه الحلائق في تلك المنازل استعرضها التعايشي في أم درمان  
مرات عديدة ثم بعد مضي بضعة شهور أذن للمزارعين بمغادرة أم درمان لمزاولة  
الزراعة فعادوا وقد عم الدمار بلادهم ولم يجدوا حاصلاتهم التي أودعوها  
في بطن الارض فساءت حالتهم وأقاموا موسم الزراعة ولم يعودوا الي



غيطاً على كمال الدين ولكنه لم يعاقبه بمقوبة

وبلغت نفقات هذا العمل اكثر من اربعة آلاف ريال انفق كمال الدين

جلها في حاجاته الخصوصية عدا ما أخذه من الجواني والركائب

وبعد وقوف الخليفة على حيلة كمال الدين أصدر أمره له وللنود

الذين قدموا معه بأخذ الالهبة للعودة الى بلادهم وأعطاهم كتباً بالدعوة للمهدية

وخرج لوداعهم فقال له كمال الدين اني أريد منك أن تعطيني شيئاً على سبيل

التذكاري فاعطاه التعايشي نعله فأخذ يقبلها ووضعها في جيبه فطلب منه القاضي

احمد على رد النعل الي صاحبها فلم يفعل حتي أعطاه اربع جوار وحمارا

ثم قال القاضي لمن حوله لو طلب مني كمال الدين كل ما أملكه من حطام

الدنيا لا فتدبت به نعل الخليفة وقصد القاضي من هذه الاقوال أن يبلغها

الحاضرون للخليفة فتزداد ثقته به وسار كمال الدين ورفقاؤه الى سواكن ومنها

الى الاقطار الهندية

## تخريب بلاد الجزيرة

( وحشد أهلها بام درمان )

في أواخر سنة ١٣٠٤ هجرية أصدر التعايشي أمراً عاماً الى جميع سكان

الجزيرة من الخرطوم الى حدود الحبشة والى حدود مديرية بربر من جهة

الشمال وحدود مديرية فشوده من جهة الجنوب بالوفادة الى أم درمان وتوعد

من بقي في داره ولم يهدم منزله بيده ويأت الى أم درمان وضرب لذلك أجلاً

هو أواخر شهر رجب من السنة المذكورة ومن لم يصمدع بالامر في ذلك

الاجل عد عاصياً محارباً للمهدوية



التعاشي واستفتى القضاة فافتوا كما أوعز اليهم بقطع يده ورجله من خلاف فقطعما في السوق وفي اليوم التالي توفي المقدم عمر وانقضى الامر

ذكر احراق كمال الدين عظام قتلى الخرطوم ونبش القبور لما توفي لبتن بك واستمر حسن زكي في عمل عجيبة الكبسون ونفدت المواد الكيماوية التي تستخرج منها هذه المادة اهتم التعاشي لهذا الامر فقام رجل يدعي كمال الدين من الهنود الذين ذكرنا نبأ قدومهم على المهديين وقال للتعاشي اني اقدر على استخراج عجيبة الكبسون بغير احتياج الى المواد الكيماوية التي نفدت فسر التعاشي هذا القول وقال له من أي شئ تستخرجها فقال من عظام الاموات فقال له هاهي عظام كفار الخرطوم وأمر باعداد مايلزم لانجاز العمل فجمع كمال الدين عظام قتلى الخرطوم واحرقها بالنار ثم سحقتها في الاهوان ووضعها في أحواض كبيرة وصب عليها الماء ثم نبش قبور قدماء أموات الخرطوم وصنع في عظامهم مثل ما صنع في عظام القتلى ثم أقفلت الابواب على الاحواض وترك ستة شهور فتولدت منها الديدان وتصاعدت الروائح النتنة منها

وبعد الستة شهور جاء يعقوب شقيق التعاشي ومعه جمع من الامراء وفتحوا الابواب فراوا الديدان تولدت والروائح الكريهة تتصاعد منها فسألوا كمال الدين فقال ان تولد الديدان وتصاعد الروائح علامتا نجاح العمل فاذا أقفلت الابواب ثلاثة شهور أخرى ثم فتحت بعدها وجدت هذه الاحواض مملوءة بعجيبة الكبسون التي تؤخذ مباشرة لوضعها في الخرطوش فلم يصدقه يعقوب وعاد الى ام درمان واخبر اخاه بان كمال الدين كاذب محتمل فاحتمد التعاشي

على استخراج الرصاص من احجار ام درمان فاعطاه التعايشى عشرة من  
 المال وامر باعداد مايلزمه من آلات النفخ وعدد العمل ومنحه قدرا من  
 المال فاخذ يوصي اقاربه بشراء الرصاص فاذا اجتمع لديه بضع اقات وضعها في  
 التنور ووضع حولها الحجارة ثم أضرم النار حتى يذوب الرصاص وتحترق الحجارة  
 حينئذ يستدعي يعقوب اخا التعايشى لمشاهدة نتيجة العمل فيأتى يعقوب  
 ويرى الرصاص مذابا وسط الحجارة فيعتقد انه تحلل من الاحجار فيبلغ اخاه  
 التعايشى فيامر للمقدم عمر بالعطايا من الجوااري والمال

وفي ذات يوم صعد التعايشى المنبر وتكوف الناس حوله فقال لهم ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بان المقدم عمر الجملى يستخرج له من الحجارة  
 رصاصا يكفيه افتتح الدنيا كلها وان الحضرة عليه السلام اخبره بان وجود الرصاص  
 في جوف الحجارة من كرامات المهدي عليه السلام

ولكن لم تمض بضعة شهور حتى فقد المقدم عمر الرصاص الذي كان  
 يشعوبه عليهم وانقطع عن العمل مدعيا ان ادوات النفخ قد ضعفت فصنعوا  
 له غيرها فلم يات بشيء ثم وكل التعايشى مراقبته الى اثنين من جواسيسه فعلم انه  
 كان يبتاع الرصاص من الخارج لان الناس الذين كانوا يبيعونه له كانوا  
 يلتقطونه من حول متاريس الخرطوم وغيرها من مواقع الحروب ثم يذيه  
 وسط الاحجار فاستدعى التعايشى المقدم عمر وعدد له سياته وما ارتكبه من  
 الغش فاجابه المقدم عمر بان ما قيل عنه من الغش ليس بصحيح ثم قال له  
 ألسنت قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضرة عليه السلام اخبراك بكيت  
 وكيت مذكرا له مافاه به على المنبر وزاد ان قال له إن دعوى المهدي قامت اركانها  
 بمثل هذه الاخبار فان كذب هذا الخبر فالمهديه كلها كذب في كذب فاغتاظ

العمل مائة ريال شهريا من ريات التعايشي لكل واحد منهم واكل راتب  
لاصغر عامل عشرة ريات

### ذكر موت لبتن بك مدير بحر الغزال

ذكرنا أخبار لبتن بك وسجنه قبل سقوط الخرطوم  
ولما سقطت الخرطوم أمر المهدي باطلاقه فخرج من السجن في حالة  
يرثي لها من الفقر والحاجة ولما اشتدت به الحال قدم نفسه للخليفة التعايشي وقال  
له انني أعرف صناعة تجهيز عجيبة الكبسون فاثني عليه وأمر له بمجازة  
وفي سنة ١٣٠٥ مرض لبتن بك ولما حضرته الوفاة أوصي سلاطين  
باشا على بنتيه وامرأته التي أصلها سودانية تنصرت بدعوة الآباء الكاثوليك  
ثم تزوجت لبتن بك ورزقت منه بنتين

وبعد وفاة لبتن بك زوج سلاطين باشا امرأته بحسن أفندي زكي  
الذي كان يساعد زوجها في عمل عجيبة الكبسون  
واعتي سلاطين باشا بامر البنيتين اعتناء عظيما حتى غادر أم درمان

### المقدم عمر الجعلي واستخراج الرصاص

لما نفذ ما في مخازن التعايشي من الرصاص جاءه ذات يوم رجل من  
الجميلين اسمه المقدم عمر مشهور بالشعوذة يختلف على مدينة الخرطوم  
ويحتال على ضعفاء العقول ويطلب منهم المال لشراء الادوات كي يحول النحاس  
والرصاص ذهباً

وقد عرفه الناس فصاروا لا يخذعون باكاذيبه فقال للتعايشي انني أقدر

جعلها تحت نظر أخيه يعقوب وانفق أموالا طائلة لا تمام هذا العمل ورتب  
لعماله رواتب كبيرة فنجحت تجارب بردغاجي واستخرج شيأ من صنف  
البارود وعرضه على التعايشي الذي سر بهذا النجاح وسجد شكرا لله على  
ما منحه من النعم ومكث بردغاجي مشتغلا باستخراج البارود بضع سنوات  
وبينما كان ذات يوم يباشر عمله اذ التهب جزؤ من البارود وتفرقع فامات  
بردغاجي وعماله واحرق الدار ونسف جدرانها فاستاء التعايشي وأظهر الحزن  
وركب الى محل الحادثة وأمر بجمع الاشلاء ودفنها

وكان التعايشي يتقالي في استرضاء بردغاجي ولدى شروعه في عمل  
البارود منحه خمسمائة ريال ومحظية من محظياته وجواري وغلمانا للخدمة  
وجعل راتبه الشهري مائة ريال عدا رواتب عماله

أما المواد التي يستخرج البارود منها فانها خم شجر الصفصاف وملح  
البارود وكبريت العامود وكان يستخرج في كل شهر عشرة قناطير من البارود  
وانشأ دار الاستخراج ملح البارود وكلف أحد الصيادلة المصريين  
بالعمل فيها

وكذلك انشئت دار لعمل المادة المفارقة التي توضع في الكبسون المسماة  
( عجينة الكبسون ) واسند العمل فيها الى ( لبتن بك ) مدير بحر الغزال  
وحسن افندي زكي أحد أطباء الحامية في الخرطوم  
وانشئت أيضا دار لعمل الخرطوش وأطلق على الجميع اسم ( الورش  
الحرية ) وكان المشرف عليها كلها يعقوب اخو التعايشي  
وشيدت دار لحفظ الاسلحة وسميت ( بيت الامانة ) وكانت رواتب رؤساء



أحمد سليمان وشدّد النكير عليه مدعيًا ن اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لم ينفش في النقود ولا انشئت دار للمسكوكات على عهده صلى الله عليه وسلم  
فأمر بجمع النقود التي ضربت في عهد المهدي فجمعت وانشأ ضرب بخانة لسك  
النقود من نوع الريال وجعل نصفه من الفضة والآخر من النحاس وضرب  
على أحد وجهيه (ضرب في أم درمان) وعلى الآخر طغرا مكتوب فيها (مقبول)  
فسمى الريال المقبول وكان في كل سنة يأمر بتخفيض الجزء الفضي حتى صار الريال  
كله من النحاس الا الطلاء الذي يغيرون به حمرة النحاس

ولقد هبطت قيمة هذا الريال الى حد أن صار لا يساري اكثر من ملليم  
اما المسكوكات الذهبية فقد منع اعادة ضربها كل ذلك ليحتكر لنفسه الذهب  
والفضة ولا يدع للناس ما يتعاملون به غير النحاس  
على ان التعايشي لم يكن يجهل ان ضرب المسكوكات وانشاء الضربخانة  
كان بأمر المهدي الذي ذكرنا ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطا في خياط  
الا بعد صدور أمره له بوضعه والحاصل ان التعايشي لم يترك شيئا وضعه  
المهدي الا نقضه

### ذكر انشاء دار للخبرة والبارود

لما سقطت الخرطوم جمع المهديون رجالا من المصريين كانوا عمالا  
في الجبه خانات وجعلوا لهم رواتب طفيفة ليشغلوا بتعبئة الخرطوش ووضع  
المواد المفرقة فيه ثم أدرك التعايشي ان البارود والخبرة التي عنده لا بد  
من نفادها فاخذ يسمى الى التوصل الى طريقة استخراج البارود فعمد الى  
يوناني اسمه (ديمترى بردغاجي) استخراج البارود وانشأ دارا لهذا العمل



له ألقه في الماء لذوق طعمه فالتقه المصري في الماء فأمره ان يشرب منه  
قبله كما شرب في المرة الاولى ثم عاد فشرب منه واخذ في ابداء الاستغراب  
فساله المصري عن سبب امتناعه عن الشرب قبله فقال اني كنت اظن ان طرح  
السكر في اللبن ربما تولد منه ضرر واخذ المصري يصف له الاطعمة التي يصلحها  
السكر ثم انصرف عنه

ولقد اطلعت على منشور كتبه التعايشي الى قبيلة التعايشة يجب اليها  
القدوم عليه وفيه اني ملكت بلاداً فيها جبال من السكر وشجر التمر وان أهالي  
هذه البلاد الذين هم ( الجلابة ) صاروا عبيدي فسارعوا بالقدوم الى لتأخذوا  
النصيب الاوفر من جبال السكر وشجر التمر وتقضوا وطركم من نساء  
الجلابة وتركبو الخيول والحميز والهجن

ولما وصلوا الي كردفان كانوا يسألون من لاقاهم عن جبال السكر وشجر  
التمر ومدوا ايديهم ونهبوا سائر قرى كردفان وقتلوا مئات من الاهلين الذين  
رفعوا ظلامتهم الى التعايشي فكان جوابه لهم لا تتأثروا من فعل المهاجرين  
لانهم اخوانكم وشاهدوا ما حل بكم من الله تعالى ولا تنسبوه الي هؤلاء  
المهاجرين اذ الفاعل الحقيقي هو الله



### ذكر ضرر بخانة التعايشي

اسلفنا ذكر ضرر بخانة المهدي وما ضرب فيها من المسكوكات من نوع  
الجنيه المصري والريال الذي نقش عليه ( في المهبرة ) وفي الطغراء ( بامر المهدي )  
ولما عزل التعايشي أحمد سليمان أمين بيت المال وخلفه ابراهيم عدلان  
كانت مسألة الضرر بخانة من الامور التي احتج بها التعايشي على سوء ادارة

بالخفاوة والاكرام ووزع عليهم الاقوات والملابس

وكان بين هؤلاء القادمين (الغزالي احمد خوف) زعيم التعايشي وكان حائرا للرتبة الثالثة من الحكومة وكان التعايشي يعده بالهيل والهيلمان لدى وصوله أم درمان فلم يوف له بوعده وسنعود الى ذكر بقية أخبار عثمان آدم وموته هذا وقد كانت قبيلة التعايشة تحب السكر والتمر وطريقة تناولهم السكر أن يكسروه قطعاً صغيرة ويأكلوه كما يأكلون الخبز

ومن النكات المضحكة ما نورده عن أحد المصريين الذين يشتغلون في مامل الذخيرة للتعايشي وذلك ان الزاكي عثمان الذي كان أمير بربر كلفه بتعبئة خرطوش لمدارة صغيرة فأتى المصري العمل وذهب الى منزل الزاكي ليدفع له الخرطوش فتلقاه بالاكرام وقدم له طبقاً كبيراً مملواً بقطع السكر الصغيرة وجاءه باناء فيه نحو خمسة أرطال من اللبن الحليب فأخذوا يأكلان من السكر ويشربان من اللبن ثم قال صاحبنا المصري لمضيفه لما اذا لاتضع السكر في اللبن فقال وهل يوضع السكر في اللبن فقال نعم وتناول المصري السكر وألقاه في اناء اللبن فصاح به مضيفه فداتلفت السكر واللبن معاً فقال له المصري لاتعجل فسيكت الزاكي ثم هز كتفيه ورأسه علامة على اليأس فقدم له المصري اناء اللبن وقال له ذقه فقال له والنضب باد على وجهه لاذوقه حتى تذوقه قبلي فشرب المصري وناولوه الاناء فشرب منه ثم وضع الاناء من يده قائلاً (قاتلكم الله يا معشر المصريين انكم خبيرون باتقان كل شيء) أما نحن فلا نعرف ان مزج السكر باللبن يصيره حسناً مثل هذا ولم نتعود منذ خلقنا الله إذابة السكر في اللبن ثم سأل المصري وهل يكون السكر لذيذاً كهذا اذا القيناه في الماء فقال نعم فظهر الارتياح ثم دخل الى بيته وعاد منه بسكر و قال

أقارب المهدي حتي صاروا في حالة يرثى لها ولا سيما أولاد المهدي فانهم صاروا يقاسون من شظف العيش وصرارة الفقر ما يعجز القلم عن وصفه وفي أواسط سنة ١٣٠٥ اتجهت غزيمة النعياشي الى استنفار قبيلة التعايشة من ديارها في جنوب دارفور ليشدها بها عضده ويكون ذا عصبية امام الاقوام الخاضعة لجبروته وكان قبل ذلك يتألف قبائل البقارة لينال منهم مزايا العصبية والموازرة اذ لم يكن معه من أقاربه التعايشة الا نحو ثلاثين رجلا احتكر لهم الوظائف وولاهم الاعمال الخطيرة واستوزر أخاه لاييه يعقوب وأشركه في سلطانه حتي صار ذا نفوذ كبير وأصبح يضارع أخاه التعايشي في كل خراص الملك والسultan وصار يعقوب هذا القائد العام للجيش والمدير المطلق لامور مملكة أخيه

وكتب التعايشي الى عثمان آدم في دارفور يأمره باستنفار قبيلة التعايشة كما كتب الى رؤساء هذه القبيلة يخبرها بأنه صار ملكا عظيما وسلطانا خيما على جميع الاقطار السودانية وانه في حاجة شديدة لمعاضدتهم فانقسمت قبيلة التعايشة الى قسمين أحدهما رأي وجوب المبادرة لتلبية نداء التعايشي والآخر أظهر بفضله قائلا لا يرجي خير من سفل نال ملكا من طريق المصادفة صعلوك كان متسولا بين ظهرانينا بالامس واليوم نذهب لننزل على حكمه ونضع أنفسنا بين يدي جبروته ثم هجر هؤلاء ديارهم ونزحوا الى مملكة (وداي) مفضلين النأي عن الديار على اللاحاق بالتعايشي وانصاع القسم الآخر لمطالب التعايشي ونزحوا من ديارهم الى دارفور ومنها الى أم درمان وكانوا زهاء مائة ألف نسمة أو يزيدون

وقد أنفق التعايشي على استقدامهم أموالا طائلة حتي بلغوا أم درمان فتلقاهم

في وجهه كما ضاقت في وجه التمايشي الذي أصدر أمرا الي عثمان آدم بالتقهقر من دارفور الى كردفان

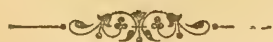
وبلما كان عثمان آدم يتأهب للتقهقر زحف عليه أبو حمزة في جيش عرمرم ولكنه في غضوب سيره أصيب بمرض الجدري ثم توفي بعد أيام يسيرة فتابع أصحابه مسيرهم قاصدين (الفاشر) محل إقامة عثمان آدم الذي قسم جيشه قسمين جعل أحدهما كميناً وتربص هو مع الآخر فتقدم جيش أبو حمزة حتى اجتازوا موقع الكمين والنقوا مع عثمان آدم فخرج عليهم الكمين من الخلف وصاروا بين نارين فسقط منهم عدد كثير وتمسك الباقيون بأذيال الفرار فنأثرهم عثمان آدم وقتل منهم خلقا كثيرين وما زال عثمان آدم متأثرا للمهزمين حتى اجتازوا حدود دارفور ولحقوا بمملكة (أبي ريشه) وحملت الي التمايشي رؤس جماعة من وزراء أبي حمزة وهجرأهالي دارفور ديارهم الي ممالك الغرب كي يعصموا بهامن انتقام الدراويش فتخربت البلاد وصارت بلقا ليس فيها ساكن ولا مساكن وانقطعت جباية الخراج وأصبح عثمان آدم وجيشه في حاجة عظيمة الي النفقات فوجه اهتمامه الي الغزو في الجبال التي حوالي دارفور ليتحصل منها على قوته وقوة حاميته

### شأن التمايشي وقبيلة التعايشة

لما تغلب التمايشي على مناظريه وسلب من أقارب المهدي القوة التي كانت في أيديهم استبدد هو بالملك وانفرد بالسلطان على كل بلاد السودان وأضعف نفوذ الخليفين علي حلو ومحمد شريف حتى صارا لا يعبأ بهما خصوصا محمد شريف فقد وصلت حالته الي فقدان الضرورى من القوت وانحط شأن



أما أبو قرجة فقد ولاء التعايشي على بربر فكث بها ثلاثة شهور ثم  
 عزله وولى بدله الزاكي عثمان البقاري ونفي أبو قرجة الى خط الاستواء  
 وسنعود الى ذكر هزيمة عثمان دقنه من (طوكر) والقضاء على نفوذه في  
 السودان الشرقي



### ظهور المهدي ابو حمزة في دارفور

لما رسخت قدم عثمان آدم في دارفور اتحن في القبائل منها وسلباً وخرب  
 المدن وحمل الاهلين نيراً ثقيلاً حتى باتوا ولاهم لهم غير الخلاص من ذلك  
 النير فقام بين ظهرانيهم رجل من المشايخ اسمه محمد كان يجلس تحت شجرة  
 من الجميز حتى كنى باسم (أبي حمزة) وادعى انه المهدي المنتظر وكان مشعوذاً  
 ذا قدرة على عمل خيالات يخالها الناظر حقائق فاتبعه أهل دارفور كلهم  
 وترامت أخباره الى الممالك المجاورة لها فنسل اليه كثير من سكانها ولحقوا به  
 واجتمع حوله جيش كثيف عسكر به في الجهات الغربية وكتب الي عثمان آدم  
 يدعوه الى التسليم فارسل له جيشاً تحت قيادة (الحكيم موسى) التعايشي فهزمه  
 شرهزيمة وبعد اللتيا والتي وجد القائد الي النجاة سيديلاً

فارسل عثمان آدم الي التعايشي يعلمه يامر أبي حمزة ويطلب منه الامداد  
 فارتاع التعايشي لهذا النبأ وأرسل الامداد الي عثمان آدم الذي أرسل لحرب  
 أبي حمزة جيشاً آخر تحت قيادة (محمد بشاره) التعايشي فلم يكن نصيبه غير  
 نصيب القائد الحكيم موسى ثم توالى الحروب بين أبي حمزة وعثمان آدم  
 فكانت الدائرة تدور على دراويش عثمان في جميعها وخضعت بلاد دارفور  
 الغربية كلها لابن حمزة وشمرت معه على حرب عثمان آدم الذي ضاقت الدنيا



الولا عاد الى كسله ثم استخاف عليها ابن أخيه وغادرها الي (طوكر)  
ولم تمض سنة حتى ثقلت وطأة عثمان دقنه على الاهلين فارتفعت  
أصواتهم بالتذمر من مظالمه الفادحة التي أحسوا بثقل وطأتها عليهم فهرعوا  
الى الخليفة يشكون مالا قوا فلم يجدوا منه غير التسويف والمطل والاثام بالانحراف  
عن جادة الصراط المستقيم فثاروا على عثمان دقنه عدة ثورات  
وفي أواخر سنة ١٣٠٣ كتب التمايشي الى عثمان دقنه يستقدمه وكانت  
أول مرة استقدمه فيها بعد ان قبض على زمام الملك فشخص من  
(طوكر) الى بربر ومنها الى أم درمان فاستقبله التمايشي بصنوف الاكرام وبعد  
انقضاء أيام عيد الاضحى أعطاه خمسة آلاف مقاتل من البقارة فسار بهم الى  
كسله عن طريق (القضارف) ثم سير خلفه الحاج محمد أبا قرجة في عشرة آلاف  
مقاتل وسلمه أمرا بانه امير شرقي السودان بدل عثمان دقنه الذي عزل من  
الامارة وجعل كواحد من القواد فسار أبو قرجة على طريق القضارف أيضاً  
قاصداً كسله ولدى وصوله اليها أعلن عزل عثمان دقنه وولايته بدله فسكنت  
الاضطرابات وأمنت السبل وفتح طريق الاتجار بين مصوع وكسله . وبعد  
بضعة شهور أصدر التمايشي أمرا الى أبي قرجة بمغادرة كسله الى (طوكر)  
واستخلاف حامد على أحد أقارب التمايشي على كسله فسار أبو قرجه الى  
(طوكر) وعسكر فيها وجرت بينه وبين الحكومة في سواكن مخابرات سلمية  
أوجبت ارياب التمايشي في الثقة به فعزله عن الامارة وأعادها الى عثمان دقنه  
وفي غضون ولاية أبي قرجة تقدمت جيوش الدراويش الى (هندوب)  
وضيقت الحصار على سواكن فخرجت حاميتها عليهم وفرقت جموعهم فعادوا  
الى (طوكر) وعسكروا فيها

الورع والتقوى وراء ظهره شرس الاخلاق سيئ المعاملة لا يقول الا سوا  
والويل ثم الويل لمن كانت له حاجة عنده ألف ويل له ان كان مصريا فانه  
لا يسمع منه غير الشتائم المؤلمة ولا يرى منه الا سائر ضروب الاهانة وحاجته  
لا تقضي ولو كانت على طرف الثام وبالجمل ان قد صفا له الجلو حتي خلفناه شخصا  
غير ذلك الذي كان يبيع اللبن ولا غرو فان الغلظم كمين في النفوس تظهره القوة  
ويخفيه الضعف

وفي إبان اسناد امانة بيت مال بربر اليه كان يفد اليها ألوف من التجار  
المصريين من أهالي مديرية اصوان ولم يكن غرضهم الحقيقي الاتجار بل كانوا  
ميالين الى دعوة المهدي و انما تذرعوا بالتجارة لقضاء مآربهم من المباينة وحمل  
تعاليم المهدي الى بلادهم ونقل اخبار الحكومة للتعايشي فكتب النور الى  
التعايشي يقول له ان هؤلاء التجار رواد للحكومة الخديوية وهم يتسترون  
بالتجارة وعندهم من المال ما يجب ان يكون حقا لبيت المال فكتب التعايشي الى النور  
يامره بمصادرة أموال أولئك التجار مع انه لا يجهل انهم معه على الحكومة  
وليسوا مع الحكومة عليه ولكن طمعه في أموالهم ألجأه الى سلبها

وعلى اثر ذلك وثب النور الجريفاوى على تجار المصريين وقبض على بضعة  
آلاف منهم وعذبهم ومزق اجسامهم بالسياط كي يدلوه على أموالهم التي  
بلغت قدرا طائلا ثم اطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة بعد أن وردوا موارد  
الموت فمادوا الى بلادهم بقلوب مملوءة بغض المهديين وحب التفرار من دعوتهم

### السودان الشرقي

بعد أن دارت الدائرة على عثمان دقنه في ( كوفيت ) وفر من وجه الراس

فاه بكلام يمس شرق التعايشي ثم أطلق والحق بدقلة كأحد صغار القواد  
وتوفي بها في سنة ١٣٠٧

وحدث أناس من الذين حضروا وفاته انه لما احتضر جزع وقال اني  
كنت اظن أن دعوة المهديّة لله ورسوله فدعوت الناس اليها وأما الآن  
فقد علمت انها دعوة الشيطان اراد بالاسلام والمسلمين شرا بظهورها وان الله  
تعالى سيؤاخذني على ما جنته يداي ان لم يرحمني ويعف عن سيئاتي ثم نطق بالشهادتين  
وفاضت نفسه

النور ابراهيم الجريفاوي وتجار المصريين في بربر  
النور ابراهيم الجريفاوي دكروري استوطن ابوه أوجده قرية (الجريف)  
التي تبعد عن الخرطوم جهة النيل الازرق ببضعة اميال وكان مشغولا بصناعة  
اللبن وحرقه وبنيه لسكان الخرطوم لتشييد المنازل  
وقد ذكرنا انه اغتال قدرا من المال دفعته له الحكومة ليورد لها به الغلال  
فسرّب المال الي جيبه وكان اذ ذاك من أعضاء مجلس السودان حائزا للرتبة  
الرابعة ثم لحق بدعاة المهدي

ولما عزل الخليفة التعايشي محمد الخير من بربرولي النور الجريفاوي هذا  
امانة بيت مالها وكان النور هذا مشهورا لدى سكان الخرطوم بازا اشتغاله بصناعة  
اللبن بالورع والتدين ودمائة الاخلاق وحسن المعاملة مع الحقير والعظيم  
والصغير والسكبير

ولما دخل في سلك موظفي المهديّة انسلك عن هذه الصفات وانقلبت  
كلها الى ضدها وصرت لا ترى منه غير رجل ظالم غاشم خرب الذمة قد نبذ

ونسب له أمورا هو براء منها وتعالى في تقبيح سيرته وتشديد النكير عليه  
 فارس التمايشي يستدعي محمد الخير إلى أم درمان فقدم عليه وعند ذلك عقد  
 التمايشي مجلسا عاما جمع فيه بين محمد الخير والحاج علي سعد فسمع هذا الأخير  
 محمد الخير مطاعنه فيه فبكى واتحب ورفع يديه إلى السماء قائلا اللهم اني أشهدك  
 اني برىء من هذا كله وكانت هذه المطاعن مما يتجاني القلم عن ذكره ومن  
 جملتها رمي محمد الخير بارتكاب الزنا وقد ذكرنا انه كتب للمهدي على اثر فتح  
 بربر يقبح له استباحة اعراض المصريين بضروب السبي التي سار عليها ملتمسا  
 منه الكف عن ذلك فاجاب التماسه وهذه الحسنة ادل دليل على أن الحاج علي  
 سعد كاذب في مطاعنه على محمد الخير لانه لو كان فاسقا كما ادعى لما رغب عن  
 سنة السبي السيئة ولما رأي وجوب الكف عن هتك اعراض المصريين في بربر  
 على أن هذه الاذكايب مدبرة بين التمايشي واخيه يعقوب يقصدان  
 بها ابعاد محمد الخير عن بربر ليخلفه في وظيفته شخص بقارى ولما كان محمد الخير له  
 شهرة بين اهالى السودان رأوا أنه لا يحسن الاقدام على عزله بدون اسناد  
 فظائع اليه مثل التي فاه بها الحاج علي سعد

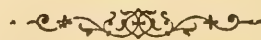
وفي ذلك اليوم أصدر التمايشي أمره بعزل محمد الخير وتولية عثمان الديكيم  
 بدله فسار إلى بربر في خمسمائة فارس ونهب القرى التي في طريقه واتلف  
 الزرع قبل ان يحصد وكان هذا العمل من مقدمات القحط الذي ضرب اطنابه  
 في السودان وستري تفصيله فيما سيأتي

أمنا عثمان الديكيم هذا فهو شقيق يونس الديكيم واعماله واخبار جهالته تفوق  
 الذي ذكرناه عن شقيقه

هــ هذا وقد بقى محمد الخير في أم درمان بضعة شهور ثم سجن بتهمة انه

ثم لحقته في الطريق كتب من الضابط سليم اغا مطر يخبره فيها بحبوط مسعاه فتابع  
المسترستاني سيره حتي وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور هلك فيها اكثر  
من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسرون على الاقدام  
ولولا سوء تصرف امين باشا وذبحه الافيال الهندية والثيران المروضة  
لكانت رحلة ستانلي الي زنجبار من ايسر الاسفار اذ الذين رافقوه لا يبلغون  
ألفي نسمة والثيران المروضة التي ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف راس عدا  
بضعة افيال

وعلى أثر ذلك صفا الجو للمهديين في خط الاستواء وانطلقت ايديهم  
فيه يجلبون منه العاج والريش وسائر محصولاتة ولله الامر من قبل  
ومن بعد



### ذكر عزل محمد الخير من بربر وموته

ذكرنا ما كان من امر محمد الخير وقيامه بدعوة المهدي في بربر واحتلاله  
دقلة بعد جلاء الحملة الانكليزية عنها

وفي اوائل سنة ١٣٠٤ حين استتب السلطان للتعايشي على البلاد ووجه  
اهتمامه الي عزل الامراء الذين ولاهم المهدي واستبداهم بذوى قرابته او عن  
يعقوب اخو التعايشي الي الحاج علي سعد امير الجميلين الذين يسكنون القرى التي بين  
بربر وام درمان ان يكثر من الشكوى الي التعايشي ويتذمر من أعمال محمد  
الخير ويقبح سيرته فيهم ويرميه بكل منكر وفظيعة وكان محمد الخير قد  
احتكر وظائف الجباية والقضاء لا قاربه واتباعه ووعد يعقوب الحاج علي  
سعد بالولاية بدل محمد الخير فاغتر بوعده واسترسل في الطعن على محمد الخير



الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية في مكان اسمه ( اللابورية ) وهاجموا الدراويش فدارت الدائرة على الحامية وقتل كثير من جنودها وفر الباقون الي ( الدفليه ) فاعاد الدراويش السكره عليهم واستولوا على خطوط النار عنوة وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقاً كثيرين واجلتهم عن الدفليه فغادروها منهزمين لا يلوون على شيء ولحقوا ببواخرهم في ( اللادوه )

وفي غضون اشتغال الحامية بدفع غارة الدراويش وصل المسترستانلي الرحالة الذي كلفته الحكومة الحديوية بسحب حامية خط الاستواء عن طريق زنجبار

ولما سمعت الجنود بامر هذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الي جهة زنجبار مملوء بالمخاطر والصعوبات ولادواب للجمل في تلك الارحاء واشيع بينهم ان مسافة الطريق تبلغ مسيرة سنة تترد السودانيون منهم على امين باشا وقبضوا عليه وسجنوه وعينوا حاكما وضباطاً من صغار الضباط السود كما قبضوا على سائر الضباط المصريين والموظفين الملكيين وزجروهم في السجن

ثم نحي الى اولئك الجنود المتمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم فهرعوا الي لقائهم في جهات جبال ( الدفليه ) فقام ضابط سوداني يدعي سليم مطروهمج على السجن واطلق امين باشا وساروا الي جهة قريبة من بحيرة فيكتوريا نيازوا وقابلوا المسترستانلي هناك فعهده المسترستانلي الي سليم مطر تسكين ثائري الحامية واسماهم لمرافقته فتوجه الي ( الدفليه ) وحاول اقناع الجنود بوجوب امثال امر الحديو الذي يحمله ستانلي فلم يفلح ورموه بالخيانة وكادوا يبطشون به وظل المسترستانلي ينتظر عودته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتدأ مسيره الي زنجبار

ربما تشرف اليها القارىء فاقول

يبتدىء خط السير فى النيل الابيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع النيل الازرق وهذا النهر هادىء وضفتهاء متراميتان عن بعضهما حتى يتعذر فى بعض الامكنة رؤية من بالشاطئ الشرقى الشاطئ الغربى مثلاً ولو بالنظارة المعظمة وذلك من بعد بركة السنيورة فاذا غادرت بحر الغزال متجها الى الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الامر بمكس ذلك فتشاهد ضفتى النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريره يصم الآذان وتربة تلك البلاد من طينة لزجة تكاد تضارع المواد الغروية الشديدة اللزوجة كالصمغ ونحوه

وينبت على ضفتى النهر حشيش فى طول قصب السكر والناظر اليه لا يشك انه قصب السكر ولكنه مملوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو منه وتحدث منه قروح قل ان يبرأ من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهر تتقطع من الجزر قطع من الطين عليها اجزاء من هذه الحشيشة التى يطلق عليها اسم ( ابو صوفه ) فتتراكم عند مضيق النهر وتمنع سير السفن وطريقة ازالتها هي ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر هذا ماكان من امر حملة المهديين واما امين باشا حاكم خط الاستواء فانه غادر ( اللادوه ) عاصمة الاقاليم الاستوائية الى الجهات الجنوبية على اثر ما اصاب جنوده من الفشل منذ عامين امام ( كرم الله كرساوى ) داعية المهدي فى ( شكا وبحر الغزال ) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء ولما وصل عمر صالح الى ( اللادوه ) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت ( بالرجاف ) جنوب اللادوه فتقدم نحوها وشن عليها الغارة وذبح بعض من بها من

وبالغ في الشناء على وشكرني قائلا إن ماقلت له حل في لبي جرة مملوءة بماء  
الشهد وعملا بنصيحتك سأعين احد آل بيتي لقيادة الحملة وقد ارجأت أمر سفرها  
الذي كنت مزعما انفاذه في الغد ريثما اختار القائد الجديد الذي لا بد من  
امهاله اياما ياخذ في خلالها اهبطه للسفر

وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفي وابن أخيه الحاج الزبير فخرجا  
يتعثران في أذيال الفشل ووجوههما مكفورة والله أعلم بما في قلوبهما. من  
الغيظ والاحنة على

ولدي خروجهما قابلا أحد اصدقائي المصريين وقال له أليق من فلان  
ان يأتي ما أتاه امام الخليفة فقال لهما الجزاء من جنس العمل لانكما بداتما  
بالوشاية عليه فنجحتما في الاضرار به وهكذا يكون جزاؤكما

وعلى أثر هذه المحادثة انتدب التعايشي احد اقاربه المسمى عمر صالح ومعه  
نحو الخمسمائة جهادي وجعله قائداً للحملة وجعل عبد الله الطريفي كدابل له. ويبلغ  
مجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جلهم مسلحون بالاسلحة النارية

وفي اواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة أم درمان على اربع بوآخر ولما  
وصلت الى اماكن السدود وجدتها متراكمة بها فتعذر عليها متابعة السير الى جهة  
الجنوب فمكثت بقية سنتها تعالج فتحة السدود فهلك من رجالها كثير وهلك  
أيضا عبد الله الطريفي مع من هلك وقوبلت الحملة من أهالي البلاد بنفور عظيم  
وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما  
اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطئ النهر  
والآخر اشتغل بفتح السدود

هذا وقد رايت ان اورد هنا شذرة من وصف السدود اتماما للفائدة التي

الفرار الى ماوراء بحيرة فيكتوربا نيازرا فأثرت وشايتها على التعايشي وعدل عن  
انفاذي مع تلك الحملة

هذا وقد اشتغلت ليلتي بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفي اليوم التالي  
قصدت دار التعايشي فالفيتة جالسا ومعه الذين كانوا معه بالامس وغيرهم من  
الامراء وهو يلقى التعليمات على عبد الله الطريفي قائد الحملة فقدمت له الرسم  
فتناوله كاتبه واوقفه على كل ما فيه فالتفت الى وشكرني وقال انني عزمتم علي  
انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة فقلت نعم يا مولاي وقد  
مالت نفسي للانتقام من عبد الله الطريفي وابن اخيه الحاج الزبير لوشايتها  
التي سدت في وجهي بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه

فقال التعايشي هات ما عندك فقلت ان عبد الله الطريفي وسائر الذين  
انتدبتهم لهذه الحملة كانوا نخاسين وقد ذاق أهالي خط الاستواء من مظالمهم  
ما جعلهم يبغضونهم أشد البغض وهم قوم لا خلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس  
التي حرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة فلذلك تري  
أهالي تلك البلاد يبغضونهم ويفرون من وجوههم كما يفر الانسان من  
الضواري فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد جاءت النتيجة بعكس  
رغائبك حيث ايجأ الاهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الذين  
ذاقوا مرارة سيطرتهم فيما مضى ورزحوا تحت نيرهم زمنا والاولى عندي ان  
يعهد مولاي قيادة الحملة الى أحد آل بيته ويشد أزره بجيش من الجهادية  
ليكون قادراً على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تطأ أقدامهم أرض  
تلك الارحاء يعودون الى أعمالهم السيئة التي تاباها عدالة مولاي وما وصلت  
الى آخر هذه العبارة حتى بدت علامات السرور على وجه التعايشي والنفت الى

أمامه وقد ذهب روعي لما آنتست من بشاشته فخطبني بما يأتي.

يا ابراهيم فوزي انني عزمت علي انفاذ حملة لفتح أقاليم خط الاستواء وبما انك كنت حاكما عليها فاني أود انفاذك اليها لتكون مرشداً صادقاً ومستشاراً أميناً لقائد الحملة واني أود ان تكون راضياً بالقيام بهذه المهمة التي أعهد اليك القيام بها لانني عالم بانك صرت من أخلص المخلصين لنا.

فاجبته بأنني أشكر مولاي على ثقته بي واعاهدده على القيام بما عهده الي بالصدق والوفاء . فسرر هذا الجواب واعطاني عشرة ريالاً وتناولت معه الغذاء على قصعة الضيوف وانصرفت الي منزلي مملوء الجوانح بالسرور وقد رايت انني استطع النجاة من اسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لدى وصولي الي خط الاستواء فقضيت ليأتي لابرور الكرى جفني لشدة مادخاني من السرور الذي تلاه النرح حيث استدعاني التعايشي الي مجلس حافل بالقضاة والخلفاء وارباب الشورى وبعد أن شكرني علي قبولي القيام بمهمة الدلالة لقائد حملة خط الاستواء عبد الله الطريفي قال لي انني اخشي عليك متاعب السفر واود ان تكون قريباً مني ولذا أقبلت منك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريفي ولكن اكلفك بوضع رسم مشفوع بالتعليمات التي يجب العمل بها اذا وجدت بواخرنا النهر مسدوداً فوعده باحضار الرسم في الغد وبعد خروجي علمت ان سبب تاخيري ان عبد الله الطريفي وابن اخيه الحاج الزير وشيأني عنده حيث قالوا له ان ابراهيم فوزي كان حاكماً لاقاليم خط الاستواء وقد شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف الناس باخلاق وعوائد أهلها وانا نخشى من مغبة وصوله الي تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتي أي عمل يريد من ضروب الاضرار بنا وانه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع



ولما استولى كرساوي على أقاليم (بحر الغزال وشكا وحفرة النحاس)  
غزا حدود خط الاستواء وعاد دون ان يظفر بشيء منها

وفي سنة ١٣٠٥ كان بام درمان رجل اسمه عبد الله الطريفي وهو عم  
الحاج الزبير الذي ذكرنا في أول خلافة التعايشي انه أُرْسِدَده الى سلوك  
الطريق الذي سار عليه وكان عبد الله الطريفي هذا جابياً من قبل المهديونية  
في إقليم القصارف فاغتال منه مالا جزيلاً باتحاده مع ابن أخيه الحاج الزبير  
وفي سنة ١٣٠٤ أرسل التعايشي الى (القصارف) من أوقفه علي خيانة الحاج  
الزبير وعمه عبد الله الطريفي فقبض عليهما واستصفي ما اغتالاه من المال  
وزجهما في السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية  
فعمدا الى وسيلة يتقربان بها اليه فدخل الحاج الزبير علي التعايشي وأخبره ان  
عمه عبد الله الطريفي كان نخاسا في جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة  
بأخلاق وعوائد أهالي تلك البلاد وأبان له الثمرات التي تعود من فتح خط  
الاستواء من جاب العاج وریش النعام والارقاء من تلك الديار فعمل التعايشي  
على انفاذ عبد الله الطريفي لفتح تلك الاقاليم

وعبد الله الطريفي هذا كان نخاسا وفي بداية ظهور دعوى المهديونية  
قبضت عليه الحكومة وسجنته لآتيانه أمرا من انواع الخيل وذلك انه كتب  
على بيض الدجاج لفظ الشهادتين وبعدهما ذكر اسم المهدي الذي عمدها التزوير  
من كراماته وكان عبد الله الطريفي هذا ذاهاء وحيل ومكر سيء

ولما صمم التعايشي علي انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعاني الى داره  
فذهبت اليه وانا في وجل شديد من هذه الدعوة فدخلت عليه فالفيتة جالسا  
وحده فلما وقع بصره عليّ هش وبش فقبلت يده وجلست على الارض

في مقصورة المسجد هرع الناس لرؤيتها وهم يشكون في صحة هذا النبا  
ويقولون ان هذه الاسلاب قد سرقتها بعض الجواسيس من معسكر النجاشي  
وأوصلوها الي التعاشي

هذا وقد كنت أنا وسائر الذين يترقبون الخلاص من نير المهدوية نود  
من صميم افئدتنا انتصار الاحباش وفوزهم على الدراويش في القلايات عساهم  
يتقدمون منها للاستيلاء على بقية السودان ولذا جاءت أخبارهم بعكس  
ما كنا نود فسيبحان من يؤتى النصر من يشاء

### شان خط الاستواء والمهدويين

أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهدويين فاقول  
ذكرت في أوائل الجزء الاول الاسباب التي حملت الطيب الاثر غردون  
باشا على فصلي عن ولاية أقاليم خط الاستواء وبينت باسباب المساعي السافلة  
التي بذلها أمين أفندي طيب الحامية وقتئذ لنيل أمنيته من الولاية على أقاليم  
خط الاستواء وكيف دفع السائح (ينكر) على الوشاية بي عند غردون  
باشا حتى عاملني بالمعاملة القاسية التي شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور  
براءتي عنده بارشاد الضابطين اللذين كشفوا له حقيقة المسألة

وعلى أثر هاته الحادثة امتلاً غردون باشا غيظاً من أمين أفندي وتبدلت  
ثقتي ومحبتة فيه بوصفه بالخيانة والكراهية

ثم لما عدت مع غردون الى الخرطوم في المرة الثانية وتحادثنا في شؤن  
كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاقد على أمين بك حاكم خط  
الاستواء سي الظن به

وهم من جنود الحكومة القدماء فتقدم فرج الله باشا بجنوده وأطلق النار على الاحباش فاصيب النجاشي يوحنا برصاصة وهو جالس امام خيمته فقضت على حياته في الحال وانتشر خبر موته في عسكره فولوا منهزمين وساقوا السبي امامهم فتأثرهم ازاكي طمل حتي ارخى الليل سدوله فالتقوا عصا التسيار التماسا لراحة فداهمهم الزاكي في الغلس على غرة ووضع السيف في رقابهم فانتهبوا من نومهم مذعورين وقتل منهم خلق كثير وفر الباقون واستخلص السبي من أيديهم وأرشدهم أحد الرواد الى تابوت وضعت فيه جثة النجاشي ففتحوه وحزوا رأسه وقبضوا على سائر اسلابه ومن بينها تاج مرصع بالاحجار الكريمة وخاتمه وملابسه وعاد الزاكي الى القلابات مسرورا وغادر أحمد على ومن معه من القضاة (القلابات) يحملون بشرى الانتصار الي التعايشي ومعهم رأس النجاشي وسائر الاسلاب

أما سرور التعايشي بهذا الانتصار فانه مما يعجز القلم عن وصفه حيث مكث أربعين يوما يذبح البدن ويدعو الناس الى تناول الطعام على قصعته المملومة ولا حديث له غير هذا الانتصار وقد سمعته مرة يقول لمن حوله هسل في الدنيا دولة تضارع الحبشة فيقولون كلا فيقول ان فتح مصر لا يكلفنا ما تكلفناه في الانتصار على الاحباش فيجيبونه بان حرب أوروبا برمتها أسهل من حرب الاحباش ثم أخذ يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا الانتصار قبل وقوعه ببضع سنوات ثم قال ان المهدي عليه السلام أخبره بان ترك الحبشة الذي أشير اليه في الحديث الشريف مغني بزمن الخليفة عبد الله المتعاشي

ولما نصبت رأس النجاشي يوحنا في السوق ووضع تاجه وسائر اسلابه

العار وجواسيس التعايشي يرفعون اليه في كل يوم أخبار تاهب النجاشي  
للفارة على القلايات فلذا صار يوالى ارسال الامداد وأمر بتحصين  
القلايات بزريبة من الشوك حصينة لا يمكن تسورها تبلغ مساحتها عشرة  
آلاف مترتقريباً

وأعلن النجاشي قومه انه زاحف الى القلايات في وقت عينه قبل أوان  
الزحف بالفعل ببضعة شهور فعلم التعايشي بالامر وقبل حلول الاجل هلك  
حمدان أبو عنجة فارسل التعايشي أحمد على القاضي ومعه أربعة من القضاة حاملين  
أوامر تولية الزاكي طمل وقد أسر اليهم ان يراقبوا الحركات الحربية حيث  
اقترب ميعاد زحف الاحباش على القلايات

ولما وصل أولئك القضاة الى القلايات تلقاهم الزاكي طمل بالاكرام واغدق  
عليهم العطاء الوافر من أصناف الرقيق والنقود

وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٦ هجرية هجم النجاشي يوحنا على (القلايات)  
في مائتي الف مقاتل تقريباً جلهم من الفرسان واحاطوا بالقلايات وضربوا  
خيامهم حولها وجلس النجاشي امام خيمته يحيط به خدمه وحشمه ووزاؤه  
وهجمت جيوش الحبشة على القلايات هجمة الاسود على فرانسها واضرموا  
النار في الزريبة فتقهقر الدراويش الى الجنوب واستولى الاحباش على نسايتهم  
وأولادهم ونهبوا دورهم

وبينما كان الاحباش مشغولين بالنهب وصل الى الدراويش مدد من جهة  
الشمال تحت قيادة فرج الله باشا السوداني الذي كان قومندان نقطة أم درمان  
الذي جعله المهدي قائداً من قواده بعد ان سلم له وقد تقدم ذكر ذلك  
وكان هذا المدد ببضعة آلاف من الجهادية المسلحين بالاسلحة النارية

وأرسل مقداراً عظيماً أيضاً من التبر والفضة الى يعقوب اخي التعايشي وبذل أبو عنجة الامان لتجار الاحباش وعاهدكم على ان لا يأخذ منهم غير خمس سلمهم فهرعوا الى القلابات بتجارة البن والعسل والسمن والقمح وغيرها من محصولات بلاد الحبشة فكان يتحصل من هذه الضريبة ما يقرب من نفقات أبي عنجة وحاميته

### وفاة ابي عنجة وولاية الزاكي طمل

في رجب سنة ١٣٠٦ توفي حمدان أبو عنجة على أثر تناوله مسهلاً ودفن بالقلابات وتبادل الناس اشاعة ان احدي محظياته واحبهن اليه دست له السم في ذلك المسهل فاستدعاها التعايشي اليه وكانت ذات جمال باهر فدهش لدى وقوع بصره عليها وتلعثم لسانه عن استنطاقها عن الجنيابة التي اتهمت بها فامر بادخالها الى منزله ولم يجسر بعد على مؤالها عن شيء كيلا يسوءها سماءه ولم يكتف بذلك بل حظر على الناس الكلام في هذا الصدد ولما اتصل بالتعايشي نبأ وفاة أبي عنجة جزع جزعاً شديداً وظهرت عليه علامات الحزن والكآبة فانتدب قاضي الاسلام أحمد على ومعه أربعة قضاة ليسافروا الى القلابات ويحملوا الاوامر بتولية الزاكي طمل بدل حمدان أبي عنجة والزاكي طمل هذا تعايشي أحد أبويه من عبيد ( البنضلة ) وكان خادماً في إحدى شركات النخاسة في النيل الابيض وكان جباراً قاسياً ظالماً سفكاً للدماء وسيأتي ذكر خبر قتله

### واقعة القلابات وقتل النجاشي يوحنا

ما فتئ النجاشي يوحنا منذ واقعة ( قندر ) يتأهب لاخذ الثار وجلاء



دائرة جلوسه وانتفخت جثته مرة فماتت غرفة كان فيها وخرجت من نوافذها وأراهم مرة اشباحاً في الفضاء لم يشكوا في انها ملائكة السماء زلوا لحدمته وموازرتة وبالجملة فان هذا الرجل كان بارعاً في الشموذة متضلعاً من علم السماء بكيفية لا يدرك كنهها أولئك الانبياء

### ذكر فتح قنذر بالحبيشة

لما استقر حمدان ابو عنجة في القلابات سار الى (قنذر) عاصمة مملكة الاحباش القديمة في ألني فارس وألني مسلح ببنادق رامنجتون فالتقي بنحو عشرة آلاف فارس من الاحباش في ضواحي المدينة ورفعت الحرب اوزارها بضع ساعات ثم انجلي القتال عن هزيمة الاحباش وتمزيق جيشهم شذرمذر وسقط منهم ستة آلاف قتيل في ساحة النزال

ودخل ابو عنجة المدينة ونهبها جنوده وغنم منها شيئاً كثيراً من الذهب والفضة وعدداً ينيف على العشرة آلاف رأس من الخيول والبغال ونحو ثلاثة آلاف نسمة من النساء والفلمان بيعوا أرقاء والنساء بينهن فتيات في منتهى الحسن والجمال ألوانهن تكاد تضارع ألوان المصريات خلافاً لما عرف من ألوان الاحباش الذين كانوا يجلبون فيما مضى من الازمنة الى مصر والسودان ثم دخل الكنيسة وهشم ما فيها من التماثيل وقتل القسوس واحتمل ما فيها من الآنية ذات القيمة واضرم النار في المدينة كلها وقفل راجعاً الى القلابات

وأرسل للتماشي بعدد عظيم من الفلمان والفتيات ونحو ألف رأس من البغال وخمسين حماراً وقسم بقية الغنائم على رجاله بعد ان أخذ ما اشتهاه منها

وعادت المياه الى مجاريها وتبددت غياهب الفتنة التي كنا نظن انها تأتي بانقلاب  
يكون من ورائه فرج قريب وما ذلك الا لانا كنا كالغريق يتشبث بسعفة  
تقاذفها الامواج

ثم استمدى التعايشى يونس الديكى الى أم درمان وعنفه على  
ما ظهر من خوره وضعف عزيمته حيال دعوى ذلك الكذاب وسيأتى ذكر  
تعيينه على دنقلة

ولما اتصل بالتعايشى نبأ مهلك ذلك الكذاب خرج ذات يوم وبيده  
منشور فرقي المنبر الذى أعده للخطابة وكان منبر المسجد العام في الخرطوم  
فنقله الى أم درمان وأعده للخطابة وقص على الناس أمر ذلك المتنبى ثم دفع  
المنشور الى من يقرأه وفيه بعد البسملة والحمدلة مانصه

وبعد فيقول عبدربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن  
السيد محمد خليفة الصديق وأمير جيش المهدي لما أتى الخبر بصلب الشخص  
المدعى كذبا انه نبي الله عيسى وصاب أعوانه الذين صدقوه داخلتي شفقة شديدة  
على هؤلاء لانهم من أصحاب المهدي عليه السلام الاقدمين فاستغفرت الله لهم  
فانكشف لي حالهم انكشافا روحيا فرأيتهم بعينى في طبقات جهنم وابن بقاري  
في الطبقة الاخيرة منها وقد شفعت فيهم بخاء النبي صلى الله عليه وسلم  
والمهدي عليه السلام فقالا لي انهم ماتوا وهم كفار ولا شفاعة فيمن يكفر  
بالرحمن اه ملخصا

على اننا نستدرك هنا تفصيل شيء من الشعوذة التي أثرت على عقول  
أولئك الاغبياء فنقول ان هذا الرجل كان يدعو الاشجار فتسمى اليه واذا  
سأله المطر في غير أوانه جادت السماء بمطر كأفواه القربول لكن لا يتجاوز

وأصل ذلك الدكروري من جيش يونس الديكم غادر أم درمان معه  
 وكان أحمق طائشا حدثته نفسه بأنه سيبلغ أربه من اتحال دعوي انه  
 عيسى روح الله لما اشتهر من ان نزول المسيح عليه السلام يعقب  
 ظهور المهدي المنتظر فجهر بدعواه وصنع امام الناس خيالات من السيمياء  
 ظنهم دراويش المهدي الاغبياء من أعظم المعجزات فآمنوا بذلك الكذاب  
 وبأبعوه علي الطاعة العمياء وبأبعه سبعة عشر قائدا من اكبر قواد جيش  
 المهديونية الذين مع يونس ولم يداخلهم ادنى شك في صدق ما ادعاه  
 ومن العجب ان بين أولئك القواد ابن بقراري وهو فقيه من عائلة بقراري  
 التي لها مدرسة يؤمها طلاب العلم في جزيرة السودان

وعرض السبعة عشر قائدا أمر تلك النبوة على قائدهم العام يونس  
 فرافقهم الي محل الرجل ورأي من خزعبلاته ماراج على عقله الذي هو اكثر  
 سخافة من عقول قواده السبعة عشر الا انه خاف عاقبة الاسترسال في هذا الامر  
 فارسل يبلغ التعايشي بتفصيل المسألة سرا

ولما وصل أبو عنجة الي القلايات ومعه اكثر من أربعين الف مقاتل  
 وكثير من المدافع والسواريج وبضعة آلاف فارس أحاط بالمعسكر احاطة السوار  
 بالمعصم واستدعي يونس ووضع يده على مخازن الذخيرة واستولي على الجبهه خانه  
 ثم قبض علي المتنبئ وسأله عن دعواه فقال انه جاء بعد المهدي وان الله أرسله  
 لشد عضد التعايشي فقال له ألسنت فلان بن فلان ولا تزال امرأتك  
 وبنوك بام درمان فاجاب بالسلب فامر بصلبه فصلب ثم قبض علي السبعة  
 عشر قائدا الذين صدقوه وقال لهم ها هو صاحبكم مصلوب فقالوا كلا بل  
 شبه لكم وقرأوا قوله تعالى «وما قتلوه وما صلبوه» الآية فامر بهم فصلبوا

وصلى بالناس مرة صلاة الظهر ثماني ركعات فقال له أحد الحاضرين  
اسجد للسهو فغضب وقال وهل أنا جاهل حتي يرشدني مثلك فان سجود  
السهو لا يكون للزيادة بل للنقص لان العبد اذا أمره مولاه بحراثة أربعة  
أفدنة مثلاً من أرضه ثم رأى نفسه قادراً على حراثة ثمانية أفلا يكون ذلك  
موجباً لرضى مولاه عنه بخلاف ما لو أمره بحراثة أربعة أفدنة فحرث  
ثلاثة أو اثنين فان هذا النقص يكون موجباً لغضب مولاه عليه وحينئذ  
يجب ان يقدم المذرة وهذان المثالان ينطبقان على الصلاة ثم أمر بالرجل  
فجلد بالسياط حتي مزق جسمه وسيق الى السجن وخزعت يونس كثيرة  
يضيق المقام دون سرد القليل منها والحاصل انه كان جاهلاً سخييف العقل  
ظالوما غشوما قاتله الله

وفي أوائل سنة ١٣٠٤ استقدم التعايشي حمدان أبو عنجة من الجبال  
فقدم في جيش عرمرم ومكث بام درمان بضعة شهور ثم انفضه التعايشي  
الى القلابات لتعزيز الحامية التي بها حتي تصبح قادرة على أخذ الثار من الاحباش  
فسار أبو عنجة قاصداً القلابات وبينما كان سائراً في الطريق بلغه ظهور رجل  
فيها ادعي انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه

ولما وصل أبو عنجة الى القلابات وعرض على يونس أوامر التعايشي  
بتوليته القيادة العامة على الحامية أرسل يونس يبلغ التعايشي ذلك الخبر فأمره ان  
يسير حيال هذه المسألة بماضي عزمته المعروفة مطيعاً لابي عنجة

أما ذلك المتنبي فانه من أهل دكرور وله معرفة بضروب السيمياء  
والشعوذة حتي انه كان يصنع امام الملاء أشياء من تلك الخزعبلات يخالها  
الرائي حتمية لا ريب فيها

القلابات فوصلها في شهر رجب وانسحب الاحباش منها بغير قتال  
ولما استقر يونس بجيشه في القلابات بذل الامان لتجار الاحباش فجاءوا  
اليها بسلمهم فوثب عليهم وصادر أموالهم وساقهم اسرى يرسفون في القيود  
والاغلال الي أم درمان فاذاغ التعاشي بين الناس ان يونس غزا بلاد الحبشة  
وخرب عدة مدن واستولي عليها وأن هؤلاء اسري تلك الوقائع ولم تمض أيام  
حتى ظهرت الحقيقة وعلم الكل ان أولئك الاسرى كانوا تجارا أمهم يونس ثم غدر  
بهم ونهب أموالهم وساقهم اسرى الي التعاشي

أما يونس الديكيم هذا فانه تعاشي من قبيلة التعاشية وكان فقيراً لا يملك  
شروى نقيير وهو أحد أزواج والدته التعاشي قدم على المهدي في الابيض  
وبقى مع التعاشي يقاسى من شظف العيش أمره حتى توفي المهدي فجعله  
التعاشي قائداً على نحو عشرين الف مقاتل وله نوادر مضحكة تدل على سخافة  
عقله. منها ان الناس كانوا يأتونه فاذا وقفوا بين يديه صوبوا نظرهم الى الارض  
فيقول لهم لماذا لا ترفعون ابصاركم نحوي فيقولون وهل يستطيع أحد النظر  
الى وجهك الذي يفوق وجه السبع فيرتاح الي ذلك ويأمر بعزف الطبول  
ويركب جواده ويأمر مقاتلته باطلاق النيران في الهواء. ومنها انه اذا جلس بين  
اتباعه فلا كلام له غير الثناء على نفسه ومنها انه كان يقول اذا التقينا بجيوش الترك  
نقتل في الدقيقة مئات منهم ونحترق صفوفهم ونزحزحهم عن مواقفهم الي غير  
ذلك من الاكاذيب فقد علم الخاص والعام ان يونس هذا من أجبن خلق الله وانه  
يفر من مواطن القتال كما تفر النعامة من صغير الصافر

ومن أعجب خرافاته انه كثيراً ما كان يقول انه سيفتح لوندرة عاصمة  
الانكليز وانه سيتزوج باكرم عقيلاتهما



وعلى أثر ذلك نزع كثير من مسلمي الاحباش ولحقوا بالتعايشي فولى عليهم رجلا منهم اسمه ( محمد فقرا ) وعسكروا في الشمال الشرقي من القلابات عند نهر ( اتره ) بالقرب من جهة ( المراديب ) وسموا معسكرهم ( تبارك الله )

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي محمد أرباب أمير القلابات فأكرم وفادته وأعطاه أسلحة نارية وخبولا وأعادته الى القلابات وأوصاه بالغارة على اطراف بلاد الاحباش فاغار عليها في تلك السنة وخرب عدة قري وأحرق السكنائس وأتلف ما فيها من الثمانيات وكذلك أغار محمد فقرا على القرى التي هي حيال معسكر ( تبارك الله ) وأخذ في أهلها

وكان في جهة ( غبته ) اعرابي اسمه عجيل الحمراني في السودان الشرقي فر باكثر قبيلته من وجه المهديين ولجأ الى بلاد الاحباش فامدوه بالأسلحة ووكلوا به الدفاع عن حدودهم في جهة ( غبته ) فكان يوالي الغارة على القرى التي على ضفة نهر ( اتره ) وكانت غاراته لا يلحق المهديين منها اقل ضرر بل كان شرها واقما على الضعفاء سكان تلك القرى الذين دخلوا في طاعة المهديين قسراً وفي أوائل سنة ١٣٠٤ تواترت الاخبار بتقدم الاحباش الى معسكر القلابات و ( تبارك الله )

وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هجم الراس عذار على محمد أرباب في القلابات وقتله واكثر مقاتلته وفر الباقيون الي ( القضايف ) وهجم جيش حبشي على محمد فقرا في ( تبارك الله ) ففر بجميع مقاتلته عند ترأى الجمعين ولحق بالقضايف أيضا وطارت الاخبار بذلك الى التعايشي في أم درمان فاتدب يونس بن الديك في عشرين الف مقاتل فسار من أم درمان الي

عباده المؤمنين آمين وفي هذا كفاية لمن له قلب والسلام ١١ شعبان سنة ١٣٠٢  
وأنت أيها الأمير محمد جبريل أوصيك بتقوى الله في شرك وعلايتك وإيثار  
آخرتك على دنياك وأن لا تقدم على أمر مالم تعلم حكم الله فيه فان الامارة  
خطرها عظيم وخطبها جسيم ولا بد لصاحبها من الخلود في النعيم المقيم أو  
العذاب الاليم قال تعالى «فاما من ظني وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى  
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» ونظرا  
لذلك فان امارتنا لك معلقة على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيرت أو  
بدلت فلا امارة لك فافهم ذلك واسترشد به ولكمال المملومية لزممت التحشية  
في تاريخه

هذا ولما دخلت دعوة المهديوية في بلاد الاحباش ادرك النجاشي يوحنا خشونة  
مركبه ومغبة أمره حيال هذه الدعوة التي هاله انتشارها فلم ير وسيلة لدفع  
شرها غير التدرع بالجبروت ومقاومة دعائها بضروب القوة والقهر بيد أنه  
تعالى في هذا السبيل حتي فقد الروية والنظر القصي للعواقب فانشب مخالب  
الاضطهاد الديني في مسلمي رعيته وخالف تقاليد اسلافه حيث اكره نحو  
مائة الف من أهل القبلة على اعتناق النصرانية وعذبهم عذابا اليما

على ان حرية الاديان في بلاد الحبشة كانت لا تزال بالغة حد السكالم  
حتى ان شقيقة النجاشي يوحنا اعتنقت الاسلام وتزوجت باحد الامراء المسلمين  
فلم يمنعها أخوها ولم ينقصها شيأ من الاحترام الواجب لثلاثها  
وقد قام كثير من أمراء الاحباش المسيحيين ومحضوا النجاشي النصيح بالعدول  
عن هذا الاكراه فلم يكثر بنصيحهم وظل على رأيه الفائل وكان منيليك  
نجاشي الحبشة الحالي أول معترض على عمل النجاشي يوحنا

عضده وتسمعوا أمره ونهيه مادام على الحق والصدق وان تحاربوا معه كل من ضل واعرض عن الاتباع. وسلك طريق الغواية والابتداع. ولا تركنوا الى الراحة والبطالة فان الجهاد فضل عظيم. وثواب جسيم. منوه عليه بسواطع أدلة القرآن العظيم. وأحاديث النبي الكريم. وكفى من ذلك قوله تعالى «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم» الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «رب غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» أو كما قال وحيث كان كذلك فاذا وصلكم جوابي هذا فشمروا في طاعة الله ورسوله وابدلوا أرواحكم في نصره دين ربكم بحيث من كان منكم على دين النصرانية يرفضه ويدخل الاسلام ويبادر بالتسليم والانخراط في سلك المهديّة قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» «وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكانت من المتقين أو تقول حين تري العذاب لو أن لي كرة فاكون من المحسنين» فرد الله على من هذا حاله بقوله «بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويرم القيامة تري الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» الآية فهذه الآيات وما مثلها مما يرغب في دين الاسلام والتسليم لامر المهديّة ويفر عما سواه وأما من كانوا منكم على دين الاسلام فتأييده وتشييده هو غاية مقصودهم فليشمروا في نصرتنا ابتغاء مرضات الله ادام الله توفيقكم وجعلكم من

بأيام قلائل فاعاده الى بلاده بمنشور دعا الاحباش فيه الي اعتناق الاسلام  
وطرح النصرانية والاجتماع على طاعة محمد جبريل لقتال الكفار وهامى صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أهالي (قبراقوما  
وقبا وسما ولموا والنارية بلد البن وليكاونونوا ولي بن وهروسي وقبا وكفاه  
وكونتا وكويشاوشتا وقونه ولا مواوا بارزوكوا ونسوا وسوروا) وفقهم الله  
لطااعته وتحفهم بمرضاته آمين بعد السلام عليكم اعدوا وفقكم الله لما يحبه  
ويرضاه وجعلكم من الفائزين ان الدنيا قد ولت مدبرة وان الآخرة قد  
تزينت مقبلة ومع ذلك فانما في الدنيا خسيس جداً وما في الآخرة نفيس  
جداً وعلى العاقل ان يسعي لنفيس دائم ويعرض عن خسيس فان كثيراً  
ما حل ببناء الدنيا من الدمار والحسرات وكثيراً ما اجتبي الله ابناء الآخرة  
ورفعهم اعلا الدرجات وأجزل لهم المسرات وأنواع الخيرات وان الله تعالى  
قد أظهرني رحمة للمؤمنين وبنية للصالحين وسيفاً قاطعاً للملحدين فمن أراد  
الله سعادته ونجاته من خزي الدنيا والآخرة لباني وأجاب دعوتي ونصرني  
وآواني ومن غلبت عليه شقوته أعرض ونأى وكذب وعصي فمن لباني فاز ونال  
من الخير العميم ما لا يعد ولا يحصى ومن أعرض فقد دمره الله وخذله خذلانا  
مبيناً وحيث فهمتم هذا البيان فاني على حسب المصلحة الدينية قد عينت لكم  
السلطان محمد جبريل عاملاً عليكم في دين الله لاقامته ودعاية العباد الي  
سلوك سبيل الرشاد فينبغي بوصول هذا عندهم ان توازروه وان تشدوا



مرة في الشتاء وأخري في الصيف موجود فيها وفي الخرطوم  
 وفي القضارف مدن أخرى غير عاصمتها يسكنها اترك ومصريون  
 يونان وأرمن وهي لا تقل عن عاصمتها وأشهرها (عصار) و (دوكه)  
 وسكان القضارف قسمان سكان القرى وسكان البوادي الذين جلبهم من قبيلة  
 (الضباينة) التي تقدم لنا ذكر زعيمها محمود عيسى زائد وكلتاهما متوفرة لديها  
 أسباب المعيشة ومتحصلة على نعومة العيش من أسهل الطرق وأقربها  
 وسيأتي ذكر خراب تلك البلاد وانها الآن قفر ليس فيها عشرة آلاف  
 ساكن بعد ان كان تعداد سكانها يربو على مليون نسمة

وكان لعوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية الذي قتله التعايشي  
 صبرا ابن اسمه عبد الله أمه من قبيلة الجميلين مال الي احواله ورغب عن  
 خطة والده وقومه الشكرية وعدوهم عن قبول دعوة المهدي وقدم على  
 المهدي الذي ولاه الدعوة له في القضارف فقام بها وأدخل البلاد في دعوة المهدي  
 وكان في منزل صالح شنقه زعيم دكروربي القلابات رجل يعلم الصبية  
 القرآن الشريف فلحق بالمهدي وعاد من عنده يحمل أوامره بالدعوة له في القلابات  
 فانسحبت حامية القلابات الي بلاد الحبشة انفاذاً للمعاهدة التي أبرمت بين  
 الاحباش والحكومة الحديوية فاحتل ذلك الداعية القلابات باسم المهدي ومنع  
 اداء الجزية للاحباش الذين كانوا وقتئذ مشغولين بدفع غارة الايطاليين عن  
 بلادهم في الجهات التي ساحل مصوع واسم هذا الداعية محمد بن ارباب وغادر  
 صالح شنقه القلابات مع الحامية ولم يشأ البقاء فيها

هذا وقد كانت دعوة المهدي قد دخلت في بلاد الحبشة على يد رجل  
 من أمراء الاحباش المسلمين اسمه محمد جبريل وفد على المهدي قبيل وفاته



وكان سكانها الافدون من دكرور السودان الغربي ولا نعلم كيف جاؤا  
من بلادهم واخترقوا السودان من الغرب حتى وصلوا لآخر نقطة من  
شرقه الجنوى وكان أولئك السكان يؤدون جزية لمملكة الحبشة

ولما احتلت الحكومة الحديوية السودان جعلت القلابات من أهم  
المواقع التي حصنها لدفع غارة الاحباش عن بلادها وكان آخر زعيم من  
أولئك الدكروريين صالح شنقه الذي نال من الحكومة الحديوية لقب بك  
واستمر على دفع الجزية للاحباش كما كان اسلافه

أما القضارف فانها البلاد الواقعة شمال القلابات يحيط بها نهر  
(اتبره) من جهتي الجنوب والشرق وهي بلاد مخصصة جداً وتجارها واسعة  
وفيه من النباتات ما لا يوجد في السودان كله وثمر ما يحمله الجمل من  
الذرة من نوع اسمه (الكرقي) يخالف الذرة الرفيعة بمظم حبه وبياض لبه  
الذي يستخرج منه مواد نشوية تشبه ما يستخرج من الارز بضعة قروش  
مصرية وفي بلاد القضارف غلة تشبه الحلبة في اللون الا ان طعمها كالشهد في  
الحلاوة اسمها (الشمشم) تقي على النار بالماء فتتحول الى حلاوة الشهد  
فيأكلونها ويشربون ماءها

وعاصمة هذه البلاد تدعى (ولد أبو سن) وهي مدينة كبيرة  
فيها منازل مشيدة بالابن الاحمر والآجر وقصور شاذخة مشيدة بالاحجار  
وأصحابها تجار مصريون وسوريون ويونان وبعض من الفرنسيين والارمن  
وحول هذه المدينة حدائق غناء وفواكه لذينة كالعنب والتين  
والقشطة والموز والمان والبورقال ومن أعجب ما علمته عن القضارف ان  
النخل يثمر فيها مرتين في السنة وكذلك العنب الذي يثمر مرتين في السنة

الرجال الى ربوة مرتفعة واطلقوا النيران دفاعا عن انفسهم فهلك من هلك  
وأخذ الباقون اسري وصعدنيوفيلد على مكان آخر مفضلا الموت على الوقوع  
في اسر أولئك الطغاة المتوحشين فامسك العدو محظيته وجعلها بعضهم كترس  
يتقي به مقذوفات مولاها الذي شلت يمينه عند ما تحقق انه يقتل محظيته  
اذا أصر على عزمه الاول فاسلم نفسه ووقع أسيراً في يد العدو الذي جرده  
من ملابسه ووضع الاغلال في عنقه وساقه ماشياً على قدميه حتي بلغ ذنقة  
بعد مسيرة عدة ايام فامر عبد الرحمن النجومي بصلب أسرى الكبابيش وارسال  
شارل يوفيلد الى الطاغية التعايشي بام درمان

ولما أوقف بين يدي التعايشي صاح قائلاً هذه صفة الكافر التي وصفها  
لنا المهدي ثم عرض عليه اعتناق الاسلام فابى فامر بصلبه فسيق الى  
محل ( المشنقة ) ثم ارجعوه الى التعايشي وهكذا فعلوا ثلاث مرات وبعد ايام  
رضى باعتناق الاسلام ديناً ونطق بالشهادتين واذ ذاك أمر التعايشي بزجه في  
السجن حتي اطلقه للورد كتشنر باشا وسنعود الي ذكر بقية حوادثه والله الهادي

## ذكر حروب الاحباش الي قتل النجاشي يوحنا

تقدم لنا ذكر اول واقعة جرت بين المهديين والاحباش التي انتصر فيها الرأس  
الولا على عثمان دقنة في كوفيت وقبل الكلام على هذه الحروب نذكر طرفاً يعلق  
( بالقلابات ) وما يتبعها من بلاد ( القصارف ) مواطن تلك الحروب الهائلة فنقول  
القلابات اسم لبلدة على شاطئ نهر ( اتبره ) جنوب القصارف وهي آخر  
حدود الحكومة الحديوية في بلاد الاحباش من جهة الجنوب بالنسبة لموقع  
بلاد القصارف

أبواب الكسب وساعدته على احراز الثروة

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ انفذ الشيخ صالح زعيم قبيلة الكبايش الذي تقدم لنا خبر قتله وفداً الى الحكومة الحديوية يسألها امداده بالاسلحة والذخيرة ليقوى على دفع غارة المهديين عن نفسه فاعطت الحكومة رجال الوفد مائتي بندقية من طرز رامنجتون بذخيرتها وأخذوا في الاهبة والاستعداد لاختراق صحراء الجعب من حلفا الى منارل قبيلتهم وفي إبان ذلك اجتمع شارل نيوفيلد بتاجر من أهل كردفان اسمه خوجال أم برير فقال له التاجران لذي كمية وافرة من الصمغ والعاج وریش النعام فاتفقا على ان يذهب نيوفيلد صحبة وفد الكبايش وبواسطة نفوذ زعيمهم يخترق بقية الصحراء الى اليبض ومن هناك يحمل الصمغ والعاج وریش النعام بغير ان يشعر به أحد من دروايش المهديوة وقد جعل له خوجال نصيبا وافرا من تلك السلع نظير مخاطرته التي يتعذر معها نجاحه ووصوله الى مقصده

وقد عرض نيوفيلد أمره على ولاية الامور في الحدود فلم يعانوه فغادر حلفا صحبة الوفد ومعه محظية حبشية وثان دليل الوفد ميالا لجهة المهديين فابلغ عبد الرحمن النجومي الذي كان وقتئذ في دنقلة وأطلمه على خطة سيره وارشده الى المكان الذي يقابلهم فيه المبعوثون من عنده فسار شارل نيوفيلد مع الوفد وهو لا يعلم شيأ من القدر الخبوء له فسار بهم الدليل في بادية معطشة حتى وفقدوا الماء مدة أربع وعشرين ساعة

وكان النجومي قد أنفذ وراءهم خمسمائة راكب تحت قيادة محمد حمزة الانقريابي وبينما كانت القافلة سائرة والظما قد بلغ غايته من رجالها والدليل يمددهم بقرب الوصول الى الماء اذ داهمهم العدو على غرة وتمكن من انقلعهم فأنحاز

وسائر نساء أسرتهما يلبسن نهالا من خالص التبهر واذا خرجت احدها من دار الى أخرى مشى حولها مائة من الجوارى وعلى كل واحدة من الحلى ما لا يقل عن مائة أوقية من التبهر ينظللان على مولاتهن بالاردية الحربية وقد شاهدت اكثر هاته العقيلات متسولات في الاسواق فسبحان المعز المذل

وفي ذات يوم كنت جالسا بالقرب من مقصورة التعايشي فقال له أحد جلسائه ان بنت صالح زعيم الكبايش تبيع الماء لفوت يومها فاطهر الأسف وقال من الواجب علينا اكرامها وأرسل في طلبها فجاءت فسألها عن حالها فاجابته واكثر من الثناء والاطراء عليه فامر أحد غلمانه باعطائها شيأ من النقود ضمته في كفها وخرج الناس وراءها ليملموا مقدار جائزتها فاذا هي سبعة ريالات من عملة النحاس تقدر قيمتها بسبعة قروش مصرية فقالت المرأة انظروا للجائزة الخليفة ومبلغ اكرامه لمثلي

هذا وجملة القول ان قبيلة الكبايش بادت ولحقت بغيرها من القبائل والدوام لله وحده

### ذكر القبض على شارل نيوفيلد

شارل نيوفيلد ألماني استوطن اصوان مزاول مهنة الاتجار بتقديم لوازم الجيش في الحدود فاحرز من هذه الحرفة ثروة واقتنى عقاراً وزاد في ثروته انه منذ بداية أمره كان يحسن معايشة الوطنيين ويتشبه بهم في الاخلاق والعادات حتى كانه واحد منهم ولم يظهر على ملامحه انه متكلف لهذا التشبه حتى نال حظوة عظيمة عند جميع السكان زادت في نجاحه وفتحت في وجهه

ومعه نحو مائتي رجل من أسرته ومواليه وبقية القبيلة متفرقة في المراعي  
والمناهل فاحاط محمد نوبايي بخيام الشيخ صالح في الغلس فانتبه من في  
الخيام مذعورين وركب الشيخ صالح فرسه وكذلك بقية من معه وأخذوا  
يطلقون الرصاص على الدراويش حتى نفذت ذخيرتهم فاستلوا سيوفهم وهجموا  
على صفوف الدراويش فاخترقوها وزحزحهم عن مواقعهم وأصيب الشيخ  
صالح برصاصة في ذراهه فخر صريعا عن جواده فتقدم اليه محمد نوبايي ليشد  
وثاقه فابتدره بالشتم ولعن المهدي وخليفته وقال له أمثلي يساق أسيرا فامتنع  
محمد نوبايي عن قتله احتراماً لما بينهما من صلات النسب فتقدم أحد  
الدراويش وقتله وحز رأسه ورؤس اخويه ورجال أسرته الذين سقطوا  
قتلى بعد اصابته وحملة الرأس الى التمايشى فسر بها وخرسا جداً على ما لوتيه  
من النحر وانتدب الزاكي عثمان ومعه كتبة وجنود ووجههم الى محل الواقعة  
كي يجمعوا الغنائم وبلغني من أولئك الكتبة ان عدد الرؤس من الابل كان  
يربو على مليون ويقرب عدد البقر من الخمسمائة الف رأس أما الماشية  
الصغيرة فانهم لم يعتنوا بتعدادها لكثرتها وأرسلت هاته الماشية وبيعت مع  
غنائم جهينته في أم درمان وقد ذكرنا أن ثمن الناقة انخفض الى خمسة قروش مصرية  
وجي بالجماعات من النساء سبايا وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة

وكانت قبيلة الكبابيش هذه أعظم قبائل السودان وأكثرهن ماشية وثروة  
وزعيمها أغني زعماء القبائل في السودان وكان قد وفد منذ خمسة وعشرين عاماً على  
المغفور له الخديو اسماعيل باشا وقدم له هدايا وتحفا فآكرم وفادته وأعادته الى بلاده  
بالعز والاکرام ومن أعجب ما شاهدته ان أكبر بنات الشيخ صالح هذا كانت تحمل  
على رأسها في أم درمان اناء تبيع فيه الماء لتحصيل قوتها وقد كانت هذه المرأة



القبيلة وانفذ الامراء الى الجمعات التي بها مساكنهم فكنت ترى الابل والبقر قد ضافت بها الارض على وسمها ونزلت اثمان النوق حتي صار ثمن الواحدة خمسة قروش مصرية وزاد الطين بلة مصادرة ماشية قبيلة الكبايش في نفس الوقت الذي صودرت فيه أموال جهينة وماشية الكبايش تربو على ماشية جهينة كما سنوضحه فيما سيأتي

والحاصل ان قبيلة جهينة بادت كلها وذهبت ماشيتها ولم يبق منها ولاؤها للمهدي وقيامها ضد الحكومة

### ذكر حرب قبيلة الكبايش

ذكرنا قتل ابن زعيم قبيلة الكبايش في الابيض لما كان المهدي نازلاً بها وعلى أثر قتله جاهرّت قبيلة الكبايش بالمصيان على المهديّة وابتعدت من المناهل والمراعي القريبة من كردفان وتوغلت في الصحراء التي بين كردفان ودنفلة

ولما استولت المهديّة على الخرطوم وانسحب الانكليز من دنفلة كتب التعايشي الى الشيخ صالح زعيم الكبايش يدعوهم الي الطاعة ويعده تارة ويتوعده أخرى فلم يلتفت الي وعده ولم يهرب من وعيده بل توغل في الصحراء حتي صار على مقربة من الواحات الجنوبية فالتدب التعايشي محمد نوباوي شيخ قبيلة بني جرار التي هي بطن من بطون قبيلة الكبايش وهو الذي دخل على الطيب الاثر الجنرال غردون وقتله

وانتدب التعايشي معه عدداً كبيراً من الفرسان فساروا من أم درمان مخترقين الصحراء حتي بلغوا منهل (أم بادر) وكان الشيخ صالح نازلاً به

الى الخليفة التعايشي ومن جملتها (القصة) التي جعلها التعايشي اناء يقدم فيه شياً من تافه الطعام الى المدعوين في أيام المواسم والاعياد ولكن محمود زائد كان يقرى ضيوفه بملئها صباحا ومساء طعاما نفيسا هو خليط من قح ولحم ولبن وسكر أو عسل مصفي وسقي. محمود زائد الى التعايشي يرسف في القيود والاغلال فطرحه في السجن وفي سنة ١٣٠٧ اسأصل الزاكي طمل قبيلة الضبانية وأطلق الخليفة محمود زائد فوات غمابه ان أصابه من عذاب السجن وفقدان القوة ما برح به خمس سنوات متواليات

### ذكر انتقاض قبيلة جهينة

ذكرنا بعض اخلاق وعادات قبيلة جهينة التي تسكن جنوب سنار وقتلنا ان زعيمها المهدي اباروف شخص الى المهدي في جبل (قدير) وعاد من عنده داعياً له في قومه الذين جمعهم وظل يحارب بهم مدينة سنار حتي سقطت ثم عاد الى بلاده فيما وراء سنار

وفي أوائل سنة ١٣٠٣ أرسل التعايشي جابياً بقاريا اسمه أبو ام فضالي لجباية الخراج من قبيلة جهينة وسائر البلاد الواقعة جنوب سنار فحملهم من أنواع المظالم وضروب الحيف ما عجزوا عن تحمله فرفعوا شكواهم الى التعايشي الذي عنفهم واتهمهم بالمروق من الدين لأنهم شكوا اليه أصحاب المهدي فهبت قبيلة جهينة وزعيمها وأخرجت ابا أم فضالي قسرا من بين ظهرانيها واعلنت خروجها على التعايشي الذي لما اتصل بهذا النبا أسرع بانفاذ نحو خمسة آلاف مقاتل جاءهم مسلح بالاسلحة النارية فطاردوا قبيلة جهينة وقتلوا زعيمها المهدي اباروف واسرته وأصدر التعايشي أمراً بمصادرة أموال هذه

ذكر قبيلة الضباينة والقبض على زعيمها في الجهات الجنوبية  
في نهر ( اتره ) قبيلة تسمى الضباينة يربو عدد نفوسها على أربع مائة ألف  
نسمة ولها من الماشية من نوع الابل والبقر ما يربو على ماشية قبيلة الشكرية  
وهي رحالة وزعيمها محمود عيسى زائد الشامي وهو من أسرة تولت زعامة  
تلك القبيلة منذ قرون وتؤكد هذه الأسرة ان جدها شامي قدم السودان  
من الديار الشامية منذ قرون أيضا وكان محمد زائد هذا ذا ثروة واسعة وله من  
الموالي والارقاء ما لا يدخل تحت حصر حتى انك ترى قري مملوءة بارقائه  
وكان كريما جودا يقرى الضيوف ويعطي المال بآلاف الريالات وكانت له  
قصعة من الخشب يحملها خمسون رجلا . وقد أخبرني واحد من الذين  
حضرُوا مصادرة أمواله انهم أحصوا النوق الموسومة بالنار على نخذهـا  
الايمن اشارة الى انها معدة لركوبه خاصة لا يسوغ لاحد من مواليه  
أو أسرته ركوبها اجلالا لمقامه فكانت نحو أربعة آلاف راس من اكرم  
أنواع النوق والمهجن

وكان محمود عيسى زائد ينفذ المهدوية ويبطن ولاء الحكومة وان  
كان يمالئ المهدوية ويتظاهر بطاعتها حتي ان عثمان دقنة كان يكتب له قبل  
سقوط كسلة محرراً على وجوب شن الفارة على حامية ( الجيرة ) قبل سحبها  
لانها قريبة من قرية ( التومات ) محل اقامته فلا يفعل وبعد أن سقطت كسلة  
أرسل عثمان دقنة نحو أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة عوض الكريم  
كافوت الجملي فقبضوا على محمود عيسى زائد على غرة وصادروا أمواله وحملوها

من عمله وكتب اليه بالولاية على إقليم دارفور وكردفان وجمله قابد جيوشها  
وسياتي ذكر بقية أعماله وحروبه مع أبي حمزة مدعي المهدي

### ذكر محاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها

في أوائل سنة ١٣٠٤ كتب التعايشي الي قبيلة الشكرية يدعوها الي  
الشخص الي أم درمان ماشيتها وكانت وقتئذ نازلة في باديها بصحراء (ريره)  
بين نهري (اتبره) والنيل الارزق فايقنت ان دعوتها الي أم درمان لم تكن  
لغير نهب ماشيتها ومصادرتها فعولت على الالتجاء الي بلاد الاحباش وكان  
زعيمها عوض الكريم بن أبي سن الذي ذكرنا أخباره مع المأسوف عليه  
غردون وقدمه على المهدي تائبا نادما مقيما يومئذ في أم درمان

وبعد أيام قلائل من دعوة التعايشي لقبيلة الشكرية جاءته الاخبار  
بمغادرتها ديارها ولحقها ببلاد الاحباش فاحتدم غيظا وأمر بالقاء القبض على  
عوض الكريم بن أبي سن وسائر أفراد أسرته الذين هم من قبيلة الشكرية فقبض  
على نحو مائتي رجل من خيارهم وكبّلوا بالحديد وزجوا في السجن حتى  
أمر التعايشي بقتلهم صبرا فقتلوا جميعا ولم ينج منهم أحد

أما الذين هاجروا الي الحبشة فلم يكونوا أسعد حالا من الذين قضى  
عليهم في السجن لان رداءة هواء بلاد الحبشة استأصلت إبلهم التي كانت  
تعتمد بمئات الالوف وأبادت نفوسهم التي يقرب عددها من ثلاثمائة الف  
نسمة. وبالجملة فان تلك القبيلة التي كانت من اكبر قبائل السودان واكثرها  
ماشية وأشدّها بطشا وقوة هلكت عن بكرة أبيها وذهبت ماشيتها ولم يبق  
منها غير بضعة آلاف نسمة متفرقين في البلاد وهم في نهاية الفقر المدقع

## ذكر انفاذ عبد الرحمن النجومي الي دنقلة

في أوائل سنة ١٣٣٠ انفذ التعايشي عبد الرحمن النجومي الي بربر ومنها الي دنقلة ومعه جميع المقاتلة التابعين لراية الخليفة شريف فوصل الي دنقلة في أواخر السنة واتخذ مدينة ( العرضي ) قاعدة إقليم دنقلة مركزا لمسكره العام ووصلت طلائع جيشه الي جنوب حلفا وسنعود الي ذكر بقية أخباره الي قتله في واقعة ( طوشكي ) والله الموفق



## انتقاض دارفور علي التعايشي واخضاعها

لما غادر محمد خالد زقل دارفور هبّ رجل اسمه يوسف من ذراى سلاطين دارفور واستخلص البلاد من ايدي الدراويش الذين تركهم بها زقل ونودي به سلطانا علي أقاليم دارفور كما كان اسلافه فكتب التعايشي الي عثمان آدم جانو يأمره بمحشد أهالي كردفان والتقدم بهم الي دارفور لاخضاعها فحشد جيشاً يربو علي الخمسين الف مقاتل منهم نحو عشرة آلاف كانوا مسلحين بالاسلحة النارية وهجم بهم علي ( الفاشر ) عاصمة دارفور فقابله السلطان يوسف في جمع كثيف ودافعوا دفاع الابطال وانجحت الحرب عن هزيمة أهل دارفور وقتل السلطان يوسف ودانت البلاد بطاعة المهدي فاستولي عليها عثمان آدم وأخذ يوالي الغارة علي الجبال التي حول دارفور فاجتمع لديه من الارقاء زهاء عشرين الف مقاتل مسلحهم بالاسلحة النارية

وأرسل عثمان آدم بما غنمه من دارفور الي التعايشي علي مألوف العادة وأرسل اكثر من ثلاثمائة فتاة من فتيات دارفور سبايا الي التعايشي الذي سر



وقرصه مستدير ولونه أحمر كهيئته في مثل ليلته عند بروزه اذ كانت ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٣ فوقف واحد من الدراويش بجانب التعايشي وهو جالس ورفع صوته قائلاً ( السلام عليكم يا أصحاب المهدي عليه السلام ) فردوا التحية فقال حولوا نظركم الى جهة الشرق وانظروا الى القمر كيف برزولونه أحمر قان هل رأيتموه بهذا اللون قط فاجابه الخليفة على حلقه قائلاً لا . لا . لم ننظره أبداً بهذا اللون فقال اني سمعت المهدي عليه السلام يقول ونحن في قدير « اذا فتحنا الخراطوم فان الله يجعل لاصحابي آية يعرفون بها النصر المبين الذي يصاحبهم الى الابد فقلنا ياسيدنا المهدي وما هي تلك الآية فقال هي خروج القمر في لون أحمر « فوقف التعايشي وقال للرجل صدقت يا صاحب المهدي فما أنا ذا أقرأ كتابة على صفحة القمر وهي « هذا نصر المهدي وأصحابه الى الابد » فضج الناس بالتهليل والتكبير حتى خلت السماء قد انطبقت على الارض ثم بعد اداء صلاة العشاء عدنا الى أم درمان وقضيت ليلتي متعجبا من جهالة دراويش المهدي الذين يعلمون ان التعايشي لا يقرأ ما يكتب على القرطاس فكيف يصدقون انه يقرأ ما يكتب على صفحة القمر وأخيراً كذبت الاشاعة وعاد الانكليز الى حلقنا اذ هم في الحقيقة لم يقصدوا التقدم الى دنقلة بل كانوا يقصدون طرد الدراويش من جنوب حلقنا ففازوا عليهم وأبعدوهم عن جنوبها

أما تلك الوقائع فان تفاصيلها لم تصل اليينا من مصادر نثق بروايتها وغاية الامر ان التعايشي لما علم بعدم صحة النبأ ذهب مخافه ولم ينشر شيئاً من تلك الوقائع التي عدها نافهة لا تستحق الذكر

أداء مثل هذا الحساب فاصدر أمرا بعزله وزجه في السجن فبقي فيه أكثر من سنة ثم أطلقه وعهد بامانة بيت المال بعده الى رجل من أهالي جزيرة الحارطوم كان تاجراً في الابيض اسمه ابراهيم بن عدلان وسمنعود الى ذكر بقية أعماله وما كان بعد ذلك من صلبه



### الاشاعة بعودة الانكليز الى دنقلة

لما أختل الحملة الانكليزية دنقلة احتلها محمد الخير أمير بربري أوائل سنة ١٣٠٣ وسرح مقاتلته الى جهة الشمال حتى بلغوا جنوب حلفا التي كانت يومئذ مقر الحملة الانكليزية التي تقدمت منها بعض طواير وحاربت جنود محمد الخير وانتصرت عليهم فاستنتج محمد الخير من تقدم الانكليز الى جنوب حلفا انهم يقصدون التقدم الى دنقلة لاختضاع السودان كله حيث سمعوا بمهلك المهدي فاسرع بابلاغ الخبر الى عبد الله التعايشي فانقض هذا الخبر عليه انقضاء الضاعقة وارتاع روعا أفقده العسواب لان تقدم الانكليز يقضي على آماله التي شرع في تأسيسها وهي استبداده بالملك وانفراد بالسلطان اذ يصير ارضاء الخليفة ومنحه بعض السلطة واجبين لتوحيد الكلمة لجمع أهل شوره وكتب الى محمد الخير يأمره بالتهقير أمام الانكليز وتركهم حتى يبلغوا أم درمان وفي اليوم التالي أعلن خبر تقدم الانكليز وأمر المقاتلة ان يمسكروا شمال أم درمان فخرجت معهم وفي أصيل النهار لحق بنا التعايشي والخليفتان على حلو ومحمد شريف

ولما مالت الشمس للغروب توضحاً لنا من النهر وصلي بنا التعايشي صلاة المغرب على ضفة النهر ووجوهنا متجهة الى النهر وبعد أداء الصلاة برز القبر

وجملة القول ان من ينظر بعين الامعان يتحقق ان أحمد سليمان  
كان أقرب مقرب للمهدي وأصدق صدق له وأعظم مستشار أمين  
عنده حتي ان أولاد المهدي ونسائه لا يجسر أحدهم ان يقول أمامه كلمة  
تمس أحمد سليمان

ويظهر جلياً من هذا ان أحمد سليمان كان لا يأتي أبداً أمراً يوجب  
انحراف المهدي عنه ولهذا أرجح صدق ماسمعه من الواقفين على كنه سيرة  
المهدي من ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطاً في إبرة بغير ان يكون المهدي  
الأمير له بوضعه وهو كثير الاختلاء به وكان لا يحجب عنه حتى لو كان  
المهدي مختلياً بأحد نسائه وغرفته مفلسة وطرقها أحمد سليمان أجابه من  
الداخل وأذنه بالولوج عليه وهذا منتهى القربي ونهاية الزلني

ولما توفي المهدي كان التعايشي ينتظر من أحمد سليمان ان يتقرب منه  
ويخدمه بمثل ما كان يخدم به المهدي ويقود دابته حافياً كما كان يقود دابة  
المهدي فلم يفعل بل غاية الامر انه زاد في احترامه للتعايشي رعاية لمنصبه وزاد  
في مرتباته وخص ذوي قرابته بنصيب أقل من النقيض من بيت المال  
وعكف على البذل والانفاق على أقارب المهدي وزاد أعطية نسائه وأولاده  
وأماهم

وكان أحمد سليمان يتوقع شراً يصيبه من التعايشي على أثر إفشاء الخلافة  
اليه وقد ذكرنا كتابه الى محمد خالد زقل وبعد ان سجن أبو عنجة زقل  
انتدب التعايشي من بطانته أناساً ضبطوا بيت المال وكلفوا أحمد سليمان بتأدية  
الحساب عن الدخل والخرج منذ ولي علي بيت المال فسخر من هذا  
الاقتراح واحتج بأن المهدي لم يأمره بضبط الحساب في دفاتر ولذلك لا يمكنه

واكرمه واطلمه على كنه اسراره وكان أحمد سليمان يتفانى في محبة المهدي  
 وخدمته وقد ذكرنا انه كان متولياً تقديم الاطعمة له وكان يقود خطام دابة  
 المهدي حافياً وفي جبال (قدير) ولا المهدي أمانة بيت المال مفوضاً له فيه  
 العمل بلا أدنى مراقبة أو مسؤولية يعطى من شاء ويمنع من شاء  
 وكان أحمد سليمان يحتقر عبد الله التعايشي ويغضه ولا ينفذ له ارادة  
 مع ما كان فيه التعايشي من سمو المنزلة عند المهدي لازاً أحمد سليمان كان يرى  
 نفسه عند المهدي في منزلة اسمي وأرفع من منزلة عبد الله التعايشي مهما بلغ هذا  
 من القرب منه

وفي إبان اقامة المهدي بكر دفان وقع خلاف بين التعايشي وبين أحمد سليمان  
 فامر التعايشي بسجن أحمد سليمان فسجن واتصل الخبر بالمهدي فكاد يفقد  
 صوابه لشدة ملحقه من الغضب فارسل الى السجن وأطلق أحمد سليمان  
 وعنف التعايشي على اقدمه على مثل هذا الامر حتى ظن بعضهم انه سيعزله  
 من الخلافة ويقصيه من بين يديه

وقد تغالى المهدي في الشناء علي أحمد سليمان حتى قال انه رأى مكتوباً على  
 ساق عرش الرحمن جل شأنه ان أحمد سليمان أمين المهدي عليه السلام  
 وقد قلنا انه كان يكرم ذوى قرابة المهدي ويخصهم بالنصيب الاوفر من  
 المال ولا يعطى التعايشي اكثر من مائة ريال في كل شهر. أما أقارب التعايشي  
 فلا نصيب لهم ألبته حتى ان يعقوب أخا التعايشي ووكيل رايته كان يتردد  
 على باب أحمد سليمان شهرين أو ثلاثة فلا يمنحه بعدها اكثر من خمسة ريالات  
 وقد رأيت مراراً واقفاً على باب أحمد سليمان موقف اذلاء السؤال فلا  
 يؤذن له بالدخول الي حضرته

التعايشي فأسرع باصدار أمر الى محمد خالد زقل بمغادرة دارفور بمن معه من الجيش فامثل الامر وغادر دارفور حتى اذا بلغ كردفان اعترضه أبو عنجة ودفع اليه أمرا من التعايشي بتسليم كل الجيش الى ابي عنجة المذكور فاطاع محمد خالد ولم يبد أقل اعتراض

ولما تمكن أبو عنجة من الاستيلاء على جيش محمد خالد زقل شرع في تجريده من أمواله الخصوصية ولم يترك له قوت يومه ثم كبله بالديد وأرسله الى أم درمان يرسف في القيود والأغلال ولدي وصوله اليها زجه التعايشي في السجن فبقى فيه بضعة شهور ثم أطلق سراحه

وبلغ مجموع الخيول التي استولي عليها حمدان أبو عنجة من محمد خالد زقل ما ينيف على عشرة آلاف جواد وعدد الاسرى كان يربو على خمسة عشر الف جهادي مسلحين بالاسلحة النارية وظفر أبو عنجة بكل أموال زقل وكانت عظيمة جداً وأرسلها الى التعايشي

ولما اتصل بالتعايشي نبأ القبض على زقل جمع بطانته وأخبرهم بذلك وقال لهم قد ذهبت كل مخاوفي وصرت آمناً مطمئناً على مركزى وأنا أطلب منكم منذ اليوم ان تساعدوني على القيام بامور هذه المملكة المترامية الاطراف حيث لم يبق لى معارض فى جميع انحاءها ومن ثم بدأ بتواليه الاعراب على البلاد واستئصال شأفة الذين ولاهم المهدي من أقاربه ومواطنيه

ذكر القبض على احمد سليمان امين بيت المال وعزله  
أحمد سليمان أمين بيت المال محسى الاصل من أهالي بلدة اسمها (رفاعة)  
على ضفة النيل الازرق الشرقية اجتمع على المهدي في جزيرة (آبا) فاحبه



تقلى التي ذكرنا شأنها مع المهدي وقتله ملكها لما جاءه زائر آفي الأبيض فهجم  
على من فيها وقتل رجالها وساق النساء والصبيان سبياً وباعهم ارقاء مع انهم  
أعراب مسلمون كما تقدم لنا الكلام عنهم

ثم غزا أبو عنجة قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وانتهب مالها  
وماشيها وقتل زعيمها (نواى) الذي كان لحق بالمهدي في جبال (قدير) وكان  
المهدي وعده باعفائه من مرافقته الى الخرطوم فاخلف وعده وساقه اليها فقر  
نواى ولحق بقومه في كردفان فقتله أبو عنجة انتقاماً منه وانتهب أموال قبيلته

ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه  
أوردنا في الجزء الاول ما صار اليه شأن محمد خالد زقل واستيلاءه على دارفور  
وقد صار فيها كملك مستقل حيث جمع حوله جيشا كثيفا يربو على مائتى  
الف مقاتل

وكان التعايشي متخوفاً منه كما تقدم ولما استولى التعايشي على  
أسلحة الخليفة شريف وذخيرته وراياته كتب أحمد سليمان أمين بيت المال  
كتاباً الى محمد زقل اخبره فيه بكل ما كان عقب موت المهدي من الحوادث  
كما اخبره بوقوع الخليفة شريف في الفخ الذي نصبه له الخليفة عبد الله  
التعايشي حتى اسلمه ما بيده من الذخيرة والاسلحة والرايات وقال له في  
الختام انقطع الامل الا منك وحذره من الوقوع في فخ مثل الذي وقع فيه  
الخليفة شريف

وكان التعايشي قد شدد في مراقبة أقارب المهدي حتى لا تصل منهم  
كتب الى محمد خالد زقل فوقع كتاب أحمد سليمان أمين بيت المال في قبضة

أربعة آلاف من فرسان الدراوش الذين انهزموا امام نيران الجاك وتركوا له الجبه خانه فاستولي عليها ودخل منازل الدراوش وانهب ما فيها من المال والمتاع وغادر الابيض الي جبال النوبة وأعلن دخوله في طاعة الحكومة المصرية وسي نفسه (الجاك باشا) ومنح الرتب لمن معه من القواد وأخذ يجبي الضرائب من سكان الجبال وأوصى قواده بعدم التعدى على حقوق الاهلين وان لا يأخذوا منهم الا الضريبة المفروضة فساروا سيرة حسنة امتدحهم بها سكان الجبال فارس خلفهم محمود عبد القادر ثلاثة آلاف من رجاله مسلحين بالاسلحة النارية تحت قيادة الهاشمي أحمد الجملي فهزمهم الجاك باشا شر هزيمة وقتل قائدهم وذبح عددا كبيرا منهم ثم سار اليه محمود عبد القادر في أربعة آلاف مقاتل فالتقى الجمعان وثبت الجاك ورجاله ثبات الأبطال وقتل محمود عبد القادر وقتل اكثر رجاله وولي الباقيون الدبار وهم لا يصدقون بالنجاة

ولما اتصل بالعايشي خبر قتل محمود خاف عاقبة امر الجاك ولكنه سر من جهة أخرى بقتله لانه قريب المهدي وعضد من قوة الخليفة شريف فاسرع بانتداب على الهاشمي العمرابي في مائتي رجل وسير خلفه قريبه عثمان آدم المشهور (بجانو) وأمرها بالبقاء في الابيض وان لا يتعرضا لحرب الجاك وكتب الى حمدان ابي عنجة يأمره بالهجوم على الجاك بجميع قواته فهجم عليه باكثر من عشرين الف مقاتل واصلا حربا أظهر فيها الجاك ورجاله اعظم بساله حتي قتلوا عن بكره ايهم

### ذكر اعمال ابي عنجة في الجبال

لما هزم ابو عنجة الجاك عاد الي غزواته في الجبال حتي اقترب من جبال

الرحمن النجوى في دقلة وانقضى الامر على ذلك

ذكر عصيان الجهادية بالايض وقتل امير كردفان  
لما غادر المهدي الايض الى (الرهد) ومنها الى أم درمان استخلف على  
اقليم كردفان عمه محمود عبد القادر وقد ذكرنا انه استخلفه في جبال (قدير) لما  
بارحها الى كردفان فكانه تفاعل باستخلافه وظل محمود عبد القادر قابضاً على  
زمام اقليم كردفان حتى توفي المهدي فاستدعاه التعايشي لحضور الاجتماع  
العام في عيد الاضحى الذي كان عقب وفاة المهدي ثم أعاده الى عمله في الايض  
وكان محمود عبد القادر هذا ابن عم والد المهدي ومن أصحابه القدمات  
الذين شاركوه في تأسيس دعوي المهدي وكان متظاهراً بالزهد والقناعة وكان  
المهدي يكرمه ويحله

وكان في حامية الايض التي تحت قيادته الف وخمسمائة جهادي منهم  
نحو تسعمائة من جنود الحكومة الذين أسروا في واقعة يوسف باشا الشلاحي  
وسقوط الايض والباقي من عبيد الاهالي الذين صادرهم منهم محمود عبد  
القادر وهؤلاء الجهادية يقودهم صف ضابط منهم اسمه (الجاك) فعهد اليهم  
محمود عبد القادر حراسة الجبهة خانات ورعى الماشية وجعل البعض حراساً له  
ولقواده وكان مع ذلك لا يعطيهم رواتب تقوم بضرورياتهم فاستأوا من  
هذه المعاملة واضمروا الخروج عليه فتمى اليه الخبر فارسل يدعو قائدهم الجاك  
للحضور الى المسجد لتلقي أوامر جديدة فاعتذر عن الحضور وأرسل اليه  
بعض أعوانه فقبض عليهم محمود عبد القادر وضرب أعناقهم فاستشاط الجاك  
غيظاً ونفخ أبواقه وهجم برجاله على الجبهة خانه فدافعه محمود عبد القادر بنحو

ولما استولى التعاشي على ما عند الخليفة شريف من الاسلحة والذخيرة  
اصبح قادراً على مناقشة اولئك الامراء الحساب على ما اغتالوه من القناطير  
المقنطرة من الذهب والفضة فاستدعى اليه اعيان سنار الذين أخذت منهم  
الاموال وأخذ يلين لهم الكلام ويهدم بنيلهم نصيباً مما أخذ منهم اذ هم  
أوضحوا له كمية المال واسم من استولى عليه من الامراء فأوضحوا له كل  
ذلك فأمر بالقاء القبض على محمد عبد الكريم القائد العام لانه علم من كلامهم  
انه استولى على نحو خمسة قناطير من الذهب واستولى بقية الامراء على  
مقادير عظيمة من التبر

وقد علم التعاشي أيضاً ان الشيخ مضوى احد الامراء عذب مصرى  
اسمه على مرزوق كان ناظر الشونة وأخذ منه خمسين رطلا من التبر المسبوك  
فأمر بالقاء القبض عليه فلم يجدوه بام درمان اذ كان متغيباً في قريته (العيلقون)  
فامر بأشخاص مائة راكب يقصدون تلك القرية التي تبعد عن أم درمان مسيرة  
مرحلة واحدة للقبض عليه فاسرع احد اقاربه بمغادرة أم درمان وأبلغه الخبر  
فركب راحلته قاصداً حدود الحبشة وزور خاتم التعاشي على مكرب أمر  
فيه الامراء بتقديم ما يلزم الى الشيخ مضوى وانه ذاهب بمهمة الى بلاد الحبشة  
فتناول بهذا المكروب نحو ثلاثة آلاف ريال وبلغ حدود الحبشة آمناً ولم  
يصبه سوء ولحق بالشيخ عجبل الحراني في جهة ( غبته )

ولنعد الى ذكر الامراء الذين قبض عليهم التعاشي فنقول . انه أبقاهم في  
السجن بضعة شهور لم يظفر في خلالها بشيء مما اغتالوه واصرروا على الانكار  
فامر بمصادرة مآظهم من أملاكهم مثل الجواري والعبيد والدواب والامتعة  
البيتية ثم امر بالاخراج عنهم وألحق البعض منهم بثمان دقنه والبعض بعبد

الصفح عن زلتهم ثم طلب من الخليفة علي بن محمد شريف ان يسلمهما رايتهما فسلموهما وأمرهما بتسليم ما عندهما من الاسلحة والذخيرة والجهادية ففعلا وأصبح الخليفان لا يملكان شيئاً من الاسلحة النارية وكان التعايشي يمد الخليفة علي بن حلو سراً باعادة ما أخذ منه ولكن لم يوف له بشيء بعد ان تمكن من انفاذ غرضه وقلب له ظهر المجن ومع ذلك كان يكرمه ويجزل له العطاء ويشاوره في كثير من الامور

ومن ذلك اليوم مال اصحاب الخليفة شريف وقواده عنه واحتقروه لما رأوا من ضعف عقله الذي اثرت عليه هذه الخديعة التي لا تؤثر على عقول الصبيان فانحازوا الى جهة التعايشي مظهرين له التزلف والتودد مضعفين له جانب الخليفة شريف الذي أخذ يمد قواده وأصحابه بان له أملاً كبيراً في اعادة نفوذه بواسطة القوة الضخمة التي تحت قيادة ابن عمه محمد خالد زقل في دارفور

وفي الحقيقة ان التعايشي كان في وجل شديد من القوة التي كانت مع محمد خالد زقل ويحسب لها حساباً ولذلك عاد الى استجلاب مودة الخليفة شريف وأبقى جميع أقارب المهدي الذين كانوا منتشرين في البلاد لجباية الخراج في مناصبهم ريثما ينظر في أمر محمد خالد زقل وكانت هذه الحادثة في أوائل سنة ١٣٠٣

### ذكر القبض علي امراء سنار وفرار الشيخ مضوي

لما كان الامراء الذين اسقطوا سنار من أتباع الخليفة شريف لم يجسر التعايشي على مطالبتهم بما غلوه من غنائم سنار مع انهم لم يؤدوا الى بيت المال العشر منها



والمال فامتنع واعلان الخليفة شريف عبد الله التعايشى بانه يريد التقدم الى بربر  
ومنها الى دقلة كي يتقدم منها لفتح مصر فنعمه التعايشى فلم يصنع لقوله  
وخرج في شمال أم درمان وعسكر هناك وأخذ في الالهبة للرحيل فجمع  
عبد الله التعايشى خواصه واستشارهم في هذا الامر فاشاروا بوجوب مقاومته  
وارغامه على الخضوع لاوامره فرأى التعايشى ان قوة الخليفة شريف أعظم من  
قوته وانه لا بد ان تدور عليه الدوائر اذا قصد اخضاعه بالقوة فعمد الى طريقة  
الحيلة والخداع توصلا الى هذه النتيجة فبذل المال الى الخليفة على حل وطيّب  
قلبه بالوعود ليكون معه على الخليفة شريف

وكان الخليفة على حل و متزوجا بأخت عبد الله التعايشى وبنيهما من  
رابطة جنسية البقارة ما يدعوه الى تفضيله على الخليفة شريف فمال الى  
التعايشى الذى عمده الى أحمد شريفى صهر المهدي واستماله اليه بالهدايا والوعود  
فصار يرفع اليه أخبار الخليفة شريف وما دبره ووعدته بالمساعدة في كل  
ما يطلبه منه

وفي ذات يوم ركب التعايشى ومعه الخليفة على حل و وقصد معسكر  
الخليفة شريف فوقفوا صفوفاً للقائه ولدى وصوله الى الصفوف أخذ يبكي  
وينتحب فاحاط به كل من الخليفة على حل و وأحمد شريفى وغيرهم من خاصته  
وسألوه عن سبب بكائه فلم يرد عليهم وأخيراً قرب منه الخليفة شريف  
وأقارب المهدي فرفع رأسه وأشار بيده الى الامام وقال لهم هاهو المهدي  
امامكم يمض على أنامل الندم ويقول لي كيف تختلفون قبل ان يمضى على  
انتقالي من بين ظهرانيكم سنة ألم يعلم أصحابي انك خليفة الصديق فبكي الحاضرون  
وفي مقدمتهم الخليفة شريف وتراموا على ركاب التعايشى يقبلونه ويسألونه

## ذكر وفود الهنود على التعايشي

في أوائل سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي عشرة رجال منهم سبعة من الهنود المسلمين وثلاثة من بخاري فتلقاهم بالاكراهم وقدم لهم الاغذية مدة أسبوع ثم أهمل أمرهم وشدد عليهم في مواظبة الصلوات الخمس في المسجد فساءت حالتهم حتى أصبحوا لا حرفة لهم غير التسول وكان بين الثلاثة البخاريين واحد اسمه محمد الامين فاخبر التعايشي بان له معرفة بالسكتابة ونسخ الصور التي تستعمل في مطابع الحجر القديمة فامر بارساله الى المطبعة لمباشرة تلك المهنة وجعل راتبه خمسة ريات يقبضها في السنة مرتين أو ثلاثا ويظهر من حالة أولئك الهنود انهم فقراء وانهم قصدوا بلاد السودان عسائم أن يجدوا سبيلا للارتزاق

وكان من بينهم واحد اسمه كمال الدين وكان بارعا في أساليب الخداع والاحتيال ادعى انه ذو علم بصناعة المادة القابلة للانفجار وهي المسماه ( عجينة الكبسون ) وتناول من التعايشي نحو اثني عشر الف ريال ثم ظهر جهله وانكشفت حيلته وسنأتي على ذكر هذه المسألة في مكانها ان شاء الله

## ذكر انتفاض الاشراف وتسليم الرايات

ذكرنا ما كان من أمر المداولة بين الخلفاء وتقسيم البلاد بينهم وتردد التعايشي في انفاذ تلك القسمة وعدم رضاه بها ولما عاد محمد عبد الكريم بعد اسقاطه سنار واستجواذه على ما فيها من الذخيرة والامتعة طلب منه التعايشي أن يسلم ماله من الذخائر والاسلحة

وادخلهن داره ووقع على أمهما أولاً ثم افتض القتاين ففسدن على  
التعايشى ورفعن شكواهن اليه فادخلهن على القاضي الذي استمدى كريها  
ولدي استنطاقه اعترف بانه وطئ المرأة بملك اليمين لانها غنيمة أما الفتاتان  
فانكر افتضاضه اياها

وفى هذا الاجتماع أصدر التعايشى أمراً بإبطال وظيفة الامناء الذين  
فوض لهم المهدي النظر في العرائض التي ترفع اليه لان جلهم من أقارب  
المهدي ثم أعلن ابطال وظيفة النواب الذين أقامهم المهدي لينوبوا عنه في نظر  
الظلمات التي ترفع اليه وأقام للقضاء بين الناس القاضي أحمد على الذي لقبه  
بقاضي الاسلام وأشرك معه نحو عشرين قاضيا كلهم من جهلاء الاعراب  
الذين لا يفقهون شيئاً غير أنهم يحفظون الفاظ القرآن الشريف

ثم أشار عليهم بعدم قبول الطعن في الشهود وتحليف الشاهد على المصحف  
فيكونوا يكتبون في أحكامهم ما ياتي « ولعدم قبول الطعن في الشهود كما أشار  
خليفة المهدي عليه السلام قد صار تحليف الشهود وحكمنا بكذا »

كل ذلك لينتقم من أقارب المهدي بقيام الناس عليهم ومقاضاتهم ثم لرد  
مأهوبه منهم. وخرج الى محل القضاة في ذات يوم شاهرا سيفه وقال لهم  
ان لم تحكموا بين الناس بالحق فلا بد ان أضع سيفي هذا في رقابكم ثم خطب  
في الناس قائلاً من كانت له مظلمة عندي فليقدم لمقاضاتي امام القاضي والحاصل انه  
ظهر امام الناس بمظهر العادل الشفوق وقفل الناس راجعين الى بلادهم وقلوبهم  
مملوءة بالاخلاص له والانتقاد الاعمي لطاعته وشرعوا في مقاضاة اقارب  
المهدي واستردوا اكثر ما سلبوه منهم

هذا وقد دعا الناس للاجتماع في عيد الاضحى ليتحقق طاعتهم وليظهر امامهم بمظهر الملك والقوة فدعا محمود بن عبد القادر أمير كردفان وسائر أهلها ودعا أيضا أهالي الجزيرة فاجتمع في أم درمان زهاء خمسمائة الف مقاتل فخرج عليهم يوم العيد يحيط به نحو عشرة آلاف عبد يحملون الاسلحة النارية من طرز رامنجنون وامامه بوق ( أم بايه ) وهو بوق من العاج كان يستعمله كبار نخاسي النيل الابيض وكان المهدي قد ميز التعايشي عن بقية الخلفاء بهذا البوق الذي يكون علامة على دعوة فرسان الجيش بالتكوف حول التعايشي

وخرج التعايشي راكبا هجينا كان يركبه المهدي وأخذ يسير الهوينا حتي بلغ زريبة بن الشوك أعدت ليصلي فيها هو والخلفاء والمقربون منه فاقامت الصلاة قبل الزوال بنحو ساعة فصلى التعايشي بالناس اماما ثم خطب بهم الخليفة على حلو وهكذا كان حال التعايشي في ايام الاعياد يصلي بالناس اماما ويخطبهم الخليفة على حلو لان التعايشي أي يجهل الكتابة والقراءة وبعد انقضاء الصلاة عاد الى منزله وقد سره مارآه من إقبال الناس عليه وطاعتهم لاوامره

وقد ذكرنا انه كان يخشى انتقاض أقارب المهدي واكنه علم من أهالي الجزيرة انهم سيثو السلوك وقد حملوا الاهلين من المظالم والمغارم ما جعلهم يثنون تحتهما وأتوا من المنكرات ما يعجز القلم عن ايراده

ومن هاته الحوادث ان كريبا أحد حراس الخليفة شريف وقريب المهدي الذي ذكرنا انه قطع الصبي ثمانى قطع يوم سقوط الخرطوم ذهب الي المسلمية بأمورية جمع الفنائم فرأى بجوار داره امرأة أرملة في منتهى الحسن والجمال ولها بنتان لا يقلان في الحسن والجمال عن أمهما فقبض عليهن

الخرطوم ولما مثلنا بين يديه خاطبنا بما يأتي

« أيها الأتراك أهالي الخرطوم فضلة سيف المهدي عليه السلام انكم أضلتم الناس وغررتموهم بديناكم فلماذا أيها المنافقون أقمتم بالخرطوم ولم ترحلوا الى أم درمان فهل أتم لا تزالون مكذبين للمهدي أو ما هو السبب » فاجبته قائلاً ياسيدنا الخليفة نحن نعوذ بالله من ان نكون مصرين على تكذيب المهدي ونحن نعترف امامك باننا مؤمنون بالمهدي وخلفائه والذي منعنا من الاقامة بام درمان هو عدم قدرتنا على تشييد الاكواخ فيها وتمكننا من الاقامة في خرائب الخرطوم بغير مشقة فاجابني التعاشي وهو مغمم بالغضب أنت منافق ولا أرى غير ضرب عنقك فقلت له ياسيدي الخليفة أنت تعلم الغيب وما تخفيه الصدور وان الخضر عليه السلام وزيرك ومشيرك وقد قال فيك المهدي عليه السلام انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فاطرق بوجهه الى الارض وسرّ من هذا الاطراء ثم رفع رأسه وقال لي يا ابراهيم فوزي لقد تحققت براءتك مما نسب اليك وقد عفوت عنك وعن جميع أهالي الخرطوم ولكن لا بد من مغادرتكم الخرطوم واقامتكم بام درمان لان الخرطوم دار كفر والمهدي عليه السلام قال لا تسكنوا في مساكن الكفار ولا تلبسوا ملابسهم ولا تزيوا بازيائهم فقلت ياسيدنا الخليفة نحن لا نملك أجره اجتياز النيل فامر باجازتنا مجاناً فاجتزنا النهر وأقمنا بام درمان نقاسي من صنوف الذل ألوانا

### ذكر الاجتماع العام لعيد الاضحى

ذكرنا ما كان التعاشي شرع في عمله من اقامة مشاعر الحج بام درمان وابطاله هذا المشروع قبل ابرازه من القول الى الفعل



هذا وقد ذكرت انني كنت اقامت بكوخ في أم درمان بجوار منزل يوسف منصور وبعد وفاة المهدي كانت لي زوجة على وشك الوضع كنت تزوجتها قبل سقوط المدينة وهي بنت احد الضباط المصريين العظام فانتقلت الى الخرطوم للحصول على قابلة مصرية بها وما كانت تمضي على ايام حتى نمت الى ان الحاج خالد العمراني كتب الي التعايشي يقول ان ابراهيم فوزي قدم الخرطوم وهو يسمي في توحيد كلمة بني جلدته المصريين للقيام بعمل ضد المهدي فما شعرنا في احدى الليالي الا بالنداء بان كل ذكر من الذين خرجوا من خندق الخرطوم يهدر دمه اذابات في المدينة بل يجب ان يكون في البقعة التي عند نقطة ملتقى النهرين الابيض والازرق وبينما كان الرجال يودعون اطفالهم ونساءهم للخروج الى محل الاجتماع اذ عاد النداء بوجوب خروج النساء والاطفال الى ذلك المكان أيضا فخرجنا بنسائنا واطفالنا ونحن في حالة لا أقدر على وصفها وبعد وصولنا الى تلك البقعة جاءنا دراويش من أم درمان اخبرونا بان المراد من هذا الاجتماع قتل ابراهيم فوزي (المؤلف) وبيع بقية المصريين ارقاء فقضينا تلك الليلة فراشنا الارض وغطاؤنا السماء فكنت لا اسمع غير صياح الاطفال وعويل النساء

وفي اليوم التالي مكثنا الى قرب منتصف النهار حتى جاءنا التعايشي ممتطيا حمراً يحيط به نحو الف حارس وامامهم أشخاص ينفخون في أبواق من العاج بصوت مزعج متقطع وهذه الابواق تسمى ( أم بايه ) وسيأتي ذكرها في وصف موكب الخليفة

ولما دنا التعايشي من موقفنا أمرنا بالوقوف مصطفين رافعين أصواتنا بالتهليل ثم استدعاني من وسط الصفوف ومعي بضعة أشخاص من أعيان

بعد ان وضع في أرجلهم من القيود مائتو بمحمله الدواب وغل رقابهم باغلال الحديد وتركهم في اعماق السجن بلا طعام ثلاث ليال ثم دخل عليهم السجن وقال لهم قوموا الى الصلاة فقال له احمد عفت بك هل نطبق القيام ونحن بهذه الاغلال مع مانحن فيه من وهن الجوع فذهب الى عثمان دقنه وأخبره بما قاله احمد عفت بك فقال ليحضروا امي فسيقوا اليه يرسفون في القيود والاغلال كأنهم أشباح بلا ارواح فسأل عثمان دقنه احمد عفت بك عن سبب امتناعه من الصلاة فأجابه بمثل ما اجاب به السجن فامر بضرب اعناقهم فظهروا جميعاً الفرح والارتياح وتقدم شوقي عتيق احمد عفت بك الى السيف وقال له أمهلي حتى اصلي ركعتين فامهله ثم قال له اني اسألك بحق مهديكم ان تضرب عنقي قبل سيدي أحمد عفت بك فمد عنقه غير هيب لشيء فضربت ثم مد أحمد عفت بك عنقه مع الجلد والشجاعة فضربت أيضاً ثم مد الصنجق حسن اغاسليمان عنقه فضربت ثم تلا ذلك ضرب عنقي اليونانيين استبلى وبادروس

### شان اهل الخرطوم بعد ذلك

ذكرنا ما كان من أمر المهدي مع أهالي الخرطوم وقد أوردنا صورة المنشور الذي أصدره المهدي لأهالي الخرطوم وعلى أثره سمح لهم بالاقامة في الامكنة المتخربة من المدينة واخذوا في السعي للارتزاق بالهن الدنيئة مثل صناعة الجبز وفتح حوانيت الاطعمة وهم في كل آن عرضة لصنوف الاضطهاد وفي كل يوم يقع بعضهم في تهمة إخفاء المال فيعماد تعذيب الواحد منهم بما يقشعر منه البدن

## ذكر اول واقعة بين الدراويش والاحباش

بعد سقوط كسلة في قبضة العدو بثلاثة أسابيع قدم عثمان دقنه من سواكن ومعه زهاء عشرين الف مقاتل وقد استنفر الناس فاجتمع لديه نحو خمسين الف مقاتل زحف بهم الي (كوفيت) في حدود الحبشة وتحصن في المعقل الذي كانت حامية الحكومة متحصنة فيه قبل جلائها عن (كوفيت) وهناك أرسل كتاب تهديد الي الرأس الولا فورد له الردبانه سيقدم عليه يوم كذا وفي ذلك اليوم هجم الرأس الولا على عثمان دقنه في ثمانين الف مقاتل من الاحباش فاداطوا بالمعقل احاطة السوار بالمعصم فخرج عثمان من المعقل بمقاتلته فهاجمه الاحباش هجمة الاسود الضواري على فراسها فسقط جيشه كله قتلى واستطاع هو النجاة ومعه نحو خمسمائة مقاتل فظن ان الاحباش يتأثرونه الي كسلة فيستولون عليها حيث لا مقاتلة فيها يدفعون عنها غارتهم ولذا عاد عثمان دقنه الي كسلة وهو لا يصدق بالنجاة وكانت هذه الواقعة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٢ ويقال ان تقدم الاحباش كان لانقاذ كسلة فكان شأنهم معها مثل شأن الانكليز مع الخرطوم حيث جاؤها بعد ان سقطت في قبضة العدو



## ذكر قتل المدير احمد عفت ومن معه من القواد

لما رجع عثمان دقنه من (كوفيت) قبض على المدير أحمد عفت ومعه الصنjq حسن أغا سليمان الالباني ومعتوقه احمد أفندي شوقي معاون مديرية (الناكا) وتاجران يونانيان يدعي احدهما استيلى والثاني بادروس واودعهم السجن

## الكلاب والجرفان

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٢ رجت المجاعة بحامية الختمية فعزم السيد بكرى ابن عم السيد محمد الميرغني على التوجه لكسله لينضم الى من بها من رجال الحكومة وفملا سار بنحو الف رجل فصادفهم في اثناء سيرهم مصطفى هدل وجنوده فذبخوا كل من كان مع السيد بكرى وجرح هو جرحا بليغا ثم شرعوا في الهجوم على معقل الختمية لاستئصال من به من الحامية التي تمكنت من التقهقر بانتظام حتى دخلت معقل كسلة. ولقد أتى السيد بكرى من الاعمال الشريفة ما يناسب منصبه ويشهد له ولعائلته بطهارة الاصل وعراقة المجد

وفي منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فقدت الحامية كل أمل في النجاة كما فقدت القوات حتى قال لنا أحد المحصورين انهم طلبوا الارذب من الذرة باكثر من الف ريال فلم يظفروا

وعلى أثر ذلك عقد المدير أحمد عفت بك شروط الصلح مع الامناء الذين انفذهم المهدي قبل وفاته على ان لا يمدوا أيديهم لغير ما لا يحكوه من المال والذخيرة فخرجت الحامية وسلمت نفسها في منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فامسكوا المصريين وعذبوهم ونهبوا أموالهم مثل ما حصل في الخرطوم وغيرها ومات كثيرون تحت الضرب والتعذيب وحمل جل المال الي أم درمان واحد عشر مدفعا من الطرز الجملي العتيق وأبقيت نحو تسعة مدافع تحت تصرف عثمان دقنه وغنموا أيضا نحو عشرة آلاف بندقية وشيئا كثيرا من الذخيرة ولله الامر من قبل ومن بعد

وفي شهر رمضان سنة ١٣٠١ سعي ماسون بك الامريكاني في اخلاء كسله واجلاء الحامية عنها فلم يفلح لان الجنود رفضوا ان يفروا بغير عائلاتهم التي لا تستطيع الفرار

وقد لبث ماسون بك يخبر المدير أحمد غفت في الانسحاب من كسله فكان يجاوبه باستحالة ذلك ثم غادر ماسون بك مصوع ولم يفلح في سحب الحامية من تلك المدينة

هذا وقد كان انقاذ كسله ميسوراً بسبب قربها من حدود الحبشة ولكن أشياء كثيرة كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت العدو على امتلاك المديرية. منها ان النجاشي يوحنا بعد ان أصدر أمره الى الرأس الولا بالقيام لانقاذ كسله عاد فنقض أوامره الاولى وكان سبب ذلك على ما علمته ان الدراويش كانوا يخادعونو ويمدون به بالمخالفة والمعاضدة وكان في المدينة بعض جواسيس يطلعون الدراويش على كل اسرار الحكومة وما يدبره المدير وكان الرأس الولا يخبر المدير ويطلب رأيه في ترتيب الزحف على المدينة لانقاذ حاميتها فكان المدير يجاوبه فيسرع أولئك الخائنون ببلاغ الدراويش مادار بين المدير والرأس الولا من المخبرات

ولما وصلت انباء سقوط الخرطوم الى شرقي السودان قويت عزية محاصري كسلة وأرسل عثمان دقنه بالامداد لهم ثم تلاه قدوم الشيخ الحسين زهراء ومن معه من المندوبين وقد تقدم لنا ذكر بعثتهم قبل وفاة المهدي وفي أواخر شهر جمادى الآخرة عرض (شر مشيد باشا) محافظ شواطئ البحر الاحمر على النجاشي يوحنا عشرة آلاف بندقية ليتقدم لانقاذ حامية كسله ولكن في غضون ذلك كانت المجاعة قد برحت بالحامية حتى أكلوا



عثمان دقنه فتبعه جميع السكان ورفعوا اللواء العصيان على الحكومة فارسل أحمد عفت بك المدير قوة تهاجم موقع تجمع العدو فعادت بخسارة عظيمة وكانت نساء العصاة (الهندود) يقاتلن مع أزواجهن ولهن فظائع ما سمع بمثلا في الدنيا فقد كن يحملن وراء أزواجهن قطعاً من الخشب فيجهزن بها على الجرحي وينزعن الملابس عن أشلاء القتلى ويضعن في دبر كل قتيل قطعة من الخشب طولها ذراع فيولجن في الدبر نصفها ويبقى النصف بارزاً ويطرحن الجثث على وجوها ليصير هذا المنظر الشنيع معرضاً لنظر المارة .

على ان هذه الفظيعة لم تكن من عنديات تلك النسوة بل ان مصطفى هدل هو الذي قال لمن من مثلت منكن بالقتلى هذا التمثيل بنى الله لها بيتاً في الجنة

وكان مصطفى هدل هذا جاهلاً ضالاً وفي غضون حصاره كسله كان يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بكيت وكيت وفي أواخر شهر ربيع الآخر هجم الدراويش على كسله فالتهمهم الحامية بالتقهقر بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة

وفي شهر جمادي الآخرة اشتد الحصار وارتفعت اثمان الاقوات وفي شهر شعبان سنة ١٣٠١ بينما كانت الحكومةتان الانكليزية والحدوية تتداولان في انفاذ حملة تقدم غردون اتفقت الحكومة الحدوية مع يوحنا نجاشي الحبشة على انقاذ حاميات الحكومة التي في السودان الشرق وتنازلت له عن بعضها

وفي هذا الشهر أيضاً أحس مصطفى هدل بضعف في حامية خندق الحتمية فصمم على أخذها عنوة فخاب سعيه حيث دفعته الحامية وهزمته شر هزيمة

عبد الله التعايشي واصر على الانتقام منهم وسنعود الى ذكر هذا الانتقام في محله

وأخذ التعايشي نحو عشرين امرأة من نساء المصريين كانوا في تلك المدينة مسبيات وادخلهن منزله. والخاصة ان سكان سنار جلهم مصريون مثل سكان الخرطوم وقد نالوا نصيبا من التعذيب والنهب وهتك الاعراض كالذي ناله اخوانهم في الخرطوم أو أشد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون



### حوادث كسله وسقوطها

كسله اسم مدينة هي عاصمة اقليم (التاكا) الذي بين محافظتي مصوع وسواكن وحدود الحبشة وأغلب سكانها مصريون مثل سائر مدن السودان وكانت محصنة بسور منيع من الحجارة وفيه أبراج ومعدات الدفاع متوفرة فيها منذ دخلت في املاك الخديوية المصرية على عهد ساكن الجنان محمد علي باشا عزيز الديار المصرية

وكان السيد محمد عثمان الميرغني نازلا في قرية (الختمية) بجوار كسله وهي قرية أسسها جده السيد محمد عثمان الميرغني وقد تقدم لنا ان المهدي كان يدعو السيد محمد عثمان الميرغني الى الدخول في دعوته وكان يوالي ارسال الانذارات له تارة بالوعد وأخرى بالوعيد فقر من قرية الختمية لما رأى ان الخطر يقترب من جهته

وبعد فراره خندق بقية سكان الختمية على قريتهم وأمدتهم الحكومة بالاسلحة والذخيرة والجنود

وفي محرم سنة ١٣٠١ قدم الى كسله مصطفى هذل داعية من قبل

ال دراويش غير مال الحكومة وان لا يعتمدوا على احد من الاهلين في ماله وعرضه  
 وعلى هذا الشرط اسلمت الحامية نفسها فنسكت الدراويش العهد على مألوف  
 عاقبتهم ومدوا ايديهم الى الاعراض وعذبوا سكان المدينة الذين جلبهم  
 من المصريين عذاباً اليماً وغنموا منهم شيئاً بعد بعشرات القناطير من الذهب  
 الذى يوجد بكثرة فى مدينة سنار حيث ان منابع النيل الازرق التى يوجد بها  
 هذا التبر داخله فى هاترة مديرية سنار واهل سنار مشهورون بادخار الذهب  
 بكثرة وقد عذبهم الدراويش عذاباً يفوق الذى وصفناه فى عذاب اهل  
 الخرطوم وهتكوا اعراضهم كما هتكوا اعراض اهل الخرطوم

وبعد مضى شهر على هذا التعذيب هدموا المدينة كلها وزحفوا بالاسرى  
 الى أم درمان فوصلوها فى أوائل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٣٠٢  
 هذا وقد وصل عبد الرحمن النجومى سنار بعد سقوطها ببضعة ايام  
 ولم ينل من الغنيمة شيئاً

على ان حامية سنار كانت تستطيع النجاة لو قصدت حدود الحبشة قبل ان  
 يصل اليها محمد عبد الكريم. وقد بلغنى ان المدير كان ينوى سحب الحامية الى  
 جهة حدود الحبشة بعد أن علم بسقوط الخرطوم لفهمه ان الانكاز لا يتقدمون  
 لاتخاذ سنار بعد سقوط الخرطوم بخالفه اللذان سجناه معتقدين خلاف ذلك  
 والخلاصه ان نجاة حامية سنار كانت ميسورة لو لم يسجن المدير  
 حسن صادق بك

هذا وقد أصدر التعاشى أمراً باعتبار مدينة سنار كمدينة ثمود تحرم  
 سكانها والاستقاء بمياهاها  
 وقد اغتال الامراء الاموال ولم يقدموا لبيت المال عشر الغنائم فتغيظ

اللائق وكانت هذه الواقعة في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٢  
وفي شهر جمادى الآخرة وصل محمد عبد الكريم بمقاتلته لحصار مدينة  
سنار وقد ذكرنا ان المهدي بعثه بنحو عشرين ألف مقاتل  
وفي أواخر شهر شعبان وصلت الى المهدي أخبار بان حامية سنار  
خرجت على معسكر محمد عبد الكريم وانتصرت عليه فأرسل الى المتمة يستدعي  
عبد الرحمن النجومي بمقاتلته فوصل الى أم درمان بعد وفاة المهدي بأسبوع  
وفي أوائل شوال سنة ١٣٠٢ وصل الى حامية سنار نبأ وفاة المهدي  
فقويت عزيمتها وخرجت على معسكر محمد عبد الكريم مهاجمة فاصيب محمد  
عبد الكريم برصاصة في فخذه ثم انهزمت مقاتلته شر هزيمة وغنمت  
الحامية معسكرهم

ولما اتصل بالتمايشي خبر هزيمة محمد عبد الكريم انفذ عبد الرحمن  
النجومي الى سنار كما كان المهدي يريد انفاذه اليها حين استدعاه من المتمة  
وفي أوائل شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٢ وصلت درجة المجاعة في سنار  
الى فقدان القوة بالكلية فتمر الجنود على قوادهم وشقوا عصا الطاعة وخرج  
كثير منهم واسلموا نفوسهم الى العدو الذي تشددت عزيمته وعاد الى موقفه  
الاول من الاحاطة بمعقل المدينة وتشديد الحصار عليها

ووصلت الى المدينة أخبار زحف عبد الرحمن النجومي عليها فاسرعت  
بطلب التسليم مع وفده ارسلته الى محمد احمد شيخ إدريس من أقارب المهدي  
ونائب محمد عبد الكريم الذي كان وقتئذ طريح الفراش من الاصابة بالرصاص  
في الواقعة الاخيرة

وعند وصولها عقدت شروط الصلح بين الحامية والدرأويش على ان لا يأخذ

## ذكر وقائع سنار وسقوطها

تقدم لنا ذكر وقائع سنار التي حصلت قبل مهلك حملة هيكنس.

ولما ذبحت هذه الحملة قويت عزائم الدراويش وأحاطوا بها وضيقوا عليها وبعد سقوط الخرطوم وثب النور بك محمد قومندان الجنود النظاميين ومعه عثمان بك الدالي الصنجق وقبضا على المدير حسن صادق بك وسجنناه في داره لاسباب لا نعلم كنهها والظاهر ان لاسبب لها الا سوء الظن بذلك المدير الذي لا يشك أحدي في براءته من وصمة مانسب له

وبعد ان مكث المدير أشهراً في السجن اجتمع القواد ودخلوا منزله وأطلقوه من عقاله واعتذروا له وكان العدو محاصراً للمدينة فخرج عليه المدير في قوة كبيرة وهجم على موقعه ومزق شمله كل ممزق وعاد الى المدينة ظافراً منصوراً حتي اذا اقترب منها التي عصا سيره للراحة من وعشاء السفر وتناول الطعام عند مكان اسمه (الجزيرات)

وبينا كانت الجنود وقوادهم مشغولين بتناول الطعام اذ هجم عليهم العدو علي غرة من جهتي النهر والفلاة واعملوا السيف في رقابهم فتمكن كل من النور بك محمد وعثمان بك الدالي من جمع شمل بعض الجنود حيث قاتلوا متقهقرين حتي بلغوا معقل المدينة

أما المدير حسن صادق بك فقد تمكن العدو من الفتك به حيث فاجأه وهو يريد ركوب فرسه بضربة كانت القاضية

ثم ان القائمقام حسن عثمان بك كر على الدراويش بقوة ألزمتهم الفرار من وجهه وتمكن من حمل جثة المدير الى المدينة حيث دفنت هناك بالاكرام



ولما اذاع الخلفاء هذا الخبر دخل رجال من أهل العلم بعضهم من ذوي قرابة المهدي على أولئك الخلفاء واخبروهم ان هذا الامر لو تم كان دليلاً قاطعاً على كذب دعوي المهديّة وخروجهم جميعاً من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين فانصاع أولئك الجهلاء وجمعوا الاوراق التي وصلت ايدي الناس واتلفوها ومنعوا الناس من الكلام في هذه المسألة ومن تكلم جلدوه ثمانين جلدة اه

### ذكر مسألة الشعرة من حجة المهدي

ذكرنا ما كان لاحمد سليمان أمين بيت المال من المنزلة السامية عند المهدي وانه كان واقفا على اسراره وكنه أعماله

وكان أحمد المذكور ذا دهاء يظهر أمام الناس بالزهد والورع ويروي للناس انه رأي من كرامات المهدي ما هو كيت وكيت ويختلف من الاكاذيب ما يحيله العقل . ومن اكاذيبه انه جاء الى التعاليشي وكان جالسا مع الخلفاء وأخرج من جيبه حقاً من الحشب وفتحه واخرج منه شعرة وقال يا خلفاء المهدي ان المهدي قبل مرضه بنحو أسبوعين أخبرني بأنه راحل من هذه الدنيا ونزع من لحيمته السكريمة شعرة ثم قال لي يا حبيبي أحمد خذ هذه الشعرة وابتلعها بعد وفاتي فان فيها سراً من أسرار المهديّة وبعد ان تموت وتلحق بي أخبرك بهذا السر فوثب عليه الخليفة عبد الله التعاليشي وأمسك بيده وقال له ان هذه الشعرة كانت امانةً عندك وقد أمرني المهدي باستلامها منك وكان الحضر عليه السلام حاضراً فسلمها أحمد سليمان له فابتلعها وأصدر منشوراً قال فيه ان في هذه الشعر سر المهديّة وقوة خلافتها

وقال البعض قد أحسننا برهبة ونحن في الصلاة فقال لهم ان عيسى عليه السلام صلى معكم مأموماً بنى وأشار الى المكان الذى صلى فيه فهرع الناس اليه يتبركون به وأحيط ذلك المكان بزريبة من الشوك ليمقي معروفاً عند كل من يقصده من الزائرین

## ذكر دعوة التعايشي اهلالي السودان

لاداء فريضة الحج بام درمان

كان المهدي قد نهى الناس عن السعي لاداء فريضة الحج مدعياً ان البيت الحرام في ايدي الكفار ونشر جملة منشورات بهذا المعنى وكان يزعم ان مرافقته للجهاد خير من السعي لاداء الحج وزعم ان الهجرة معه كالهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهي افضل من الحج وتغالي حتي قال ان رؤيته تعدل ثواب سبعين حجة

ولما هلك المهدي اجتمع التعايشي والخليفةتان على حلو ومحمد شريف وقرروا فيما بينهم وضع اكذوبة ماسمع في الاسلام بمثلها الا ماسمع من أمر على بن مهدي صاحب الين في القرن السادس من الهجرة وهي ان يصعدوا منشوراً يقولون فيه ان الحج الى البيت الحرام قد أبطل وعزموا على تشييد كعبة في أم درمان وجعل جبل ( كرى ) بدل جبل عرفات لتقام بهما شعائر الحج ويزور الناس قبر المهدي بدل زيارتهم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفعلاً شرعوا في اعداد ما يلزم لابرار هذه الضلالة حتى قالوا ان حفر بئر زمزم يكون بعد الوقوف بجبل عرفات واداء صلاة العيد بمنى ثم يرحلون الى البيت الحرام فيحفرون بئر زمزم ويعودون لقضاء أيام التشريق بمنى

وتوجه للمحل الذي نزل فيه أولئك الشياطين ولما دنا منه أوقف الناس ثم تقدم هو بفرسه واطال الوقوف والناس ينظرون اليه والى ما يأتيه من الحركات كأنه واقف يعظ أو يبائع وبعد بضع ساعات عاد فأخبر الناس بانهم بايعوه وأنه كان مشغولاً بترتيب فرقهم وتولية القواد عليهم مثل ترتيب جيش المهديّة ثم قال انهم رغبوا الى ان اشيّد داراً لي بجوارهم كي اتردد عليها وتكون موعداً بيني وبينهم كلما دعت الحال للمقابلة

ومن المضحكات ان رجلاً ذكرورياً كان له كوخ بالقرب من ذلك المكان فاحتمل متاعه في ذات يوم ومعه امرأته وبنته وجاؤا الى التعايشي في المسجد فسألهم عن حالهم فقالوا ان لنا كوخاً بالقرب من محل العرصة وقد هجرناه لكثرة ما فيه من الضوضاء والذيران وصهيل خيول الجن وسائر حركاتهم التي أفقدتنا النوم واطارت قلوبنا خوفاً وفزعاً فضحك التعايشي وقال لهم ما الذي أطار نومكم وأفزعكم ألم تعلموا ان هؤلاء الجن صاروا من اتباع المهدي وانهم خاضعون لحكمي ولا يجسرون على اذي أحد من انصار المهدي وان احكام المهديّة تجري عليهم كما تجري عليكم فقالوا ياسيدينا الحليفة ان خلقتهم غريبة مخيفة ففهم رؤس بلا جثث ومنهم جثث بلارؤس ومنهم الطيارون ومنهم ومنهم فقال عودوا الى مكانكم ولا تخافوا فرفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا نحن فقراء لا نملك غير هذا السكوخ وقد تركناه لهم فاسترسل التعايشي في الضحك الذي يشف عن السرور وأمر باعطاء الرجل خمسمائة ريال بدل كوخه وان يعطي من بيت المال راتباً يقوم بحاجة عائلته

وسمعت التعايشي يوم ذهب لمبايعة الجن على زعمه يسأل الذين أدوا صلاة المغرب خلفه قائلاً لهم هل رأيتم شيئاً أو أحسستم بشيء فسكت اكثرهم

جلس امامي وقال لي السلام عليك يا خليفة المهدي بل أنت المهدي نفسه فقلت  
وعليك السلام من أنت فقال أنا ملك من ملوك الجن كنت ساكنا وراء  
جبل (قاف) الذي يبعد عن هذا المكان مسيرة خمسمائة عام وقد مضى على  
خمس سنوات وأنا سائر بقومي من ذلك المكان لادرك المهدي فكان من  
أمرنا ان الحضر عليه السلام قابلنا وهو يبكي ويصرخ قبل أن نبلغ العمران  
البشري وأخبرنا بموت المهدي وخلافتكم عنه فلما وصلنا العمران البشري وجدنا  
جماهير الاولياء ومجامع الملائكة في المساجد الكبرى يقيمون ماتم المهدي فاشتغلنا  
معهم في اقامة شعائر الماتم ثم غادرنا المسجد الحرام بعد عصر اليوم وعسكرنا  
في البقعة التي تلي محل (العرضة) استعراض الجنود ومضى ستون ألف فارس  
من الجن غير المشاة قال التعايشي فقلت ومن أعلمك بظهور المهدي  
قال أعلمنا الحضر عليه السلام منذ ظهوره في جزيرة (آبا) فغادرنا جبل (قاف)  
منذ ذلك وكنا نسير في السنة مسيرة مائة سنة فقلت ما تقصدون قال نقصد بيعة  
المهدي وادراك فضل صحبته والجهاد معه فقلت وفي أي المساجد أقيم ماتم  
المهدي فقال في المسجد الاقصى وفي المسجد الحرام وفي المسجد النبوي ثم  
دنا مني وطلب مني أن أباليه فباليته بيعة المهدي وأمرته بالبقاء في المكان الذي  
يلي محل الاستعراض

ثم سأله التعايشي عن عمره فقال انه ولد في زمن ابراهيم الخليل صلى  
الله عليه وسلم وانه صار ملكا على قومه في زمن موسى الكليم صلوات  
الله وسلامه عليه

ولما نشر التعايشي المنشور المتضمن هذه الاكذوبة سر الناس  
بامر الجن الذين جاؤا لمساعدتهم وفي انفسهم ركب التعايشي بخيله ورجله

ولينّا وخفض كثيراً من حدته التي كانت معلومة عند العموم حتي ذع بين  
الملاّ ان السكينة نزلت عليه وقال هو ان روح المهدي حلت فيه وان اخلاقه  
لا بد ان تتبع الروح انما حلت

هذا ولم يكن القول بالتناسخ مذهب عبد الله التعايشي فقط بل هو  
مذهب سلفه المهدي الذي كان يزعم ان روح النبي صلى الله عليه وسلم  
حلت فيه

وجملة القول ان عبد الله التعايشي قبض على زمام البيعة وهو مضطرب  
وكان لا يدري كيف يدير دفتها كما كان شديد الحشية من انتقاص الخليفة شريف  
واقارب المهدي عليه اذ هم أشد قوة منه وأكثر عدداً من رجاله ولذا لبث  
كأنه واحد من الخلفاء لا يقطع أمراً بغير مشورتهم ولا يعمل بغير ارادتهم  
منتظراً ما يكون من أمر مدينتي سنار وكسلا اللتين كانتا على وشك السقوط

### اول اكاذيب التعايشي

ذكرنا ان الحاج الزبير أشار على عبد الله التعايشي بولوج باب اكاذيب  
المهدي فكان أول الكذوبة وضعها بعد مهلك المهدي بشهرين أن أصدر  
منشوراً قال فيه ما يأتي

بعد ان أدت صلاة العشاء بالمسجد دخلت الى منزلي وبينما أنا جالس  
في مصلاي اذ دخل عليّ شخص طارقاً بي من رؤيته لانه لم يكن من نوع  
الانسان لان رأسه كانت تناطح السحاب وخصيتهاه كبجلين عظيمين فلم أتمالك  
نفسى من الخوف فصحت مستغيثاً بالمهدي فأخذ ذلك الشبح يتقاصر ثم



وعلى أثر ذلك اذعن عبد الله التمايشي لمشورة الحاج لزيير وعدل عن طلب الهجرة الى كردفان للاستقلال باملاكها كما انه من ذلك الحين طرح مرقمته الرثة البالية التي كان يلبسها قبيل وفاة المهدي إظهاراً للزهد ولبس مرقمة من نوع ما كان يلبسه المهدي وتعمم على قلمنسوة مكية كالتي كان يتعمم المهدي عليها وصنع له كوخا من البوص في المسجد على هيئة مقصورة وأمر الناس ان يحذوا حذوه فصنع كل واحد منهم كوخا في المسجد حتى اتصلت الاكواخ ببعضها وأمر الناس بترك صلاة الجماعة في أى مكان كان وان لا يصلى أحد في أم درمان بجماعة غيره وشدد عليهم في ملازمة قراءة (راتب المهدي) في الصباح والمساء

وراتب المهدي هو أوراد وأدعية بعضها من المسبغات التي تنسب لمولانا الامام الدريد ومنها ما هو من الادعية والتوسلات التي تنسب الى حجة الاسلام الغزالي ومع شهرة مصدر هذا الورد التي لا تخفى على غير الاغبياء ادعى المهدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لقنه هذا الورد كلمة بكلمة وحكى من فضائله وثواب من واطب على قراءته خرافات واكاذيب يقصر القلم عن التعبير عن بعضها منها ان من قرأ هذا الورد نزل خمسمائة الف من الملائكة كالذين نزلوا يوم بدر ليحفظوه وينصروه وان تلاوته مرة واحدة تعادل تلاوة القرآن الف مرة ومثل ذلك كثير حتي قال المهدي ان المواظبين على قراءته ينالون مقامات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وكان المهدي شدد في النهي عن قراءة الصلوات النبوية المعروفة باسم دلائل الخيرات مدعيا ان ثوابها نسخ براتبه وسيأتي في غير هذا المكان مصادرة أموال من يتهم بقراءتها والحكم بكفره وأظهر التمايشي للناس تواضعا

جنود الحكومة الى أم درمان لاعادة سلطتها على تلك الانحاء ولذلك عول  
على الاتفاق مع الخليفين على بن حلو ومحمد شريف على ان يقتصروا البلاد  
فيما بينهم فيكون قسم التعايشي إقليمي كردفان ودارفور ويكون للخليفة على بن حلو  
البلاد التي على ضفة النيل الابيض وسائر ما يتبعها ويتبدى ذلك من أم درمان الى  
الجنوب ويكون للخليفة محمد شريف شمال أم درمان والبلاد التي على النيل  
الازرق حتى دنقلا والسودان الشرقي برمته

وقد فاض التعايشي ذينك الخليفين في أمر هذه القسمة فأظهر  
الخليفة على بن حلو استياءه منها وقال ان بلاد النيل الابيض لا تكفيه ولا بد من  
إضافة بلاد النيل الازرق عليها فأبى الخليفة شريف وقال ان الاراضي التي في  
قسمه هي الحد الفاصل بين مصر والسودان ولا ريب انه سيقوم بالدفاع  
عنها ولذلك يجب ان تضاف كردفان الى نصيبه فلم يرض التعايشي بهذه القسمة  
فاعتزقوا وفي نفس كل واحد من الحق على الآخر مالا يوصف

أما التعايشي فكان يمرض ما يدور بينه وبين الخلفاء على الحاج الزبير  
رئيس حراسه وقتئذ وكان من أهالي مديرية بربر فاخذ يثبط عزيمته عن  
اتمام هذه القسمة ويمدح بان البلاد كلها ستخضع له وانه يقدر على جعل  
الملك وراثياً في آل بيته وان الخليفين على حلو ومحمد شريف لا تحشي مغبتهما اذا هما  
غران يخذعان بمثل اكاذيب المهدي وما ينتحله من الخرافات ويقول له ليس  
عليك من حرج ان اتيتهما من هذا السبيل فانهما ان اذعننا لك حفظا كرامة  
المهدي الذي فتح هذا السبيل وان كذباك فان العامة تصدقك كما كانت  
تصدق المهدي ويمكنك ان تذرعه بهذا التكذيب الى اسقاط منزلتيهما  
والايقاع بهما

إذا لا يكون في مقاتلتك فارس غيرك ولا يشك العدو في أنك المهدي  
فيصوب مقدوفاته عليك فترك ركوبها وركبها أحد اتباعه فانهال عليه رصاص  
الجنود كالطائر نحر صريما يتخبط في دمه

ولما سار المهدي الى جبال (قدير) وكان التعايشي بقاريا مثل الاعراب الذين  
التفوا حول المهدي في هاتيك الجبال صار يستعين به على تهذيب اخلاقهم  
وطباعهم واستمالتهم بالطرق التي تجذبهم اليه ومن ثم صار مشيرا للمهدي  
ووزيرا مفوضا اليه كثير من الامور وكان أقارب المهدي يبغضونه ويحتقرونه  
حتى أصدر المهدي المنشور الذي تقدم لنا إرادته بالثناء عليه فكفوا عن أذيته  
وأسروا عداوته

وكان التعايشي يمالئ المهدي ويرضي بالقليل من العيش فكان لا يتطلب  
من بيت المال الا ما يسمح له به أمينه (أحمد سليمان) الذي كان يبغضه ولا يعطيه في  
الشهر اكثر من مائة ريال ويخص الخليفة شريف وأقارب المهدي بالنصيب الاوفر  
من بيت المال وقد رأيت أحمد (دي) عم التعايشي ووالد الامير محمود يتسول على  
منازل الناس وكذلك بقية أقاربه التعايشة الذين كانوا وقتئذ زهاء ثلاثين رجلا ولكن  
ذلك كان قبل ان تفضى خلافة المهديوية الى قريبهم

### خلافة التعايشي

لما توفي المهدي وبويع عبد الله التعايشي ظهرت على الناس الكآبة سيما  
أقارب المهدي وأحمد سليمان بيت المال فانهم كانوا في وجل شديد من مغبة  
انتقامه منهم أما هوفكما قدمنا كان اكثر منهم دهشة وأشدم خوفا من موت  
المهدي وما ينجم عنه من سوء العاقبة وقد أسر الى ذوى قرابته أنه يخشى تقدم

وقد تزوجت بنحو عشرين رجلا والد عبد الله التمايشي أحدهم  
وفي سنة ١٢٩٤ غادر التمايشي بلاده مع والده ممتطين عجلا من البقر  
قد ذللاه بخظام على مألوف عادة البقارة الذين يذلون الثيران والبقر ويحملون  
عليها أثقالهم من بلد إلى أخرى وكانا يقصدان الحج

ولما وصلا إلى بلاد الجمع في الجنوب الشرقي من كردفان توفي والده  
بالجدري ثم مات العجل وبقي التمايشي بلا هابة فاعطاه أحد المشايخ حمارا  
سار عليه حتى لحق بالاستاذ الشيخ محمد شريف ومكث عنده حتى كان  
من أمره معه ما ذكرناه عند الكلام على اجتماعه بالمهدي

وكان التمايشي ذا دهاء وحيل فكان لا يجلس امام المهدي إلا جاثيا على  
ركبتيه منكسا رأسه إلى الأرض حتى انه كان يزعم أنه لم يقع بعصره أبداً على  
وجه المهدي وكثير من البسطاء يعتقدون صدقه

وكان يشجع المهدي على دعواه ويصف له قبائل دارفور وما عندهم من  
العدد والعدد وما هم عليه من الجهالة وما يمكن ان يصادفه من نجاح  
دعوته بين ظهرائهم فسر به المهدي وأمره بالعودة إلى بلاده كي يحضر  
أمراته التي كان تركها في بلاده فذهب وعاد بها ومكث عند المهدي حتى صارت  
واقعة (آبا) ويقول البعض ان المهدي أصيب برصاصة في ذراعه فإشار عليه  
التمايشي باخفاء جراحه لئلا يعتقد فيه من حوله انه ليس ذا خاصية تميزه عنهم  
فصدع بمشورته

وعندى ان هذا القول عار عن الصحة لانه لو أصيب المهدي في تلك  
الواقعة لما اطلع عليه التمايشي وحده حتى يلقنه هذه الشعوذة والحقيقة التي سمعها  
ان المهدي اراد ان يركب فرسا في تلك الواقعة فقل له التمايشي



وكان جده يحفظ القرآن وكذلك والده ولندرة من يحفظ القرآن في  
 قبيلة التعايشة حاز أبوه شهرة كبيرة لكنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال  
 بل كان قوام معيشته من صدقات أولى البر والاحسان

وأما لقب (تورشين) فعناده الثور القبيح الحلقة وهذا اللقب من ألقاب  
 الفروسية بينهم وكلمة الثور منتهى المدح على الشجاعة عندهم أيضاً  
 ومن عوائد التعايشة في صيد الأفيال أن من اصطاد منهم فيلاً يقوم  
 امرأته وسط الحي وتصرخ لسكانه وتقول أن زوجي الثور ابن النور اصطاد  
 فيلاً فهلموا إلي أخذ نصيبكم من لحمه فينسلون إلى الفلاة وهم يترنمون بالاناشيد  
 في مدح ذلك الثور الذي قتل لهم الفيل ومن مزرعاتهم الدخن والفاصولية  
 وعندهم نبات يشبه الارز ينبت في الفلاة دون أن يزرعه أحد

وبجوار قبيلة التعايشة قبيلة من العبيد يطلق عليها اسم (بنضله) بينهم  
 وبين التعايشة صلة المصاهرة والقرابة وبجوار (الساكة) بحيرة يصطادون  
 منها السمك فيتركونه حتى يتعفن وتكثر ديدانه ثم يدقونه في الأهوان  
 ويصنعونه أقعاً كأقاع السكر الأحمر ثم يطبخونه مع البامية الناشفة (الويكة)  
 وهذا النوع يسمى (مندجي) وكان التعايشي يحب هذا الطعام كسائر  
 قومه وقد سمعته مرة يعط أقاربه التعايشة قائلاً لهم «ان القصعة في الجنة  
 يبلغ عرضها مابين أم درمان وجبال قديروهي مملوءة بطبخ المندجي أو المصيدة»  
 وأم التعايشي اسمها أم نعيم وكانت ذات شهرة بين التعايشة لانهم  
 يمتقدون فيها اتقان الشعوذة فكان الناس يقصدونها للرقية وأخذ العروق التي  
 يمتقد أهل السودان أن لها خواص للمحبة وقضاء الحوائج وإلجام أفواه  
 الحيات والهوام السامة



ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وقال له عليك السلام يا مهدي الانام  
انك لجدير بهذا المقام وانك افضل من بعض الانبياء صلوات الله وسلامه  
عليهم اجمعين وكان كثير من الجهلاء ينادونه بالنبوة والرسالة فلا ينهائم وربما  
تبسم علامة على الاستحسان

ولكن وجملة القول ان المهدي على ما كان فيه من الزيغ والاحاد والزندقة  
وفقدان الذمة فانه كان احسن سلوكا من عبد الله التعايشي وقد احسن الاستاذ  
الشيخ محمد شريف حيث قال مهما يكن المهدي ضالا مضلا فانه خير من  
عبد الله التعايشي وان قال غيره ( ان عبد الله التعايشي سيئة من سيئات المهدي )

### ترجمة عبد الله التعايشي

نورد هنا ترجمة عبد الله التعايشي الذي افضت اليه خلافة المهديوة  
وبعوته انقرضت دولتها وركدت ريجها

ولد عبد الله التعايشي بجمعة ( الكلكة ) جنوب دارفور وبالقرب من  
(شكا) من قبيلة بدوية اسمها (التعايشة) تسكن هذه الجهة وتعيش بالبان ماشيتها  
التي جلبها من البقر ولذا يطلق عليها اسم ( بقارة ) كما تبيع من لحوم صيد  
ضواري الحيوان كالفيل وغيره

على أنه لم تكن قرابته لهذه القبيلة الا من جهة الارحام فقط  
لان جده المدعو بعلي كان دكروريا استوطن بلاد التعايشة وتزوج  
امراة منهم فولدت له محمدا المشهور بلقب ( ثور شين ) والد عبد الله  
التعايشي واخوة اقدم احمد المشهور بلقب ( دي ) وهو والد الامير محمود اسير  
واقعة ( ابره )

وقد خرج من الدنيا ولم يدخر لاولاده شيئاً من المال كما انه لم يترك  
عند نسائه حلياً ولا شيئاً من ضروب الزينة لانه قد كان حرم على النساء التحلي  
بجلى الذهب والفضة وغاية ما يتحلى به خرز من الزجاج والمرجان  
هذا وقد ذكرنا انه أبطل تقليد المذاهب الاربعة وأصدر للناس  
منشورات ضمنها كثيراً من العبادات والمعاملات

ومن غرائب مذهبه انه تعمد الاجحاف بحقوق النساء في كل ما لهن  
وما عليهن فقال لا يلزم الرجل بنفقة امرأته مادام من المجاهدين في سبيل  
الله وقال ان مهر العذراء لا يزيد على عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة ريالات  
ومن زاد على ذلك صودرت أمواله. وكان يجبر أولياء المرأة على تزويجها بأى شخص  
كان من غير نظر الى كفاءة أو تعادل بين الزوجين مادام الزوج من المجاهدين  
في سبيل الله. وبالجملة فان النساء في مذهبه ك مخلوق ليس من نوع الانسان  
وقد سار اتباعه على سيره فكنت ترى عشرات النساء اللواتي أخذهن الامراء  
سبياً من الخرطوم وغيره من المدن يتضورن جوعاً داخل البيوت ولا يقدم  
لهن أولئك الامراء غير قليل من طعام الذرة فاذا ضعفت احداهن وشوه  
الجوع محاسنها أعطاهم مولاها اذن بالذهاب الى منزل أهلها ان كان لها أهل  
فيطمعونها حتي تستعيد نضارتها فتعود الى منزلها

ولقب المهدي عبداً من عبيده بلقب ( خليفة زيد بن حارثة ) رضي الله  
عنه ولقب آخر كان يؤذن له ( بخليفة بلال المؤذن ) ولقب كثيراً من أصحابه  
باللقاب خلفاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وكتب منشورا في كردفان  
أمر فيه الناس أن لا يذكروا اسمه الا مقرونا بالسلام كالانبياء عليهم السلام  
وكانوا قبل ذلك يذكرونه مقرونا بالرضوان ثم كتب منشوراً آخر قال فيه

الطعام وكثيرا ما كان يربط على بطنه حجرا حتي ذاع بين الناس ان الذين يأكلون  
الاطعمة الفاخرة كفار لا نصيب لهم من الاسلام ولذلك صار كل أحد يجتهد  
في اخفاء ما عنده من الاطعمة الدسمة. ولا يخرج امام الناس الا خبز الذرة  
بادام الماء والملح أو (البائلة) وهي من حبوب الذرة تصلق بالماء وكان المهدي  
لا يخرج أمام الناس من طعامه غير هذين الطعامين

وقد تغالي المهدي في إظهار الزهد في الأطعمة حتي انه منع إيقاد نار  
في بيته لطبخ أو خبز مدعيًا ان ذلك يناهى التوكل على الله وكان الناس يقدمون  
له الاطعمة هدية فكانت ترى القصع محمولة الى منزله كل يوم تعد بالمئات  
فيتناول النساء منها حاجتهن بغير ان يشتملن بطبخ أو خبز

وأما الطعام الذي يتغذى به المهدي فانه يصنع كل يوم في منزل أمين بيت المال  
فكان يذبح الخرفان الحولية ويصنع ما يتبعها من الحلوي والقطائر وسائر الاطعمة  
الفاخرة وهرسلها الى منزل عائشة بنت ادريس وهي تقدمها الى المهدي وقت  
افراده في غرفته فكان لا يترك من الخروف الحولي غير عظامه عدا ما يتناوله  
من الاطعمة اللذيذة وقتي الغداء والعشاء أما الفطور فانه كان يتناول فيه  
أوانا كثيرة كلها من الحلوي فمنها انهم يمزجون رطلا من السمن بمثله من  
العسل ويضعونه على اللبن ويطبخونه مع دقيق الحلبة وتارة مع دقيق  
الدخن وأخرى مع دقيق البر ولا يكاد يشرب ماء الا ممزوجا بحامض  
لبن الابل مع السكر ومع هذا الانفاس في الملاذ كان يظهر أمام الناس بمظهر  
القناعة والزهد والتقشف كانه لا يملك من نعم الدنيا غير صرخته التي هي واحدة  
وكان يكثر من التطيب بالروائح الحارة مثل عطر الصندل والحلب فكانت رائحته  
تشم من البعد والبسطاء يعتقدون انها رائحة الجنة تتزوع من عرقه

من بنات اعيان المصريين في الخرطوم والبقية من الجواري اللواتي كن ومسات  
فانه كان ذالوع شديد بهن حتى انه كان كلما فنجح بلدا ضم الي محظياته المشهورات  
من مومساتها . وكان كثير الشبق شديد الولوج بالنساء وطريقة اجتماعه بهن  
انه يسكن غرفة منفردة فيها ونساءه الاربع يتولين تطيب ببقية النساء وتقديمهن  
له في غرفته فيختار منهن من يشاء

وعلى ذكر نساء المهدي وما استرسل فيه من قضاء الشهوات البهيمية  
وكيف انتهك الحرمات في سبيل قضاء الاوطار نذكر هنا انه كان لا يضع يده  
في يد امرأة ليست من نسائه ولا من محارمه وكتب منشورا قال فيه . من  
صافح امرأة ليست من محارمه بانه يجلد ثمانين جلدة لسوط وتؤمر بصيام  
شهرين متتابعين . فليتأمل القارئ كيف ساع له التمتع بالخرائر كموطوات  
بملك اليمين وكيف تغالي في عقوبة من صافح امرأة ليست من محارمه وقد زاد في  
منشوره ( ولو كانت المرأة طاعنة في السن أو صغيرة غير مشتهاة ) أفلا يصح  
بعد هذا انطباق المثل المشهور عليه ( يستفتى في الابرة ويبلغ المدرة )

وأما أولاده الذكور فيبلغون العشرة وكان عمر اكبرهم لما توفي هو حوالي  
العشر سنوات والبقية اطفال ليس لهم أهمية تستدعي ذكرهم ولكننا نذكر ثلاثة  
منهم وهم الفاضل ومحمد والبشري وأمهم فاطمة بنت أحمد شرفي التي توفيت  
في جبال (قدير) ويكنى المهدي بأولاده الثلاثة المذكورين وتكنيته باسم الثالث  
أكثر شيوعا مع انه أصغر الثلاثة وذلك لانه ولد في جزيرة (آبا) في مبدأ  
دعوى المهدوية وزعم المهدي انه بشر بالمهدوية ليلة ولادته ولذلك سمي البشري  
وأما أطمعة المهدي فان الكلام عليها غريب في بابها فقد كان يظهر  
الزهد وعدم الميل الى الاطمعة وبكثير التنديد بالذين يأكلون غير ما خشن من



لزوجها رغبته في أخذ أوراد الطريقة عن المهدي فأذن لها ولقنها المهدي أوراد  
الطريقة فظهرت بمظهر الزهد والعبادة وفرت من بيت زوجها ولحقت بالمهدي  
في جزيرة (آبا) فادر كها زوجها وسألها عن سبب خروجها من بيتها فقالت  
اني لأقوى على التقيد بقيود الزواج لاني أصبحت لأميل لغير العبادة  
والانقطاع للصوم وقيام الليل فلم يشك زوجها في أنها كذلك فسألها بقاءها  
على ذمته بغير أن يطلقها على شرط أن تذهب الى حيث شاءت فبكت وقالت  
اني أخشى أن يعاقبني الله على عدم رعايتي حقوق الزواج ولذلك أتوسل  
اليك بحرمة شيخي وشيخك هذا وأشارت الي المهدي أن تطلقني فطلقها  
ورجع الى منزله وكان هذا كله مدبراً بينها وبين المهدي وقبل أن تنتهي العدة  
الشرعية سمع صالح الحجازي ان مطلقة تزوجت بشيخه وشيخها فاحتدم غيظاً  
وحمل السلاح وهجم على المهدي وأطلق عليه الرصاص فأخطأه وكانت فاطمة  
بنت حسين هذه في منتهى الجمال بيضاء اللون

وكان صالح الحجازي المذكور قد حضر معنا حصار الخرطوم وقص علينا  
هذه القصة بغير زيادة ولا نقصان

ورزقت فاطمة المذكورة من المهدي بنتاً اسمها مريم وهي التي تزوجها  
التعاليشي بعد فراق اختها كلثوم

ولما سقطت الخرطوم اكرم المهدي صالحاً الحجازي ولم يعاقبه بشيء  
وأصدر أمراً بعدم مصادرة شيء من أملاكه وبعدم نهب أمواله وكذلك  
بنت عمه اكرمه وأهدت اليه هدايا كثيرة من الاموال والجواري والخيول  
وسوى هاته الاربع نسوة نحو ثلاثين من بنات اعيان السودان اهداهن  
له آباؤهن مثل بنت محمد احمد ام برير التي تقدم لنا ذكرها ونحو ثلاثين امرأة



التماشي بعد وفاة المهدي

والثانية فاطمة بنت أحمد شرفي الدنقلاوي كانت زوجة أخيه محمد الذي قتل في واقعة الأبيض وكان المهدي متزوجا بأختها وله منها عدة أولاد فماتت أختها وقتل زوجها فتزوج بها المهدي وجعلها من أمهات المؤمنين ولم ترزق منه غير ولد اسمه الكامل مات رضيعا ولها أم اسمها حليلة كانت تتزين بزى الرجال وتتقلد السلاح وتركب الخيل وكانت تصدر الوعظ في مجالس الرجال وتقول لهم تمسكوا بالله ورسوله ومهديه وابن مهديه الكامل وأم المؤمنين والدته وجدة الكامل فانه لانجاة للانسان في الآخرة الابوؤلاء فأحضرها التماشي وزجرها ومنعها من مخالطة الرجال وتوعدها ان عادت الى مقاتلها هذه فصعدت بالامرأته ولكنها لما خرجت الى الناس قالت لهم ان التماشي يحسدني كما حسدت قریش النبي صلى الله عليه وسلم

والثالثة فاطمة بنت حاج وهي بنت عمه التي تقدم لنا ذكر زواجه بها في الخرطوم وانه طلقها لما ألت عليه بوجوب السمي للارتزاق من صناعة المراكب ثم راجعها بعد خاقه بجزيرة (آبا) وبعد زواجه بنت أحمد شرفي. وله منها ثلاث بنات تزوج عبد الله التماشي باحدهن بعد وفاة أبيها وتزوج الثانية الخليفة على حلو

والرابعة فاطمة بنت حسين الحجازي وهي مصرية من أهالي مديرية الحدود استوطن أبوها في جهة تقرب من جزيرة (آبا) وكانت متزوجة بابن عمها صالح الحجازي وكان المهدي قبل دعواه يختلف الى بيت زوجها الذي كان مریدا له وكان لا يحبها عنه لفرط اعتقاده في صلاحه فأظهرت

فلنسوة من نوع مايتعمم عليه أهل مكة وعمامته كبيرة منفرجة من الامام يرسل عذبة منها على منكبه الايسر حتى تتجاوز سرتة ويضع على منكبيه رداء من (الدمور) ويتمنطق بمنطقة من الخوص أو بخرقة من الدمور ويلبس نعلا تشبه نعال أهل مكة مصنوعة في السودان وكان لبسها مخصوصا بالاعراب والضعفاء ويطلق عليها اسم (الشقيانة) اي نعل الشقاء فأبدل هذا الاسم باسم (السعيدانة) اي نعل السعداء ويحمل على الدوام في يده اليسري أو على منكبه الايسر سيفا زعم انه سيف النصر الذي أهده له النبي صلى الله عليه وسلم ويتوكأ على هراوة طويلة مصنوعة من النحاس مكسوة بجلد أو هراوة من النوع المعروف باسم (خيزران)

هذه أوصاف المهدي أوردناها هنا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولكنها كلها صور خيالية تبعد عن الحقيقة بعبد السماء من الارض ولذلك لم نأت بصورة منها في هذا الكتاب لعلنا بعدم انطباق واحدة منها على شيء من صفات المهدي وكذلك كل صور التعاشي خيالية أيضا لا تقرب من الحقيقة مطلقا

وتوفي المهدي وعنده مائة امرأة وعشر منهن أربع أطلق عليهن اسم أمهات المؤمنين . احدهن عائشة بنت ادريس وأصلها من بلاد دكرور في السودان الغربي تزوج بها في جبال (قدير) علي أثر موت زوجها قتيلا في واقعة يوسف باشا الشلاحي واسمه آدم الاعيسر وكان متزوجا أيضا بزينب بنت المهدي وبعد قتله تزوج بها الخليفة شريف

وكان المهدي يقول ان عائشة بنت ادريس بمنزلة عائشة بنت أبي بكر رضي الله الله عنهما وولدت له أنثى اسمها زهراء تزوج بها يعقوب شقيق

الطريقة السمانية في الاقطار السودانية الشيخ أحمد الطيب  
وصار من أمره مع استاذة ما أوردنا طرفاً منه آنفاً وفي إبان دعوته  
سراً أبلغ الاستاذ الشيخ محمد شريف الحكمدارية كل ما دبره فلم يلتفت  
الحكمدار محمد رؤف باشا الى بلاغه مع انه أطلعه على كل مخباته وما عقده  
مع الرؤساء في جهات النيل الابيض وكردفان من اليهود وما أخذه عليهم  
من الموائيق

ولما ظهر بدعوته في جزيرة (آبا) أرسل بلاغا الى الحكمدارية ثم تلتها  
واقعة (آبا) فانبرى لتكذيبه عدد ليس بقليل من العلماء فالفوا الرسائل مشحونة  
بالادلة الشرعية على بطلان تلك الدعوى وكذب مدعيها

ولما كانت تلك الرسائل مما يتعذر علينا إيراد بعضها هنا اكتفينا بالإشارة  
اليها فراراً من التطويل الذي يملأ القراء

ومن هاته النصائح قصيدة ألفها استاذة الشيخ محمد شريف أبان فيها  
أحواله في بداية أمره حيث قال انه كان صواماً قواماً لا ينام الليل منذ  
دخل في سلك الطريقة . وكان نهما يأكل كثيراً ولكنه منذ بداية أمره كان  
يخفي شره ليظهر امام الناس بالقناعة والزهد

وكان يلبس المرقعة مثل سائر دراويشه . أما اوصافه فانه كان طويلاً القامة  
أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مفتول الساعدين ضخمة الجثة عظيم  
الهامة واسع الجبهة أقنى الانف واسع الفم والعينين مستدير اللحية خفيف  
العارضين أسنانه كاللؤلؤ وفي الفك الأعلى فلبة بين الاسنان حتى كنى  
بابي فليج

وبالجملة فانه كان ذاصورة جميلة جداً بين السود أمثاله وكان يتعمم على

فدخل على في وقت العصر وقال لي يا ابراهيم فوزى فقلت نعم فقال ان المهدي قد مات فكذبت أطير فرحا لكنني أخفيت ذلك وابتدر الى ذهني ان ذلك الخصى ربما كان مدسوساً على للوقوف على مبلغ شماتي بموت المهدي فأجبت على الفور بأن قلت له كذبت أيها العبد لان المهدي لا يموت قبل ان يفتح الدنيا كلها ولا يموت في غير المدينة المنورة

وقد كتب التعايشي والخلفاء وأقارب المهدي منشوراً بنعيه الى جميع الجهات ملأوه بخرافات يضيق المقام عن سردها منها أنهم قالوا انه اختار الرفيق الاعلى ومنعوا من القول بانه مات انما يقال انتقل من دار الدنيا الى نعيم الآخرة وانه استخلف التعايشي وأوصي بطاعته وفي المنشور تفسير لما وعد به المهدي من ملك الدنيا كلها حيث قالوا ان ذلك سيتم لاصحابه وعملوا ذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بصيرورة ملك كسرى وقيصر له ولم يحصل ذلك بالفعل الا في ايام خلفائه رضوان الله عليهم أجمعين

وقد اضطربت الروايات في مرض المهدي وموته فقال البعض انه مات مسموماً من احدى النساء اللواتي أخذهن سبياً من الخراطوم ولكن الحقيقة هي التي أوردناها اذ لم يتناول المهدي سما ولا غيره بل مات بالحمي التيفوسية كما تقدم

### ذكر طرف من سيرة المهدي

كان المهدي صاحب دهاء وحيل ولكن المتأمل اللبيب يجد في اخلاقه شيئاً من البله مع طموح للمعالي وقد أوردنا في ترجمته انه كان مريداً عند الاستاذ الشيخ محمد شريف بن الاستاذ الشيخ نور الدائم بن الاستاذ قطب

مات فيها وقالوا انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن حيث قبض كما  
دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض

ومن جهالتهم انهم لم ينزعوا مرقعته عنه بل غسلوه من فوقها كما غسل صلى  
الله عليه وسلم وكفن في ثوب واحد من خرقة (الدمور)

وفي منتصف الساعة العاشرة صلى التعايشي بالناس صلاة الظهر ثم  
استدعى نحو عشرين رجلاً من أقارب المهدي ودخل بهم الى الغرفة  
واصطف الناس خارج الغرفة وبينهم وبين المسجد جداران فكانوا يسمعون  
التكبير متقطعاً من الغرفة فيكبرون وهكذا ظل الناس يكبرون على تكبير  
من في الغرفة من الساعة العاشرة الى منتصف الساعة الثانية عشرة حتى تجاوز  
عدد التكبيرات الثلاثمائة ثم انقطع التكبير حيث دفن الميت

وبلغني ان الخليفة على حلق قال ان هذه التكبيرات قليلة بالنسبة لما هو  
واجب لمقام المهدي

وبعد ان ووري بالتراب خرج التعايشي الى الناس ورقى المنبر وتلا  
الآية «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الخ» الآية ثم بايعه الناس وليس  
فيهم من يجسر على القول بان المهدي مات كأنهم يجلبونه عن هذا الامر وكثير  
من الدراويش هموا بقتل من فاه بهذا الخبر امامهم

هذا وقد ذكرت ان الاطباء الذين باسروا علاجه اخبروني باستحالة شفائه  
وكنت اتوقع حصول فشل كبير وخلف عظيم بين اتباعه حتى انني لزممت  
كوخي في يوم وفاته وأنا مترقب من وقت الى آخر ان يبلغني شيء أسرّ به وكان  
لي خصي أخذ مني وصار من خصميان دار المهدي وكان بعد خروجه من يدي  
يحتقرني ويهينني ولا يخاطبني بغير (يا ابراهيم فوزي) ولذلك كنت اكره لقاءه



لا يؤمل من الناس الانقياد له لان موت صاحبه جاء مكذبا لكل الدعاوي التي كان ينتحلها لنفسه ويعد الناس بها ولذلك كان التعايشي مع الخلفاء في الشوري كاستطلاع لأفكارهم ومراقب لما يبدو منهم من الهلع وعدم الثبات فأشار واحد منهم بوجوب اخفاء موت صاحبهم واصدار منشور باسمه يقول فيه انه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة الاعتكاف على العبادة الى أجل غير معلوم وذلك اعتمادا على منشور صغير اصدره قبل مرضه بثلاثة أيام قال فيه « انني نصبت لكم الخلفاء ووليت عليكم النواب والامناء وجعلت الامراء تابعين للخلفاء فلا تقصدوني لقضاء شيء من مآرب الدنيا بل اتركوني للاشتغال بامور العبادة والانابة الى الله وكونوا على علم بان ماتمذر قضاؤه على الامراء والنواب والامناء والخلفاء فان قضاءه متعذر على ايضاً »

هذه خلاصة ذلك المنشور وقد نقل اليّ ثقة ان عبد الله التعايشي بعد ان سمع ما أشار به زملاؤه الخلفاء انصرف من مجلسهم وهو مضطرب كريشة في مهب ريح واجتمع بأناس من خواصه وقص عليهم أمر وفاة المهدي وما أشار به الخلفاء فاظهروا له سوء مغبة هذا الاخفاء بعد ان يقف الناس عليه لانه مامن خفي الآسيعلن وان الاقرب الى السلامة أن يعلن امام الناس وفاة المهدي والبيعة لنفسه فلقنه الشيخ المكي ابن اسماعيل الولي من مشايخ الابيض الجملة التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي « من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » ولكنه أبدل محمداً بالمهدي في القائه فخرج على الناس باب المهدي وقال لهم هذه العبارة فتقدم الشيخ المكي وبأيعه وبأيعه الحاضرون وهم يبلغون عشرة أشخاص ثم احتفروا قبراً في نفس الغرفة التي

بالناس وصلى بهم وهم في غاية الاستغراب من جهله بالقراءة وتحريفه ألفاظ القرآن  
وفي يوم الاحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي فكان  
ينظر الى من حوله من النساء نظرا يدل على الحسرة على فراقهن وكأنه  
يخاطبهن بقوله «ما كنت أحسب ان هادم اللذات يزورني قبل ان اتمتع بثمار  
فتوحاتي واتلذذ بالامر والنهي في المملكة الواسعة التي شيدت بناءها  
بعد معاناة احوال تشيب الطفل الرضيع» وكان يرفع صوته مستغنيا قائلًا  
«لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» وكان يتجرد من ملابسه  
ويامر بالماء البارد فيصب على بدنه وبات ليلة الاثنين وحالته تنتقل من سيئ  
الي أسوأ ولا علم لاحد من الناس باشتداد وطأة المرض عليه غير الخلفاء وأمين  
بيت المال وبعض ذوي قرابته

وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ عند أو اخر الساعة الرابعة  
على الحساب العربي فاضت روحه وهو ملق على الارض محاط بخلفائه  
ونسائه وبعض ذوي قرابته فصاحت بنته زينب امرأة الخليفة شريف وهي  
اكبر بناته فوثب عليها زوجها ولطمها فسكتت وصاح احمد سليمان امين بيت  
المال وخر مغشيا عليه حتي ظنوه قد فارق الحياة. أما الخلفاء فانهم اجتمعوا حوله  
وتشاروا فيما يكون من امرهم فظهر كل منهم تخوفه من افتضاح امرهم وان  
موت المهدي لابد ان يكون دامنبة سيئة إذ به يظهر للملا كذبه فيما كان يمدح  
به من فتح البلاد واملاك الارض كلها مما هو واضح على صفحات منشوراته  
التي تقدم لنا ايراد كثير منها

وكان عبد الله التعايشي مندهشاً بعامل الفرح من جهة لان المهدي  
أوصى له بالخلافة وهو في الرمق الاخير من حياته ومن جهة أخرى كان

جلهم مسلحون بالبنادق وأعطاه مدفعاً جبلياً وذخيرة  
وما كاد أبو عنجة يسير من أم درمان عشر مراحل حتي بلغه نعي المهدي  
فكتب يستشير التعايشي في متابعة السير أو الرجوع فأشار عليه بالمضي لوجهته  
فتابع سيره وغزا الجبال وغنم شيئاً كثيراً من الماشية والنفوس وكان يرسل  
للتعايشي خمسها ولاخيه يعقوب بعضاً منها حتي كان من أمره مع محمد خالد  
زقل ماسعود الي ذكره فيما يأتي

### ذكر مرض المهدي ووفاته

في ليلة الاربعاء لاربع ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هجرية  
أصيب المهدي بأعراض حمية وفي مساء الغد ذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكثر ثوا  
به لانهم واثقون بما كان يمدهم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر  
والشام والسكوفة والحجاز

وفي يوم الخميس الخامس من شهر رمضان اشتدت به أعراض الحمى  
فجئ اليه باطباء مصريين فقرروا ان الحمى من التيفوس وان حالته خطيرة  
ووصفوا له العلاج ولما خرجوا من بين يديه زاروني بمنزلي وأخبروني بأنه  
لا يرجي له شفاء

وفي صبيحة يوم الجمعة أمر الخليفة عبد الله التعايشي أن يخلفه في صلاة  
الجمعة خلافا لعادته فانه كان لا يستخلف في الصلاة غير الخليفة علي حلو وكثيراً  
ما كان يستخلف رجلا من أهالي بربر اسمه احمد الجعلي فقييل له ان الخليفة  
عبد الله أمي لا يدرى الكتابة والقراءة فكيف يخطب بالناس فقال لهم ادفعوا  
له ورقة الخطبة وصره فليقرأ منها كلمتين أو كلمة فدفعوا له الورقة وخطب

منتظما في سلك عساكر الباشبوزق في دارفور بوظيفة ( بولكباشي ) أي قائد  
خمسة وعشرين جنديا

ولما لحق المهدي بجبال ( قدير ) كان أبو عنجة جايًا للحكومة في إحدى  
جهات دارفور فاغتال مبلغا من الضريبة وفر بها إلى المهدي وهناك اجتمع  
مع عبد الله التعايشي وصار من حزبه فجعله قائداً على ( الجهادية ) وصار من  
أكبر انصار عبد الله التعايشي وسيأتي انه فتح ( قندر ) من مدان الاحباش الشهيرة  
وعلى كل حال فان أبا عنجة ذو طباع شريفة وخلال حميدة ميمون الطالع  
ذودهاء يعرف به كيف يتمكن من امتلاك قلوب الرجال بالاحسان واللين  
ومن ألطف ما سمعته من ثقة ان المهدي أهدي أبا عنجة امرأة حسنة  
كان أبوها صنيحاً فاستاء أهلها وقالوا اذا وطئت بنتنا بملك اليمين أفلا تكون  
تحت حر بدل أبي عنجة العبد فنقل اليه الخبر ومع انه كان قادراً على التكيل  
بهم لم يفعله بل استدعى أم زوجته وأعطاه ألف ريال وجواري وملابس  
وهكذا فعل ببقية اصهاره ثم دس من ينقل أخبارهم له فقيـل لام زوجته  
ان صهرك عبد فقالت انه والله فوق الاحرار وقيل لصهره مثل ذلك فقال  
« انما أصل الفتى ما قد حصل » والخلاصة انه أرضاهم بالاحسان والحر كما لا يخفى  
اسير الاحسان

وقد أوردنا هذه العبارة للدلالة على دهاء أبي عنجة وان النجاح الذي  
صادفه في جميع أحواله لم يكن غير نتيجة أعماله من أمثال هاته النادرة  
وفي شعبان سنة ١٣٠٢ هـ أبدى التعايشي للمهدي رغبته في انفاذ حمدان  
أبي عنجة إلى جبال ( النوبة ) حوالي كردفان للغزو وجلب الارقاء والماشية  
فوافق المهدي على رغبته وسافر حمدان أبو عنجة في خمسة عشر ألف مقاتل

تلك الجزيرة وقد ردد غردون صدى تلك الاشاعات في جريدته التي كان  
تكتبها يومياً زمن الحصار

وفي ذات يوم قال لي مامعناه «اني أرجو ان تحقق هذه الاشاعة حيث  
يكون من وراء تحقيقها ما يخفف عنا ويلات شدة الحصار» ويظهر ان المهدي  
لفرط دهانه كان يهد لنفسه اعتذاراً للتقهقر الى الوراء اذا اضطر له يوم ما فكان  
يذيع بين الناس انه مأمور بختان أولاده في جزيرة (آبا) لكي اذا اقتربت الحملة  
الانكليزية من الخرطوم دون ان يظفر بها تقهقر راجعاً وأظهر للملأ ان هذا  
التقهقر لختان أولاده لاجل ان عدم قدرة على الوقوف في وجه الحملة الانكليزية  
ولكن قدّر انه ظفر بالخرطوم وأمن شر الحملة الانكليزية فقام  
معالم الافراح لختان انجاليه في أم درمان وذبحت نحو مائة بدنة من الابل  
ونحو مائتي رأس من البقر والغنم وذلك غير ما قدمه الامراء من الهدايا  
والمطاعم . وبالجملة انه اظهر في ذلك الاحتفال أبهة الملك والفني بالرغم عن  
تظاهره بالتباعد عن تلك الاحتفالات وكان يزعم ان أمين بيت المال هو الذي  
قام بها من عنده دون ان يكون المهدي عالماً بشيء منها

وكان أمين بيت المال يذيع ان المهدي كان لا يتناول شيئاً من خمس  
الغنائم الذي يخصه بل كان يفوض له انفاقه في سبل الثبر والاحسان وانه  
انفق منه نفقات الاحتفال بختان أولاد المهدي الذي تم في السابع والعشرين  
من شهر رجب سنة ١٣٠٢

ذكر تعيين حمدان ابي عنجة على جبال كردفان  
حمدان أبو عنجة قائد الجهادية وأصله مولى من موالى التعايشة وكان



أو امر المهدي المتضمنة تعيينه أميراً على قبيلة العباددة  
ولما وصل حسين باشا خليفة الى مصر صممت الوزارة على معاقبته فوجد  
بين أعضاء الوزارة من دافع عنه وأقنع زملاءه بوجوب ترك معاقبته حيث  
انه جاء طائعاً مختاراً ثم كان من أمره ما نحن في غنى عن ايراده

### ذكر ضرر بخانة نقود المهدي

ذكرنا المقادير العظيمة التي غنمها المهدي من الخراطوم من الذهب والفضة  
وفي أواخر شهر جمادى الاولى جمع أمين بيت المال الصياغ وأمرهم أن  
يضربوا نقوداً من الذهب على شكل الجنيه المصرى مكتوباً على صفحة منها  
(ضرب في مصر) وعلى الصفحة الثانية الطغراء العثمانية كما هو شأن الجنيه  
المصرى وزنة هذا الجنيه نحو ثلاثة دراهم من الذهب السناري الذي لا يشوبه  
أقل زغل وقيمه مثل قيمة الجنيه المصرى أى مائة قرش وأن يضربوا رايالاً من  
الفضة زنته ثمانية دراهم منقوشاً على وجهه (ضرب في الهجرة) وعلى الوجه الثانى  
طغراء نقش فيها « بامر المهدي » وقيمة هذا الريال عشرون قرشاً مصرياً  
وبعد وفاة المهدي جمع التعايشي هذه المسكوكات وابدلها بالريال الذي  
سماه « مقبول » وسيأتى ذكر ذلك في مكانه

### ذكر ختان اولاد المهدي

كثيراً ما كان يبلغنا ونؤمن محصورون في الخراطوم ان المهدي مصمم على ختان  
أولاده في جزيرة (آبا) التي جاءته مرتبة المهدي فيها وكثيراً ما نقل لنا الجواسيس  
انه كان يقول لا تباعه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بختان أولاده في

وقال له كما أنني أطلب له العفو من المهدي فأنني أطلبه منك أيضاً لأنك خليفة  
الصدوق وأمير جيش المهديّة المشار اليه في الحضرة النبوية فنبسم التعايشي  
بسبب هذا المدح وقال له ان عفوي لا يكون ان تبعا لعفو المهدي فاجابه المهدي  
بأنني عفوت عنه وأمر بادخاله ونفض التراب عن رأسه وباطلاقه من الجزير  
ثم بايه البيعة المعلومة والقي عليه التعايشي تنبيهات فخواها أن لا يفارق معسكر  
المهدي حتي المات وسنعود الى ذكر ما حاق به بعد موت المهدي حيث  
قتله التعايشي صبراً وأفنى قبيلته كلها وصادر جميع أموالها والدوام لله

### ذكر تعيين حسين باشا خليفة

داعية من قبل المهدي في قبيلة العبابدة

تقدم لنا ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر وكيف كان سقوط المديرية  
على يده. ونقول الآن ان حسين باشا المذكور غادر بربر على اثر سقوطها ولحق  
بالمهدي في كردفان فلتقاه بالاكرام وعامله معاملة صديق لا معاملة أسير حتي  
سقطت الخرطوم . وكان من يومئذ يتودد لعبد الله التعايشي ويظهر له  
الاخلاص ويعرض عليه قدرته على القيام بدعوة المهديّة بين قبيلة العبابدة التي  
تسكن حوالى اسوان

وفي شعبان سنة ١٣٠٢ كتب له كتاباً بالامارة على قبيلة العبابدة فسار  
من أم درمان في منتصف شعبان حتى اذا صار على مقربة من « ابو محمد »  
وصل اليه كتاب من عبد الله التعايشي يدعوه الى العودة الى ام درمان  
فعلم ان سبب ذلك وفاة المهدي فتابع سيره حيث لم يكن بينه وبين الخروج  
من منطقة نفوذ المهديّة غير يوم وليلة حتى بلغ الحدود المصرية آمناً وسلم للحكومة

شروط الصلح والثاني بصفة أمين لبית المال

فساروا قاصدين كسلا وما كادوا يبلغونها حتى فاجاهم نعي المهدي الذي بث في الحامية روح الثبات وأخذت تماطل في وضع شروط التسليم ريثما يصلها الرأس ألولاء الحبشي الذي عاهد الحكومة الخديوية على انقاذ حامية كسلا وكان من أمره ما نأتى عليه ضمن حوادث تلك المدينة حتى سقوطها الذي حصل بعد وفاة المهدي



ذكر وفوت عوض الكريم ابي سن زعيم الشكرية علي المهدي ذكرنا ما كان من أمر عوض الكريم ابي سن زعيم قبيلة الشكرية وامتناعه من الدخول في دعوة المهدي واعتصامه بقبيلته في صحراء (ريره) بين النيل الازرق ونهر (اتره)

ولما سقطت الخرطوم انفذ المهدي جيشا يبلغ ستة عشر ألف مقاتل الى قرية (رفاعة) ليزحف منها الى صحراء (ريره) حيث يلتقي بعوض الكريم ابي سن الذي فر من وجه الجيش وغادر محله قاصدا أم درمان ولدي وصوله اليها علم ان المهدي موجود بالخرطوم فاجتاز النهر واستجار بمحمد صالح ساتي على عم والد المهدي ووضع على رأسه ترابا وفي رقبته جنزيرا من الحديد علامة على انه نائب نادم على ما فرط منه وقدم نفسه للمهدي في سلام ملك الحكيمدارية فذهب محمد صالح ساتي على الى المهدي وقال له انني اجرت عوض الكريم والتمس منك ان تصفح عن زلته وتعدل عن عقابه وكان عبد الله التعايشي حاضرا فامتقع لونه وهم بالقيام من مجلس المهدي ليأمر بضرب عنق الرجل قبل ان يفوه المهدي بكلمة العفو عنه فامسك بملابسه محمد صالح ساتي على

سردار الجيش المصري في فكاكي من الاسر . على اني شكرته وان لم يقرن  
سعيه بالنجاح وبهد الله كل شيء

## ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار

ذكرنا ما كان من بداية الثورة المهدوية حوالي سنار وما كان من اخذها  
على يد عبد القادر حلمي باشا

ولما سقطت الخرطوم في قبضة المهدي وجه ابن عمه محمد عبد الكريم  
في نحو عشرين الف مقاتل لتضييق الحصار على سنار فوصل اليها في اواخر  
شهر رجب وأحاط بها احاطة السوار بالمعصم وسنعود الى ذكر تلك الحوادث  
حيث كان سقوط سنار بعد وفاة المهدي بثلاثة شهور

ولما ذهب المهدي لوداع الجيش خطب خطبة قال فيها ما يأتي  
يا أنصاري الصادقين سيروا على بركة الله لقتال كفار سنار واعلموا ان  
الله معكم عليهم وسينصركم نصراً عزيزاً لانكم حزب الله وأوليائه . وهم  
حزب الشيطان وحزب الله أقوى من حزب الشيطان وقد بشرني النبي  
صلي الله عليه وسلم بفتح سنار قريباً وانه بعد انقضاء شهر رمضان نتقدم  
الى دنقلة ومنها الى مصر وفي العام الآتي نكون قد تجاوزنا مصر حيث نكون  
على أبواب الحرمين الشريفين

## ذكر انتداب الشيخ الحسين زهراء الى كسلا

انتدب المهدي الشيخ الحسين زهراء ومعه ابراهيم عالم الخلاوي ومحمد  
حمزة البربري الى كسلا الاول والثاني بصفة نائبين عنه ليعقد مع مدير كسلا

## ذكر فداء القسس والمسيحيين

لما سقطت الخرطوم أمسك اللورد ولسلي محمد عبد القادر وحاج شرفي محمد نور وشريف ساتي علي وعبد القادر عبد الكريم ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شرفي بن القاضي محمود وكلهم من أقارب المهدي وأنسابه وزجهم في السجن وهندهم بالقتل ان لم يكتبوا الى قريتهم المهدي يسألونه فداءهم بما عنده من الاسرى المسيحيين عموماً والقسوس خصوصاً فكتبوا كتاباً الى المهدي قالوا فيه انهم مهددون بالقتل الا ان يتداركهم بالفداء بما عنده من القسوس والمسيحيين مراعاة لحق القرابة فاجابهم بكتاب قال فيه ان المسيحيين الذين لديه قد اعتنقوا الاسلام ديناً وتشرفوا بصحبته والالتناء اليه حتي انهم صاروا أقرب اليه منهم كما ان الذين أمسكهم اللورد ولسلي تجمعهم واياهم جامعة الكفر ثم ختم الكتاب بقوله لذوي قرابته لا بد من وقوعكم في قبضتنا انتم واللورد ولسلي وتذوقون السوء بما صدقتم عن سبيل الله وفي الكتاب تعنيف شديد لهم على جراتهم بمخاطبته بمثل هذا الطلب ولما وصل كتابه الى اللورد ولسلي أطلقهم من السجن واغدق لهم العطاء وأعادهم الى وطنهم

هذا ولما علمت وأنا بام درمان بأمر هذا الفداء تذكرت ما قاله لي المأسوف عليه غردون باشا حيث قال لي انك لا تجد من يسعى في خلاصك من الاسر وقد ساء وقع هذه الحادثة في نفسي ونفوس سائر الاسرى المعبرين الذين علموا ان حكومتهم لا تسعى في خلاصهم من الاسر الا اذا كانوا مسيحيين ولكن خفف عني بعض ما أجده سعي السر غرانفيل باشا



ان امر السودان قد انتهى ونحن قادمون على جهتكم بحزب الله قريبا ان  
 شاء الله وما كاتبكم بهذا الكتاب الا شفقة عليكم وخوفا من أن يحل بكم  
 من العذاب ما حل باخوانكم الذين خالفوا أمرنا وغرهم الاماني واعتمدوا  
 على قوتهم الظاهرية التي أنستهم قدرة الله على كل شيء فان شرح الله صدوركم  
 وتلقيتم أمرنا هذا بالقبول فأبشروا بخير الدارين وعليكم أمان الله ورسوله  
 وأماننا في أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أنتم وجميع من يجب دعوتنا معكم  
 وان ضربتم عن مقالنا هذا صفحا فاعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يعجزه شيء  
 في الارض ولا في السماء وقد وعدني بالنصر وأيدني باللائكة وجنده وأوليائه  
 واخبرني بملكي لجميع الارض وبانه لا يثبت لقتالي انس ولا جن ولا بداذن  
 الله من وقوعكم في قبضتنا ولو اتخذتم نفقا في الارض أو سماء في السماء  
 وستعلمون غداً من الكذاب فياعباد الله ارفقوا بأنفسكم وأصلحوا عاقبة  
 أمركم ودعوا هذا الاعراض والتلهي بشهوات الدنيا المنغصة بالعلل والأمراض  
 وتشوقوا للقاء الله فان الدار الآخرة والحياة آخرة وهذه الدار قد ولت مذبذبة  
 فاتخذوها معبرة ويحكم ويحكم ان لم تداركوا نفوسكم وتشلوها من هذا  
 الوجه المفضي بكم الى المذل واياكم ان تغتروا بقوة حصن بلدكم فان الله  
 أقدر من كل قادر وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة من هو أشد  
 دنكم قوة واكثر جمعا فاعتبروا بهم وبما فعله الله بهم لما بغوا وعثوا في  
 الارض مفسدين فالله الله عباد الله هلموا الى النجاة والفلاح قبل قص  
 الجناح وهذا ما حبرته اليكم وأذرتكم به ولا داعي الى التحويل فان الهداية  
 من الله الجليل أسأل الله أن يلهمكم رشادكم ويأخذ بنواصيكم الى طريق  
 سدادكم هذا والسلام

وما زل الله يؤيدني وينصرني عليهم نصرا من عنده لا بحولي وقوتي وقد أهلك  
الله جميع عساكرهم الذين بالسودان علي يدي وأحرقهم بالنار عيانا شاهدهم  
جميع من رآهم حين قتلهم الله بسيفي وما ذلك الا اظهار لكفرهم وتعجيل  
لعقوبتهم ولا شك ان جميع ذلك قد بلغكم وتواتر اليكم من الواردين. وما  
زلت عن الحق معرضين. وعلى حب حطام الدنيا الحسيس عاكفين. مع علمكم  
بان الله قد ذم هذه الدنيا في جميع كتبه السماوية ولا سيما القرآن فقد اكثر  
من ذمها فيه ويكفي من ذلك قوله تعالى «اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة  
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته  
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة  
من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» وقوله تعالى «وما هذه الحياة  
الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة هي الحيوان» ولم يظم شأن الآخرة عنده  
أعداها لعباده المؤمنين وجعل لهم فيها من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
ولا خطر علي قلب بشروا كرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم ودعاهم اليها  
بقوله تعالى «وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض  
أعدت للمتقين» الآية وحيث فہتم خمسة هذه الدار الفانية وعظم تلك الدار  
الباقية فيلزمكم الاعراض عن هذا الفاني الحسيس. والمسارة الى حوز نعيم الابد  
النفيس. ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من التفريط في جنب الله وترصص الدوائر  
بجذب الله بالركون الى محبة نصرة أعداء الله ومع ذلك فقد ساءحناكم في جميع  
ما جري منكم ان بادرتم الى اجابة دعوتنا والانظام في سلك أصحابنا أول وصول  
كتابنا هذا اليكم ولا نقول لكم الا كما قال يوسف عليه السلام لاختوته  
«لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» وليكن في علمكم

من عند آخرهم ان لم ينيبوا الى الله ويسلموا وقد حررت اليك هذا الكتاب  
وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا علي هدايتك فارجو الله ان يشرح  
صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين وها انا قادم الى  
جهتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان أمر السودان قد انتهى  
فان باردتني بالتسليم لامر المهدي. والالابة الى الله رب البرية. فقد حزت  
السعادة الابدية وأمنت علي نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب  
دعوتنا معك وان أبيت بعد هذا الا اعراض عن طريق الفلاح والرشاد  
فانما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت  
في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية  
والسلام على من اتبع الهدى (الكتاب الثاني)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الي كاتبة سكان مصر حكاما  
وتجارا وعمدا وغيرهم وفقهم الله وهداهم. ولرشادهم ولا هم. أمين. أهدي لكم  
السلام وأعرفكم ان النجاة من عذاب الله انما تكون للتمسك بدينه الذي جاءنا  
به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأيتم ما ناله من الانداس الذي لا يخفى  
ولما ان أراد الله إحياءه واطهار شعائره انجز موعد نبيه محمد صلى الله عليه  
وسلم فظهرني بالخلافة المهدي. وأمرني بدعاية الخلائق الى العمل بالسنة المرضية  
ومن عهد ظهوري بهذا المظهر الديني مازالت دولة الترك تجيش جيوشها  
وترسل رجالها لمحاربتى من غير استناد الى دليل شرعى. ولا حكم شرعى. بل رغبة  
في ملك الدنيا الفاني الذي مآله الحسرة والندامة. وجلب عذاب الله يوم القيامة

تموتن الا وأنتم مسلمون » الآية فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر  
متاع الدنيا الحسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الي النجاة والسلامة  
المعتبرة وهي سلامة الايمان ونزه نفسك عن ان تكون في اسر أعداء الله  
دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واغسل  
ما جرى منك بدموع الندم ولا تكثر بجاه الدنيا الثماني ولا بملكها الزائل  
فان لله دارا خيرا منها وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله قال تعالى « تلك  
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة  
للمتقين » الآية واياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب  
الجاه والمال حتي اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما أهلكوا من  
قبلك ففي الحديث القدسي « لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك  
عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي » ولا تعتر بقوة حصن بلدك  
و كثرة أسلحتك وعندك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك فانها لا تغني  
عنك من الله شيئاً ولم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه من هو  
أشد منك قوة وأكثر جمعا لما بنوا وعثوا في الارض مفسدين وليكن  
في علمك ان أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ونور من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ومؤيد من عند الله بجنود ظاهرة وباطنية وما قصدنا  
فيه الا احياء الدين واطهار آثار الانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكا  
ولا جاهاً ولا مالا فان نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء  
وقبلت هدينا وأثبتت الي الله بنية خالصة فملك أمان الله ورسوله واماننا وما  
بيننا وبينك الا الحجة الخالصة لوجه الله تعالى ونكون نحن الجميع يداً واحدة على  
اقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين. وقطع دابرهم واستئصالهم



عليك ولا زال حزب الله مقتنيا اثر باقيهم وعن قريب يحل به من الدمار  
ما يكون عبرة لمن اعتبر. هذا وان المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في  
الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي ما له  
الى الزوال وعظيم النكال. وانما يكون مطمح نظره الى ما عند الله من النوال  
في دار الكرامة والافضال. فان الدنيا لو بقيت للاول لم تنتقل للآخر. ومن  
هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك الا بموت أو عزل من كان قبلك وهو  
خارج من يدك بمثل ما صار اليك وحيث كان الامر كذلك فلا ينبغي لك ان  
كنت ترجو من الله نعيم الابد ان تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا  
بمخاديرها فمدقق النظر واجمع عليك ففكرك وتدارك نفسك واسمع فيما  
ينخيك عند ربك اذا تمثلت بين يديه وسألك عما جري منك وسلم الامر اليه  
تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين بهم  
على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألم تسمع قوله تعالى «يا أيها الذين  
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم  
فانه منهم» الآية وقوله تعالى «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون  
من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا  
لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموادة وقد كفروا بما جاءكم  
من الحق» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا  
ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء» الآية وما هذه  
الطاعة لاعداء الله والله تعالى يقول «يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من  
الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم  
تتلى عليكم آيات الله» الى أن قال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا



التي يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الأربعة  
والخضر عليه السلام وما كنت أترقب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله اياه  
بل كنت أسأله أن يجعلني معينا لمن يقوم به فلما أراد الله ما كان. وحتم الامر  
عليّ من سيد الاكوان. تمت باعباء هذه الجملة واعتصمت بالله وتوكلت عليه  
وأخبرت الحكمادية باني المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤف وما تركت  
لاهلها في ايضاح هذا الامر شيئا وأنا في انتظار الاختبار. وتسليم الامر لله  
الواحد القهار. فما كان منهم الا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحا وطووا عن  
قبوله كشحا. وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الامر الديني  
الذي جئتهم به من خير البرية فأيدني الله عليهم كما وعدني وهكذا صارت  
جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة وأقدم لهم الانذارات ولم تنفعهم والله يؤيدني  
وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى أن قلت حيلتك وتلاشى أمرك  
فسلمت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاعداء الله الانكيز وأحلت لهم  
دماءهم وأموالهم وأعراضهم فجاء الانكيز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم  
على غير الله فلما سؤل الشيطان لهم ادراك غردونهم بالخرطوم وأيست من  
هداية أهله وعلمت أن تكرر الانذارات لا ينفعهم وحققت عليهم كلمة العذاب  
وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم « سواك عليهم أنذرتهم أم لم  
تنذرهم » الآية عجل الله بفتحهم واهلاك من فيه وأحرقت النار أجسامهم عيانا  
كالذين من قبلهم اظهرا للحقيقة وتعجيلا للعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى  
« حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية ثم أنذرت الانكيز فلولوا  
رؤسهم فوجهت اليهم طائفة من الإنصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا  
هاربين بعد ان أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم وهذا كله ليس بخاف

الملك العلام قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وقال تعالى «ومن يتبع غير  
 الاسلام ديناً فلن يقبل منه» وما سوي ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان  
 اليه حظه ليكونوا من أصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين  
 الحبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل  
 الاقدام. ويشيب الطفل ويشتد الزحام. والا كان أسوأ من البهائم حيث أضاع  
 حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا اتباع دينه. واحياء  
 سنة نبيه وأمينه. وامانة ما حدث من البدع والضلال. والابانة اليه تعالى في  
 كل الاحوال. وقد تأكد ذلك في هذا الزمان. الذي عم الفساد فيه سائر البلدان  
 فان دسائس أهل الكفر التي ادخلوها على أهل الاسلام. وضلالاتهم التي  
 مكنوها من قلوب الانام. قد أفضت الى اندراس الدين وعطلت أحكام  
 الكتاب والسنة بيقين. فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام. وتراكت  
 الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام. واشتد الكرب على أهل  
 الايمان. فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغي والعدوان. فعند  
 ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لمباده لانقاذهم من ظلمة الكفر  
 الى نور الايمان. وأدلهم الى الله على هدي منه وتبيان. وطوقني بالخلافة الكبرى  
 المهدية. وخلع عليّ حللها البهية. وبشرني سيد الوجود صلي الله عليه وسلم بالنصر  
 على كل من يعاديني ولو كان الثقلين وبأن من يقصدني بعداوة يخذله الله  
 في الدارين. وقلدني سيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب اعدائي  
 يسعي امامي أربعين ميلاً وأخبرني باني أملك جميع الارض وبأن من شك في  
 مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمة للمسلمين وبأن الله قد أيدني  
 بالملائكة الكرام وبالجن والاولياء احياء وأمواتا وهكذا من البشارات والمعجائب

سكوت الحملة عن مجاوبتهم فتقدم أحد الدراويش حتي صار علي مقربة من الحصن فرآى التماثيل والمصابيح موقدة ليل نهار وعلم أن ضوء النهار هو الذي كان يحجب نورها فرجع وأعلم الباقين وأسرع مع ثلاثة آلاف راكب ليلحقوا الحملة في أبوطليح وكانت غادرتها منذ ليلتين وصارت على مقربة من (كورتى) التي بها اللورد ولسلى فلم يعد في الامكان اللحاق بها

ووصل عبد الرحمن النجوى المتممة بعد ان غادرتها الحملة ببضعة ايام وفي آخر شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠٢ وصلت الحملة الى (كورتى) وقدم السر شارلس ولسن تقريره عن سقوط الخرطوم ومقتل الجنرال غردون ولما وصلت أنباء مغادرة الانكيز للمتممة للمهدى سر بها وكتب الى محمد الخير أمير بربر يأمره بجمع الجيوش والتقدم الى حدود دنقلة وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٢ أخلى الانكيز دنقلة وعقب ذلك دخلها محمد الخير واستولى على الاقليم كله وبلغت جيوشه جنوب حلفا ومن ثم صارت الاقاليم السودانية تحت سلطة المهدى وأخذ يخبر من حوله من الاتباع بانه سيزحف على دنقلة بعد بضعة شهور ومنها الى القاهرة وبعث رسولين يحملان كتابين أحدهما برسم المغفور له الخديو الاسبق والثانى برسم سكان مصر وهما صورة الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد المعتصم بالله محمد المهدى بن عبد الله الى خديو مصر لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذى يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من

أحد ولا ارادة جاء ولا ملك في الدنيا ولا رغبة لنا في حياتها ولا في لذاتها  
 الفانية بل انما قصصنا الدلالة الى الله كما أمرنا الله ورسوله بذلك والا اذا  
 خالفتم فلا تقبل منكم صر فاولا عدلا وسترون ما يحل بكم واصفوا باذانكم  
 الواعية لما أقول ان كان لكم عقول فان الله تعالى قد اظهرني رحمة لمن اطاعه باتباعي  
 ونقمة على من عصاه بمخالفتي وأيدني منه بالنصر والظفر وأمدني بهمهم رسله  
 وأنبيائه وملائكته وأوليائه فلا يقدر على محاربي الثقلان ولو كان بعضهم لبعض  
 ظهيرا ولو شئت لقبض الله سلاحكم بحيث ان أصحابي يقتلونكم ولا يقتلون ولكني  
 اخترت بتوفيق الله تعالى الشهادة لهم في سبيل الله اقتداء برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فايكم والغرور فان جند الله غالب وفي  
 هذا كفاية لاهل الغاية والسلام ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٠٢

### ذكر عود الحملة الانكليزية الى دنقلة

بعد انقاذ السر شارلس ولسن من (ولد الحبشى) علمت الحملة ان جيشا  
 كثيفا تحت قيادة عبد الرحمن النجومي قادم اليها كما انه يوجد جيش من  
 الجعليين معسكر شمال التمة فنصبت أشباجا من الخشب يخالفها الرائي  
 من البعد فرسانا وأوقدت مصابيح من البترول ثم ارتحلت الحملة أول الليل  
 في ظلام حالك وجدت السير حتى بلغت منهل (أبو طليح) ولم يعلم أحد من  
 الدراويش المعسكرين حولها بمفادرتها (القبة) حيث كانوا يرون التماثيل  
 فيظنونها الجنود واقفة في حصنها وفي الليل يبصرون المصابيح فوق الحصن  
 وهم لا يشكون في شيء من أمر بقاء الحملة وظلوا على هذا الحال ثلاث  
 ليال وهم يطلقون الرصاص على المعقل وفي صبيحة الليلة الثالثة انكروا

الى ضباط وعساكر الحملة الانكليزية يدعوم فيه الي الاسلام وهامي صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد  
فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي كافة ضباط وعساكر  
الانكليز خصوصا الاعيان والرؤس . أرشدكم الله الي اتباع سبيل النجاة قبل  
البوس . وجعلهم من اللائذين بجنابه العزيز آمين . انكم اذا تدبرتم بقولكم  
وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته علمتم ان مخالفته شنيعة ولا  
ينبغي لـكم الا امتثال أمره واجتناب نهيه والهروب منه اليه وقد أظهرنا  
الدعاية الي حماه . والدخول في ساحة كرمه وعطاياه . فها الي ذلك واغتنموا  
سعادتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا وأسلموا بؤتكم الله أجركم مرتين  
ولا تعرضوا فتكونوا من النادمين كراشد ويوسف حسن الشبالي وعلاء  
الدين وهكسي وغردون لانا أنذرناهم مراراً . ودعوناهم فما زادهم ذلك الا  
فراراً . فذاقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى والسعيد  
من اتعظ بغيره وهذا انذار لـكم فاذا بلغكم وأردتم الفوز العظيم . والنعيم  
الدائم المقيم . فلبوا اجابة دعوتنا الي الله وبادروا بالتوبة قبل تعذرها عليكم وقد  
توجهت اليكم جنود الله ولا طاقة لـكم بمحاربتها ولكن باب الشفقة  
عليكم أمرناهم ان لا يحاربوكم الا بعد وصول هذا لـكم وتحقق الالباء منكم  
عن الاجابة وأن لا يؤذوكم ولا يتعرضوا لـكم في شيء من حقوقكم الخاصة  
اذا سلمتم ماعدا حق الميري والاسلحة والجاخين فان سلمتم فعليكم أمان الله  
ورسوله وأمان العبد لله وتكونوا من ضمن أنصارنا وليس قصدا استعباد



وفي مساء يوم سقوط الخرطوم سمعوا الصياح على ضفتي النهر بسقوط  
المدينة وقتل الطيب الذكر غردون فلم يصدقوا ذلك حتى كان يوم الاربعاء ١١ ربيع  
الثاني و ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ وكنت اذ ذلك في سجن بيت المال فسمعت الحراس  
يقولون لبعضهم «شددوا الحفظ على الاسرى لان بواخر الانكليز ستصل الي  
الخرطوم اليوم» وركب المهدي وخلفاؤه ووقفوا في أم درمان والرصاص  
والمقذوفات تتساقط على الباخرتين قبل ان تبلغا أم درمان بنحو عشرين ميلاً  
والراية الانكليزية تحفق فوقهما حتى وصلتتا الي ملتوي النهر وهما قاصدتان  
سراى غردون فاطلقت عليهما المدافع من طابية (المقرن) التي لا تبعد عن السراى  
باكثر من ميل وعندئذ أيقن السراى شالس ولسن بسقوط الخرطوم وقتل  
غردون فارتد راجعاً من حيث جاء ولما أبصر المهدي الباخرتين عائدتين نزل  
عن دابته الي الارض وخر ساجداً شكراً لله الذي أوقع الخرطوم في قبضته  
قبل ان يبلغها الانكليز

وفي اليوم التالي اصطدمت الباخرة تلجوين بحجر في (شلال رحام)  
ففرقت وانتقل السراى شارلس وجنوده الي الباخرة الثانية التي غرقت أيضاً  
بعد يومين واضطروا لأن يتحصنوا في جزيرة (ولد الحبشى) حتى تدرّكهم  
النجدة من معسكر المئمة وبعد يومين ادركتهم باخرة انقذتهم بعد ان أحاط  
المدو بهم وهاجمهم عدة مرات

ذكر تعيين عبد الرحمن النجومي لقتال الانكليز في المئمة  
وفي يوم ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ شيع المهدي عبد الرحمن النجومي  
وأبا قرجة والجيش الذي كان معهما لقتال الانكليز في المئمة وكتب منشورا

اجسامنا واحتلوا رأسي وانا لا أدري كيف ادفهم عن نفسي . ووصلت اخبار هذه الهزيمة الى المهدي فكان من أمره ما تقدم لنا إirاده حيث عول على إسقاط الخرطوم الذي جرأه على الاقدام عليه عمر ابراهيم الصنjq الذي ذكرنا نبأ فراره وبعد انتصار الحملة أرسل القائد كتبا الى المتمة قال فيه ما يأتي

نحن أول فرقة من جيش جلالة الملكة جئنا لكبح جماح الاشقياء المتمردين وانقاذ مدينة الخرطوم فان أردتم الدخول تحت طاعتنا فعليكم امان الله وامان جلالة ملكتنا وعليكم ان تقابلونا جنوب البلدة ناشري رايات الخضوع والتسليم واعلموا انكم ان لم تفعلوا ذلك يحل بكم ما حل بالذين حاربناهم في أبو طليح وحينئذ تجنون ثمار ما غرسته أيديكم والسلام

ولما وصل هذا الكتاب الى أهالي المتمة أخذوا البلدة وعسكروا شمالها وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وصلت الحملة الانكليزية الى المتمة وتحصن الدراويش في البلد فهاجمهم الانكليز بثبات غريب والحقت قنابلهم ومقدوفاتهم اضرارا كثيرة بمواقع الدراويش ومتاريسهم

واجتمعت الحملة بالبواخر التي كانت مرسلة من غردون للاستكشاف تحت قيادة محمد نصحي باشا وعسكرت الحملة في قرية ( القبة ) جنوب المتمة وتحصنت فيها

وهنا نقول لو أبحرت الحملة منسند ووصلها الى الخرطوم لما سقطت ولكنها بقيت في المتمة خمسة أيام

وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني أبحر (السرشارلس ولسن) مدير مخبرات الحملة لانكليزية على الباخرة (بردين) و(تلحوين) قاصداً الخرطوم وكان سفره قبيل غروب الشمس وسير بواخره بطيئاً جداً لانخفاض ماء النهر وامامه شلالات

الواقعة بين المتممة وأم درمان واستباحوا النساء ومكثوا في الطريق نحو أسبوعين حتى بلغوا المتممة مع ان المسافة لا تتجاوز أربعة أيام مع السير البطيء وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ أبصر نصحي باشا وعساكره وهم في بواخرهم في المتممة جيوش الامير موسى زاحفة الى جهة (أبو طليح) وهي بئر في الصحراء تبعد عن المتممة بمسيرة ثلاث مراحل

هذا ما كان من أمر المهدي أما الحملة الانكليزية فانها سارت من (كورتى) في أوائل شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وعدد جنودها نحو ألفين وقائدوها السر (هربرت استوارت) فوصلت الى أبو طليح في النصف الثاني من شهر ربيع الاول وتقدم نحوها الامير موسى بالثلاثين الف مقاتل الذين معه وانضم اليه بضعة آلاف من مقاتلة الجعليين فالتقى بالحملة في (أبو طليح) وهجم عليها كما تهجم الاسود على الفرائس ولم يكن الا كالح البصر حتى اختلط العسكران وصارت المحاربة بالسلاح الابيض وعندئذ قتل القائد السر هربرت استوارت وتولى القيادة بدله الجنرال (بولر) فتمكن من التفهقر تاركا احماله واثقاله في ساحة المعركة فاشتغل الدراويش بالنهب والسلب مدة وجيزة تمكن القائد في خلالها من إعادة النظام بين جنوده الذين اظهروا من البسالة والثبات ما حير العقول حيث كرههم على الدراويش وأمطرهم نيرانا حامية فسقط من الدراويش نحو ستة عشر الف قتيل وقتل الامير موسى ونحو عشرين قائدا من قواده الذين هم من اكبر قواد جيش المهدي واكثرهم تمسكا وتصديقا بدعوته وتمسك بقية الدراويش باذيال الفرار وهم مذعورون لا يصدقون بالنجاة وقد رأيت رجلا منهم في أم درمان أصيب بجنون عقب هذه الواقعة فقال لي ان الانكليز شياطين وليسوا آدميين لانهم بعد ان هزمونا في (أبو طليح) دخلوا

الدراويش اخذوا يشنون الغارة على موقع الحملة ليقطعوا عليها خط الرجوع  
فانتدب الجنرال برنكنبري البكباشي احمد افندي سليمان والطاوير الذي يقوده  
وأمره بالتربص خلف الحملة المطاردة أولئك فجرت بينه وبينهم عدة وقائع  
كان الفوز له عليهم في جميعها وبقي معسكراً في كربكان اسبوعين ثم قفل راجعاً  
الى دنقلة

هذا ما كان من أمر حملة النيل وسيأتي ذكر حملة الصحراء ووصولها  
الخرطوم بعد سقوطها بيومين

### واقعة ابو طليح

لما وصلت للمهدي أخبار وصول الجنود الانكليزية الى (كورتى) وأخبار  
تقدمهم الى الخرطوم عن طريق (عظموور جقدول) حيث ينتهى سيرهم  
الى شاطئ النهر في جهة المتمة التي كانت بواخر غردون باشا تنتظرهم فيها  
كتب المهدي الى محمد الحير صاحب بربر يأمره بحشد الجيوش في بربر  
لمقاومة حملة الجنرال (ارل) وانتدب موسى بن محمد حلو شقيق خليفة الفاروق  
وأمره بآيته الخضراء ومعه نحو ثلاثين الف مقاتل من أولى القوة والبأس وهم  
من رجاله (دغيم وكنانة) الذين ذكرنا خبر مبايعتهم للمهدي يوم اجتاز النهر  
الابيض بعد واقعة (آبا) وشهدوا معه جميع وقائمه وحرابه وكان ذلك في أوائل  
شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢

وتقدم المهدي لتشجيع الجيش وسار معه نحو خمسة عشر ميلاً ثم ودعهم  
بعد ان بايعهم على ان لا يتركوا الانكليز يبلغون المتمة وفيهم رفق من الحياة  
ثم سار الجيش يقوده موسى الذي أطلق العنان لانصاره فنهبوا جميع القرى

## حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة كربكان

عين اللورد ولسلي الجنرال (ارل) قائداً لجملة النيل فسار من (كورتى) ومعه نحو ثلاثة آلاف جندي انكليزى ونحو خمسمائة زورق تقل الجنود المشاة أما الفرسان والطوبجية فانهم ساروا حياال القوارب في الضفة الغربية وكان الطابور الاول المصري من حامية دنقلة يسير في الضفة الشرقية يقوده البكباشى احمد افندى سليمان الذي كان قبل قيام الحملة حائزاً لرتبة الصاغول اغاسي فرقى الى رتبة بكباشى بناء على الشهادات الحسنة التى قدمها المدير الى اللورد ولسلي بخصوصه

واستمرت الحملة فى سيرها ثمانية أيام وفر أهالى القرى الى الجهات الجنوبية وتركوا قراهم حتى بلغت جهة كربكان بالقرب من أبو حمد وهناك علمت ان نحو الالف مقاتل من الدراويش تحصنوا بجبل منيع ليقاوموا هوشوروا فى وجهها فانضمت القوة المصرية الى القوات الانكليزية فى الضفة الغربية وهاجمت معقل الدراويش من الجهة الشمالية فاطلقوا النيران عليها ثم قسم الجنرال (ارل) القوة وترك قسماً منها يناوش العدو من جهة الشمال وهجم بالقسم الثانى على العدو من جهة الجنوب الغربي فاستولى على المعقل وقتل الدراويش عن بكرة أبيهم ولم ينبج منهم غير خمسة أشخاص أصيدوا بجروح يليغة وأصيب الجنرال (ارل) برصاصة قضت عليه وتولى قيادة الحملة بعده الجنرال (بركنبرى) ثم صدرت اليه الاوامر بالعودة الى دنقلة وذلك على اثر وصول الاخبار بسقوط الخرطوم وقتل الطيب الذكر غردون باشا وكان بازاء كربكان فى الصحراء منهل اسمه (بيرسانه) اجتمع فيه زهاء الفين من



ياور باشا يشاورها في كل ما يدبره من الخديعة والمالأة

والظاهر ان ما كان يخبر به الحكومة مصطفى ياور باشا لم تكن تعتقد صحته حتى ان الانكليز لما وصلت طليعة جيشهم الى حلفا انفذوا كتشنر باشا وكان وقتئذ ضابطاً في أركان حرب الجيش الانكليزي وكان متنعراً في زي مغربي ومتعمداً بمهمة فوصل الى دنقلة والحامية زاحفة الى واقعة كورتى التي سبق لنا ذكرها ثم تأكد عنده بقاء الحامية على طاعة الحكومة وقدم نفسه للمدير فقبول بما يليق به من الحفاوة والاکرام ثم بقى هناك متجولاً في أنحاء المديرية يرافقه وكيلها احمد جودت بك حتى وصلت الحملة الانكليزية التي زالت مخاوفها بعد ان أوقف كتشنر باشا الحكومة على الحقيقة التي كان فهمها ملتبساً عليها

### وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة

لانطيل على القاريء الكلام في سرد ما كان من أمر الحملة الانكليزية التي أرسلت بعد تردد واحجام كانا السبب الاكبر لفقدان فائدتها حيث صارت هاته الحملة كأنها لم تكن وذلك لانها لم يكن الباعث لارسالها الا انقاذ غردون باشا وقد علم القاريء انها لم توفق للقيام بهذا العمل

وفي أواخر شهر صفر سنة ١٣٠٢ تكاملت الحملة الانكليزية في (كورتى) وتمين اللورد ولسلى قائداً عاماً لها وأخذت في الاهبة والاستعداد لمناجعة السير الى جهة الجنوب فقر رأى على انفاذ حملتين سير احدهما في طريق الصحراء الى المتمة في (عطمور جقدول) وتسير الثانية في طريق النيل قاصدة بربر

هذا البيان منكم محل القبول انه اكرم مستول هذا والسلام سنة ١٣٠٢ ٧ رجب

### واقعة كورتى وقتل الشيخ الهدي

لما وصل الشريف محمود الى معسكر الهدي بلغ مصطفى ياور باشا انهما يتأهبان للهجوم على الحدود فزحف عليهم في أربعمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وكان قائد الجنود النظاميين الضابط احمد افندي سليمان والجنود الباشبوزق تحت قيادة نور الدين بك وسليمان جبريل بك

ولما اقترب من معسكر الشيخ الهدي اطلق الجنود النيران فجاوبهم الدراويش وهجموا على صفوف المساكر ببسالة غريبة حتى اذا صاروا على مقربة منهم بنحو مائة متر سقط من الدراويش ما تأقتيل وقتل الشيخ الهدي والشريف محمود والمغربي داعية طرابلس الغرب ونجا حسن خليفة داعية صعيد مصر وولي الدراويش منهزمين لا يلوون على شيء وتمزق شملهم كل ممزق وكانت عدة الدراويش نحو ستة آلاف مقاتل ولم يصب من الجنود غير ضابط من الباشبوزق أصابته رصاصة في صدره ثم عولج ولم يمِت وكانت هذه الواقعة في شهر ذى الحجة سنة ١٣٠١ هجرية

### ذكر وصول كتشنر باشا الى دنقلا

كانت الحكومة مرتابة في صدق بقاء مصطفى ياور باشا ومن معه من الحامية على الطاعة لان أخبار ممالأته التي تقدم لنا ايرادها كانت تصل اليها بصورة توجب الشك وقد روى لنا الضابط احمد افندي سليمان انه كان يقرأ وقتئذ في الجرائد الواردة عليه من مصر اخبار دخول مصطفى ياور باشا والحامية في طاعة المهدي وكان الضباط يعجبون من الحكومة التي كان مصطفى

الى المكر والحديمة والحيل الضعيفة الشنيعة لا يغني عنكم من الله شيئاً ولا يدفع  
 عنكم المقدور ولا بد بعون الله من وقوعكم في قبضتنا ولو صعدتم السماء  
 بسلم فانا مبشرون من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على من يعادينا  
 ونملك جميع الارض ولا يفرنكم ما حصل لكم من الاستدراج ولا ما رأيتموه  
 من استمدادكم والنصارى الذين معكم فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم  
 وكم أهلك الله من الأمم قبلهم ممن هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا ولم يغن عنهم  
 ما اعتمدوا عليه من دون الله شيئاً وحيث انك تدعى العقل وتزعم انك من  
 أهله فاعتبر بذلك واعلم علم اليقين انك ان أنبت الى الله وندمت على ما فرط  
 منك وأيتتنا نادماً نابئاً فانك مؤمن ومغفوء عنك في جميع ما مضى منك عفواً  
 خالصاً لوجهه تعالى ومقبول عندنا غاية القبول ولا نقول لك الا بما قال يوسف  
 عليه السلام لا خوته «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»  
 وان أحضرت معك بعضاً من عمد البلد كمحمد عبد القادر ساتي المشور  
 بفقر تود ومحمد الملك حمد بارقو ومحمد بن الفقير محمد ابراهيم وصالح امام  
 الجامع وسعيد أحمد فرح ومحمد الجميل ومحمد محمد كنيش فذلك أولي عندنا  
 فاحضرهم فهم آمنون منا ومغفوء عنهم في جميع ما جرى ومقبولون عندنا ولا  
 حرج عليهم وان أبيتم بعد هذا الا الجحود والاعراض عن الانابة الى الله  
 المعبود وسلوك سبيل الضلال اعتماداً على المكر والحيل واغتراراً بالخيال فاعلموا  
 انكم لن تستطيعوا الخروج عن أسر القدرة الالهية ولا بد من وقوعكم في  
 القبضة وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله وذنبكم عليكم فانا قد أنذرناكم  
 ولا رشادكم دللناكم ومن أنذر فقد أعذر أسأل الله الذي يضل من يشاء ويهدي  
 من يشاء أن يجعلكم من أهل الهداية الذين سبقت لهم العناية وأن يحل

من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين » ولا يخفى عليك  
 أني طالما حسنت بك الظن ورجوت لك الخير وتوسمت فيك الديانة  
 والامانة وأحببتك في الله وخالطتكم خطاب أهل المحبة حتي اني من فرط  
 ما حصل لي من محبتكم في الله أصدرت لك أمراً بختمى بجملك عاملاً من  
 طرفي على عموم دنقلة رجاء أن تكون من الذين باعوا لله نفوسهم بالجنة  
 وبذلوا مهجهم ونفائس أرواحهم في احياء السنة فظاهرتني بالقيام بذلك ثم  
 نكثت العهد ونقضته ومن نكث فانما ينكث على نفسه وجاهرت بالعداوة  
 وبارزت وقتلت أخياراً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمكرك وخديعتك  
 ولم تخش الله ولم ترع حقوقه مع انك في الحقيقة مغرور مستدرج لم تدر  
 عاقبة أمرك ألم تعلم أن الله يمهمل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين  
 فيا أيها الرجل ويحك تدارك نفسك واعتبر بمن مضى من قبلك فان العاقل  
 من اعتبر بغيره والسميد من دبر أمر نفسه ونظر صلاح العواقب والكيس  
 من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واعلم ان الله يملئ للظالم حتى اذا أخذه  
 لم يقبلته فان جميع ما حصل لك فهو استدراج من الله عاقبته الحسرة والندامة  
 فأعمل فكرك وأعد نظرك واعلم أن الامر لله يعطيه من يشاء من عباده  
 وكفاك ما حصل منك من مبارزة الله بالعداوة وشدة أزر أعدائه الكافرين  
 والاستعانة بهم على قتال المسلمين أما علمت قوله تعالى في محكم كتابه «يا أيها  
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم  
 منهم فانه منهم » وقال « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة  
 وقد كفروا بما جاءكم » الآية الى غير ذلك من الآيات الناهية عن موالاته  
 الكافرين على ان ما أنتم عليه من نقض اليهود وعداوة الله المعبود والركون

الثواب « فمن كان مؤمناً مصداقاً بكلام ربه وعظمة وعده ووقوع ذلك يقينا  
 يؤثر ما ذكر على ملك جميع الدنيا وشهواتها ومتاعها ومقاساة الشدائد في ادراك  
 الوعد المذكور ومن لم يكن مصداقاً بذلك مؤثراً له فذلك لعدم إيمانه وتصديقه  
 لوقوع ذلك وتسفيهه لمن فعل ذلك ممن آمن بالله وآثر ما عنده فاستحق  
 ان يكون ماله غنيمة وان يخذل في الدنيا ويحشر الى جهنم في الآخرة قال الله  
 تعالى « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ » الآية وقد كتبنا  
 اليك بقاً انك ان قت باحد هذين الامرين فهو دليل صدق إيمانك  
 وتسليمك والا فلا بد ان تقع في قبضتنا بقوة الله وحوله كما أشار الى ذلك  
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ونسأل الله ان لا يخيب  
 ظننا فيك لاننا نحب لك الخير ونعلمك بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان النرك لو أتوا عدد الشجر والمدر لا تقوم لهم قائمة كما بشرنا بذلك رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا كورق الاشجار والرمال لو دخلهم  
 احد من أصحابنا يموتون كما بشرنا بذلك الصادق الامين صلى الله عليه وسلم  
 هذا والسلام رجب سنة ١٣٠١ (الكتاب الثاني)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى مصطفى ياور وفقه الله  
 لطريق رشاده آمين. اعلم وفقك الله تعالى الى سبيل الرشاد وصرف عنك  
 خيالات النفس وباعد عنك طريق العناد ان الهدى خير من الضلال وان  
 الدار الآخرة لهي الحيوان وهي الدار التي أعدها الله لاصفيائه وأمناء دينه  
 وندب اليها عباده المؤمنين في محكم كتابه العزيز بقوله « وسارعوا الى مغفرة



والديانة المرضية على محبة كاملة فلما رأينا فيه آثار الصدق والامانة والعدالة  
والتخلق باخلاقنا والقيام بامرنا على ما نحب ونرضى وليناه على كافة نواحي  
دارفور ففتحها وصندوق في ارشاد أهلها وادخلهم جميعاً في طاعتنا فصعدوا  
كامل الصدق فجزاه الله الخير والاحسان فقد زاد على ما ظنناه فيه ورقى أصحابه  
ومن بنواحيه على حسن اليقين والوثوق برب العالمين وإيثار الآخرة وزهد  
الدنيا في الانابة الى ما عند الله فجزاه الله عنا وعن المسلمين أجراً جزيلاً وأنت  
ماولينك من قبل ان نراك الا لحسن ظننا بك في صدق ديانتك وطلبك  
ما عند الله ومعرفتك شؤم الدنيا ودنائتها ومعرفتك قوة الله وقدرته على كل  
شيء حتي لا تميل الى شيء الا الى رضى الله فان طاعة الترك بعد ظهور  
المهدي كفر وضلال كما هو وارد فان قويت سريرتك واشتد عزمك على  
ذلك كما ظننا فيك فانت مؤتمر منا كما أمرناك والا فان علمت من نفسك  
ضعف يقين وعدم طاقة على مقابلة الترك ومناوأتهم وقطع الاخبار عنهم  
فأت الينا لتزيد يقينا وتمكيناً وتكسب نوراً وتحسيناً حتي يسقط من قلبك  
الالتفات الى الاولاد والاهل والخشية من غير الله والطمع فيه بما نريك  
اياهم من الارشاد والتربية التي خصنا الله بها دون أوليائه الكرام وهو  
ذو الفضل العظيم وقد علمت ثواب الهجرة والجهاد في سبيل الله من قول  
الله تعالى « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم  
أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان  
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها » الآية وقوله تعالى « فالذين هاجروا  
وأخرجوا من ديارهم وأوطانهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم  
ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن

مصطفى ياور باشا الاول منهما في شهر رجب سنة ١٣٠١ والثاني في شهر رجب سنة ١٣٠٢ أي بعد سقوط الخرطوم وفي الاول من اللين والمجاملة ما يراه القارئ وفي الثاني من التهديد والوعيد بان النبي صلى الله عليه وسلم وعد المهدي بوقوع مصطفى ياور باشا في قبضته عاجلا أم آجلا ما فيه

## الكتاب الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي مصطفى ياور امير مدينة دنقلة وتوابعها كان الله له معين آمين. بدد السلام والاحترام لا يخفى عليك ان الدنيا ليست دار راحة وما هي الا ساعة فمن لم يجعلها طاعة ويكتسب رضا الله تعالى فيها ويكتف بالله ويحمل همه به واحدا لا يسلم من همومها وغموها ولا بد أن تذهب ويقع المفراط فيما لا يحجو منه من الاهوال الشداد كما جاء بذلك الوعيد في قوله تعالى «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» واعلم أني داع الى الله ودال عليه وقد بثني الله تعالى رحمة لمن اتبعني من أهل زماني ونعمة على من عصى الله وخالفني واني انذرك قبل هذا ووضحت لك الامر جليا وكتبت اليك بتوليتك ميرا في جنك وما فعلت ذلك الا لك وما وليت احدا غيرك كان في ولاية الترك الابعاء لقائنا والاخذ عنا ورؤية الصديق منه كحلم خالد الذي كان مديبر «دارا» فانه قبل انانا عند فتح مديرية الابيض وصحبنا وتخلق باخلاقنا وتربي حتي تحقق بالصدق

التي انتصر فيها عبد القادر حلمي باشا في جنوب الخرطوم مما تقدم لنا ذكره  
ومن قواد الباشبوزق الصناجق نور الدين بك ومايش أغا وسليمان بك  
جبريل ومن الضباط النظاميين الضابط سعد نبيه أفندي ومرسال كوكو  
أفندي وغيرهم

ولما وصلت طلائع الحملة الانكليزية الى حلفا كان الشيخ المهدي معسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة بعد هزيمته من الحتانة وكان قد وصل الى  
دنقلة في غضون ذلك رسول الى مصطفى ياور باشا يحمل كتابين أحدهما  
من المهدي والثاني من شخص يدعي الشريف محمود من أقاربه وكان مضمون  
كتاب المهدي الى مصطفى ياور باشا أمره بتسليم المديرية الى الشريف  
محمود والشخص اليه وكتاب الشريف محمود مضمونه انه تعين من قبل المهدي  
أميراً على اقليم دنقلة وانه معسكر في بئر تبعد عن النهر بثلاث مراحل  
اسمها (أم بليلة) فكتب اليه مصطفى ياور باشا يقول فيه اني لم اكن مصدقاً  
بدعوة المهدي وان ما فعلته كان خديعة وحيث انك من أهالي دنقلة  
فانت آمن اذا عزمت علي العودة الى وطنك مستظلاً بطاعة الحكومة  
ولما عاد رسول الشريف محمود اليه في بئر (أم بليلة) واطلع على ما كتبه له مصطفى  
ياور باشا أسرع بالفرار من ذلك المكان ولحق بالشيخ المهدي الذي كان معسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة في مكان اسمه (كورتى) وأخذ في الاستعداد  
والاهبة للغارة علي الحدود وكان مع الشريف محمود حسن خليفة العبادي  
ابن أخي حسين باشا خليفة مدير بربر أرسله المهدي للدعوة له في صعيد  
مصر ومعه أيضاً رجل مغربي أرسله أيضاً ليدعو أهل طرابلس الغرب  
وهاهي صورة كتابين اخترناهما من الكتب العديدة التي كتبها المهدي الي

جندى فعول على دفع البلاء ، بالتحائلة والخديعة فاستدعى المسيحيين الذين كانوا معه في المديرية وأسر اليهم انه عول على دفع شر المهدي بالخديعة ريثما تصل النجدة الانكليزية وانه سيستدعوهم على رؤس الاشهاد في سراي المديرية ويعرض عليهم الاسلام فيجيبونه فصدعوا بما أشار به عليهم ثم استدعى رجالاً من ذوي قرابة المهدي المقيمين في دنقلة وأعلن أمامهم انه دخل في طاعة المهدي وانه صار عاملاً من قبله على إقليم دنقلة ثم دعا المسيحيين للاسلام فاجابوه وكتب الى المهدي كتاباً ضمنه دخوله في طاعته وشرح له كل ما فعله من اسلام المسيحيين واعلانه الطاعة فاجابه المهدي بكتاب سماه فيه مصطفى جابر بدل ياور لانه من أسماء الكفار على زعمه وضمن الكتاب تعييناً أميراً على دنقلة من قبله وأمره بابدال ملابس المساكر بالمرقعات التي هي شعار المهديّة ثم بعد ذلك حصلت وقائع الدبة والحتانة التي تقدم لنا ايرادها

ولقد جاء ما أتاه مصطفى ياور باشا بنتيجة مرضية حيث استطاع حفظ البلاد مع قلّة جنوده ريثما وصلت طليعة الحملة الانكليزية وساعد أيضاً على حفظ المديرية من السقوط في قبضة العدو وجود رجال اكفاء قاموا بتدبير الامور وخطر وانفسوسهم في جميع الوقائع التي انتصر فيها جنود مصطفى ياور باشا ونخص منهم بالذكر أحمد جودت بك وكيل المديرية وقتئذ فانه كان قومندان القوة المدافعة في واقعة الدبة التي انهزم فيها الشيخ المهدي شر هزيمة وقد أصيب وقتئذ أحمد جودت بك بطعنة رمح في جبهته أما الضابط أحمد أفندي سليمان الذي تقدم ذكر وقوعه في قبضة العصاة وفراره منهم بواسطة صديقه الخليفة أبي بكر فانه كان قومندان القوة النظامية وشهد كل وقائع دنقلة كما انه شهد كل الوقائع



الحكومة واستصرخ في طريقه بمائل الرطاب وأولاد قر الذين صاحبه  
رئيسهم نعمان بن قروال سليمان بن نعمان قاتل الكولونيل ستوارت فاجتمع  
إليه نحو ستة عشر ألف مقاتل وصل بهم إلى الدبة وفي ذات ليلة هجم بهم  
على مركز الدبة وكان الظلام حالاً كما شعرت الحامية إلا بالضوضاء حول  
المعقل فصوبت مقذوفاتها على العدو فسقط منه ألفان وسبعمائة قتيل  
وقتل نعمان بن قروال الهدي ومعه نحو خمسة آلاف مقاتل وفر الباقون  
ولحقوا ببلادهم وعسكر الهدي في جبل على شاطئ النهر في جهة ( الحتانة )  
وفي ثاني يوم الواقعة وصل المدير ومعه فصيلتان من الجنود النظاميين ثم سار  
إلى الحتانة ومعه خمسمائة جندي فابتدره الدراويش باطلاق البنادق فاحاط  
بموقعهم وهجم بجنوده عليهم فلما أبصر الهدي الجنود هاجم عليه ولي  
الادبار ومعه قومه وغنم الجنود معسكرهم وفيه كثير من الاقوات واستولوا  
على عشرين صندوقاً مملوءة خرطوش بنادق رامنجتون ثم تأثر المدير العدو  
مسيرة ست مراحل حتى خرج من حدود المديرية وقبيل راجعاً إلى مركز  
المديرية وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٣٠١

ذكر مخبرات المهدي مع مصطفى ياور باشا

تقدم لنا ذكر وقائع دنقلة وهما نحن نذكر ما فاتنا فنقول

لما حاصر أبو قرجة الخرطوم وظفر محمد الخير ببرر كتب المهدي  
كتاباً مع رسول خصوصي إلى مصطفى ياور باشا مدير دنقلة يدعوه فيه إلى  
التسليم أو الحرب وكان الشيخ الهدي في بربر يتأهب للغارة على دنقلة كما تقدم  
فادرك مصطفى ياور باشا حرج موقفه إذ كان جنوده لا يزيدون على خمسمائة



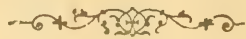
وما كاد يبلغ محل الثارين حتى قبضوا عليه وعلى جنوده المشرة بعد أن اطلقوا النيران على العدو الذي لم يتمكن من القبض عليهم الا بعد ان نفذت ذخيرتهم وبمدان هموا بقتل أحمد أفندي سليمان وجنوده ارجأوا قتلهم الى الغد واعتقلوهم في منزل رجل اسمه الخليفة أبو بكر وكان صديقا جديا لأحمد أفندي سليمان وما كاد الليل يرخي سدوله حتى أطلق الخليفة أبو بكر أحمد أفندي سليمان ومن معه فركبوا دوابهم وفروا وفي الغد فقدوهم فبعثوا خلفهم نحو مائتي راكب فلم يدركوهم وعادوا بغير طائل ولم ينتقموا من الخليفة أبي بكر لما بينه وبين العصاة من روابط الجنسية

ولما وصل أحمد أفندي سليمان الى مركز المديرية رفع الى المدير نتيجة مأموريته فأبحر المدير ومعه مائة جندي نظامية على باخرة قاصدا جهة (الدبة) وكان ولد عبود ومعه زهاء سبعة آلاف مقاتل قصدوا جهة الدبة وكان بها نحو ثلاثمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وما كاد المدير يصل تلك الجهة حتى علم ان العدو منقسم قسمين في جهتين متقاربتين وانهم ممتنعون عن الحرب حتى ينسلخ شهر رجب فاخذ المدير في الاستعداد وهاجم مركزي العدو فكان النصر حليفه حيث انجلى الهجوم عن انتصار المصريين وهزيمة الثوار وعاد الامن الى ربوع دنقلا وقفل المدير راجعا الى مركز المديرية بعد أن حصن نقطة الدبة

### ذكر واقعة الشيخ الهدي

لما وصلت أخبار الهزيمة الى الشيخ الهدي في بربر غادرها قاصدا جهة لدنه وأمدّه محمد الخير بمائة جندي سوداني من الذين انضموا اليه من جنود

الاقسام الوسطى. والجهات الشمالية أرضها قاحلة مكسوة بالحجارة الا ان النخل فيها كثير ومحصوله جيد وبه قوام سماعيل السكان خلافا للاقسام الوسطى فان أرضها خصبة وطريقة الري فيها بالسواني وهي تجود بمحصول وافر من الجبوب وفيها النخل أيضاً لكن محصوله لا يذكر في جانب محصول الجهات الشمالية وسكان هاته الاقسام خليط يطلق عليهم (الدناقلة) والغالب على اخلاقهم الهدو والسكينة. أما سكان الاقاليم الجنوبية فهم قبائل الشايقية وأرضهم تشبه الاراضي الشمالية والحاصل ان عوائد سكان دنقلة متقاربة متشابهة



### ذكر الشيخ الهدي

كان في احدى قرى الشايقية التي بين الخرطوم وشندي رجل اسمه (الشيخ الهدي) وكان صاحب طريقة وله صداقة مع محمد الخير داعية بربر وبمد هلاك حملة الجنرال هيكس وفد هذا الشيخ على المهدي فاكرم وفادته وقدم له الهدايا وتلقاه بالاكرام ثم عرض عليه ان يقوم بالدعوة له في مديرية دنقلة فاجابه بالقبول فكتب له بالامارة على قبائل الشايقية كلها وبالدعوة له في مديرية دنقلة ثم غادر الشيخ الهدي كردفان مع محمد الخير داعية بربر واشتغل معه في حصار بربر ثم انفذ خاله (ولد عبود) أحد افراد قبيلة الشايقية الى اقسام دنقلة الجنوبية فثارت معه قبيلة الشايقية واعلنت خلع طاعة الحكومة وورفت لواء العصيان وقبضوا على ستة عشر جنديا واثنين صف ضباط كانوا جباة في هذين القسمين وقطعوا اسلاك التلغراف وأسروا عماله

ولما وصلت تلك الاخبار الى المدير مصطفى ياور باشا انتدب الضابط أحمد افندي سليمان ومعه عشرة عساكر من النظاميين لاكتشاف الاخبار

حيث يزعمون انه يرى اللوح المحفوظ متى أحرم بالصلاة

وقيامه وسجوده طويلا ن جدا حيث كان يقوم في قراءة الركعة اكثر  
من عشر دقائق وفي الركوع والسجود نحو ثلاث دقائق

وصلى في رمضان صلاة القيام عشر ركعات قرأ فيهن جزأ من القرآن وصلى  
بالناس في ليلة نصف شعبان مائة ركعة بالقرآن كله رافعا صوته بالقراءة با كيا  
وكان عنده عبد اسود يؤذن له فقال انه وارث مقام بلال مؤذن النبي  
صلى الله عليه وسلم واعطى مقام ابن أم مكتوم لمؤذن ثان

هذ وقد قلده كثير من الامراء والاتباع في رفع أصواتهم بالبكاء أثناء الصلاة  
ومن المضحكات ان دنقليا من أقارب المهدي تناول الف ريال من تاجر  
قبطي اسمه جرجس ليصنع له بها مراكب ثم اغتال المال ولحق بالمهدي  
وبعد سقوط الخرطوم زاره نجاران مصريان فقام يصلى واسترسل في البكاء  
فاندش الزاران من هذا البكاء وقال أحدهما ما الذي أصاب الرجل فقال الآخر  
لا أظن شيئا أصابه غير انه لما رآنا تذكر ما اغتاله من مال جرجس فبكى ظنا  
منه اناجئنا نطالبه به

### حوادث دنقلة

دنقله إقليم من أقاليم السودان المصري وحده من جهة الشمال  
(خور موسي باشا) وهو يبعد عن حلفا بنحو خمسة أميال ومن جهة الجنوب  
حدود مقاطعة بربر واقسامه احد عشر قسما أربعة منها في الشمال وسبعة  
في الجنوب

وسكان الاقسام الشمالية هم قبائل (سكوت والمحس) والداقلة يسكنون

## ذكر انتقال المهدي الى ام درمان

ذكرنا ان المهدي كان معسكراني جهة الفتيح بعيداً عن مرمرى المقدوفات  
وفي أوائل جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره بنقل معسكره الى ام درمان وكان يطلق اسم ( البقعة الطاهرة المشرفة )  
على كل معسكر حل فيه وفي صبيحة يوم ركب ناقته وقال ان النبي صلى الله  
عليه وسلم أمره باطلاق خطامها حتي تنزل بالمكان المأمورة بالقاء رحلها  
فيه وذلك كما كان يعيره صلى الله عليه يوم دخل المدينة المنورة فدارت الناقة  
المأمورة على زعمه حتى القت رحلها بمكان مرتفع شمال خندق أم درمان  
يبعد عن ضفة النهر بألفي متر تقريباً وهناك القت رحلها فضربت اطناب الخيام  
وصنعت الاكواخ من البوص وجعل طول المسجد نحو ستمائة متر في ضفتي  
هذا القدر وصنعت للمهدي مقصورة من ألواح الزنك التي كانت تصنع للاماكن  
التي تودع فيها المواد الماتية ونقل منبر الخطابة الذي كان موضوعاً في سلامك  
الحكمدارية الى تلك المقصورة وكانت بقية المسجد مكشوفة والمصلون  
معرضين للحر والبرد

ولما كان منزله متصل بالمسجد كان يصلي الاوقات كلها داخل بيته والناس  
يأمنون به وبينهم وبينه نحو عشرة حجب من الشوك والاطناب والبوص وكان  
لا يصلي في المقصورة الا فريضة الجمعة

وكان ذا صوت جهورى في الصلوات الجهرية يرفع صوته بالقراءة با كيا  
وتساقط الدموع من عينيه وكثيراً ما كان يمسح تلك الدموع في حال القيام  
وقومه معجبون به ويمدون بالبكاء في الصلاة من علامات اطلاعه على الغيب

الشيخ محمد الامين الضرير فاخترق الصفوف بحصانه وقال للمتأمرين احذروا  
 ان تصيدوا الشيخ بسوء واعلموا ان من أصابه بماء أصبته بسيفي فنفرك الناس  
 وأغمدوا سيوفهم عنه وقاد على أباه واجتاز به النهر وقدمه للمهدي الذي  
 قابله بالاكرام واكثر من لومه ومعاتبته ثم بايعه البيعة المشهورة ثم قاده ابنه  
 أيضاً الى عبد الله التمايشي الذي أخش له في القول واسمعه من الكلام  
 أمره وأخيراً قال له يا عالم السوء يا من أعمى الله بصره وبصيرته قضيت عمرك  
 المشؤم في تحصيل علوم جاء المهدي بنسخها فقد كنتم تقولون حدثنا فلان  
 عن فلان بائيد طويلة ونحن الآن نتلقى الشريعة من المهدي الذي يتلقاها  
 مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاحذر يا شبيهة السوء ان أسمع عنك  
 انك تعلم الناس شيئاً من العلوم القديمة المنسوخة واعلم انك منذ  
 الآن محتاج الى التعليم من أحقر انسان من أصحاب المهدي ثم دعا عبداً  
 أعجمياً وقال للشيخ محمد الامين هذا استاذك منذ الآن فضل بجانبه وتلق  
 شريعة المهدي عنه اما ما تعلمته قبل الآن فانه منسوخ وخير لك ان تحفر له  
 في الارض حفرة تغيبه فيها فسكت الشيخ ولم يجاوبه بكلمة بل خرج من  
 عنده وهو يقول اللهم اقبضني اليك غير مفتون فتوفي بعد بضعة أيام خملت  
 جثته الى المهدي فامتنع عن الصلاة عليه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 نهي عن الصلاة على المنافقين وقرأ « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم  
 على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » الآية

ونجا عبد الرحمن ارباب بعد ان هم عبد الرحمن النجومي بقتله فاكرمه المهدي  
 واردفه خلفه ثم مالبث عبد الرحمن ان انكر على المهدي أفعاله ونقم عليه وايقن  
 انه كان في ضلال مبين حيث كان مصداقاً بهذه الدعوة ومعيناً لذلك الطاغية



ولا يدوم لمن تعلق به ولا يعصمه فاعتصموا بالله وتوكلوا عليه وآتقوه فإنه قال  
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على  
الله فهو حسبه » صدق الله العظيم والسلام ٢١ جمادى آخر سنة ١٣٠٢

ذكر مقابلة الشيخ محمد الأمين الضرير للمهدي ووفاته  
تقدم لنا ذكر الشيخ محمد الأمين الضرير ونقلنا صورة الكتابين  
الذين بعثهما له المهدي وفي غضون حصار الخرطوم كان الناس اشاعوا  
عنه انه جاسوس للمهدي وانه كان يبطن ولاءه وكان أهل الخرطوم  
يغضونه لهذه الاسباب حتى شكوه الى غردون فقبض عليه وعلي  
قاضي القضاة الشيخ محمد حتيك والشيخ موسى المفتي اللذين تقدم ذكر قتلها  
وقبض أيضاً علي عبد الرحمن ارباب أحد علماء المدينة وبالتحري عن شأنهم  
ثبت ان الشيخ محمد الأمين وقاضي القضاة والمفتي بريثون مما رماهم به أهل  
الخرطوم الموصوفون باساءة الظن بكل مواطنهم الذين لم يكونوا مصريين  
من جنسهم

ولكن تحققت التهمة في عبد الرحمن ارباب فقط وبمد ان قضوا  
أربعة ايام في السجن امر غردون باطلاقهم حتي عبد الرحمن ارباب الذي ثبتت  
ادانته وبالع غردون في الاعتذار الى الشيخ محمد الأمين واسترضاه ورفقاه  
وفي يوم سقوط المدينة دخل على الشيخ محمد الأمين ابن له اسمه علي  
كان قائداً صغيراً من قواد المهدي وساقه الى عبد الرحمن النجومي الذي هم  
بقتله واستل ابنه سيفه ليقتله اظهراً لاختلاصه للمهدي وبيناهم كذلك اذ  
مر عليهم الخليفة شريف فسأل عن الخبر ف قيل له ان القوم يتآمرون على قتل

شفا حفرة من النار فانقذكم منها فاشكروا نعمة الله التي انعم بها عليكم واستمظموها  
لتشكروها وتكفوا بها عن نعم الدنيا ومتاعها لان نعم الدنيا ومتاعها نصيب  
أبناء الدنيا الذين لا نصيب لهم في الآخرة واعلموا ان الله هو المتكفل بالارزاق  
الضامن لها فن عرف ذلك عرف انه مادام حيا لا يقطع رزقه ولو هرب  
منه للحق كما ورد « لو ركب العبد الريح هاربا من رزقه لركب الرزق البرق  
حتى يلحقه » وحيث كان كذلك وان ما وجد في الحرطوم شيء جزئي لا يكفي  
الانصار الذين فتحوه وأنعم الله عليكم باعانتهم وقد صرف عليهم جميع ما وجد  
مع غنائم بربر ولم يفضل الا ما يحتاج للترويج فاصرفوا نظركم عما خرج من  
أيديكم جملة حيث بعم أنفسكم وأموالكم لله وأنتم تعلمون ان الصحابة لما  
خرجوا الى الهجرة فارقوا ديارهم وأموالهم رغبة في دين الله وأنتم لما أنعم الله  
عليكم بالصحبة التي تمنها كل السابقين فاخرجوا عن ذلك واكفوا بالله  
وارغبوا فيما عند الله كما البيعة على ذلك فان من لم يخرب الدنيا للآخرة لا يستقيم  
له دينه وقد بعث صلى الله عليه وسلم لحراب الدنيا وعمارة الآخرة كيف وقد  
دعا النبي صلى الله عليه وسلم على طالب الدنيا الذي لا يرضى الا بهاقال صلى  
الله عليه وسلم « تمس عبد الدينار والدرهم والخميصة ان أعطي رضي وان لم يعط  
سخط تمس وانتكس واذا شيك فلا انتقش » ووصف الله المنافقين بذلك فقال  
تعالى « ومنهم من يلهو بك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها  
أذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيموتينا  
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون » وأنتم أحبابي اكفوا باندراجكم مع  
المجاهدين وما يعطيكم أسوتهم فلا خير في الرقيق حيث يعيش العبد بدونه  
ويتأسف واجده عند فراقه وقد صدق فيه اسم الرقيق لان الرقيق ينقطع

الصناجق الذين غزوا في ضواحي الخرطوم على احدى البواخر فشكرني  
ورجاني أن آذن له بالبقاء ريثما يأكل قليلا من البقسماط ليستعيد بعض قوته  
ثم سألتني ان أرسل معه جنودا يحفظونه من الاعتداء عليه حتى يبلغ منزله وفي  
الغد عاد اليّ واخبرني أن أولئك الحراس اغتصبوا منه البقسماط ولكنهم  
تركوا الخروف له فدعوتهم لاسألهم فقابلوني بشراصة خلق وقالوا ألم نصنع  
معه من المروءة ما لا يصنعه غيرنا حيث تركنا له الخروف فقلت لهم صدقتم  
وطيب خاطرهم وصرقهم

والحاصل ان المهدي بعد ان صادر جميع أموال سكان الخرطوم وسبي  
من نساءهم كل حسناء وقاسوا من العذاب أشده ونالوا من الضنك غايته وكانوا  
محجورا عليهم الكسب وسبل الارتزاق وكان يعطى كل شخص نحو رطل من  
الذرة في كل يوم حتى هلك من هلك ونجا من أراد الله نجاته ركب هو  
وخلقاؤه ذات يوم ووقف حولهم فرثي لهم وأذن لهم بمبايعته ثم كتب لهم  
منشورا وعظمهم فيه وضمنه ما يقطع أملهم من إعطائهم شيئا مما سلب منهم  
وهذه صورة المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أحبابه وأصحابه  
الذين خرجوا من ققرة الخرطوم ومرادهم السلامة لليوم المعلوم ورضاء الله  
الحى القيوم أقول يا أحبابي ان نعمة الدين نعمة لا نعمة غيرها وحيث من  
الله عليكم بها وصرتم من عبيد الله الذين يطلبون ما عنده ويمثلون أمره  
ويرغبون فيما رغب فيه ويزهدون ويستحقرون ما حقره بعد ان كنتم على

يشاهد حولها شيء من الديدان أو الحشرات التي تنتاب الاجسام الميتة وقد  
عد شعراء المهدي ذلك كرامة من كرامات المهدي حيث قالوا في أنشودة  
باللغة الدارجة ماممناه «ان اعداء المهدي الذين فنك بهم سيفه عافت اكل لحومهم  
الطيور والديدان والكلاب وسائر الحوام وذلك دليل على كفرهم»

ولم تقف الفظائع عند حد القتل وازهاق الارواح بل كانوا يمثلون باشلاء  
المقتولين ويجمعون التبغ ويحرقون به الجثث

وكان في الخرطوم رجل من أهل خراسان اسمه الشيخ عبد الرحمن  
الخراساني وكان مجاورا بالمدينة المنورة ومعروفا عند أهلها بالصلاح والورع  
وله أتباع كثيرون في السودان فقتله الدراويش وربطوا جثته بجثة كلب ميت  
ووضعوا فيه على راس السكب واحرقوها معا

ومن الذين قتلوا يوم سقوط المدينة الشيخ شاكر الرئيس مفتي السودان  
وكان سوريا قتله محمد نوباوي الذي دخل على غردون وقتل ابنه قبله ولما  
هم بقتله قال له احد الحاضرين اتركه لانه رجل فقيه فقال له انه افتي بفتوى  
ضدي منذ عشرين سنة فأنا اذبحه واذبح ابنه قبله تشفيا

وقتل من العلماء أيضا الشيخ موسى مفتي المحاكم الشرعية والشيخ محمد  
حنيك قاضي القضاة وكانا فقيهين محققين كبار سالتين طوبلتين كذبا بهادعوي  
المهدي وفندا مزاعمه وقبل سقوط المدينة جاءني الشيخ موسي زائراً ثم اختلى  
بي وقال لي والدموع تتساقط من عينيه اني وأولادي لم نذق طعماً منذ  
ثلاثة ايام ثم كشف عن بطنه فرايت حجراً مربوطاً عليها فهالني ذلك وعرضت  
عليه نقوداً فلم يقبلها ثم وجدت بمنزلي أفتين من البقماط دفعت له اقة  
وابقيت لنفسى الثانية واعطيته خروفاً من الضأن كنت اشتريته من احد

ولا بد أن يحترمه هؤلاء الدراويش ولا يمدوا أيديهم بسوء لمن دخل في  
جواره فهيا بنا ندخل منزله وبينما كانا تهيأان للاحتماء بالشيخ حسين المجدي  
اذ أبصره من نوافذ بيتهما جالسا على مصطلاه متعمما بعمامته الخضراء يقرأ في  
المصحف فدخل عليه الدراويش فضربوه بالسيوف وبتروا يمينه فقال مرحبا  
بقضاء الله فقالوا له يا كافر فقال اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول  
الله وامتلأ المصحف من دمه فأغمي عليه فتناول أحد الدراويش امرأته وآخر  
بنته على مرأى منه ومن جيرانه وفسق الاول بالمرأة وافتض الثاني بكارة  
البنت وقال له قد أحل الله لنا دمك وعرضك فقال لهم كذبتم ان الله لم يحل  
دمي ولا عرضي ثم اجهزوا عليه أما الاسرائيليان فانهما قد نجوا من القتل  
ولا يزالان على قيد الحياة

وكان في الخرطوم أيضا رجل مصري اسمه الشيخ فايد كان شيخ سجادة  
الاحمدية وفي ساعة المذبحة التجأ الى بيته نحو عشرين شخصا من جيرانه من  
موظفي الحكومة فدق الشيخ طبوله وحمل رايته فذبجه الدراويش ومن معه  
ولم ينج منهم غير واحد اسمه عبد الله ابراهيم سعد كان ضابطا في الحامية  
بعد أن اصيب بثلاث ضربات بالسيف على راسه

وقتل قناصل الدول كلهم وكان موسيو هنزل قنصل النمسا استأمن  
المهدي على نفسه ورعاياه فوعده المهدي باشخاصه الى بلاده اذا خرج اليه مسلما  
نفسه وفي يوم سقوط المدينة ذبح وسبيت امرأته وصارت جثث القتلى مطروحة  
على وجه الارض

ومن أعجب ما شاهدته أن هذه الجثث لم تنتفخ ولم تتغير ملامحها حتى  
انك لتستطيع معرفة الشخص المقتول بعد بضعة شهور ولم تأكلها الطيور ولم



من أعيش حتى تطلبوا لي النجاة فأنا أقول لكم أيها الأصدقاء انكم لا تحسنون  
إلى الا اذا قتلتموني بجانب هؤلاء فأخذوا يراجعونه وساقوه بالاكره فامتنع  
وقال لهم اقتلوني أيها الناس فأننى كرهت الحياة فتركه أصدقاؤه وامتنعوا من  
قتله فقتله غيرهم

ومن أمثال هاته الحوادث أمراة احمد عبد الوهاب وكيل الضبطية  
فانها لما قتل زوجها واخوته الأربعة ترامت على اقدام القاتلين وقالت لهم  
ألقوني بمن فتلتموهم فامتنعوا لانها كانت فتاة رائعة الجمال وما زالت  
تلح عليهم فلم يفعلوا وأخيراً أمسكت سلاحاً وهمت بأولئك القتلة فقتلواها  
تخلصاً من شرها

وقتل أيضاً امراة ابراهيم بك لبيب حكمدار بوليس المدينة مع  
زوجها لانها احتضنته لما هم الدرايش بقتله. وكذلك امراة نالثة حذت حذوها  
فهذه الثلاث نسوة اللواتي ذكرنا خبر قتلهن يوم سقوط الخرطوم أما اللواتي  
ذهبن ضحية التعذيب فان عددهن يزيد على الثلاثمائة

وكان في الخرطوم رجل مصرى أصله من نجر دمياط. ومن علماء  
الازهر الشريف ثم عين قاضيا لبربر ثم عين مدرسا بجامع الخرطوم ورئيساً  
لأساتذة المدرسة الاميرية وكان يتعمم بعامة خضراء لانتسابه لآل البيت  
المطهر كما كان في طليعة العلماء الذين كتبوا النصائح تكديباً لدعوى المهديونية  
وكان غردون يحترمه ويحمله ويشاوره في كثير من الامور واسمه حسين المجدي  
وفي يوم سقوط المدينة دخل عليه الدراويش وله جاران اسراييليان أحدهما  
اسمه بسيون والثاني اسمه اسراييل فلما أحسا بدخول الدراويش قالان ان جارنا  
عالم من علماء الاسلام وذوانتساب لآل بيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )

باقون في البقعة التي بين الخندق وممسكر ابن النجومي معرضين للبرد والحرارة ووكل بحراستهم الحاج خالد العمراني فكان يأخذ الرجل أو المرأة الى منزله في المدينة ويوالى تمذيبه حتي يدل على ماله وكثير منهم ماتوا تحت أيدي المذبذبين الذين لا يرثون ولا يرحمون

وقد رأيت كثيراً من النساء أصبن بالجنون لهول من ما قاسينه من أليم المذاب وأخريات فقدن العقل عند ما رأين أولادهن وأزواجهن مذبحين بين أيديهن وفيهن من فقدت من الأولاد سبعة وثمانية ولقد رأيت امرأة رجل مصري اسمه عطية كان أمين ورق التمرة قتل زوجها واخوتها ثلاثة وأولادها خمسة واحفادها من جهة أولادها ثلاثة وأزواج بناتها ثلاثة واحفادها من جهة بناتها أربعة وكان عمرها زهاء سبعين سنة فكنت تراها وقد ذهل عقلها وهي تصف لكل من وقع نظرها عليه مصرع أولادها ثم تتناول التراب وتضعه على رأسها ثم تصرخ وتهم على وجهها في القفلة وهكذا كان حالها حتى توفيت بعد بضعة شهور ومثل هذه المرأة كثير يعد بالمئات وأصيب كثير من الرجال بمثل ما أصيبت به هذه المرأة وكثير من الذين نجوا من تلك المذبحة ماتوا الفرط ما أصابهم من الحزن بعد أن انفطرت أكبادهم من هول مارأوه في ذلك اليوم المشؤم

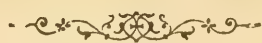
ومما يذكر هنا ان محمد باشا حسن مأمور المالية دخل عليه يوم سقوط المدينة أصدقاء له من جيش المهدي وأحاطوا به وحجوه من القتل فلما خرج معهم ونظر في طريقه الى جيرانه ومعارفه قتملى في شوارع المدينة قال لاصدقائه الى أين تذهبون بي فقالوا الى خارج الخندق لانه لاسلامة لك مادمت داخل الخندق فقال لهم قد قتل أهل بلدى كلهم فمع

ان أحد معارفي أحسن على بخمسين ريالاً فرفع سوطه وقال من هو الكافر  
الذي يحسن على الكافر فلما رأيت إلحاحه خشيت أن يكون وراءه مسؤولية  
على حسين باشا خليفة فقلت انه رجل من جهات النيل الأبيض كان يعرفني  
أما أنا فلم أعرف غير وجهه ولا أعرف اسمه فأمرني إلى السجن فمكثت فيه  
ثلاثة أيام ثم أخرجني منه وقال لي لاجنّاح على فيما فعلته معك لأن الذين  
وشوا بك مصريون من أبناء جلدتك فالآن عفوت عنك واطلب منك أن  
تجملني في حل مما أصابك منى فقلت له انت في حل فأعطاني عشرة ريالات  
واناء للطبخ وآخر للأكل وملاءة وجارية وقال لي عد إلى أم درمان فملت  
الامتعة وذهبت مع الجارية التي أخذت تسبني وتقول (كيف أرضى بولد  
الريف تغني المصري سيداً لي) وبينما أنا سائر في الطريق وهي سائرة بجانبني  
اذ لمحت الجارية جماعة من العبيد الجهادية سائرين في الطريق فاستغاثت بهم  
وقالت ان ولد الريف سرقني فقال لي العبيد من أين سرقته يا ولد الريف  
فقلت لم أسرقها بل أعطانيها أمين بيت المال فابتدروني بالضرب بالسياط  
وسلبوا كل ماعى من الامتعة والنقود والجارية ثم ذهبوا إلى حيث لا أعلم  
وجهتهم فعدت إلى أمين بيت المال وقصصت عليه قصتي فكان جوابه  
لا شأن لي فعدت إلى أم درمان في اسوأ حالة لأملك قوت يومي فضلا عما  
أنافيه من آلام الجروح الناشئة من ضرب السياط.

### ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك

مكث الدراويش يعدون أهالي الخرطوم ليدلوهم على خبايا أموالهم  
بقية شهر ربيع الثاني وشهر جمادى الأولى إلى أواخر شهر جمادى الثاني وهم

باسبوع وفي يوم السقوط قتل زوجها وابوها معا فامسكها أمين بيت المال وقال  
 للمهدي اني أقدمها لك في غضون اقامتك في منزل ابيها فقام المهدي ودخل الى  
 داخل المنزل ورأى المرأة فاعجبه حسننها ولم يخرج حتي نال وطره منها وكان  
 ذلك في اليوم الرابع لقتل زوجها ثم قفل المهدي راجعا الي ام درمان والمشاورة  
 دائرة بينه وبين أهل شوره على جعل الخرطوم عاصمة ملكه وكلهم  
 موافقون له على هذا الرأي ما عدا عبد الله التعايشي فانه كان يقول للمهدي انا  
 لم نعرف بعد عاقبة أمرنا مع الحملة الانكليزية التي ربما اضطرتنا الظروف  
 للتقهقر امامها الى كردفان فاذا أقمتنا بالخرطوم صار النهر بيننا وبين كردفان  
 وما زال التعايشي يثبط المهدي ويقيم له العقبات ليمنعه عن سكنى الخرطوم  
 وبقي المهدي مدة مترددا في القبول يقيم أسبوعا في الخرطوم وأسبوعا في أم درمان  
 ويصل الظهر والعصر في سلا ملك الحكمدارية وإقامته في منزل ابي بكر  
 الجار كوك حتى وافته منيته كما سيأتي



### ذكر القبض على المؤلف وسجنه بالخرطوم

وبعد مضي شهر على سقوط الخرطوم ارسل اليّ حسين باشا خليفة  
 مدير بربر خمسين ريبالا فاشتريت منها جبة ونملا وعمامة وأبقيت بعضها للنفقات  
 وما مضت على ثلاثة أيام حتي جاءني نحو عشرة دراويش يحملون  
 الاسلحة فقبضوا عليّ وأوثقوني كتافا وفتشوا كوفي وحفروا أرضه وساقوني  
 الى أمين بيت المال في الخرطوم فدخلت عليه فصاح بي وقال يا كافر يا منافق  
 يا لص أنت سرقت من مالك وتوسعت به حيث غيرت ملابسك وعلا رأسي  
 بسوط. كان في يده حتى تطاير الدم فقلت له ياسيدي انني لم أسرق شيأ بل

انصرافنا من عند التعايشي اذهب بنا لمقابلة الخليفتين علي بن حلو ومحمد شريف  
فقلت له انني لا اقيت من التعايشي مالا قيمته فليت شعري ماذا الاقي من الخليفتين  
ثم قلت له لا اذهب اليهما البتة وقد كان من أمرى معهما انني ماصاغت  
واحداً منهما ولا اجتمعت بهما حتي من الله علي بالخلاص من أسر المهدوية  
والحمد لله على كل حال

### ذكر دخول المهدي مدينة الخرطوم

في يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ركب المهدي وخلفاؤه الباخرة (اسماعيلية)  
واجتاز بها النهر الى الخرطوم ثم قصد المسجد وصلى فيه فريضة الجمعة ثم خرج  
بعد الصلاة وقصد سراي غردون ثم تفقد الترسانة والجبهه خانه وكتب أمراً  
الى خاله طه محمد بتوليته ناظراً على الترسانة وأمره بجمع العمال الذين كانوا بها  
واعادة الاعمال فيها وفوض الى عبد الله التعايشي أمر حراسة الجبهه خانه  
فانتدب له ارجالاً اسمه عبد الرحيم الطريفي وأمره بجمع العمال واعادة الاعمال  
فيها مثل تعبئة الخرطوش واعداد آلات الحروب واصلاح كل متخرب من  
البنادق التي في مخازنها ثم زار أمين بيت المال ولبث عنده برهة قدمت له  
في خلالها المرطبات والقهوة فتناول القهوة ومزجها بالحلوى ليظهر للملازمهده  
وعدم اعتناؤه بالمطاعم فقال له أمين بيت المال لا تفعل ذلك ياسيدي فقال له  
ولماذا فقال لان ذلك يذهب بلذة الحلوى والقهوة مما فقال قد تركنا اللذات  
لانها معقبة بالحشرات ثم قال لأمين بيت المال اني عازم على الاقامة بمض  
أيام في هذا المنزل أي منزل أبي بكر الجار كوك وأمره باعداد ما يلزم لراحته  
وكان لصاحب المنزل أبي بكر الجار كوك بنت تزوجت قبل سقوط المدينة



لا بد لك من مقابلة عبد الله التعايشي فقلت له بلغني ان هذا الرجل مشهور  
 بالقسوة واني أخاف على نفسي منه فقال لي يوسف انه لكذلك ولكن اذا  
 بلغه انك قابلت المهدي ولم تسع لمقابلته كانت العاقبة اسوأ فقبلت مشورته  
 وفي الغد صاحبي يوسف منصور والسيد بك جمعه الى دار التعايشي الذي  
 مكثنا ننتظر خروجه علينا ست ساعات وفي منتصف النهار خرج علينا واذ هو  
 رجل نحيف الجسم بوجهه أثر الجدري وملابسه مرقعة رثة بالية فابتدره يوسف  
 منصور بالتحية فرد عليه ثم قال له يوسف منصور يا خليفة الصديق هذا  
 ابراهيم فوزي من الخرطوم عفا عنه المهدي وبايعه فجاء يطالب عفوك أيضاً  
 فالتفت اليّ بوجه عبوس وقال ما هذا ثم التفت لمن حوله من الدراويش  
 وقال لهم ألسنكم ان لا تتركوا ذا شارب أو ملتجئاً من الذين دخلتم  
 عليهم في الخرطوم ثم قال ليوسف منصور ماهي وظيفة هذا الكافر في  
 الخرطوم فتلعثم يوسف منصور وتوقع شرا يصيبني وقال له انه كان ملازماً  
 بيته وكان غردون يبغضه فقال التعايشي للسيد جمعه ماهي وظيفة هذا الرجل  
 فقال كانت وظيفته (باشا) فقال التعايشي (كان باشا الشونة) ومنذ ذلك  
 فهمت ان لفظة الشونة كلمة عظيمة جداً عندهم ثم قلت له ياسيدي خليفة  
 الصديق ان سبب نجاتي من القتل هي تعلق قلبي بمحبتك ومحبة سيدنا  
 الامام المهدي المنتظر وان أنوارك وانوار المهدي هما كانا سبب نجاتي واني  
 أحمد الله على منته عليّ بمشاهدة نورك ونور المهدي وقد صرت الآن لا اكره  
 الموت لأنعماسي في ذلك النور فاطرق الى الارض ورفع رأسه وقال يا يوسف  
 منصور قد عفوت عنه ثم انصرفنا عنه وعدت الى منزل يوسف منصور  
 وصنعت لي كوخاً من الحشيش بجوار منزل يوسف منصور الذي قال لي بعد

قد فرغ من صلاة الظهر والناس متكوفون حوله وهو يعظمهم فتقدم يوسف منصور اليه وقال له يا سيدي الامام المهدي هاهو ابراهيم فوزي فالتفت الى بوجهه باش وقال يا ابراهيم فوزي اني اعرفك منذ كنت حاكما في مقاطعات البحر الابيض فلماذا ركنت الى الكفار ولم تسلم لي اولم يكن الواجب علي مثلك اجابة دعوتي فقلت يا سيدي اني من كبار قواد الحكومة ولا يليق بي ان اتركها في أوقات الشدة وسويعات الازمة وكما اني وفيت لها فساؤني لك أيضاً فتبسم وقال لي قد عفوت عنك وأمرني بالدنو منه فدنوت فبايعني بيعته المعلومه ثم نزع مرقعته وقدمها لي فلبستها وكان ذلك دليلا على منتهي رضاه عني ثم انصرفت فاحاط بي الناس ليتبركوا بلثم جبة المهدي وبعضهم ناظم على نوالي هذه المنه فكان فربق من الناس يقصدون ثم تلك الجبة وآخرون يقصدون ايذاي بالاكم وأخيراً خلعت لهم الجبة ليتبركوا بها ووقفت بعيداً وكانت الشمس محرقة حتى اجتاز بي كبير من الامراء فتقدمت نحوه وسألته ان يساعدي على ارجاع الجبة ففعل ولما دفعها لي أخذتها ووضعتها على رأسي ثم لبستها وتوجهت قاصداً منزل يوسف منصور الذي نجا بنفسه وتركني وسط جموع المتبركين واللاكين وتبعني في الطريق عدد ليس بقليل وكلهم ناظمون على نوالي هذه المرقعة . ثم أبلغت ان المهدي أمرني بملاءة للغطاء وانا لطبخ الطعام وقصعة للأكل وجارية رأيت منها التذمر وعدم الرضى بالبقاء عندي فبعثتها بعشرين ريالاً

### ذكر مقابلة المؤلف لعبد الله التعايشي

لما انصرفت من دار المهدي وعدت الى منزل يوسف منصور قال لي

جندى بسيط وحذا حذوه القاتم سرور بهجت بك واختلطا مع الجنود السود وخرجا من باب المسلمية فامسكهما حراس ذلك الباب من الدراويش وقتشوها ولدي تفتيشهما ارتاب الحراس فى أمرهما حيث وجدوا عندهما ساعتين من الذهب وسلسلتين ذهبيتين ثم وجدوا مع فرج باشا خاتمه المنقوش عليه اسمه وكذلك سرور بهجت بك فقبضوا عليهما وأوثقوها كتافا وأرسلوها الى أمين بيت المال الذى أرسلهما الى عبد الله التعايشي وهو أمر بضرب عنقهما فضربا وكان ذلك فى اليوم التالى لسقوط المدينة

وذهب كثيرون من الناس أن لفرج باشا الزين يداً فى سقوط المدينة وانه كان خائناً والحقيقة انه لم يخن ولا يدل له البتة فى أمر سقوط المدينة غير انه كان كسولاً يميل الى الراحة ويفر من التعب سبي الإدارة

على ان الذى دعا غردون لتوليته هذا المنصب كونه سودانى الاصل وربما كانت توليته تجذب قلوب بني جلده الجنود السود لمعاضدته نخاب ظن غردون فيه ولم يتحقق شيء مما كان يؤمله فيه ومراعاة للظروف إبقاه فى وظيفته التي كان بنحيت بك بطراق يباشرها بدلا عنه

### ذكر مقابلة المؤلف للمهدي

قلت ان الامير أبا قرجة اطلقنى من الوثاق وسكن روعى وآوانى فى داره ليلتين ثم أرسل معى مندوبين حافظوا على واجتازوا النهر معى حتى أوصلوني الى منزل يوسف منصور قومندان طوبجية المهدي وأبلغه المندوبون ان أبا قرجة أرسلني له ليقدمنى للمهدي فقضيت تلك الليلة فى منزله وفى ظهر الغد رافقنى الى دار المهدي ومعنا السيد بك جمعه مدير الفاشر فالقيناه

بقدم المهدي عليهم هجرا اكثرهم الخرطوم ولحقوا بمصر وكانوا من الطبقة الرفيعة  
 جدّا وأرسل اكثر التجار أموالهم الى مصر وغيب الباقون أموالهم في بطن  
 الارض ولما قتلوا يوم سقوط المدينة ذهبتم ولم يهتد أحد لحملها ولذلك  
 يقول العارفون إن اكثر الاموال مودعة في بطن الارض ولم يحصل بيت  
 المال على شيء يذكر من المال. ومن المؤكد ان الامراء كانوا لا يقدمون الى بيت  
 المال اكثر من ربع ما يعثرون عليه ومع ذلك كله بلغ ما اجتمع في بيت المال  
 نحو ثلاثمائة الف جنيه ونحو ثلاثمائة الف ريال من المجيدي والنمساوي  
 ونحو ثلاثين قنطارا من الذهب المصنوع حلياً ونحو اربعمائة قنطار من الفضة  
 أما اثاثات المنازل والرياش والملابس فانها لا تدخل تحت حصر  
 وقد جمعت تلالا يخالها الرائي جبالا

وأما الاسلحة فانها مدفعا من كروب و ٣ مدافع متر اليوز و ٢٠ مدفعا  
 جبليا و ٦ آلاف بندقية رامنجتون جيدة و ٤ آلاف بندقية رامنجتون بها  
 خلل وكانت مودعة بالمخازن وعدد لا يدخل تحت حصر من البنادق ذوات  
 الطلقتين ومن طراز آخر قديم  
 وأما الذخيرة فكما يأتي ٢٠ قنبلة لمدافع الكروب أما المدافع الجبلية ففتنابلها  
 موجودة بكثرة و ١٠ آلاف صندوق مملوءة بالخرطوش و ٨ آلاف اناء  
 (برميل) مملوءة بارودا

### ذكر قتل فرج باشا الزين

لما دخلت ميسرة الدراويش من ميمنة خندق المدينة كان فرج باشا  
 الزين قومندان الحامية وقتئذ واقفا عند باب المسلمية فتنكر ولبس ملابس

وأمرني بالجلوس على الارض فجلست وكنت وقتئذ في أشد حالات الظم والام  
الضرب فقلت له ياسيدى الامير ألتجاسر بطلب شربة ماء قبل الممات فقال لي  
«أبشرك بكل خير» وأمر أحد غلمانه باحضار شراب من العسل ممزوج بالماء  
فقدمه لى فتناولت جرعة منه لم تقم بسد الظم واشتدت بى الحاجة الى طلب الماء  
فاعدت عليه الرجاء بطلب الماء فامر لي بماء ممزوج بشيء من خبز الذرة اسمه  
(الابريه) ينفذى ويزبل الظم فتناولت منه بقدر الحاجة وبعد برهة خاطبني وقال  
ان الدنيا فانية وان زمن المهدي ليس كما تقدمه من الازمان وان المال أصبح  
ملكاً له ومن اخفاه عنه وقع في غضب الله فقلت له ياسيدى ليس لي مال  
غير ما أخذ منى وغردون لآمال عنده والحزاة الاميرية ليس فيها غير  
أوراق البون فقال تحلف لي بالله العظيم فقلت احلف بالله اني ما قبلت الا الصدق  
فرفع صوته وقال للحراس الذين جاؤا بى ارجعوا من حيث جئتم فان الرجل  
صادق فيما يقول واحذروا من ان يمسه أحد بسوء واعلموا ان من مسه بالماء  
أمسه بالسلاح والنفت اليّ وقال لا بأس عليك ليهدا روعك فانت آمن من كل  
سوء ثم أمرني بالبقاء في منزله فبقيت به ليلتين كان يقدم لي الغذاء الكافى في  
خلالهما وكان كريماً يأكل معه نحو ثلاثين رجلاً من خواصه وكانوا يقدمون لي  
الطعام منفرداً فاستعظفتني في ذلك وقال انه لا يمنعه من تناول الطعام معى غير  
شئ واحد وهو انى لم أقابل المهدي ولم آخذ عليه البيعة فاظهت له رغبتى في  
ذلك وانى أصبحت لا أطلب غير شمولي بعفو المهدي وتمتعي برضاه عني

ذكر ما غنمه المهدي من الاموال والذخيرة من الخراطوم  
كان سكان الخرطوم أغنى أهالي السودان واكثرهم مالاً ولما أحسوا



الماهرين وهي عبارة عن اسلاك مسبوكة يتألف منها كل واحدة من  
 تلك الاواني فالتفت الى أمين بيت المال وقال لي يا كافر يا عدو المهدي ومحارب  
 انصاره لما اذا اتلفت ذهب المهدي وفضته وصنعتها أو اني مثل ما يصنع الكفار  
 فقلت له انني صنعت ذلك لما كان هذا التبر ملكا لي ولما صار الآن ملكا  
 للمهدي فانه يصنع به ما يشاء فقال لي من أين لك انه كان ملكا لك مع انك  
 محارب للمهدي وكل ما في الخرطوم ملك حلال له حتي الارواح و ضربني  
 بسوط كان في يده ضربتين على رأسي حتى خضب بالدماء وجهي ثم قال خذوه  
 الى الامير ابى قرجة ليربحه من الدنيا . فاخذت بحالة لا أستطيع وصفها حيث  
 كان يحيط بي نحو ثلاثمائة درويش شاهرين السيوف والحراب حولي وهم  
 يصيحون يا كافر يا عدو الله حتى بلغت منزل أبي قرجة وكان نازلا بديوان  
 المديرية فالفيت بالباب جما غفيرا من الناس وسمعت قهقهتهم من البعد وهم  
 مزدهمون فادخلوني على الجمع المتكوف فنظرت رجلين مجردين من ملابسهما  
 فامعنت النظر فيهما فاذا احدهما حامدا غا صالح أحد الصناجق وهو ابن صالح  
 بك الملك صاحب فداسي الذي تقدم لنا ذكره والثاني من ذوي قرابته وال دراويش  
 يطعنونهما بالحراب طعنا لا يعجل موتهما فايقنت اذ ذاك انهم سيفعلون بي  
 مثل ما يفعلونه بهذين الرجلين وأخير اسقط الرجلان مضر جين بالدماء على الارض  
 وتطاير دمهما على وجهي وأصاب ملابسى فاجهزوا عليهما وكان ايقافى لمشاهدة  
 ذلك المنظر الفظيع بقصد ارهابي لادلهم على ما يطلبونه ثم ادخلوني على  
 أبي قرجة فابتدأته بالتحية فرد باحسن منها فاطمان خاطري بما توسمت  
 فيه من البشاشة فالتفت الى الحراس وقال لهم من هذا فتقدم رئيسهم اليه  
 وأسر اليه قولا لم أسمعه فالتفت الي بسكينة وحنان وقال فكوا وثاقه فقموا

بأشئين آخرين حتى سال الدم من جسمي فقلت لهم ليس لغردون مال وليس  
للحكومة مال غير أوراق البون

وبعد ان تمزق جسمي زجوني في السجن وبقيت ثلاثة أيام فيه يسوقوني  
للاستنطاق والضرب في كل غدوة وروحة

وفي اليوم الثالث أخرجوني من السجن موثوق الكتاف يحيط بي  
الحراس وأرسلوني الى منزلي فوجدت به أحد الامراء المشهورين بالورع  
والتباعد عن غل الفنائم فجمع أمتعتي وكتبها في ورقة عرضها علي فلم أجده  
شيئاً مفقوداً منها ثم قال لي ان الاموال الظاهرة كلها استوليت عليها ولم يبق  
غير ما يخفي في بطن الارض فقلت انني لم أخف شيئاً في بطن الارض فأخذ  
يوعظني تارة ويهددني أخرى وآناً يثب علي بالسيف فقلت له انني لم أخف  
شيئاً ولم يكن لدي مال غير ما استوليت عليه فساقني ومعي ما خف حمله من  
الامتعة الذهبية والفضية والنقود وبعض حلي مجوهره الى أمين بيت المال  
فلما نظرني قال كيف أبقيتكم هذا الكافر حياً حتي الآن فقال له الامير نحن  
نؤجل قتله حتي يظهر لنا أمواله وأموال غردون والحكومة ثم قال أمين بيت  
المال لذلك الامير ألم يك عنده نساء فقال له عنده محظيتان حبشيتان أخذتهما  
لنفسى فقال أمين بيت المال كيف تأخذهما قبل عرضهما علي وأخذ الاذن  
بهما مني فأجابه الامير انني أخذتهما بسيقي ولا أطلب من بيت المال غيرها  
فبارك لي فيهما فقال له قد باركت لك فيهما وملكتك اياها فشكره وأنا واقف  
وساعداي موثوقان كتافاً

ثم تقدم أمين بيت المال الى الصناديق التي فيها امتعتي وفتحها فوجد  
ضمنها صواني وطواقم للقهوة والشاي مصنوعة من التبر على طريقة صناع الخرطوم

فأجابه بان الذين اعتقوا كفار لا يعتبر عتقهم وأمره بمعاملة أولئك العتق  
معاملة الارقاء

## ذكر مقابلة المؤلف مع امين بيت المال

ذكرت اني أسلمت نفسي ومن معي من الجنود في منتصف النهار  
فقبضوا علىّ وأوثقوني كتاباً وساقوني الي امين بيت المال يحيط بي نحو مائتي  
نفر من الدراويش شاهرين سيوفهم وكلهم يصيحون بي ويقولون يا كافر  
يا عدو الله فالقيته بمنزل أبي بكر الجار كوك أحد أعيان المدينة ووجدت المنزل  
مملواً بالنساء وهو مشغول بفرزهن

ولما أوقفت بين يديه كان مشغولاً بالنظر الى فتاة فتانه وهي مجردة من  
ملابسها ويدها خارقة تستر بها عورتها وهو يقلبها يمناً ويسرة والدموع  
تساقط من جفونها وهي تقول « رضينا بقضائك يا الله » وبعد ان فرغ من  
أمر الفتاة التفت نحوي وقال أعوذ بالله من هذا الوجه الابيض ثم التفت  
للحراس الذين حولي وقال لهم من هو هذا الكافر فقالوا هو ابراهيم باشا  
فوزي فقال لماذا لم تقتلوه فقالوا تركناه ريثما يظهر أمواله وأموال غردون  
والحكومة ثم صاح بي وقال دلنا يا كافر على هذه الاموال فقلت ان أموالي  
أخذت من منزلي وأما أموال غردون والحكومة فليست موكلنا بحفظها ثم  
استل سيفه من غمده وتقدم الي وقال هذا الكافر لا يظهر هذه الاموال  
وقتله خير من استحيائه فامسكه من حوله وقالوا له أرجئه ريثما نعذبه او يدلنا  
على الاموال ثم صاح بالمبيد فطرحوني على الارض وجلس واحد منهم  
على رأسي وأمسك انسان السياط وضرباني حتي كلت سواعدهما فابدلا

وشاهد ذلك انك تجد عند أصغر أمير من أمراء المهدي عشرين فتاة أما  
الأمراء الكبار وأقارب المهدي فإن اللواتي يأخذهن كل واحد منهم يزيد عددهن  
على العشرين عذراء ولا يظن القارئ انهم يختلسون أولئك الفتيات بل يأخذوهن  
بأمر من المهدي أو أحد الخلفاء أو أمين بيت المال موضحاً في كل أمر اسم الفتاة  
واسم أبيها وجدها وأوصافها وأنها أعطيت لفلان غنيمة له يحل له ووطؤها بملك  
اليمين ويجوز له بيعها ما لم تصر أم ولد ومن وجدت عنده من اتباع المهدي  
امرأة وليس لديه أمر بالبيانات التي شرحناها تصدر أمواله ويقبض عليه  
ويعامل معاملة سارق

وكان المهدي أصدر أمراً حظه فيه سبي كل امرأة لها بعل ولكن هذا  
الامر كان لا يعمل به الا اذا كانت المرأة طائعة في السن أو قبيحة المنظر لا تميل  
اليها النساء وكان أمين بيت المال يمسك النساء ويفتشهن بعد خلع ملابسهن فن  
وجدت سليمة من العيوب أخذت ومن وجد بها عيب انتهرت وطردت  
هذا مجمل مافعله المهدي بسكان الخرطوم من جهة الاموال والاعراض ذكرته  
بغاية الإيجاز لا تاتي اذا تتبعنا التفصيل أفنيت الاعوام دون أن أوفي حق المقام  
وأصدر المهدي منشوراً قال فيه ان جميع الذين خرجوا من قيقرة  
الخرطوم اي ( خندق ) الخرطوم لا يعتبر زواجهم شرعياً لانه حصل في زمن  
الفترة التي كانت قبل بعثته وأمر بعقد زواج كل زوجين من أولئك الاسرى  
واذا كان في المرأة شيء من الحسن أو بقية من الشباب لا يستأنف عقد زواجها  
بل تؤخذ غنيمة

وكتب أمين بيت المال الى المهدي يستفتيه في أنه وجد بالخرطوم عتق  
أعتقهم مواليهم قبل فتح المدينة بزمن بعيد فهل يعاملون كالأحرار أو الأرقاء

نتركه ونحن لم نجد في بيتكن ذهباً ولا فضة وكلكن نساء مسنات ليس  
 بينكن من تميل النفس اليه اثم صاح برفقائه وقال قطعوا الصبي ثمانى قطع  
 واركوا الكل واحدة منهن قطعة ولم يتم هذه العبارة حتى تناول رفقائه الصبي  
 وقطعوه ثمانى قطع وألقوا الكل امرأة قطعة ومثل هذه الحادثة يعذب بالالوف  
 ذكرنا منها هذه للدلالة على اخواتها

وأخذت النساء سبايا وأرسل أمين بيت المال بنحو الف عذراء من بنات  
 اعيان المصر بين فاختار المهدي منهن ثلاثين فتاة من ذوات الحسن والجمال  
 آباؤهن من وجهاء المصريين سكان المدينة ووزع الباقي على حرسه وذوي  
 قرابته وكلكن كموطات بملك اليمين

وأرسل أمين بيت المال عدداً عظيماً من النساء الى عبد الله التعايشي  
 فابقى لديه العذارى منهن ووزع الباقي على حراسه وذوي قرابته ايضا وصار كلما  
 قضى وطره من واحدة يهديها الى أحد رجال حاشيته

وأرسل أمين بيت المال أيضا بمئات من النساء الى الخليفين على بن  
 حلو ومحمد شريف وكان عملهما بهن مثل عمل عبد الله التعايشي. وكثير من  
 أولئك النسوة امتنعن من الفسق والفجور بهن فعذبن عذاباً اليماً وضربن  
 ضرباً مبرحاً وحلقت شعور رؤسهن وكثير منهن فضلن الموت على  
 الحياة ورأيت امرأة أحد الصناجق وهي تركية من جهة أيها وسودانية من  
 جهة أمها اتحرت تخلصاً من العذاب الذي نالها على أثر امتناعها من تسليم  
 نفسها لعبد الله التعايشي وضربت امرأة الشيخ محمد السقا شيخ القراء في  
 الخرطوم وعذبت ستة شهور لا تمتنعها من تسليم نفسها الى عبد الله التعايشي  
 والخالصة ان عدد النساء اللواتي سبين لا يقل عن خمسة وثلاثين الف فتاة



بالكف عن القتل وأخرج السكان من منازلهم بملابس النوم وأصدر أمين بيت المال أمراً إلى الحاج خالد العمراني بالوقوف على باب الخندق لتفتيش كل خارج من سكان المدينة الذين أمروا بالبقاء في بقعة بين الخندق ومعسكر ابن النجوم معرضين للبرد القارس والحر المحرق واستولى الدراويش على المنازل وفي اليوم التالي بدأ بتعذيب الناس حيث يستدعون صاحب المنزل وكبار أفراد عائلته إلى منزل الأمين ويبتدئون مكالمته بقولهم له حيث أنك كفرت بالله ورسوله وحاربت المهدي فقد أهدر الله ورسوله دمك وحرم مالك عليك وصيره حقا للمهدي والمهدي عفا عن دمك ولا سلامة لك في الدنيا والآخرة إلا بتسليم جميع أموالك حتى الحيط والخياط وسواء أذن عن هذه الأكاذيب وسلم ماله أو لم يسلم فلا بد من ضربه الف سوط والمرأة نصفها وتوثق يداه ورجلاه ويلقى على الأرض ويصب عليه الماء البارد في الليل وبقي السكان في هذا العذاب شهراً حتى جمعت الأموال والامتعة في بيت المال

ومن الحوادث التي وقعت يوم سقوط الخراطوم أن رجلاً اسمه (كريب) من أقارب المهدي ومن حراس الخليفة شريف الذين يطلق عليهم اسم (الملازمة) ومعه نحو عشرة من أقاربه دخلوا منزل رجل مصري اسمه إبراهيم له سبعة إخوة فقتلوا الثمانية وفتشوا المنزل فلم يجدوا به مالا وكان لإبراهيم غلام في التاسعة من العمر فاخفته أمه ونساء أعمامه في وسط الامتعة خوفاً عليه من القتل فعثروا به في غضون التفتيش وأخرجوه فترامت أمه ونساء أعمامه على اقدام كريب ورفقائه وقلبن له أن والده وأعمامه السبعة قتلوا فنسألك بالمهدي إلا ما تركت لنا هذا الصبي فالتفت لهن وقال كيف

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه. والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه. محمد وآله وصحبه وأوليائه

وبعد فقد انتهينا في الجزء الاول من كتاب (السودان بين كتشنر وغردون) الى آخر حادثة سقوط الخرطوم بقتل الطيب الذكر (غردون باشا) ووقوع البلد في قبضة المهدي ووقوعنا والحامية في أسره. وبقي أن نذكر من موضوع هذا الكتاب ما تلا ذلك فنقول وبالله المستعان

## قيام دولة المهدي في السودان

لما كانت مدينة الخرطوم عاصمة أقاليم السودان المصري فسقوطها في قبضة المهدي صير السودان كله خاضعاً له ولا عبرة باقليم دنقلة الذي كان وقتئذ مقر الحملة الانكليزية كما انه كانت توجد مدينتان لم تخضعا له بعد وهما مدينة سنار عاصمة اقليم سنار ومدينة كسلة عاصمة مديرية (التاكا) وهما يكن من الامر فان حالة تينك المدينتين كانت منذرة بقرب سقوطهما وسيأتي تفصيل ذلك كله في مكانه

بلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يوم سقوطها أربعة وعشرين الف رجل وقتل الاطفال وكل ذكر ولو كان رضيعاً غير ان النساء لم يقتلن وابتدأت هذه المذبحة عند طلوع الفجر. وقبيل شروق الشمس أصدر الخليفة (شريف) الاوامر

كِتَابُ  
السَّيِّئَاتِ  
بَيْنَ يَدَيِ الْغُرُورِ وَكَيْشَاتِ

أَلِيف

أبراهيم فوزي باشا

الجُزْءُ الثَّانِي

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما معا

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣١٩ هجرية)







- الايطاليين والمهدين ٣٣١ ذكر تولية الشيخ الحسين  
 ٣٠٣ ذكر احتلال الايطاليين كسله  
 ٣٠٥ ذكر معسكر أصوبرى وأخبار  
 حامد علي وأحمد فضيل  
 ٣٠٨ اجمال حال السودان بعد ذلك  
 ٣١١ ذكر قراءة الناس بالالواح  
 ٣١٣ ذكر بقية أخبار سلاطين باشا  
 وفراره  
 ٣١٦ ذكر نفي أحمد الفحل والذين  
 ساعدوه على فرار سلاطين باشا  
 ٣١٨ ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة  
 من اعيان بربر  
 ٣١٩ تهديد في ذكر السجن ونظاماته  
 واطلاق اسم السائر علي كل سجن  
 ٣٢١ ذكر سجن المؤلف  
 ٣٢٣ أول ليلة في السجن وأخبار اثنين  
 يدعيان النبوة  
 ٣٢٦ انذار المؤلف بالاعدام  
 ٣٢٧ ذكر قتل القاضي أحمد بن علي  
 ٣٣١ ذكر تولية الشيخ الحسين  
 الزهراء القضاء وقتله صبرا  
 ٣٣٥ خفراء السجن  
 ٣٣٦ الايام الاولى في السجن  
 ٣٣٧ شارل نيوفيلد والمؤلف  
 مقرونان في قيد  
 ٣٣٨ أمير السجن في منزله ونسائه  
 ٣٣٩ صلاة المسجونين  
 ٣٣٩ ضريبة ريال كل يوم على المؤلف  
 ٣٤٠ النادرة العباسية في السجن  
 ٣٤٢ ذكر ابطال القهوة  
 ٣٤٤ ذكر اختتان المسيحيين واجبارهم  
 على تعدد الزوجات  
 ٣٤٦ ذكر سجن ابن المؤلف  
 ٣٤٨ التعايشي قبل حملة دنقلة  
 ٣٥٠ جواسيس المهذوية  
 ٣٥٣ ذكر جلب المنوعات من مصر  
 ٣٥٧ دنقلة قبل الحملة عليها  
 ٣٦١ ذكر مسألة العقرب مع التعايشي

صحيفة

صحيفة

- |                                   |                                  |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| ٢٢٧ ذكر غارة الزاكي طمل علي الشلك | ٢٧٩ ذكر شأن نساء المهدي مع       |
| ٢٣٧ ذكر بقية أخبار عثمان دقنه     | التعايشي                         |
| ٢٤٢ ذكر هزيمة الدراويش من         | ٢٨١ ذكر سجن أولاد المهدي         |
| هندوب وأخبار أمارأر               | ٢٨٣ ذكر مؤامرة عبد المولى صابون  |
| ٢٤٣ ذكر هزيمة عثمان دقنه من طوكر  | على قتل التعايشي                 |
| ٢٤٨ شأن عما دقنه بعد ذلك          | ٢٨٤ ذكر قدوم محمود أحمد من       |
| ٢٤٩ حالة السودان بعد ذلك على      | دارفور                           |
| الاجمال                           | ٢٨٦ ذكر القبض علي أمراء الجعليين |
| ٢٥٨ ذكر تعيين المؤلف وجماعة من    | ونقيهم                           |
| المصريين أمراء                    | ٢٨٨ ذكر نفى الامير أبي قرجه      |
| ٢٦٢ ذكر ملازمتي الصلوات في        | ٢٨٩ عودة الى ذكر بيت المال       |
| المسجد                            | ٢٩٢ ذكر سور أم درمان             |
| ٢٦٥ ذكر انتقاض الخليفة شريف       | ٢٩٥ ذكر قدوم الزاكي طمل من       |
| وأولاد المهدي                     | فشودة الي أم درمان               |
| ٢٧١ ذكر القبض على كبار حزب        | ٢٩٦ الزاكي في أبي حراز           |
| الخليفة شريف وقتلهم               | ٢٩٧ علائق التعايشي ومنليك        |
| ٢٧٥ ذكر القبض على الخليفة شريف    | ٢٩٩ ذكر سجن الزاكي طمل وقتله     |
| وحبسه                             | بام درمان                        |
| ٢٧٧ ذكر القبض على عبد القادر      | ٣٠١ ذكر قتل صالح حسين خليفه      |
| ساتي ومحمد عبد الكريم وقتلها      | ٣٠٢ ذكر واقعة ( غوردت ) بين      |

- ١٨٠ زواج المؤلف باحدى نساء  
التعايشي
- ١٨٥ ذكر الميرالاي حسن البهنساوي  
بك
- ١٨٨ ذكر مالمقيه المؤلف في مقابلته  
بعض الامراء
- ١٨٩ ذكر نفى عبد القادر ابن أم مريم
- ١٩٢ ذكر قصة المراتين
- ١٩٣ ذكر رسالة محمد ماهر باشا  
للمؤلف
- ١٩٥ ذكر مسألة الشيخ محمد عبد  
الماجد وصلبه
- ١٩٧ ذكر تشييد قبة المهدي
- ١٩٨ ذكر المجاعة في في سنتي ١٣٠٦  
و ١٣٠٧
- ١٩٨ المجاعة في ام درمان والجزيرة
- ٢٠٠ المجاعة في اقليم بربر
- ٢٠١ المجاعة في دنقلة
- ٢٠١ المجاعة في كسله
- ٢٠١ المجاعة في القضايف
- ٢٠٤ ذكر فرار الغزالي وقتله
- ٢٠٦ ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين  
بيت المال
- ٢٠٩ ذكر بقية أخبار ابراهيم عدلان  
ومسألة مصادرة العاج
- ٢١٠ حادثة العباددة وابعادهم
- ٢١٣ ذكر غارة العباددة علي أبو حمد  
وقتل سليمان نعمان قر
- ٢١٤ ذكر موت الحاج علي سعد
- ٢١٥ ذكر موت عثمان آدم وتولية  
محمود أحمد بدله
- ٢١٧ ذكر صفة معيشة التعايشي
- ٢١٩ ذكر حادثة البطاحين
- ٢٢٢ شأن محمد خالد زقل بعد ذلك
- ٢٢٥ ذكر استخراج الرصاص  
والنحاس والكحل من معادن  
حفرة النحاس
- ٢٢٥ ذكر بنات الجعليين
- ٢٢٦ ذكر انسحاب الجيش من  
القلابات

صحيحة

صحيحة

- |   |  |
|---|--|
| ١١١ ذكر قبيلة الضبابية والقبض                         | ١٤٨ ذكر ضربخانة التعايشي                           |
| ١١٢ ذكر انتقاض قبيلة جهينة                            | ١٤٩ ذكر انشاء دارللذخيرة والبارود                  |
| ١١٣ ذكر حرب قبيلة الكبايش                             | ١٥١ ذكر موت لبتن بك مدير بحر<br>الغزال             |
| ١١٥ ذكر القبض علي شارل نيوفيلد                        | ١٥١ المقدم عمر الجملي واستخراج<br>الرصاص           |
| ١١٧ ذكر حروب الاحباش الى قتل<br>النجاشي يوحنا         | ١٥٣ ذكر احراق عظام قتلى الخرطوم<br>ونبش القبور     |
| ١٢٨ ذكر فتح قندر بالجيشة                              | ١٥٤ ذكر تخريب بلاد الجزيرة<br>وحشد أهلها بام درمان |
| ١٢٩ وفاة أبي عنجه وولاية الزاكي<br>طل                 | ١٥٦ ذكر تخريب الخرطوم                              |
| ١٢٩ واقعة القلابات وقتل النجاشي                       | ١٥٦ ذكر فرار المؤلف وارجاعه الي<br>أم درمان        |
| ١٣٢ شأن خط الاستواء مع المهدويين                      | ١٦٣ ذكر احتراف المؤلف                              |
| ١٣٩ ذكر عزل محمد الخير من بربر<br>وموته               | ١٦٦ ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين<br>ابن التعايشي    |
| ١٤١ النور ابراهيم الجريفواي وتجار<br>المصريين في بربر | ١٧٠ الكلام على الخراج والجبابة<br>والعمال          |
| ١٤٢ السودان الشرقي                                    | ١٧٣ ذكر المختين                                    |
| ١٤٤ ظهور المهدي أبو حميزه في<br>درافور                | ١٧٥ حوادث دنقله وقتل ابن النجومى                   |
| ١٤٥ شأن التعايشي وقبيلة التعايشة                      |  |

صحيحة	صحيحة
٥٧ ذكر تعيين حسين باشا خليفة	٩٢ شأن أهل الخرطوم بعد ذلك
داعية للمهدى في قبيلة العباددة	٩٤ ذكر الاجتماع للعيد الاضحى
٥٨ ذكر ضربخانة نقود المهدي	٩٧ ذكر وفود الهنود على التعايشى
٥٨ ذكر ختان أولاد المهدي	٩٧ ذكر انتقاض الاشراف وتسليم الرايات
٥٩ ذكر تعيين حمدان أبى عنجه على جبال كردفان	٩٩ القبض على أمراء سنار وفرار الشيخ مضوى
٦١ ذكر مرض المهدي ووفاته	١٠١ ذكر عصيان الجهادية بالايض وقتل أمير كردفان
٦٥ ذكر طرف من سيرة المهدي	١٠٢ ذكر أعمال أبى عنجه في الجبال
٧٣ ترجمة التعايشى	١٠٣ ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه
٧٦ خلافة التعايشى	١٠٤ القبض على أحمد سليمان أمين بيت المال وعزله
٧٩ أول أكاذيب التعايشى	١٠٧ الاشاعة بعودة الانكيز الى دنقله
٨٢ دعوة التعايشى أهالى السودان	١٠٩ انتفاض عبدالرحمن النجومى الى دنقله
لاداء فريضة الحج بأم درمان	١٠٩ انتقاض درا فور على التعايشى واخضاعها
٨٣ ذكر مسألة الشعرة من لحية المهدي	١١٠ ذكر لحاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها
٨٤ ذكر وقائع سنار وسقوطها	
٨٧ حوادث كسله وسقوطها	
٩١ أول واقعة بين الدراويش والاحباش	
٩١ ذكر قتل المدير أحمد عفت ومن معه من القواد	



﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي غردون وكتشتر ﴾

صحيفة	صحيفة
٣٣ الكتاب الاول من المهدي	٢ قيام دولة المهدي في السودان
لمصطفى باشا	٦ ذكر مقابلة المؤلف مع أمين بيت المال
٣٤ الكتاب الثاني » » »	٩ ذكر ماغنه المهدي من الاموال
٣٧ واقعة كورتى وقتل الشيخ الهدي	والذخيرة من الخرطوم
٣٧ ذكر وصول كتشتر باشا الى دنقله	١٠ ذكر قتل فرج باشا الزين
٣٨ وصول الحملة الانكليزية الى دنقله	١١ ذكر مقابلة المؤلف للمهدي
٣٩ حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة	١٢ مقابلة المؤلف للتعايشي
كر بكان	١٤ ذكر دخول المهدي مدينة
٤٠ واقعة أبو طليح	الخرطوم
٤٣ ذكر تعيين عبد الرحمن النجومى	١٥ القبض علي المؤلف وسجنه في
لقتال الانكليز في المتمة	الخرطوم
٤٥ ذكر عودة الحملة الانكليزية الى	١٦ ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك
دنقله *	٢٣ ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين
٥٤ ذكر فداء القسس والمسيحيين	للمهدي ووفاته
٥٥ ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار	٢٥ ذكر انتقال المهدي الي أم درمان
٥٥ ذكر انتداب الشيخ حسين	٢٦ حوادث دنقله
زهراء الى كسلا	٢٧ ذكر الشيخ الهدي
٥٦ ذكر وفود عوص الكريم أبي	٢٨ ذكر واقعة الشيخ الهدي
سن زعيم الشكرية على المهديوة	٢٩ مخبرات المهدي مع مصطفى ياور باشا



ويهيئونها بالبصق حتي تهشمت قطعاً صغيرة

وبلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يومئذ أربعة وعشرين ألف رجل  
وثلاث نسوة وسنذكر معاملة المهدي لاهالي الخرطوم وانتقامه منهم  
بمصادرة الاموال وهتك الاعراض بمد هذه المذبحة وما ربك بنافل مما  
يعمل الظالمون

﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثاني وأوله قيام دولة المهدي في السودان »

{ كل نسخة من هذا الكتاب تكون مختومة بختم المؤلف  
الذي هو هذا }



ولما دخل محمد نوبوى المدينة قصد بكل مقاتلته سراى غردون وكانوا  
 زهاء مائة الف مقاتل فاطل غردون من النافذة ونظر اليهم ثم قال لحراسه  
 لا تبدوا معارضة لاي أحد يريد الوصول الي وياكم ان تبدوا أقل دفاع  
 ثم تقلد كسوة التشريفة الصغرى التي هي ملابسه اليومية على الدوام وتقلد  
 سيفه ولبس طربوشاً وضع عليه رداءً حريريا ( كوفية ) وربطه بعقال كزى  
 الاعراب فدخل عليه محمد نوبوى وجماعة من مقاتلته فوجسده جالسا على  
 كرسية ممسكا بيده منديلا أبيض فابتدره أحد الدراويش وقال له اين أموالك  
 يا غردون يا كافر فتبسم ضاحكا وقال له أين (محمد احمد) يقصد المهدي فابتدره  
 الرجل بطعنة في صدره خر منها صريحا على الارض يتخبط فى دمه ولكنه  
 لم يفقد الحواس من هذه الضربة

ونقل لي أحد الحاضرين انه سمع واحداً من الدراويش صاح بالذى  
 طعن غردون وقال له لا تقتله بل أبقه كما أمر المهدي فاجابه القائد محمد نوبوى  
 بقوله ان الخليفة التمايشى أمر بقتله وكان صوته خافتا حين نطق بهذه العبارة ثم  
 سحبوا غردون من رجليه ولم يكن قد فقد الحواس ولا قوة النطق حتي  
 قيل انه كان يتبسم وهو مسحوب على وجهه ثم انزلوه الى حوش السراى  
 وهناك قطعوا رأسه وارسلوها الى الخليفة محمد شريف الذي كان وقتئذ في  
 جامع الخرطوم فانتدب محمد بن عبد الكريم من أقارب المهدي فركب الباكسة  
 اسماعيلية وأوصل رأس غردون الى المهدي الذي انكر قتله وصاح قائلاً لما  
 ذا قتلتموه ألم أنحكم عن قتله فقال له التمايشى ان قتله خير من استحيائه فبدت  
 على المهدي علامات الغضب وأسرع بالقيام ودخل الى منزله ونصبت رأس  
 غردون على خشبة طولها متران وأخذ النساء والعبيان يرمونها بالحجارة

والله يفعل ما يشاء ثم قال لي انني ساصعد الي سطح السراي لانني أشعر  
بانقباض فقلت له ان البرد قارس جداً فقال ليس علىّ بأس منه فودعته حوالي  
الساعة الخامسة من الليل وكانت مناوشات العدو في ازدياد من جهة الخندق  
ومن جهة أم درمان

وكانت الالعب النارية تطلق حوالي السراي تسكيننا لحواطر السكان  
وارهابا للعدو ولما خرجت من السراي قصدت دار المحافظة واجتمعت بالعسس  
الاوروبي وتجولت معهم في المدينة وحوالي الجبهه خانه ثم عينت لهم مواقعهم  
وأبقيت معي ثلاثين جنديا من المصريين وقصدت دار المحافظة أواخر الساعة  
العاشرة فالفيت بها اشعارات فهمت منها ان لدي الحامية أخباراً بان العدو على  
وشك الهجوم على المدينة فشرعت في تدوينها وكانت الساعة اذ ذاك احدى  
عشرة ولم أفرغ منها حتى سمعت ضوضاء الدراويش قد دخلوا من جهة النيل  
الابيض فجمعت الثلاثين جنديا الذين كانوا معي وأدركنا في الطريق ثمانية من  
اليونانيين من العسس الاوروبي وقصدنا سراي غردون فبلغناها والقبحر قد  
ظهر ولم نكد ندنو منها حتى أبصرنا نحو عشرة آلاف من العدو محيطين بها  
فتقهقرنا راجعين الى دار المحافظة وما بلغناها الا بعد اللتي والتي وهناك قعد الجنود  
في النوافذ وصوبوا البنادق على كل من اقترب منا حتى منتصف النهار حيث  
أحاط بنا العدو واسلمنا انفسنا وسيأتي ذكر معاملته لي ولسائر سكان المدينة  
هذا وقد كان زحف العدو على المدينة كما شرحناه وكان القائد فرج  
باشا وافقاً عند باب المسلمية ولما أحس بدخول الميسرة على الخندق مما يلي  
البحر الابيض أمر بفتح باب المسلمية حيث فر منه بعد ان تنكر بملابس  
جندي ومعه القاعقام سرور بهجت وسنعود الى ذكر قتلها



ليتم ما قضاه الله عليكم وإلى هذه اللحظة فأنى أدعوك لافذاذ ما تفقنا عليه أولاً  
فهاهى الباخرة فتوموا وسيروا بها ومعكم ابراهيم فوزي كما تقرر قبلاً عسى  
أن يقرن سعيكم بالنجاح وتقابلوا الجنود الانكليزية أما أنا فأنى موقن بعدم  
لقاتهم فأجابوه بأن نجاة الباخرة مستحيلة لأن طوابى العدو قد تضاعفت  
وزاد عددها اضعافاً على الذي رأيناه يوم الجمعة وعلى ذلك فنحن هنا قاعدون  
والله يفعل ما يريد ثم هموا بالانصراف فصاحفهم كلهم قائلاً اننى أبرأ إلى الله  
والعالم أجمع من تبعة أى داهية تلم بكم فقالوا نحن نشهد بما تقول فصاحفهم  
وملامحه تدل على انه لا يتوقع لقاتهم بعدو شيعةهم إلى السلامك وكان يحني  
رأسه ويحرك شفثيه فكأنه كان يقول « الوداع الاخير أيها السادة »

ولما عاد القناصل استدعاني إلى غرفته وقال لي ما يأتي

« أنا موقن بوقوع الحادث الاخير على هذه المدينة في هذه الليلة وائنى  
كما علمت لم أدر شيئاً من سعيي في سبيل انقاذها ولكن لا أزال أشعر بتبكيت  
الضمير الذي يؤلمني لتركى اهالى هذه المدينة الذين وثقوا بي وحاربوا معي  
عرضة لانتقام المهدي ولو لم أكن طول حياتي اطلب رضا الله في كل أعمالى  
لا نتحرت تخلصاً من وخز الضمير لكن الاتحار يناني التفويض والتوكل على  
الله الفاعل لكل شيء ويوجب غضبه سبحانه وتعالى » وقد كنت خلال  
هذا الحديث أنظر إلى وجهه فلم أر غير الثبات كأنه متوقع وقوع حادث جلل  
وقد لمحت في غضون محادثته ان صدره متجيش بالمبرات التي لم تكن  
من جزع أو جبن بل هي كما قال من تبكيت الضمير وفي الختام ودعنى مشيماً  
إلى السلم خلافاً لعادته المألوفة معى وقال عليك بحراسة البلدة بمن معك من  
الاوربيين وائنى أعلم ان ذلك لا يجدي نفعاً ولكن نقوم بواجبنا لآخر لحظة

أهالي تلك البلاد لا يمتطرون الا صيفاً والجو يكون في غاية الصحو زمن الشتاء عندهم

وقد أثرت برودة الطقس واحتجاب الشمس على قوي الجنود وتركهم كأنهم صرعى في مواقعهم على الخندق

وكان غردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح السراي ينظرون بالنظارات المعظمة الى كثرة الدراويش الذين يجتازون النهر ويلحقون بمعسكر ابن النجومي وقد استمتعوا من تكوف الناس في صعيد واحد ان المهدي لا بد أن يكون في معسكر ابن النجومي ولا بد أن يكون قدومه لشأن ذي بال لانه لم يقدم على معسكر ابن النجومي منذ حل بام درمان

وفي منتصف النهار استدعاني غردون الى السراي وأخبرني بمشاهدته مع القناصل من كثرة اجتياز الدراويش للنيل وانضمامهم لمعسكر ابن النجومي ثم قال لي هيا بنا نطوف حول الخندق ونفقد الجنود فرافقته الى الخندق وقضينا أربع ساعات في التطوف حوله وكان يشجع الجنود ويحثهم على المقاومة والثبات ويعدهم بوصول نجدة الانكليز في الغد فلم يلتفت احد لاقواله وكان كمن يصرخ في بركة أو يطلب من الماء جذوة من النار اذا العساكر كما قلنا صرعى لا حراك لهم فعدنا الى السراي وقد أخذ اليأس منا كل مأخذ واجتمع عنده قناصل الدول لدى عودته وكان الليل قد اقبل ولا تزال السماء متلبدة بغيوم حجبت نور القمر فقال غردون للقناصل لقد رأيتهم تجمع العدو واتي بتفقدى الحماية وجدت الجنود قد فقدوا كل قوة وشجاعة يقعدون بها على حراسة الاستحكام في هذه الليلة المشؤمة واني موقن بسقوط المدينة قبل أن يسفر الفجر وقد كنت عملت ما في وسعي لا نقاذكم من هذا الخطب فتقاعدتم وأبيتم

وأصدر المهدي الى محمد نوبايي أمراً قال له فيه ما يأتي

« لدى دخولك المدينة يجب ان تقصد سراى غردون على الفور وتبلغه  
تحيتي ثم تحافظ على حياته ولا تترك أحداً يعتدي عليه حتى توصله اليّ سالماً  
بغير ان يصيبه مكروه » وخطب على الجمع قائلاً لا يتعرضنّ منكم أحد  
الي حياة غردون بسوء لاني أريد أن افتدى به أحمد عرابي باشا ثم خطب  
فيهم يحضهم على الجهاد ويذكرهم بنعيم الجنان وقال لهم في ختام خطبته احموا  
الحشائش لالقائها في الخندق حيث تمتازون عليها وقفل راجعاً الى أم درمان  
ومعه عبد الله التعايشي وترك الخليفين محمد شريف خليفة السكرار والخليفة  
على بن حلو خليفة الفاروق واجتاز النهر آيباً الى أم درمان  
وأصدر المهدي أمراً أيضاً الي حمدان أبي عنجة قائد جيشه في أم درمان  
باطلاق القنابل تباعاً على المدينة من عصر الاحد ٨ ربيع الثاني الي ظهر يوم  
الاثنين ٩ من هذا الشهر وان يصوب قنابله الي مضيق البحر لمنع أي باخرة  
تقصد الجهة الشمالية

وقد اجتاز النهر من أم درمان الي معسكر ابن النجومي نحو مائة ألف  
مقاتل من البقارة ليشاركوا في اسقاط المدينة وكلهم صاروا من مقاتلة  
الميسرة لانهم مسلحون بالحراب والسيوف  
هذا ما كان من أمر المهدي وأما حالة المدينة والحامية فقد أصبحنا يوم  
الاحد وجو المدينة مكفهر والسماء متلبدة بالغيوم والشمس محجوبة عن العيون  
والبرد قارس خلافاً لعادة الطقس في السودان اذ الجو يكون صحواً والشمس  
بارزةً بأشعتها المحرقة في كل أيام الشتاء وقد عد البسطاء تلبد السماء واحتجاب  
الغزالة بما ينذر بالمطر في مثل ذلك اليوم كرامة من كرامات المهدي لان

بيده ويقذفه في النهر ويرفع صوته قائلاً « الله اكبر على الخراطوم » فيجابه من حوله بمثل مقالته حتي فرغ مافي المقطف من الرمل فالتفت الى من حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالهجوم على المدينة في هذه الليلة وان سقوطها في يده ضربة لازب ثم ركب زورقا واجتاز النهر الى الضفة الشرقية حيث قصد معسكر ابن النجومي

وبعد صلاة العصر ركب جملاً واحتشد الناس حوله فأتى على ابن النجومي وقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء علي الخراطوم في هذه الليلة وأمره أن يقسم مقاتلته الى ثلاث فرق كقلب وجناحين ويكون هو في القلب ومعه الفرسان ويكون قائد الميمنة الحاج محمد ابو قرجة ومعه حملة البنادق ويكون قائد الميسرة محمد نوباوي شيخ قبيلة ( بني جرار ) احدي بطون قبيلة السكبابيش ومعه الاعراب والبقارة المسلحون بالحراب والسيوف وان يكون هجوم القلب على نقطة الوسط من الخندق عند البرج المعروف باسم ( باب المسلمية ) وهي مقر فرج باشا الزيني قومندان الخامية ويكون هجوم الميمنة على الخندق مما يلي النيل الازرق جهة ( بري ) ويكون هجوم الميسرة على الخندق مما يلي النيل الابيض عند المكان الذي انحسر عنه ماء النيل وتراكت عليه الاوحال وصار في الامكان الوصول الى المدينة منه وقد ذكرنا ان الصنجقين الحائنين عمر ابراهيم والعطا الذود الشايقي هما اللذان أطلعا المهدي على حقيقته

وقدم المهدي عمر ابراهيم المذكور الى محمد نوباوي قائد الميسرة بصفة دليل يرشده الى ذلك المكان ودفع اليه شخصاً آخر اسمه بدوي الدنقلاوي وكان كيالاً في الشونة بصفة دليل ثان

عليه فاستدعاني وأمرني بالاذعان لما أشاروا به فكان ذلك  
ثم أصبحنا يوم السبت ٧ ربيع الثاني والازمة في ازدياد الشدة والحامية قد  
فقدت كل قوة تدفع بها العدو والى الله مصير كل شيء

### ذكر سقوط الخرطوم ومقتل غردون

كانت الحملة الانكليزية قد وصلت الى النيل عند نقطة المتمة وانتصرت على  
جيوش المهدي في آبارابي طليح بين دنقلة والمتمة كما سيأتى ذكر ذلك في مكانه  
ولما وصلت اخبار الحملة الانكليزية وانتصارها على اتباعه الى المهدي  
كبر عليه الامر واستدعي خواصه الى مجلس عقده للمشاورة فيما ينبغي فعله  
فذهب فريق الى وجوب زحف المهدي بنفسه على الحملة الانكليزية وقال  
آخرون بل يترك المهدي حصار الخرطوم ويتجهقمر راجعا الى كوردفان فقام  
ابو قرجة احمد الامراء ومعه عبد القادر ساتى علي عم المهدي ورئيس نوابه  
وقالا ان الانكليز لا يقصدون غير الخرطوم وانه اذا بلغ الخرطوم مائة جندي  
انكليزي صار من المستحيل وقوعها تحت قبضتنا فالاولى بنان نحاول اسقاط  
الخرطوم وفي اسقاطها وقوع اليأس في قلوب الانكليز الذين نتقدم لمحاربتهم  
بعد ذلك فوقع كلاهما هذا موقع القبول عند المهدي واستحسنه

وشجع المهدي على ذلك ما علمه من عورات المدينة التي أطلعه عليها الصنجقان  
عمر ابراهيم والعطا الدود فمقد نيته على اسقاط الخرطوم بالقوة والاقتدار  
وفي صبيحة يوم الاحد ٨ ربيع الثاني خرج المهدي من كوخه يحمل  
على رأسه مقطفا من الخوص مملوءا من الرمل فتبعه الناس حتي انتهى الى  
ضفة النهر فاحاط به الناس وهو لا يكلم احدا منهم واخذ يقبض من الرمل



كافئك بالنجاة مما وقعت انا فيه ولذلك انتدبتك لمرافقة الاوربيين والقناصل الى المثة لاننى عالم باننى اذا أصبحت أسيراً في أيدي هؤلاء الاشقياء فلا تتركني حكومة جلالة الملكة وانها تقدم القناطير المقنطرة من الذهب فداءً لي وأنا أئمن لك النجاة من صميم فؤادى يا عزيزي فوزى لانك اذا وقعت أسيراً في يدهم لا تفديك حكومتك ولو بدراهم قليلة »

وفي يوم الاربعاء ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ صرفت لي الذخيرة والاسلحة وتسليح الاوربيون وكان هذا التدبير سرى وأذعت بين الناس انهم عينوا بصفة عسس ثم اجتمعنا بمنزل قنصل اليونان نيقولا لوانديدي واجتمع معنا بقية قناصل الدول وأعيان رعاياهم فابدي السكل عدم استحسان هربهم مع بقاء غردون عرضة للخطر وودوا مساعدتى في اكراه غردون وحمله الى الباخرة ولو بالقوة ساعة السفر فاستصوبت رأيهم واتفقت مع حراسه وخدمه على حمله بالاكره الى الباخرة وقت السفر وقد ضربنا أجلاً لهذا السفر منتصف ليلة السبت ٧ ربيع الثاني

وفي صبيحة يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني تفقدت خط النار والقيت التنبيهات ثم عدت الى المحافظة واستدعيت القناصل والقيت عليهم التعليمات ليكونوا هم ورعاياهم على قدم الاستعداد عند منتصف الليل فقالوا نرى ان العدو قد رسخت أقدامه حوالى المدينة وان مدافعه مطلة على كل مضائق النهر واننا نرى ان نتربص هنا نحو ثلاثة أيام ريثما تصل الجنود الانكليزية فذلك خير من محاولتنا الفرار الذى لا تكون عاقبة الاقدام عليه مضمونة فلم أقبل منهم هذا القول وأصررت على انفاذ ما قرره أولاً فذهبوا الى غردون وعرضوا مقاتلتهم

الخدق من جهة النيل الأبيض هبطت عنه مياه النهر وهو مملوء بالاوحال  
تستطيع جنوده ان يدخلوا من هذا المكان وأطلعاه على كل عورات الخندق  
وارشده الى الطريق التي يمكنه الدخول منها . وبالجملة فان هذين الخائنين هما  
الذنان شجعا المهدي على محاولة فتح الخرطوم عنوةً ولولاها لظل محاصراً  
للخرطوم لا يجسر على الهجوم عليها وأخذها عنوةً

ولما اتصل خبر فرار ذينك الخائنين بغردون استدعى فرج باشا الزبني  
ووجه على اختياره هذين الشقيين وشهادته باستقامتهما وبعدهما عن الميل  
لجهة العدو ثم أمر باجراء تحقيق ظهر منه انهما كانا قد اشتريا من فرج باشا  
وظيفتهما ودفعا له ثمناً باهظاً ثم أمر بحفظ الاوراق حتى تسنح الفرصة  
بمحاكمة هذا القائد وذلك لا يكون طبعاً الا بعد انقاذ الخرطوم



## ذكر ما دبره غردون لانقاذ الاوربيين

لما سقطت أم درمان وبرحت المجاعة بحامية الخرطوم استدعى غردون  
قناصل الدول وأعيان النزلاء الاوربيين الى مجلس عقد بسراياه ثم اتفق الرأي  
على انتدابى ومعى الاوربيون والقناصل لنهرج الخرطوم على باخرة صغيرة  
اسمها ( محمد على ) ونلحق بخط الاستواء أو بالمتمة لنقابل جنود الانكليز  
القادمين لانقاذ غردون غير أن أحد القناصل أبدى رأياً قال فيه ان للدراوئش  
طوابى وموانع على البحر الأبيض تجعل نجاة الباخرة من مقدوفاتهم مستحيلة وقال  
ان الاحاق بالمتمة أقرب الى السلامة فوافق الحاضرون على رأيه ثم كتب لي  
أمراً قال فيه « انه لمحتبى أياك واعترافي بخندمك الجميلة التي أدتها لي أرى ان

يريدون ان يقدوك وحدك منا بمشرين الف جنيهه ونحن نعلم ان الناس  
يتقولون من البطل كلاما كثيراً ليس فينا وذلك لصدود من أراد الله شقاوته  
ولا يعلم فيه الا من اجتمع بنا وأنت ان قبلت نصحنها فيها ونعمت والا ان  
أردت ان تجتمع على الانكليز فبدون خمسة فضة ترسلك اليهم والسلام في تاريخه

### ذكر فرار الصنجنين عمر والعطا

كانت حالة المدينة وما أصابها من المجاعة مجهولة لدى المهدي لما كان  
يظهره له غردون من الجلد وكان ضمن جنود الباشبوزق صنجنان يقود  
كل واحد منهما مائتي جندي من الباشبوزق اسم أحدهما عمر ابراهيم والآخر  
العطا الدود الشايقي

وفي ذات يوم جاءني الاول وقال ان له قريبا في جيش المهدي ارسل له  
كتابا قال فيه ان الحملة الانكليزية وصلت الى جهة ( ولد البصل ) التي تبعد  
عن الخرطوم بمسيرة مرحلتين جهة الشمال وانه يتحمل مسؤولية عدم صحة  
هذا النبأ ثم طلب ان تدفع له مرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب  
خلافاً للعادة المتبعة وقتئذ من صرف المرتبات من ورق البون ومن المسكوكات  
مما فاصدت الامر بصرف مرتبه ومرتبات جنوده من صنف الجنيه  
الذهب وكان ذلك نحو أربع مائة جنيهه وكذلك أمرت بصرف مرتبات  
جنود العطا الدود من صنف الذهب أيضاً وبعد قبضهما عادا الى مواقعهما  
من الاستحكام

وما كاد الظلام يرخي سدوله حتى فرا وحلقا بالمهدي وأوقفاه على حالة المدينة  
وما تقاسيه حاميتها من وطأة المجاعة وفقدان القوة ثم اعلماه بمكان في طرف

إليك وان رأيت التـكـين واليقين ان أردت التسليم اكثر من هذا الجواب  
سنرسل لك عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الامان فلا مانع  
وبذا لزم التحشية

## الكتاب الثالث

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .  
(وبعد) فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا .  
وقاه الله كل شر لاشا . فان أراد الله سعادتك وقبلت نصحتنا ودخلت في  
أماننا وضماننا . فهو المطلوب وان أردت أن تجتمع على الانكليز الذين أخبرنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فنوصلك اليهم فالى متى تكذبنا وقد  
رأيت مارأيت وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من في  
الخرطوم قريباً الا من آمن وسلم ينجيهم الله ولذلك أحببت لك ان لاتهلك مع  
الهالكين لانا قد سمعنا مراراً فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية  
والسعادة ما أجبنا بكلام يؤدي الى خيرك كما نسمع من الواردين والمترددین  
والآن ما أئسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب  
لك آية واحدة من كتاب الله عسي أن ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله  
باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طال ما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز  
فضيلتك الكبرى ولئلا تيأس من الفضل الكبير أقول لك قال الله تعالى  
« ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً » والسلام ٢٥ ربيع أول سنة  
١٣٠٢ وقد بلغني في جوابك الذي أرسلته اليانا انك قلت ان الانكليز

أم أنت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فافدنا على هذا لنعلم طلبك  
له هو علي أي الوجهين ونرسله لك ان راينا في ذلك صلاحا للدين واقول لك  
ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت  
والسلام ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢

## الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المقتدر الي الله المعتمد به محمد المهدي بن عبد الله الى الفردون باشا  
فسلم تسلم بؤتك الله أجرك مرتين وان اعترضت كان عليك اثمك واثم من  
معك فقد اتاني الخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجردة الآتية لو  
لو كانت معي ستة أنفار تموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدي  
كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد أتاني خبرها  
انها تموت أيسر من موت جردة ولد الشلاي والهكس والمديريات الغربية  
كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله ومادام ان الله  
القادر أيدي بالكرامات وبالنصر فلا يضرني انكار منكر وانما يضر نفسه  
فقط والامر الذي أوعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم جار على  
ان الجردة التي تعتمدونها مالها وجه يوصلها لكم من سد الانصار الطرق فان  
اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وان  
أبيت فلا قدرة لك على نقض ما أراده الله وستري والسلام ربيع أول سنة ١٣٠٢  
«تحشية» وان طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة



وكان عبد القادر بن أم مريوم الذي تقدم لنا خبر خدمته لفردون  
ولحاقه بالمهدي وصيرورته قائداً من قواده قد أهدر غردون دمه وجعل جائزة  
لمن يأتيه براسه ثم كتب غردون الى المهدي يقول له ان عبد القادر بن أم مريوم  
صديقه الحميم وصاحبه القديم وانه يتنى ان يكون رسول المهدي  
اليه ليقدم له الخضوع والتسليم فقطن المهدي لهذه الحيلة وخاف ان ينتقم  
غردون من عبد القادر فصار يعده بارسالة ان جنح لمسالته وهذه صور الكتب  
نقلنا عن كتاب المنشورات

## الكتاب الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن  
العبد المعتمد بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا هداه الله الى  
طريق النجاة قبل ان يتلاشا آمين نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل  
الينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك في عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما  
طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا  
ودلائنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتي من هو مملوك لم يطب قلبنا  
بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسي الله ان يهديك الى سواء السبيل  
فاجب داعي الله واغتنم سلامتك من الشر الويسيل فقد رأيت ماحل ونزل  
ولا زلت تري ولا طاقة لك ولا لاعوانك بحرب جند الله عز وجل وقد  
ذكرت أن عبد القادر ولد أم مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت  
ارساله لك فعلى م ذاهل أنت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور

وجباخينهم وبشرت اني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان أصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكني اخترت توفيقا من الله ان ينال أصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما علمتم ولتعتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام الخ

### ذكر الاخبار التي تبودلت بين غردون والمهدي

لم يفتأ المهدي يدعو غردون الى التسليم له والخضوع لجبروته وقد عرض عليه جملة اقتراحات منها انه يسمح له ومن معه من المصريين بالنزوح الى مصر وترك الخرطوم على شرط ان لا يحملوا من متاعهم الا ما خف وان يؤدوا أجرة الجمال التي تحملهم الى حدود مصر

واقترح المهدي مرة على غردون ان يسلمه المدينة وفي نظير ذلك يسمح له بالعودة الى بلاده بدون قيد ولا شرط

وكان غردون يرسل الى المهدي الكتب تباعاً في بعضها الاستمراء به وفي بعضها يقول له ان حكومة جلالة الملكة تقديه منه بعشرين الف جنيه فرد عليه المهدي بانه يسمح له بالذهاب الى وطنه بغير ان يتناول شيئاً من الفداء وفي بعض الكتب يخبره بتقديم الانكليز لامداده ويؤكد له ان اجتماعه بهم مستحيل وانه موقن بقتلهم وغلبيتهم كما حصل لحملتي يوسف باشا الشلالى وهي كس باشا

وكان غردون قد انقطعت عنه اخبار الحملة الانكليزية ولم يكن يعلم بتقديمها نحوه الا من الكتب التي يرسلها له المهدي

فمن العبد المفتقر الى الله الوائق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى  
أحبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير المسكر وعظيمهم فرج الله  
وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الاكابر والاصاغر اعلموا وتحققوا  
أحبابي اني لست قائما هذا المقام الا لدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبري  
ونيل مراتبهم العلية وتفيرهم عما يضرهم من خسيس فاني اللذات التي  
تعقب طول الخسرات وقد بلغتني ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط  
أهل فشودة الذين يحبوني سابقا وانا «بآبا» من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدق  
في الطلب لما عند الله وإرادة الآخرة ودلائي على الصلاح والفلاح وارشاد  
العباد الى رضاء الفتح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا  
نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا فان  
سلمتم لنا فقد حزتم الكرم وصرتم من أصحابنا وأصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم بانهم كاصحابه رضوان الله عليهم وأدنى أصحابي رتبة ينال  
مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل  
العناية وأظن انه قد بلغتكم انذاراتي سابقا فلا فائدة في التطويل فان سلمتم  
فقد عفوناكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند  
الله حسن المسكانة الابدية فلا تظنوا فينا الا نيلكم منا كل خير فاني المهدي  
المنتظر خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم فابشروا بالكرامة والفخامة ان  
سلمتم لي واتبعتموني وليكن معلوما عندكم أحبائي ان من لم يصدقني ويتبعني  
يمذب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيت  
نصرتي في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي  
أسلحة راشد بك وولد الشلالى والهكس والايض ودارفور وبحر الغزال

الكمينان على غرة وأعمال السيف في رقاب الجنود الذين اضطروا الى العودة الى أم درمان بعد خسارة نحو مائة قتيل وعادت البواخر الى المدينة

وفي منتصف النهار رافقت غردون الى طابية المقرن لمكالمة حامية أم درمان أيضاً فلمنا ان سبب الفشل هم أولئك الجنود الذين لحقوا بالمهدي فاصدر غردون أمره الى القائد فرج الله باشا ان يسلم الحامية للمهدي فكتب اليه يسأله الامان فاجابه بكتاب صرح فيه بامانه وأمان أركان الحامية ولكن لم يوف به بل عذب الحامية وضربها بالسياط لتدل على ماخبأته من الاموال وفي اليوم الاخير من شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ الذي ضرب أجلاً

للتسليم ركب المهدي في عدد كبير من فرسانه حتى دنا من الخندق فخرجت اليه الحامية وتقدم الضباط نحوه فترجل لهم عن فرسه وجلس معهم على الارض وقدم لهم شراباً من العسل وعين فرج الله باشا قومندانها قائداً من قواده وضمه الى حمدان ابى عنجه قائد الجهادية وسياًتى ان فرج الله باشا هذا هو الذي قتل نجاشى الاحباش يوحنايوم واقعة القلابات

وهذا المذكور ضابط أسود كان بحامية فشود وكان برتبة اليوزباشي فرقه غردون حتى أبلغه رتبة اللواء وكان ضابطاً لحراسة السراى ولم يكن أمر تسليمه ماساً بامانته ويظهر من خوى كتاب المهدي الآتي ان فرج الله يعرفه منذ كان بجزيرة «آبا» وعلى كل حال فانه لم يقصر في واجباته ولم يرتكب أمراً يشينه وكما انه خدم الحكومة باخلاص فانه لم يخن الدراويش. وهاهي صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

منهم ترمدوا على ضباطهم وألقوا عصايات نعبث في المدينة وتسطوا على باعة  
الأتقوات وتختطف ما يعرضونه للبيع من الأقوات وهذه الأسباب دعت  
سكان المدينة وسراتها إلى الاحتفاظ على ما عندهم من القوت مهما عرض  
المشترون عليهم من الثمن الباهظ

## ذكر سقوط نقطة أم درمان

تقدم لنا ذكر هجوم المهدي عليها وما كان من أمر حصارها  
وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ فقدت حامية أم درمان القوت  
واشتمت وطأة الحصار عليها فاستدعاني غردون لمرافقته في صبيحة يوم ٢٧  
ربيع الأول إلى طابية المقرن تجاه نقطة أم درمان للمكاملة مع الحامية بالإشارة  
فرافقته إليها ومكثنا بضع ساعات نتبادل الإشارة فعلمنا أن الحامية فقدت  
القوت منذ ثلاثة أسابيع فسألنا قومندانها فرج الله باشا أن يوضح لنا عما إذا  
كان قادراً على الخروج من الخندق والالحاق بالثلاث بواخر التي استقر الرأي  
على إنفاذها له في الغد فاجاب بأنه قادر على ذلك فامرره غردون باتلاف كل  
المثقلات التي يتعذر حملها

ثم عدنا إلى سراي الحكمدارية وهناك أخذنا الإهبة لأعداد الثلاث  
بواخر وأخذت حامية أم درمان في الإهبة وقدر أن ثلاثة من الجنود السود فروا  
من الخندق ولحقوا بالمهدي وأخبروه أن الحامية ستأتيها البواخر في صباح  
الغد وتحملها إلى الخرطوم فأوصي قواده بالتيقظ لها فوضعوا لها كمينين  
بين النهر والخندق

وفي صبيحة الغد وصلت البواخر إلى شاطئ أم درمان فخرج عليها



وقد قاسى غردون من ألم المجاعة ما قاساه أصغر جنس من الحامية  
أو أحقر شخص من سكان المدينة فانه اضطر الى التغذى بجمار النخل  
حتى أصيب بتلك معدى كاديودى بحياته وفي ذات يوم جاءنى الطبيب  
اكسيوداكي اليونانى طبيب الحامية واخبرنى بان مداومة غردون على تناول  
الجمار لا تحمد مغبتها وان صحته الآن على خطر كبير ولا بد من تدارك غذاء  
جيد له فكنت أتحصل له بعد كل يومين أو ثلاثة على دجاجة أو زوج  
من الحمام الطاعن في السن

ودخلت عليه مرة وقد قدموا له شيئاً من المرق وكان لم يطعم شيئاً  
منذ أربع وعشرين ساعة فلم يتناول من المرق الا قليلاً فالححت عليه  
فى تناول كمية تقوم بتغذيته فامتنع وقال لى انى لا يهنا لى بال ولا تميل  
نفسى الى طعام مادام جنودى يموتون جوعاً وانى فعلت الواجب على الله  
يفعل ما يشاء

وكانت أسعار القوت فى المدينة حتى سقوطها كما يأتى ثلاثين ريالاً ثمن  
السكر من الغلة وعشرة ريالات ثمن الاقة من البقساط وخمسة ريالات ثمن  
الاقة من اللحم البقرى وكان بعض السكان يذبحون الحمر الاهلية والحكومة  
تعاقب من يرتكب ذلك

على أن كثيراً من سكان المدينة كانوا فى رغد من العيش والغلال مخزونة  
عندهم وهم بالغون فى اخفائها بطن الارض حتى التزمت الحكومة بتفتيش  
منازلهم ومقاسمتهم الغلال التى توجد عندهم فكانوا يتدمرون من هذه  
المشاطرة ويبدون الاعذار بكثرة عائلاتهم واضطرارهم الى القوت  
هذا وقد اختل نظام الجنود وفر اكثر الجنود ولحقوا بالمهدي وكثير

وسياتي ذكره في أيام التمايشي وأنه صار أميناً لبית المال  
والخلاصة ان الغلال الى كانت في مخازن الخرطوم تبلغ نحو ثلاثين الف  
أردب وكان راتب كل جندي سبع أقات ونصفاً من البقساط وأربعة  
قرايط من الذرة

ويوجد، حتى من أحياء المدينة فيه نحو أربعة آلاف نفس من الدنايلة  
كانوا عالة على الحكومة وكانت تقدم لهم الضرورى من القوت  
وتفشت المجاعة في المدينة بصورة مريعة جداً حتى ان كثيراً من  
السكان تورمت اطرافهم وصاروا لا قوت لهم غير ورق نبات اسمه ( اللوية  
العفنة ) كانوا يطبخونه ويلبثونه وصار قوت الحامية من الصمغ مخلوطاً مع  
جمار النخل وقد شوهد ان الذين يقتاتون بهذه الاصناف يصابون بالاسهال  
وتظهر على وجوههم أعراض تشبه أعراض مرض اليرقان الاصفر ثم  
تتناقص قواهم الجسمية في مدة ثلاثة أيام تمقبها أعراض الموت

ومن غرائب ما رأينا في حصار الخرطوم ان صيادى السمك قبل  
الحصار كانوا يصطادون في كل يوم نحو ألف قنطار من الاسماك ولما بدأ  
الحصار انقطع وجود الاسماك كأنها فرت من قعقة البنادق وهزيم المدافع  
حتى ان غردون انتهى سمكة يتغذى بها قبل سقوط الخرطوم باربعة شهور  
فلم يتيسر الحصول عليها

وكما ان الاسماك هجرت شواطىء الخرطوم فان اراضي بساين المدينة  
كانت تقوم بحاجة سكانها من البقول والفاكهة وفي إبان الحصار تلف كل  
مزروعاتها ولم ينبت فيها شيء من البقول وذبلت أشجار الفاكهة  
وتلاشت محصولاتها

لاسماك النيل وكان بعض التجار لم يوردوا ما بقي من المقادير التي تعهدوا  
 بتقديمها فاعتنم حسين سرى باشا الذي كان وكيلاً للحكمدارية قبل وصول  
 غردون الى الخرطوم هذه الفرصة واستدعى أولئك التجار واتفق معهم على  
 ان يتجاوز لهم عن نصف قرش في كل أقة ويؤدوا اليه الثمن فوراً وهو يأمر  
 أمين المخازن أن يكتب لهم ورقة الخضم التي يقول فيها ان هذه المقادير  
 سلمت اليه ووضعت في المخازن ويكتب حسين سرى باشا على ورقة الخضم  
 حواله على مالية مصر وقد بلغ ما تناول ثمنه بهذه الحياطة ستمائة ألف أقة من البقسماط  
 يقدر ثمنها بعمليون ونصف من القروش اي نحو خمسة عشر ألف جنيه ثم جاءت  
 الحوادث بخلاف ما كان ينتظره حيث لم تنجل الحامية عن الخرطوم ولم يتلف  
 ما فيها من الذخيرة والميرة وابتدأ الحصار وكان غردون يظن ان ما في الدفائر  
 والاوراق الرسمية عن تقدير كمية ما في المخازن من البقسماط صحيح لاريب  
 فيه حتي أعلن خبر فراغ ما في المخازن وقبض على أمين الاقوات وشكل مجلسا  
 من خمسين شخصا من الاعيان والموظفين وظهر له ان مرتكب تلك الحياطة  
 هو حسين سرى باشا وكيل الحكمدارية وانتهى الامر بأن غردون صمم على  
 استدعائه من مصر ليحاكم على ما اقترفه من الاثم وبديهي انه لا يكون ذلك  
 الا بعد اخماد ثورة المهدي ورجوع المواصلات بين مصر والسودان وكانت  
 الحكومة دفعت مائة وخمسين ألف ريال الى حمد التلب وسبعة آلاف ريال الى  
 النور ابراهيم الجريفاوي ليوردا لها غلالا من صنف الذرة سعر الاردب  
 أربعة ريالات فسافر حمد التلب مع حملة الجنرال وقتل معها وعهد الى وكيله  
 توريد الغلال في مخازن الخرطوم فلم يفعل. أما النور ابراهيم الجريفاوي فانه  
 اغتال المال لنفسه وانضم الى اعوان المهدي واشترك معهم في حصار الخرطوم

## ذكر ارسال البواخر الى المتمة

كان في الخرطوم نحو تسع بواخر منها ما تبلغ قوته البخارية مائة وعشرين حصانا

ولما ابتدأ الحصار حصنت هذه البواخر بصفائح من الفولاذ ووضعت باطرافها صناديق مملوءة بالآتربة لوقايتها من المقذوفات

وكان سعادة محمد نصحي باشا قائداً للواء المصرى الخامس فرقى الى رتبة اللواء وعين قومنداناً للبواخر الحربية وخلفه في وظيفته الميرالاي حسن بك البهنساوى وسار محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار وعاد منها بفلال لغذاء الحامية كما تقدم

ولما أخذ النيل في الانخفاض أرسل غردون البواخر الى المتمة تحت قيادته ومعه الصنوج خشم الموس بك الذى صار بميدئ خشم الموس باشا ومكثت البواخر في المتمة بضعة شهور تنسم أخبار الحملة الانكليزية وتتردد بين المتمة وبربر حتى سقطت الخرطوم قبل ان يراها الانكليز

## ذكر المجاعة في الخرطوم

لما كانت حملة الجنرال هيكس ذاهبة الى كوردفان أعدت الحكومة نحو مليونى أقة من البقسماط لغذائها وعهدت توريدها الى جماعة من التجار واتفقت معهم على ان يكون ثمن الاقة ثلاثة قروش مصرية

ولما ذبحت هذه الحملة وأصدرت الحكومة الخديوية الامر العالي القاضي بترك السودان واخلاء الخرطوم من الحامية واتلاف المثلقات كان من البديهي ان مثل هذا القدر من الميرة لا بد من اتلافه وتقديعه طعمة

## واقعة الجريفة

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ انفذ غردون حملة تبلغ ألف جندي نظامي وأربعة صناعق من الباشبوزق تحت قيادة البكباشي سليمان افندي النشار فجمعوا على طوابعي عبد الله بن النور في الجريفة حتى اذا اقتربوا من الطابية أصيب فرس محمد بك اسلام أحد الصناعق برصاصة قضت عليه واستولى الجبن على جنود الباشبوزق ففروا وانسلم ركن المربع لفرارهم وتكاثر الدراويش على الجنود الذين تقهقروا بانتظام فتأثروهم حتى اقتربوا من الاستحكام الذي انصبت مقذوفاته على العدو واضطرتة الى الفرار وخسر الجنود في هذه الواقعة مائتي قتيل

وأصيب عبد الله بن النور برصاصة قضت على حياته. وعبد الله بن النور هذا من قبيلة (العركين) صاحب المهدي قبل دعواه وكان من خيرة أتباعه وأكبر قواده حتى قال عنه في «قدير» انه يموت شهيداً يوم فتح الكوفة

ولما اتصل بالمهدي خبر قتله كتب منشوراً قال فيه ان اسم (الجريفة) في بعض الكتب القديمة الكوفة ثم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً فالذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور والذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي

وجرت وقائع أخرى بين الحامية وبين ولد النجومي لا تختلف عن هذه الواقعة ولذلك أضربنا عن إيرادها



بـخندق مربع يتصل طرفاه بالنيل الأبيض قبالة نقطة (المقرن) التي يجتمع عندها النيلان الأزرق والأبيض بازاء الخرطوم في الشاطئ الغربي ثم انشأ أحد الأولوية خندقاً داخل الخندق في مكان مرتفع وما حوله منخفض وفي ابان ارتفاع النيل تصل مياهه الى الخندق الصغير بحيث تستطيع السفن الرسو عنده بخلاف أيام الانخفاض فان النيل يبعد عنها بمسافة ألف متر تقريباً

ولما وصل غردون الخرطوم أعجبه موقع هذا المعقل ورأي ضرورة وجوده لحفظ المدينة من جهة الغرب فشاد فيه أبراجاً وطوابي وضع فيها ثلاثة مدافع من الطراز الجبلي وأربعمائة جندي من النظاميين نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من المصريين

وفي منتصف شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٢ هـ جم المهدي بجيشه كله على نقطة ام درمان فقابلته الجنود ببنيران حامية اضطرت به الى التقهقر بخسارة بضعة آلاف من مقاتلته فأحاط بالخندق الصغير واستولى على الخندق الكبير وقطع الاسلاك بينه وبين النقطة وشاد نحو عشرين طابية على ضفة النيل الأبيض وضع عليها مدافع الكروب والمتريوز والجبلي فكانت مقذوفاتها تقع في المدينة فشاد غردون طابية في (المقرن) ازاء هذه الطوابي وشاد في جزيرة « توتي » أيضاً طابية قبالة طوابي ام درمان

ومكث المهدي محاصراً ام درمان الى أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وسميأتى خبر تسليمها له



واليه المصير. ومن المعلوم اني عبد دال على الله فمن اتبعني فقد حاز السعادة الكبرى ومن خالفني سيديقه الله عذاب الحزني في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخصي وقد أظهرني الله رحمة للمؤمنين ونقمة على المالكين المكذبين وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالي متى الغفلة والتسوية والى متى مبارزة مولاكم بالمداداة ألم يأن لكم ان تميل قلوبكم الى ما ينفعكم في آخرتكم ويجلب لكم الخير ويصرف عنكم الشر والضرير اترغبون النجدة والفرج عند الانكايذ وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي بيده أموركم وقوامكم وهو القوى العزيز فما الانكايذ وغيرهم واضعاف مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التي يعجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب. وما الغوث الا من عند الله القريب المحيب. وحيث فهمتم ما ذكر فاني لا أوأخذكم على ما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتىكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم. ومن خالف عطب وندم. فبهاهيا ثم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فاننا مناظرون فيكم قوله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء ابجالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » اه

هجوم المهدي علي ام درمان

لما كانت حملة الجنرال هيكس معسكرة في أم درمان حصنت نفسها

في اثناء صفيح على شكل ابريق احتمله هذا الجاسوس وسبح به في النهر الابيض  
حتى وصل الي شاطيء المدينة حيث لاحراس يقومون بحراسة الشاطيء  
من جهتي النيل الابيض لاتساعه وانما وضعت الجنازير فقط في المضائق لمنع  
السفن البخارية أو الشراعية من الوصول الي المدينة

ووزع الجاسوس الكتب والتي بعضها في الطرقات والازقة والمنازل ثم  
اختفي في المدينة حتى قفل راجعا من حيث جاء ولم يتيسر القبض عليه ومن  
ثم امرني غردون بوضع عسس في شواطيء النيلين الازرق والابيض وانقطع  
وقوع مثل هذه الحادثة وضبط العسس كثيراً من جواسيس المهدي وكان  
غردون يأمر باطلاقهم ولا يسمح بمعاقتهم وهاهي صورة الكتاب المذكور  
نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اني كافة أهالي الخرطوم  
هداهم الله الى الصواب آمين نعرفكم ان الله تعالى غني عن العباد. يهدي من  
يشاء الى طريق الرشاد . ويضل من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي ومن  
يضل فلن تجد له ولياً مرشداً وقد طال ما تكررت منا النصائح وارادنا نجاة  
عباد الله وسلوكهم طريق الله فاناب الي الله من أراد الله سعاده وخالف من  
خذله الله فاصمه وأعمي بصره فلا أدري ما الداعي الى عدم الانقياد أو لله  
شركاء يستشيروهم فيمن يجعله مهدياً أم له منازع في ارادته . كلا بل هو  
القادر الفاعل لما يشاء فيجب على كل ذي بصيرة الوقوف معه على حد الادب  
ولا يلتفت الى غير لا وجود له من نفسه وان يسلم الامر لله اذ بيده التقلبات

فارتاع سلاطين واجاب التعايشى بقوله « انني اخبرته بأن الله اعطاك علم ما يضره كل انسان وانك والمهدي لا يخفى عليكما شيء من هذه الضمائر » وكان حسين باشا خليفة حاضرا فقال لسلاطين صدقت ودعا لعبد الله التعايشى بطول البقاء فسر عبد الله التعايشى والتفت الى سلاطين وشكره على اخباره باين باصر اطلاعه على الضمائر وأوصاه بان يجتهد في سبر غور الرجل والوقوف على باطن أمره

وظفق باين يكلم سلاطين بالفرنساوية وسلاطين يترجم للتعايشى فقال انني منذ حسدانة سنى أحب السودانيين وكذلك كل موظفى فرنساويين يحبون السودانيين وان الامة الفرنسية تبغض الامة الانكليزية التى احتلت مصر وارسلت غردون أحد رجالها الى الخرطوم وقد أتيت لاعرض عليكم مساعدتى ومساعدة قومي وانتهى الامر بان تقدم التعايشى باين الى المهدي الذي رفض قبول مساعدته وأبقاه بمنزل سلاطين باشا حتى توفي بالحلمى التيفوسية

## ذكر وصول المهدي الى ام درمان

في أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٠٢ من الهجرة اشريفة ارسل المهدي الى اتباعه منشورا قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بفتح الخرطوم في هذه السنة وأن عدد جملة ( نصر من الله وفتح قريب ) بالجل الكبير يبلغ الفا وثلاثمائة واثنين

ولما اقترب من ام درمان وضع معسكره العام عند مكان اسمه ( الفتيح ) على بعد نحو عشرة أميال من معقل أم درمان وارسل جاسوسا يحمل نحو الف نسخة من كتاب يدعو به أهل الخرطوم الى التسليم له ووضع الكتب

وفي يوم العيد اعلن ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتقدم الى الخرطوم  
ووعده بالفوز على من فيها من الحامية وبشره بفتحها ومن ذلك اليوم زحفت  
جيوشه كسيل العرم على الخرطوم وسار هو حتي قطع القلعة التي بين كوردفان  
والنيل الابيض وعسكر في قرية ( شاة ) على مسافة بضعة أميال من النيل  
الابيض وعلى مسيرة ثمان مراحل من الخرطوم

أما جيوشه فكانت زهاء ستمائة ألف مقاتل فشنت بينهم المجاعة  
والامراض كالجدري والاسهال

ونشر المنشورات على الناس يدعوهم الى الجهاد ويعددهم بالنعم في الدار الآخرة  
لما يقاسونه من التعب وشطط العيش وقضى باهدار دم من تخلف عنه فإي  
الناس مطالبه وساروا معه بحيث كانوا أطوع له من بنانه بالرغم عن الشدائد  
التي كانوا يقاسونها

### وفود أوليفر باين الفرنسي على المهدي

بينما كان المهدي سائراً في القلعة من الرهد الى شاة بلغه ان سفيراً قادم  
اليه من فرنسا وقد جاءت اخباره مكبرة حتى قيل انه امبراطور فرنسا وقال  
آخرون انه من أقارب جلالة الملكة فيكتوريا

ولما أوقف باين امام عبد الله التعايشي وراه قد لبس جبة مرقعة  
وعمامة كال دراويش أخذ يتكلم مع التعايشي بالعربية فلم يفهم كلامه لما في  
لسانه من عقدة العجمة فاستدعى سلاطين باشا وقال لبين تكلم معه بلغتك  
خياها بالانكليزية فلما ظنا منه انه انكليزي وقال له أتعرف الفرنسية فقال له  
سلاطين تكلم فيما أنت فيه وعرفه باسمه فارتاب عبد الله التعايشي وانهرها



لا نقول لك الا كما قال سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس لما وصلته هديتها «أتمدون بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون » وتراجع المنهزمون من جماعة أولاد الشيخ العبيد وعسكروا في الحلفاية كما كانوا واحتمفروا المتاريس فكانت مقذوفاتهم تصل الى منازل المدينة وشوارعها وتلحق الضرر بالسكان وتميت كثيراً منهم في كل يوم

وكان بين الطوبجية الذين مع ابن النجومي رجل اسمه محمد سلامه وهو من الذين نجوا من مذبح الجنرال هكس فقال له عبد الرحمن النجومي صوب قنابل مدفع الكروب الي منارة مسجد الخرطوم والي سراي غردون فاعتذر له بان هذه المسافة بعيدة عن الحدود لوصول مقذوفات هذا المدفع فقال بعض الدراويش صوب المدفع وبركة المهدي تكفل اتمام الناقص فكان جوابه انها لا تكفل أبداً فخنقوا عليه وشكوه الي ابن النجومي الذي أمر بضرب عنقه فمات وأخذ الطوبجية الآخرون يرمون المقذوفات في المدينة التي كانت تشعر كل يوم بزيادة الضيق وتحس بالغلبة والسقوط الذي وراءه كل البلايا والمصائب وثبتت اقدام العدو وصار من المتعذر طرده وانسدت أبواب الآمال في وجوه غردون ومن معه

### ذكر مغادرة المهدي الرهد الي الخرطوم

لما فشل المهدي في محاربة جبل الداير وكان ذلك في أوائل شهر رمضان سنة ١٣٠١ هجرية أعلن انه ينوى الاعتكاف للعبادة في أول يوم من العشرة الاخيرة من شهر رمضان فلا يخرج من الاعتكاف الا لصلاة العيد

وأما الحامية التي تقابل متاريس العدو من جهة النيل الايض فانها  
مؤلفة من اللواء الخامس المصرى وبعض جنود من الباشبوزق وقومندانها  
اللواء محمد نسحي باشا

وفي نقطة القاب باب كبير عليه برج من الحديد المصنح تحيط به جملة  
طواب وعليها مدافع من طراز كروب ومن الطراز الجبلي  
ولما وصل عبد النجوى وجموعه الى ضواحي الخرطوم أرسل بكتاب  
الى غردون يدعوه فيه الى التسليم ويتوعده بالويل والثبور اذا امتنع عن  
الاجابة وكانت قد وصلت الى غردون أخبار تدل على ان جنود ابن النجوى  
واقعة في مجاعة شديدة بسبب أن أهالي القرى التي حوالى الخرطوم هجروا  
قراهم خوفا من غارات المصريين واعتصموا بالقلوات وأوغلوا فيها ولذلك لم  
يجد النجوى فى طريقه من يقدم له الاغذية فكتب الى أهالي القرى  
يدعوهم الى العودة الى قراهم ويضعف لهم قوات المصريين حيال قوته وان  
الحامية التي في الخرطوم سوف يرون بأعينهم ما يحل بها من بطش مقاتلته  
فأخذ الاهل ان يراجعون الى قراهم وبعد حين صار ابن النجوى وجيشه  
يتحصلون على ما يقتاتون به من الحبوب واللحوم

وفي غضون اشتداد المجاعة على ابن النجوى وجيشه أرسل غردون  
كتابا برسم النجوى وعبد الله النور وأرسل نحو خمسمائة أقة من الخبز المجفف  
(البقسماط) بصفة هدية لهما وهدية أخرى من اللجم المصنوعة من اللجين وفي  
الكتاب استهزاء بهما حيث قال لهما انكما جئتما لحصارنا وقتلنا مع انكم في  
نهاية الحاجة الى القوات فاشفاقا عليكما أرسلت لكما بهذا الغذاء وهذه الهدية  
فردا عليه بكتاب وجيز جاء فيه بعد لدياجة ما يأتى

من كوردفان بجيش يربو على الستمين ألفاً - للاح جلهم الحراب والسيوف  
 والمزاريق وعنده نحو عشرة آلاف من العبيد ( الجهادية ) مسلحين بالاسلحة  
 النارية ونحو عشرة آلاف فارس ومكث بضعة أسابيع في جنوب الخرطوم  
 مشتغلا باجتياز النهر الابيض من الضفة الغربية الى الشرقية وفي أواخر ذي  
 الحجة سنة ١٣٠١ وصل الى الجريف ووضع معسكره عند قرية الكلا كله  
 المتوسطة بين النيلين الازرق والابيض وتجاه نقطة الواسط من استحكام  
 الخرطوم ليكون المعسكر نائيا عن مقذوفات البواخر التي كانت لا تنفك عن  
 مناوشة مواقع الدراويش واغلاق راحتهم وهي كما قدمنا كانت من أقوى  
 الاسباب التي ساعدت محمد علي باشا على هزيمة الدراويش وقادهم أبي قرجة  
 يوم واقعة الجريف

وقسم جنده الى ثلاث معسكرات وأصلح طوابي الجريف وزاد عليها  
 وعهد بالدفاع عنها الى عبد الله النور وشاد طوابي في قرية ( الفرقان ) وتولي  
 الدفاع عنها بنفسه واحفر متاريس بالقرب من النيل الابيض وعهد بالدفاع  
 عنها الى أحد القواد

وعلى ذلك فيكون عبد الله النور بازاء استحكام ( برى ) على النيل الازرق  
 والمدافع عنه من حامية المدينة اللواء السوداني الاول وقومندان الميرالاي  
 بنحيت بطراق بك وهو ضابط سوداني ترقى تحت السلاح . وطوابي الفرقان  
 حيال نقطة القلب من استحكام الخرطوم وهذه النقطة مقر قومندان الجنود  
 العام فرج باشا الزين كما ان طوابي الدراويش المحاذية لها تحت امره قائدهم  
 العام عبد الرحمن والحامية القائمة بالدفاع في هذه النقطة خليط من جنود  
 نظاميين واتراك غير نظاميين ومتطوعة من المصريين سكان المدينة

يكن كوتسيه راغباً في البقاء معنا ليرجع من حيث جاء فقال كوتسيه لا سبيل الى  
الاقامة مع الكفار وقفل راجعاً الى المهدي في كوردفان فلقاه بالاكرام  
واغدى عليه العطاء وسماه محمد يوسف كرغبته وأهداه جارتين وعبدین  
وناقتين واعاده الى بربر وأوصي محمد الخير بمراعاته وأجري عليه راتباً شهرياً  
يقوم بضرورياته

هذا وقد كتب غردون في مذكراته عنه شيئاً كثيراً وتخوف  
ان يكون سلم للمهدي مفتاح الشفرة وغاية ما يقال عن كوتسي انه رأى  
مع قصر نظره ان وقوع السودان تحت قبضة المهدي ضربة لازب وان  
ظهوره بهذا المظهر أسلم عاقبة من بقائه على ولاء غردون. وليس بصحيح  
ما قيل عن تسليم بربر انه كان بخيانة منه لانه فر منها قبل ان يحصرها العدو  
وقبض عليه في الطريق وهو فار الى مصر وبقي في أسر المهديين الى يوم استيلاء  
المصريين على أم درمان فغادرها الى مصر

### وصول عبد الرحمن النجومي الى الخرطوم

لما وصلت كتب الحاج محمد ابى قرجة الى المهدي وعلم منها ما أصاب  
أبا قرجة من الهزيمة والفشل انتدب عبد الرحمن النجومي وكيل الراية البيضاء  
ومعه ستون راية يتبع كل راية نحو ألف مقاتل يخضعون الى أمير ويخضع  
هذا الأمير لعبد الرحمن النجومي وضم اليه عبد الله بن النور ومعه عشرون  
راية على مثال رايات عبد الرحمن النجومي واعطاه مدفعا من الكروب  
وست مدافع جبلية وأصدر اذنًا عاما لكل من رغب في مرافقة عبد الرحمن  
النجومي من قبائل السودان الاوسط ان يرافقه ففسار عبد الرحمن النجومي

## ذكر اخبار كوتسيه الايطالي

كان كوتسيه خائماً للمسيو ماريه قنصل فرنسا في الخرطوم فأرسله في تجارة الى بربر

ولما هلكت حملة الجنرال هكس هاجر ماريه من الخرطوم وخلق بمصر خلفه في وظيفته الموسيو هربن الذي ذكرنا قبله مع الكولونيل ستيوارت ولدى مروو غردون على بربر استبقاه بها بكاسوس يرفع اليه الاخبار بالارقام وسلمه مفاتيح الشفرة ليخاطب بها الوكالة البريطانية إن دعت الحالة الى ذلك

ولما اقترب محمد الخير من بربر فرّ كوتسيه الى مصر فقبضت عليه بعض قبائل من اللائي دخلن في دعوة المهدي وساقته أسيراً الى محمد الخير

ولما أوقف بين يديه عرض عليه اعتناق الاسلام فلم يقبل فأرسله مع حراس أوصلوه الى المهدي الذي عرض عليه الاسلام فقبله ونطق بالشهادتين مدعياً انه رأى من كرامات المهدي ونور وجهه مادعاه الى قبول الاسلام دينا وتغالي امام المهدي في الدهاء والترهات حيث قال للمهدي انه رأى من أنوار طلعت من ماهر فؤاده وحبب اليه الاسلام فعرض عليه المهدي حمل رسالة منه الى غردون وطلب منه ان ينصح غردون بالتسليم له ويخبره بما رآه من كراماته فاجابه كوتسيه وحمل الكتاب الى الخرطوم ودخل الخرطوم فسأله ضابط الحامية عن سبب مجيئه فقال جئت لانصحكم بالتسليم للمهدي وأخذ يسرد له ما حمله من رسالة المهدي فاسكتته الضابط وأسرع بأبلاغ غردون أمره على لسان البرق فأرسل غردون إشارة برقية قال فيها اذا لم



رتبه وألقابه ونياشينه الا أن غردون اوقف تنفيذ هذا الحكم وأبقى المحكوم عليه في وظيفته وعمله من اعادة الظروف الاحوال التي كانت ماسة لتعطيل هذا الحكم والاستفادة من وجود مثل هذا الضابط الذي كانت الحامية تكبر ففقدته لو انفذ عليه الحكم وكيفما كان الامر فان غلطة هذا الضابط لم تكن السبب فيما أصاب السكولونيل ستيوارت بل كانت السبب في وقوع التجار أسرى في يد الدراويش وما أصاب باخرة ستيوارت كان لا يستطيع دفعه الا لو ساعده القدر وقبل نصيحة غردون واصطحب معه الزورقين فكان يمكنه بواسطتهما اللحاق بحدود دنقله

على انه لو حمل ماخف من متاعه وأبحر على الزورق الذي كان لديه لاستطاع النجاة والعودة الى خلاص بقية رجاله من تلك الجزيرة التي كانت له معقلا طبيعياً يرد عنه كل من رامه. وكان رجاله يستطيعون البقاء والدفاع ريثما تصل اليهم النجدة من حدود دنقله لو لم يتعجل بالقاء المدفع والذخيرة في قاع النهر وزد على ذلك ماسرذناه من عدم رويته وتسرعه في الامور ورفضه كل مشورة عرضها عليه رفقاؤه وعدا هذا وذاك فانه لو أرسل بضمة أشخاص من رجاله على الزورق لجاءه المدد من دنقلة ولم يقع في الاشراك التي نصبها له أولئك الغادرون

والحاصل ان مأمورية ستيوارت وما تخللها من الحوادث جاءت ضغناً على ابالة حيث قضت على كل أمل بانقاذ الخرطوم من الوقوع تحت طغيان المهدي وشجعت على التقدم الى الخرطوم بجنان ثابت وغزم ماض ليم ماأزاده الله وينفذ ما قضاه والامر لله

الحاكم فزجه في السجن حتى تشفع فيه كوستي الايطالي فاطلق بكفائه  
وسنذكر قصة كوستي فيما سيأتي

وبعد خلاص حسن حسنين من سجن محمد الخير لحق بام درمان ثم  
غادرها الى كسلاكي يفر منها الى مصر وقد كان شرع في الهروب مع زوجته  
وابنه فافترت السباع زوجها وابنه ووقع أسيراً بين مخالب المهدوبين فسجنوه  
ثم وجد سيلا الى النجاة واللاحاق بام درمان حيث أقام بها الى حلول الحكومة  
بها ثم عاد الى وطنه مصر واجتمع باهله الذين حسبوه في عداد الاموات  
بعد طول زمان الفراق وقد رويناه عنه هذه الحادثة وتأكدنا صحتها من  
التفاصيل التي وصلت للمهدي

على ان هذه القصة يظهر منها ان بعثة ستوارت كانت آخر سهم في كنانة  
غردون وآخر عمل كان يأمل من خلاله النجاح ولذلك وقع عنده خبر قتله  
موقعاً سيئاً للغاية وزاد الطين بلة وقوف المهدي على كثير من الكتب والرسائل  
التي كانت مكتوبة باللغة العربية وان فاته الوقوف على أمثلها التي باللغات  
الفرنسية والانكليزية وكان غردون متخوفاً من ان يكون كوستي  
أطلع المهدي على مفاتيح الشفرة مما يدل على ان الكتب التي كانت  
حوت من الاسرار ما هو أهم من التي كتبت باللغة العربية واطلع  
عليها المهدي

ولما عاد القائم مقام عثمان حشمت بك الى الخرطوم أخبر غردون بانه  
اضطر الى الاقلاع بالباخرتين قبل مضي الاربع وعشرين ساعة وذلك لانه  
خاف مناوشة العدو ولكن التحريات حققت كذبه وان لا مناوشة اضطرته  
الى مخالفة الاوامر فحوكم امام هيئة عسكرية حكمت باعدامه وتجريده من جميع

وارسلوها الى محمد الخير حاكم بربر من قبل المهدي فاسرع بارسلها الى المهدي الذي كان وقتئذ قد غادر الرهد ونزل في جهة ( شاة ) القريبه من النيل الابيض فسر بها واطلق المدافع سرورا بهذه البشرى وارسل الي غردون بكتاب يدعوه فيه الى التسليم ويعلمه بما اصاب ستيوارت ووضح ملخص جميع الكتب والرسائل التي كانت صحبة الكولونيل ستيوارت وقد اضربنا عن ايراد ذلك الكتاب اكتفاء بملخصه

هذا وقد كان الخمسة درويش الذين تاثروا الكولونيل ستيوارت من بربر قد وصلوا الى قرية السلامانية واشتركوا مع سكانها في هذه المذبحة أما تدبير الحيلة على الوجه الذي بيناه فقد دبره شيخ القرية سليمان بن نعمان ابن قر وسيأتي في هذا الكتاب ذكر قتله انتقاما عن هذه التبعة الشنعاء

ولابد من ايراد شي في هذا الباب من ترجمة سليمان بن نعمان فنقول . هو زعيم قبيلة اولاد قر من بطون قبيلة الرباط التي تقدم ايراد ترجمتها وهي من قبيلة الجعليين التي تكلمنا عنها آنفا

وأما حسن افندي حسنين الذي نجما من هذا الخطب فانه لما قبلوا القتلى وسلبوا من الكولونيل ستيوارت ملابسه وكذلك القنصلان والقوا بجثثهم الى الصقور والكلاب وجدوا حسن افندي حسنين حيا فتآمروا على قتله فشنع فيه الرجل الكفيف البصر والرجلان اللذان رافقاه الى الكولونيل ستيوارت فقبلت شفاعتهم واستلمه احد المشايخ كاسير لديه وكلفه برعى اغنامه مع ما كان يقاسية من آلام الجروح التي كان يضمدها ويعالجها في غصون اشتغاله برعى الماشية في القلاة ثم ارسل محمد الخير حاكم بربر يطلب ارساله اليه فقيده وساقوه مكبلا بالحديد حتي بلغ بربر مقر هذا

شيخ قريتنا المدعو سليمان بن نعمان بن قر كان مسافرا في بعض شؤنه  
وقد آب من سفره بعد عودتنا من عندكم بالامس وقد احضر نوقا لحملكم  
عليها الى دنقله وان النوق في انتظاركم على الضفة الشرقية فاجتاز السكولونيل  
النهر ومعه القنصلان وخمسة ثلاثون ملاحا من خدام الباخرة واربعة جنود  
طوبجية وثلاثة موظفين ملاكيين هم حسن حسنين ومحمود حلمي غراب  
وثالث قبطي كان كاتباً ايضاً وبعد ان نقلوا متاعهم الى الضفة وجدوا بها سبع  
نوق وقيل لهم ان غيرها سيأتيكم على الفور وجلسوا منتظرين بقية النوق  
ولما انتصف النهار جاء من القرية رسولان قابلا السكولونيل وقالاه  
ان شيخ البلد يدعوكم للمأدبة ادبها اكرما لكم فلبس ملابس كانه مدعو  
للمأدبة في بلاد آمنة ولم يأخذ لنفسه أقل حيلة وسار معه القنصلان وحسن  
افندي حسنين ليترجم بينه وبين الاهالي

ولما اقتربوا من القرية قابلهم الاهلون بالبشاشة والترحيب وادخلوهم  
الى أودة كبيرة وجدوا بها نحو خمسين شخصا متزيين بزى التجار فرحبوا  
بهم واجلسوا كل اثنين على (عقريب) ثم هناؤهم بالسلامة وخرجوا من  
عندهم بعد أن وعدوهم باحضار النوق لحملهم الى دنقلة  
وبعد خمس دقائق عاد الخمسون رجلاً وبايديهم الاسلحة من الحراب  
والبلط الصغيرة ووضعوا السلاح في رقاب السكولونيل ستيوارت والقنصلين  
فسقطوا قتلاء يتخبطون في دماهم واصيب حسن افندي حسنين بجروح  
عديدة سقط منها يتخبط في دمه فظنوه قد فارق الحياة مثل رفقاءه الثلاثة  
وتقدم نحو اربعمائة رجل من القرية الى شاطئ النهر وذبحوا جميع الذين  
كانوا هناك من رجال السكولونيل ستيوارت وجمعوا ما عندهم من الاوراق

وكان حسن أفندي حسنين التفرنجي الآنف الذكر يترجم هذه الافوال  
 الى اللغة الانكليزية بين يدي الكولونيل ستيوارت الذي أمر حسن أفندي  
 حسنين ومحمود حامى غراب أن يصطحبا معهم بضعة رجال من ملاحي  
 الباخرة ويذهبوا الى قرية السلامانية من الشاطئ الشرقي للنهر فامتنعوا وقالوا له  
 ان ذهابنا بهذه المأمورية مخاطرة بحياتنا فاحتم غيظا وتوعدهما بالقتل رميا  
 بالرصاص اذا لم يبادرا بالذهاب فاطاعاه خوفا من هذا الوعيد واجتازا النهر  
 على الزورق واجتمعا بالملاحين وفصدوا القرية فوجدوا ثلاثة أشخاص جالسين  
 في فناء مسجد ومعهم رجل كفيف البحر فخطبهم حسن حسنين ومحمود  
 حلمي وقال لهم ان باخرتنا قد غرقت امام قريتكم فان كنتم على طاعة  
 الحكومة رجوناكم ان تمدوا لنا يد المساعدة لنصل الى دنقلة فاجابوهم  
 بانهم لم يزلوا على طاعة الحكومة وانهم خاضعون لحاكم إقليم دنقلة  
 مصطفى ياور باشا وحلفوا على المصحف الشريف بان ما قالوه عين الحقيقة  
 وطلبوا من الرسولين ان يؤمناهم فقالا ان ذلك ليس من خصائصنا بل  
 هو من خصائص الرئيس الذي هو الكولونيل ستيوارت وقفل الرسولان  
 راجعين الى الجزيرة ومعهما رجلا من الثلاثة الذين جرت المحادثة معهم  
 ورغب الرجل الضرير ان يسير معهما ففسار السكك واجتازوا النهر على الزورق  
 ولما مثلوا بين يدي ستيوارت اعادوا ما قالوه لرسوليهم اللذين ابلغاه  
 ما دار بينهم من الحديث وما كان من أمر حلفهم على المصحف فلم يرتب في  
 انهم صادقون في كل ما قالوه فامنهم على انفسهم وبالع في اكرامهم والاحتفاء بهم  
 وأعادهم الى قريتهم وقضى تلك الليلة في الجزيرة  
 وفي صباح الغد جاءه الرجلان اللذان كانا عنده بالامس وقالوا له ان



الضفة الشرقية اسلم من الدنو من الضفة الاخرى وبينما كانا يختلفان ارتطمت  
الباخرة بصخرة اتلفتها فدخلت المياه الى جوفها وألقي الملاحان الدنقلان انفسهما  
في جلة النهر وسبحا فيه الى حيث لا يعلم أحد وجهتهما وألقي السكولونيل  
ستيوارت المدفع والخرطوش في قاع البحر ونقل أمتعته وأمتعة من معه على  
زورق صغير كان معه

وعندئذ أظهر ستيوارت أسفه على تركه زورقين كان غردون قد أمره  
باخذها وقال له انهما يساعدانك على النجاة اذا قدر لباخرتك عدم النجاة من  
الشلالات فتركهما ستيوارت ولم يعبأ بنصيحة غردون  
وكان ستيوارت صعب المراس قوي الشكيمة مستبداً برأيه في  
أكثر الاحوال

ولما استقر ستيوارت في الجزيرة أشار عليه من معه أن يسافر على الزورق  
ومعه بضعة أشخاص ليصل الى حدود دنقله اذ لم يكن بينه وبينها غير مسيرة  
يوم واحد فرفض اقتراحهم ولم يقبله ثم عرضوا عليه أن يبعث رسالا على الزورق  
الى حدود دنقله فاذا وصلوا سالمين وعلم بهم قومندان الحدود أرسل ممدداً  
لانتقاذهم وكلتا الطريقتين كانت كافلة انتقاذه وبلوغه دنقلة سالماً ولكنه لم  
يقبل واحدة منهما أيضاً

وفي أصيل النهار سمعوا صائحا على الضفة النهر فامنعوا النظر فعلموا ان  
الصائح هو ذاك الملاحان اللذان ذكرنا فناديا ستيوارت ومن معه قائلين  
لاباس عليكما وانكم ازاء قرية تدعي السلامانية وانها من حدود دنقله ولم تزل  
على طاعة الحكومة ولم تدخل في دعوة المهدي وهم يطلبون ارسال مندوبين  
يتحققون بقاءهم على طاعة الحكومة

الـكـولونـيل سـتيـوارت وتـلـحـقـا بـها العـطـب وعـين مع سـتيـوارت مـلـاحـين  
دـنـقـلـيـن لـهـما مـعـرـفـة بـاجـتـيـاز الشـلـالـات

و غادر الكولونيل ستيوارت الخرطوم في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١  
هـجـريـة ومـعـه البـاخـرـتـان وخـلفـهـما مـرـاكـب التـجـار ومـكـث سـائـراً ثـلـاثـة أيـام حـتى  
بـلـغ بـرـبر وكان الرصاص يهطل عليه في خلالها من ضفتي النهر كالطر  
ولما وصلوا بربر أطلق عليهم الدراويش القنابل من خمسة مدافع والرصاص  
ومع ذلك اجتازها بغير أن يصيبه أدنى ضرر

ولما وصلت البواخر والمراكب الى (غنينيطه) أمر عثمان حشمت بك  
بترك المراكب وكان الهواء عاصفاً فلم تستطع السفر  
وأما باخرة الكولونيل ستيوارت فالتجهمت في سيرها جهة الشمال ولم  
تكد تسير ميلاً واحداً حتى أمر عثمان حشمت بك الباخرتين بالاقلاع والعودة  
الى الخرطوم فاندesh الكولونيل ستيوارت من عمل هذا القائد ومخالفته  
للاوامر التي تلقاها من غردون فامر ربان باخرته بالاسراع في السير فاجتاز  
الشلال الأول بسهولة

ولما نظر الدراويش في بربر عود الباخرتين أرسلوا باخرة من اللتين عندهما  
لتلحق باخرة الكولونيل ستيوارت فظفرت بمراكب التجار وعادت الى بربر  
حيث لم تقدر على اجتياز الشلال وسار نحو خمسمائة من الدراويش على ضفة  
النهر ليلاحقوا ستيوارت

وفي اليوم الثالث من اجتياز الباخرة للشلال وصلت الى جزيرة يحيط  
بها الماء من كل جانب وهناك اختلف الملاحان الدنقليان فقال أحدهما الدنو من  
الشاطيء الغربى اسلم من الدنو من الشاطيء الشرقى وقال الآخر ان الدنو من

ولكنه قصد أن يكون التاريخ حكماً نافذ الحكم بينهما وبينه وإن لا تكون عليه تبعة هلاك الالوف من سكان الخرطوم أمام الله والعالم أجمع ولكن لسوء الحظ لم تكتمل تلك العرائض إلى دنقلة حتى أوقعها نكد الطالع في يد المهدي بعد قتل الكولونيل ستيوارت فاستفاد منها فائدة حيث تحقق أن حكومتى انكثرتا ومصر متقاءدتان عن إرسال المدد إلى غردون فوطن العزم على الزحف على الخرطوم والقضاء الأخير على سلطة الحكومة في السودان كلها حيث علم حقيقة مقصد انكثرتا وأنها مابعثت غردون إلا لسلامة السودان

وعينت الباخرة عباس لتقل الكولونيل ستيوارت ومن معه وعليها مدفع وأربعة عساكر طوبجية ورافق الكولونيل ستيوارت حسن أفندي حسنين تلغرافى انكليزي بالخرطوم بصفة مترجم ورافقه أيضاً محمود حلمي أفندي غراب باشكاتب المالية بصفة كاتب له

والتمس من غردون نحو ثلاثين رجلاً من الأوروبيين والسوريين كانوا تجاراً في الخرطوم أن يسافروا بعائلاتهم على مراكب شراعية تقطرها الباخرتان اللتان تخفزان باخرة ستيوارت حتى يجتازوا بربر ثم هم يجتازون الشلالات فيصلون إلى حدود دنقلة فاجاب التماسهم وعين باخرتين كبيرتين وعليهما نحو ألف جندي ومدافع تحت قومندانية القائم مقام عثمان حشمت بك وأصدر إليه الأوامر بالمسير بجاني باخرة ستيوارت وإن تكون مراكب التجار مقطورة خلف الباخرتين فإذا اجتازوا بربر تركت المراكب وشأنها وإن يقف بالباخرتين عند مكان اسمه ( غنيميطة ) شمال بربر مدة أربع وعشرين ساعة حيث تكون في خلالها باخرة الكولونيل ستيوارت اجتازت الشلالات وكان عند الدراويش باخرتان كبيرتان في بربر يخشى منهما أن تتأثرا باخرة

ثم استدعى أعيان الخرطوم وضباط الحامية والموظفين والنزلاء الأوروبيين إلى مجلس عام وشاورهم في أنه يريد عمل طريقة لخلاصهم من قبضة المهدي وأنه خابر الحكومتين المصرية والانكليزية وأنهما إذا لم تصفيا لندائه فلا بد من مخافة جلالته السلطان عبد الحميد خان باسم سكان السودان عموما وسكان الخرطوم خصوصا يسأله احتلال سواحل البحر الاحمر سواكن ومصوع بجنود شاهانية وارسال مائة الف جنسدي من الجيش العثماني لاختاد الثورة وتسكين حركة العصيان وتكون بعدئذ اقاليم السودان خاضعة لسيادة جلالته مباشرة بدون واسطة الخديوية المصرية وان حكومة السودان تقوم بنفقات هذه الجنود بعد زوال الفتن واعادة المياه لمجاريها فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووقع اربعة آلاف رجل من أعيان الخرطوم عدا الضباط والموظفين والمساكين علي عريضة استرحام بهذا المعنى ترفع الى مقام مولانا السلطان عبد الحميد خان ووقع عليها ايضا كل مكلف من سكان الخرطوم وسلمت العريضة الى الكولونيل ستيوارت واكد عليه غردون بضرورة ارسالها الى جلالته السلطان على لسان البرق لدي وصوله الي دنقلة

وعين المسترياور قنصل انكلترا في الخرطوم لمرافقة الكولونيل ستيوارت والموسيو هربن قنصل فرانسافى الخرطوم واوصي الاثنين بمساعدة الكولونيل ستيوارت واكد على الموسيو هربن بهذا المساعدة لدى حكومة فرنسا حتى لا يقف حملة القرائيس المصرية من الفرنسيين حجرة عثرة في طريق أي مشروع يعود بفائدة انقاذ الخرطوم من الوقوع تحت جبروت المهدي

نعم ان غردون كان لا يجهل ان انكلترا لا ترضى احتلال الجنود العثمانية لسواحل البحر الاحمر كما انها لا ترضى بادخال جيش تركي في السودان

الديار المصرية وفي الفصل الثالث ذكر الحوادث العربية والثناء على أولئك الثوار . والفصل الرابع في دعوة أهالي القطرين المصري والسوداني لاتباع المهدي وانه هو المنتظر

وأما الفصل الخامس فقد خصصه لذكر المهدي وقال انه يؤجل الكلام فيه الى ما بعد اجتماعه بصاحبه فيكتب فيه الشيخ الحسين زهرا كلاما طويلا يرمي به الى ما جاء في الاحاديث عن ظهور المهدي ويرد على الذين تذرعوا بما ورد من الاختلاف الى تكذيبه



### بعثة السكولونيل ستيوارت وقتله

لما أبدت حملة محمد علي باشا ونفى الي غردون تقدم عبد الرحمن النجمي الي الخرطوم وان المهدي زحف عليها بخيله ورجله يقن ان . صيره الي المملكة ولا نجاة له بغير وصول النجدة اليه من مصر

ولما كان غردون لا يجمل ان مصر لا تستطيع مساعدته الا اذا شاءت حكومة جلالة المملكة فيكتوريا وقد قلنا ان غردون حاول عبثا تحويله عن الخطه التي وطدت العزم على انفاذها وهي ترك السودان للفوضى والقاء حبله علي غاربه بعث السكولونيل ستيوارت وزوده بكتب الي رؤساء حكومة الجناح الحديوي وحكومة جلالة المملكة وكل هذه الكتب لا تخرج عن التماس المعونة وطلب النجدة مع وصف حالة سكان الخرطوم وما يتوقعه لهم من المصيبة اذا وقعوا تحت مخالب المهدي

وأحصى المصريين الذين يسكنون الخرطوم فيبلغ عددهم مائتي الف نسمة وارسل قائمة الاحصاء مع السكولونيل ستيورات



ويضبطا أوراقه فتوجهها وضبطا الأوراق ووجدا النصيحة المذكورة مكتوبة بخط يده ووجدا غيرها كثيراً من القصائد التي ألفها في مدح المهدي وتصديق دعوته والحض على رفع لواء العصيان على الحكومة وحملت الأوراق كلها إلى غردون الذي أمر بربح أحمد العوام في السجن وأبقى الأوراق عنده وأحيل على الحامية فيحكم عليه بالاعدام فاستبدل غردون هذا الحكم بأخراجه إلى الدراويش فعارض المجلس في ذلك قائلاً إن لحاقه بالمهدي لا بد أن يكون ذا عاقبة سيئة حيث يوقفه على حلة المدينة وينبئه إلى ماهو في غفلة عنه فقبل ما أشار به المجلس وأمر بصلب أحمد العوام فراجعت في أمره والنسب أن يكون انفاذاً لحكم ليلاً في منزله فقبل التماسي وأعدم أحمد العوام في منزله ليلاً وبعد سقوط الخراطوم وقت النصيحة والقصائد في قبضة المهدي فسر بها وأمر بطبعها فطبعت وأظهر الأسف على قتله وقال إنه أشد إيماناً من مؤمن آل فرعون وتمني أن يكون للعوام ذرية أو ذوو قرابة يصلهم ببعض ما كان يصل به أحمد العوام لو قدر له الاجتماع به

أما النصيحة فمقسمة إلى خمسة فصول ومقدمة. الفصل الأول في ذكر امامة جلالة السلطان عبد الحميد حيث طعن على امامته أشد الطعن وجاء بأدلة أوهى من نسج العنكبوت ونذكر منها نبذة للدلالة على سخافة مؤلفها وفقدانه العقل وهي أنه زعم أن لفظة خان الرادفة لاسماء الخلفاء العثمانيين مأخوذة من الحيانة وذلك أن السلطان سليم خان سرق مخلفات النبي صلى الله عليه وسلم وخان العهد الذي أعطاه لمن كانت عنده بارجاعها له ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على مبلغ علم ذلك الجاهل. وفي الفصل الثاني مطاعن كلها من قبيل تفسيره للفظه خان موجهة إلى ساكن الجنان محمد علي باشا محي

بكر الجاركوك وكان هذا الرجل مسجوناً بعد النفي من الاسكندرية لانه كان من أهلها وذا ضلع كبير في حوادثها المرامية

وكانت المخازن المعدة لحفظ الجبهه خانه خارج المدينة بالقرب من الاستحكامات . ولما بدأ الحصار كانت مقدوفات العدو تصل اليها فأمر غردون بنقلها الى مكان وسط المدينة تصير فيه بعيدة عن كل خطر فلم يوجد في المدينة بناء يقوم بالغرض غير دار الكنيسة الكاثوليكية وكان القسوس قد هجروا الخرطوم الى مصر ولم يبق بها غير الشماس دومينيكو فعرض عليه غردون استئجار دار الكنيسة لحفظ الجبهه خانات فامتنع من الاجابة ورفع الامر الى المسيو هنزل قنصل النمسا في الخرطوم فاحتج على غردون بعدم موافقة ذلك وحصل بينهما مآدئ الى انقطاع العلاقات ونقلت الجبهه خانه الى دار الكنيسة وكان منزل احمد العوام ملاصقاً لها فأشعل النار في الجب خانه بقصد احراقها فدورك الامر واطفئت النار قبل ان تبلغ أمكنة المواد الملتبئة وكنت وقتئذ مباشراً لاطفاء هذا الحريق فخصرت الشبهة في احمد العوام وبعض الجيران والقيت القبض عليهم وأخذت أباشر التحقيق بنفسي فظهرت براءة الجيران فأطلقهم ووجدت الثقب الذي وصلت منه النار الى الجبهه خانات في منزل احمد العوام

وقبل ذلك وصلت اليّ تقارير الجواسيس بان احمد العوام هذا ميال الى المهدي وانه ألف كتاباً سماه « نصيحة الخاص والعام في ذكر المهدي عليه السلام » فرفعت خلاصة التحقيق الى غردون الذي أصدر امره الي فتح الله جهامى احد معاوني الحكمدارية أن يأخذ معه الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية والمدرس بجامع الخرطوم ويفتشا منزل احمد العوام

وظيفة رئيس أركان حرب الحكمدارية فيكثت قائماً بأعباء هاتين الوظيفتين حتى سقطت الخرطوم .

وكنت أعود الى الحكمدارية في الصباح لتلقى تقارير القوادثم ابرحها الى المحافظة في الظهر حيث أتلقى أخبار المدينة ثم أعود الى الحكمدارية في المساء لاصدار الاوامر عن الحركات العسكرية ثم أقضى اكثر ساعات الليل متردداً بين الحكمدارية والمحافظة وقد تمضي علي ثلاثة أو أربعة أيام لأجد في خلالها فرصة اذهب فيها الى منزلي وفي اكثر الليل تطراً أحوال توجب مروري على مواقف الحامية بعد نصف الليل وربما ركبت باخرة للذهاب الى حصن راسخ بك أو حصن أم درمان أو حصن جزيرة (توتي)

وقد فوض الى النظر في أمر توزيع الديون التي تطلب من أعيان المدينة وقبضها منهم وقد اتفق لي مرات عديدة ان أرسل الى منزلي أطلب غذاء وانا بالمحافظة مثلاً ثم يطراً ما يلجئني الى التوجه الى الحكمدارية فاصي بارسال الغذاء الى فيها ثم اضطر لمفارقتها قبل ان يدركني وأنبأها وربما اكون في مثل هذه الحالة في حاجة شديدة الى الغذاء ولا يمكنني تداركه اذ المجاعة ضاربة أطنابها في المدينة

وقد وقع اكثر من مرة ان الخادم يؤخذ منه الغذاء ويختطفه الناس في الطرق قبل أن يهتدي الى المحل الذي أنا فيه

ذكر احمد العوام واحراقه الجبهه خانه وبقية حوادثه

ولما وصل غردون الى الخرطوم وأصدر الاوامر باطلاق المسجونين مهما كانت جرائمهم اطلق احمد العوام بضمانة رجل من سكان الخرطوم يدعى أبا

على نفسه بخطه وختمه وجعل مواعيدها كلها وصول الحملة الانكليزية الى  
الخرطوم وبهذه الطريقة اجتمع لديه من المال ما قام بمرتبات الحامية وخفف  
عنها ما كانت تتدمر منه من هبوط اوراق البون ذلك الهبوط الفاحش

## ذكر مدالية حصار الخرطوم

صنع غردون مدالية في وسطها الهلال والنجمة مكتوب حولها  
هكذا « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وجعلها على ثلاث درجات الاولى ذهبية  
والثانية فضية والثالثة نحاسية  
وكل انسان كان محصورا في الخرطوم يحق له حمل هذه المدالية من النوع  
انثالث بغير أن تكون بيده براءة واما النوعان الاول والثاني فيحتاج حاملهما  
الي براءة من غردون

## وظائف المؤلف بعد الاصابة

لما أصبت في واقعة الحلفاية كنت بوظيفة قومندان الحامية ومكثت  
ثلاثة شهور طريح الفراش ولسكني كنت قائما في خلالها باعباء وظيفتي فكانت  
تقارير القواد تصل الى واصدر لهم الاوامر ليل نهار بدون انقطاع  
ولما من الله عليّ بالشفاء استحسن غردون تعييني في وظيفة رئيس  
أركان حرب الحسكمدارية حيث اكون مشرفا على جميع أعمال قومندان الجنود  
الذي عين بدلي

ولما كثرت دسائس المهدي داخل الخرطوم وخيف وقوع ما لا تحمد  
مغبته اضاف غردون وظيفة محافظ الخرطوم على عهدي مع بقائي في

لا يقبل هدية أبدا من صغير أو كبير وقد رأيت ذلك منه منذ مرافقتي له حتى  
 انه كان اذا نزل بقرية مدة تجوله في السودان لا يقبل من أهل القرى ضيافة  
 ولا شيئا مالا ويدفع ثمنه حتى شربة الماء لمن يناولها له ولو على ضفة النهر  
 ثم انه أمر بتشكيل مجلس لتحقيق جرائم ابراهيم رشدي فثبت ان ما اغتاله  
 ثمنا للوظائف التي باعها يربو على عشرة آلاف جنيهه وانه كان قد زور  
 توقيع المرحوم جعفر مظهر باشا حينما كان حاكما على السودان  
 وظهر من التحقيق أيضا انه كان قد تناول رشوة من الخائنين السعيد  
 حسين الجميعاني وحسن ابراهيم الشلالى اللذين ذكرنا خيانتهم وقتلهم وأن  
 كثيرا من الذين ابتاعوا الوظائف منه كانوا يقصدون من شرائها الوقوف على  
 أسرار الحكومة ليوقفوا المهدي عليها  
 ولدى نهاية التحقيق حكم عليه بالتجريد من كل ألقابه ورتبه والفصل  
 من وظيفته والحرمان من كل وظيفة أميرية وعين بدله قرياقص بك  
 القمص الذي كان وكيلا للمالية ومات ابراهيم رشدي قتيلا الدراويش يوم  
 سقوط الخرطوم

### ذكر ما تداينه غردون من النقود

ذكرنا ان ورق البون هبطت قيمته هبوطا فاحشا فتدثر الجنود من  
 هذا المهبوط فاخذ يطلب من الاعيان نقودا بوجه السلفة فكانوا لا يقدمون  
 له الا قليلا واخيرا قال لهم اني استدين منكم لنفسي لالحكومة وأجعل  
 لكم فوائد على كل ما استدينه منكم فتسابق الناس الى اجابته لانهم كانوا  
 يمتدنون فيه الوفاء فقد واه في يوم واحد عشرة آلاف جنيه حررها كميالات



هذه التزيينات كثير وانما أوردنا بعضها هنا للدلالة على أعمال هذا الكاتب ولم يمس على وصول غردون الى الخرطوم اكثر من ستة شهور حتى أصبح ابراهيم رشدي في خلالها ذا ثروة تعد بعشرات الالوف وبني له داراً زخرفها ووضع فيها من الرياش ما ادعش الناس وأوجب ارتياب غردون في نزاهته ولما وصلت بواخر نصحي باشا الى سنار كان معه فتح الله افندي جهامي السوري أحد معاوني الحكمدارية فسلمه المدير حسن صادق باشا عشرين أردبا من الذرة البيضاء المعروفة باسم (مقد) وهو نوع من الذرة لكنسه أبيض وطعمه قريب من طعم القمح ونحو عشرة قناطير من السمن وثلاثين خروفاً من الضأن ودفع له كتاباً خصوصياً برسم غردون

ولما عادت البواخر الى الخرطوم سلم فتح الله افندي الذرة والسمن والخرافان والكتاب الى ابراهيم رشدي بصفته كاتباً لغردون فقبض الكتاب وقرأ ما فيه حيث علم ان هذه رسالة من مدير سنار هدية لغردون فارسل هذه الاشياء الى منزله ولم يذ كر لغردون شيئاً من أمرها حتى اتصل به ذلك من طبيبه الذي تلقى هذا الخبر من فتح الله افندي جهامي فاستدعى ابراهيم وسأله فانكر انه تناول كتاباً أو شيئاً من فتح الله المذكور فشهد بعض موظفي الحكمدارية بانهم رأوا الكتاب لما دفعه اليه فتح الله وانهم رأوا الاشياء المختلسة وانه أخبرهم بان غردون تنازل له عنها فامر بتفتيش منزله فوجدت فيه الاشياء في أوعيتها وعليها كتابة تفيد انها رسالة برسم غردون وقطعت أوراقه فوجد الكتاب المرسل من مدير سنار بينها فاعتاظ غردون من هذه الحادثة التي برهنت له على خيائته ودناؤه مع كونه موضع ثقته وامين سره وأمر بالاشياء فاضيفت لجانب الميرى لانه كان من عادته أن

## ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب غردون

كان ابراهيم رشدي كاتباً صغيراً في الحكممدارية ثم صار كاتباً لجبلرباشا الالماني الذي كان وكيلاً للحكممدارية وفصل عنها وعين مفتشاً لمنع تجارة الرقيق فقدم القاهرة معه واستقال ججلرباشا من وظيفته وبقي ابراهيم رشدي بالقاهرة حتى قدمها غردون فعينه كاتباً له وسافر معه فاحسن عليه بالرتبة الثانية وأبلغ مرتبه الى ستين جنياً شهرياً مع ان مرتب هذه الوظيفة كان لا يتجاوز عشرين جنياً وتحصل ابراهيم رشدي على ثقة عظيمة عند غردون فاستعمل هذه الثقة فيما يعود عليه بالمنافع الشخصية حيث أخذ يبيع الوظائف بيع السلع حتي حصل على ثروة طائلة من هذا السبيل وليته كان يبيع الوظائف لمن فيهم بعض أهلية أو استحقاق

وكان له والد يبلغ من العمر زهاء ثمانين عاماً كان ضابطاً برتبة ملازم ثان وهو أمي لا يعرف الكتابة والقراءة واسمه محمد أغا القتباني فراه الى رتبة اميرالاي وعينه قومنداناً للطوبجية حالة كونه لا يعرف شيئاً من هذا الفن وغاية أمره انه كان ضابطاً في البيادة برتبة ملازم ثان كمارقي كثيراً من ذوي قرابته الى وظائف سامية وكلهم بعيدون عن الاهلية والاستحقاق بعد السماء من الارض

ومن هاته الترقيات انه رقي عدليه الى وظيفة رئاسة مجلس الاستئناف مع انه لا يعرف كلمة من القانون وكانت صناعته البزازة في الخرطوم ورقى واحداً من أصهاره كانت صناعته تبييض الاواني النحاسية الى رتبة ملازم ثان في الجيش وسماه «خضر جودت» بعد ان كان اسمه خضر النحاس ومثل

غردون وتوقيعه وقالوا ان الذي اضطرهما لارتكاب هذه الجريمة هو الضنك  
 المسبب عن الحصار فغفا عنهما ولم يعاقبهما وأحسن على كل واحد منهما بخمسين  
 قرشاً صرّتا شهرياً يتناوله من الخزينة ومن ثم أمر بطبع أوراق البون في المطبعة  
 الاميرية ولم يجسر أحد بعد ذلك على تقليدها

### ذكر وصول البواخر الى سنار

في أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١ هجرية أرسل غردون الميرالي  
 بجيت بطراق بك ومعه اربع بواخر الى سنار فوصل الى نقطة (جادين) الواقعة  
 شمال مدينة سنار فألقى بها حامية من سنار تلقته بالترحاب وأخبرته ان  
 المدينة باقية للآن وانها تمكنت من قهر العدو عدة مرات وان الأقوات  
 متوفرة فيها ثم سلمته ألف أردب من الذرة حملها على بواخره وعاد بها الى  
 الخرطوم فالتدب غردون اللواء محمد نصحي باشا بالبواخر الاربع ودفع له  
 عشرة آلاف جنيه من ورق البون لتصرف منها مرتبات الحامية بسنار  
 وأرسل الاعلانات بالانعام بالرتب والمدايات على مدير سنار وضباط  
 حاميتها وكبار موظفيها ومن هاته الرتب رتبة اللواء للدرحوم حسن صادق  
 باشا مدير سنار وقومندان حاميتها

وفي أواخر شهر ذي القعدة وصل محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار  
 وقوبل بفرح وابتهاج عظيمين من الحامية والسكان وقفل راجعاً ومعه ألف  
 وخمسمائة أردب من الذرة

وبالرغم عن التشديدات سقطت قيمة أوراق البون حتى صار الصرافون يأخذون المائة قرش بقرش واحد واستمر هذا السقوط الى نهاية الحصار ووقع المدينة في قبضة العدو

ولم يكن هذا السقوط واقفاً عند ورق البون وذلك ان قيمة الجنيه الانكليزي سقطت حتى صار الصرافون لا يقبلونه الا بريالين أغنى اثنين وثلاثين قرشاً مصرياً وتناول هبوط قيمة الجنيه صنف الذهب كله فان الاوقية من الذهب السنارى الذى هو كالذهب البندقي تباع بثمان ريات مجيدية أو أقل وليس لذلك سبب غير ان الذهب فى الخرطوم أكثر من كل أصناف المعاملة وصغار الباعة يأبون التعامل بالمسكوكات الذهبية مثل سائر أهالى السودان ويفضلون الريال المجيدى على أى نوع كان من النقود

وقد كانت أوراق البون فى بداية اصدارها مكتوبة بخط اليد وفى ذات يوم جاء الى صراف الخزانة شماس من القسوس الافريقين كان بيده اوراق من ورق البون يروم توريدها فى الخزانة وأخذ رجعة بها على مالسة مصر وكانت هذه الاوراق مما حصله هذا الشماس من ثمن أثمار بستان لاولئك القسوس واسم هذا الشماس دومينيكو

ولما قلب صراف الخزانة تلك الاوراق ظهر له ان بعضها مزور فأمسكها وساق دومينيكو الى غرفة وكيل المالية الذى تحقق تزوير تلك الاوراق وأسرع ببلاغ غردون الذى تولى استنطاق الشماس بنفسه حيث ظهر له انه لم يكن هو الفاعل ثم حجز الاوراق المزورة عنده وأمر باعطائه بدلها وبث العيون فى المدينة للوقوف على الفاعل فقبض على صابر وأخيه أبى عبد الغنى السلاوي فاعترفا امام غردون بأنهما الفاعلان وضبطت الآلة التى صوراً عليها ختم

آلاف جندي جلهم من رجال الالاي السوداني الاول ومن أقوى الجنود الذين في الخرطوم وأكثرهم دربة ولولم يفقد غردون هذه الجنود لكان في الامكان استخدامها في مواقع كثيرة مثل واقعة الجريف والحلفاية وأبي حراز والغيلفون ولا يخفى ان تلك الوقائع عادت بفائدة طرد العدو أولا وجلب الاقوات ثانيا ولو استمرت هذه القوة تهاجم البلاد في ابان الفيضان وتغنم ما فيها من الاقوات لاجتمع في المدينة شيء كثير منها ولم تقع الحامية والمدينة بين انياب المجاعة التي كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت المهدي على اسقاطها ووقوعها بين مخالبه

### أوراق البون

لما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانة الاميرية خالية من النقود فاصدر غردون أوراق بون من فيسة قرش واحد الي الف قرش وكتب على كل ورقة ما يأتي «هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه ابريل سنة ١٨٨٤» وبلى ذلك ختم غردون وتوقيعه بخط يده

وصرفت مرتبات الحامية والمستخدمين من هذه الاوراق ولكن التجار لم يقبلوا التعامل بهذه الاوراق فرفعوا اثمان الاشياء الى درجة جعلت قيمة المائة قرش كعشرين قرشا فقبض غردون على اثنين منهم وأمر بابعادهما عن الخرطوم خارج الحصون ليلحقا بال دراويش ثم رق لهما وأعادهما الي المدينة بعد ان أكد عليهما بعدم العودة الي مثل هذا الذنب فاعطياه الذمام على الوفاء



فيهم قتلا ونزل محمد علي باشا واركان حربته عن دوابهم وجلسوا علي الارض حتى قتلوا

وكان فعلهم هذا تبعا لعادة متبعة عند أهالي السودان وهي أن لا يفر الانسان سيما اذا كان رئيسا أو مشهورا بالفروسية لئلا يقتل منهزمالان ذلك من اكبر العار عندهم ولولا ذلك لكان في استطاعة محمد علي باشا واركان حربته النجاة بدوابهم

وقد وقعت هذه النازلة وقعا سيئا عند غردون وأسقطت منزلة محمد علي باشا من قلبه لانه كان معجبا بمهارته ولم يكن يظن انه يتبع عادة همجية يضحى فيها حياته وحياته اركان حربته فضلا عما اتاه من الطيش والتهور اللذين ساقاه الى المخاطرة بالزحف علي أم ضبان بدون صدور اذن من غردون الذي كان يؤكد علي كل الحملات التي يبعثها بعدم التوغل في انفلوات والابتعاد عن شاطئ النهر وقد خالف محمد علي باشا هذه القاعدة وساق الحملة الى موقف الموت والهلاك

ونجا من رجال الحملة نحو مائتي جندي فقط والذي ساعدهم علي النجاة نحو ثلاثين فارسا كانوا مع الحملة فامتطى كل اثنين ظهر حصان وامسك بعضهم باذناب الخيل فوصلوا الى البواخر التي أقبلت بهم الى الخرطوم وما انتشر نعي القتلي حتى ضجت المدينة بالبكاء والعويل اذ لم ينج احد من المتطوعة ووقع الخبر موقع الصاعقة علي غردون الذي أيقن بخرج الموقف وان العاقبة ستكون سيئة وخصوصا أن الجواسيس اخبروه بتقدم المهدي علي الخرطوم وان عبد الرحمن النجومي علي وشك الوصول اليها

هذه الواقعة جاءت ضربة قاضية علي الخرطوم اذ فقدت فيها نحو خمسة

وانتدب غردون اللواء محمد علي باشا ومعه خمسة آلاف جندي ونحو  
خمسـة آلاف من أهالي الخرطوم خرجوا متطوعين طمعاً في الكسب وقد  
أذن لهم غردون بمرافقة الحملة لأن ما يكسبونه من الاقوات والماشية يعود  
بفائدة إيجاد القوت في المدينة وسارت الحملة من الخرطوم أوائل شهر ذي  
القعدة سنة ١٣٠١ على خمس بواخر وعشرة صنادل ومراكب شرعية

وعند ما وصلت العيلفون هجمت على العصاة فقابلوها بثباب عظيم ثم  
أحاطت بموقعهم واصلتهم ناراً حامية وقتلت منهم عدداً يربو على الاربعة  
آلاف وفر الشيخ مضوي في نحو مائتين ولحق بام ضبان وانضم الى الشيخ  
العبيد وغنمت الحملة شيئاً كثيراً من الماشية والحبوب ووصلت أخبار الانتصار الى  
غردون فسر بها وملأت الآمال جنبيه واثني على محمد علي باشا وأعجب بمهارته

### واقعة ام ضبان وقتل محمد علي باشا وحملة

لما انتصر محمد علي باشا في واقعة العيلفون ارسل جواسيسه الى ام  
ضبان فمادوا وأخبروه كذبا بان الشيخ العبيد في عدد قليل من الرجال وان  
الذين حوله لا يبلغون الالف ويظهر أن أولئك الجواسيس كان الشيخ  
العبيد استمالهم ولقنهم هذه الاقوال ليجر الحملة الى ام ضبان وهناك يبطش  
بها في وسط الغابات وقد افلح سعيه حيث لم يكد محمد علي باشا يسمع هذا  
الخبر حتى زحف بجملته ومتطوعته على ام ضبان التي تبعد عن العيلفون بنحو  
اربعة أميال في الصحراء

ولما توسطت الحملة الطريق خرج عليها كمينان من وسط الغابات كمين  
من خلفها والثاني من أمامها وداهما على غرة فانتثر نظام الجنود واثخن العدو

## واقعة القطينة وقتل ساتي

القطينة قرية واقعة جنوب الخرطوم على ضفة النيل الأبيض وساتي بك هذا كان نخاساً ثم صار موظفاً أميرياً في بحر الغزال ولما وصل غردون الى الخرطوم عينه قائداً على اربعمائة جندي من الباشبوزق وأصلهم من جنود الخطرية الذين كانوا في بحر الغزال

وفي أواخر شهر شوال سنة ١٣٠١ اتصل بغوردون ان شخصاً اسمه على عبد الله من أهالي القطينة وصهر المهدي جمع جموعاً من بلده ينوي بهم الزحف على الخرطوم فأتدب ساتي بك بجنوده على باخرتين لاكتشاف أولئك المجتمعين

ولما وصلت الباخرتان الى القطينة هجم على عبد الله ومن معه على ساتي بك هجوماً عنيفاً فثبت لهم وهزمهم عدة مرات وما زالوا في كروفر حتى أصيب ساتي بك برصاصة قضت عليه وانهمز جنوده ولحقوا بالباخرتين المتين ألقمتا بهم وعادتا الى الخرطوم

## واقعة العيلفون

العيلفون قرية على ضفة النيل الأزرق تبعد عن الخرطوم بمسافة واحدة ولما انهزم الدراويش من الخلفاية لحقوا بام ضبان قرية الشيخ العبيد وفاوضوه في الامر فكتب منشوراً استصرخ فيه القبائل فاجتمع عليه نحو عشرة آلاف مقاتل وأرسل الشيخ مضوي الى العيلفون لجمع أهاليها وأهالي القرى التي حولها فتألب عليه نحو خمسة آلاف مقاتل عسكر بهم في العيلفون

الاقوات من منازل الاهلين  
ووقعت ابناء هذه الهزيمة موقعاً سيئاً عند المهدي حيث تقدم بنفسه  
الى الخرطوم  
على ان الذي ساعد على هذه الانتصارات هو ارتفاع النيل ومساعدة  
البواخر للجنود ولولا ذلك لم تقدر على هزيمة العدو وطرده من  
الجريف والحلفاية

وبقي الحال على ما هو عليه في المدينة وابتعد الدراويش عن ضفة النهر  
وأوغلوا في القلوات واسترد المدفع الذي غنمه الدراويش في الواقعة التي خان فيها  
السعيد حسين الجميعابي وحسن ابراهيم الشلالى

### واقعة ابي حراز

أبو حراز قرية واقعة في الضفة الشرقية للنيل الازرق وهي تبعد عن  
الخرطوم بمسيرة سبع مراحل وهي التي قتل فيها الشريف أحمد بن طه وقد  
تقدم ذكر قتله

سار اليها محمد على باشا في خمس بوaxterقل أربعة آلاف جندي بعد واقعة  
الحلفاية يدعوا أهلها الى الطاعة والخضوع للحكومة فقرروا من وجهه ولم يحاربوه  
وأباح القرية للجنود فنهبوا ما فيها من الاقوات وشحن من غلالهم نحو الفي  
أردب ونحو ثلاثمائة قنطار من البن الحبشي لان هذه القرية مركز للتجارة  
الحبشية والقوافل الذاهبة الى حدود الحبشة والآية منها تنزل فيها ثم عادت  
الجنود الى الخرطوم بغير ان تصادف كيداً

وكتب المهدي الى ابي قرجة يشجبه ويأمره بالانضمام الى الجيش الذي يقوده  
عبد الرحمن النجومي وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأن هذه المصيبة  
خاتمة المصائب التي يختبر الله بها أصحابه وانها آخر هزيمة تلحقهم حتى  
يفتحوا الخرطوم

## واقعة الخلفاية

( وهزيمة الدراويش فيها )

وفي يوم ٨ شوال سنة ١٨٠١ بعد عودة محمد علي بك من الجريف سار  
بالقوة التي كانت معه الى جهة الخلفاية وكان بها أولاد الشيخ العبيد الذين  
تقدم لنا ذكر حوادثهم وهجم على حصونهم فدافعوا نحو ثلاث ساعات ثم  
انهزموا واستولى الجنود على مواقعهم وحلق المنهزمون بالفلاة

وكان أبو قرجة أرسل الشيخ مضوى بخمسمائة مقاتل لتعزيز حامية  
الدراويش في الخلفاية وذلك قبل هزيمته ببضعة أيام وعاد محمد علي بك الى  
الخرطوم ظافراً بعد أن وضع حراساً على الخلفاية وأمرهم بهدم القرية وحمل  
أخشائها الى المدينة

وأنعم غردون على محمد بك برتبة اللواء الرفيعة وتلقاه بالاكرام حين  
عودته الى المدينة

وكان غردون يظن ان نتيجة الواقعتين الجريف والخلفاية ستكون عودة  
أهالي القرى الى الطاعة على أثر هزيمة الدراويش فغاب ظنه حيث فر الاهلون  
الى الدراويش وتركوا قراهم ومنازلهم ومزارعهم فاستفاد سكان المدينة بعض  
الفائدة حيث كانوا يؤلفون عصابات يخرجون بها ويحتملون الغلال وسائر



## واقعة الجريفة

في صبيحة اليوم الرابع من شهر شوال سنة ١٣٠١ انتدب غردون الميرالاي محمد علي بك حسين ميرالاي لواء السودان الاول ونحو ألف جندي من الباشبوزق وعدة الجميع خمسة آلاف مقاتل وخمس بواخر قد صفحت بالقولاذ لمهاجمة معسكر أبي قرجة فتلقتهم بثبات غريب وما زالوا في كروفر حتى جاء الليل ولم تسفر الحرب عن نتيجة وثابر القائد على خطته وأحاط بطوابي الدراويش وضايقها من جهة البحر وهاجمها من البرمدة يومين وفي اليوم الثالث تمكن محمد علي بك من الاحاطة بطوابي العدو حيث استولى عليها بعد الظهر وفر أبو قرجة ومعه أربع مائة نفر من خواصه وقتل من الدراويش نحو عشرة آلاف مقاتل وغنم الجنود مافي معسكرهم من المؤن والذخائر واحتملوا شيئاً كثيراً من الاقوات التي ساعدت سكان المدينة وخفضت ثمن الاقوات فيها وعثر الجنود في منازل الامراء على كميات كبيرة من المسكرات كانوا يخفونها في منازلهم ويعاقرونها سراً ولحق أبو قرجة بالفلاة وأرسل يهلم المهدي بما أصابه من الفشل فوافاه الكتاب وقد غادر الرهد قاصداً « شاة » القرية من النيل الابيض فاستاء من هذا النبأ

وروى سلاطين باشا ان عبد الله التعايشي استدعاه وقال له ان غردون رجل فاهية وذو حيل وانه هجم على أبي قرجة وهزمه من الجريفة وان المهدي ينوي ارسال عبدالرحمن النجومي لانه الرجل الذي يمكنه قهر غردون فقال له سلاطين عسى أن لا تكون خسائر أبي قرجة عظيمة فقال لا حرب بغير خسارة

يوما وقام بتجربتها غردون والمستر ياور قنصل انكلترا في الخرطوم  
وعاد أبو قرجة الى معسكره في الجريف وأخذ يوالي اطلاق النار علي  
الاستحكام دون ان يجسر علي الدنو منه وكان مع أبي قرجة نحو مائة نفر من  
أقاربه الدناقلة وكانوا نخاسين في جهات خط الاستواء ولهم مهارة في اتقان  
رماية الرصاص مثل اكثر النخاسين حتى انهم يقفون في ظلام الليل على بعد  
مرمى الرصاص وينادون باسماء دنائلة نخاسين بقوا علي ولاء الحكومة  
هم وقائدهم ساتي بك الدنقلوى الذي كان نخاسا أيضا فاذا أجابهم المنادي  
قذفوه بالرصاص فيصيبه وأخيرا أصدر غردون امرا بمنع به كل كلام بين  
رماة أبي قرجة وساتي بك

ومكث أبو قرجة محاصرا الخرطوم من شهر رجب الى اليوم السابع  
من شهر شوال حتى هزمه محمد علي باشا وسنعود الى ذكر ذلك

### ذكر تفشي الجدري بين الدراويش

كان غردون أمر بوضع مادة الجدري في جوف الكلال فاذا قذفت من  
المدافع وقعت في وسط الدراويش بغير أن تتفجر فيأخذونها ويجدون الماء في  
جوفها فيقولون انها من كرامات المهدي ويتهربون بالمادة الجدرية ويمسحون  
بها وجوههم فقشا فيهم الجدري وقد عدد الوفيات به كل يوم بخمسين نسمة  
ولم يفتنوا الشيء ما واتصلت الاخبار بالمهدي فبنى عليها مبنى وزعم ان النبي صلى  
الله عليه وسلم أخبره بأن الكلال تحول ماء كرامة له وكثير من البسطاء يعمدون  
ان هذه المكيدة كرامة ثابتة للمهدي

يتسري بهن \* وروى عن الضحاك ولا أن تبدل بهن من أزواج يني ولا  
أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتتكح  
غيرهن فحرم عليه طلاق اللواتي كن عنده وحرمن علي غيره حين اخترنه  
فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وغير ذلك من نحو هذا \* أقول وبعد هذا  
قد حصلت لي في هذا المعنى اسرار كثيرة يطول ذكرها والحمد لله على خاصيتنا  
برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنايته بنا ودعائه لنا قديما وحديثا فان شرف  
التابع من شرف المتبوع والسلام اه

### زحف ابي قرجة علي الخرطوم

لما سقطت فداي في يد أبي قرجة وأرسل صالح بك الملك أسيراً الي  
المهدي كتب المهدي الي أبي قرجة يأمره بالتقدم الي الخرطوم من جهة الجريف  
وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ وصل أبو قرجة بجيش جرار الي  
قرية الجريف التي تبعد عن الخرطوم مسافة أربعة أميال علي ضفة النيل  
الازرق وعسكر هناك وشاد اثني عشرة طابية حيال استحكام الخرطوم وانضم  
اليه دعاة المهدي الذين كانوا حول الخرطوم وفي مقدمتهم الشيخ مضمون  
عبد الرحمن وفي ثاني يوم وصوله الي الجريف جمع مقاتلته وهجم بهم علي  
الاستحكام فسكت الجنود ولم يرموه بالنيران حتى اذا صار علي قرب الف  
ومائتي متر من الاستحكام انفجرت فيهم الالغام التي كانت مدفونة في الارض  
واطلق الجنود النيران علي العدو فتقهقر أبو قرجة وبلغت خسارته أربعة آلاف  
قتيل عدا المجروحين

وكانت هذه الالغام قد وضعت قبل زحف أبي قرجة بنحو عشرين

ذلك في كيفية بعض النساء بشارتها نسيتهن مع تسمية الولد والبنت اللذين يجعلهما  
 الله تعالى منها فسمعهن بشارتهن بباطننا وكل ذلك بحول الله وفضله لا يشغف  
 في النساء ولا أبري نفسي الا أن يزكيني ربي وعلم حالي عند ربي ، واعلم ان  
 ظن المؤمنين بى حسن ولكن لحوف دخول الشيطان على من ضعف قلبه  
 مع العلم ان خلافتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا خلافة الخلفاء السابقين  
 سائبين بعض النصوص المذكورة في بعض التفاسير في قوله تعالى «لا تحل لك  
 النساء من بعد» لينحل قلب بعض الاخوان الذين تقع في قلوبهم عداوة  
 الشيطان بسبب النساء اللاتي أرادهن لى ربي سبحانه وانما الشيطان يجري  
 من ابن آدم مجرى الدم فاذا فقد العبد كثرة أوار المحبة واليقين بالحقيقة التي  
 نحن عليها أخاف أن يضره الشيطان. قال عكرمة والنضحاك «لا تحل لك النساء  
 من بعد» أي الا اللاتي أحلنا لك وهي قوله «انا أحلنا لك أزواجك اللاتي  
 آتيت أجورهن» الآية ثم قال «لا تحل لك النساء من بعد» أي الا اللاتي أحلنا  
 لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله  
 تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال  
 تعالى «يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك» الآية ثم قال لا تحل لك النساء من  
 بعد وبين بعضهم في هذا المقام انه صلى الله عليه وسلم تجوز له ثلاثمائة امرأة  
 وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات «ولا  
 أن تبدل بهن من أزواج» يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود  
 والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية «ولو أعجبك  
 حسنهن الا ما ملكت يمينك» أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن

فلم يرتضوا حتي ورد الخبر بمنع ذلك بالخصوصية التي يأتي ذكرها ولا زالوا  
يتضررون فقلت لا سبيل الى ذلك الا بشيء يأتي لنا من الله ورسوله صلى  
الله عليه وسلم مع وقوع بعض حضرات نبوية في حسبتها من نسائي ووقوفها  
معهن في التصفية وبعض حضرات حصل فيها الامر برجوعها من كثير من  
راوي صالحة في حسبتها من نسائي وبكل ذلك كنت أجد في نفسى الحرج  
من الرجوع لها مع تمام حسبة الطلاق حتي ورد لي الوارد فيها مع ذلك الوارد  
المتقدم ذكره وهو قوله تعالى «لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما»  
الآية فلا أدري الا وقد انفرج ما بي من ذلك الخوف وانشرح لها صدري  
بغير ما أعده والامر لله والله تعالى في كل وقت شأن وقد جاء الاخبار من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي ملك الالهام من الله يسدني وعينه  
فن هذا الخبر النبوي علمت ان الذي يلهمني الله به بواسطة ملك الالهام لو  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا لفعله وقد ورد لي مرارا الخصوصية  
التي كانت له صلى الله عليه وسلم في نسائه مع التوصية منه صلى الله عليه وسلم  
ان تنزل نسائي كمنزلة نسائه صلى الله عليه وسلم ولما أهديت الي النساء مع  
الوارد لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن أخذني خجل من ربي  
سبحانه في أمرهن وأنا في ذلك بخاءني سلام سمعته بجميع جسدي من غير  
حرف ولا صوت ولا سر ولا جهر ولا بعد ولا قرب ولا أقدر على تكيف  
شيء منه فداني على أسرار كثيرة والله المثل الاعلى وتعالى الله عن كل ما يخطر  
ببال وأمر ذلك مفوض الى الله تعالى ولكن حصل لي مع ذلك الالهام الذي  
يحصل لي فانشرح لي به الصدر وانحل قلبي مما كنت مهتما به وحصلت لي  
اسرار كثيرة يغمض فهمها وقد حصل لي مثل واقعة هذا السلام شيء يشبه



وهذا هو نص المذخور الآنف الذكر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .  
وبعد فيقول العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله انه قد كثر الضرر  
والتشكي الي وطاب الغوث من الانصار الحاصل منهم الطلاق قبل زمن  
المهدية ولا يخلو ذلك من الضيق والخرج منهم ومن نسائهم وقد تابوا والى  
الله أنابوا وللآفة والاجتماع في دين الله طلبوا ومراراً أعرض عن ذلك  
وأقول أليسوا كانوا مؤمنين وأفقي للبعض ان عدم الحسبة في الطلاق لاهل  
القيم والنساء اللاتي لم يكن مؤمنات لانهن لاعصم لهن فلا يكن لهن حسبة  
طلاق حتى كثر الضرر في ذلك والتردد فاهتممت بذلك وتضرعت وابتليت  
الي الله في ذلك ليحصل لي فرقان من كتاب الله تعالى لانه سبحانه قد وعد  
بالفرقان والمخرج للمتقين وفوضت الامر الى الله وتركته حتى ورد على وارد  
في آخر ورد الراتب وقد كان هذا الامر خارجاً من بالي فوردت لي هذه  
الآية وهي قوله تعالى « وما جعل عليكم في الدين من حرج » مع الإلهام انها  
المخرج من ذلك الضرر الحاصل في الطلاق قبل المهدية وان الطلاق قبل  
المهدية لا يحسب لمن تمت الثلاث ولو بعد المهدية وسبق طلاق قبل المهدية  
وبعد المهدية لا تكون الفتاوى التي كان العلماء يفتون بها في مطلقة الثلاثة  
وقد وقع في قلبي حينئذ أعني في وقت ذلك الوارد لنا من قوله صلى الله عليه  
وسلم اننا لما نخرج من «أبا» الى الغرب فالتناس يدخلون في دين الإسلام جديداً  
علي أو كما قال وقد وقع لبعض نسائي تمام عدد الطلاق ووقع بعضها قبل  
المهدية وقد تضرروا بأنفسهم بأهليهم وبعض اصحاب وأمرهم بأن يتزوجوا

له ولا رأتهم عينه وقد كذب عليهم ليموه على عقول البسطاء بانه قادر على التغلب عليهم

ولدى عودة الدراويش الى الرهد قابل أسراؤهم المهدي وذكروا له ان الجبل ذك امامهم كما أخبرهم ولكن سبب الهزيمة عدم الوفاق بين القائدين فآثى عليهم وشكرهم وانصرفوا من عنده والناس متعجبون من اكاذيب المهدي وأمرائه معاً

### ذكر رد طائفة الثلاث

لما عسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم الطاعة والخضوع استفتاه كثير من أولئك الوافدين في أمر زوجاتهم اللواتي وقع عليهن الطلاق ثلاثاً قبل ظهور دعوته أو كانت طليقة أو اثنتان منهن قبل دعوته وقد بنى المستفتون فتاويهم على شيء مما قاله في دعاويه التي تقدم لنا إيرادها من اب الزمن الذي تقدم على ظهور دعوته حكمه حكم زمن الجاهلية الذي تقدم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب على هذه الفتاوي بمنشور صرح فيه بجواز وطئ أولئك المطلقات من غير ان ينكحن أزاجاً غير الذين طلقوهن بدعوى انهن كن غير مؤمنات ثم تطرف الى ذكر نساءه فذكر انهن كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض الى تفسير بعض الآيات القرآنية التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفسرها بما يطابق هواه وانه سمع كلاماً من قبل الله عز وجل ليس بصوت ولا حرف وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان ملك الالهام مصاحب له . والحاصل ان ذاك المنشور مملوء بالاكاذيب التي تدل على ما كان عليه المهدي من البدع والضلال

واشتد الخلاف بين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجه وكان  
التعايشي ظهيراً لحمدان لما بينهما من القرابة ولأنه من رايته فالح على المهدي  
فكتب منشوراً إليهما بأن كل المقاتلة من أهالي السودان الغربي يكونون  
تحت امره حمدان أبي عنجه اما الجعليون والداقلية فالامير عليهم عبد الرحمن  
النجومي ويكون كل واحد من الاميرين مستقلاً بنفسه

وكتب المهدي منشوراً الى الاميرين ومن معهما قال فيه ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أخبره في حضرة أن انصاره اذا هاجوا جبل الدير في  
صبيحة يوم الخميس يندك تحت اقدامهم وتتصدع صخورهم ويصير هو ووجه  
الارض سواء

وفي ذلك اليوم صلى الامير ان الصبح بغلس ودقوا طبولهم وهاجموا  
الجبل وبعد قتال عنيف دام الى عصر ذلك اليوم انهزم الدراويش شر هزيمة  
وتركوا في ساحة الحرب اكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين الذين  
يربو عددهم على هذا القدر وعاد كثير من الدراويش وفي أنفسهم شيء  
كثير من المهدي الذي كذب عليهم ووعدهم بذلك الجبل وقد صرح لي خير  
واحد من كبار الدراويش بأنه كان قوى التصديق بدعوى المهدي في السر  
والعلانية ولكن منذ واقعة الدير صار لا يصدق دعواه الا ظاهراً خوفاً  
على نفسه من الوقعة والانتقام

ولما اتصل بالمهدي خبر الهزيمة التي لحقت انصاره كتب اليهم يدعوهم  
الى العودة الى معسكره بالرهـد وقال لهم ضمن كتابه ان رؤساء الجبل  
جاءوه ليلاً وقدموا له الطاعة والخضوع وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره  
بالكف عن مناوأتهم والاحسان اليهم والحقيقة ان رؤساء الجبل لم يخضعوا

ولما رأى ذلك عزم على العودة من غير ان يجنى شيئاً من ثمار انتصاره فاشار عليه واحد من صناعق الباشبوزق اسمه مصطفى أغا بالتربص قليلاً فقبل مشورته وبعد بضعة أيام جاء رؤساء القرى يقدمون طاعتهم فتلقاهم بالاكرام وفرض عليهم مائتي الف قرش ضريبة يؤدونها للحكومة في كل عام فاسرعوا بالاجابة وأدوا هذا المال وقفلوا راجعين بعد ان أقام منهم رؤساء وحكاما يمثلون سلطة الحكومة عليهم ومن ثم صارت أبواب جبل الداير مفتوحة في وجه التجار ويجلب منها العاج وريش النعام والعسل والتمر هندي والتبغ والسمسم ويوجد في هذا الجبل معادن حديد بكثرة والاهالي يجهلون كيفية استخراجها

وبعد ما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس أغار أهل جبل الداير ليلاً على شيكان محل مصرع الحملة واختطفوا كثيراً من البنادق والخرطوش فكتب المهدي الى رؤسائهم يدعوهم للدخول في طاعته ويسألهم ان يردوا ما اختطفوه فقابلوا دعوته بالرفض وعدم الاكتراث فخذ عليهم وصم على مفاجأتهم للانتقام منهم ولما اجتمعت انصاره في الرهد انتدب القاندين عبد الرحمن النجمي صاحب الراية البيضاء وحمدان أبوعنجه قائد الجهادية وأمر الثاني بطاعة الاول فزحفا على جبل الداير في أربعةين الف مقاتل منهم عشرون الفا يقودهم حمدان أبوعنجه وسلاح جلهم من بنادق رامنجتون وعسكر هذا الجيش في سفح الجبل عند قرية اسمها ( سدره ) وأخذ يوالي الهجوم صباحاً ومساءً على الجبل فيقالبه النوبيون بدفاع يضطربهم الى التقهقر بخسائر غير قليلة والمهدي يوالي ارسال المدد في كل يوم حتى بلغ عدد الجيش مائة الف مقاتل

وليس لهذا الجبل الاسميل واحد للصود على قمته اذ يبلغ ارتفاعه نحو الالف متر  
ونقل لنا أحد المصريين انه صعد على قمة جبل قلي الواقع جنوب سنار  
عند منابع النيل الازرق في يوم كثير الغيوم فابصر جبل الداير وجبال تقلي  
كقطع من السحاب خضراء وقال له سكان ذلك الجبل هذا جبل الداير  
وهاي جبال تقلي

وعليه فان جبل الداير ذو منعة طبيعية يستطيع أهله مع بعدهم عن  
المعدات الدفاعية أن يجعلوا الاستيلاء عليه رابع المستحيلات

وفي عام سنة ١٢٨٥ هجرية كان حسن حلمي باشا الجويسر مديراً  
لسكوردفان وقصد اخضاع جبل الداير لسلطة الحكومة فزحف عليه بطاير  
من المشاة النظاميين ونحو أربع مائة من جنود الباشبورق الغير نظاميين وأخذ  
لنفسه الحذر حتى لا يشعر النوبيون بقدومه اليهم ثم تمكن من الصعود على  
قمة هذا الجبل على غرة من أهله الذين لو علموا أمر تقدمه عليهم لاستطاعوا  
دفعه بغير كبير مشقة

ولما استقر الجنود في قمة الجبل قابلهم السكان بجيش جرار وأصلوهم  
حرباً كانت نتيجة انتصار المصريين وتقهر النوبيين بخسارة بضعة آلاف  
من مقاتليهم ثم ان القائد لما أمن النظر في قمة الجبل هاله ما فيها من الغابات  
الكثيفة وكثرة الوحوش الضارية وأخصها النمر التي تضطر السكان الى ان  
يعتصموا داخل اكواخهم وزرائهم قبل غروب الشمس بساعتين ويقضون  
ليلهم في كروفر مع النمر التي تهاجم منازلهم وزرائب ما شيتهم هجوماً عنيفاً  
في كل ليلة



كدينة أهلة بالسكان لكثرة الذين يسرون في الطريق بينهما  
واستخلف المهدي على الأبيض عمه محمود بن عبد القادر وهو من  
أكبر أنصاره الذين شادوا أركان دعوة المهدي معه وسنعود إلى ذكر بقية أخباره  
وثورة جنوده عليه وقتله

وعسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم  
الطاعة له فكان يقابلهم بالأكرام ويحثهم على العودة إلى بلادهم للجهاد وأقام  
المهدي في الرهد وأرسل جيوشه كلها للغارة على جبل الداير الذي لا يبعد عن  
الرهد إلا مسيرة مرحلة واحدة

### ذكر حرب المهدي مع أهل جبل الداير

جبل الداير واقع في الجنوب الشرقي من الأبيض عاصمة كردفان  
وسكانه من العبيد النوبيين وهو جبل يبلغ طوله ثلاثين ميلاً وعرضه  
ينقص قليلاً عن هذا القدر وحجره من الصوان بعكس قته فانها  
أرض زراعية من أجود أراضي كردفان ينبت فيها الزرع وينبع فيها  
الماء وفي تلك القمة أكثر من مائة قرية يسكن كل واحدة منها ما بين  
عشرة آلاف نسمة يزرعون ويرعون الماشية في نباتها الكثير وعندما  
النحل بكثرة حتى أن قيمة العسل كالماء ومن أكثر محصولات ذلك الجبل  
نوع ( التبغ ) المسمى ( كدراوي ) وهو شديد التخدير لمن يدخنه أو يلوكه  
في فمه على الطريقة المعروفة باسم ( مدغه ) وهؤلاء السكان لا دين لهم مثل  
سائر عبيد أفريقية والوانهم شديدة السواد وأجسامهم عارية من الملابس  
الأمازغ صغيرة يسترون بها عورتهم

انهم يرون لاثبات المهدي ضرورة قيام صاحبها بها في الاماكن المقدسة ونحن  
قد وعدناهم بصيرورة ذلك لاحالة وعليه فان انصراف وجهتنا عن الخرطوم  
يفتح باباً لمثل هذه الشكوك التي ربما كانت سيئة المغبة فوافق المهدي علي  
هذا الرأي تبعاً لاميل اقاربه الذين هم من دنقلة ويكرهون الاعتماد عن  
أوطانهم والتطوح في السودان الغربي ومن جهة أخرى ان أهالي السودان  
الاطوسط اذا علموا بنيته على الزحف الى السودان الغربي رغبوا عنه ووالوا  
الحكومة. والحاصل انه عقد النية ووطد العزم على الزحف الى الخرطوم  
وأخذ يحث الناس على الهجرة ومغادرة ديارهم مقبحا لهم منافع الدنيا وجاء  
باشياء كثيرة من المواعظ في ذم اقتناء البقر والابل وغيرها من الماشية وان  
الله متكفل بارزاق العباد فلا يليق بالعبد ان يركن الى الزرع ويهتم بامر  
المعيشة فصادت مواعظه آذاناً صاغية من أهالي كوردفان فكانوا يحرقون  
منازلهم ويبيعون ماشيتهم أو يذبحونها ويلحقون بالمهدي في الأبيض حتى  
اجتمع حوله زهاء ثمانمائة الف مقاتل ضاقت بهم الأبيض وقيل الماء وارتفعت  
أثمانه حتى بلغ ثمن جرة الماء عشرة قروش صاغ لان الآبار قليلة في الأبيض  
ويبلغ عمقها مائتي متر ولا يتيسر حفر بئر في أقل من سنتين لان الارض  
محشوة بصخور صلبة من الصوان

وفي أوائل شهر جمادي الآخرة خطب في الناس وقال لهم ان المسيح  
الذجال سيأتي الأبيض بعد شخوصي منها وان كل من تخلف عني وقع في  
فتنته وصار من أتباعه ثم غادر الأبيض الى جهة (غدير الرهد) الواقع في  
الجنوب الشرقي من الأبيض على مسيرة مرحلتين ونزل بالرهد وانشأ كواخا  
من البوص لسكناء وتابع الناس مسيرهم خلفه فصار ما بين الأبيض والرهد

فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى محبنا صالح الملك وقاه  
الله كل سوء ومهلك وجعله ممن للخيرات تملك آمين أيها الحبيب لا يخفي ان  
هذه الدار منقضية وقد خلقها الله للتزود لدار القرار والسعي فيما يقرب الى  
الخالق المختار واعلم ان حبسك هذا ليس لمواخذة وانما هو شفقة بك وتقديم  
الي خيرك الدائم وتغيير وتبديد لك من سوء مالايم واني أعرف بحالك  
وبصلاحك منك وليس عندي قصد نفسانيات كما لا يخفي على جميع المؤمنين  
والمؤمنات وستنظر خير ذلك وكما لوحت بخلق النبي صلى الله عليه وسلم من  
صفحه ورحمته فبفضل الله تعالى قد خلقني الله بذلك رحمة منه لا بحولي ولا  
بقوتي ولكن بتسليمك لنا وحسن الظن بنا تجد عظيم المنى فحسن ظنك في  
الله وفيما فبحسن البداية تجد كمال النهاية والسلام

### ذكر زحف المهدي من الابيض الى غدير الرهد

لما علم المهدي ان دعوته قد انتشرت في أكثر أنحاء السودان وأن نفوذ  
الحكومة قد تقلص ولم يبق في السودان غير الخرطوم وسنار وكسلة وكلها  
محصورة بجنوده جمع اليه أهل مشورته وكان من رأى عبد الله التعايشي أن  
لا يغادر المهدي الابيض عاصمة كوردفان وأن يبعث بالجيوش لاختضاع  
الخرطوم وسنار وكسلة وحمل أموالها وذخيرتها ليشهد ساعده ويتقدم الي  
دارفور ومنها الى ممالك السودان ليؤسس بها مملكة تكون بعيدة عن  
احتمال غارة المصريين عليها فعارضه أحد الخلفاء فقال انا لا نقف عند الخرطوم  
بل لا بد لنا من التقدم الي مصر ومنها الى الشام فالحرمين الشريفين وان  
تقدمنا الى جهة الغرب يدعو كثيراً من الناس للشك في أمر المهدي حيث

وتصفية ايمانهم ولكن أقول صدق الله في قوله حيث قال «ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» الآية فلو كان ايمانك على تمكين ويقين لعددت ما يحصل لك من البلاء رحمة من الله بك ايمانا بما عند الله وبحسن قضاء الله وجلب ذلك خير ما عند الله فلو تقطعت بذلك اربا اربا لما خادعت الفردون حيث ان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول «ما بلى أحد مثل ما ابتليت» وكل ما بليت بالاجوع والاثقال والعري والحفوف لعرفت ان ذلك قليل في جنب الذي تطلبه عند الله ولقلت نعم ما هو الفوز عند الله اذ يقول الله تعالى «استمعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين» الي قوله «وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» فأعرضت عن الله ولم تصدق بكلام الله وقد قال الله تعالى «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» ومع شؤم الحالة واستحقاقك فيها القتل قد أردنا تصفيتك وتكفير خطاياك بالسجن والحبس والغل لتكون مع المكرمين الصادقين في طلب ما عند الله من المزايا العظيمة الدائمة رحمة بك فلما نلت ذلك كنت تحمد الله على قدر ما يزيد عليك التأديب اذ في كثرة انبلايا المزايا كما ورد ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها الذي تتأسف على فراقه فاذا أتاك جوابي ففوض أمرك لله وترقب حسن ما عند الله وأعرض عن الدنيا وما فيها

لتنال الرضا الكامل والسلام ١٤ محرم سنة ١٣٠٢

وهذه صورة كتاب آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

وهذه صورة كتاب من كتبه له

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فمن العبد المفقّر الى مولاه المهدي بن عبد الله الى صالح الملك وقاه الله كل  
 كفر وشك وجعله من أهل الخير الذين يخشون الله الملك لا يخفّك أن الله  
 قادر وبه كل شيء وقد جعل الدنيا دار ابتلاء ليميز المصدقون بدار الجزاء  
 من زائل لباقي العارفون بقدرة الله على كل شيء المتحققون انه لا يجري في  
 الكون شيء الا بإرادته وما فعل فعلا الا كان على حكمة بالغة فمن أعرض  
 عنه جهلا به عاقبه عقوبة شديدة لقيام البراهين على السنة الرسل والآولياء  
 الدالين على الله وعلى ما عنده ومن أعرض على معرفة كانت الحجة عليه آكد  
 وعذابه أشد وأشد وانك قد عرفت في الجواب الذي أرسلته الى الفردون  
 أولا أن القدرة كلها لله ولا يغالب دين الله أحد الاغلبه وان الله برحمته قد  
 أثبتك من الوقوع في الورطة وذلك على مهديه بالخروج من الظلمات الى النور  
 ومع ذلك كله لواقع حقيقة جعلت ذلك ظاهراً فقط وان باطنك منطوي على  
 غير ذلك مخاطبا به الفردون في الجواب الثاني وما أعرضت وتوليت بذلك  
 عن الله والدار الآخرة الا لحبك الحياة الدنيا وصارت مبلغ علمك ولو كان  
 إيمانك بالله وبما عند الله صادقا لما نافقت بطلب خسيس الدنيا من الجامع والمال  
 ولما باطنك به الفردون ولما كنت تنصرف عن الله وعن مهديه بسبب جوع  
 أو حطة كما انك تعرف ان المصدقين بما عند الله قد صبروا على ما هو أشد  
 مما حصل عليك اضعافا وقد ذهبت في الله أموالهم وفارقوا ديارهم وترزلت  
 أولادهم وأحبابهم راضين بذلك عارفين ان المبلى بذلك ربهم لتعظيم ثوابهم



في حاجة شديدة الى المدد وأن ذخيره أوشكت أن تنفذ فكتب اليه غردون  
يعده بالنظر في أمر ايصال النجدة اليه وكان ايصال المدد متعذراً لعدة وجوه  
منها عدم وجود جنود في الخرطوم تستطيع المخاطرة والتقدم براً من الخرطوم  
الي فداي

وقد كان من الممكن ايصال النجدة بحراً لو كان النيل مرتفعاً لان البواخر  
لا تستطيع السفر من الخرطوم وفتئذ أكثر من ثلاثة أميال  
وفي أوائل شهر جمادي الاخرة سنة ١٣٠١ فقد صالح بك كل أمل  
بوصول المدد اليه كما فقد كل ذخيره فاسلم نفسه الي ابي قرجة الذي ارسله  
اسيراً للمهدي

وبسقوط فداي أخذ أبو قرجة وابن البصير يستعدان للزحف على  
الخرطوم وحصارها من جهة الخندق

ولما وصل صالح بك الي المهدي قابله بشيء من الاكرام وأخذ يحثه  
على الطاعة والانقياد لاوامره ثم قبض عليه وسجنه مع سلاطين باشا ولبتن  
فكتب اليه عدة كتب يسأله الصفح عن زلته فكان يجاوبه بان السجن خير  
له من الاطلاق لان فيه تنظيف سريره من النفاق والميل الي الكفر  
وبقي مدة في الاسر حتى توفي أواخر سنة ١٣٠٦ من الهجرة

ونذكر هنا بعض ما كتبه له المهدي نقلاً عن كتاب المنشورات لما فيها  
من الفائدة والدلالة على ان صالح بك كتب الي غردون يعلمه بكثير مما دبره  
المهدي فوقت الكتب بأيدي جواسيس المهدي وقضي صالح بك مدة في  
عذاب السجن والاشغال الشاقة وحفر يده بئراً يزيد عمقها عن مائتي متر  
وكان غردون قد أنعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا

وقد ذكرنا فيما مضى انه دخل سنار مع مائة وخمسين جنديا بعد غارة عامر  
ابن المسكاشفي عليها

ولما وصل غوردون الى الخرطوم أرسل الى سنار يستقدم صالح بك  
الملك الى الخرطوم فغادر سنار براً ومعه صنجقان يقود كل واحد منهما  
مائتي جندي

وبعد مسيرة يوم وليلة من سنار رأي في طريقه ان البلاد كلها دخلت  
في دعوة المهدي فاستشار قواده فأشاروا عليه بالعودة الى سنار فلم يرق له  
ذلك حيث علم ان الاعداء يطعمون فيه ويتأثرونه فتابع سيره الى الخرطوم  
وما كاد يصل الى جهة «فداسي» وهي قرية على ضفة النهر حذاء المسلمية حتي  
قام الجمليون الذين يسكنون المسلمية واستصرخوا عليه سكان القرى القريبة  
من المسلمية فاجتمع عدد يربو على الخمسة آلاف وهاجموه وكان قد أخذ  
أهبطه وتحصن داخل زريبة من الشوك فاقتحم الدراويش الزريبة ووقف  
هو وعساكره وقنفة الابطال فقتلوا أربعة آلاف مقاتل ورجع الباقون  
بالهزيمة والفشل واتصل الخبر بابن البصير فتقدم الي فداسي في جمع كشيء  
للحرب فتقهقر بخسارة ثلاثة آلاف قتيل ولسكنه بقي محاصراً للجنود حتي قدم  
أبو قرجة ووقعت بينه وبين صالح بك واقعة خسر فيها أبو قرجة أكثر من  
ثلاثة آلاف مقاتل ثم أرسل أبو قرجة الى الشيخ العبيد يستقدمه فقدم على  
باخرة من بواخر الحكومة وقعت في يد الدراويش وأرسل أبو قرجة الشيخ  
العبيد الى صالح بك فاجتمع به وقال له ان الخرطوم قد سقطت في قبضتنا  
وحلف له على ذلك أيامنا من مظنة

وكان رسل صالح بك قد وصلوا الخرطوم فأبلغوا غوردون ان صالح بك

فاجأته بالواقعة الاولى بين صالح بك الملك والداعية ابن البصير فزحف من القطينة الى فداى ومعه زهاء ستين ألف مقاتل مسلحين ببنادق من طراز رامنجنون ومعهم مدافع وسوارىخ وكان ذلك في منتصف شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠١

ولما وصل أبو قرجة الى الخلاوين وزع عماله على الجهات وعزل عمال ابن البصير فاشتد الحصار بينهما وخيف وقوع الشر بينهما فكتب المهدي الى ابن البصير يأمره بطاعة أبي قرجة فلم يستطع غير تقديم طاعته وانتدب أبو قرجة أخاه نصرا عاملا على المسلمية وعهد اليه مصادرة أموال كثير من الذين يبطنون ولاء الحكومة فتحصل على شيء كثير من هذه الاموال وقبض نصر على الشيخ محمد بن القبة وكان عالما نحريراً لانه قام خطيباً في أهالي المسلمية وسرد عليهم الادلة الشرعية التي تظهر بطلان كل ما نتحله المهدي من الدعاوى الكاذبة

ولما اوقف الشيخ محمد بين يدي نصر سأله عما نسب اليه فأعاده امامه وقال انني لأرهب الموت في الله فأمر به فسيق الى السوق وضربت عنقه ويروى عن بعض الحاضرين ان أبا قرجة كان يكره قتله لانه كان يعتقد فيه الصلاح

### ذكر حروب صالح بك الملك في فداى

صالح بك الملك صنيق من الشايقية كان يقود أربعة جندي من الباشبوزق وكان ذا مهارة وعقل راجح شهد أكثر الوقائع مع عبد القادر حلمي باشا فشهد له بالشجاعة والمهارة

ولما اطلع محمد الخير على ما كتبه المهدي استدعي الامراء وتلا عليهم  
الكتب المذكورة فأصروا على الامتناع وأبو الانصياح وامتنع كل واحد  
بمشيرته وخيف وقوع الفتنة وقبض محمد الخير على زعانف منهم وكتب يخبر  
المهدي بما وصلت اليه الحالة فأمره بالتساهل وصرف عزيمته الى تجنيد  
الرجال واعداد الجيوش للغارة على دنقلة والوقوف في وجه الحملة الانكليزية  
وكانت قد بدأت حركاتها في دنقلة

واستقرت قدم محمد الخير في بربر ودانت له البلاد وخص ذوي قرابته  
وتلامذته بكل الوظائف فخلق عليه الجعليون وأضرموا له العداوة وذهب وفد  
منهم الى المهدي يشكو من محمد الخير فعنفهم وأرجعهم خائبين حتى كان من  
أمرهم ما ذكره في أيام التعايشي الذي كان شديد البغض للجعليين ومتربصاً  
بالفرصة للانتقام منهم على هذه الفعلة وسيأتي ذكر ذلك كله في مكانه والله الموفق

### ذكر امارة ابي قرجة علي البحرين من قبل المهدي

ذكرنا ما كان من أمر الداعية ابن البصير وما وشي به على الشيخ العبيد  
ونقول الآن ان المهدي انتدب الحاج محمد أبا قرجة الذي كان متأثراً بحملة  
الجنرال هيوكس وكتب الى الذين دخلوا في دعوته بطاعة أبي قرجة  
وانه أمير على البحرين الابيض والازرق فغادر أبو قرجة الابيض ومعه  
عشرون ألف مقاتل ولما وصل الى شاطيء النيل الابيض أرسل يدعو جميع  
الداقلة أقاربه الذين كانوا مستوطنين في قري عديدة اشهرها قرية القطينة  
على بعد نحو مائة ميل من جنوب الخرطوم

وكان أبو قرجة ينوي الزحف على الخرطوم من القطينة ولكن الاخبار

فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كاللدخان الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى والذضا عافا مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع للنساء الجنة نعمات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كمشين على أرض الجنة فيمشين على وجه الارض ويطرن ويزرن أزواجهن ويقفن معهم في الجهاد ويهللن لهم فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يششهد قعدن معه يمرضنه الى ان يموت أو يبريء من الجرح وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحد الاخوان الحبين انكم قد انزلتم هذا المنزل الكريم وتنعمتم بهذا النعيم العظيم فاين منازلنا ونمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين معه لهم منازل ونعم كمثل هذا فامض ممي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة ونما خيمة فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة فيقول له لا تشفق فان أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه وبعضهم يرى بعض اكابر الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامه مع مقامات أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيئات إن أصحاب المهدي من علو درجاتهم لا تراهم فهم راقون مرقى عظيما وكثيرا يرى انهم يغبطون أصحاب المهدي ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله تعالى وبعضهم يستشفع بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي يجملي من أخس أصحابه فاني راض برتبة أخسهم وأفرح ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما روى في الجنة للاصحاب الصادقين فيها أيها الاحباب فان القدوم الى ما عند الله قريب والسلام»



اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في حكم العدم فيرت بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف فيه جائعا عطشان نحو الاربعين سنة واكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلص بعد نصف ساعة وحم ان لا يطلب في الدنيا مالا ولو قليلا ولا جاها مادام فيها حيا حتي يلاقى الله تعالى. هذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمنا بالبعث وقرب الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعته الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعظيم فوزهم وملكهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهو انها على الله وشؤم ما تعقبه من الحسرة الطويلة فليتجرد لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات وليصير من ابناء الآخرة مادام حيا ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقرضت وهذه الايام آخر ايامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد انهما ضرطان وكل مشرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروى ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا النائم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه اراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره تريد ان تجمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفائهم وصدق انابتهم لما عند الله انهم تنعموا نعماء عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس منها ان بعضهم رؤي في نعيم عظيم وحوور وولدان وفرش واسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي انت فيه من النعم فيقول هذا شيء اكرم الله به عباده المخلصين

لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي يأمر بك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت الخليفة عبد الله لا سمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الامة التي من الغنيمة فقدم اتيانك بها لبيت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي تجردوا فما لك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت المال ولو قرشا واحدا ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يجردوا من الغنائم تحضر لهم تماشيح تمنعهم من لحوق المهدي وأصحابه الصادقين فتفرقهم حتى كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تسماح وأوقعه في المهالك فاستعان بالله وبرسوله وبالمهدي فادركه المهدي فحملة ليخرجه فاخذ به حجر لم يتركه يسلم حتى أقسم انه يعطي ثمن الازار بثلثي ثم ان المذكور قوم الازار بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك فيا أحبائي ان السعيد يتخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة واحد الاخوان عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قبلته خبس من الدخول وصار يصيح ويبكي من شدة الهول حتى خلاص بعد نصف ساعة فدخل الجنة والاهوال ما زالت على الآخرين فيخلصون واحدا بعد واحد على حسب صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد ساعتين وبعضهم بعد ثلاث ساعات الى ان خلاص آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك

رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم وينزل منها آخرون فلا يقدرّون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطلب لما عند الرحمن فاعلمت من تعطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عما عظمهم وثم حصلت أيضا شجرة الصداقة في وقت آخر وطالب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات فوقها فصعدوها الاصحاب الا الذين اكلوا الفنائم فامتلات عليهم صمغا فكما ارادوا ان يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم الصمغ الذي عليها وبعض من الاخوان الذين عندهم شيء ولم يحضر المذكرات حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفا على فوات مذكرتنا للاخوان في كيفية الفنائم والتجرد عنها لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من حضر المذاكرة عزمتم على اخراج ما عندي من الغنيمة وهو أمة وحمارة وقليل من الدراهم قال وبعد عزمي على اخراجها ورفعها لبيت المال أخبره بعض اخوانه بانك كيف تخرج هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن يخدمك ان أخرجتها وأي شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وإن قام الامام للسفر لا بد ان تشتري بالجميع جمالا تسافر عليه مع المهدي للجهاد قال فطاوعت من ذاكرني من الاخوان بذلك وعزمتم على ترك اخراج المذكورات لبيت المال قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة عبد الله يذكره فقال المذكور في نفسه فالتفتي مذاكرة المهدي فليكن الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخليفة عبد الله عند فراقه

المعظمين فان الله يعطى الصالحين الذين هم دونهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن عاين هذا مع الرضى عند رب العباد لا ينظر الى خسيس الدنيا الذى لا يزن جناح بموضوعة فلا يبدلوا نصيبهم هذا العظيم الدائم بما لا يزن جناح بموضوعة ويزول عن قرب ولا يدخلهم العجب وينسبون قيام الله بهذا الشأن الى أنفسهم فتفسد أعمالهم ولا يغتروا بما فتح عليهم من الدنيا فيؤثروه على ما عند الله ويفرحوا لثلايقه من انطوى على ذلك فى وعيد قوله تعالى « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية الخ » والكتاب مطول وكل ما فيه لا يخرج عما تقدم ولا عن مضمون المواعدة الآتية . وتاريخه ٢ صفر سنة ١٣٠٢

وأما المواعدة فنأتى عليها برمتها لزيادة الفائدة . وهى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فانى سأذكر البعض من الواقعات التى وردت فى الغنائم وغيرها باختصار فبعد ان وردت الواردات فى كيفية الغنائم وضررها بالابيض حكيه للاخوان حضرة حصصات فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الى ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتعطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطيقوا الصعود اليها من علاقاتهم فاعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقاته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد للحضرة المذكورة وثم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين وأجلسني عنده فيما روى وعرز بيننا عودا طويلا امس كانه شعبة الحيمة الوسطانية التى تقوم عليها وفى



تعالي على التسليم لي والعزم على اتباع ما ألهمني الله كنت سألتني عن الغنائم  
 وطريق العمل فيها وقد أعلمتك بما هو جار فيها سابقا لامور منها الظن  
 ان ماورد لنا في المديرية الغربية خصوصية حتى سألتني أمين بيت المال عن  
 غنائم بربر فلم تظهر لي الخصوصية عن تكرار سؤاله. وقد ورد لنا من الغيب  
 أن ضرر ذلك كثير ولا بد ان يصلحكم منها شيء. ولما كان الاخوان الذين معك  
 نريد لهم الصفا والسلامة والدخول في عظيم الكرامة والتباعد من عطب  
 دار الملامة أخبرت أمين بيت المال بما وصلكم عنه فانه وان كان منكم من  
 تناول من الغنائم على ما ذكرته لك سابقا فقد تجدد الوارد وأتى من الغيب  
 كبير الضرر في تناول ذلك ونريد الآن ان يقتدي الاخوان بما ورد لنا من  
 سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ما رأينا انه صلاح للمسلمين واصلاح  
 للدين بما ألهمني الله من الالهام الصائب الذي لو كان نبينا محمد صلى الله عليه  
 وسلم حاضرا الآن لفعله وانك حبيبي غير متهم عندنا في الصدقة والامانة  
 معنا ومع الله ورسوله فيما تطلبه عند الله ومتيقن فيك موافقتنا فيما يرد علينا  
 من الامور التي فيها صلاح الدين والمسلمين وليكن معلوما عند الاخوان ان  
 حب الوظائف والاموال والمتاع هو الذي عطل الدين واستقامة المسلمين ولولا  
 الفقراء والمساكين والاغنياء الذين تجردوا عن الدنيا ليقينهم بما عند الله لما تقوم  
 هذا الامر وكامل الذين معكم من الانصار يلزمهم أن يسلكوا هذا المسلك  
 ولا ينسبوا لانفسهم اغاظة الكفرة والنصر عليهم فان النصر من عند الله  
 فان وقفوا مع ادبهم مع الله تعالي ونسبوا الامر اليه وصاروا عبيدا له نالوا  
 عظيم المسكنة التي يصغر في جنبها كل نعمة وملاك يذكر لأن الله تعالى يعطيهم  
 من عظمة المقدار ما لا يخطر على بال ففضلا عن المجاهدين المكرمين والشهداء



وبركاته حبيبي انك حقيق بمعرفة ما عند الله من كريم المكانة وعظمة ماهنا لك  
 مما لا يقاس بشيء وخسة ما في الدنيا وان كثرت ونما ومن المعلوم عندك أيها الحبيب  
 أن الدنيا لا شيء فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة فلذا لم اذا ذكرك في الشأن  
 الذي يحصل فيها ولعلمي بانك امين ولا تدخلك ترهات الخيال الذي فيها  
 وتزين باطلها وان مقصده اقامة الدين ولذلك قد اكثرت التذكير مني  
 للاخوان في التنفير عن الدنيا والترغيب في الله وفيما عند الله وفيما يخلص العبد  
 ويرفعه عند خالقه مع شدة التعريف لحسنة الدنيا ونفاسة الآخرة والتعريف  
 لعظمة الله وكمال قدرته على كل شيء وأن من أراد خيره وقربه عنده نفعه  
 عن الدنيا وأراه قرب زوالها مع قلة قدرها وشؤم ما تعقبه من طول الندامة  
 والوبال ليهون على المؤمن جفاؤها ويزيد الشكر لله في انزوائها واكتساب  
 نعيم الجنة وعلاؤها من اصابة الظمأ والنصب والمخمة في سبيل الله واغظة  
 الكفرة بمواطئ امكنتهم وثغورهم وانالة الجرح والقتل في سبيل الله مما فيه  
 حسن المكانة الدائمة والوظيفة الكبرى التي لها قدر عند الله تعالى كما ذكر الله ذلك  
 والمؤمن انما يرغبه النصيب الدائم الذي وعد الله به المؤمنين الصادقين في ايمانهم  
 بالصبر لما عند الله يقينا بما وعد به وتفويضا له فيما أراد ودل عباده اليه وابناء  
 الدنيا من الكفرة والمنافقين انما ترغبهم الوظائف والأموال الفانية لانهم  
 لا يجدون في قلوبهم الايمان واليقين بما عند الرحمن من حسن المكانة الدائمة  
 ودرجات الجنان وانه يا حبيبي جميع من صحبني وسمع مني وعلم ما أنا عليه صار  
 غرضه ما عند الله وفرغ قلبه من فاني اللذات الى دائم الخيرات ومن نافق  
 ولم يرس على منهجى فقد فوت ما عند الله واظهر الله نفاقه وحارده عن الصحبة  
 ورمي عليه المهالك في الدنيا قبل الآخرة وأنت حبيبي لهمةك بالنجاة عند الله

خلفه من مصر كلها وقعت في أيدي الدراويش

وفي صبيحة اليوم الثامن من بداية حصار بربر اجتمع الدراويش ودخلوا المدينة عنوة بدون ان يصيبهم أقل ضرر وانحنوا الالهالي قتلاً ونهباً وذبحوا اكثر من ثلاثة آلاف من المصريين اما حسين باشا خليفة فقد أحاط بداره حرس محمد الخير ومنعوا وصول أي اذي له بالرغم عن تكوف العصاة حول بيته وعزمهم على الانتقام منه

واشتغل محمد الخير بجمع الغنائم وعذب المصريين غداً باليما ليدلوا على خباياهم ودفائهم وامتنع كثير من قواد الجمليين ان يؤدوا الى بيت المال ولو قليلاً من الاموال التي تحت أيديهم فكتب محمد الخير الى المهدي ينبئه بوقوع بربر في قبضته ويخبره بما كان من أمر الامراء الذين امتنعوا من تسليم ما بأيديهم من الاموال الى بيت المال

ولما وصل كتاب محمد الخير الى المهدي أمر باطلاق المدافع جرياً على عادته وامتلاً غيظاً من أولئك الامراء اذ كان في حاجة عظيمة الى المال فكتب الي محمد الخير يأمره باكرامهم الي تأدية المال له وشفع الكتاب بصورة موعظة في ذم اغتيال الغنائم وهاهو نص الكتاب والموعظة نقلاً عن كتاب المنشورات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى صفيه عامله على بربر وجهاتها محمد الخير بن عبد الله خوجلي وقاه الله كل تعويق وأدام له التوفيق وحققه بحقائق التحقيق وانه اعلى رفيق آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله

هذه حسنة نذكرها هنا لمحمد الخير ونقول ان عمله وان جاء ضربة شديدة على الخرطوم لان سقوط بربر فضى على أمل وصول النجدة الى غردون لكن شره كان أخف من شر المهديين كلهم . وبعض الشر أهون من بعض

وكانت واقعة شندي هذه في أواخر شهر جمادي الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية



### سقوط بربر

لما سقطت شندي تقدم محمد الخير بجموعه الي بربر في أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ هجرية ومعه نحو سبعين الف مقاتل وسلاح جلهم الماعول والمحاريث لان الجمليين فلاحون لا سلاح عندهم وكانت حامية بربر لا تتجاوز الاربعمائة جندي تحرس خندقا يزيد طوله على اربعة أميال وليس لديها من المدافع غير مدفعين من الطراز الجبلي العتيق

ولما اقترب من بربر أرسل انذاراً للحامية والسكان يدعوم فيه الى التسليم فامتنعوا وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ومكث محاصرا لها مدة سبع ليال كانت المخبرات السرية جارية في خلالها بينه وبين حسين باشا خليفة مدير بربر الذي كان يؤمل ان المهدي لا يولي غيره عليها وكان في بربر خمسون الف جنينه أرسلت من مصر لنفقات حامية الخرطوم وأرسلت الباخرة الفاشر لحملها الى الخرطوم فاخذ حسين باشا يماطل ربان الباخرة حتى لا يصل المال الخرطوم ويكون غنيمة عاجلة للمهدي وفد وصل الى بربر شيء كثير من ملابس غردون وأمتعته التي أرسلت

المنتظر فجزوا لحياتي هذه بين يدي الله عز وجل وقولوا هذا أضلنا سواء السبيل  
فصدقه الناس وبأيعوه على طاعة المهدي وحرب الحكومة ولبسوا شعار المهدي  
ورقموا ملابسهم وهرع الناس اليه من كل انحاء البلاد وانضم اليه عدد ليس  
بقليل من الاعراب وتقدموا نحو حامية شندی

### ذكر واقعة شندی

شندی قرية على ضفة النهر الغربية شمال المئمة بميل واحد وهي التي  
ذكرنا قبل خبر قتل الامير اسماعيل بن محمد علي باشا فيها بعد فتح السودان وجل  
سكان هذه القرية مصريون وكانت قاعدة لاجل المراكز  
ولما وصل محمد الخیر المئمة وبأيعه الاهلون على طاعة المهدي كانت في  
شندی حامية تبلغ زهاء الثلاثمائة جندي جاهل من الباشبوزق فباوشها العدو  
مناوشات عديدة ومنع وصول الاقوات اليها وحينما سمعت الحامية بقدوم  
الداعية محمد الخیر عقدت النية على الخروج من معقلها ومتابعة السير شمالا  
للانضمام الى حامية بربر فباغتها بجنوده واثخنها ذبحاً بينما كانت تحاول الخروج  
ومثلوا بالاطفال والنساء تمثيلاً تقشعر من فظاعته الابدان  
ومما يذكر هنا ان محمد الخیر منع أتباعه منعاً باتاً عن مدأيديهم الى نساء  
المصريين بأنواع السبي والهتك الذين كان المهدي يفعلها مع نساء المصريين  
وكتب الى المهدي كتاباً مطولاً قال فيه اني لأأري وجهاً من الوجوه الشرعية  
يسوغ لنا أن نعامل نساء المصريين بالمعاملة التي جرت عليهن فاضطر المهدي  
الى اجابته بان فوض له العمل في هذا الشأن بما يراه موافقاً فمنع كل أتباعه  
من هتك أعراض المصريين ومن فعل ذلك عاقبه عقاباً صارماً

مدير اعلی بربر قبیل عوده غوردون باشهر قليلة ونسب اليه في غضون نزوح  
المصريين الي القاهرة انه كان عاملاً على ما كسبهم وعدم السماح لهم بالوصول الى  
القاهرة وكان صديقاً حميلاً لمحمد الخير داعية المهدي في بربر



ذكر قدوم محمد الخير بدعوة المهدي الي بربر  
في جمادي الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية قدم محمد الخير الي بربر عائداً من  
عند المهدي في الابيض وقد كتب له كتاباً الي سكان مقاطعة بربر ودنقله بانه  
تعين من قبله أميراً عليهم وأمرهم بمبايعته نائباً عنه  
وكان محمد الخير يطلق عليه اسم محمد الضكير فأبدله المهدي باسم محمد الخير  
وكان شخوصه الي المهدي بعد ولاية حسين باشا خليفة علي  
بربر فانه لما قدمها اختلى به وقال له أراك تأخرت عن واجب عليك فاقدم  
علي المهدي وأبلغه خضوعي له ودخولي في دعوته وكان حسين باشا يقصد  
من هذا العمل ان يوليه المهدي علي بربر ودنقله فقبل محمد الخير ما أشار به  
حسين خليفة الذي أعطاه نفقة السفر ودفع اليه كتاباً برسم المهدي فشنخص  
من بربر الي الابيض فقبل من المهدي باكرام عظيم وحفاوة ليس لها مثيل  
وبعد أيام كتب له بالامارة علي بربر ودنقله وأهداه شيئاً كثيراً من  
الجواري والخيول والنوق فقبل راجعاً ولما بلغ أول حدود بربر من جهة  
الجنوب استقبله الاهلون باحتفال عظيم وأرسل السكتب يدعو الناس لاجتماع عام  
في المتمع وهي منتصف الطريق بين بربر والخرطوم فنسلاوا اليه فدعاهم الي البيعة  
للمهدي فظهر كثير الارتياح في صدق دعواه فقام فيهم خطيباً وقال أشهد  
الله وملائكته انه المهدي المنتظر وقبض علي لحيته وقال لهم إنه اذا لم يكن المهدي



رايه وعمل باشارته

وكانت الحكومة تعطى محمد الخير راتباً شهرياً يبلغ خمسة جنيهات

وبضعة ارادب من الذرة

ونقل لنا أحد تلاميذه انه لما تصدر للتدريس كان ذا تحقيق في مذهب  
إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو  
والصرف وعلوم البلاغة فاحتقره تلاميذه وأسمعوه مرات عديدة انتقاداتهم  
على جهله حتى أن أحدهم قال له يوماً يا سيدي الشيخ انك لا تعرف اعراب جاء  
زيد فكيف يليق بنا ان نتكوف حولك في حين أن تكوفنا هذا لطلب العلم وانت  
مفتقر اليه اكثر منا فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه وبعد صلاة العشاء  
دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد وقصدوا الخرطوم  
ومنها الى ضواحي المسامية حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء وقص  
عليه محمد الخير ماجري له مع تلميذه فقال له قد محضك والله النصح ثم  
انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين أدرك  
فيهما ما يدركه غيره في أربعة أضعافهما ثم عاد الى مزاوله دروسه في بربر وبلغت  
الحبة بينه وبين أستاذه الشيخ الحسين درجة لا توازي

### ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر

حسين باشا خليفة مدير بربر سابقاً من قبيلة العبادية التي تسكن ارباض  
اصوان وكان أباه ادلاء الحكومة في طريق السودان المسمى (الطومور) ثم  
ولى على مديرية بربر في عهد ولاية ممتاز باشا على السودان فظهر من أعماله  
ماوجب عزله وسجنه في القاهرة حتى جاءت وزارة المرحوم شريف باشا فعين

على ان الجعليين لم يكونوا منفردين بهذه الدعوى بل جميع قبائل السودان حتى العبيد سكان الجبال ينتسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم والى آل بيته الطاهرين حتى يخال الانسان ان السودان كان موطنه صلى الله عليه وسلم وانه كان خاليا من السكان قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر عن الجعليين الكذب وعدم الوفاء وكل الحصال الممقوتة وانهم على الدوام مع الفئة الغالبة وهم شديدو البغض للمصريين وكل ابيض ولهم اعتقادات في غاية السخافة. منها أن بياض البشرة يدل على أن صاحبه عجري لأصل له وان الانسان لا يكون ذا نسب أو حسب الا اذا كانت بشرته سوداء وكل ابيض محقر عندهم حتى انهم لا يسمونه الا (الجميذي) أى العجري ولهم أخلاق وعادات غريبة لا فائدة في سردها هنا اكتفاء بما تقدم

### ذكر محمد الخير داعية المهدي في بربر

محمد الخير هذا هو الذي تقدم لنا ذكره وانه كان صاحب مدرسة علمية وان المهدي كان تلميذا بمدرسته وأصله من قبيلة اسمها (القبش) وهي قبيلة صغيرة تسكن ضفة النهر الغربية بأزاء «الخيرق» مركز مديرية بربر وهذه القبيلة تنسب الى رجال أصحاب أضرحة في هذه الجهة اسم أشهرها عبد الماجد ويطلق عليهم اسم (القبش) الذي معناه زهاد متقشفون قدموا الى بربر من بلاد تكروور في السودان الغربي

وكان محمد الخير هذا فقيها يعلم الناس الفقه وكان مشهوراً بالتقوي ويقول بعضهم انه ذو ضلع كبير في اتحال دعوة المهدي وان صاحبها صدع بها عن

الزروع وبعض الماشية الصغيرة وأرضهم لا تجود بمحصول يقوم بحاجة السكان لان طريق الري هي بالسواقي فقط وفيها عناء كبير والامطار قليلة لا تجود السماء عليهم بمطر يقوم بري أراضيهم الا نادراً وقد ضبطوا ان بربر لاتسقى بالمطر الا في كل سبع سنين أو عشر مرة واحدة ولهذا كان العيش في ذلك الاقليم شظفاً خلافاً للسودان الجنوبي ومن الامثلة العامة في حقهم (يكيلون بالطاسة ويحسبون القراصة) والطاسة مكيال لا يتجاوز رطل - لا من الغلة ومعنى يحسبون القراصة انهم يقدرون للرطل عددا معلوما من الحنظل والقراصة اسم لكل قطعة تصنع من خبز الذرة الذي يطلق عليه اسم (كسره)

ولهذه الاسباب ترى الجميلين يتطوحن في بلاد السودان وسكان تلك البلاد يحترقونهم فأهالي السودان الغربي يسمونهم (بائي الشطيطة) وأهالي السودان الجنوبي يسمونهم (ناس عره) أى ركاب الحر لانهم يشترك منهم اكثر من عشرين في ركوب حمار واحد

ومع هذا كله تراهم من أكثر قبائل السودان شراً ولهم دعاءوي طويلة عريضة في الانساب حيث يزعمون انهم من نسل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأن أجدادهم استوطنوا السودان من عهد قيام الدولة العباسية في بغداد والحقيقة انهم من نسل العرب الذين دخلوا السودان من صعيد مصر وبعيد عن الاحتمال أن يستوطن بنو العباس بلاد السودان في عنفوان دولتهم وعظيم سلطانهم ولا توجد بين صفحات التاريخ اشارة الى ذلك مع ان المؤرخين ملأوا الكتب باخبار دولة بنو العباس رضى الله عنه الى حد انهم كانوا لا تفوتهم اخبار الندماء وما شاكل ذلك من الدقائق والجلال

ورأسه لله وللانقياد على الدين الخالص عوضه الله خيرا منه قال صلى الله عليه وسلم «انك لن تجد فقد شيء تركته الله» أي لن تجد له ألما ولاهما وقال تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية ومن أشفق على جاهه ورأسه وماله ولم يخرج من ذلك أوقعته في الهموم وفي سخط القيوم وزالت منه واعقبته الحسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم «من جعل الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما قسم الله له ومن جعل الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» الي غير ذلك والقليل من ذلك ينفع المؤمن القابل والكثير وان أفىض لا ينفع المنافق الغافل والسلام

### حوادث بربر

بربر اسم لاقليم من أقاليم السودان يحده من جهة الجنوب اقليم الخرطوم عند موضع اسمه (حجر العسل) وهو جبل صغير أحجاره من الصوان ويحده من جهة الشمال مقاطعة دنقلة ومن جهة الشرق اقليم كسله ومحافظه سواكن

وسكانه ينقسمون الى قسمين رحالة وقرويون والحالة هم قبائل أعجمية يشبهون قبائل السودان الشرقي في الاخلاق والعادات ويطلق عليهم اسم (البشاريين) ولغتهم أعجمية وأما سكان القرى فأكثرهم بطون من قبيلة الجعليين ومعايشهم من

يسرق الطبع والانسان على دين من معه في الدنيا ويحشر يوم القيامة عليه  
قال صلى الله عليه وسلم « يحشر المرؤ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »  
واذا فهم العاقل هذا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلا شك انه ينحاز  
الي من ينهضه حاله ويدله على الله مقاله وذلك هو الفقير المتجرد عن السوء  
المقبل على المولى الذي لم يكن له قبله ولا مقصد الا الله تعالى وقد تجرد عن  
كل شيء سواه وتحقق بحقيقة لا اله الا الله وقد ورد. اذا رأيتم العالم يحب  
الدنيا فاتهموه على دينكم. وفي بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى « لاتسألوا  
عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعكم عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق  
على عبادي » ومعلوم ان العبد اذا لم يكن له مقصد في التجرد لله تعالى يلاحظ  
في جميع كلامه وأحواله ما يزيد جاهه ورئاسته ولا ينقاد للحق حيث كان بل  
يتكبر عليه ولا يخرج عن جاه ولا رئاسة لجرد الحق وفي مثل هذا قال الله  
تعالى « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ولمثل  
هذا الضرر ورد الذم لحب الجاه والمال قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه  
والمال ينبئان النفاق في القلب كما ينبئ الماء البقل » وقال صلى الله عليه وسلم  
« ما ذئبان جائعان ارسلتا في زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال »  
الحديث وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في  
الارض » الآية والادلة الشرعية من الكتاب والسنة وبأمر من سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم كاتبتناكم بالاجتماع معنا ومعلوم انه لا امان الا في الكتاب  
والسنة كما ورد ان المؤمن لا بغية له ولا مطلب له الا الدين فمن كان مهتما  
بإيمانه ودينه شقيقا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معنا للمعاونة على  
تقويم الكتاب والسنة ومن له جاه ورئاسة وانقاد للحق وانخلع عن جاهه



علينا وانه لا نجاة لك بغير أمرين إما ان تجمع اليك قبائل الضفة الغربية من  
الجموعية والجمعياب والسروراب والفتيحاب وتحاصر الخرطوم وإما ان تدخل  
مع غردون في المدينة وتكون معه علينا

ولما اطلع على الكتاب أرسل يستصرخ هاته القبائل فנסلوا اليه  
وبأيامه على طاعة المهدي وخلع نير الحكومة فزحف بهم على أم درمان وعسكر  
ازاء نقطتها

وكان الغالب عليه ملازمة السكون فكانت الحامية في راحة حيث كان  
لايهاجها الا نادرا ولا يناوشها الا مناوشات خفيفة وهامى صورة الخطاب نقلا  
عن كتاب المنشوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى العقلاء الكرام لا يخفى عزيز  
علمكم ان ما سوى الله هباء وكل مافي الدنيا زوال وما للعبد الا العمل الصالح  
الموافق للسنة وما سوى ذلك يعود بالحسرة والندامة واني قد كاتبت جميع  
المحبين ومشايخ الدين وانذرت بـكـروب تحصل ولا فرج عنها الا  
باجتماعنا وذلك باشارة من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وبامر منه مع  
بشائر لنا جسيمة وأوامر عظيمة وأشار لنا صلى الله عليه وسلم الى محل يكون  
فيه قوام الدين وصلاح أمر الدارين وفضلا عن ذلك انه لا سعاية للعبد الا  
في الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة واذا لم يكن العمل على ذلك فهو  
مردود كما ورد. وحيث ان هذا زمان توافقت فيه الناس على البدع ومحبة  
الدنيا وصار لهم ذلك عادة واستترقت الطباع بعضها ومعلوم ان الطبع

الفراس الا بعض سويعات من النهار اما الليل فانه كان يقضيه ساهرا على الحصون يتلقى أخبارها كل لحظة ويأمر بزيادة التيقظ

على ان حركة العدو وان كانت في الشرق والمدينة مأمونة من جهة الخندق المحيط بها فقط الا ان أهالي الضواحي الذين ذكرنا انقيادهم الي عبد القادر أم مريوم هجروا قراهم وأوغلوا في الفلوات وامتنعوا عن الدخول في المدينة وتقديم الاغذية لان ابن البصير والشيخ العبيد كتبوا اليهم بان كل من دخل المدينة كافر محاد لله ورسوله وماله وأولاده غنيمة للمسلمين

وقد هجر المدينة نحو ثلاثين الف نسمة من السكان السودانيين ولحقوا بدعاة المهدي فامر غردون بهدم منازلهم وجمع أخشابها لوقود البوابورات وسكان المدينة ولم يبق في المدينة غير المصريين وسيأتى ان عددهم يقرب من مائتي الف نسمة عدا الذين هاجروا من المدينة الى القطر المصري

## ذكر حصار الفكي المصطفي الخرطوم

﴿ من جهة الضفة الغربية ﴾

الفكي المصطفي بن الفكي الامين بن ام حقين كان أبوه الفكي الامين معتقداً وكان يسكن جزيرة في النيل شمال أم درمان على مسيرة مرحلة واحدة وتوفي بها وله ضريح في الشاطئ الغربي

وكان الفكي المصطفي مشهوراً بالسكينة والابتعاد عما لا يعني منقطعا لحراثة أرضه والقاء دروسه وارشاد مربيه فارسل له المهدي كتابا معنونا بعبارة مبهمه هكذا ( الي العقلاء الكرام ) مع رسول زوده وصايا شفهية حيث قال له ادفع له الكتاب وقل له بعد اطلاعه عليه اذا لم تكن معنفاً فكن

الله أكبر على الكفار ووضعوا السيف في رقاب الجنود الذين اختل نظامهم وذب  
العدو منهم أكثر من ثلاثة آلاف وغردون واقف على سطح سرايه يرى  
هذا المنظر الفظيع ويضرب الأرض برجليه ويمض أنامله ثم اعترته نوبة شديدة  
فقد معها عقله وحاول أن يلقي نفسه من سطح السراي فأمسكه المستر باور  
قنصل انكلترا

ووقف عند المدفعين والساووخين نحاس اسمه مولا بك ودافع حتى  
قتله العدو وبلغ عدد الذين نجوا من غير أن يصيبهم سوء نحو خمسمائة نفس  
ولما وضعت الحرب أوزارها بقي السعيد حسين وحسن ابراهيم مع  
الدراويش وقدمت الاطعمة فاكلا مع الامراء وجري الحديث بينهم  
فقال لهما أحد الامراء أرى انكما قد أدتما واجبكما وأخشي عليكم شراً أن  
عدتما الى المدينة فقلا خفض روعك فانه لا بأس من عودتنا واننا لا نقنع  
بما فعلناه بل لا بد من احضار رأس غردون لناخذ بشار الذين قتلهم  
من اخواننا النخاسين في بحر الغزال ودارفور ثم عادا الى المدينة بالليل فسألها  
غردون عما رآها يفعله لانه فقلا ان الجنود اظهروا جبناً واننا فعلنا ذلك  
لنكرهم على الثبات فاغتاظ من هذا الكلام وأمر بالقبض عليهما وسجنهما  
في القشلاق وألف مجلساً عسكرياً لمباشرة التحقيق فظهرت اداتهما فحكم  
عليهما بالاعدام وصدق عليه غردون ولما أخرجوا الى ميدان القتل هاج الجنود  
وهجموا عليهما وضربوهما بالماول حتى ماتا وعجز القواد عن كبج جماع الجنود  
حتى ينفذ حكم الاعدام بالطريقة القانونية

ولحق غردون تأثر سيء من هذه الحادثة حيث أصيب بمرض كاديودي  
بحيائه ومع اشتداد وطأة المرض عليه كان لا يعمد الى الراحة والنوم على

أشار اليهم سلاطين باشا في كتابه المعلوم

ولما كانت النخاسة والاعمال التي يقوم بها محترفوها لا تختلف عن مهنة  
المصوصية انتظم من هذه القبيلة أفراد في سلك النخاسين كان من بينهم  
السعيد حسين هذا حتى صار من أمره ان غردون لما استماله ولاء على احدى  
المقاطعات الواقعة بين دارفور وبحر الغزال ثم خرج على الحكومة حتى جرد  
عليه حاكم دارفور حملة أرجعته الى الطاعة قسرا وجاءت به الى الخرطوم  
ولدى عودة غردون أنعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا  
وعينه قومنداناً على جنود الباشبوزق وجعل حسن ابراهيم المترجم الثاني  
وكيلا له حتى كان من أمرهما ما نورد به

وأما حسن ابراهيم فانه ابن عم يوسف باشا الشلالي وكان نخاساً أيضاً  
وترجمته لا تخالف ما أوردناه في ترجمة ابن صمه وقد أنعم عليه غردون برتبة الميرميران  
كالسعيد حسين وعينه وكيلا لقمندانة جنود الباشبوزق

### واقعة الحلفاية الثانية

لما عقد غردون النية على انفاذ حملة أخرى الى الحلفاية لتطرد الدراويش  
منها عهد بقيادتها الى السعيد حسين الجميعاني وحسن ابراهيم الشلالي وكان عدد  
جنودها ثلاثة آلاف من الباشبوزق وألفاً من الجنود النظاميين ومعهما  
مدفعان من الطراز الجبلي وساروخان حربيان وزحفت الحملة في غداة اليوم  
الرابع من بداية حصار الخرطوم

ولما التقى الجمعان لم يقذف الجنود رصاصة واحدة حتى انحاز القائد  
السعيد حسين ووكيله حسن ابراهيم الى الاعداء وجردا سيفيهما وقالوا

فأظهر الاستياء للقائد وأمره باستئناف الهجوم في الظهر حيث تمكن من  
دحر فرسان العدو الذين وثبوا عليه ثانية ودخلت الحامية القرية وأجابت عنها  
العدو وخرج كثير من سكان الخروطوم ولحقوا بالحامية ونهبوا القرية وأضرمو  
النار في المساكن ثم عادت الحامية إلى حصن راسخ بك عند غروب الشمس  
وبذلك عاد بعض الأمن إلى ضفة النهر وأمسي السكان قادرين على  
الاستقاء منه إلا أنهم كانوا يمدون الكرة ويطلقون النيران على المدينة  
فعمد غردون مجلسا من القواد وموظفي الحكومة وبعد المداولة أقر على  
إنفاذ قوة كبيرة تسير من قصر راسخ بك برا إلى الحلفاية تهاجم العدو وتطرده  
من معسكره

وكان غردون يظن أن هذه الحركة ستكون نتيجة الفوز كما حصل  
للقوة التي كنت قائدها فخاب أمله حيث خان اثنان من القواد وذبح نحو  
ثلاثة آلاف نفس من الحامية كما تراه مفصلا فيما يأتي

### ترجمة السعيد حسين وحسن إبراهيم

السعيد حسين الجميعاني فحاش كان مع ابن الزبير وقد ذكرنا أن غردون  
ولاه على إحدى المقاطعات بدارفور هو والنور عنقره لما اعتزلا ابن الزبير  
وهو من قبيلة حقيرة اسمها (الجميعاب) تسكن على بعد خمسة عشر  
ميلا من شمال الحلفاية وعدد نفوس هاته القبيلة لا يتجاوز الخمسمائة نسمة وأرضها  
قاحلة مكسوة بالحجارة ولا ماشية عندها وقوام معيشتهم على الأعمال  
الدينية كأعمال الفعلة في الابنية وغيرها وكثير منهم لصوص وقطاع طرق  
كما أنهم لا يأثفون الكسب ببذل العرض وخلع برقع الصون والنفاف كالذين



وظلمت ملازم الفراش نحو ثلاثة أشهر كان يزورني خلالها كل يوم وقد رجوته مراراً عديدة ان يقلل من زيارتي حرصاً على عدم ضياع أوقاته في غير الاهتمام بشؤون الدفاع عن المدينة فلم يفعل بل ظل على عادته حتي من الله على بالشفاء وأصدر الأطباء قراراً بان الإصابة كانت خطيرة جداً وكان يخشى على حياتي منها وأن منشأ عنها من العاهة يستحيل زواله واعدتني الى الحالة الاولى

### واقعة القبة

القبة قرية على ضفة النيل الشرقية بينها وبين الخرطوم النيل وموقعها بازاء المدينة وسكانها سود وبها ضريح قديم لشيخ اسمه (خوجلى) يزعم أولئك السكان انهم من نسله وهي مرتفعة عن البحر وهوؤها جيد يقصدها أهل الخرطوم للنزهة والرياضة

ولما هزمنا العدو في الحلفاية تراجع في ليلته وتجمع في هذه القرية واتخذ جدران المنازل متاريس واخذ يطلق النيران على المدينة حتي تعذر على السكان الاستقاء من النهر فوضع غردون تحت سرايه مدفعين من طرز كروب واخذ يطلق واحدا بنفسه والمسترباورفقتل انكثرا في الخرطوم يطلق الثانى والرصاص يهطل عليهما كالطرهما في غاية الثبات وقبيل الظهر امر بتشكيل قوة من الف جندي تكون محمية بالتقابل تفاجى مكان العدو لتطرده فسارت القوة براً من حصن قصر راسخ بك يقودها ضابط عظيم فامسك العدو عن إطلاق النيران حتي أشرفت على متاريسه فهاجمها فرسانه فاطلقت النيران عليهم حتي ولوا الادبار ودخل ثلاثة فرسان المربع فاقوموا القتل في الجنود وانتثر عقد نظامهم وولوا الادبار الى الحصن وكان غردون ينظر ذلك بعينيه

مضى عليه اكثر من بضع ساعات منذ حلوله في هذه الجهة وكانت متاريسهم  
 وحصونهم بشكل نصف دائرة فرجتها الى النهر وعرضها الى القلعة  
 وبعد ان ألقى الباخرتان مراسيهما شكلت قلعة زحفت بها على ميسرة  
 العدو الذى قابلنا بثبات غريب وصوبنا قنابلنا الى الثلاثة طواب واجتحننا  
 المتاريس من جهة الميسرة وبعد ساعتين ثبت فيهما الجنود ثباتاً غريباً استولينا  
 على المتاريس والطوابى وطردنا منها العدو وتقدمت ميمنتنا واحتلت الاكواخ  
 التى كان النساء والاطفال فيها وساقطهم أسرى وقبضنا على عدد كبير من  
 الرجال أسرى كذلك

وكانت ميمنة العدو باقية على المقاومة فتقدمت نحوها بميسرة جنودي  
 فتمكنت فى برهة يسيرة من الزمن من طردهم واحتلال موقعهم فتأثرتهم  
 الجنود الذين اضطرت لارغامهم على العودة الى النظام وعدم تأثر العدو لان  
 الظلام بدأ بارخاء سدوله علينا وبينما أنا على هذه الحالة أصابتنى رصاصة فى  
 فخذي الايمن اخترقت اللحم ونفذت الى العظم فاحتملني الجند وعادوا بى  
 البواخر واستولت عليهم دهشة شديدة عادوا بسببها الى البواخر بدون انتظام  
 ولو لم يكن العدو قد لجأ الى الفرار لكانت العاقبة سيئة ولم يفقد من الجنود  
 غير اثنين وواحد من قواد الباشبوزق

ولما عدت الى المدينة استقبلنى غردون ملهوفاً لما رأى ملقى على الفراش  
 والدماء تسيل من فخذي تأثر الى درجة كاد يفقد معها عقله وأصدر فى الحال  
 أمره باحتمالى الى دارى وأمر طبيبه الخاص بالاشتراك مع أطباء الحامية  
 وشدد عليهم فى وجوب الاعتناء بمعالجتي وخاطبني قائلاً قد أذمت عليك  
 برتبة اللواء وسلمنى اعلاناً بذلك

من الحُرطوم وقطعوا الاسلاك قبيل الظهر وتقدموا الى الضفة النيل واطلقوا  
النيران على المدينة وكان جل مقدوفاتهم يسقط على سراي غردون لان موقفهم  
كان تجاهها

واجتمع في سراي غردون من سكان المدينة نحو الف نسمة يظهرون  
شديد اسفهم وكان هو واقفا كواحد منهم الا انه كان مصوبا نظارته المعظمة  
الى مكان اجتماع العصاة وكان اكثر الناس مثله وسمع البكاء والولولة من دور  
المدينة كلها لان السكان كلهم مدركون خطارة الحالة وشاعرون بما يحدق بهم  
من الاهوال والمصائب وغردون كان في الباطن مثلهم لا يقل عنهم الا انه كان  
يظهر عدم الاكتراث ويبدى من الضعف قوة ومن اليأس رجاء حتي كان ظهوره  
بهذه الصفات مما ساعد كثيرا علي بث روح الشجاعة في قلوب السكان

### واقعة الخلفايه واصابة المؤلف برصاصة

والاحسان عليه برتبة اللواء

في اليوم الذي ظهر فيه العصاة وقطعوا الاسلاك البرقية عهد الى غردون  
ترتيب الحامية في الضفة الشرقية حول قصر راسخ بك وتفقد الخندق المحيط  
بذلك القصر فاجتزت النهر وعدت بعد ان رتبت الحامية فالفيت البواخر على  
أهبة السفر وبها نحو ثلاثة آلاف جندي بين نظاميين وغير نظاميين  
فاستدعاني غردون ودفع الي أمرأ بقيادة هاته الجنود وأمرني بمباغثة العصاة  
الذين عسكروا في الخلفاية على بعد أربعة أميال من قصر راسخ بك فاجهرت  
على الباخرتين ولدي وصولنا الى الخلفاية ألفت العدو قد تحصن بها وراء  
متاريس وشاد نحو ثلاث طواب فأخذ مني العجب مأخذاً حيث لم يكن قد

ليوطدوا دعائم الامن والراحة في ارجائها

وجاء ضمن نصائحه ان حكومة جلاله الملكة ستضططر يوماً لمناجزة المهدي وكبح جماح طغيانه وسوف تتكبد من الضحايا ما يبلغ عشرة أضعاف ما تتكبد به الآن لو عملت بمشورته وقبلت نصيحته فلم يلتفت السير بارنج الى شيء من ذلك كله بل أصر على انفاذ مرسومه سياسة قومه غير مكترث بشيء من الضحايا التي يتكبدها سكان السودان عموماً وسكان الخرطوم خصوصاً والحاصل ان تلغرافات غردون لم تعد بفائدة ولو صغيرة واصبح لامناص له من الوقوف امام الصعوبات التي كان يراها تدنومنه حتى وقع القضاء وتغلب المهدي على السودان والامر لمن له الامر

ولما كانت الصور الرسمية التي بايدينا قد لعبت بها أيدي الضياع ايام وقوعنا في أسر المهدي بن اضطررنا لنقل هذه التلغرافات من كتاب مصر في عهد الاحتلال الانكليزي لمؤلفه هنس رزير الالماني مترجماً وكلها طبق الحقيقة

### اول حصار الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر الشيخ العبيد وما ورد عليه من كتب المهدي وقطعه الاسلاك التلغرافية ثم سماحه باعادة اصلاحها وفي غضون اشتغال غردون بمخابرة السر بارنج ارسل اليه الشيخ العبيد كتاباً يدعو فيه الى التسليم في هذا اليوم وانه أمر بقطع اسلاك التلغراف في الغد فكتب اليه غردون بالاطفءه ويسأله ان لا يكون مع المهدي لمكانته من الصلاح والشهرة فرد عليه اسوأ رد وفي يوم ١٦ مارس زحف ابراهيم والعباس ابنا الشيخ العبيد ومعهما سبعون الف مقاتل على الضفة الشرقية

الانكليزية بعدم ارسال مائة فارس الى أصوان ووادي حلفا لان ارسالهم  
يكون سببا في ابعاد الخطر عن غردون بعض الابعاد

على أن ارسال المائة فارس الى حلفا كان يقصد به غردون ان أخبارهم  
تصل الي المهدي بنلو كثير حيث يظن ان جنودا قادمون لامداد غردون  
فلا يجسر على التقدم عليه ومناجزته

ولو عملت الحكومة الانكليزية براى غردون وأرسلت المائة فارس لكانت  
النتيجة حسنة ولم تسقط بربر في أيدي المهديين حيث بسقوطها أحرق الخطر  
بغردون وانقطع أملة من وصول نجدة عن طريق حلفا أو سوا كن لان بربر نقطة  
التقاء الطريقين

وكان قصد غوردن بكل مخابراته مع السير بارنج أن يكون التاريخ  
حكما بينه وبين انكلا كما قدمنا ولذا بعث بتلغرافات قبل وصوله الى الخرطوم  
فخواها ان الاضطرابات اقل مما كان يظن وانه يرى ان لامندوحة له من  
تمحيص حكومة جلالة الملكة النصيح بتسكين الاضطراب في السودان  
الشرقي وتقوية خطوط الاتصال بين بربر وشواطئ البحر الاحمر من جهة  
وبين حدود مصر من جهة أخرى وحاول اقناع السير بارنج بان السودان  
مفتقر كل الافتقار الي اشراف الحكومة الخديوية عليه بحقوق السيادة  
وسأله ابدال الفرمان الذي كان يحمله بأخر يحتم على السودان وجوب الخضوع  
الى مصر فذهبت مساعيه كلها ادراج الرياح وأصر السير بانج على انفاذ الخطة  
التي توخاها أولا ولم يلتفت الى شيء من نصائح غردون الذي كان يرى ان  
وقوع "سودان كله في قبضته سيكون خطرا على مصر وان احتلال انكلترا لوادى  
الذيل يحتم عليها العمل عاجلا لابعاد كل الاخطار عن البلاد التي احتلها



ان الجنرال غردون والسير ستيوارت يلحان بوجود فتح الطريق بين  
سواكن وبربر لنجاح مأموريتهما الحاضرة

أما أنا فلا يمكنني تعضيد ماجاء بتلغراف ستيوارت من ارسال فرقة  
من الحيلة الانكليزية أو الهندية الى سواكن

وأرسل السير بارنج الى اللورد غرانفيل الرسالة الآتية أيضاً  
أشرف بأن أخبر سعادتكم ان الجنرال غردون كتب الى تلغرافياً  
باننا لو أرسلنا مائة جندي الى أصوان ووادي حلفا يأمن من كل خطر  
ويكون في حالة اطمئنان كالسواح المسافرين في النيل وينتج منها تحوّل صغير  
أما أنا فلا أريد مطلقاً أن أخطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مائة جندي  
فقط اه

وقد كان غردون لسوء حظه يبحث بتلغرافاته الى السير بارنج وقد رأيت  
كيف انه كان ينصب نفسه لما كسبه والنصح للحكومة البريطانية بعدم  
الالتفات الى شيء من مطالبه حيال تلك التصريحات التي تقدم لنا ايرادها عن  
الجناب الحديوي وساسة الانكليز الذين تعهدوا بمساعدته ومعاونته في سبيل نجاح  
مأموريته حتي أن نجاته كانت متوقفة على ارسال مائة جندي الى أصوان  
وحلفا فلم ير السير بارنج لزوماً للمخاطرة بهذه الكوكبة الصغيرة فهل بعد  
ذلك كله من حاجة الى برهان بان غردون أرسل ليموت ويترك السودان  
الى القوضي ويرى القاري فيما أوردناه من تلغرافات السير بارنج الى غردون  
بتاريخ ٢ مارس عبارته التي يقول فيها انني شديد الرغبة في مساعدتك بكل  
طريقة ثم ما أوردناه بعدها من تلغرافاته الى دوائر انكلترا وعرفلته لسل  
مشروع من شأنه ان يساعد غردون على النجاح حتي انه نصح الحكومة

ان مقاصد حكومة جلالة الملكة غير ما تطلبه ولم أفهم منك هذه الطلبات حيث انك لا تجهل انها لا تتحول عما عقدت بينها على انفاذه وفي تلغرافات غردون ان الاسلاك البرقية على وشك الانقطاع وانه من المتعذر بعد هذه الفرصة وصول اخباره الى القاهرة فكانت اشارة السير بارنج بمخبرته بعد التفكير أمرا في غاية الصراحة بعدم لزوم المخاطرة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً

وأرسل غردون تلغرافاً في أول مارس سنة ١٨٨٤ الى السير بارنج جاء فيه ما يأتي

لم أزل أعتقد كمال الاعتقاد ان اخلاء السودان ممكن لكن أقول لك انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم اذا لم تساعدني الحكومة في الطريق الذي أوضحته لها اه

فأجابه السير بارنج بتاريخ ٢ مارس بالرسالة الآتية

قد وصلتني الاحدى عشرة رسالة التلغرافية المرسلة الى في الاربعة أيام الاخيرة بخصوص مسائل السياسة العامة واني شديد الرغبة في مساعدتك بكل طريقة لكنني لم أتمكن من معرفة ما ترغبه الآن وأرى ان أحسن طريقة هي ان تلخص المسألة جيداً وتخبرني تلغرافياً بما تستصوبه اه  
فأجابه غردون بالرسالة الآتية

يجب على الحكومة مساعدتي وان اجابة مطالبني ضربة لازب  
هذه خلاصة ما بودل بين غردون والسير بارنج من التلغرافات وقد كان هذا يعرضها كلها على الحكومة الانكليزية ويشفعها بعبارات تعرقلها منها  
تلغراف السير بارنج الى اللورد غرانفيل بتاريخ ٤ مارس حيث قال ما يأتي

معميات السياسة حيث يري من ظاهرها ان غردون لو أشار باصبعه لملاّت  
انكلترا البر والبحر رجالا وسفنا وانقذته من كل خطر يهدده وقد اكدت  
الحوادث خلاف هذه الاقاويل فان الانكليز صموا آذانهم دون نجاته حتي  
قضي عليه ولم يمدوا له يد المساعدة وذلك أدل دليل على ان ما عقدوا نيّتهم  
عليه لم يكن غير ما أصاب غردون وما تم من إعطاء أمم السودان حريتهم ومنع  
الحكومة الخديوية منعاً باتاً من التداخل في شؤونهم وسنورد بعد هذا  
كثيراً من مذكرات غردون وتلغرافاته وهي تؤيد ما قلناه وثبت كل ما أوردناه  
والله الهادي الى سواء السبيل

### ذكر تلغرافات غوردون

لما نيس غردون من نجاح مأموريته السلمية وانقطع جبل رجائه بما  
ورد عليه من كتب المهدي وداعيته محمد بن البصير اجتاز النيل الازرق الى  
الشرق عند قصر راسخ بك وأرسل احدى عشرة رسالة برقية الى السير  
بارنج يخبره فيها بما وصلت اليه حالته وان العدو على وشك الزحف عليه  
للحاطة بالمدينة وان الاسلاك البرقية ستقطع قبل أن يتمكن من مخبرته مرة  
أخري وأرسل برسائل أخرى الى الخديو المرحوم توفيق والى نوبار باشا رئيس  
الوزارة المصرية وقتئذ فوردت عليه من السير بارنج رسالة جاء فيها انه لم يفهم  
ما تضمنته الاحدى عشرة رسالة وان الاولى به أن يخبره بقصده بعد طول  
التفكير مع ان ما جاء في الاحدي عشرة رسالة يتضمن شيئاً واحداً هو بالايجاز  
وجوب ارسال النجدة لاسعافه وحفظ خط الرجوع من دنقله الى بربر  
ولعل جناب السير افان بارنج كان يقصد من قوله لم أفهم انك لا تجهل

ويظهر من هذا التصريح ما قلناه من ان الحديو أجبر على قبول مأمورية غردون على علائها ولما رآها ترمي الى غرض إيقاع السودان في مهاوى الفوضى اقتنع بامنية واحدة هي انقاذ رعاياه المخلصين من الشرور التي كان متوقعاً حصولها من نتيجة مأمورية غردون الذي أرسل ليموت حتى بموته يتم غرض دولته

على ان غردون لم يكن جاهلاً بكنه تلك النية ولهذا كان يرسل التلغرافات تترى ويدون المذكرات لايقنع قومه بالعدول عن ذلك العزم بل ليجعل التاريخ حكماً بينه وبين قومه لاعتقاده ان تلغرافاته ومذكراته لا بد ان تنشر على الجمهور ويطلع عليها العالم أجمع وهم لا بد ان يحكموا له لا عليه وقد تحققت أمنيته حيث نشرت الحكومة البريطانية تلك المذكرات والتلغرافات في كتبها الزرقاء وكان لها من الاهمية فوق ما كان يتناه صاحبها وقد دارت مباحث كثيرة بشأنها في اندية انكاترا وبرلمانها ومجلس لورداتها وأهم هاته التصريحات مافاه به مستر غلادستون في مجلس العموم حيث قال «ان حكومة جلالة الملكة تأخذ على عاتقها مسؤولية المأمورية التي القيت مقاليدها الى غردون أدبياً وسياسياً وانها ستعمل كل ما في وسعها للوصول الى نتيجة مرضية اه

ثم فاه غلادستون أيضاً بتصريح اوضح من هذا حيث قال «ان مهمة غردون هي اخلاء السودان وانقاذ موظفي الحكومة ثم قال ان ثقتنا به عظيمة ولسنا مبالغين في شيء من روايتنا واننا عقدنا النية على ان لا نفاجأه بعمل دون استشارته وأخذ آرائه»

وغير هذا وذاك كثير من التصريحات التي لا مشاحة في انها كانت من

ويظهر جلياً ان الخديوي كان مرتاباً في نجاح مأمورية غردون بالطريقة  
السليمة التي كان متمسكاً باذيلها ولذلك صرح للبارون دي مالورتي بالتصريحات  
الآتية وقد نشرها البارون في الصحف الانكليزية الكبيرة وهي كما يأتي  
لم يكن في استطاعتي ان أبدي دليلاً على حسن مقاصدي باحسن من  
تعيين غردون باشا حاكماً عاماً للسودان ومنحه كل السلطة في عمل ما يراه  
ضرورياً لاصابة الغرض الذي ترمى اليه حكومتي وحكومة جلالة الملكة .  
حتى اني قلدت له نفس السلطة المخولة لي وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولا  
ريب في ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال احسن ما يكون . وقد قبلت سلفاً  
ما يمكن ان يقترحه من الوسائل الي ذلك اذ ما يراه حسناً من التصرفات يكون  
الزامياً بالنسبة اليها ثم اني بعد ان جعلت عظيم ثقتي بهذه الكيفية في هذا  
الباشا لم اشترط عليه الا شرطاً واحداً وهو ان يبذل عنايته فيما فيه طمأنينة  
العناصر المتقدمة من اوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس  
المفوض يرافقه حسن آمالي في هذه المأمورية التي هي من الخطارة والاهمية  
بمكان فان قلبي يذوب عند ما أفكر في الالوف المألقة من رعاياي المخلصين  
الذين تكفي غلطة منه لهلاكهم . واني لا أشك في انه سيدخل كل مافي وسعه  
لحقن دماء اكثرهم على الاقل . فان نجح بعون الله في اخلاء الخرطوم وأهم  
مواني السودان الشرقي فله الشكر مدي الدهر على ريعتي التي ترتعد فرائصها  
من توقع ما يخشى حصوله بعد حين . أما قولي لك انه ينجح في مأموريته فهو  
من قبيل المجازفة مني في الكلام كثيراً فن امامه قوات اكثر منه عدداً  
وأهوالاً غير اننا نرجو الخير وأما هو فيمكنه ان يعتمد على اصدق مساعدة  
وأسرع معونه مني انا وحكومتي بقدر ما تصل اليه يد الامكان اه



وأنت لا تميل الا الي سفكها فاقول لك الآن لا بد من تهرك وكبح  
جراح طغيانك ومهما يكن عندك من الاتباع فلا بد ان ترضخ صاغراً أو  
تهلك حيال قوتي الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية وعاد الرسولان الي  
المهدي واشتغل غردون بمخابرة مصر ولوندره بالتغرفات التي نذكرها فيما يأتي

### مأمورية غردون الحقيقية

عقدت هذا الباب بياناً شافياً لما سرده قبل من مأمورية غردون التي  
كانت ترمي اليها حكومة انكلترا وقد حسر اللثام عنها غردون نفسه فيما كتب  
من مذكراته المشهورة بتاريخ ٢٢ يناير وهي بنصها

أرى ان حكومة جلالة الملكة قد عقدت النية على ان لا تأخذ على عهدتها  
المهمة الكثيرة الصعوبة التي غايتها وضع حكومة منتظمة لأمم السودان وانها بدلا  
من ذلك قد صممت ان ترد الي هذه الامم حريتها وان لا تسمح للحكومة  
المصرية بالتدخل في شؤون تلك الامم اهـ

وعليه فان مأمورية غردون منحصرة في هاته السطور بمعنى ان  
حكومة جلالة الملكة كان غرضها ان يمهّد غردون السبيل لوقوع تلك البلاد  
في مخالب الفوضى وبعبارة أخرى ان يقضي على نفوذ مصر في تلك الارحاء  
هذه كانت مقاصد انكلترا أما الخديوى توفيق باشا فان مقاصده الحقيقية  
اعادة الامن والسلام الي هاتيك الاقطار ثم اجبر على تحوير مقاصده بجملها  
قاصرة على انقاذ المخلصين من رعاياه من الخطر المحدق بهم واخلاء السودان  
اخلاء تاماً عن كل المصريين والذين استوطنوه من العناصر المتمدنة واقامة  
حكومة وطنية بها

المخلوق ويستعجز قدرة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم فإن  
الترك الذين قتلتم شكوا للحق عز وجل وقالوا يالهنا ومولانا إن المهدي قتلنا  
من غير انذار فاقول يا رب انذرتهم فلم يسمعووا وحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم وقال لهم الامام المهدي انذركم فلم تسمعوا له وسمعتهم قول  
علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتسلاومون فقال الذين  
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين  
استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم  
نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا اليها  
مسلمين ومن أسلم يسلم وإن ابستم إلا الجحود والاعتار بالمدافع والبارود فاتم  
مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوتكم ماسبقكم من الجنود والسلام - ١٩ ذي  
الحجة سنة ١٣٠٠

وقدم على غردون رسولان مع رسوله يحملان الكتب والهدية التي  
هي جبة مرقعة وسراويل وعمامة كلها من نوع خرقة اسمها ( الدمور ) تصنع  
في السودان وهي أردأ من النوع الذي يعمل في مصر أشربة للسفن الشراعية  
ولما وصل الرسولان الى الخرطوم شهرا سيفيهما فأمرهما ضابط باب  
الحصن باغمادهما فلم يطيعاه فأمر غردون بالمحافظة عليهما حتى يصل السراي  
وهاج أهل الخرطوم عليهم وهم الصبيان والرعا بجرهما بالحجارة فنعوا ولما  
دخلا على غردون قالوا له ( السلام على من اتبع الهدى ) وسلماه الكتب  
والهدية ولما نظر الهدية غضب ورفسها برجله وقال ( غوديم ) ثم اطلع على  
الكتب وابتقى الرسولين بطرف حاجب السراي ريثما حرر للمهدي كتابا قال  
فيه اني أدعوك الى السلم وأنت تدعوني الى الحرب وادعوك الى حقن الدماء

(وبعد) فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا  
باطلا عليك على ماتدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل  
السعادة الكبري الذين لا يبالون بما فات من المشتميات طلبا لعالي الدرجات  
وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبحة فان أنبت الى الله  
وطلبت ما عنده فلا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وهما هو  
الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام  
«صورة ما كتبه المهدي على ظهر المظروف الذي أرسل الى غردون»  
سألتك بحق الله ونبه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف  
وقد أبلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمي جورجو اسلامبوليه أن رجلا يسمي  
السيد افندي نعيم الاجزائي له معرفة بلغتكم وبالحظ العربي وما دام انه  
يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه  
حرفياً على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته  
والسلام اه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم (وبعد)  
فمن الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من أهل  
الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الامر بيد الله ولا يشركه  
في ذلك بنادق ولا مدافع ولا سواريح ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله  
تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا باسلحتكم ولا بجموعكم  
التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فانه لا قوة لشيء دون الله وان قلاتم  
ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان التكذيب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف

يقع فيما يهلكه ونحن نصفيح عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لاجل مبايعته  
ومجالسته معي إياما قد اتانا خبر بعد موته أنه عفى عنه في الآخرة فصار من السعداء  
والعبد اذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها  
بل انما متاعها يكثر الحسرة والحس فقط يوم القيامة ونيتي بالعباد سعادتهم في  
آخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لاطفت جميع الاكابر وأهل  
الدولة بالقول والفعل ليمرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الحسيس الفاني  
وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الاكابر من اهل الدولة والحكام ما عملنا  
معه الا الخير والا كرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد  
شرف والسلام — جماد أول سنة ١٣٠١

وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا  
والآخرة وفزت باجرک وبأجر جميع من اتبعك والا هلكت فكان عليك  
اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهمني فيما أسوق به الى الله والدار الآخرة  
ولا تسمع على قول الظالمين الحساد الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم  
ويابى إلا أن يتم نوره وقد قال صلى الله عليه وسلم من شك في نصره المهدي  
فليقرأ قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على  
الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله  
ولزيادة الشفقة عليكم لزمت التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان  
لا تهدي هداانا الله والعباد الى الصواب آمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

منها اذلة وهم صاغرون» واعلم انك اذا أتيتنا مسلماً نريك ونريك من النور  
 ما يطمئن به قلبك ويزول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا  
 فيك خيراً وصالحاً للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بحمد خالد المشهور بزقل  
 مدير (دارا) سابقاً فانه لما اتانا ورأى الحق وفرح بقلاننا غاية وندم على ما فات  
 مما ضيعه من عمره في الفاني واطمان قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله  
 وليناه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم  
 فاكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد  
 جمعه الذي كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الى محمد خالد المذكور يأتي به الينا  
 لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمترى سجاوده وصدق اتباعه  
 لنا وابنته للآخرة وكذلك جميع أمراء النقط بدارفور قد اذعنوا لله كباقي  
 سلاطين دارفور وسلموا جميعاً أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن تسليمهم  
 واتباعهم لنا وكذلك الملك آدم مك جبال تقلى الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق  
 وحسن اتباعه وصدقته وقد اكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جرا  
 فكل سعيد لا بد ان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أي لا بد ان يخلذه  
 الله ويعذبه في الآخرة كما أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم مراراً وليكن  
 معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد اندرتهم أولاً  
 انذاراً بليغا وهاهو واصل اليك انذار ولد الشلال بعد مخاطبته لى وانذار  
 هكس باجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولا كابر جيشه وقد أرسلنا  
 الى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا وبعد أن وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه  
 جبة جميلة ليتدرج الى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقبدي بنا  
 ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال



المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة  
 ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد الله  
 دال على الله والي ما عنده فمن كان سعيداً اجابني واتبعني ومن كان شقياً أعرض  
 عن دلاتي فازاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الابد وقد أيدني الله  
 تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الاولياء والصالحين لاهياء  
 دينه وقد بشرني النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع من يلقاتني بعداوة يخذله الله  
 ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تغتر فتهلك كما هلك اخوانك  
 فافهم وسلم تسلم. وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلي حسب نية الخير جزاك الله  
 الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك أننا لا نرغب متاع الحياة  
 الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فهاهي  
 مرسولة اليك مع مانرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة  
 ويرغبون فيما عند الله من الخير الباقي الابدى ليستحقوا بذلك نعيم الابد  
 وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد  
 الله الصالحين وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه  
 وقد قال كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من  
 الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محقين وانما غرهم الحياة  
 الفانية والامتعة الآيلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عدما محضاً فتكون  
 حسرة وندما عند فراقها لما فوتته من اكتساب خيرات الدوام ثم ان مثل  
 هديتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلباً لما عند الله وأقول في ذلك كما  
 قال سليمان عليه السلام لبليقيس وقومها «أتمدون بمال فما آتاني الله خير مما آتيكم  
 بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بمجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم

والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» الى ان قال «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» وانما قد امثلنا أمر الله فما نتخذ وليا الا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا حيث ان الله يقول هم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام وأثبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك وليا وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكاننا نزيلهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عيسى وجميع الرسل والنبين وحزب الخير الابدى والا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فادعيت ملك عباده وأرضه مع ان الارض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت الى اطلاقهم اليك فانا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الابد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدهم من جنتهم الى محنتهم فان الله قد أيدني رحمة للعباد لا تقذفهم من المهلاك الذى هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهورى فيهم واعلم انى

الفانى وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسموا قول الله ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغن عنهم ذلك شيئاً وندموا على قدر الذى تمتعوا به فايدنى الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلائلهم الى الله تعالى وليتركوا العز الفانى والنعيم الفانى الى العز الدائم الابدى فى دار النعيم المقيم ولا تعرفهم غرور من يريد لعاجلة ويظن انه ساع فى رضى الله ويكون له نصيب فى الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام يا معشر الخواريين ابنوا على موج البحر داراً تلبسكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلل فهو مغرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهاها ويكون له فى الآخرة شأن. فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله واطلب عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسعى لملسكها وعزها وكيف من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم يفتح باب زيارة قبره ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله واعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاولى اشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى احيى ما اندرس من ملل الانبياء والمرسلين واتى مصداقاً لما بين يديه من الكتب لجميع الانبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يمتنون ان يكونوا من أمته ومن حضر بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه فطهر نفسك أولاً بالدخول فى ملته ثم اشفق على أمته بسلك سنته فعند هذا تكون الشقيق ومن غير هذا فمالك من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

من نوع مـلابسه يسأله قبولها والتخلي بها اذا وفقه الله لاعتناق الاسلام  
وكتب على ظهر الغلاف بخط يده ان محمد سعيد المسلماني الذي كان اسمه  
جورجو اسلامبوليه اخبرني بأن السيد أفندي نعيم الاجزاي يعرف لغة  
اوربية فاسألك ان تقف على ما حواه الكتابان وليترجمهما هو لك والسيد أفندي  
نعيم هذا كان صيدلى الحكومة بالخرطوم وأصله مصرى ومحمد سعيد أو جورجو  
تاجر سوري وقال المهدي في كتابه الى غردون ان محمد سعيد باشا مدير كردفان  
بعد ان مات جاء خبر بانه صار من السعداء بسبب انه بايعه وجلس معه وهما هي  
صورة ما جاء في الكتابين وصورة انذار وصل الى هيكس قبل مقتله بايام

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا  
والحدوية غردون باشا قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه وانك تزعم ارادة  
اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واتصال  
المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصاري والمسلمانيين وان تجعلني  
سلطانا على كردفان فاقول والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم  
وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية الى دار ابقاء ويعملوا ما  
يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حكمدار الخرطوم وأنا « بابا » بدعايته الى  
الحق وبان مهدي من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا مرید ملكا  
ولا جاها ولا مالا وانما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين واكره الفخر  
وتعزيز السلاطين ونبوهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال  
والبنين وهذا هو الذي صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فأخذوا

انصار الدين وقد عصمنا الله من أن يؤثر فينا هذا السحر فكتب ابن البصير الى غردون كتاباً تحاشى عن ايراده لما تضمنه من الشتم وبذاءة القول في حق غردون وجلالة الملكة فيكتوريا والتهديد حيث قال له اننى قادم عليك ومتحفز لمناجزتك ايها الكافر ولما اطلع غردون على الكتاب مزقه لشده تأثيره مما تضمنه من الاهاجى السافلة وجاء كتاب ابن البصير ضغناً على ابالة حيث لم يبق عند غردون ذرة من الامل وامر بترميم الحصون وإصلاح ما تلف منها واخذ في إعداد معدات الدفاع والتأهب للطوارئ

## ذكر خطاب المهدي لغردون

ذكرنا ما كتبه غردون للمهدي وما اهداه له من الملابس ونقول الآن لما وصلت الهدية والكتاب للمهدي كتب الى غردون كتاباً ضمنه الاحتجاج عليه بعدم جواز ولايته على المسلمين ودعاه فيه الى الاسلام وعرض له بذكر خضوع دارفور له وانتشار نفوذه في جميع انحاء السودان الغربي وبعث له بصور الانذارات التي خاطب بها يوسف باشا الشلالى ومحمد سعيد باشا حاكم كوردفان والجنرال هيكس وقد تقدم لنا ايراد انذار يوسف باشا الشلالى فلا حاجة الى اعادته هنا

وعرض له بذكر سلاطين باشا وغيره من الذين دانوا بطاعته وذكر تاجرا يونانيا اسمه ديمترى سجاهه اعتنق الاسلام وحسن اسلامه وأرفق الكتاب بآخر شكر فيه غردون على الهدية التي اهداها له واعتذر عن قبولها بعدم حاجته الى مثلها لان ملابسه مما يلبسه الزهاد الذين يعرضون كل الاعراض عن متاع الدنيا وذكر انه مرسل بهدية الى غردون



لانشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكانت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين « الآية وأيضاً من المعلوم أن المنيب لما عند الله الذي عرف قدرة الله بخاف منه يمثل أمر من ولاد الله للدلالة اليه والدعاية الى ما عنده فإن لم يمثل ويدخل في التسليم في جميع الامور حارب الله ورسوله فاذا وصلكم جوابي وكنتم مؤمنين مطيعين لله فكفوا عن البطاحين وإن كان لكم عليهم تبعات فاصبروا حتى يحكم الله بينكم على يدنا فيوصل لكل ذي حق حقه والسلام ربيع الاول سنة ١٣٠١

### غردون وابن البصير

ذكرنا ما كان من أمر ابن البصير ودعوته للمهدي في الخلاوين وسائر بلاد الجزيرة وأنه كان في قلة وقد سعت الحكومة في القبض عليه فلم تفلح

ولما وصل غردون الى الخرطوم كتب الى ابن البصير كتابا يخبره فيه باعترافه بسلطة المهدي على السودان الغربي وإن بلاد الجزيرة خارجة عن دائرة نفوذه وأن قيامه بدعوة المهدي في تلك البلاد مخالف لهذه المعاهدة وأنه إذا كان لابد من بقاءه تحت سيادة المهدي فليغادر الجزيرة ويلحق به أو ليكن خاضعاً لأمر غردون ودفع الكتاب الى رسول أصله من الذين وقعوا في أسر الحكومة من العصاة

ولما وصل الكتاب الى ابن البصير جمع أهل مشورته وتلا عليهم الكتاب فقالوا بلسان واحد أنه ضرب من الشعوذة ونوع من الاسحار وإننا نحن

لمن سبق فأفئتموا فانكم عقلاء وأهل قريحة فلا تضيعوا فيما قال الله فيه  
 «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» فاذا بلغكم جوابي  
 هذا وكنتم مصدقين كما حسنا فيكم الظن بحسب مجاوبتكم وما أسررتوه  
 من بعض الاحسان على الاهل بحسب حسن الظن وكل ذلك لا يخلص  
 الانسان بل بخلصه صفاه وحسن تصديقه لما عند الله الذي يوجب له ايشار ما عند  
 الله فان الذين كانوا جامدين على ما هم فيه من الجاه والمال احتجبوا عن الاتباع  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات المال والجاه وخوف الخلق والطمع في  
 المال فاخلصوا لله كما كتبتم الاتباع فانه لا يخلص عند الله الا الاتباع الخالي  
 من النفاق الذي هو ايشار الآخرة على الدنيا واذا آتتكم الآخرة وعلمتم مالكم  
 الله وانه لا اله الا الله وان الذي أخبرنا بخسة الدنيا ونفاسة الآخرة بمقاله وحاله  
 محمد رسول الله صادق أمين فاخرجوا عن ملكية الترك واستعملوا شرع الله  
 ولو متم في ذلك فان الدار الآخرة والحياة حياتها ولا متاع خال عن طول  
 الندم الا متاع الآخرة ولا والي في الدارين ولا حبيب غير مفارق الا الله  
 فأنيبوا للآخرة وثقوا بالله واصبروا على بلاء الله الذي فيه لكم التصفية  
 وتكثير الدرجات الدائمة ولا تقفوا مع الزائلات فيفوتكم بها خير الدوام  
 ومع هذا فشمروا على احياء شرع الله في أنفسكم ومن معكم ولا تتبعوا الا  
 طريق الرسول صلى الله عليه وسلم الي أن يأتيكم من أمر أوتاني بالبحر الابيض  
 فتلحقوا بنا فيه واكتفوا بالله وأنيبوا اليه ولا تلتفتوا بعد هذا الى غير الله قال  
 الله تعالى «وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون  
 واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
( وبعد ) فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبابه عوض  
الكريم أحمد أبى سن والطيب محمد وحمد احمد أبى سن وعبد الله أحمد أبى  
سن وعبد الله أحمد أبى سن ومحمد احمد أبى سن وعامرة أحمد أبى سن وعبد  
القادر أحمد أبى سن وأبى عاقلة أحمد أبى سن والامين أحمد أبى سن وحسان  
احمد أبى سن ومحمد عوض الكريم وعلى عوض الكريم وعبد الله عوض  
الكريم ومحمد عوض الكريم ويوسف أحمد أبى سن وأولاد محمد أبى سن  
وجميع أتباعهم وعائلتهم وخواصهم أحبابي قد قال الله تعالى لنييه صلى الله  
عليه وسلم « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على  
نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءٌ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه  
غفور رحيم » ومعلوم انكم تعلمون ان الله أنزل القرآن ليهتدى به وهو الذى  
هدي به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو شفء ورحمة للمتقين فامنعوا النظر فيما  
دل اليه وآمنوا بما جاء من عند الله بيقين فان المؤمنين قد وحدوا لله بما  
سمعه فيه من آيات الانفس والآفاق فلما نظروا انه لا يقدر على ذلك أحد  
سواه وعلموا ان ملكوت كل شيء بيده لم يخافوا الا من الله ولم يرجوا  
سواه فمن له نور بالتصديق بما عند الله آثره على كل شيء ولا سيما اذا  
سمع قوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » والاحوال  
السابقة معلومة وقد علمتم فوات ما رغب فيه من متاع الدنيا من قبلكم فاذا  
صدقتم وعلمتم انى داع الى الله لمصالحكم التى لا يعود عليكم سواها وكل  
ما آثرتموه من متاع الدنيا فانما يعود بالحسرة الطويلة عند الفوات كما حصل

والتدمير واعتمدوا على الله العالم بما في الضمير وأخلصوا النية فان خلوصها  
 مطاياكم وحسنوا الظن في عالم سركم ونجواكم وكونوا يداً واحدة وشددوا  
 بعضكم بعضاً فانما الرجال بالاخوان والمعاضدة وتيقنوا ان عفونا لكم عن  
 الهجرة ورضانا عنكم مقرون بذلك ولا تأخذكم نخوة الجاهلية والتفاخر  
 بالآباء فان الله عالم بما هنالك بل أفيقوا من سكرة الغفلات واندموا على الزمن  
 الذي صرفتموه في البطالات فان الدنيا ذهبت والآجال اقتربت وطلب الآخرة  
 أصنى لكم وانقضى وما عند الله خير وأبقى واحرصوا على ما فيه نجاحكم وفلاحكم  
 واعلموا ان الجهاد فيه صلاحكم ورباحكم وإياكم وسماع قول من يفرمكم ولا  
 ينصحكم ويحسن لكم ما فيه هلاك نفوسكم وفي مهاوى الهلاك يطارحكم  
 وتيقنوا ان صحبتنا مبنية على الانكسار وصفاء السرائر من دنس الاغيار  
 واطلاق النفوس من سجن حب الدنيا وطلب ما أعد الله للمجاهدين  
 والمتقين من الرتب العليا فان كنتم صادقين في جوابكم المحضرينا بالصحة  
 والاتباع فخرضوا قبائلكم وعشيرتكم واحضروا بانفسكم تنالوا كمال المزية  
 وحسن الارتفاع وكونوا أنتم ومحمد البصير في المعاونة على شعائر الدين يداً  
 وساعدوا واحذروا الكبر الذي يصده عن الله ويباعد في الحديث القدسي  
 العظمة ازارى والكبرياء رداً فمن نازعني فيهما غمسته في ناري واشتاقوا لما أعد الله  
 للمجاهدين حيث قال في كتابه العزيز « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
 أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وليستبشرون  
 بالذين لم ياحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فاعتبروا  
 يا أولي الابصار وانظروا بعين الحقيقة والاستبصار والسلام

ابنة على ابنة ولما زهدوا الصحابة ونظروها حقيرة ممتنة أmaalكم في رسول الله  
 اسوة حسنة واتباع لسيرة أصحابه الواضحة المستحسنة فاخرجوا عنها فانها  
 ذميمة وتجنبوا نتائجها فانها عقيمة واصبروا على شدائدنا وبلاياها واجاهدوا  
 النفس وصدوها عن ركوب مطاياها وشدوا أزركم على إقامة الدين وعلى أعداء  
 الله الكافرين والخروج عن طاعتهم وتشتيت شملهم وتفريق جماعتهم وبارزهم  
 بالعصيان لتناولوا كمال الرضوان وقتلوهم فانهم مخذلون وجاهدوهم فانكم  
 عليهم منصورون وشعروا في ذلك عن ساعد الجدد والاجتهاد لنيل غاية القصد  
 وبلوغ المراد وقابلوهم بعزم قوي وصدق نية وغيره وحمية وحسن طوية  
 وارغبوا فيما أعد الله للمجاهدين وابدلو نفوسكم وأموالكم في الله طمعا  
 فيما ادخر لانصار الدين قال الله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
 وأموالهم بأن لهم الجنة» فكيف بمد ان جعلت الجنة ثمنا للنفوس والاموال  
 تتأخرون عن الجهاد ولا تبادروا اليه بكامل الاحوال ما هذا التواني والتأخير  
 وأنتم لا تملكون لانفسكم تقيرا ولا قطمير وخذوا بزمام حزمكم وسارعوا  
 الي مغفرة من ربكم وبادروا الى قول نبيكم ايما عبد من عبادي خرج مجاهداً  
 في سبيلي وابتغاء مرضاتي ضمنت له الجنة ان أرجعته أرجعته بما أصاب  
 من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أو كما قال فكونوا عباد الله  
 إخوانا في الدين واجاهدوا في الله فان الانهماء في الدنيا ضلال مبين وقتلوا  
 الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولا تهنوا في ابتغاء القوم  
 ان تكونوا تألأون فانهم يألأون كما تألأون وترجون من الله ما لا يرجون وأعدوا  
 لهم ما استطعتم من قوة ولا تتأخروا عن جهادهم وخذوهم بقوة وذلك  
 بانضمامكم مع محمد الطيب البصير وإعمال الرأي والمكيدة وما يجب للعدو



رسول الله عوض الكريم أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي  
 سن ومحمد أحمد أبي سن وعمر أحمد أبي سن وعبد القادر أحمد أبي سن والأمين  
 أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن وحسان أحمد أبي سن وعمر أحمد أبي سن  
 ومحمد عوض الكريم وعلي عوض الكريم وعبد الله عوض الكريم ومحمد  
 عوض الكريم وعوض الكريم أحمد وأخوانهم وأولادهم وعشيرتهم  
 وقبيلتهم أحبائي ان الدنيا ظل زائل ونعيمها مائل هائل وسرورها غم وراحتها  
 تعب وهم والركون اليها غرور وكفي بذلك شهيدا وما الحياة الدنيا الا متاع  
 الغرور وجمعها شتات وشتاتها عقل وثبات والتخلي عنها نعيم والتخلي بها نار  
 وجحيم ومكرها خفي حائق والالتفات لها عن الله عائق والتعلق بها خمول  
 وبوار والسعي في طلبها دمار وخسار والتمتع بعيشها ضرر والفرح بها انقباض  
 وكدر والتنعم بها بؤس وطالع سعدا غارب منحوس وشرابها سراب وصفائها  
 عقاب وحلوها مر وميلها غدر وحنانها قطيعة وصلتها فظيعة وعاقبتها ندم  
 ووجودها محض عدم وخيرها يسير وحسابها كثير وطلبها وبال وبقاؤها محال  
 وعلوها سفلى والاجتهاد في طلبها محق وجهل وكفي في التحذير منها والتباعد  
 عنها قول الله المتين «وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب» ولا يفترب باللعب واللغو الا  
 الخامدون وقول النبي الاواب الناطق بالصواب «لو كانت الدنيا تزن عند الله  
 جناح بعوضة لما سقي كافرا منها جرة ماء» فانظروا رحمكم الله الى خسرتها وما  
 فيها وذم خالقها وبارئها ومبدعها ومنشئها ورسوله المأمون الذي أوضح للخلق  
 السر الممكن فكيف بعد هذا تركنون اليها وتعدونها دار اقامة مع انها جنة  
 أعدائكم المبعدين عن رحمة الله والكرامة ولو كانت فيها خير للمؤمنين  
 السالكين طريق خير المرسلين لما خرج منها صلي الله عليه وسلم ولم يضع

عوض الكريم تاتيه بالاخبار من سواكن عن حركات الجنرال جراهم وكان  
 مؤملا الاجتماع باى جنود تتقدم لتمييز حامية الخرطوم أو انقاذها  
 ولما حصر المهديون كسلا أحدقت الاخطار بقبيلة الشكرية وكثرت اعتداآت  
 البطاحين عليها فعمدت الي مظاهرة المهدي وكتبت له بالخضوع والطاعة  
 وسألته ان يعتبرها خاضعة له فكان جوابه لها أن ذلك لا يكون بغير انضمامها  
 الى محمد بن البصير واتحادها معه لقتال جنود الحكومة فكانت تعتذر تارة  
 بمرض زعيمها وأخرى بتوالى غارة البطاحين عليها

ولما وصل غوردون الخرطوم بعث بكتاب الى عوض الكريم باشا ابني  
 سن يعلمه بتعيينه مديراً للخرطوم ويدعوه لاستلام منصبه فوصل الرسول  
 مع رسول قادم من المهدي بكتابين لعوض الكريم وسائر أفراد اسرة ابني  
 سن فاخلى عوض الكريم وأسرته برسول غوردون وسألوه هل جاء معه  
 بجنود فقال لا ولكنهم سيجيئون فثما عوض الكريم التراب على رأسه  
 وقال يا ضيعة الأمل ثم كتب الي غوردون بخرج موقفه وعدم قبوله هذا  
 المنصب وأرسل اليه بالكتابين اللذين جاءه من عند المهدي وزاد ان البطاحين  
 يسافرون بكثرة الى بربر ليساعدوا داعية للمهدي قدم اليها ولا بد انهم  
 يتغلبون على بربر وان بقي في هذا المكان انفع لك من قدومي الى الخرطوم  
 اذ لا بد لي ان اظاهر أية نجدة تتقدم اليك من شرقي السودان فوقع رايه موقع  
 القبول والاستحسان عند غوردون فاقره عليه وهاهي صورة ما جاء في الكتابين

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
 العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي أحبابه في الله واعوانه على سكة

لهذه القبيلة وقبيل وفاته قدم القاهرة وقدم لاختديو اسماعيل باشا هدايا كثيرة  
وتوفى بالقاهرة بعتة خلفه ابنه عوض الكريم في زعامة قبيلته

ولما ظهرت دعوة المهدي كانت قبيلة الشكرية وزعيمها من أصدق  
القبائل ولواء للحكومة واجتمع منهم نحو عشرة آلاف مقاتل ساعدوا  
الحكومة على اخضاع الائمة التي أضرم نارها الشريف أحمد طه الذي تقدم لنا  
ذكر واقعته وقتله وشهد عوض الكريم وكثير من رجاله اكثر الوقائع مع  
عبد القادر باشا حامي وبالجملة فان هذه القبيلة حافظت على ولاء الحكومة ولم  
تؤثر تخرصات المهدي على عقول زعيمها وعشيرته أسرة أبي سن

ولما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس وانتشرت دعوته في السودان  
الاطوسط حوالى الخرطوم كانت قبيلة البطاحين التي تسكن غرب صحراء ربره  
قد دخلت في دعوة المهدي وقبيلة البطا حين هذه رحالة أيضا وما شيتها كاشية  
قبيلة الشكرية الا انها أقل منها نفوسا اذلا تبلغ نفوس قبيلة البطاحين خمسين  
الف نسمة ولسكن رجالها مشهورون بالقوة والاقدام وهم لصوص يقطعون  
الطرق في كل انحاء السودان فلا تكاد تكون عصبة لصوص أو قطاع طرق  
الا من البطاحين ولما دخلت هذه القبيلة في دعوة المهدي وقويت شوكة  
الداعية محمد بن الطيب البصير ابتعدت قبيلة الشكرية عن ضفة النهر وأوغلت  
في الصحراء الى قرب نهر اتره فاوعز ابن البصير الى قبيلة البطاحين بمنأواة  
قبيلة الشكرية والغارة عليها لسلب ماشيتها

وكان عوض الكريم يقصد من الدنو من نهر اتره مقابلة بيكر باشا  
حينما عزم على فتح طريق من مصوع الى كسلا ومنها الى الخرطوم حيث  
يخترق صحراء ربره ثم لما عاد بيكر باشا الى سواكن وفشلت حملته كانت عيون

على ولاء الحكومة وطاعتها ولو بقي من عساكرها واحد فاني اكون الثاني  
فاذن له غردون في العودة الى قريته واكد عليه في الاسراع بالقدوم وشيعه  
الى الباب

وفي اليوم التالي ورد على غردون كتاب من عبد القادر المذكور يقول  
فيه انني اُنصح لك ولمن معك من الموظفين ان تسلموا للمهدي المنتظر  
الذي من شك فيه فقد كفر وان النبي صلى الله عليه وسلم بشرني به منذ  
ثلاث وثلاثين سنة وقال لي صلى الله عليه وسلم انك تصير أحد وزرائه فتغيب  
غردون من هذا الكتاب وكتب منشوراً قال فيه من جاءني برأس عبد القادر  
ابن أم مريوم فله جائزة الف جنيه ولحق عبد القادر بالمهدي فعقد له لواء  
بالامارة على كل أهالي القرى المجاورة للخرطوم وفي يوم سقوطها دخل منزل  
محمود محي الدين أحد أعيان المدينة وقتل صاحبه وسبي نساء  
وجاءت هذه الحادثة من اللواتي آذن بان مساعي غردون ذاهبة ادراج  
الرياح وانها لا تجدي نفعا ولا تغني قليلا

### ذكر عوض الكريم ابن ابي سن

فلما ان غردون عين عوض الكريم ابن أبي سن مديراً للخرطوم  
واهداه لقب باشا وعوض الكريم هذا زعيم قبيلة (الشكرية) وهي رحالة تسكن  
شرقي النيل الازرق في صحراء (ريره) الواقعة بين نهرا تيره والنيل الازرق  
وماشيتهما من الابل والبقر كثيرة جداً وعدد نفوسها زهاء خمسمائة الف  
نسمة ورجالها مشهورون بالشجاعة وقوة الباس وعندهم من الخيول العربية الجيدة  
كثير وكان أحمد باشا أبو سن والد عوض الكريم مديراً للخرطوم وزعيماً

وانماء تجارتكم ومنى عليكم السلام اه وكان أهل الخرطوم يسمعون هذه  
الخطبة ودموعهم تنهمر من أعينهم حيث كانوا موقنين بان هذه سياسة  
خرقاء وأن المهدي سوف يتقدم نحوهم ويقهرهم  
ثم دخل عليه العلماء مسلمين وقالوا له إنا نصبح قتلي وأسرى في الغدان  
اتلفت شيئاً من الحصون وإن المهدي لا يلتفت الي شيء مما دعوته اليه ولا  
يرده عن بغيه غير جيش جرار وإن من حولنا من الاعراب متجهزون للوثبة  
علينا فإظهر لهم التردد ولكنه كف عن تخريب الحصون وتدميرها  
وعلى أثر ذلك هجر المدينة كثير من الناس قاصدين القطر المصري  
واستقال كثير من الموظفين ومنهم السكولونييل دي كوتلجن فتعجبت من  
اصرار غردون على رأيه الاول بعد ان رأي الخطر الذي أحدق بحياته مرتين  
في الطريق وعلم اجماع الآراء على عدم نجاحه

### ذكر عبد القادر بن أم مريوم

عبد القادر بن أم مريوم فقيه من أهالي القرى التي حول الخرطوم  
وأهالي هذه القرى كانوا يتقادون له ويعظمونه فقصد غردون توليته القضاء  
رجاء ان يؤثر بنفوذه على أهالي هاته الجهات ويتمنعها من الدخول في دعوة المهدي  
ولما وصل غردون الخرطوم وفد مسلماً عليه فآكرم وفادته وأحسن  
عليه بثلاثمائة ريال فأخذ يقول على رؤس الاشهاد ان محمد احمد كاذب في  
دعواه وان لم يكن مهدياً وبعد قبضه الثلاثمائة ريال قال لغردون اني ذاهب  
الى قريتي لا اعود بعائتي وعشيرتي فقال له غردون أخشى ان لا تعود فقال  
له أقسم بسبعة ايمان يعرضن على الله لا اعودن بعائتي وعشيرتي وانني أموت



الطاير على رؤسهم ثم أطلقت المدافع ثم صعد على المنبر ابراهيم بك مأمور الضبطية  
وأخذ يملئ عليه هذه الخطبة وهي « يا أهالي السودان عموماً ان الجنب العالى  
الخدوي يسلم عليكم صغيراً وكبيراً أحراراً وعبيداً انا وذكوراً وكذلك جلالة  
الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمي وامبراطورة الهند وانكم لا تجهلون  
شفقتي عليكم ومحبتي لاكم وقد ساءني ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب  
بينكم وتعطت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنتم من تادية فريضة  
الحج التي هي من أركان الاسلام وزيارة قبر النبي عليه السلام وقد أساء هذا  
الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم فاندبت من قبل حكومة  
جلالة الملكة لا كون واليا على السودان ومرخصا فوق العادة وقد صار  
فصل السودان عن مصر فصلاً تاماً وفوض الى الحكم المطلق وقد خابرت  
حضرة السيد محمد أحمد المهدي بفحوى مأموريتي واعترفت له بالسلطة المطلقة  
على السودان الغربي برمته على شرط ان لا يمد يده لغيره. هذا وقد الغيت  
جميع الاوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق وتجاوزت عن جميع المتأخرات  
من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وقد تجاوزت أيضاً عن ضرائب ثلاث سنوات  
منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات وأمرت باطلاق جميع  
المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنزع جنائياتهم وعزمت منذ الآن ان  
لا يكون أعضاء حكومتي الامن الوطنيين حيث انني اود تشكيل حكومة وطنية  
ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد عينت عوض الكريم اباسن مدير الاخرطوم  
وأحسننت عليه برتبة الباشوية ولى الامل بان العلائق ستصبح بيني وبين  
سلطان الغرب وثيقة العري وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون  
واتلافها وسحب الجنود منها لثقتهموا الى عمران بلادكم وحرث اراضيكم

من البر الى السفينة فقتلها العدو وأخذ يطلق النار علينا ويسبنا  
وبعد ان توسطت الباخرة لجة النهر قصصت على غردون أمر ذلك  
العسكري فتعجب وأثنى عليه وعلى مروءته وأظهر رغبة شديدة في مكافأته  
على حسن صنيعه

ثم تابعنا مسيرنا حتى وصلنا أم درمان فألفينا بها نقطة من الجنود قابلتنا بالحقاوة  
وأطلقت المدافع وبعد ان تفقدنا حصونها تابعنا سيرنا الى الخرطوم  
على ان غردون استشعر بان مأموريته لن تصادف نجاحاً وانه كان مخطئاً  
في قدومه بلا جنود وانه تسرع ولم يتثبت في ارسال تلغرافه الى السرافلن  
بارنج ولسكن كان عنده بقية أمل حيث كان ينتظر اجابة المهدي

### وصول غردون الى الخرطوم

ولما أبحرنا من أم درمان رست بنا الباخرة في ( المقرن ) أي نقطة  
اجتماع النيلين الابيض والازرق وبعد أن ادت الحامية التحمية العسكرية أخذنا  
نتفقد الحصون فسر غردون من متانتها وأثنى على العساكر وشجعهم ثم  
استأنفنا السير الى الخرطوم وهناك ألقينا العساكر مصطفىين والاهلين  
محتشدين فخرجت من الباخرة انا والكولونيل ستيوارت صحبة غردون فاندش  
الناس وقالوا أمن هؤلاء الثلاثة يخاف المهدي ويترك التقدم علينا ان هذا  
لشيء عجاب

ولما وصلنا الى سراي الحكمدارية وقف غردون عند السلامك ودفع  
فرمان توليته الي الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية فصعد  
على منبر الخطابة وقرأ فرمان بصوت مرتفع والناس منصتون لسماعه كأن

وأعرض عني كل الاعراض وما كاد يبلغ غرفته حتي أطلق علينا أولئك  
المتظلمون النيران وظهر السكمين على سفوح الجبل فاطلع غردون فرآي  
العشرة صاروا مائتين يطلقون النيران علينا ويسهوننا باقبح السباب فأخذ  
يضحك ويقول لي لا تؤاخذني يا عزيزي فوزي فقد بالغت في لومك مع  
ان الحق معك وأنا المخطيء

ثم انابعد خروجنا من بين الجبلين لم نر أحدا وعرجنا على مكان يدعى  
( ولد أبو حليمه ) فيه محطة للخشب الذي يوقد للسفن فالقت الباخرة مرساها  
لأخذ ما يلزمها من الخشب فالفينا بهذه الجهة شيئا كثيرا من الخشب في  
مكانيين متقاربين ولم نجد أحدا من الخفراء أو المتعهدين بجانبه فخرج نوتية الباخرة  
وأخذوا يحملون الخشب الى داخل السفينة وانا واقف أحثهم على الاسراع  
وخرج غردون وجلس في ظل شجرة تبعد عن النهر بنحو مائة ياردة

وبينا نحن دائبون على العمل لحث شخصا لم أكن رأيته قبل في السفينة  
فدنا مني وحياني فعرفته واذا هو جندي من جنودى الذين كانوا معي في خط  
الاستواء يعرفني جيدا ويعرف غردون فأجبت أن استطلع ما عنده من الاخبار  
فقطعت على الكلام وقال اننى عائد من حيث جئت انما جئت لآخبرك للصدقة  
القديمة بيننا بان سكان هاته الجهة سمعوا بقدمك مع غردون وسيهجمون  
عليكما في هذه اللحظة وانصرف مسرعا وعاد من حيث جاء فأمرعت الى  
غردون فوجدته غائبا في لجة أفسكار فابتدرته بقولى قم بنا بسرعة الى الباخرة  
فقد طرأ أمر يمنعنى من الكلام فقام معى مسرعا ولم يبدأ أقل مراجعة وضحمت  
بالنوتية ادخلوا الباخرة ولم نكد ندخل حتي هجم على السفينة عدد كبير فأسرعنا  
الى قطع الجبال وتأخر عن الدخول شخصان من النوتية لازدحام الطريق الموصلة

من الاهلين نفوراً منا حتي بلغنا ( السبلوكه ) وبينا كانت الباخرة تمخر الماء  
 عند جبل الرويان اللذين هما جبلان على ضفتي النيل يخرقهما النهر اذ  
 سمعت صياحاً في الضفة الغربية فامسكت النظارة المعظمة فابصرت بها  
 عشرة أشخاص ممتطين خيولهم يصيحون بقولهم ( نحن مظلومون يا أفندينا )  
 ثم أبصرت كميناً خلفهم يبلغ مائتي فارس يتوارون وراء الجبل وخيل لي من  
 هيئة ملابسهم المرقعة انهم عصاة يقصدون الوقعة اذا القت الباخرة مرساها  
 فقلت لربان الباخرة الذي كان ممسكاً نظارته أيضاً ان هؤلاء يقصدون البطش بنا  
 ونحن ومستخدمو الباخرة لا يربو عددنا على خمسة وعشرين رجلاً وان  
 غردون اذا سمع صياحهم الذي لم يكن الا خدعة أمر برسو الوابور واذا  
 رسا الوابور وقمنا في حبالتهم بلا ريب ولا سبيل لا قناع غردون بسوء  
 قصدهم كما انه لا سبيل لنجاتنا الا بشيء واحد وهو أنه اذا أمرك بايقاف الباخرة  
 تعتذر له بان هذا الشاطئ مملوء بالصخور ولا يمكن الرسو فيه فتردد الربان  
 في قبول ما أشرت به عليه وقال لي ان أمرت برسو الباخرة امتثلت الامر  
 فاخذت ألح عليه وبينا نحن في المحادثة خرج غردون من غرفته وما كادت  
 اذنه تسمع الصياح حتى أمر الربان برسو الباخرة فامتثل ولم يلتفت الى  
 ما حدثته به فقلت لغردون ان هذا مكان قفر وليس حوله قرى وانني أرى  
 وراء هؤلاء الصائحين كميناً والأولي بنا ان نعدهم بالنظر في ظلامتهم بعد خروجنا  
 من بين الجبلين فغضب غردون ولم يكثر بنصيحتي وقال لي أرى انك بعد  
 رجوعك للقاهرة فقدت ما كنت أعرفه فيك من الشجاعة والجرأة وأظن  
 ذلك نتيجة الانغماس في الترف فقلت له لم يكن شيء مما رأيت وظننت بل  
 انني رأيت الحكيم وهو ما دعاني للريبة في أمرهم فازداد غضبه ودخل غرفته

انتظارنا وكنا كلما مررنا بقرية استقبلنا أهلوها بالابتهاج والفرح وكان  
 غردون يوزع عليهم الملابس والدرام وبعد مسيرة خمس مراحل وصلنا بربر  
 فالفينا بها شزيمة من العساكر مصطفة في انتظارنا ثم أطلق واحد وعشرون  
 مدفعاً ترحيباً بقدوم غردون وبعد الاستراحة في سراي المديرية ابتدئت  
 المقابلات فدخل عليه قناصل الدول وحادثوه في شأن مأموريته ولم يخفوا  
 عنه ما داخلهم من الارتياح في نجاحه فقابل تصريحاتهم بعدم الاكتراث  
 ثم دخل عليه موظفو الحكومة فكانت آراءهم كآراء القناصل فقال لهم  
 ان الجنود على اثرى قادمون من مصر ثم دخل عليه الاعيان فوعدهم بالاجتماع  
 عنده بعد الظهر

وبعد تناول طعام الغداء عقد جلسة من الاعيان وكبار الموظفين للمشورة في  
 أمر المهدي فقال له الاعيان ان المهدي اشتدت شوكته وخضع له السودان  
 الغربي كله وان لديه من الاسلحة خمسين الف بندقية من طراز رامنجتون  
 وخمسين مدفعاً وانه لا يخضع أبداً لما جئت به الا اذا رأى قوة تضارع قوته  
 أو تربو عليها فقال لهم مهما يكن من أمره فان الحكومة الحديوية أقوى سيما وان  
 حكومة جلالة الملكة فيكتوريا تساعدها وانه لا بد من ان نقره عاجلاً أو  
 آجلاً ثم ختم أقواله بالقاء الاوامر المشددة على الكل بالاخلاق الى السكينة  
 والابتعاد عن الهرج وأسباب الفتن

### ذكر مغادرة غردون بربر

وبعد قضاء ثلاثة أيام في الراحة من وعشاء السفر أبحرنا من بربر  
 قاصدين الخرطوم على احدى البواخر وكنا كلما اقتربنا من الخرطوم نرى



فألقى عليهم غردون خطبة أبان فيها انه تجاوز عن كل المتأخرات لغاية سنة ١٨٨٣ كما انه تجاوز عن ضرائب ثلاث سنوات في المستقبل وانه أطلق لهم النخاسة وألقى الاوامر الصادرة بمنع هذه التجارة فقال له أحد شيوخ الاعراب انك عافيتنا من هذه الضرائب وانا لانا من أن يخلفك حاكم آخر فيعود الى جبايتها مادامت اسماءنا في بطون الدفاتر فقال له صدقت وسأصدر الاوامر باحراق هاته الدفاتر لزيادة الطمأنينة فشكروا ودعوا له وللخديو

ثم قال لهم وبعد مضي الثلاث سنين أنظر في تخفيض الضرائب وتنزيلها حتى تكون أقل بكثير مما هي عليه الآن ثم قال واني أحذركم من الركون الى المهدي الكذاب خصوصا وأنتم تعلمون انه دنقي كاذب في كل ما ادعاه وانه لا يقصد غير تقويم معاشه وتسليطه عليكم فصاحوا جميعاً بصوت واحد انا ندافع عن سلطة الحكومة بما ندافع به عن أبنائنا وانه يستحيل علينا ان نخضع لهذا الكذاب فشكروهم وأحسن على كثير منهم بالرتب والنياشين على ان ذلك كان منهم محض خداع لانهم كانوا يخشون ان يكون مع غردون جنود

ثم طير غردون رسالة تلغرافية الى السرافان بارنج يقول فيها ان المقابلة والمحادثة التي دارت بينه وبين الاهلين في أبو محمد تبشر بنجاح مأموريته وتزيد ثقته بالفلاح سيما وان الاهلين وعدوه بان يقبضوا على كل داع يقوم بدعوة المهدي بين ظهرانيهم

وقضى غردون جزءاً من الليل في مشاهدة الالعب التي أقامها الاهلون احتفاءً به وهي لعبة (الدلاوكة)

وفي الغد استأنفنا السير على ظهور المطايا الى بربر حيث كانت البواخر في

وأرسل ايضا على لسان البرق أمراً بتعيين الفقيه عبد القادر بن أم صريوم  
قاضيا لقضاة السودان

## ذكر وصول غردون الى ابو حمد

وبعد مغادرتنا كروسكو ظلمنا سائرين أربعة أيام بلياليها لم ندق الراحة  
فيها غير ساعتين في كل يوم وليلة وماؤنا وزادنا على ظهور المطايا لا يرى المسافر  
في تلك الصحراء القاحلة طيراً ولا وحشاً ولا شجراً حتي ألقينا عصا السفر عند  
آبار «المرات» وهي واقعة في منتصف الطريق بين أبو حمد وكروسكو وماؤها  
ملح لا يستقر في جوف شاربها حتي يأخذها الاسهال

وبعد استراحة ليلة وبعض يوم استأنفنا المسير قاصدين أبو حمد  
وبعد مسيرة أيام وليال أخرى وصلنا أبو حمد وهي أول حدود مقاطعة بربر  
من جهة الشمال وأول حدود اقليم دنقلة من الجنوب وسكانها يقال لهم  
(الباطاب والمناصير) وهم من جنس قبيلة الجميلين التي سنتكلم عليها بعد  
وبلادهم قاحلة وكلها مكسوة بالاحجار ولا قوت لاهلها غير ما يجلب الى بلادهم  
من محصولات البلاد الشمالية والجنوبية

ويحكى ان رجلاً من الباطاب كان يأكل نوعاً من الحبوب اسمه  
(قوسيل) فسقطت من يده حبة وكان الظلام حالاً فكافصرخ صرخة ارتجت  
لها جوانب قريته فנסل الناس نحوه يصيحون هل لدغتك أفعى فقال سقط  
من يدي ثور قوسيل فاصطكت أسنانهم وسقطوا على الارض لعظم تأثرهم  
لانهم يعدون الحبة كشور من البقر والقوسيل نوع من اللوبيا

واستقبلنا في أبو حمد حسين باشا خليفة مدير بربر ومعه أعيان المديرية

تخيل لهم ان غردون لابد أن يكون معه جنود يجبرون المهدي على قبول  
مثل هذا الامر ويمنعونه من التقدم الى الخرطوم على ان الامر الذي  
لامراء ولا جدال فيه ان المهدي كان يرضخ صاغراً لما رسمه له غردون  
لو كان هناك جنود ولو بضعة آلاف

### الخرطوم وغردون

ما كاد نبأ تعيين الجنرال غردون يبلغ الخرطوم حتي كان الاهلون  
المصريون في فرح شديد ظناً أن غردون لابد أن يكون قادماً بعناية كبرى  
من الحكومتين البريطانية والحدوية وانهما لا يتخيلان عن مساعدته بجنود  
يقدر بها علي ارقام المهدي ومنعه من التقدم اليهم فأرسلوا اليه بالتلغرافات  
وفي كلها التنويه بأنه محط الآمال

وأرسل علي لسان البرق منشورات فيها الاعتراف بسلطة المهدي علي  
السودان الغربي وانه عين من قبل الحكومة البريطانية الخ ما جاء في  
خطابه الي المهدي

وزاد انه تجاوز عن المتأخرات من الضرائب والاموال الاميرية وتجاوز  
عن ضرائب ثلاثة أعوام في المستقبل

وأرسل تلغرافاً بفصل حسين سري باشا من وكالة الحكمدارية وتعيين  
الـكولونيل دي كوتلجف بدله وهو انكليزي كان في الخرطوم منذ سنة  
بهمة سرية

وأرسل تلغرافاً ايضاً بتعيين عوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية  
مديراً للخرطوم وسنأتي علي ترجمته وأخباره بعد

## ذكر كتاب غردون الى المهدي وهديته

قبل أن يفادر غردون كروسكو كتب كتابا الى المهدي ومعه هدية من نوع الهدايا التي تقدم لمشايخ الاعراب كالبنش وغيره وخوى الكتاب كما يأتي بالايجاز « اننى اعترف بك سلطانا على السودان الغربي كله وملكاً مطلقاً على كل اقاليمه التي هي كوردفان ودارفور وانني لما بلغني ما اصاب أهالى السودان من سفك الدماء وتوالى الحروب خامرني غم شديد ولذا قد عينتى حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمي وامبراطورة الهند واليا على السودان وصدقت على ذلك الحضرة الفخيمة الحديوية وانني من صميم فؤادى ارغب توثيق عرى العلائق الودية بينى وبين سلطنتكم وأرجوان تسمحو باعادة المواصلات التلغرافية وأظن ان أدوات ذلك قد تلقت فى غضون الخطوب وقد أصدرت الاوامر الى مركز الحكمدارية بأن يعطى لاكم كل ما تتطلبونه من أدوات التلغرافات وأن يستقبل رسولاكم كما يستقبل أعظم سفير وقد داخلنى حزن شديد لما علمت بقطع طرق السودان الشرقى التي جاءت حائلة بين المسلمين وبين مكة المكرمة التي يقصدونها في كل عام لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام فهما بنا لفتح هذا الطريق والقاء السلاح لنشيد أركان الراحة ونوطد دعائم السلام

هذا ملخص خطاب غردون للمهدي وسنأتى على اجابة المهدي عليه بعد وقد طير رسالة برقية الى الحكمدارية يأمرها باستقبال سفير المهدي باطلاق المدافع والزينات واعطائه كل ما يطلبه من أدوات التلغراف فقبولت هذه السياسة من الخرطوم بالدهشة والاستغراب ولكن الآمال كانت

ثم ركبنا باخرة في النيل الى أصوان وهناك قابلنا قسوس من الكاثوليك كانوا دعاة للنصرانية في السودان وهجروا الخرطوم لما أحسوا باحداق الخطر بها فقصينا معهم بضع ساعات كان غردون يسألهم في خلالها عن الاحوال فكانت أجوبتهم لا تختلف عما قاله عبيد القادر حلمي باشا لغردون

ثم غادرنا أصوان الى الشلال وركبنا باخرة هناك قاصدين كروسكو وبعد مسيرة يومين وصلناها فالتقينا الجمال ومعدات السفر كلها في انتظارنا فعينى غردون قومنداناً للحملة وأخذت في الاشتغال بتجهيز وحزم الامتعة حتي الظهر ثم أقيت التنبيهات على رعاة الجمال بأن السير يتبدى في الساعة الثالثة بعد الظهر وعدت الى الباخرة وأخبرت غردون بجميع الترتيبات وكان جالسا على ظهر الباخرة ومعه الكولونيل ستيوارت والجنرال جراهم أحد قواد جيش الاحتلال وكان عين لمرافقة غردون الى كروسكو ثم جلسنا نحن الاربعة لتناول طعام الغداء فقال غوردون للجنرال جراهم اني التمتست من الجانب الخديوى الاحسان على الكولونيل ستيوارت وابراهيم فوزي برتبة اللواء ليكون الاول وكيلى والثانى قومنداناً للعساكر البرية والبحرية فأجابه الجنرال جراهم بالاستحسان

وبعد الغداء طير رسالة برقية للجناب الخديوى بهذا الالتماس ثم امتطينا الجمال وغادرنا النيل في طريق الصحراء قاصدين آبار المرات التي هي منتصف الطريق بين « ابو حمد » الواقعة على ضفة النيل وبين ( كروسكو ) وسنعود الى هذا الموضوع في غير هذا المحل



## ذكر سفر غردون باشا

في مساء يوم ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٠١ في الساعة التاسعة مساءً أعد قطار خصوصي في محطة بولاق الدكرور ليقبل غردون باشا ومن معه الي أسيوط فازدحمت المحطة بالمودعين وفي مقدمتهم نوبار باشا رئيس الوزراء ومعه النظار وقنصل جنرال الدولة الانكليزية وعدد عظيم من ضباط جيش الاحتلال والموظفين الانكليز وبعض من رجال التشريفات الخديوية

واتصل بي ان عبد القادر حلمي باشا تحدث مع غردون يومئذ في شأن مأموريته وقال له انني أتوقع لك شراً مادمت قاصداً السودان بلاجند وأما مأموريته السلمية فاني أجزم منذ الآن بأن المهدي وأعوانه لا يقابلونها الا بالسخرية والازدراء على انني أقول لك لو كان معك الفاجندي فان أخبارهم تصل الي المهدي بغلو كثير وخصوصاً اذا ذاع ان جنوداً غيرهم قادمون لامدادك وفوق ذلك فاني أشك في وصولك الخرطوم سالماً فأجابه غردون على كل ما قاله بقوله ان معي الله وحده وخاطب عبد القادر حلمي باشا السكولونيل ستيوارت الذي ذكرنا انه سافر بمأمورية سرية الى الخرطوم في عهد ولاية عبد القادر حلمي باشا عليها واختاره غوردون لمرافقته بما خاطب به غردون فأجابه انني لا أشك في صحة كل ما قلته ولكنني رجل عسكري أطيع أوامر رؤسائي طاعة عمياء لان أقل احجام مني يعد جيناً واني لأرتاب في انني ذاهب لحققي بنفسي

وفي الساعة العاشرة سافر القطار بين هتاف الجماهير قاصداً أسيوط التي وصلناها في صباح الغد فاستقبلنا مديرها وتناولنا طعام الغداء على مائدته

فلم أتمالك نفسي ووقعت على قدميه وأنا أقول ( العفو يا أفندينا ) حتي انحنى  
على وأخذ بكنتي وهو يقول ( استغفر الله قد عفوت عنك وردت عليك  
رتبك والقبابك ونياشينك وكل ماجردت منه ) وكررها ثلاثا فوقفت على  
اقدامى مجلس وأمرني بالجلوس وأخذ يعاتبني وأنا لا أقول له غير « وكان أمر  
الله قدراً مقدوراً » ثم استدعي خيري باشا المهردار وقال له انني عفوت عن  
ابراهيم بك فوزي ورددت له كل ما سلب منه فدعاً له بطول البقاء وأمنت  
على دعائه وبعد برهة عاد ومعه البراءة والنياشين فوقف الخديوى على قدميه  
وسلمنى البراءة وقال لى اذهب الى منزلك وتقدم عسكرك لاقداك  
النياشين بيدي فذهبت وبعد برهة عدت فقلدني النياشين بيده وجلس وأمرني  
بالجلوس وقص عليّ خوي الشهادات الحسنة التي شهد بها غردون عن  
سلوكي معه في الايام السالفة وأعرب لى عن أمله في نجاح غردون وأوصاني  
بطاعته وحذرني من مخالفته ووعدني بالالتفات ونوال الخيرات ثم انصرفت  
شاكراً بعد ان ودعني بأرق الفاظ المحاملة

ثم قصدت محل اقامة غردون وأنا متقلد نياشيني ومتحل بملابسي الرسمية فاستقبلني  
بالضحك الذي يشف عن زيادة السرور وأمرني بأخذ الالهة حيث السفر في  
الساعة التاسعة من مساء الغد من محطة بولاق الدكرور فعادت الى منزلي  
وأنا مشغول بأخذ الالهة للسفر ومقابلة المهنيين من الاهل والخلان

وقصصت على غردون كل مدار بني وبين الجناب الخديو من الحديث  
وكتب الى المالية بصرف مرتب ثلاثون شهراً مع نفقات السفر وفي اليوم  
التالى قبضت المال وتأهبنا للارتحال والحمد لله على كل حال

العرايين باقبح صورة وزاد عليه تبكيت الضمير حيث تذكرت ما كان من  
الجناب الحديو ونصحه لي بالابتعاد عن المسألة العراية وتذكيره لي بنعم  
والده على واني ان تابعت العرايين كنت مقابلا لهاته النعم بالعقوق والكفران  
فلم التفك الى الذكرى بل انعمست في الفتنة العراية وكان ما كان حتي كائني  
فقدت العقل وعدمت الرشد ولا حول ولا قوة الا بالله

ولما دخلت المعية السنية وجدت طه باشا ويوسف شهدي باشا جالسين  
في أودة التشريفات ومعهما كثير من الضباط فسلمت عليهم فلم يردوا تحيتي  
وظهر على وجوههم التقطب والعبوس والتفتوا الى محمقين ثم أداروا وجوههم  
يتغامزون علي فتقدمت وجلست بجانبهم غير مكترث بشيء مما أبدوه وبعد  
هنية دخل علينا زكي بك تشريفاتي خديو فاندesh لرؤيتي بهذا المكان  
ولكنه تجلدوا أخى ماخاره وحياني قائلا ( طيبين يامسيو فوزي ) فقلت  
له ( طيبين يامسيو زكي ) وبعد هنية أشار الي بالندنو من مجلسه  
وابتدرني بقوله . ألم تعلم يا أخى ان ضباط الثورة المطرودين محظور عليهم  
الجيء الي هنا فقلت نعم فقال وما الذي جاء بك فقلت أقصد التشرف بمقابلة  
الخضرة الفخيمة الحديوية فقال اني اخشى عليك من زيادة الغضب وألح علي  
بالعدول عن هذا القصد فشكرته وأخرجت له كتاب غردون فنظر الي  
العنوان وأسرع بإيصاله الي الحديو ثم عاد وقال لي على مسمع من الحاضرين  
ان الجناب الحديو يسلم عليك وبعد خمس دقائق تحظى بمقابلته فاندesh  
أولئك الذين لم يردوا تحيتي والتفتوا نحوى يرحبون بي بقولهم ( مرحباً ) فلم  
التفت اليهم ولم أرد تحية واحد منهم وقفات في نفسي واحدة بواحدة  
وبعد مضى الخمس دقائق دخلت على الجناب الحديو فوجدته واقفاً

البرآت والنياشين قبل وصولك الى بربر فقلت له لا يمكن ذلك ابدا ولا  
أرضى بمغادرة القاهرة قبل ان أحرز رضا مولاي الخديو وتحصل على العفو  
منه فاخذ يراجعني ويقسم لي الايمان المغلظة بصيرورة ذلك لا محالة فلم أقبل  
وما زال يراجعني وانا مصر على الرفض واخيرا استأذنته في الانصراف وعلامات  
الغضب ظاهرة على وجهي فقصدت محل غوردون وأخبرته بما جري بيني  
وبين نوبار باشا فاستاء وقال لي لم يكن اتفاقي مع نوبار باشا هكذا تم ركب  
عربيته قاصدا السراي الخديوية وتقابل مع الجناب الخديو وعرض على  
مسامعه طلب العفو عني فاجابه بان هذا مطرود من خدمتي ومعه من هم  
أرفع منه ومن هم دونه ولا يوافق العفو عنه دونهم فقال له يا مولاي انك  
جدير بالعفو عنهم كلهم فقال ولكن الظروف غير الجسدية وانني أعطيتك  
ضابطا بدله ولو من ضباط حرسى فالح غوردون في الرجاء وقال إنني رغبت  
مرافقة اثنين كانا معي وحضرا معي فتوحات خط الاستواء وهما ابراهيم  
فوزي وكاتبى محمد بك التهامى الذى أسفت لفقده البصر مما كان حائلا دون  
مرافقته لى وأخذ يسرد على مسامع الخديو الخدمات الجليلة التى قت بها  
معه من رحلة خط الاستواء والخدمات التى اديتها فى غضون ولايته على  
السودان فوعد الخديو بالعفو عني فشكره غوردون وانصرف وارسل الخديو  
يدعو الوزراء للاجتماع عنده

ولما عاد غوردون من السراي الخديوية قص على كل مادار بينه وبين  
الخديو من الحديث ثم دفع الي كتابا بالفرنساوية وأمرني بإيصاله الى الخديو  
فى الساعه الثانية بعد الظهر فحملت الكتاب وذهبت الى المعية اثناء فى أذبال  
الحجل وأعرض انامل الندم ولات ساعة مندم وتمثل لي ما فرط منى فى ولاء

المعظم وختم كلاس به بلزوم أخذ الالهة والاستعداد الى السفر فودعته  
وانصرفت بعد ان وعدته بأخذ الالهة ثم ذهبت الى نوبار باشا فأعلمني ان  
غردون بعث اليه بتلغراف كالذي بعث به الى وود باشا وكان حديثه معي كحديث  
وود باشا فانصرفت عنه بعد ان أكد عليّ في الاستعداد للسفر

وفي يوم وصول غردون باشا الى محطة سكة حديد القاهرة كانت غاصة  
بالمستقبليين من ضباط الانكليز وموظفي الحكومة ورجال التشريفات الحديدية  
ولما وصل القطار الذي كان يقبله استقبل بكل حفاوة وكرامة ولما  
وقع بصره عليّ تقدم نحوي وصاحني مخاطباً انك يا عزيزي متوجه معي  
الى السودان فسردت عليه ما لحقني من التجريد والطراد فطيب خاطري  
قائلاً سأطلب من الجناب الخديو العفو عنك وارجاع كل ماسلب منك  
فشكرته ثم قدمني لكل الذين استقبلوه من الانكليز وسرد عليهم تاريخ  
مرافقتي له في المرتين السابقتين ثم اركبني معه العربا الى منزل وود باشا حيث  
كان مدعواً الي مأدبة هناك وبعد وصولي لهذا المنزل استأذنته في الانصراف  
بعد ان أكد عليّ في العودة اليه في الغد

وفي نحو الساعة التاسعة صباحاً عدت اليه بمنزل وود باشا فقابلني بوجه  
باش وقال لي اذهب الي نوبار باشا لاستلام الاوامر بسفرك فقلت في نفسي  
كيف أستلم الاوامر بالسفر قبل صدور العفو وترددت قليلاً ثم امتثلت  
وذهبت الى نوبار باشا فقابلني بالاكرام واجلسني بجانبه وقال ان غوردون  
باشا مسافر على عجل وإنه يرغب مرافقتك له وانني أعطيك راتب ثلاثة شهور  
مكرب أمير الاي ثم انك لا تبلغ بربر حتي أكون قد التمتست من الجناب  
العالى الخديو العفو عنك وارجاع كل رتبك ونياشينك لك وسأرسل لك



غردون باشا بوظيفة حاكم عام على السودان ومنحه سلطة مطلقة . وكان هذا  
المرض في شهر صفر سنة ١٣٠١ هجرية

وفي منتصف شهر ربيع الاول أعلنت الحكومة رفض هذا الاقتراح  
ثم لم تمض بضعة أيام حتى تلقينا من مصادر الاخبار الرسمية نبأ مغادرة  
غردون لوندرة قاصداً القاهرة حيث أمر بتقديم نفسه لجناب السرافلن  
بارنج قنصل جنرال انكلترا في مصر

وفي يوم ٢٦ ربيع أول سنة ١٣٠١ كان وصول غردون القاهرة وفي  
اليوم التالي اجتمع بالسرافلن بارنج وتلقى منه كل التعليمات التي يجب عليه اتباعها  
في مأموريته

## ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبة والقباه

ونياشينه اليه ومرافقته غردون الى السودان

قصص في أول الكتاب ما أصابني من تجريدي من رتبي والقباه ونياشيني  
التي أحرزتها في إبان مرافقتي لغردون في خط الاستواء لما كان حاكماً على  
الاقاليم الاستوائية وقد مضي على نحو سنة ونصف

وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٠١ جاءني خطابان أحدهما من الجنرال  
وود باشا سردار الجيش المصري والآخر من نوبار باشا رئيس الوزارة  
يرجوني كل منهما ان اقبله في الغد فذهبت الى السردارية وقابلت وود باشا  
فأخبرني ان غردون بعث اليه بملغراف يعلمه بعزمه على مرافقتي له في  
العودة الى السودان فأجبت به بأني مطرود من خدمة الحكومة فقال  
انني لأجهل ذلك ولكن غوردون سيمطالب لك العفو من سمو الخديو

من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن المسكنة العظمى وكل ذلك  
خير لك ابدى حتي ظهرت خيانتك وتصميمك علي النفاق بمكاتبتك لغردون  
واظهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكايذ واظهارك  
له ان جماعتنا اكثرهم مرضي جائعون لا يقدررون على حرب شهر كل ذلك ظهر  
عند ضبط صالح شنوده لحياته أيضا فمن الآن وصاعدا ان تبت من سريرتك  
بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضررك عند  
الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لئلا يظهر لنا على سميتك اوبخبار  
من الغيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من الخضر عليه السلام وان  
لم تب من سريرتك وبقيت على نفاقك كذلك فلرب ان يظهر لنا فتزيد عذابا  
علي عذابك والآخرة أشد عذابا وأشد تنكيلا فان أراد الله بك خيرا أيهدك  
وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في  
الدنيا والآخرة تصمم علي ما أنت عليه من النفاق ولا نقل ان الهداية التي  
تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما رؤي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا  
علي وجهك فان اهتديت من سريرتك ستري خير الدنيا والآخرة ان شاء  
الله تعالى والسلام ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢

### ذكر عودة غردون الي السودان

لما سقطت وزارة شريف باشا وخلفتها وزارة نوبار باشا كانت الحكومة  
الحدوية في ارتباك فقدت معه كل تدبير وذلك انها كانت لاتكاد تقرر شيئا في  
السودان حتى تنقضه قبل أن يمض على تقريره يوم أو بعض يوم  
وبينما هي في هذه الحالة عرضت عليها الحكومة البريطانية تعيين

ثم أرسل له كتاباً وهو في سجنه يقول فيه ان رئيس الحراس لما أخبره لم يلبثت الى اخباره بل كان يتوقع أنه سيحسن إسلامه بعد مواجته له وشرح له مسألة القبض على صالح شنوده وقال له انك اذا ثبت في سريرتك ورجعت عن غوايتك لا بد ان يأتيني خبر من الغيب عن ذلك ولا بد ان النبي صلي الله عليه وسلم أو اخضر يخبرني بامرئ وبقي لبثت في اسوء عذاب وسنعود الى نتم اخباره حتي وفاته

وكان سقوط بحر الغزال في أواخر شهر جمادى الأخرى سنة ١٣٠١ هجرية وهاهي صورة كتاب المهدي الي لبثت بك نقلا عن كتاب المذهورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي عبد الله المسلماني وقاه  
 الله السوء وجعله من أهل التداني كان سابقا أخبرنا الاخ الصادق وفي  
 العهد الذي جاء صحبتكم من كوردفان بانه أظهر لك انه لم يكن راضيا بالمهدي  
 وقصد بذلك الوقوف على حقيقةك فأعلمته بان التسليم الذي حصل منك  
 ليس على غرضك وانما هو لعدم الموازر على الحرب لاجل أن العساكر التي معك  
 سلمت جميعها وأظهرت النفاق معها وانك على ما أنت عليه من الكفر  
 ومراكنة الترك فنصحننا عن ذلك أملا في أنك ان لا قيتنا يصف ايمانك ويتم  
 تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذا كرتك وأعلمت ان أمرنا هذا  
 الهى وان الله اذا أراد أمرا مضاد ولم تنفع في مقابلته مدافع ولا جيوش انك لا  
 ولا غيرها ولا بواير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصفي  
 معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الابد وتكون

وكان مع لبتن بك نحو الف وخمسمائة جندي جملهم من « الخطرية » أخذوه  
ولحقوا بكرغساوي ولم يبق معه غير عدد قليل من المصريين من الضباط  
والموظفين وهبّ الأهلون المبيدوا وعلنوا دخولهم في طاعة كركغساوي ومنعوا  
وصول الأتوات إلى لبتن فاضطروا ومن معه من المصريين إلى التسليم بعد أن  
استأنوا كركغساوي فأمّنهم ثم قبض عليهم وأذاقهم عذاباً مرّاً واستصفي أمّوالمهم  
وهتك أعراضهم ثم بعث بهم جميعهم أسراء للمهدي

وفي غضون مسيرهم في الطريق استأنس رئيس الحراس بلبتن بك  
واسراليه أنه ينبض المهديّة ويبطن الولاء للحكومة ولا ملبتن بك على خضوعه  
بغير مقاومة فكشف له دخيلة أمره وقال انني لم أسلم إلا لما رأيت جندي  
خذلني والتف حول عدوي ولولا ذلك لدافعت حتى آخر نسمة من حياتي  
وعندي أن الموت أفضل من الوقوع في يد هؤلاء البرابرة المتوحشين

ولما وصل لبتن بك إلى المهدي أخبر رئيس الحراس المهدي بما دار بينه  
وبين لبتن بك من الحديث فأسره المهدي ولم يطلعه

ولما سمع لبتن بك بقوم غردون إلى الخرطوم كتب له يعلمه بأمر تسليمه  
ويشرح له الأسباب التي تقدم لنا إرادتها ودفع الكتاب إلى قبلي اسمه  
صالح شنوده كان كاتباً في بحر الغزال

وكان لبتن بك لما قابل المهدي اعتنق الإسلام على يده فسماه

عبد الله

وغادر صالح شنوده معسكر المهدي قاصداً الخرطوم فقبضت عليه  
طلائع المهدي وأعادوه إلى المهدي فأخذ ما معه من الكتب وعذبه حتى أطلعه  
على الحقيقة فزجه في السجن وقبض على لبتن بك وسجنه وبالع في تمذيبه

أنفسهم وأسلحتهم فلم يلتفت الي شيء مما اشتراطه على نفسه بل قبض على منصور أفندي ومن معه من الضباط والموظفين المصريين وعذبهم عذاباً ألماً ليدلوا علي أموالهم وأخذ نساءهم وبناتهم غنيمة له ولانصاره ولم يس أحدًا من السودانيين بسوء

ولما دانت له البلاد بالطاعة تقدم نحو حفرة النحاس وضم الي جنده من فيها من النحاسين وأرسل للمهدي بالوف من الارقاء وبخمس ماغنه من أموال المصريين وبناتهم وأخذ في الالهبة للتقدم الي بحر الغزال

### سقوط بحر الغزال واسر لبتن بك مديرها

بحر الغزال هي البلاد التي تقدم لنا الكلام عليها قبل ايراد حوادثه وكنت أول حاكم ولي عليها باسم الحكومة الحديوية لما عينني غردون مديراً عليها فأعلنت ضمها الي الحديوية وقد سردت أكثر حوادثها الي خروج سليمان ابن الزير علي الحكومة بها وتولية «جسي باشا» عليها وقتل هذا الخارج له وإشيعاه واقصاء النحاسين منها

وأقول الآن بعد ان غادر جسي باشا بحر الغزال خلفه في وظيفته موسى شوقي باشا من الضباط المصريين وكان وكيله انكايزيا اسمه «لبتن بك» ثم عزل موسى شوقي باشا وخلفه لبتن بك

ولما استولى كرساوى علي شكا تقدم نحو بحر الغزال بخمسة آلاف مقاتل أويزidon وأرسل الي لبتن بك انذاراً دعاه فيه الي التسليم ومع الانذار كتاب من سلاطين باشا يختلف نحوه عن الكتاب الذي أرسل الي منصور أفندي حاكم «شكا»



وحفرة النحاس بالقرب من شكا جعلها غوردون مقاطعة ووضع فيها  
حامية وفيها معدن نحاس كبيراً تخرجت منه الحكومة شيئاً كثيراً الى عهد  
غوردون ثم أهمل أمره من خلفه من الحكام ونقلت الحامية منها وسيأتي  
ان الحليفة التعايشي اعطني بامرهم واستخرج منه شيئاً كثيراً من النحاس واكتشف  
معدنا للرصاص ومعدنا للكحل استخرج منهما شيئاً كثيراً

وكان في شكا أخوان نحاسان دنقليان يدعيان محمد وكرم الله كرساوي  
وفدا على المهدي بعد سقوط الابيض في قبضته وأخبراه بقدرتهما على نشر  
دعوته في «شكا» وحفرة النحاس وبحر الغزال ولما استولي على دارفور أشخصهما  
الى شكا في الف مقاتل فقد ما عليها وكان بها الصاغ منصور أفندي حسن  
ومعه اكثر من الف جندي جلهم من الجنود غير النظاميين يطلق عليهم اسم  
(الخطرية) أي المتطوعة

ولما صار كرم الله كرساوي على مقربة من شكا كتب الى الخطرية  
يعلمهم بقدمه وسألهم اللحاق به فاجابوا دعوته ولحقوا به واجتمع عليه نحو  
خمسة آلاف مقاتل من الدنقلين النحاسين فكتب الى منصور أفندي حسن  
يدعوه الى التسليم والدخول في دعوة المهدي وبعث له بكتاب من سلاطين  
باشا يخبره بتسليمه للمهدوية وتصديقه بدعوة المهدي وقد كتب هذا الكتاب  
بناء على رغبة المهدي

ولما وقف منصور أفندي على الكتابين توقف عن التسليم في بادئ  
الامر واستشار من معه الجنود وكانوا نحو ثلاثمائة فكرهوا ان يقاتلوا  
جميعاً وافقوا على التسليم وكتبوا الى كرساوي يسألونه ان يأمنهم على أموالهم  
واعراضهم فكتب لهم بهذا كله واقسم لهم بالايمان المغلظة على الوفاء فسلموا

هم الذين اختاروا فراق كل عزيز لاجل ذلك وهان عليهم فراق الوطن والاهل والاولاد والاموال لما ان حدها قريب ليس لها عند الله جدوي وانما يبقى ما اكتسبه العبد مما يقربه الى الله زلفي قال الله تعالى «وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفي» ولثلا يقف المؤمن مع ما ذكر عن ايثار الله وطلبه قال الله تعالى «قل ان كان آباؤكم وأبناءؤكم وأخوانكم» الخ واذا أراد المؤمن السفر لطلب الله ورسوله وايثار ما عنده وهجس له الاهل والبنون والاموال كفاه قول الله تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» وقول النبي صلى الله عليه وسلم «الهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال والولد» وان المؤمن يعلم من نور الايمان ودلالة القرآن ان الذي وجه وجهه له هو الذي يخلفه في أهله ولا يخفي عليه حالهم وفضل الله أوسع من فضله عليهم وهو أقدر من قدرته وأدلة ذلك من الكتاب والسنة متضحة ومثلث حبيبي لا يعرف باكثر من ذلك وما تعبت لك في النصيحة الا لارادتي لك الخير والسلام ربيع الآخر سنة ١٣٠١

### سقوط شككا وحفرة النحاس

«شكا» إقليم واقع في الصحراء التي بين بحر الغزال ودارفور وسكانه أعراب جل ماشيتهم البقر ويطلق على جميعهم اسم «البقاره» ومنهم قبائل الرزيقات والهبابية وبنو هلبه وغيرهم من قبائل البقارة

ولما استولى المصريون على دارفور افتتح غوردون باشا «شكا» وجعلها مديرية وكانت مملوءة بالنحاسين ولهم فيها شركات تقيم معسكرات يطلق عليها اسم (الديم) أي المعسكر وهي توالي الغارات على بلاد العبيد للسلب والنهب

حبيبي وقد كتبت لك سابقا لجودة فهمك وزيادة فطنتك فيما هو حقيقة بلا  
 تصنع لتجيب الدعوة الى الله وتنتفع قبل الناس ولكن حبيبي تعلم ان من  
 كبر وبلغ الغاية في الكبر عاد الى التسافل الى أن يكون أرذل من كل شيء  
 والصغير لا زال يزداد فلا تنظر حبيبي لكبرك في السن والعلم وصغري في  
 السن والعلم فانك تعلم ان الله يختص برحمته من يشاء ومن له نور ايمان  
 لا يخفى عليه مهدي بنظر نور الايمان وكثير من العلماء الاكابر الذين لهم سابق  
 سعادة رأوا ذلك فرجعوا عما كانوا عليه وأتوني نادمين وانك تعلم ان النبي صلى  
 الله عليه وسلم ما كان أصوليا ولا نجويا بل نبيا أميا وخصه الله بخاصية لا يعلمها  
 الا هو مع انه يتيم وبين أميين ولم يكن في آباءه ملك الى آخر ما استنبأ عنه  
 هرقل أبا سفيان ليري به الحقيقة والتأهل للنبوة فعرفها مما أفهمه به ولكن  
 حجه ما تعلمه من الملك والجاه والصيت وحب متاع الحياة الفانية ولم يغن  
 عنه ذلك شيئا كما تعلم ذلك فلا تتوقف لما تظن من قصوري فسلم الامر لله  
 واتقد لتسعد ولا تكن ممن حجه الجاه والمال الفانيان فانقطع عما عند الله  
 ولا تكن ممن حجه الكبرياء عن التواضع لله والانقياد للحق فانك تعلم  
 ان علماء اليهود والنصارى كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به  
 فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من مفارقة الجاه والرياسة وما يجبي اليهم من  
 الهدايا والقطائف التي يتمتعون بها في الحياة الفانية وقد ساعدوا الكفار  
 والمشركين لطلبهم متاع الحياة الفانية ولثلا يزاحموا الفقراء المساكين الذين  
 الذين خرجوا عن الجاه والمال واختاروا ما عند الله لاستحقاقهم لهؤلاء وتكبرهم  
 عليهم وبنظرهم لكبريائهم وجاههم وما يجبي اليهم من متاع الحياة الفانية أظلم  
 عليهم أن ينظروا عزة ما عند الله وان الشاكرين العارفين نعمة الله في الدين

يكون نور العلم معك حجة لك واني قد عدت وكررت لك الانذارات  
 والمواعظ التي تشهد حقيقتك بها وخاطبتك سابقا قبل كل الناس وخصصتك  
 بالحقيقة التي لا شيء بعدها وندبتك الى الاجابة لداعي الله فلم تجب دعوتي ونظرت  
 الى الثقل والسلائق المعوقة القاطعة عن الله ولحسن ظني فيك ومحبتى لك  
 في الله وارادنى لك البر والخير الدائم والنعيم السرمدي والملك السكبير عند  
 الله لم أياس من مخاطبتك ولم اتوقف عن دعوتك لاني مأمور بذلك المنهاج  
 على سلوكك قدم الحق ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الله  
 تعالى لارشاد امته وانت جدير بذلك لان أحوج ما يكون لك المال اليه  
 وغاية المعرفة بالله اجلال الله وتعظيمه والقيام بامرہ حيثما كان على الراس  
 والعين سيماوات من اكابر العلماء الوارثين قدم الشريعة المحمدية ومقتدي بك  
 فالى متى ترضي لنفسك التخلف عن اجابة الله ورسوله وترضي لها أن ترغب  
 عن ملة ابراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام حببي ان كنت كما ظننت فيك  
 من الايمان بالله واليوم الآخر فالماضي لا يعاد فبوصول جوابي هذا اليك اترك  
 المواطن والمساكن وجهها ولا تنظر لمال ولا ولد ولا أهل ولا أحد بل  
 لاتراع الا أمر الله ورسوله والمبادرة للهجرة ولرؤية الضر والنفع من الله  
 فقط كما ورد كتابا وسنة ولا تراع غزارة علمك وكثرة فهمك ولا تستحقر  
 طلبنا لك فعين ما عند الله الذي منه الحول والقوة وبادر لاجابتنا بهمة  
 وشفقة ولا تخش بعدها من عقاب ولا عتاب فانت في أمان الله ورسوله  
 وأماننا اذا طاعت الامر كما ذكرنا فلا نرضى عليك الا بالهجرة فقط دون  
 أمر آخر وما أراك أن ترضي بنير ذلك فأحسن بظننا فيك ولا تحوجنا الى  
 خطاب بعد هذا حيث علمت عز منا عليك بالهجرة فلا عذر لك أبداً عنها

لا يوفق له الا من أدركه الله بسابق سعادة لانه لا يهتدي الى معرفة حقيقته  
الا الاولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلي الله عليه وسلم وأما  
ما ذكرت في رسالك الى معلوم جواب كل كلمة منها في اصابة أمري لمن  
أنصف وكنت أردت ان أبين جواب كل كلمة ولكن قد علمت ان الهداية  
ليست من كثرة البيان وانك ان امعنت النظر بعد تصديقك بمهديتي  
وجدت جواب ذلك أوضح من الشمس كما علم ذلك كل من صحبني من العلماء  
على التصديق ممن هو دون علمك في الظاهر ولو علمت حقيقتي لما كنت  
تكتب لي ما كتبه ولما وسعتك الا المداونة لي على ما قلدني الله تعالى فتدارك  
عمرك فقد مضى ولا تؤثر على اجابتي أهلا ولا مالا ولا جاها لنفوز بالفوز العظيم  
والخير الجسيم ولا تعاون الظلمة بعد هذا فانه لا يخفك ما أحدثوه في الاسلام  
وقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم فيهم باخبار كثيرة ومثلك تكفيه الاشارة  
والسلام « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي سلم  
الشريعة المحمدية المستفيض من رحمة ربه بالعلوم النقلية حبيبنا وصفينا في  
الله على المحبة الايمانية الاصلية محمد الامين كان الله في عوننا ووفقه لمرضاته  
ولزوم طاعته آمين أما بعد فالذي نعلمك ايها الحبيب ان المتحابين في الله على  
منابر من نور يوم القيامة وأن من أراد الآخرة سعي لها سعيها وشتت شمله  
في الله ليكون من ابنائها وأهلها وبذل جهده في طلبها ليدرك ما فات من أمرها  
وقد أوتيت من العلم بها وبحقارة الدنيا وخسستها نصيبا وافرا ورجو الله ان



بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم  
 لسكننا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن  
 الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وأما عدم تسليم أهل الدولة من أول  
 الامر فانها حكمة أزلية ووقت تسليمهم علمه عند الله وفي ذلك اسوة برسول  
 الله صلى الله عليه وسلم حيث لم تسلّم له الملوك من أول الامر وقد حصلت  
 له صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاق عظيمة ومقاتلات كثيرة مع الاكابر  
 وعلماء اليهود والنصارى الذين كانوا يدعون انهم يكونون أول اتباعه صلى الله  
 عليه وسلم وكانوا يستفتحون به وكل ذلك وهو صلى الله عليه وسلم خير خليفة  
 الله عز وجل واني مقتف أثره ومهتد بنوره وقد أخبر ان الترك لا يطهرهم  
 الا السيف الا من تداركه الله بلطفه وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم ان الامة  
 تهتدى لى بدون المشقة التي حصلت له صلى الله عليه وسلم واتباعه واني مخلوق  
 من نور عنان قلبه صلى الله عليه وسلم وبشرني صلى الله عليه وسلم ان أصحابي  
 كاصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني  
 فان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء وقد يدخر الله للمتأخرين ما عسر على  
 المتقدمين ولكن لا يخفي عزيز علمك ان العلماء ينكرون كثيراً من أمور  
 المهدي لانه ليس على معتقدتهم الذين يظنونونه ولانه يخالف مذاهبهم فلههديتي  
 من الله دلائل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومما يخبرك بعدم معلومية  
 عين المهدي للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقوال عن أهل الكشف  
 والمعلوم ان ما علمه في ازله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة وقد وردت  
 فيه أحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف بل الحديث الصحيح ينسخه  
 الحديث الصحيح كما ان الآيات تنسخها الآيات والتصديق بالمهدي صعب

صلى الله عليه وسلم أرواح الذين أنكروا مهدي من الاولياء العارفين والعلماء  
 العاملين ووبخهم غاية التوبيخ وعدد عليهم النعم الدينية والدنيوية والظاهرية  
 والباطنية وما صرف عنهم من البلايا الحسية والمعنوية وقال لهم ما شكرتم  
 نعمة الله تعالى حيث أنكروتم مهدي فلان وقد اعطاكم الله نعماً فما شكرتموها  
 حيث لم تصدقوا بمهدي فلان وفلان هذا قد شكر نعم الله فولاہ عليكم واعطاء  
 المهدي فكيف تنكرون حصول المهدي له قالوا تبنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه  
 وسلم اطلبوا منه العفو فطلبوا مني العفو فمن له سعادة صدق باني المهدي  
 المنتظر ومن لا جعل الله له عوارض تصده عن التصديق بالمهدي لي وقد  
 دلت كرامات على صدق اخباري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن  
 لا تنفع السكرامات والآيات من أراد الله شقاوته وقد أخبرني النبي صلى الله  
 عليه وسلم مراراً أن من شك في مهدي كفر بالله ورسوله وان من عاداني  
 كافر وان من حاربنى يخذل في الدارين وماله وأولاده غنيمة للمسلمين وليكن  
 معلوماً عندكم اني لا أفعل شيئاً الا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الذي  
 حصل للترك فانه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني صلى الله  
 عليه وسلم بأسرار كثيرة الى آخر فتح البلاد بالدين والسنة وبدخ ما يحصل  
 فيها واني منصور دائماً على من عاداني واقسم صلى الله عليه وسلم باني منصور  
 ومنظور من الله تعالى وقد كشف لي يوم القيامة وان الترك الذين قتلهم  
 شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ويا مولانا الامام المهدي قتلنا من غير  
 انذار فاقول يا رب انذرهم وأعلمهم فلم يقبلوا قولي وتبعوا قول علماءهم وصالوا  
 على وحضر شاهداً على ذلك سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال لهم ذنبكم  
 عليكم الامام المهدي أعلمكم وأنذركم فما قبلتم وسمعتهم قول علماءكم فاقبل

النصح فيها ويدعوه الى التوبة فكان يجاوبه بالمغالطة والاستمالة وهذه صورة  
ما جاء في كتابين من المهدي له وفي أحدهما يقول ان البيان لا يهدي وانما  
الهادي هو الله ويقول في الثاني انك لا تجهل أن النبي صلى الله عليه لم يكن  
أصوليا ولا نحويا «الاول»

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى شيخ الاسلام المكرم والاستاذ  
المعظم الشيخ محمد الامين جعله الله من المكرمين لا يخفى على عزيز علمك وجليل  
فهمك ان البيان لا يهدي وانما الهادي هو الله تعالى وقد أعلم الله نبيه صلى  
الله عليه وسلم بان ليس عليه الا البلاغ وانه لا يهدي من أحب وإني قد كاتبك  
لظن الخير فيك وأعلمتك بالحقبة التي لا كذب فيها ولست فيها بمتحيل ولا  
بمتصنع وانما هو الحق الصدق الآتى من الله ورسوله فقد أيدنى الله تعالى  
بالمهدية الكبرى ومعلوم انه لا يكذب على الله ورسوله الا من لا خلاق له  
عند الله تعالى ومن يعلم علم يقين ان متاع الدنيا قليل لا يزن جناح بعوضة  
لا يؤثره ولو أثره على ما عند الله زال كأن لم يكن وأعقب عليه حسرة لا آخر  
لها فلا يؤثر جاء الدنيا على التقوي والاقتداء بالانبياء والاصفياء الا من لا عقل  
له واني عبد مسكين لا طاقة لى بقوام أدني شيء فلو لا اني على نور من الله  
وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدرت على شيء ولا ساغ لى  
ان أحكى شيئاً وما أخبرت عن النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبرت الا باصر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرنى صلى الله عليه وسلم باخبار ليست  
عند الاولياء ولا عند العلماء وقد قال تعالى «ويخلق ما لا تعلمون» وقد جمع النبي

القرآن الشريف قبل أن يبلغ الماشرة من عمره وانقطع لدراسة العلوم الشرعية على يد أستاذه الشيخ أحمد بن عيسى الأزهرى تلميذ مولانا الشيخ أحمد الدردير المشهور حيث قضى ثلاثاً وثلاثين سنة في صحبته وتلقي العلوم عليه ثم عاد إلى وطنه بالسودان واليه ينسب انتشار العلم في تلك الاقطار وكان الشيخ أحمد بن عيسى بحراً زاخراً في جميع العلوم العقلية والنقلية تقياً ورعاً له قدم راسخ في الصلاح

ولزم الشيخ محمد الأمين أستاذه حتى نال من العلوم نصيباً وافراً وظهر عليه النجاح والذكاء فلقبه أستاذه بالبصير عكس الضير ولما ولي جعفر مظهر باشا حكمة دارية السودان رفع منزلة الشيخ محمد الأمين وعينه رئيساً لعلماء السودان وكان يقول لا يفتى وأمين بالسودان تنوياً بما عرفه من فضله ووزارة علمه في فقه المالكية

ولما ظهرت بدعة المهدي كان أول من تصدى لتكذيبها فالف نصيحة ملأها بالأدلة الشرعية على بطلان مادعاه المهدي وشفعها بأثبات امامة مولانا أمير المؤمنين السلطان «عبد الحميد خان الثاني» وأثبت نيابة المغفور له الخديو محمد توفيق باشا واستنتج أن المهدي خارج على الامام وسرد الأدلة الشرعية التي تدل على رسوخ قدمه في الشريعة المطهرة وسيأتي ذكر تلك الرسالة وغيرها من رسائل العلماء التي ألقت رداً على المهدي في غير هذا المكان

وكان المهدي شديد البغض للشيخ محمد الأمين حتى كان يعبر عنه بقوله أعمى البصيرة الذي أضله الله على علم وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة

وقد تبودلت بين الشيخ والمهدي خطابات عديدة كان الشيخ يحضه

فقبض التعاشي على الشيخ الحسين وزجه في السجن وبعد أيام أطلقه بعد أن قاسي من العذاب أشده وأخذ عليه اليهود بعدم العودة الى مثل هذه النصيحة وقال له في عرض كلامه سبب سلامتك أن تنسي كل ما تعلمته من العلوم وتصير كأنك لا تعرف كلمة واحدة منها وأن تتعلم من علومنا ولا تقرأ من الكتب غير منشورات المهدي لأن كل الأحكام والشرائع التي كانت قبل ظهور المهدي قد نسخت بظهوره فأجاب الشيخ الحسين على هذه الأقوال بالسمع والطاعة

ويذهب بعضهم الى ان الشيخ الحسين كان ذا نظر سياسي أعماه عن النظر الى مفتريات المهدي حيث يرى أن المهدي سيشتد دولة وطنية سودانية وحجة الداهيين الى هذا موجودة في هذه القصيدة حيث يقول وتقمع جمعنا الغرباء . وقد جاء هذه التلميح في مقام الاحتجاج على العلماء الذين تصدوا لتكذيب المهدي ونقض حججه الواهية وفيه رمز الى تبرير الوسطة التي انتجت هذه الغاية

وقال آخرون انه يقصد بالغرباء عبد الله التعاشي وقومه البقارة الذين خاف عاقبة تمكنهم من البلاد لأنهم غرباء وبلادهم واقعة جنوب دارنور وحاصل القول أن القصيدة تحتل تاويلات كثيرة ليس في وسعنا إيرادها كلها وسنعود الى بقية أخبار الشيخ الحسين وقتله قبيل فتح أم درمان

### ذكر انذارات المهدي للشيخ محمد الامين

الشيخ محمد الامين البصير رئيس العلماء بالسودان ولد بضواحي الخرطوم وأصله من قبيلة اسمها ( المحس ) فقد بصره منذ طفولته وحفظ



أظن تلك كرامة مأنوسة  
وهدي لدين محمد من يهتدي  
هم والذي برأ الوري هم لاسوى  
وفدا النفوس انا فاني دونهم  
هم كالنجوم هدي وفي الجدوى ندي  
ماذا الذي نفتاس من أفعالهم  
مادونهم مرمى مرید صادق  
فسوي خلائف احمد مهدي الوري  
الا الذين غدوا على آناهم  
ذاك الرفيق الزمه وارك غيره  
واعصم سقاءك بالوكاء من الظما  
واصب خيرك في الثري خوف الثوي  
واحلل أسيرك هاهنا إن تستطع  
خفض عليك فلا خطوب ترسل  
وعلى النبي وآله صلي الذي  
وكذاك سلم ذا العلاما أنشدت

لا والذي ضلت به الآراء  
وبه تخصص في الهدى الخلفاء  
كل النفوس لهم سواى فداء  
بى والذي برأ الوري ادواء  
بل الصدا مابعدهم اظلاء  
فقياسهم بسواهم اغواء  
هل بعد عرش الاستواء بناء  
كل الانام من الحيور فضاء  
أهل الولاية والصفاء الامراء  
ربط الجياد لغير ذاك نواء  
مافى القضاء امام قصدك ماء  
بين المنا وخطا الخطا بهماء  
ماي القيامة للاسير فداء  
طورا وطورا شدة ورخاء  
وصل الصلات فطالها العظاء  
برح الخفا ماالحق فيه خفاء

ولما اطلع المهدي على القصيدة التبس عليه فهمها وتردد في حل معمياتها  
فدفعها الي عبد الله التعايشي الذي اطلع عليها كاتبه فوزى بن محمود باديه  
فلم يهتد الي فهم ماأبطنه الناظم وغاية الامر انه قال لعبد الله التعايشي  
ان الناظم لا يقصد بقوله . جهل الولات أمات دين محمد . غيرك وانه ينصح  
للمهدي بتولية العلماء وإقصاء الجهلاء ويقول انهم أمناء وأنت وأمثالك خائنون

صالوا به وذويه بين حصونهم  
 شادوه بالحصن القوى وأيدوا  
 في كل مزغال شرارة بندق  
 وكروهم كالرعد بين صواعق  
 الله أكبر أن يرد وجوههم  
 ولجوه عمدا باختيار صادق  
 وقت بدمية أحمد ومحمد  
 فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم  
 وسموا خراطيم الشقا بحوازم  
 نوح الحمام تنوح غير موسد  
 تنشق بعد عبير عنبر مسكها  
 وبنات آرام ترامت من ذوى  
 فصل الطول هناك عن أسياقهم  
 وامرر بهم وعلى الديار خيها  
 واغش القبور بمنحة وهدية  
 واستجوب الاطواد صرعى بينها  
 وتخط خط النار تعرف خط من  
 والنار ترعى فى الجسوم كأنها  
 ما النار شأن النار أعجب ما أرى  
 عنها استفد خبرا وكن متبصراً  
 عبر تجل على قلوب ذوى الذكا

فى خندق غرت به الاذواء  
 بالنار من فى النار فهمى جناء  
 رام طوي من فى يديه خواء  
 للمسلمين وكل ذاك عداء  
 عن شأنه أو تمنع البأساء  
 ولهم يد فى فتكه خرقاء  
 مهديهم وجنوده شهداء  
 رام بهم ولهم بذاك سخاء  
 بيض بكت آثارها بيضاء  
 بعد الوساد وعينها وسناء  
 رمم الانام وذا التراب وطاء  
 أوج الملا ما عندهن غطاء  
 ورماحهم فى الكافرين رواء  
 ان الديار من الدمار هباء  
 ان القبور ببعضها شهداء  
 ماذا الرغام وفى النفوس اباء  
 مح الهدي لما نهاء شقاء  
 عشب لعمرى ان ذا لبلاء  
 تجرى بهم وجسومهم سوداء  
 فى أمرها وليعلم منك بكاء  
 به وتكسف بينهم ذكاء

فقد ابها يختال في حلل البها  
كم ارتقى من روض دانية الجننا  
طارحتها تحف الكلام فنوعت  
واذا نسيات الصبا دعت الصبا  
ترتاع ان هتفت بها من كوة  
عاش ابن سيناء جهده أوصافها  
دقت ورقته وارتقت في سكره  
كيف التواصل والقوى نهت السري  
فتنزلت حاجتها في سوح من  
وتركتها وكفي لقائي مرة  
تلك الذي جهد الزمان لوصلها  
حتى بالطاف المهيم من مكنت  
فقد ابها متصرفا في أهله  
ودعا بها لله دعوة قاهر  
فأجابه أهل النهى في طاعة  
وديار من ناوي الهدى منقضة  
حاكت بها يسري الشمال عجائبا  
في نان أيام الدنية عطلت  
في تاسع من رابع في الثان من  
والله دمر من طمني وأباده  
ولقد تبدد جسبه برماحهم

ولسكل شيء شدة ورخاء  
ثمر الرضي تدينه لي وجناء  
تحف الملام وهاجها ادلاء  
لوصالها تنصل الاعضاء  
سحرا لتجديد السلام رخاء  
بشفائه فاذا هي العنقاء  
بلمي شفاه دونه الصهباء  
اذ مسها من ضعفها الاعياء  
بمحولهم تنزل الضعفاء  
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء  
وله بذلك غدوة ومساء  
أغراضه منها يد بيضاء  
يعطى ويعنع من يرى ويشاء  
سمعت بعز مكانها العطاء  
سفكت بها قبل اللقاء دماء  
وسقوفها بين السقوف هواء  
شمالا تفتقه يد عسراء  
بيض المها وجواهر ونساء  
بعد المئين وللأمور مضاء  
حتى تولى قتله الضعفاء  
فكانه من خلقه أشلاء

ردوا علي أعينكم من شامت  
 مهدي أمة أحمد بنى لم تذر  
 فتنكرت من ذاك كل مقاصدي  
 مالى سواك وليس بعدى من حفا  
 وأرى على بوقت عدلك دائماً  
 وأنا المصغر بين ظهرانهم  
 لم تعرف الايام قبلك منزى  
 واستعملتى اليوم فى عاداتها  
 أجملت فيما لا أرى اجماله  
 ومواضع التفصيل دونى شأنها  
 فلسان حالى ألكنته فهاهتى  
 جهل الولاة أمت دين محمد  
 وتراكت ظلماتهم بين الوري  
 يا ابن النبي محمد وولييه  
 أنا عبد عبد أستعبد بدمتى  
 مابى استهانوا بل بشرع محمد  
 واماته الجم الغفير مهاجرا  
 فتناولنه من اللثام واعطه  
 واشترط عليهم ما أردت من الهدى  
 رسم ترقرق بالسنا فله الهنا  
 وكسته أثواب الرضا مهدي

لكن أجيدوا فالجواب شفاء  
 خلا يدوم له لدى اخاء  
 فاذا الجميع سوي علاك هباء  
 لكن بذاك جري على قضاء  
 بين الورى تكبر الاسماء  
 حسبي التصاغر انهم اكفاء  
 ولذلك لم يرفع على لواء  
 فأطعتهن ولى اليك رجاء  
 حقاً ولكن للامور مضاء  
 لعبت بها من دونى الاهواء  
 بعضال داء مالدیه دواء  
 وأهيله ماتوا وهم أحياء  
 لما اطمأن لهم ودام ولاء  
 وأمينه ماذا اليك مرء  
 أبدا اليك ولى هنا أعداء  
 فعليه من أثر الدمار حياء  
 وله بماء سمائك الاحياء  
 صنف الكرام فأهله العلماء  
 يعطوا العهود لانهم أمناء  
 اذ ناله بعد الفناء بقاء  
 تتلو المضرة أختها السراء

السابق ابن السابقين الى الهدى  
وبهم تبليج كل غصن مشعر  
تسقى بعذب رائق من أبحر  
وهي وجاد على الانام بما ترى  
بشري لنا بظهور مهدي الوري  
جمعت حذافير الولاء لنا به  
رفعت منه يد بقدرة قادر  
بمكانه الامن المؤبد وقته  
أنتم بامر كان من جد القضا  
وله الاشارة من ألتست بربكم  
ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا  
من يحفظ التنزيل من يدرى الذى  
من يحفظ الاخبار عن أهل النهى  
ويرد أشكال الامور لشكها  
ويرى القبيح بداية ونهاية  
مثل الذى فى بحر جهل ليله  
لاوالذى خلق النوي وهدي الوري  
علماء أمة أحمد ناشدتكم  
أرضي وترضون الضلال بعيدما  
ويخيب ظني فيكم وعشيرتي  
ونكون دون الدون من بين الوري

من معشر تجت بهم زهراء  
بحلاه تزهو روضة خضراء  
من فيضها ملأ البحور الماء  
من غيثه الهامى عميم سماء  
إيه ونعمي بعدها نعماء  
وعلى الجميع من الامام خباء  
فوق المباني ما عليه بناء  
والارض أرض والسماء سماء  
جار وقد حكمت به الاسماء  
طوعا له وليس مع العلماء  
نفسى لهم مما يشين فداء  
فيه ومن لم يدر ذلك سواء  
وتمين ذلك فطنة وذكاء  
ولها عليه من الثناء سناء  
ويروم أحسن ما الاله يشاء  
داج وأشرق ما يراه مساء  
وله وراء مماتهم إحياء  
ردوا جوابي انكم علماء  
ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء  
أنتم وتقمع جمعنا الغرباء  
كلتا يدي احساننا خرقاء



ولما ظهر المهدي على حملة الجنرال هيكس وفد عليه الشيخ الحسين  
فقابلته بالخفاوة والاكرام وكان الامل ينجيه بانه سيصبح في دولة هذا المهدي  
حائزاً لاسمي مرتبة ومتربماً على دست اكبر ووظيفة وما كادت تمضي عليه  
بضعة أيام حتى رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والمتعلمين ولا يتولي وظائفها  
غير الجاهلين فتولاه الياس مما رأي فيكتب قصيدة طويلة قدمها الى المهدي  
ظاهرها مدحه ونصحه بوجوب اسناد الوظائف الى العلماء وفي القصيدة  
مغامز كثيرة تدل على ما خمره من اليأس لما رأى ان اكبر وظيفة لدى المهدي  
مسندة الى أجهل رجل من اتباعه هو عبد الله التعايشي وقد اخترنا ايراد هذه  
القصيدة برمتها للاطلاع عليها وهماي بنصها

برح الخفا ما الحق فيه خفاء	وتوالت الآيات والانباء
فالامر جد والقلوب مريضة	والداء داء والدواء دواء
والحادثات مصاعق بمنابر	بعظاتها تتواضع الاشياء
والحق أظهر ان يرى بشواهد	لم لا وقد قامت به الاسماء
والشمس في أوج السماء من مغرب	بهرت عليها هيمية وبهاء
والبدر قابلهما فتم كماله	وتقلدت بعقودها الجوزاء
ودرار أفلاك الملادارات على	أقطابها فزهت بها العليا
وتسكملت في كل مجد أبجد	لما استقام زمانها الاشياء
مان ترى الا جميلاً زاهراً	بهرت في حل البها زهراء
وسقته من خمر الهوى بعيونها	ولي شقور شفاهها لمياء
بالآية الكبرى التي بظهورها	كل الرضي وانجابت الاسواء
مهدي رب العرش منتظر الوري	والي الولي والاكرمون وراء

من الطلبة السودانيين وتلقى دروساً في الفلسفة والطبيعات زادت قريحته  
 اتقاداً ثم عاد الى بلاده وفتح مدرسة في قريته وانقطع لافادة العلم فافاد  
 فائدة تذكر

وكان من عادة الحكومة ان تمديد المساعدة لكل الذين وقفوا  
 نفوسهم لتثقيف عقول الاهلين وإزالة جهالتهم مع ان جلهم ان لم نقل كلهم  
 يضررون اكثر مما ينفعون اذ هم اغمار لا يعرفون من العلم غير حفظ الفاظ  
 القرآن وقليل منهم من يحفظ متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني في فقه  
 المالكية ولم تلتفت الحكومة الى الشيخ الحسين بما تلتفت به الى اقرانه  
 فوغر صدره منها وعظمت سخيمة صدره عليها

ولما ظهرت دعوة المهدي وتصدى العلماء لدحض حجج منتحلها  
 واظهار تخرس مدعيها كان المتوقع ان يحذو الشيخ الحسين حذوهم وخصوصاً  
 فيما كان من ترهات المهدي الذي يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في  
 اليقظة وأمره بتلك الخزعبلات التي جاءت كلها ناقضة لما هو معروف من  
 شريعته صلى الله عليه وسلم وحسبنا ان هذه الدعوي مضادة لشرعية  
 المطهرة فلم يتصد الشيخ الحسين لتكذيبها سيما وقد كان مشهوراً بين الناس  
 بالورع والوقوف عند حد الشرع فجاء امره بالعكس حيث كان يحرض  
 الناس سراً على نصرته وموازرتة وقد ارسل له المهدي هدايا من المحظيات  
 اللواتي أصلهن حرائر مصريات استرقهن المهدي عملاً بفريته التي قال فيها انه  
 صلى الله عليه وسلم اخبره بان من أنكر مهديته كافر دمه مهدور وماله  
 وأولاده غنيمة للمسلمين فوطئهن الشيخ الحسين ولم يقيده بالشرع كما كان  
 يظن به الناس

فإن الرجل كان معروفًا باتساع الثروة وقبيلته الكبابيش أكبر قبيلة في السودان  
واكثرها ماشية ومالا

ولما استوثق أمين بيت المال بصدق الذين رفعوا اليه التقارير عرض على  
المهدي وجوب القبض على ذينك الاميرين وارغامهما ليؤديا الي بيت المال  
ما اغتالاه فرفض المهدي العمل بما أشار به أمين بيت المال تطيبيا لحاطر  
ذينك الاميرين اذ هو في حاجة لا كتساب مودتهما

وكان من جملة الغنائم عشرة دروع من الحديد قديمة جداً وعدد ليس  
بقليل من الخيول العربية وقسم المهدي النساء كجوار وخص عبد الله التعايشي  
بالنصيب الاوفر منهن وأطلق سراح الذكور من أولاده وتركهم في حالة يرثى  
لها من الفقر المدقع يسألون الناس في الطرقات وأبواب الدور ولا يجدون  
من يمن عليهم بكسرة خبز غير افراد قليلين من المصريين وكلما رأهم أحد  
من الدراويش يقول انظروا كيف صارت عاقبة ذراري الكفار الذين لم يصدقوا  
بالمهدي ويؤمنوا بدعوته ومات اكثرهم جوعاً في الطرقات وسيأتي بعد ذلك  
ذكر مصادرة أموال قبيلة الكبابيش وفنائها عن بكرة أبيها والدوام لله وحده

### ذكر قدوم الشيخ الحسين زهراء علي المهدي

الشيخ الحسين زهراء من قبيلة صغيرة تسكن قرية قريبة من «الحلاوين»  
عند مكان يدعى «وادي شعير» فارق بلاده في نحو العشرين من عمره ولحق  
بالقاهرة ومكث فيها اكثر من سبع سنين كان يتلقى العلوم في خلالها  
بالازهر المعمور وكانت ذذكاء مفرط وقريحة وقادة قل ان توجد بين  
السودانيين حتى قال مشايخه انه نابغة في العلوم المعقولة والمنقولة معاً خلافاً لمواطنيه

يصل اليك ولكن لا تقل ان القوام به بل ان القوام بالله وهو ضامن الارزاق وما على العبد المؤمن الا ان يسعى لنصيب الآخرة لانه لا نصيب له في الدنيا ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة لا عطاها المؤمن ولذلك قال الله «ولو لا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» والسلام

### ذكر نهب اموال التوم شيخ عرب الكبايش

ذكر ناقصة قتل التوم شيخ عرب الكبايش وبعد بضعة أشهر مضت على قتله أصدر المهدي منشورا بأن جميع ما كان يملكه صار حقا لبيت المال فانتدب محمد بن ادريس بن عمه والحاج محمد أباقرجه ومعهم نحو ألفي مقاتل فذهبوا الي ( جبره ) شمال كوردفان وقبضوا على اموال الشيخ التوم ونسائه وأولاده وعادوا الي الابيض وبلغ ما قبضه بيت المال اكثر من عشرة آلاف بدنة من الابل وثلاثة آلاف رأس من البقر ونحو عشرين قطيعاً من الغنم وبلغ ما ذبحه محمد بن ادريس والحاج محمد أبو قرجه لغنائمها وغذاء من معها من المقاتلة نحو نصف هذه الاعداد

ولما عادوا الي الابيض وسلموا ما بأيديهم الي بيت المال قدم كثير من رفقائهم تقارير لأمين بيت المال علم منها ان دينك الاميرين لم يقدموا الي بيت المال غير الماشية والاشياء التي لا يمكنهما اخفاؤها وانهما اخفيا كل ذي قيمة من الذهب والنفضة ويقدر ما تسرب الي جيدهما عدا ما تسرب الي جيوب انصارهما بعشرة آلاف أوقية من الذهب ونحو عشرة قناطر من الفضة ولا غرابة في ذلك

وفي اليوم التالي غدا ابوها الى صهره المهدي ودفع اليه كتابا مملواً  
بالاعذار وبسط الحاجة وسأله في آخر الكتاب مبلغاً من المال فاندھش  
المهدي من سخافة الرجل الذي كانه يطلب ثمن بناته فانصرف الى داخل  
بيته ووعد بالاجابة على كتابه فقدمت له المرأة كتاباً آخر من ايها وجد  
فيه ما في الكتاب الاول فلم يطق الصبر وخرج الى مكان جلوسه ودعا  
بدواة وقلم وكتب الى صهره كتاباً موجزاً نورد هنا صورته نقلاً عن  
كتاب المنشورات وهي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
من عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وصفيه محمد بن أحمد أم  
برير وفقه الله للخير ومن معه من الاهل وانجاء من ظلمة القبر حبيبي  
ان المعطي والمانع هو الله كما أن النافع والضار الله والناس أشياع لاقوام لها  
بقهاح ولا نجاه والمعلوم ان الجثة قيامها وحركاتها وتصرفاتها بالروح والروح  
من أمر الله واذا أخذ الله سره الذي هو الروح من الجثة وقعت والحركات  
زالت منها فمن هنا يعلم ان تصرفات العبد هي من الله اذ هي من الروح الذي  
هو أمر الله كما قال الله تعالى « قبل الروح من أمر ربى » فالؤمن يكون وثقاً  
بالله راجياً ما عنده وخائفاً منه فقط لان من نظر التوحيد بالحقيقة لا يري  
مع الله شيئاً من لا إله الا الله. ومن محمد رسول الله المخبر عن الله بمغيبات  
الآخرة من ان خيرها جسيم والدنيا لا تزن جناح بموضوعة وانصرف قلبه من  
الحسيس الذي هو الدنيا وما فيها الى النفيس الذي هو ما عند الله في الدار  
الآخرة فما عندكم ينفد وما عند الله باق. هذا وان المبلغ الذي ذكرته ان شاء الله



يعين ولا حرج عندهم من هذه العادة بل يتفاخرون بها وهي شائعة عن  
الجمليين أكثر من غيرهم وفي الغالب يقصدون بها الزلفي من حاكم ذي سلطة  
يرجى نواله ويتقى وباله

وقد قدم كثير من أعيان السودان بناتهم كمحظيات للمهدي وخلفائه  
وقواده حتى بلغ عددهن نحو مائة ومن هؤلاء محمد بن الحاج أحمد أم بربر  
ابن أخى الياس أم بربر فانه قدم بناته الثلاث هدية للمهدي وقال له على رؤس  
الاشهاد تمتع بهن ياسيدي الامام المهدي المنتظر فاني اهديهن لك وملكتهن  
اياهن فاجابه قبلت منك وانما لا يجوز الجمع بين الاخوات فقال له كيف  
لا يجوز وانما قد وهبت لك المتعة بهن فاعاد عليه المهدي قوله لا يجوز فانظر  
الى جهله المركب وتفرقته العمياء بين حرامين كأن وطأ الحرة بملك اليمين جائز  
دون الجمع بين الاختين أو الاخوات

وكان المهدي يتبسم من الضحك وامارات الفرح بادية على وجهه لانه  
كان يرى أن مثل هذه المنكرات من أدل الدلائل على أن القوم يحبونه ويتقادون  
له انقيادا أعمي ويتقربون اليه ببناتهم ولا يلتفتون الى تحريم شرعى كأنهم  
لا يحرمون الا ما حرمه وكأن كل حرام حلال عندهم

ثم قال المهدي للحاضرين مكانكم حتى اختار واحدة من البنات وبعد  
هنيهة عاد وقال قد اخترت كبراهن فخذ الاثنتين فقال أبوها لا آخذها بل  
اتركهما لتكونا خادمتين لك وما زال المهدي يرفض قبولهما والرجل يلح  
عليه حتى التفت الى جلسائه فرآى بينهم محمد بن عبد الكريم من اقاربه فقال  
قد وهبت إحداها لمحمد بن عبد الكريم ثم وهب الثانية الى أمين خاتمه عبد  
الكبير بن احمد الكنتاني

معه لهم منازل ونعم كمثل هذا فامض معي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة  
ونعما خفية فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة  
فيقول له لا تشفق فإن أصحاب المهدي يعملون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه  
وبعضهم يري بعض الكابر الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامهم مع مقامات  
أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيأت فإن أصحاب المهدي من علو درجاتهم  
لا نراهم فهم راقون مرقى عظيما وكثيرا يري أنهم يغبطون أصحاب المهدي  
ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله  
تعالى وبعضهم يستشفع بالأصحاب ويقول اطلبوا المهدي أن يجعاني من أخس  
أصحابه فاني راض برتبة أخسهم وافرح بها ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما  
روى في الجنة للأصحاب الصادقين فهيا أيها الاحباب ان القسوم الى ما عند  
الله قريب اه

وكانت هذه الشدائد في إبان عودة غوردون ويمكنني أن أقول لورافق  
غوردون لدي عودته جنود يحولون بين المهدي وبين الخراطوم لتحققت  
امنية عبد القادر حلمي باشا التي تقدم لنا ايراده اوهي ان ثروة كوردفان لا تقوم  
بحاجبة المهدي وجيوشه اكثر من سنتين ثم يعقبها ضيق شديد ثم تكون  
النتيجة انفضاض الناس من حوله وتكاثر الانتفاضات عليه من الاهلين وفي  
ذلك القضاء عليه وعلى دعوته قبل تمكنه من الاستيلاء على السودان برمته

### ذكر بنات محمد بن الحجاج احمد ام برير

لاهالى السودان عادة من اقبح العوائد واشنعها وهى ان الرجل يقدم  
ابنته أو من له الولاية عليها الى من شاء هدية يطؤها المهدي اليه كملوكة

وهذه الايام آخر أيامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد أنهما ضربتان والمشرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروي ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الفنائم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبَّح عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره أتريد ان نجتمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفتهم وصدق انابتهم لما عند الله انهم تنعموا نعمًا عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس منها ان بعضهم رؤى في نعيم عظيم وحوور وولدان وفرش وأسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا شيء اكرم الله به عباده المخلصين فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كاللدخان الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى وألذ أضعافا مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع لانساء الجنة نفحات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كشهين على أرض الجنة فيمشين على وجه الارض ويظرن ويزرن أزواجهن ويقفن معهم في الجهاد ويهللن لهم فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يستشهد قعدن معه يمرضنه الى ان يموت أو يطيب من الجرح \* وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحد الاخوان الأحياء انكم قد أنزلتم هذا المنزل الكريم وتنعمتم هذا النعيم العظيم فاين منازلنا ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين

فاستغاث بالله وبرسوله وبالمهدي فأدركه المهدي فخلعه ليخرجه فأمسكه حجر  
 لم يتركه يسلم حتي أقسم انه يعطى ثمن الازار فخلص ثم ان المذكور قوم الازار  
 بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك  
 فيأحبابي ان السعيد يخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء  
 ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه  
 الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة وأحد الاخوان  
 عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قبله فحبس من الدخول وصار  
 يصيح ويبكى من شدة الهول حتي خلس بعد نصف ساعة فدخل الجنة  
 والاهوال لازالت على الآخرين فصاروا يتخلصون واحداً بعد واحد على حسب  
 صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيمضي بعد ساعة وبعضهم بعد  
 ثلاث ساعات الى أن خلس آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك  
 اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فن ذا الذي  
 يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في  
 حكم العدم فيرتب بسبب ذلك هذا الهول الشديد والسكرب الذي يقف فيه  
 جائعاً عطشاناً نحو الاربعين سنة أو أكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلس بعد  
 نصف ساعة وحم أن لا يطلب في الدنيا مالا قليلا ولا جاها مادام فيها حياً  
 حتي يلاقى الله تعالى هذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمناً بالبعث وقرب  
 الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
 وعظيم فوزهم وملكتهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهوانها على الله وشؤم  
 ما تعقبه من الحسرة الطويلة فليجتهد لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات  
 وليصر من أبناء الآخرة مادام حياً ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقضت

في كيفية الغنائم والتجرد عنها لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من  
 حضر المذاكرة عزمتم على اخراج ما عندي من الغنيمة وهو أمة وحمارة  
 وقليل من الدراهم قال وبعد عزمي باخراجها ودفعها لبيت المال أخبره بعض  
 اخوانه بانك كيف تخرج هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن  
 يخدمك ان أخرجتها وأى شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وان  
 قام الامام للسفر لا بد أن تشتري بالجميع جملة تسافر عليه مع المهدي للجهاد  
 قال فطاوعت من ذاكرني من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج  
 المذكورات لبيت المال قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة  
 عبد الله يذكره فقال المذكور في نفسه لما فاتتني مذاكرة المهدي فليكن  
 الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال  
 فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم  
 يقول للخليفة عبد الله عند فراقه له لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي  
 يأمر بك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت للخليفة  
 عبد الله لاسمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا  
 من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الأمة التي من  
 الغنيمة فعدم اتيانك بها لبيت المال أنسأ علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة  
 عبد الله لاي شيء لم تتجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي انه قال تجردوا  
 فما لك لم تتجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت  
 المال ولو قرشاً واحداً ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم  
 تخضر لهم تماسيح تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتفرقه حتى  
 كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم . ( وبعد ) سأذكر البعض من الواقعات التي وردت في الغنائم وغيرها باختصار فبعد أن وردت الواردات في كيفية الغنائم وضررها بالابيض حكيت للاخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الي ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتمطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطيقوا الصعود اليها من علاقاتهم فأعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد الى الحضرة المذكورة وتم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين ويجلسني عنده فيما روى ويفرزيننا عوداً طويلاً أملس كأنه شعبة الخيمة الوسطى التي تقوم عليها وفي رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم ويزلق منها آخرون فلا يقدرزون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطاب لما عند الرحمن فأعلمت من تمطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عن ما عطلهم وتم حصلت أيضاً شجرة الصداقة في وقت آخر وطلب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات فوقها فصعدوا الا الذين أكلوا الغنائم فامتألت عليهم سمغا فكلموا أرادوا أن يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها ينزلهم السمغ الذي عليها وبعض من الاخوان الذين عندهم ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفاً على فوات مذاكرتنا للاخوان

الخلافة في كون القرآن ينسخ بالقرآن وبالحديث ينسخ القرآن وتزعمون اني  
مجتهد ولو كنتم مصدقين بمهديتي لما اهتمتموني حتى تقولوا ما قلتم فנסأل الله  
تعالى ان يمن علينا وعليكم بالثبات على الايمان السكامل فتوبوا الى الله جميعاً  
أيها الاحباب واسلكوا نهج أصفياء الله وأمناء دينه واصرفوا وجوهكم عن  
الدنيا وأقبلوا للواحد المتعال ولا تشغلوني بطلب الدنيا وكثرة السؤالات  
الخارجة عن مقتضاها وارفعوا حوائجكم الي بالصدق مع الاقبال ولا تعرضوا  
لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل  
زمان وأوان رجال وقد علمتم ان من صدق مع الله في بيعته في نفسه وماله  
فبمجرد بيعته خرج عن حكم نفسه فضلاً عن ماله فلا يفعل شيئاً بدون اذننا  
ومشورتنا هذا في خاصة نفسه وأما بالنسبة الي ماله وهو تحت يده أمانة الله  
ورسوله حيث بذله لله وصار ملكه لنا فلا يصح له فيه الانفاق في غير اقامة  
الدين خصوصاً الصرف والاسراف في المباهات كما علمتم والسلام

(ملحق)

وانه أحباني بعد هذه المواعظ والتذكارات وبيان الخيرات والاشرار وبيان  
طريق السلامة وقرب يوم القيامة فمن لم يتعظ ويهتد ويتجرد ويصف من  
الغنائم والاموال من الامراء فليصر عزله مع تجريده جبراً عن ما يضره فان  
الجاهل عدو نفسه كما علمتم انه لما حصل التذكير للاصحاب عندنا في غنائم  
الابيض قد أوعدنا بان من لم يتجرد من الغنائم ويصف من عطب الدنيا ويرغب  
فيما عند الله ويتوكل على الله وحده لا تصير له إمارة لكون امارتنا الارشاد  
لما عند الله والخروج من دار الملاهي واذا كان الداعي هالكا وميتا فكيف  
السلامة الاتباع فلا نولي ميتا لا يصلح نفسه والسلام

قريظة والنضير فتمنى ان يكون له شيء من ذلك يزيل به ضرر أصحابه وأهل  
 بيته فقال الله تعالى « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك  
 الى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم » الآية فمع انه صلى الله عليه وسلم  
 يري المجاهدين والمساكين أعطى أغنياء من أهل مكة لتأليفهم وضعاف الانصار  
 الذين لم يعرفوا ما حواد رسول الله صلى الله عليه وسلم من التآليف وعود  
 المصلحة على المجاهدين مما أعطاه وغيره من الحـكم فانه أولى لهم وقد فعل في  
 الاغنياء ما تعلمون مع انه حاصر هو وأصحابه مدة طويلة وغير ذلك مع انكم  
 في زعمكم بعم نفوسكم وبذاتم أموالكم فلم أمسكتوها ولم تسلموها لبيت  
 المان ولم تأكلوها وتنفقوها على أنفسكم في إقامة الدين حتي تنفذوها بل  
 تؤخرونها وتطلبون غيرها فانظروا الحالكم معي وحال أصحاب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم معه ولكن أقول ان الصحابة رضوان الله عليهم مسلمون لرسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فيما يأتي ويذر ويعلمون انه المبين للوحى تفصيلاً وانه  
 عنده من العلم ما لا يعلمونه وأنتم بايعتموني على المهدية وتزعمون أني خليفة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم واني لكم ناصح أمين وأولى لكم  
 من أنفسكم وأندري بصلاح شأنكم وما تعلمون ما ذا أريد ان أفعل فيما بعد  
 في الغنيمة ولا تعلمون ما يعلمه الله مما انطوت عليه سرائركم في الغنيمة  
 استحقاق لكم ولا تعلمون ما أفعله فيها وهذا الكلام كنتم تحكونه لي ولا تحكونه  
 بالحبيب أحمد وغيره وأولي ان كنتم انصاراً أن تعاونوني فيما حملت به من أمر  
 الحاقق وهذه الغنائم راقدة مدة طويلة اطلب الاصحاب في تفريقها فما وجدت  
 ذاهمة يقوم بأمرها وقسمتها مع انه ورد لي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 فيما قسم وفيما يخص بيت المال للمسلمين وتعلمون ان كنتم من أهل العلم

الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي كاهل بيته وأنتم تعلمون منع ذلك في كتاب  
 الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف تؤذونني في أصحابي وتقومون  
 قسمة الله تعالى لكم وتطلبون ما لم يكن لكم مع انكم ليس لكم حق  
 ولا نصيب لكم في مال الأبيض قطعا من جهة كونه غنمة لانه مما افاء الله  
 به علينا لكونها فتحت بغير قتال فماله كله في بيت المال خاصة وانما كان  
 أعطائنا لكم منه من باب الفضل والله حسان فقط وأما بالنسبة الى الصرف  
 فليس لكم فيه حق الا بعد العجز عن الجزئي والكل كما ذكرنا وبعدها  
 طهارة السرائر من التكذيب والجحود والانكار وحل عقدة سرائر  
 الاصرار وبعده التجرد معي لاقامة الدين حينما كان وبعد ذلك الرضا بقسمة  
 الله تعالى في القليل والكثير دون التشوف والتمنى الى ما فصل الله به بعضكم على  
 بعض في الرزق فانها قسمة أزلية كما قال جل من قائل « نحن قسمنا بينهم  
 معيشتهم في الحياة الدنيا » الآية فهو قضاء سبق كما في الحديث القدسي. أحبائي  
 انكم بايعتموني على المهدي وتزعمون انكم مصدقون بمهديتي وتعلمون الوقائع  
 التي حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد مما فعله رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فمعلوم ان في حنين أخذ أموال كثيرة مما غنمه من حنين  
 فاعطاه للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وكما لا يخفاكم انه قد بذل لآبناء مرضعته  
 حليلة أموال كثيرة مع ان المجاهدين غيرهم مساكين وضعاف وعطاياه صلى  
 الله عليه وسلم كثيرة حتى عرفوه بأنه يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وذلك  
 كله مع وجود المجاهدين كما تقدم آنفا وما ذاك الا بعلمه صلى الله عليه وسلم  
 وفيما رأي من أحوال الصحابة من الجوع والعري سابقا ومن الضرر الذي  
 لم يحصل على أهل صحبتنا في هذا الزمان فرأى أموال قریش وأموال بني

ادلكم على الله وانهاكم عنها وتطلبون الصرف من بيت المال ونسيتم  
 ما دعوتكم اليه حتى حملكم انكم تتهمونني بالتعريض بالمخاطبات وتورون  
 بالشيخ أحمد سليمان وانما فعلتم ذلك كي تطلبوا الصرف في زعمكم لاجل اقامة  
 الدين الذي لست أولى به منكم حيث طلبتم الصرف منا لاقامته وتشيده  
 ولو شاركتهموني في الدين وصرتم فيه مثلي لكان لكم ان لا تطلبوا الصرف  
 مني الا بعد العجز عن الكليات والجزئيات حيث انكم من جملة المجهزين  
 للدين والمطلوب حينئذ ان يكون المؤمن مع أخيه كالدين تغسل احداها  
 الاخرى وان المؤمنين بعضهم من بعض والمؤمنون أوليائي وأعواني حيث  
 يقول الله «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» واذا كنتم كذلك فاذا  
 صدق الايمان فليست أولى به منكم بحسب اتصافكم بهذه الشروط وأما  
 بحسب الاتفاق فيه فقد اتفق أبو بكر ماله وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة  
 فناء لانفسهم وأموالهم في نصرة الدين فقد صاروا لنصرة الدين مع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كنفسه بل انهم فدوه بانفسهم وأموالهم وأولادهم  
 وأهلهم برضى من انفسهم حتي انهم يقدون طعنة الشوكة لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بارواحهم فضلا عن الغير. أحبابي فانا لم آتكم ان تقيموا بي  
 دنياكم وتسالوني عن صلاحها وانما كان سؤالكم لي واجتهادكم معي فيما  
 حملته فقط مع مراعاة ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له  
 في كامل أحوالكم وأموركم ومع ذلك لما رأيت انه لا بد لي من اجابتكم  
 فيما طلبتم جعلت لرد ظلامتكم وقضاء حوائجكم اعوانا ولفصل قضاياكم نوابا  
 والجميع من بعضكم البعض فتركتم نوابي وأعواني وفضلتم تتهمونني بالتعريض  
 وتسبون أصحابي وأعواني وتؤذونني فيهم وقد بلغكم ان أصحابي كاصحاب رسول



وقسمتها فاجاب عليها كلها بمنشور نشبته هنا نقلا عن كتاب المنشورات ليقف  
القارئ على مراوغة المهدي وهربه من الحقيقة وبعد المنشور صورة حضرة  
يعظ فيها الناس وان الذين يخفون الغنائم سيصيبهم من العذاب ما يقطعهم  
عن صحبتته وكل هذه الاخبار موضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم انه من  
خليفة رسول الله محمد المهدي بن عبد الله إعلاما منه لسكافة أمرائه ونوابه  
وجميع عماله في سائر الجهات والاقطار مع جملة الفقراء والفقهاء والعلماء والعمار  
والتجار خصوصاً أحبابه وأتباعه المهاجرين والانصار متع الله جميع العاملين  
بها بالنظر الي وجهه الكريم في دار القرار اللهم آمين. أما بعد اعلّموا أحبائي انكم  
عندنا من الاصفياء الاخيار الناضجين بنظر أولى النهى والابصار واني قد  
وليت عليكم بولاية الله ورسوله لاقامة الدين وجنتكم داعياً الى الله ومبلغاً عنه  
ما حملته اليكم اقفوا آثار من سلف من المهتدين السالفين وعلى نهج سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ولم يكفنا الله واياكم باقامة  
الدنيا والسعي فيما هو مضمون وليس من عرفنا الاصفاء الى طلاب الدنيا  
لنأتي لهم بما فات منها ونجتهد لهم في مصالح تديرها فكل ذلك في أم  
الكتاب مكتوب ومختوم وانما قصدنا منكم جميعاً المعاونة في تقويم الدين  
القويم واني في ذلك كواحد منكم ولوددت ان لوقام به غيري وصرت من  
جملة اعوانه فما كان الا ارادة الله من تحملي باقامة الدين وقد بلغكم من  
الانبياء والرسل ما بلغكم من اعراضهم عن الدنيا ومباعدة أصحابهم منها مع ان  
الدنيا هي فانية وعند الله لا شيء وانها أهون عنده من جيفة بالية واني دواما

وتركوها للمهدي الذي يزعم ان ظهوره أغلق أبواب المعيشة في وجه الشياطين  
 واهمهم لالكونه المهدي بل لانه اكذب منهم ويفوق عليهم في المكر والخداع  
 ومن النكات المضحكة اني كنت أقرأ هذين الكتابين على أديب مصري  
 فقال لي ان صح هذا الخبر فلا بد أن يكون الشياطين رأوا المهدي قد فاق  
 عليهم في مقام الابلاس وتولي غواية الناس بما جعلهم يحسدونه على نجاحه

### ذكر جمع الغنائم وعسر بيت المال

كان كثير من الامراء واتباعهم اخفوا كثيراً من الغنائم ولم يسلموها  
 الى بيت المال فانتدب المهدي كثيراً من الامراء في كل البلاد التي خضعت  
 له ليجمعوا ما يثرون عليه في أيدي الناس ويواصلوا التمسك والاستعلامات  
 السرية عن حال الناس ليعلموا من كانت عنده أشياء من الغنائم فتذمر  
 الناس من هذه الحالة فاخذ يطيب خواطرهم باصدار منشورات عديدة في  
 ذم اخفاء الغنائم وتعالى في تلك المنشورات بما لم يعهد له مثيل  
 وقد كان المهدي وقتئذ واقعاً في أعسار مالية شديدة وما في بيت المال  
 لا يكفي نفقاته ونفقات أقاربه الذين كانوا يتناولون من بيت المال نصيباً وافراً  
 اذ كانت أعلى مرتباتهم خمسمائة ريال واقلها خمسون ريالاً فكتب اليه كثير  
 من القواد والامراء يعرضون باحمد سليمان أمين بيت المال وأنه يخص أقارب  
 المهدي بالعطايا الوافرة دون غيرهم وكان عبدالله التعايشي المحرك لهذه الحركة  
 لان أمين بيت المال كان لا يساويه في العطاء باقارب المهدي ويمنع أقاربه العطاء  
 فكتب المهدي منشوراً قال فيه انه مجتهد وانه يفعل ما يشاء وكتب اليه بعض  
 الناس بنصوص شرعية عن الواجب الذي يتعين اتباعه في أمر توزيع الغنائم

وبعد فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى الاخ في الله  
 خفر الدين ان أمر الخلافة من الله ورسوله الذي عرض لك كما كاتبتنا بذلك  
 وقلنا لك لما تأتينا نبين لك معني ذلك وانك اذا كنت سمعت هاتفا من قبل  
 الله باناجملناك خليفة في الارض فهو أن الله جعل كل أحد خليفة عن آباءه وكل  
 قرن خليفة عن القرن السابق قال الله تعالى «ثم جعلناكم خلائف في الارض  
 من بعدهم لننظر كيف تعملون» وقال تعالى «هو الذي جعلكم خلائف في الارض  
 فمن كفر فعليه كفره» ونظار هذه الآيات كثيرة وأما قوله جعلناك خليفة في  
 الارض فاحكم بين الناس بالحق فبعد أن عرفت ان الخلافة مجرد الوجود في  
 الارض بعد موت اهلها السابقين وقوله لتحكم بين الناس بالحق هو قوله صلى  
 الله عليه وسلم كلحكم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالرجل راع على أهل بيته  
 وأولاده يحكم بينهم بالحق ليزيل عنهم الفساد ويدلهم الى رب العباد ويكون  
 لهم خيرا فإما ما لهم كما تعالى «ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قررة  
 اعين واجعلنا للمتقين اماما» فقرة الاعين من الازواج والذرية هم المتقون وابوهم  
 امام لهم في تقوى الله وطاعته والقيام بالحق كما سبق في الحديث الآنف ذكره  
 وأما الرؤية النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبد الله فهو أن عبد الله دال  
 لجميع الخلق الى الله وهو خليفةنا على ذلك وانت خليفة على أهلك وذريتك واما  
 عبد الله في الباطن فهو المهدي لانه أول دال الى الله في آخر الزمان وانت خليفة  
 على أهل بيتك وذريتك فهذا بيان ما أشكل عليك وطلبت بيانه منا والسلام  
 ٤ شوال سنة ١٣٠١

وبعد اطلاع مدعى الخلافة على الكتابين قدم على المهدي فقبض عليه  
 التعاليشى وسجنه حتي مات واحجم الناس عن ادعاء مثل هذه الخزعبلات

والمرتدين وبعض من أهل العيان أنك قد تظاهرت للناس بالخلافة وتحكيها  
عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الله أظهرنا رحمة للامة وجعل هذا الامر  
منوطا بنا ومتوقفا علينا وأيدنا على ذلك بما لا ينكره الا كافر والحمد لله اذ  
جئت منيبا بلا سيف فرجو الله علي جوابك هذا ان يزيل عنك كل حيف  
ولكن حبيبي ان المؤمن المؤثر ما عند الله بسبب ايمانه لا بدان يبتليه الله تعالى  
على صدق ايمانه فان كان ما ادعاه من الايمان حقيقيا صبر ورضى واحتسب  
أجره على الله حيث ان النصيب نصيب الآخرة قال الله تعالى «أحسب الناس  
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله  
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» وحيث انك كابتنا بادعاء الحلة المطلوبة في  
الايمان فاعرض على عبد الله الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي  
بكر الصديق وأجلسه على كرسيه في أول تأييد المهدي وتواتر بذلك التصديق  
الي ان أظهر الله الدين بموازرتة وقد آتانا خبر من الحضر عليه السلام ان  
الاولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل  
عبد الله وزيره وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا  
بالفس والمكر والخداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا ان  
عبد الله وزير له وكان الخليفة غيره لكننا نجد في المهدي دخولا فالآن أعرض  
عليه قبل وصولك الينا فان كان صدقا يتضح وتصبر وترض فيما يحكم به  
عليك ثم بعد ذلك تلاقيني بالعفو والرضى وتكون من أصحابنا المقربين  
والسلام ٢ شوال سنة ١٣٠١ « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

التصديق ويقنع منتحلها بان الحضرات والاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم لا تكون لغيره ألبته وانه لا ولاية ولا كشف في زمانه وانه خاتم الولاية كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد حذر أرباب الطرق ومنعهم من اعطاء اليهود وابطل اجتماعهم واذكارهم ومن فعل ذلك منهم نكل به شرنكيل وما ذلك الا ليتفرد بالسلطة المطلقة في الامور الدينية والسياسية

وبعد مقتل الشيخ المنة بايام ادعي غلام من أولاد المشايخ المشهورين أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بانه خليفة الخليفة عبيد الله التعايشي وانه سمع هاتفاً يقول له انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالعدل. فاجابه المهدي بخطابين فيهما أن الخليفة عبد الله التعايشي هو في باطن الامر المهدي وفيه أن الحضرة عليه السلام رأي الاولياء مجتمعين في بيت المقدس يستبشرون بظهور المهدي ووزارة عبيد الله التعايشي له وأن الشياطين يقولون كنا نعيش بالمرء والخداع والآن لاعيش لنا لان المهدي ظهر ولو أشير بالخلافة لغير عبد الله لوجدنا في المهديّة دخولا وفي الكتاب الثاني تاويلات لما رآه مدعي الخلافة وهما صورة ماجاء الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفقتر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه نحر الدين حسن  
فقد بلغنا جوابك وتولناه وفهمناه وذلك مطلوب كل مؤمن شفيق ومن ينيب  
الى الملاء الاعلى وأحسن الرفيق وقد بلغنا عنك مرارا وتكرارا من الواردين



والحاصل ان اعراض السيد السنوسي عن دعوة المهديّة جعل أهالي  
( واداي ) و ( باقرمه ) وغيرهم من ممالك السودان الغربي أعداءً ألداء للمهدي  
ودعوته وسيأتي ذكر حروبهم للمهدوية وقيامهم لمناجزتها في السودان الغربي  
وعلى ذكر ممالك السودان الغربي نقول ان أميراً من أمراء بلاد  
( فلاته ) اسمه عثمان بن محمد فوديه كتب له المهدي كتاباً قال فيه ان النبي صلى  
الله عليه وسلم بشره بانه يكون وزيراً من وزرائه وانه يحضر معه في الحضرة  
فاجابه بكتاب طويل قال فيه انه كان حاضراً معه في حضرة فيها جميع الانبياء  
 والمرسلين والملائكة المقربين وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطاعة المهدي  
ونشر دعوته في السودان الغربي فسر المهدي بهذا النبأ ولكنه صادف مقاومات  
عنيفة من السيد السنوسي وكل ملوك السودان الغربي الزمتسه بترك هذه  
الدعوة والتبرأ منها بعد ان اتصل به نبأ موت صاحبها

### ذكر فخر الدين مدعي الخلافة

كان لنجاح المهدي وانقياد الناس له وتصدّيهم لما جاء به من الاباطيل  
والخزعبلات وقع سيئ عند كثير من رصفائه والذين على شاكلته وبدت  
عليهم علامة الندم على ما فاتهم من الفرصة لان منهم من كان مشهوراً بالصلاح  
وحوله من الاتباع ما يربو على شهرة المهدي وعدد اتباعه

وكان جماعة من المشايخ يكتبون له أنهم رأوه في الحضرة وشهدوا جلوسه  
على كرسي النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم ويزيدون على ذلك انه صلى  
الله عليه وسلم أمر باعطاءهم كذا وكذا أو بولايتهم على بلاد أو بتبوءهم مناصباً  
من مناصب الخلافة فكان هو يقابل كل هذه الدعاوى بالتكذيب وعدم

الدنيا قبل الآخرة الا من أراد الله تعالى له الهداية بعد فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك الى مصر وجهاتها أو تهجر الينا والسلام ه رجب

سنة ١٣٠٠

وكان الناس متشوقين للوقوف على ما يجاب به السيد السنوسي ولما لم يعلم شيأ من ذلك تداول الناس ما نقلناه عن الرسول وأمسك المهدي عن الكلام في شأن السنوسي حتى كانت أيام الخليفة التعايشي فصعد المنبر في ذات يوم وقال ان المهدي أخبره بان خلافة عثمان أمرها مفوض له وانه ان شاء أبقاها للسنوسي وان شاء أعطاها غيره وكان يقصد بهذه المقدمة إعطاء الخلافة لآخيه يعقوب أو لابنه عثمان الذي لقبه بشيخ الدين ثم تراى له من أميال العامة انه ان فعل ذلك لاقى من تشنيعهم مالا يأمن مغيبته وربما اتخذ البعض ذريعة للازدراء باقوال المهدي وحبّة لظهار كذبه وفريته على رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث قال في خطابه للسنوسي ان نورانيتك تحضر معنا في حضرات كثيرة

وقد كان المهدي يجزم بان السنوسي يقع في حبائل كذبه ويسقط في مهواة غدره بخاب ظنه ولم يعد قادراً على الحوض في أمره بما اعتاده من تكفير كل من اعرض عن دعوته ورغب عن متابعتة بعد الذي شاع عنه من الشناء عليه والاعجاب بأمره مما تضمنه هذا المنشور

وتوجد أقوال غير متواترة عن المهدي انه قال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم أخبره بان السيد السنوسي سيموت قتيلاً بسيف دعوته وانه طرد من الحضرة النبوية منذ أعرض عن دعوة المهدي وهذه الاقوال معزوة الى عبد الله التعايشي لانه يرمي بها الى تمهيد الخلافة المزعومة لابنه أو لآخيه

فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لازلنا نتظرك حتي  
 أعلمنا النبي الحضر عليه السلام باحوالكم وما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة  
 عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من أصحابي فجلس أحد أصحابي  
 على كرسي أبي بكر الصديق وأحدهم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان  
 وقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد  
 أصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم أجمعين ولا زالت روحانيتك تحضر  
 معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم واعلم وان كان لا يخفى عليك ان المهدي كعلم الساعة لا يعلمها على  
 الحقيقة الا الله كما بينه المحققون كالسيد احمد بن ادريس فانه قد قال كذبت  
 في المهدي أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها  
 وعلى حال ينكرونها وكذلك قال محيي الدين في بعض تفاسيره الى غير ذلك  
 من أقاويل المحققين ولا سيما وان المهدي لا تدعي لكثرة أعدائها وقوتهم وعلى  
 انها لما ظهرت أنا بين أظهرهم في أشد الضعف والقلة فلولوا انها من الله  
 تعالى لما مكثنا في الدنيا يوما واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون  
 بنا من كل جانب فالقي الله في قلوبهم الرعب وصيدهم بالحيلة وقد أمرنا  
 النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى جبل بالغرب يقال له (قدير) بلصق جبل  
 يقال له ماسه فجمعوا جموعهم الينا مراراً فقتلهم الله وأحرق جلودهم بالنار  
 يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتي وقد أعلم صلى الله  
 عليه وسلم ان من شك في مهديتي كافر وكررها ثلاثاً ومراراً يقول من أنكر  
 مهديتي ومن خالفني فابي أمرى كافر فمن أراد الله له السعادة صدق بمهديتي  
 ومن لا جعل الله له شكوكا وشبهها تصده عن الايمان بمهديتي فيخذله الله في

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
عبدربه الفقير اليه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله الخليفة محمد المهدي  
ابن الولى السنوسي فيا أيها الحبيب الواقف على سنة النبي المرشد المرقى العباد  
الى مقام التقريب قد كنا يا حبيبي ومن معنا من الاعوان ننتظرك لاقامة  
الدين قبل حصول المهديّة للعبد الذليل وقد كاتبنك لما سمعنا باستقامتك  
ودعايتك الى الله على السنة النبوية وتأهبك لآحياء الدين بان نصير اليك  
ونجتمع معك فلم ترد الينا المكاتبه وأظن عدم وصولها اليك حتى انى ذا كرت  
جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والامراء المعينين فابوا ذلك  
لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة توحيدهم  
حتى بايعوني الضعفاء على الفرار بالدين واقامته على ما طلب رب العالمين  
وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون للدين من المآت ولا زال المساكين  
الذين لم يبالوا في الله بما فاتهم من المحبوب يزددون وفيما عند الله يرغبون  
حتى هجمت المهديّة الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير والله هو الفاعل  
المختار الذى هو على كل شيء قدير فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
اكتب بها الشرق والغرب من غنى أو فقير فصدق بها من أراد الله سعاده  
وكذب بها الاشقياء وصاروا في النكير مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد  
خلفني بالمهديّة مراراً بالجلوس على كرسيه والبسني سيفه بحضرة الخلفاء  
والاولياء والاقطاب والملائكة المقربين والحضر عليه السلام وأعلمت انه  
لا ينصر على أحد بعد إتيان سيف النصر الي من حضرته صلى الله عليه وسلم  
ولا زال التأيد من الله ورسوله يزدد وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار

ويقول كثير من الناس ان هذا المدير كان ذا ميل الى المهدي وقد أمنه على ماله وأولاده ووعدته بالجزاء الحسن وقد قبض غوردون عليه في غضون حصار الخرطوم واطنه لم يتحقق لديه شيء مما نسب اليه والرجل مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم رحمه الله وتجاوز عنه

### ذكر كتاب من المهدي الى الشيخ السنوسي

قلنا ان المهدي نصب خلفاء ثلاثة وسمى كل واحد باسم خليفة أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين عدا عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه كان ينوي اهداء هذه الخلافة الى حضرة الشيخ محمد المهدي بن السنوسي وفي سنة ١٣٠٠ كتب كتابا مع الطاهر اسحق من أهالي البلاد الواقعة غربي دارفور الى الشيخ السنوسي يخبره بانه كان ينتظره لاقامة الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتي آتته المهديّة الكبرى وان النبي صلى الله عليه وسلم اجلس ثلاثة من أصحابه على كراسي خلفائه وأبقى كرسي عثمان بن عفان رضي الله عنه له وقال هذا لابن السنوسي عاجلاً أو آجلاً وقال ان نورانيتك تحضر معنا في حضرات كثيرة ورجا منه القدوم عليه أو القيام بدموته في جهته والفارة على مصر . قال الرسول لم يجابوب السنوسي بخطاب بل قرأ كتاب المهدي وقال اني لم ابلغ منزلة القبار الذي ثار في أنف فرس عثمان بن عفان رضي الله عنه في احدي غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جواب عندي على هذا الكتاب ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء وهذه صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات أيضا



عليه ابن حبوبه شيخ هذه القرى وعرض عليه عشرين الف ريال على أن يترك ابن البصير فقبض المال وكف عن القبض عليه ثم تابع مسيره الى ولد مدني فافتدى منه محمد اغا جبارة باربعماية ريال وعاد الى الخرطوم ولم نعلم بماذا اعتذر الى الحكمة دارية

### ذكر واقعة العسكري بالخلالوين

لما وصلت كتب المهدي الى ابن البصير ومعايشي مما غنمه من المصريين في حملة الجنرال هيكس لالابس الضباط ونياسينهم أرسل يدعو قبائل الدباسيين والحوالده وسائر أعيان القرى فاجتمعوا عنده في يوم السوق الاسبوعي فتلا عليهم كتاب المهدي وأمرهم بالمبايعة فبايعوا وخلعوا ثيابهم ولبسوا المرقعات ثم ضربوا طبول الحرب

وكان في السودان عسكري من الجباة أرسله حاكم الخط ليدعو الصراف الى تسليمه ما قبضه من الضرائب فقام الصراف ولطم العسكري على وجهه ثم أحاط من في السوق بالعسكري وقتلوه وكان الذين في السوق يبلغون ستين ألفاً كلهم غمسوا سلاحهم في الجثة وأخذ من في القرى يهرعون الى السوق كي يغمسوا أسلحتهم في جثة العسكري تفاءلاً بان سلاحهم سينغمس في أجسام كل الجنود ومن ثم أعلنت البلاد كلها دخولها في طاعة المهدي وخلعها طاعة الحكومة

وقال بعضهم ان هذه الواقعة كانت قبل شخوص المدير الى الخلالوين والحقيقة انها كانت بعدها لانه اذا كانت قبله لم تعد الحكومة الى ارساله ولكانوا قاتلوه بدل ان يرشوه

ناراً حامية فلم يستطيعوا الثبات عليها وولي قائدهم مذءوراً وسقط نحو مائتين منهم قتلى وتفرقوا في القلاة ومنذ ذلك اليوم اختفى أثر الشيخ مضوى ولم يوقف له على خبر إلا بعد أن زحف أبو قرجه وابن البصير وحاصرا الخرطوم من جهة الجريف كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر الداعية محمد بن الطيب البصير

تقدم لنا تعريف قرى الحلاوين عند ذكر الشيخ القرشي أستاذ المهدي ونقول الآن كان في الحلاوين رجل اسمه الطيب البصير كان أستاذ القرشي هذا قبل أن يجتمع بالأستاذ الكبير أحمد الطيب بن البشير ناشر الطريقة السمانية في الأقاليم السودانية وكان الطيب البصير ضريراً فسماه أستاذه بصيراً وكان ورعاً تقياً ذا شهرة كبيرة وسيرة حسنة في أيامه توفي في منتصف القرن الثالث عشر من الهجرة الشريفة وله أولاد أرشدهم محمد بن البصير ولما أباد المهدي حملة الجنرال هيكل أرسل إلى ابن البصير يأمره بالقيام بدعوته وكان المهدي زوج ابنته فاحجم في بادي الأمر وأخذ يدعو الناس سرا ولم يقدر على المجاهرة

وكان في مدينة ولد مدني رجل سوري اسمه محمد اغا جباريه وهو والد أحمد جبارة قاضي المهدي الذي ذكرنا خبر قتله يوم واقعة الجمعة بالإبيض كان يدعو الناس سرا للمهدي بهذه المدينة

ولما اتصل بالحكمدة هذان الخبران انتدبت أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وشددت عليه الأمر بالقبض عليهما فذهب على أحدي البواخر واحاط بالقرية التي فيها ابن البصير وبعد أن قبض عليه أو كاد قدم

الاولي وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواه  
 فيه مجرد وصول جوابنا اليكم صحيفة رافعه محمد الناصر تحزبوا في الله احزابا احزابا  
 وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا  
 الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بحلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم  
 خفافا وثقالا وقابلوا الخرطوم بجهتكم التي يقال لها القبة وحاصروا أعداء  
 الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر  
 عليهم باذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بهد مجيئنا قدمه هدر  
 وماله وأولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبعده السلام  
 وأيضا كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبة للخرطوم وان  
 يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبنين يشد بعضهم  
 بالعض يكون معلوم والسلام  
 وسنعود الي ذكر تأثير هذين الكنايين

### ذكر غارة الشيخ مضوي عبدالرحمن علي ارباض الخرطوم ونهب الماشية وهزيمة

في أوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ جمع الشيخ مضوي نحو الف رجل  
 أغار بهم على الخرطوم ونهب نحو الف رأس من الماشية كانت ترعى خارج الخندق  
 ولما تأثرته الجنود فر الى جهة الجديد على بعد مرحلتين من الخرطوم  
 جهة النيل الازرق ثم انتدبت اليكم مديرية الاواء ابراهيم حيدر باشا في الفين  
 من المشاة المصريين فاجبر من الخرطوم على باخرتين حتي بلغ الجديد فقباله  
 الشيخ مضوي براياته وبنوده فصبر لهم حتي اقتربوا من المربع وأصلاهم

الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً  
 بالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف ابداً الامر ما ان كنت ممثلاً  
 مصداقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبال بحكم ما فعل محمد الطيب البصير وان  
 خشيت فانضم اليه وهاجر من محلك الذي أنت فيه واتحد معه كيد واحدة  
 فلا يكون لك بد عن هذا أبداً خرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك  
 واتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله واقامة الدين يجاهد  
 عدو الله ورسوله ولو مع شاكواى فلا تضر نفسك فلا يكون رضاي عليك  
 الا بفعل ما أمرتك به من أحد الامرين مع عود الافادة الينا عاجلاً لنعلم  
 ما أنت عليه والسلام

ولا تجاوبنا بغير ما أمرناك به ولا تبسط لنا الاعذار وها قد أذرنناك  
 ومن بلغه الانذار لاحق له في الاعتذار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبمسند  
 فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه  
 خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصبته ورجاله واتباعه اجمعين اما  
 بعد فالذي نعلمكم به أيها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم  
 ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة يتضح فيه أهل الدين والايمان  
 ويكشف عن الصادقين من الاحباب وأنتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدون  
 لحوث الآخرة والمجتهدون فيها وهذه سنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قد ظلمت وايدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لاقامة  
 الدين وترك كل ما ألهي وشغل من مال وبنين وحيث فهمتم ذلك فاتسكهم الهجرة

شديد في طاعة الملك المجيد وقد كنا نعدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر  
عليها أقدم انثقات لتعمير بواطنكم واورقاتكم بذكر الله ودلائلكم لحلق الله  
وعكوفكم على قدم الصدق الذي تنافس فيه أهل الله وحزبه واتم أهل دراية  
ومعرفة وقد علمتم ان القلب اذا خلا من غير الله يمتلئ نورا ويفيض منه  
الى خلق الله ولا شك ان الرباني المتمسك بالله كامثا لكم شأنه هكذا وسيماه  
وعلامته هي عدم الخشية من أحد غير الله والى الآن انتم معدودون عندنا  
لاجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لفتال الكفرة حيث ندبكم  
محمد بن الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن إجابته وما كان لكم أن ترغبوا بانفسكم  
عن الله ورسوله وتشاركوا المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاي  
عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا هذا وإن كنتم في أشد البلايا فإن  
الدين بالبلوي يزيد تجملا ولا يعرف الذهب من الزيف الا بحرقة في النار ولا  
يرغب عن ملة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام الا من سفه نفسه  
وما أراكم أن ترضوا بذلك لكونكم عندنا من الاخيار فاطلبوا ما عند الله  
فالبدار البدار وتوبوا مما توقفت لاجله فانه لا شيء يمتد به ويستحيي المؤمن  
اذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلا منكسرا حيث أثر الغير  
على محبة الله وتأنى من طالب الله لاجل شيء ظنه عذرا وتوانى عن نصره الله  
فيودان تسوى به الارض من شدة وجله وخجله من الله حيث انكشف  
له حقيقة حاله عند الله وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فاذا بلغك  
جوابي هذا فشمروا وقو عزمك في الله وشد حزام العزم والحزم وتوكل على  
الله واعتصم به وانتصر بالله فنعم المولى ونعم النصير وبوصول جوابي هذا  
اليك اجمع همك في الله وأرسل لجميع اتباعك وأحبائك وأهلك وعشيرتك في



المهدي والمخبرة دائرة بيننا وبين مصر وقطع اسلاك التلغراف يعطل هذه  
المخابرات وكرروا عليه الرجاء بوجوب التصريح باعادة اصلاح ما تلف من  
تلك الاسلاك فاجاب الى ذلك وعاد الوفد الى الخرطوم وارسل وكيل  
الحكمديرية سفينتين بخاريتين عادتا بعد اصلاح التلغراف

وعلى اثر هذه الحادثة سقطت هيبة الحكومة ستوطا نهائيا من قلوب  
القبائل المجاورة للخرطوم وعدوا ذلك ضعفاً وهنالا مزيد عليهما لحقا الحكومة  
وما اتصلت الحادثة بالمهدي حتى ايقن بما عليه الحكومة من الضعف الذي  
يجعل وقوع الخرطوم في قبضته ضربة لازب وفي غضون ذلك كان محمد بن  
البصير داعية المهدي في الجزيرة قد استفحل امره ودانت بطاعة المهدي على  
يده أكثر قبائل الجزيرة وبلدانها

ولما اذن الشيخ العبيد للحكمديرية في اصلاح ما تلفه جماعته من الاسلاك  
التلغرافية قامت عليه قيامة الداعية ابن البصير وشدد عليه النكير وكتب الي  
المهدي يعلمه بان الشيخ العبيد مذنب بظن الولاء للحكومة ويخضع المهديّة  
فكتب المهدي له كتابا جعله آخر خطاب وكتب الى جماعته يستميلهم اليه وهذه  
صورة ما جاء الكتابين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فجزيل السلام من عبد ربه الوائق بمولاه محمد المهدي عبد الله الى حبيبه  
العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصرة الدين من عباده المؤمنين  
أما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاخوان أنه تكررت منا اليكم المخاطبات  
والانذارت والمواظم المكررات التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب

بعد الله شيء ولا أصدق من قوله وإنك من أخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب وفقى الله وإياك والمسلمين لما يحب ويرضى فإذا بلغك جوابي هذا فاما أن تهاجر أنت ومن معك من الاصحاب المحبين ومن يطلب ما عند رب العالمين من غير نظر الى علاقة وإما أن تحاصروا الخرطوم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ومتاعها عن الصديق مع الحي القيوم حتى تأتيتكم ولا رضاء لنا عنكم الا بهذين الامرين فاذا فعلتم رضينا عليكم وأنت تعلم انه لا يتحول أحد بنير الله فلا تخافوا أعداء الله الذين هم نواصيهم بيده واستعملوا أمر الله فيهم فانه أحق ان يخشى ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والنور عند الرحمن فالى متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الفخامة والكرامة فقد قال الله تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خيلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا » الى غير ذلك من كلام الله في هذا المعنى فلا تطلبوا الراحة وترف المترفين في دار الظالمين وكل ذلك ذكرتك به لانك أهل لذلك وممن له الصداقة مع رب العالمين والسلام اه

وفي اوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ قامت عصابات من اتباع الشيخ العبيد وقطعت اسلاك التلغراف بين الخرطوم وبربر فارتاع لهذا الحادث وكيل الحكمدارية وارسل وفداً برئاسة أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وسر التجار وثلاثة من الاعيان ولما دنا رجال الوفد من ام ضبان قابلهم اتباع الشيخ العبيد بالشتم والسباب وقالوا لهم لما ذا جئتم يا كفار الله اكبر عليكم فلم يجابوهم بشيء بل دخلوا على الشيخ العبيد الذي قابلهم بالخذر الشديد وقرأ عليهم ما كتبه له المهدي فقالوا له نحن عازمون على التسليم والدخول في طاعة

ووجوب الهجرة الى اذانه لا يخفي على من دونك نوراً انى خليفة رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين وسنة رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ومن المعلوم عند ذوي العرفان ان المهديّة اختبار لمن يدعى الدين  
 فكل من كان لدين الله الخالص صادقاً لا يأبى التمسك والانقياد والتواضع  
 لحوز ما عند الله الدائم ومن كان باطنه حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا  
 والوظيفة عند الناس توقف عن الانقياد لاجل ذلك وحرف جماعة من  
 الناس عن الدين الواصل لله كما كان ذلك دأب الاحبار والقسيسين والرهبان  
 الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من  
 الهدايا والقطائف لمتاع الحياة وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند  
 لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سواً يحزبه  
 ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً» وقوله تعالى «وما يغني عنه ماله اذا  
 تردى» الى غير ذلك وذلك من المعلوم عندك وانك ممن لم يكن دينه على حرف  
 فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه بل أنت ممن  
 يطلب ما عند الله ولو تقطعت اربا اربا وفات جميع المطالب النفسية لما تعلم  
 ماهو عند الله من العظمة التي لا توازيها جميع المطالب بل من فاته ذلك ووقع  
 في عقاب الله الذي هو معلوم بالشدة أحب ان يفتردي بجميع ما في الدنيا من  
 محبوباته التي لا يبقى له منها عن قريب أثر شيء منها وكل ذلك وأنت تربي به  
 من أنك فاستعمل ذلك حبيبي فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب  
 ما عند الله وانك من أعظم من يقبل النصيح تواضعاً لله الذي خلق وأحيى واليه  
 المرجع وقد وعد وأوعد كما قال تعالى «وذكر فان لذكرى تنفع المؤمنين» فليس

بحقيقة نيته بل ترك الحكم ويقرب من الظن انه كان مكرها لا بطلا والله  
أعلم بالصواب وهذه صورة الكتاب نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الي مولاه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه في الله ( العبيد  
بدر ) وقاه الله جميع الضر ووفقه على ما عند الله يسر ومن معه من المحبين  
حبيبي قد تكررت المخاطبات الي عباد الله للابابة الي ما عند الله والالتقياد لامر  
الله والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة وكل من أخلص لله وكان امره لله  
قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع وقام بامر الله علي قصد اعانتنا وقاسي  
الشدائد لصفاء سريره في ايثار ما عند الله ومات علي ذلك اتصل بربه وتنعم بما  
لا يوصف من النعيم واستراح من شؤم الدنيا كاحمد بن طه الشريف  
المعلوم الذي جاهد الترك ومات علي صدق حبه واتباعه وكذلك أمثاله قال الله  
تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب  
الله » فإشأ ان من له معرفة يجعل فتنة الناس في الدنيا كعذاب الله  
في الآخرة بل هان عليه كل تعب ومشقة في الدنيا ليسلم من عذاب الله  
الذي لا يساوي عذاب الناس في جنبه بشيء ما ولا سيما ما عند الله من الخيرات  
التي لا ترن الدنيا جميعها فيها شيئا قليلا كما ورد فن نظر ذلك هان عليه فوات  
كل متعة في الدنيا ومفارقة كل حبيب بالنظر الي الدوام العظيم كما هان عليه  
مقاساة شدائد لدنيا بالنظر الي شدة عذاب الآخرة وانك من أعظم من  
يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لما عند الله وما عهدتك انك تتباطئ  
علي قدر هكذا مع انك جد عارف بهظمة ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها

ولما ظفر المهدي بحملة الجزال هيكس أرسل كتابا الى الشيخ العبيد يدعو الى الدخول في دعوته وان لا نجاة له الا بالقدم عليه أو حصر الخرطوم وعرض له بذكر الشريف أحمد طه الذي تقدم خبر قتله وكان الشيخ العبيد ملازمًا للحياد مدة قيام المهدي بكونه دافع فكان يظاهر المهدي ولا يحب ان تسمع عنه الحكومة الميل لجهته فكان اذا سأله سائل عن حقيقة دعوى المهدي يجيبه بعبارة المشهورة وهي ( اذا كان مهدي جيد لنا وان كان مامهدي شين لنا ) ومعناها اذا كان مهديا فانه جيد لنا وان لم يكن مهديا فاي شيء لنا وهذا الجواب يدل على ما كان عليه هذا الرجل من الدهاء وكان رسل المهدي واتباعه اذا جاؤهم يقابلهم بالاكرام ويسر اليهم انه منهم واذا جاء عمال الحكومة أظهر لهم الطاعة ونوه لهم عن الضعف بعبارة عامية مشهورة أيضا وهي ( أنا جنيزه محنطه وجديده مكشنه ) ومعناها انا كالجنائز المكفنة ان حملت الى المقابر فانها لا تقاوم أو كدجاجة مطبوخة بالبصل لا تقاوم من يريد أكلها ويقول البعض ان الرجل ولو انه أول من حاصر الخرطوم وقتل عددا كبيرا من جنودها في واقعة أم ضبان فانه مكره خاك لا بطل وكان الشيخ العبيد قبل ظهور المهدي بعدة سنوات يكره دخول مدينة الخرطوم ويقول كلمة مشهورة أيضا ( بركة القيوم ما أدخل الخرطوم ) أي أسأل القيوم أن لا يدخلني الخرطوم وكثير من اتباعه يقولون انه عالم بطريق الكشف وخرق حجب المغيبات بما يصيب أهل الخرطوم من البلاء ولذلك كان يخشي ان يصيبه ما يصيبهم الى غير ذلك من الامور التي ليس في وسعنا ايراد جميعها في مثل هذا المؤلف لعدم فائدتها

وحاصل القول انه رجل من أدهى أهل بلاده ولذا لم نقدر على الحكم



تبعد عن ضفة النيل الازرق شرقي الخرطوم وتعيش بلبن الماشية الصغيرة والزراعة

وكان الشيخ العبيد هذا أمياري غنم الناس بالاجرة ثم تظاهر بالانخراط في سلك الطريقة القادرية وكان على جانب عظيم من الذكاء والفتانة استخدمهما بين أولئك الاعراب حتى اجتمع حوله اتباع كثيرون ومما اشتهر عنه ان اعرابياً قال له ان حماري ضاع فقال له شرب سمنا فشربه ولما احس بالاسهال خرج الى القلاة فعثر على حماره وسط الاشجار فعد اولئك الاغبياء ذلك من اكبر السكرامات للشيخ العبيد وشرب السم للدواء شائع في السودان كله حتي ان الدواء اما ان يكون السمن أو الكي بالنار أو العشب أو الرقية بالقرآن

وكان الشيخ العبيد مشهوراً بين قبائل جهته يقصده الناس من اطراف السودان التماساً لبركته ولداواة مرضاهم وعلاجاته قاصرة علي السمن ويسميه دواما ( الفقيه سمّن ) ويعمل لبعض المرضى عمليات جراحية لمرض كثير الانتشار هناك وهو آفة في الرجل يسميها السودانيون (النبت) وفي الغالب ان عملياته تقرر بالنجاح ويرقى بعض المرضى الذين يصابون بالامراض العقلية التي يطاق عليها العامة لبس الجن لا بدان المصابين بها

وقد حصل الشيخ العبيد على ثروة طائلة من هذه الاشياء واهب بح نافذ السكمة بين القبائل التي تسكن شرقي الخرطوم وصرعى الجانب عند كل قبائل السودان وهو يسكن في قريته التي تبعد عن الخرطوم مسيرة مرحلتين في الضفة الشرقية واسمها (ام ضبان) أي ان الدباب كثير فيها وسيأتي ذكر قتل محمد علي ونحو ثلاثة آلاف جندي بهذه القرية

## الخراطوم قبل قدوم غوردون عليها

ذكرنا أن الحكومة لما اتصل بها نبأ هزيمة الجنرال هيكس وهلاكه ارتبكت وأمرت بجلاء حاميات الدويم والسكوة وفشوده وسنار لتعزز حامية الخراطوم حتى تصير قادرة على حفظ خط الرجوع إلى مصر حيث عولت على إخلاء الخراطوم وترك السودان غنيمة للمهدي

ولما اتصل النبأ بوكيل الحكمدارية حسين سري باشا اذاعه وأخذ الناس في الإهبة للرحيل ولكن معدات النقل لم تكن كافية فكانت أجرة الشخص في المراكب الشراعية لا تقل عن عشرين ريالاً مجيدياً من الخراطوم إلى بربر وأجرة حمل الجمل من هذه إلى كروسكو لا تقل عن خمسين ريالاً مع أن الأولى كانت لا تتجاوز ثلاثة قروش والثانية ثلاثة ريالات وتوالت الإنذارات من المهدي إلى سكان الخراطوم بالتسليم وكان وكيل الحكمدارية يقول للناس جهاراً انزحوا من الخراطوم إلى مصر أو إلى المهدي فقد تركت الحكومة بلادكم والقت زمام أحكامكم إلى المهدي فكانت هذه الأقوال مما جراً الأهليين المتحفزين للثورة وخلع نير الطاعة عليهما

هذا وقد ظهر دعاة كثيرون سنورد أخبارهم ونستقصي أعمالهم للوقوف

عليها حتى لا يفوت القارئ شيء منها

## ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر

الشيخ العبيد بدر من قبيلة اسمها (المسلمية) تسكن في الفيافي التي

ويقال إن السبب في رجوع الحملة هو أن جماعة من أعيان البلاد  
 كتبوا عرائض على لسان البرق للحكومة يظهرهم ولاءهم وطاعتهم للحكومة  
 وكان ذلك خدعة لها فاعترت الحكومة وأصدرت الاوامر برجوع الحملة  
 ويوجد في صحراء (ريره) التي بين النيل الازرق ونهر أبتره قبيلة الشكرية  
 التي رفضت الدخول في دعوة المهديّة محافظة على ولاء الحكومة  
 وإلى هنا نكتفي بإيراد حوادث السودان الشرقي حيث نشبع الكلام عليها  
 بعد إيراد حوادث الخرطوم وسقوطه في يد المهديين والله الموفق



ففرح باكثر قبيلته الى بلاد الحبشة حيث امده الملك يوحنا بما يحتاجه وجعله  
مرابطا في حدود بلاده يدفع عنها غارة المهدبين ويوالي الغارة على بلادهم  
وسنأتى على بقية حوادثه

ونقل لنا بعضهم عن الشيخ مضوي عبد الرحمن انه قال لما دخلت حدود  
الحبشة فارا من عبد الله النعاشي قابلي الشيخ عجيل الحراني بالحفاوة والاكرام  
فلما حضرت صلاة المغرب قام يصلي بالناس اماما وبعد تكبيرة الاحرام رفع  
صوته بالقراءة فقال ياسيدي محمد عثمان الميرغني الكبير ياسيدي الحسن ياسيدي  
محمد عثمان الصغير وصار يعدد أسماء آل بيت الميرغني صغيرهم وكبيرهم  
ذكورهم وانثاهم بياء النداء حتي جاء علي آخرهم ثم كبر للركوع ثم رفع وسجد  
ثم عاد للقراءة بمثل الركعة الاولى ولما انتهت الصلاة كان بجانب رجل من أهل  
العلم فالتفت اليّ مسرعا وقال ايّك ان تفوه بنبت شفة فقد مضى علينا سنوات  
نصلي هكذا وقد ضربت اعناق كثيرين لاقيل كلمة ابدوها في الاعتراض على  
هذه الصلاة فالتزمت السكوت وكانت قبائل شرقي السودان الى اوائل القرن  
الثالث عشر من الهجرة مثل سائر زنوج افريقية ولم ينتشر الاسلام بينها الا  
بعد ان استوطن السيد محمد عثمان الميرغني بين ظهرانيهم

وقبل وصول هذا الكتاب الى السيد محمد عثمان كان رجل يدعى  
الكميلاي جاء من قبل عثمان فدعوه المهدية وقطع الاسلاك للتلفرافية بين  
كسلا وسواكن وقتل صنجا اسمه جباره اغا كان يجبي الضريبة من الاهلين  
فانتدبت الحكومة راشد كمال باشا قومندان حدود الحبشة في قوة  
كبيرة للقبض على هذا الداعية وبعد مسير القوة اياما عديدة صدر لها الامر  
بالعودة فعادت بغير أن تصادف كيدا

لم يجد ذلك نازع أو أعرض أعاذنا الله وإياكم من ذلك إذ أن ذلك للمنافقين الذين قصرت همهم على الدنيا فرضوا بها واطمأنوا غافلين عن آيات الله تعالى ولم يجعل الدار الآخرة إلا للمؤمنين المخلصين قال الله تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» فارادة الملو مفهومة وإرادة الفساد أعظمها حب الدنيا اذهي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتمكم عن ذلك كاتبنا كم أولاً من ابتداء أمر المهدي لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد إلى هذا الآن إلا بحسد الخاسدين وصرف المعرضين فاذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم ان ذا الكشف الصادق والدكم السيد الحسن أشار إلينا مراراً وتكراراً بالمحلات وبعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فتلكم أولى بالقيام بما لله وإشاره على جميع المشاهي والسلام شوال سنة ١٣٠١

ولما وقف السيد محمد عثمان الميرغني على كتاب المهدي له أرسل يدعو القبائل لاجتماع عام عند سفح جبل (تكروفي) فاجتمع ألوف منهم فقام فيهم خطيباً يسألهم أن يعرضوا عن دعوة المهدي وحذرهم الفتنة فكان جوابهم له السخرية والازدراء فعاد إلى قريته واخذ في الاهبة للرحيل ومحض النصيحة لكل من قابله بمغادرة السودان إلى الحبشة والفرار من وجه الفتنة وقال لا تبعه فروا بدينكم وغادر (التاكا) إلى بلاد الحبشة ومنها إلى مصوع فسواكن لان الطريق من كسلا إلى مصوع كانت مملوءة بدعاة المهدي واکثر القبائل دانت بالطاعة لعثمان دقته ولم يخلف عليه غير قبيلتي (بنی عامر والهاباب) لانهما أتباع الطريقة الميرغنية واوغلتا في البلاد حتي قرب مصوع وتخلقت عليه قبيلة (الحران) وهي قبيلة تسكن شرقي نهر أبره بين حدود الحبشة وكسلا ورئيسها يدعي (عجیل)



أعظم من يقبل النصيح تواضعاً لله الذي خلق وأحيا واليه المرجع ومن أخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإذا بلغك جوابي هذا فاما ان تهاجر الى أنت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر الى علاقة واما ان تحاصروا الترك الذين في جهنم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا رضاء لنا عنكم الا بهذين الامرين فان فعلتم احدهما رضينا عليكم والا فلا وقد تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله فلا تخافوا اعداء الله الذين نواصيهم بيد الله واستعملوا أمر الله فيهم ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والفوز عند الرحمن فالي متي الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الكرامة والفخامة والله تعالى يقول «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا» وكيف لمثلك ان يركن الى الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فانهمض همتك وقو بالله عزمك وشر فيما يرضيه جهدك وقد ذكرتك بهذا امثالاً لامر الله تعالى لقوله «وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين» هذا واذا توكلتم على الله ورغبتم في الجهاد والمحاصرة هناك فاتحدوا مع عثمان دقنه مع جميع الامراء الموجودين هناك ولا تخالفوا عثمان دقنه في شيء ولا تأنفوا من ذلك فان منزلتكم عندنا معروفة وأولى التقدم المذكور في ايثار ما عند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم ان ما عند الله خير وأبقى ومعلوم ان العاقل يسعى فيما هو خير ولا سيما وقوة احاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفى ان المخلص في طلب ما عند الله يطلب قلبه ان يشيد الدين وبؤيده ولو مع شاكواى وان قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسعى فيما يقربه من الله ومن كان على حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع الفانية وان

هذا باطلا سبحانه لك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتـه  
 وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم  
 فآمنّا » وانك من أعظم من يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لله في مثل هذا  
 الامر وما عهدت لك انك تتباطى على قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة  
 ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها ووجوب الهجرة الي اذانه لا يخفي على من  
 دونك نورا اني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين  
 ومظهر آثار المرسلين ومن المعلوم ان المهديـة اختبار لمن يدعي الدين فكل  
 من كان لدين الله الحالص صادقا لا يائي التعمد والانقياد والتواضع لحوز ما عند  
 الله الدائم ومن كان باطـله حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا والوظيفة عند  
 غير الله مال الى ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل  
 كما كان ذلك دأب القسيسين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات  
 الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من الهدايا والقطائف حبا لمتاع الحياة  
 الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولي العبد عند لقاء الله قال تعالى « ليس بامانيكم  
 ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا »  
 وقال « وما يغني عنه ماله اذا تردى » الى غير ذلك وانك يا حبيبنا ممن لم يكن  
 دينه على حرف ان أصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه  
 بل أنت ممن يطلب رضا الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت عنك المطالب  
 النفسية لما تعلمه من عظمة الله ونعمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك  
 أنت خير به وشأنك ان تربى من أذاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصر عاقبة  
 أمرك فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وانك من

مقاطعة فشوده وهى قبيلة من العميد لادين لها ينام افرادها على الرماد وينسلون  
وجوههم ببول البقر ويمشون عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم وهى صورة المنشور  
بنصها نقلا عن الجزء الثانى من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله محمد عثمان بن  
محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني امين

أما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من لديكم ثم نعلمكم  
انه قد تكررت المحادثات منا الى عباد الله بالدعوة الى الله والابانة الى  
ما عنده والقيام بامر الله والانقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة  
وكل من أخلص لله وكان أمره لله قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع  
وقام بامر الله على قصد إعانتنا وقاسى الشدايد لصفاء سيرته في إثارة ما عند  
الله فهو منا والينا ولو مات على ذلك فخير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما  
لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كآبناك خاصة غير  
مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا للخير بكم فما رددتم الينا جوابا ولا  
حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين باعمال حركة في جهتكم وما  
أدري ما المانع لكم من ذلك مع انكم أولى بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين  
الله تعالى من كل أحد فما الذي أخركم حتي فاتكم العوام وأتم العارفون  
وأولو الشرف والمقام وذوو الالباب الذين قال الله فيهم «ان في خلق السموات  
والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما  
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت

الشرقي حيال ما أظهره عثمان من القوة والبسالة اللتين أدهشتا العالم أجمع  
وشددت عزائمه وقوت أمله في الاستيلاء على الخرطوم ووقوع السودان  
كله تحت قهره وجبروته

وفي غضون ذلك كانت القبائل التي حول بربر رفعت راسها للثورة  
وسقطت بربر في يد المهدي والخلاصة أن جميع حركات الجنرال جراهم لم  
تعد باقل فائدة بل كانت مما قوى ساعد العصاة بما غنموه من الاسلحة والذخيرة  
والى الله مصير الامور

وانسحب الجنرال جراهم من سواكن بكل عساكره ولم يترك غير مائين  
منهم ليقوموا بحراسة المدينة مع السفن الانكليزية  
وكان انسحاب الجنرال جراهم من سواكن بعد أسبوعين مضيا على حصر  
غوردون وقطع الاسلاك البرقية بين الخرطوم ومصر

### ذكر حوادث كسلا

كان السيد محمد عثمان الميرغني شيخ الطريقة الميرغنية مقبياً في قريته  
( الختمية ) بجوار كسلا وقد خاطبه المهدي مرات عديدة يدعوهُ الى القيام  
بدعوته في إقليم ( التاكا ) فكان لا يجاوبه بحرف واحد واعرض عن إجابته  
كل الاعراض

وفي شوال سنة ١٣٠١ كتب له خطاباً ملاً بالوعود والوعيد وصرح له بان  
لأنجاة له إلا باحد امرين اما اللحاق به أو القيام بدعوته تحت إمرة عثمان  
دقته وعرض له وسأله ان لا يأنف من رئاسة عثمان دقته عليه لان ذلك لا يؤخر  
مثله عن نصرة الدين ولو كان عثمان ( شاكوايا ) نسبة الى قبيلة ( شاك ) في

## ذكر تقدم الجنرال جراهم الى بربر

وفي غضون ذلك وردت الاخبار الى القاهرة ولندره بقطع الاسلاك  
التلغرافية بين الخرطوم والقاهرة وشرع العدو يحاصر الخرطوم فقررت  
الحكومة الانكليزية ارسال حملة الجنرال جراهم لفتح الطريق بين بربر  
وسواكن وأمرت الجنرال جراهم بالحملة على عثمان دقنه واختراق الصحراء  
للوصول الى بربر

وكان لعثمان دقنه عيون في داخل سواكن يبلغونه كل أخبار الحكومة  
ونواياها ولما سمع هذا الخبر سربه وعزم على عدم مقاومة الحملة بالقرب من  
سواكن واخلاء الطريق لها حتى تتوغل في الصحراء وهناك يثور في وجهها  
ويتمكن من ابادتها

ولما خرج الجنرال جراهم كان علي حذر شديد وتقدم في الصحراء  
مسيرة يوم وليلة ثم علم بحقيقة ما دبر له وعلم أنه ان تابع مسيره كانت عاقبته  
لا تختلف عن مغبة حملة الجنرال هيكس فصمم على العودة الى سواكن قبل أن  
تطراً ظروف تجعل السلامة في خبر كان فعاد ولم يصادف كيدا في  
ذهابه أو اياه

ولما سمع عثمان بعودة الجنرال جراهم أسرع اليه ليهاجمه قبل أن يبلغ  
سواكن فلم يفلح وبلغت الحملة مأمنا سالمة غير ظافرة بشيء مما كانت تتوق اليه  
وبهذه الحملة ختمت رواية الجنرال جراهم حيث غادر سواكن وانصرفت  
أميل الحكومة من المصرية والانكليزية عن فتح الطريق بين سواكن وبربر  
وأصبح الامل ضعيفا من اسعاف غوردون وامداده من جهة السودان



معاً فتقهتر بخسائر جمة وبلغ عدد من قتل من الجنود الانكليزية نحو أربعة آلاف ويقال ان جنود الجنرال دافيس أظهرت جبناً واحجمت عن إطلاق النار حتي تمكن العدو من الدنو منها وعادت الحملة الى سواكن

أما عثمان فقد أعاد الكرة على سواكن وأخذ يوالي حث القبائل على الجهاد وذلك كله لينع تقدم أى قوة الى بربر يشتملها ساعد غردون وأرسل دعاة كثيرين حصرها كسلاً كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ولما اتحد المربعان تقدمت الجنود قليلاً الى معسكر العدو وأشعلت النار في معسكره وأحرقت خيامه واسرت كثيراً من العائلات والنساء ولحق العدو بعض خوراضطره الى عدم تأثرها حتي بلغت سواكن

وقد تغالي مكاتبو الجرائد الانكليزية في وصف هذه الحادثة الى حد أنهم قالوا بان الدراويش اشجع رجال في الدنيا وأكثر الناس خبرة بفنون الحرب

على أن الحقيقة عكس ما قالوا لان القوم لم يكونوا الا في الدرك الاسفل من الغباوة والجلل وما أظهره من الشجاعة كان نتيجة ما كان يقال لهم عن نعيم الجنة وحياة الشهداء فهم يريدون احراز ذلك والتمتع به. هذا وقد امتدح المجذوب بن الشيخ الطاهر عثمان دقته بقصيدة طويلة عقب هذه الواقعة مطلعها

بطل تهاب بنو الاصيفر باسه لم لا وساء صبا حهم تكرارا  
والقصيدة طويلة اكتفينا بما يراد مطلعها لخلوها من الفائدة وتضمنها الغلو  
في المدح والخروج عن حد الادب في ذم الحكومة وهجائها

الحصار فكانت مما ضاعف احزانه وسيأتي ذكر ذلك على حدة

### ذكر تقدم عثمان ذقنه الى سواكن

قلنا ان عثمان كان يقصد بالتقهقر التفرير بالحملة حتي تتأثره فلما أدرك قائدها الحيلة وقفلت راجعة الى سواكن أخذ يعض أنامل الندم لقوات الفرصة حيث كان في امكانه معاودة الكرة عليها في طريق توكر أو بعد احتلالها اياها فزحف على سواكن وتحصن في مكان يدعى (طمية) وأرسل قسما من رجاله يناوشون المدينة حتي يضطروا الحامية الى الخروج اليهم فاشتدت وطأتهم على المدينة وكادت تسقط في أيديهم لولا نيران السفن الانكليزية التي اضطرتهم الي النكوص على اعقابهم مرات عديدة وكان ذلك مما أيس الجنرال جراهم الذي كان آملاً ففتح الطريق بين بربر وسواكن

### ذكر واقعة طمية

ولما كثرت غارات العدو على سواكن حمل الجنود الانكليز على العدو وخرجوا فتمقهقر المغيرون أمامهم حتى بلغوا طمية ولما تراى الجمع ان لزم الجنود خطة للدفاع وتحصنوا داخل زريبة من الشوك فانقض العدو عليهم ليلا وذبح عدداً كبيراً منهم وما زالوا في دفاع حتي مطلع الفجر فانقسم الجنود قسمين وشكلوا مربعين أحدهما يقوده الجنرال بولر والثاني يقوده الجنرال دافيس وتقدم هذا نحو العدو الذي قابله بثبات مدهش وقتك باكثر الجنود واختلط بهم فتدارك القائد الامر وتقهقر بانتظام حتي صار حيال مربع الجنرال بولر وأخذ المربعان في اطلاق النار على العدو

ثمانمائة ونحو أربعمائة من المهندسين والطوبجية وجعل الفرسان في جانبي المربع  
ثم سار المربع من ترنكيتات قبيل الظهر ورافق بيكر باشا الجنرال جراهم  
هذا ما كان من أمر الجنرال جراهم أمان عثمان فقد تحصن في التيب واحتفر  
خندقاً صغيراً أحاطه بمتاريس وضع عليها مدافع الكروب التي غنمها من  
الواقعتين السابقتين ولكنهم كانوا بلا مؤخرة تحفظهم من الخلف فكانت هذه  
الغفلة مما شجع الجنرال جراهم فتقدم هاجماً على العدو وكان ضمن رجاله جنود  
من الذين شهدوا واقعة بيكر فخبئوا ولم يثبتوا في الدفاع وولوا الادبار  
وكانت مقدوفات العدو متواصلة ومع ذلك لم تجاوبها قنابل الجنرال جراهم  
وأخيراً تقدمت الحملة حتى صارت على بعد ميل واحد من حصون العدو الذي كانت  
نيرانه وقنابله شديدة جداً عليها - وهناك أخذت نيران الحملة وقنابلهما  
ومترليوزاتها تجاوب مقدوفات العدو وكان أحد جوانب الحملة عرضةً لمقدوفات  
العدو فأراد القائد ابدال شكل المربع بطريقة تصير الأضرار خفيفة فلم يفلح  
وجرح كولونيل انكليزي فاغتنم عثمان الفرصة وزحف بخفة غريبة ثم اشتبك مع  
الحملة وصار القتال بالسهل الابيض وبعد بضع ساعات انفصل الجيشان  
ووضعت أوزار الحرب وخسر عثمان نحو ثلاثة آلاف قتيل وتهقر الى (توكر)  
وتابع الجنرال جراهم مسيره متأثراً له فلم يصادف مقاومة في طريقه  
وكان عثمان يقصد من هذا التهقر ان يغتر الجنرال جراهم ويتأثره فاذا  
توغل في الغابات وأدرك جنوده بعض التعب يكر عليه ولكن الجنرال  
أدرك الحيلة وقفل راجعاً من توكر ولم يتأثر العدو وقتل بكباشي انكليزي  
وجرح بيكر باشا  
وقد وصلت أخبار هذه الهزيمة الى غردون في الخرطوم وهو في أوائل

وتوفيق بك هذا سوري الاصل كان نصرانياً ثم اعتنق الاسلام ودخل  
في خدمة الحكومة

وعلى كل حال فان عثمان نال في أعماله نجاحاً ما كان المهدي يتوهمه  
وجاءت أعماله في شرقي السودان معطلة لما كانت عليه سرعة المواصلات  
بين بربر وسواكن وتقوى به ساعد المهدي حيث كفاه مكافئة جزء  
ليس بقليل من قوات الحكومة كان في الامكان أن تحول بينه وبين تقدمه  
الى الخرطوم لو عمدت الحكومة الى ارسالها مع غردون لدى عودته

ومن المدهش ان الحكومة في تلك الايام قصدت فتح طريق من  
مصوع الى كسلا فالخرطوم وهي تجهل ما في تلك الطريق من العقبات المكثورة  
والصحاري القاحلة ولو عمدت الى فتح هذا الطريق على شاطئ النيل لم تقم  
في طريقها صعوبات كالتى قامت في وجه بيكر باشا لما عاد فشلا من مخابرة  
القبائل من كسلا ولا أضاعت الاوقات في الاشياء التي لا تعود بفائدة فلا حول  
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

### واقعة الجنرال جراهم في التيب

ولما فشلت حملة بيكر باشا قررت الحكومة الانكليزية ارسال قوة  
عسكرية لقهر عثمان دقنه وفتح الطريق بين بربر وسواكن وعهدت بقيادة  
هذه الجنود الى الجنرال جراهم فوصلت هذه القوة الى سواكن في أواخر شهر  
ربيع الثاني سنة ١٣٠١ وبعد بضعة أيام انجرت منها الى ترنكيتات

على ان المصائب التي حلت بالملتزمين السابقتين دعت الجنرال جراهم  
لاخذ الحذر وعدم الاغترار فصار بحملته وعدد مشاتها ثلاثة آلاف وفرنسانه

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هجرية اجبر بيكر باشا بحملته من سواكن الي  
ترنكيمايت اي في طريق حملة محمود طاهر باشا ثم سار بحملته في ذلك الطريق ولشدة  
وعورة المسلك وتكاثر الغابات المظلمة والاشجار العظيمة كانت القوة سائرة  
علي هيئة (يولج) تتقدمها المدافع وبجانيها الفرسان وكان العدو كامنا في الطريق  
فوثب عليها عثمان واختلطت مقدمته بمقدمتها فاول القائد تشكيل قلعة من  
المشاة ولكن اسراع العدو في الهجوم وخفة حركاته حالا دون اتمام العمل  
فركن من في الساقة الي الفرار والقوا ما بيديهم من الاسلحة وأثنى العدو  
فيهم قتلا وضربا فكانت جملة الخسارة نحو ثلاثة آلاف قتيل ونجا القائد  
ولحق بترنكيمايت وغنم عثمان كل الاسلحة والمدافع التي كان فيها عدد من  
الطراز الكبير جدا

على ان هذه الهزيمة جاءت تلو التي قبلها وبالا سباب عينها الا أن جنود  
بيكر باشا أطلقوا نيرانا كانت كافية لارجاع العدو القهقري لو لم يختلط  
فرسان العدو بفرسان الحملة فتقوض الجانب الذين يحمونه من هيئة المربع  
المستطيل فكان الفشل من نصيب الحملة ولا يعزب عن فكر القاري ان  
هذه الحملة جاءت مذبحتها بعد مذبحه الجنرال هيكل فكانت الدهشة بمصاها  
عظيمة وان توفيق بك كان قد وصلت اليه أخبار تقدمها فكان الامل يملأ  
جانيه بأن تنقذه فلما بلغه ما أصابها خرج بجنوده القليلين ليخترق صفوف  
العدو إما له وإما عليه فخرج في حالة تدل على ما كان عليه من الشجاعة التي  
ضاعفها اليأس وما كادت جنوده تفارق الزريبة حتي أحاط بها العدو من كل  
جانب ومكان وعدده يربو على ستين ألفا أي لكل رجل من رجاله ألف  
من رجال عثمان فقتل هو ووجنوده بعد دفاع اعترف له ووجنوده بفضل الاعداء



وعلى أثر ذلك جاءت الانباء الى الحكومة بزيادة الخطر على الخرطوم وعولت على اجراء عمل من شأنه أن يسهل اخلاءها وصار العدويشن الغارة حول المدينة ولولا البحر لاستولي عليها فأرسلت الحكومة البريطانية سفننا حربية حافظت على المدينة ومنعت وقوعها في قبضة العدو

### حملة بيكر باشا

لما هزمت حملة محمود طاهر باشا انتدبت الحكومة بيكر باشا قومندان الجندرية المصرية ومعه نحو أربعة آلاف جندي وفي أواخر المحرم سنة ١٣٠١ هجرية استعرض المغفور له الخديوي توفيق باشا جنود بيكر باشا في القاهرة وأبدى سروره من حسن انتظامهم ثم غادر بيكر باشا القاهرة قاصداً سواكن ومكث أياما يخبر رؤساء القبائل بخبرات سلمية فلم تسفر عن نتيجة مرضية ثم أبدى رغبته الى الحكومة أن تاذن له بمخابرة قبائل مصوع عساه يجد منهم حلفاء يعاونونه على فتح الطريق الى كسلا ومنها الى الخرطوم فصادت ماموريتهم بعض النجاح حيث وجد قبائل بني عامر والهاباب ينفرون من المهدوية ولذا لم يدخلوا في طاعتها فتولد عنده أمل النجاح وأخذ يخبر القبائل الواقعة بالقرب من كسلا فعلم انها كلها دخلت في طاعة المهدوية ورفعت لواء العصيان على الحكومة

وبعد بحث طويل علم أن الطريق من مصوع الى كسلا مملوءة بالغابات ومحاطة بكثير من الصعوبات وان الطريق من كسلا الى الخرطوم بعيدة وانه يخترق صحراء قاحلة فعاد الى سواكن واخذ في الاهبة للزحف علي توكر لاتخاذها وانقاذ سنكات

## ذكر واقعة سنكات وقتل توفيق بك

لما عسكر عثمان في سنكات أصدرت الحكومة أمراً الى محافظ  
سواكن بوجوب القبض عليه فانتدب توفيق بك مأمور توكر وستين جندياً  
للقبض عليه ولم تكن الحكومة عالمة ان عثمان معه نحو عشرين ألف مقاتل  
واستصحب توفيق بك شيخ قبيلتي الشعياب والنوراب اللذين أكدا له  
سهولة القبض على عثمان وأقسما له أن يكونا عوين له وما كاد توفيق يصل الى  
(سنكات) حتى فرأى منه ولحقا بعثمان الذي بدأ يهاجم الجنود وهم بالرغم عن قتلهم  
يردونه ويدفعونه بخسائر وفي آخر الامر تحصن توفيق بك داخل زريبة من  
الشوك واحتفر متاريس ليدافع بها حتى صار من أمر الحملة ان عثمان فتك بها  
بعد هزيمة الحملة التي كان يقودها محمود طاهر باشا وتلتها هزيمة بيكر باشا كما  
يأتى سرد ذلك

## ذكر حملة محمود طاهر باشا

لما قررت الحكومة ترك السودان وإخلاء عهدها الى محمود طاهر  
باشا قيادة خمسة آلاف من الجنود لانتفاذ توكر وسنكات فشغصت الحملة من  
سواكن الى ترنكيتات بحراً ثم سارت براً من ترنكيتات قاصدة توكر  
وكان عثمان قد علم بأمر هذه الحملة فشد جيشاً جراراً يزيد عدده على  
خمسین ألف مقاتل كلهم في نهاية الحماس وكن بهم في منتصف الطريق بين  
توكر وترنكيتات ولم تقطع الحملة مسيرة عشرة أميال حتى خرج عليها الكمين  
من كل ناحية وداهمها على غرة فأوقع بها ولم ينج منها غير القائد وقليل من  
الجنود وغنم عثمان كل ذخيرتها ومدافعها

أميال بعث يعلم الشيخ الطاهر وكان مقيماً في سواكن مغموراً بنعماء الحكومة  
الى درجة انها كانت تسكف المسجونين بقضاء حوائجهم الذاتية كالابنية وحفر  
الآبار اسوة أعمال الحكومة

وفي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية استأذن الشيخ  
الطاهر الحكومة ليغادر المدينة الى هندوب حيث عزم على حفر بئر فيها  
وتشييد مسجد فأعطته الحكومة ثلاثين مسجوناً من المصريين ليقوموا بهذا  
العمل وفي اليوم التالي شخص من المدينة ومعه كل أسرته

ولما أطلع عثمان الشيخ الطاهر على ما كتبه المهدي وألح عليه في  
قبول الامارة لم يتغير عن عزمه الاول وقام في وسط الجموع وبائع عثمان بيعة  
المهدي ونزع ملبسه ولبس شعار المهدي الذي هو القميص المرقع وقبض  
عثمان على الثلاثين مسجوناً وذبحهم وكان ذلك ضحوة يوم عيد الاضحى فكان  
الناس يقولون نصحي بهؤلاء الكفار

والتفت القبائل كلها حوله وبائعوه اقتداء بالشيخ الطاهر وترامت  
أخباره الي كسلا ومصوع ودخلت جميع القبائل في طاعته ماعدا قبيلتي بني  
عامر والهاباب ثم غادر عثمان ومن التفت حوله هندوب لقربها من سواكن  
ولحق (بسنكات) لبعدها ومنعتها بالوعور والغابات

هذا وقد بقي بعض القبائل يبطن الولاء لعثمان ويظاهر الحكومة  
بالطاعة حتي كانت واقعة سنكات وقيام الاهلين عن بكرة أبيهم بالثورة وخلع  
طاعة الحكومة

على الرضى وعدم القبول فليكن الأمر الناهى في باطن الأمر على عثمان دقنه  
وقد أوصى المهدي عثمان دقنه بترك الإمارة لاستاذة إذا رضى بما كتبه  
المهدي وإن أصر على رأيه الأول فليكن مؤتمراً بكل ما يأمره به وفى كلا  
الحالين إن المسؤل الحقيقى أمام المهدي هو الشيخ الطاهر لا عثمان دقنه  
كل هذا يدل على أن المهدي لم يكن واثقاً بعثمان دقنه وقد اتفق الطاهر  
وعثمان على أن يكون الثانى منفذاً لكل أوامر الأول

على أن عثمان دقنه لم يكن واجداً في نفسه أقل شيء من استاذة وكانا  
على حالتهما الأولى وعثمان أطوع له من يده وكل الأعمال التي كالت بالنجاح  
الباهر في أوائل أمر عثمان دقنه كانت من أعمال استاذة وسيأتى أن الشيخ  
الطاهر لما لحق بالتماشى في أم درمان ظهر الخلل في أعمال عثمان دقنه فاعيد  
إلى سواكن فتدارك الخلل وبعد وفاته هزم عثمان من توكر وتفرقت من  
حواله القبائل. وقصارى القول أن الفاعل الحقيقى لكل ما جرى في السودان  
الشرقى هو الشيخ الطاهر وإن عثمان دقنه لم يكن إلا آلة في يده وهذه  
حقيقة لا ينكرها إلا الذين يجهلون الحقائق ويحكمون بالإشاعة

### ذكر لحاق الشيخ الطاهر بعثمان دقنه وذبح المسجونين

كان جواسيس الحكومة في كوردفان أبلغوا الحكمدارية في الخرطوم  
أمر عثمان فعمّلت على القبض عليه قبل وصوله إلى سواكن فلم تفلح ويقول الثقات  
أنه قضى عدة أيام في بوبر عند صهره والحكام لا هون عنه بالرغم عن تشديد  
الحكمدارية في القبض عليه

ولما قرب عثمان من (هندوب) التي لا تبعد عن سواكن بأكثر من خمسة

ذلك وأيضاً لا تعتمدوا على الكثرة بل اجتهدوا في الصفة التي هي الاعتماد على الله وحده وزهد الدنيا والتشوف الى ما عند الله في دار البقاء فالذي عندهم ينفذ وما عند الله باق فان الكثرة بغير الله خذلان فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فاصبروا على مراد الله راجين له وانظروا لنصرة الله ولا تعينوا للقوة الاخرى فقد قال تعالى (ويوم حنين اذ أعجبكم كثرتمكم فلم تكن عنكم شيئاً) فانظروا لذلتكم الحقيقية التي هي عجزكم من أنفسكم اذ أنتم من نظفة مذرة فعزل بكم ما ترونه من كمال هيكلكم بقوته والروح التي تتحركون بها هي بيد الله قبل الروح من أمر ربي وبغيرها الانسان خير منه الطين لانه يصير منتناً ومن نظر هذا المعنى عرف ان ملكوت كل شيء بيد الله فلا يخشى من غير الله وهو الذي له الخلق والامر فلا تخشوا الناس واخشوا الله الذي بيده كل شيء وقوموا بامر الله فقد قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) فاعتمدوا على الله واكتفوا به واشتاقوا الى الذي عنده والسلام

ولما غادر عثمان دقنه بربر وجد آخر حملة من الجنود نازلة على منهل بين بربر وسواكن اسمه (ككريب) فاخذ يبكي وينتحب ويقول لمن معه ثب على هؤلاء الكفار لنقتلهم فلم يوافق أصحابه وكانوا بضعة أشخاص ثم تابع سيره والناس يفدون عليه لاخذ البيعة وتقديم الطاعة والخضوع ومع ذلك كان يكرم أمره ولم يجاهر بدعوته حتي يجتمع بالشيخ الطاهر

وقد سلم المهدي كتابين بخط يده الى عثمان ليوصلهما له في أحدهما ان نائبه علي السودان الشرقي هو الشيخ الطاهر ويأمر الناس بمبايعته وفي الخطاب الثاني استعطاف له والحاخ بقبول هذا المنصب وانه اذا كان مصرأ



انه لا مرجع له الا اليه مع معرفة أياديه وعظمته وما أعده في الآخرة ليشاق  
اليه فقط ويصرف نظره عن ما يعطله قائلًا وإنا اليه راجعون فيثيبه الله بصلوات عليه  
فيصلي عليه كما صلي على أحبائه من الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين ويرحمه  
الرحمة الخاصة التي تليق بعظمته وبما ظنه في الله قد سلك طريق الله والجنة  
فهده الله الي ذلك لان الجزء من جنس العمل ومن جاهد يهديه الله كما  
قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا تطمعوا أحبائي في غير ربكم  
ولا تتشوفوا لغير دار الدوام مما يزول ويعقب حسرة تطول فتعموا ببلاء  
الدنيا لحسن الظن بالله وأعرضوا عن متاع الدنيا التي تعقب الشقاء وحثوا اخواننا  
الذين معكم بالحال والمقال وكونوا كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا  
بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموال  
بل أحياء ولكن لا تشعرون) ووطنوا أنفسكم على الرضا بقوله تعالى (ولنبلونكم  
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر  
الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم  
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لتناولوا بالرضا والصبر على مراد  
الله تحسينا لظنكم بالله الصلوات والرحمة والهداية كما ذكرت ذلك ولا تغفلوا  
عن ذلك والسلام»

(ملحق)

وانه يا حبيبي بعد وصيتي هذه فليكن اعتمادكم على الله تعالى في كامل  
أمركم تصديقا ومثالا لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فالتوكل  
على الله كنز المؤمن لان المؤمن كنزه ربه كما ورد وحيث ان مطمح نظره  
ربه وصل اليه وجازاه ومن اعتمد على غير الله خذله في محل حاجته كما لا يخفى

أولوية الله له وشفقته عليه فيحسن به الظن زيادة عما يحسنه في أبيه الشفيق عليه الذي يعلم خبرته وقدرته وغناه فيعلم يقينا أن أباه الموصوف بتلك الصفات لولا محض الشفقة عليه واردة الخير له لا يفسده ولا يسقيه الدواء المر العفن البشع ولا يأخذ ماله الا لزيادته له فكذلك المؤمن بالله وبأولوية الله يعلم ان عند الله خيرا لا تزنه السموات والارض وما فيهما ويعلم انه قادر على اعطائه كل خير وبسببه خزائن الخيرات ولكن المعلوم أن المريض اذا أعطاه أبوه لذيذ الاطعمة عجلت بموته واذا أباح له الملاعب والشهوات عن الحبس للتعليم كبر سفيها جاهلا وكذلك حكمة الله في صرف النعم عن عبده وتفريده عنها في الدنيا من هذا القبيل وأعلا علما في ضرره بالحاضر الذي يعقب حسرة طويلة ولذلك فعل باصفيائه ما فعل ممأ هو معلوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل) والاعبار في هذا المعنى كثيرة من الكتاب والسنة فانظروا ما ناله العبد بالبلاء في قوله تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمهم وأولئك هم المهتدون) فقوله قالوا انا لله وإنا اليه راجعون هو حسن ظن بالله معرفة به لكثرة أياديهِ ونعمه عليه واشتياقا اليه دون الشهوات التي تكون قبل لقائه فالمعلوم ان من انتسب الى ملك واخلص في انتسابه له وعلم الملك ان له حقيقة عمل له كل احسان ورفع به بكل درجة واذا علم الملك أيضا من قلب ذلك الشخص انه الى ابدِه مستعد من قلبه انه لا يرجع الي غيره أعدله ما يقدر عليه من حسن المأوى فكذلك العبد المؤمن لما يعلم أيادي الله عليه وأولويته له مع معرفته انه قادر وغني وخبير يفرح بما يقضيه عليه قائلا انا لله يعني نحن ملك الله وهو الاولى بنا منا ولما يعلم

فشمرك أنت واخوانك التابعون لنا عن ساعد الجد على ترك المشتبهات النفسية  
ومقاساة الشدائد التي تقرب الى رب البرية فيدوم خيرها في الدار الآخوية  
والمعلوم أن الخير الذي لا يدوم خير منه الشر الذي لا يدوم لأن صاحب الخير  
الذي زال أشد الناس حسرة وتوجعا وصاحب الشر الذي زال أشد الناس  
فرحاً وسروراً فلما علم العاقل المؤمن بما عند الله عاقبة خيرات الدنيا زهدها  
لشؤمها عند الفوات وشدة حسرتها عند الممات مع انها تشغل عما في الآخرة  
وتصرف عن القيام لله خالصا والوثوق بالله صادقا فانيوا لما عند الله واكتفوا  
بالله ولا تتنعموا في دار البلايا ودار الظالمين الاشقياء فتصرفوا بذلك عما أعد  
للمتقين واقتدوا بالنبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه في الاعراض عن الدنيا  
ومتاعها واصبروا على الجوع والخضوع لما عند الله بالقلب القنوع واعلموا انه  
لو كان في الدنيا خير لصهبها الله على عبده المؤمن ولا عطاء كل ما عند الكفار  
ولكن ليست هذه الدنيا محل العطاء ولا دار الجزاء ولا زمن السراء فاعرفوا  
ما خلقت له من الاكتساب منها الى محل الاجتماع بالاحباء ودوام اللقاء فيها  
يا احبابي ولا تتعطلوا بهذه الدار مع من تعطل بها لغروره بمحض البلاء قال الله  
تعالى «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجالعون  
ما عليها صعيداً جرزاً» خير الدنيا مؤد الى الوقوع في الهوي الخلاء وانظروا  
ثواب ما فيها من البلاء اذ قال الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع  
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم  
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
وأولئك هم المهتدون) فانظروا العطاء الذي في البلاء وهو الصلاة من الله مع  
الرحمة والهداية اذا كان البعد راضياً أو صابراً على مراد الله لما عند الله معتقداً

الى سواكن يعظه فيه واتباعه ويزهدهم في الدنيا

أما المنشور الذي يتضمن توليته فنورد خواه نقلا عن مصادر أخرى وهو بعد ذكر ما أصاب الاسلام من الضعف وما انتابه من تعطيل الحدود انني قد وجهت اليكم الشيخ عثمان بن أبي بكر دقنه السواكني نائبا عني فيكم فبايعوه ووازره وانصروه واني أرف لسكم بشرى ما أتاح الله لي من النصر والاستيلاء على كوردفان كلها ولكم البشرى أيضا بان الله سينصركم ويثبت أقدامكم ويورثكم السودان الشرقي ويهلك من فيه من جنود الحكومة لقوله تعالى (ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين) وأما المنشور الذي تضمن عبارات الوعظ والزهد فان بعضهم يقول انه صدر مع هذا المنشور وهذا قول لا نصيب له من الصحة اذ المنشور يتضمن عبارات كثيرة من المدح والثناء على عثمان دقنه مما يدل على انه صدر بعد ان عاد عثمان الى سواكن وبدأ بتثيل رواياته التي أدهشت المهدي نفسه كما أدهشت للعالم كله لانه لم يكن يتوقع منه مثل هذه الاعمال الباهرة وهاهي صورة المنشور بنصها نقلا عن الجزء الاول من كتاب المنشورات صحيفة ٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفيه وعونه ونائبه في اقامة دين الله ذي الرأفة بالضعفاء عباد الله المستسلمين النيبين الى الله والشدة على المتكبرين اعداء الله عثمان بن أبي بكر دقنه وقاه الله كل محنة وجعله الله من أعلا أهل المكرمة. حبيبي ان الدين قد انهدم بسبب تشييد الحظوظ النفسية السفلية التي تزول عن قريب وتحجب عن دوام النصيب

وكان ضمن هذا الكتاب ان الحكومة عولت على انفاذ حملة لقهر المهدي وسيكون طريق هذه الحملة من ثغر سواكن الى بربر وأشار على المهدي بوجوب المبادرة بارسال عثمان لان أهالي السودان الشرقي كلهم متأهبون للقيام معه وخلع طاعة الحكومة فيتمرد سائر الحملة الى بربر وتتهيأ للمهدي الفرصة للاستيلاء على الخرطوم لان قيام الثورة في ضواحي سواكن يضطر الحكومة الى اعادة الجنود الى مصري ترسلهم عن طريق دقله أو العظموور فلا يصلون الخرطوم في أقل من عامين على ان هذه الطريقة كانت تأتي بالنتيجة المذكورة لو لم يتردد المهدي في قبولها لان الاشهر التي أقامها عثمان عند المهدي كانت كافية لبلوغ معظم الجنود بربر فلم ينجح عثمان فيما كان دبره له استأذه من عرقلة سير الحملة وسد الطريق في وجهها وان نجح من جهة أخرى حيث خلع أهالي شرق السودان أجمعون طاعة الحكومة والتفوا حوله وبلغ ما كانت تحدته بالارتقاء اليه زيارته ونال فوق ما كان يتناه ثم أخذ أمره بالاضمحلال وساءت أفعاله وثقلت وطأته على الذين شددوا أزره وتجردوا النصرته وكان سقوطه مساويا لارتفاعه كما سنشرحه بعد

### ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن

لما اقتنع المهدي بسلامة نية الشيخ الطاهر خاف أن تقوته فرصة عرقلة سير الجنود من سواكن الى بربر فسير عثمان دقنه من الايض في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٠ وكتب له منشورا الى جميع أهالي السودان يعلمهم بأمر دعوته ويأمرهم بطاعته وموازرته وقد بحثنا على صورة هذا المنشور في مجلدَي المنشورات فلم نظفر بها ولكن عثرنا على منشور كتبه بعد ان وصل



ومن حصل له شك يظهر له فيما بعد كما بين والسلام شعبان سنة ١٢٩٨»

ولما حاصر المهدي الأبيض كان يوالى ارسال الخطابات الى الشيخ الطاهر يستحثه فيها على مناوأة الحكومة والقيام بدعوته في السودان الشرقي وأذن له بمبايعة الناس نيابة عنه وانه أمير من قبله على هاته البلاد فبعث اليه الشيخ الطاهر بوفد من أتباعه يرأسه عثمان دقنه ومعه كتاب يقول فيه ان عثمان دقنه من خيرة مريديه وأصدق أتباعه وانه من رجال الحزم والعزم وانه لا يفضل أبناءه النازلين من صلبه عليه وان إمارة شرق السودان خليك بها اكثر منى واننى لأستنكف أن أكون تابعا لافضل مریدی عثمان وأكون مستشاره ومدبر أموره وأنصح لكل أتباعى بالقيام بنصرته وموازرتة وان المانع لى من قبول هذا الامر لنفسى هو الطعن فى السن وعدم القدرة على الانتقال والقيام والقعود اذ هي من ضروريات هذا المنصب وبكفني ان أكون أول من يذعن بالطاعة لعثمان وفى ذلك من انتعاضيد والحض لمعوم أتباعي ما يقرن عمله بالنجاح

ولما قدم عثمان على المهدي وجد الأبيض سقطت فى قبضته فتلقاه بالخفاوة والاكرام

ولما اطلع على الخطاب داخله بعض الريب فى أمر الشيخ الطاهر وتردد فى قبول ما أشار به عليه لانه لم يكن وأثقا بانه يرفض قبول الرئاسة لمثل هذه الاعذار ويهديها الى أحد مريديه وبعد بضعة شهور تحقق ان الشيخ الطاهر مصيب فى كل ما قاله وخصوصا لأنه ملازم للخلو والانعزاد ويتألم من الفوغاء وليس بين أولاده من ينهض بهذا الحمل الثقيل وبعد مداوات كثيرة بينه وبين التعايشى أيقن بصحة القول وعزم على انفاذ عثمان دقنه واسناد هذه المهمة اليه

تقويم السنة ومعلوم أن جاه الدنيا ولذتها لا يؤثره العاقل العارف لأن ما في  
الدنيا مفارق يصير كأنه لم يكن ولذتها لا تقي بحسرتها بل عين اللذة تصير عين  
الحسرة حتي لا يجد بيده شيء فالعاقل العارف لا يسعى الا في رضا الله وعلى  
ذلك يا احبابي اني لم أقدم على تنبيه الناس احثهم على النعيم لاقامة السنة الا  
بأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يكذب على سيد الوجود الا  
من لا اخلاق له عند الله ومع ذلك شهد على ذلك جمع من الاتقياء الذين  
يعتقونهم ومكانهم عند الله لا يخفي وفضلا عن ذلك تعلمون هذا الزمن وما  
فيه من البدع وما لهم تحصن من ذلك الا بالفرار بالدين وطلب الهجرة بالدين  
في هذا الحال وارد كتابا وسنة ووعيد من ترك الهجرة وارد كتابا وسنة كما  
لا يخفى وقد كاتبت على أمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع أهل الدين باللم  
علي دين الله واقامة السنة وقد ضمن النبي صلى الله عليه وسلم من يكون  
معنا وما ذلك الا امر من الله ورسوله فان كانت قد بلغتكم تلك الاجوبة  
السابقة فهذا اليكم لتشعروا على ذلك فان هذا الامر ما بثته الا بعد أن خرج من  
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم تكرر مرارا عديدة وفضلا عن ذلك أن  
من مثلكم لازم يكون لمثل هذا الامر أول قائم ويحث عليه ومعلوم أن من  
تركه وصد عنه فعليه اثم واثم من صدم جميعا واعلموا انكم ان اتبعتم هذا  
الامر صرتم من المقربين والا كان عليكم اثمكم واثم من تبعكم وهذا الامر  
حقيقة من الله ورسوله ولا يخفى انه لا يعز على الله أن يظهر قدرته في أضعف  
خلقه ويظهر الدين على كراهة اهل معصيته فمن أعرض عن ذلك فحسبه الله  
فان مات قبل ظهوره لم يأمن عقوبة الله في اعراضه عن الحق وصدده لمن اراد  
الاستقامة والهجرة لله ورسوله ومعلوم أن من لم يتبع هذا الامر يخذل في الدارين

ما يقال فيه ان قتل ساعديه واعتدال قامته يدلان على القوة والفتوة  
 واشتهر عن عثمان الشره في الاكل حتى انه يأكل الحروف المشوى وحده  
 وكما اشتهر بالنهم فقد عرف عنه الصبر على الجوع حتى انه في اكثر أسفاره  
 وغزواته يصبر عن الغذاء اياما معدودة ويقتصر على اكل ورق السدر وغيره  
 من ورق الشجر الكثير المرارة والحاصل انه غريب الشكل في اخلاقه وعاداته  
 وسيأتى ذكر كثير من هذه الغرائب

### ذكر وفود عثمان دقنه علي المهدي

كانت الخطابات بين المهدي والشيخ الطاهر المجذوب متبادلة منذ وطن  
 المهدي نفسه على اتحال هذه الدعوى ويقال ان اول خطاب وصل الى الشيخ  
 الطاهر من المهدي مؤرخ في شعبان سنة ١٢٩٨ يخاطب به كل المشايخ ومثل  
 هذه الخطابات كثير وقد اخترنا هذا النورده هنا نقلا عن الجزء الاول من كتاب  
 المنشورات وهو بنصه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله جزيل السلام الي كافة الاخوان  
 من المحبين ومشايخ الدين لا يخفى في عزيز علمكم أن المؤمن لا عناية له الا فيما  
 يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على السنة والكتاب وبصرف الهمة في  
 هذا الوجه يتولاه الله ويقوم بحظوظه في الدارين واذا التفت الى حظوظه  
 وصرف همته الي ذلك وكله الله على نفسه ولم يحصل له من حظوظه شيء  
 الا بالتعب القلبي والبدني واتم ايها المؤمنون الذين يظن بكم المعاونة على

مريضة جداً فقال له اننى أعرف نوعاً من الزايرجة ولكننى اشك فى صدقها  
فقال ولماذا فقال لأنها منذ عشرين سنة مضت تخبرني باننى أصير ملكاً كبيراً  
وشهرتي تطبق آفاق الارض كلها فقال له الموظف لا بأس من سؤالها عن  
صحة ابنتي فتناول قرطاساً وقلماً وبعد ساعة رفع رأسه وقال له تقول الكاذبة  
ان ابنتك قد زال عنها الخطر وانه يأتيك خبر شفائها قبل ان تقوم من مقامك  
هذا ثم قال انها تقول ذلك ولكننى أخبرتك بانها تكذب على منذ  
عشرين سنة ولم يتم هذه الكلمات حتى دخل موزع التلغراف ورفع الى  
رسالة قرأت فيها شفاء ابنتي وزوال الخطر عنها فلما سمع عثمان دقته  
هذا الكلام ضحك حتى استلقي على ظهره وقال هذه أول مرة صدقت  
فيها ولعلها تصدق بعد الآن واننى لا انصرف من هاهنا حتى اسألها السؤال  
الذى لم تصدق في الاجابة عنه منذ عشرين عاماً فتناول القرطاس والقلم وأخذ  
يرقم الاعداد وفي النهاية ضحك وقهقه وقال لى انها تقول دنا الاجل فاطرح  
الوجل ثم أخذنا فى حديث آخر فاستأذنى بالانصراف فشيخته الى الباب  
وكررت عليه الرجاء ان لا يجعل زيارته كبيعة الديك فقال مازحاً وهل تحب  
ان تكون بيضة دجاجة فقلت نعم فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف فلم أره  
حتى سمعت بظهوره فى ارباض سواكن وانتشار نفوذه فى كل انحاء السودان  
الشرقي ويبد الله كل شيء

وقد كان عثمان مشهوراً منذ حداثة سنه بالميل الى العبادة ومواظبة  
الصلاة وملازمة أوراد الطريقة وكان مشهوراً بالشفقة والرحمة

هذا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولأول وقوع بصرنا ادركنا  
انها غير حقيقية بل هى صور وهمية او خيالية تبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً وغاية

وكانت بينه وبين صاحب الطريقة الميرغنية مناظرات شديدة توارثها  
اتباعهما وكانت أسرة عثمان دقنه من أعظم أتباع الشيخ محمد المجذوب. وله  
ديوان في المدائح النبوية وتوفي ولم يعقب فورثه ابن أخيه الشيخ الطاهر  
المجذوب وكان في بداية أمره على منزلة تقرب من منزلة عمه في قلوب الناس  
وله أملاك في سواكن والحكومة تبالغ في احترامه وتتسابق الى استرضائه  
حتى كان من أمره ماسنورده والله في خلقه شؤون

### ترجمة عثمان دقنه

هو عثمان بن أبي بكر دقنه نسبة الى قبيلة ( الدقني ) وهي قبيلة صغيرة  
تسكن سواكن وأصلها منسوب الى قائد تركي نفاه ساكن الجنب السلطان  
محمود وكان عمه وجيهين في سواكن أحدهما على دقنه حاز لقب بك من  
الحكومة وكان المترجم صاحب أملاك في سواكن وتاجراً يتردد الى مصر  
في كل عام

وفي سنة ١٢٩٤ هجرية سافر الى دارفور ويقال انه قبض عليه مع قافلة  
نحاسين وسيق الى المحاكمة ثم فر منها وفقد كل ثروته التي كانت حوالي عشرة  
آلاف جنيه وكان متزوجاً بابنة عبد الغفار الضوي أحد تجار المصريين في  
بربر وكان أعطاه عشرة آلاف ريال ليتجر بها فأضاعها ثم لحق بسواكن ومكث  
بها ففجر الدائنون على أملاكه

وحكى لنا موظف في سواكن ان عثمان دقنه جاءه متظلماً مما أتاه  
الدائنون معه حيث حجبوا على كل ما يملكه حتى الضروري لحياته فوجد الموظف  
مرتبكاً في بحر أفكار شديدة فسأله عن حاله فقال أتانى تلغراف ان ابنتي



## ترجمة الشيخ الطاهر المجذوب

غير خاف ان عثمان دقنه هو الذي كان داعية المهدي ونائبه في السودان الشرقى وكان عثمان دقنه مريداً للشيخ الطاهر المجذوب ومخلصاً وسيعلم القارىء مما يجيء ان المهدي لم يكن مصطفى عثمان دقنه لهذا الامر الخطير بل الذى اصطفاه له أستاذه الشيخ الطاهر ولذلك رأينا أن ترجمه هنا ثم نمقبه بترجمة عثمان دقنه ليكون القارىء على بينة من أمرهما فنقول

الشيخ الطاهر المجذوب هو شيخ الطريقة المجذوبية ورث هذه السجادة عن عمه الشيخ محمد المجذوب الصغير تلميذ السيد احمد بن إدريس المغربى وأصلهما من بطن من بطون قبيلة الجميلين اسمه المجاذيب نسبة الى جدهم حمد المجذوب ويسكن هؤلاء الناس على ضفة النيل جنوب نهر (أتره) فى قرية (الدامر) محل ضريح جدهم حمد المجذوب

أما محمد المجذوب عم صاحب الترجمة فانه ولد بهذه القرية ثم هاجر منها ولحق بالحجاز وهناك التقي بأستاذه السيد احمد بن إدريس ومكث ملازماً كبقية تلاميذه مثل السيد السنوسى صاحب الطريقة السنوسية المشهورة بأفريقية الغربية والسيد محمد عثمان الميرغنى صاحب الطريقة الميرغنية أو الختمية وغيرهم كإبراهيم الرشيد نزىل مكة المكرمة ثم عاد محمد المجذوب الى الحجاز بعد أن نال من أستاذه كل رعاية والتفات وتحصل على درجة سامية من العلوم العقلية والنقلية ثم غادر الحرمين الشريفين واستوطن ضواحي سواكن فانتظم فى سلك أتباعه الألوف من رجال القبائل وترامت شهرته فى أطراف البلاد حتى صارت القبائل تحترمه احتراماً زائداً وتجنه حبا فوق العادة

الخبز فأعطوه بصلة فأراد أن يهشمها ويأكلها كما رأهم يفعلون فتصاعد ريحها  
إلى أنفه فغذف بها إلى الأرض وأخذ يركض إلى الحي مستصر خاقومه إلى الانتقام  
من هذه القافلة التي جاءت إلى بلادهم بنوع خبيث ينشر بينهم الأمراض  
وينقل إلى بلادهم جراثيم الاوبئة والأمراض وبعد غناء شديد تمكنت القافلة  
من متابعة سيرها ونجت من الهلكة

ومن ذلك أن رجلاً من أهالي بربر تعرف برجل من كبار الأعراب  
فنزل ضيفاً عليه في بربر فقدم له غداءً من طيخ الملوخية فامتلاً الرجل غيظاً  
وقال لمضيفه هل أنا بمنزلة الثور عندك حتى تقدم لي الحشائش الخضراء التي  
لا يأكلها غير ثورك فأخذ الرجل في ملاطفته ليقنعه بأن غداءه وغداء سائر  
مواطنيه من هذا النوع فلم يصدقه وخرج من منزله في أشد حالات الغضب  
فسبحان من أقام العباد فيما أراد

وأهالي السودان الشرقي كلهم يتركون شعورهم حتى تبلغ من الطول  
الحد النهائي وشعورهم صلبة قوية يتركونها واقفة غير مسبوكة يخالها الرأي  
من البعد قبة من النوع الأسود الطويل جداً ويدهنونها بشحم الجمال أو البقر  
وملابسهم هي ملء من (الدمور) ولا يلبسون شيئاً من السراويل أو الاقبية  
ويزعمون أن لباس السراويل والاقبية مما يولد الأمراض في الجسم سيما  
أمراض المعدة وحلق الشعر أو قصه مما يولد أمراض العيون وضعف البصر  
هذا ما نوردته هنا عن شرقي السودان عموماً حيث نسرده حوادثه وسيأتي  
السلام عن كل جهة بما فيه الفائدة والله الموفق



بغير مشقة ومن أشهر القبائل التي تسكن رؤس الجبال وبطون الكهوف  
( الباريه ) وهى قبيلة أعجمية ديانها مجوسية ولم تخضع للحكومة ورجأها  
ذوو بأس وشجاعة يقطعون السبل على المارة ويغيرون على بلاد الحكومة  
ومنهم قبائل كثيرة تدين بالاسلام وعوائدها تشبه عوائد طوائف الدروز  
واليزيدية

وتنسب قبائل بني عامر والهاباب الى رجال من الاكراد سجنهم  
سلاطين العثمانيين فى سواحل البحر الاحمر منذ أربعة قرون أو أكثر فتزوج  
أولئك المسيجون نساء من الاحباش والزنج وانتشر نسلهم وعاشوا بعيشتهم  
البدوية كالسلافهم الاكراد

أما الزراعة فى جميع أنحاء السودان الشرقى فانها لا تذكر وأكثر القبائل  
تعيش بغير الحبز ووجد منهم من لم يدق الحبز مدة حياته وقس على ذلك  
سائر البقول فانها غير معروفة عندهم البتة

ويوجد فى داخل مدينة سواكن أناس من السكان الاصليين لا يدقون  
الحبز مرة فى السنة وغذاؤهم قاصر على اللحم والابن وطريقتهم فى اللحم واحدة  
لا تبدل وهى انهم يأتون بأحجار يضرعون عليها النار حتى تتحول حجراً  
فيضعون عليها اللحم حتى ينضج ويصير اللحم لذيذاً واسمه ( سلات ) ويمكن  
لسكك انسان أن يحصل على هذا اللحم بثن بخس اذ الاسواق مملوءة به وثمان  
الشاة الواحدة لا يبلغ خمسة عشر قرشاً مصرياً والوعاء الذي يحوى نحو  
خمسة وعشرين رطلاً من اللبن لا يبلغ ثمنه أكثر من قرشين

ومن الطف الزواجر التي سمعتها ان اعرابيا من قبائل السودان الشرقى  
التقى بقافلة سائرة من بربر الى سواكن فرأى بين أيديهم بصلاً يأكلونه مع

## حوادث السودان الشرقي

السودان الشرقي عبارة عن فيافي مترامية الاطراف تمتد من شرق وشمال نهر (أتره) حتي شطوط البحر الاحمر كمصوع وسواكن وغيرها من تلك الشطوط ومتاخم للاحباش من جهات كثيرة وهو عبارة عن اقليم (التاكا) وقاعدته مدينة (كسلا) وحافظات الشواطي' كمصوع وسواكن وغيرها وسكانه قبائل ضاربة ألوانهم الى لون النحاس أو بعبارة أخرى كلون زنوج أفريقية الجنوبية الذين تختلف ألوانهم عن زنوج السودان الاوسط وهاته القبائل تشبه بعضها في الاخلاق والعادات مع بعض فروع وكلها لا تتكلم باللغة العربية بل بلغات أعجمية لا كتابة لها وتعيش اكثر القبائل كما يعيش الاعراب الرحالة بالبان الماشية ولحومها وماشيتهم جلبها من الابل وتسكن بعض القبائل رؤس الجبال وبعضها يأوي الى كهوف في الارض متسعة تسع عدة قرى في داخلها

ومن القبائل التي تعيش كمشية الاعراب قبائل (الهدندوه) وبني عامر والهاباب وأما رأر فالهدندوه تسكن حوالي كسلا وبنوعامر والهاباب يسكنان حوالي مصوع وأما رأر تسكن ضواحي سواكن وهناك قبائل كثيرة اضربنا عن ذكرها فراراً من التطويل

واكبر هاته القبائل قبيلة الهدندوه وعدد نفوسها يتجاوز مليون نسمة وماشيتها من الابل كثيرة جداً ورجالها ميالون الى الحروب وسفك الدماء والغارة على جيرانهم عكس بني عامر والهاباب المعروفتين بالميل الى الدعة والسكون ونوقهم مشهورة بعظم السنام حتى ان الواحدة منها لا تستطيع القيام

أبو بكر وقال عليه السلام ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من  
أبي بكر وحيث علمتم فهو بمنزلة الآن لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو المذكور خليفة في الدين وخلافته بأمر النبي صلى الله  
عليه وسلم فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتي فليسلم  
للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه  
على التنويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أُولِي الْأَبْصَارِ بقصة موسى  
والخضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز حكيم داود وسليمان عليهما  
الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والالوهام وإنما أنذرتكم بهذا رحمة  
لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتسبوا إليه  
الظلم والجور فتهلكوا فاحذروا عن أذية أولياء الله فإنها أذية الله ورسوله وقد  
لعن الله ذلك في كتابه فقال «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا  
والآخرة» كما أن من آذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب فإن الله غيور على أوليائه  
فقد علمتم أنه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند  
الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه وإن الخليفة هو قادة المسلمين وخليفةتنا النائب  
عنا في جميع أمور الدين وإياكم والسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال  
إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجعوا  
قبل أن تذهب حسناتكم وتسلبوا ثواب الإيمان وإنما حملني على هذا البيان  
النصيحة في الله وحمايتكم من الوقوع في هابوية الانفس والاماني فمن تاب  
تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه وهذا أمر الله ورسوله  
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ولا  
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام



الله عليه وسلم والقضاء بإشارته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا  
 يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى  
 «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة  
 من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» فمن كان في صدره  
 حرج لاجل حكمه فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك  
 بشاهد قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم  
 لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ولا شك في شرك من  
 استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله صلى الله عليه وسلم «ان أخوف  
 ما أخاف عليكم الشرك الخفي» الخ الحديث مع انه خليفة الصديق وأول  
 المصديقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن  
 العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالخضر  
 عليه السلام فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصر دينه  
 بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقد ورد في فضله كثير فحيث فهمتم  
 ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان واعلموا ان  
 جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب  
 ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم فلا تعرضوا عليه  
 فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم  
 وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسى جزماً فقد خسر  
 الدنيا والآخرة ذلك هو الحسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء  
 الخاتمة والعمى بالله لانه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه «اذيقول لصاحبه  
 لا تحزن ان الله معنا» وقال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على في الصعبة

وفي اليوم التالي خرج ومعه منشور هو الذي أوردنا خواه عند الكلام على  
سقوط (باره) وقد اشرنا الى ما كان من أمر هذا المنشور وانه أصدره ليقتع  
أهالي باره عن المطالبة بحقوقهم

وقد تضاربت الاقوال في أمر هذا المنشور فقربق قال ان هذا المنشور  
أصدره المهدي لاقتناع أهل باره وقال آخرون انه أصدره في هذا اليوم وعلى  
كل حال فان المهدي خرج على قومه في اليوم التالي بهذا المنشور وتلاه عليهم  
ليكفوا عن توجيه اللوم ونسبة الظلم لعبد الله التعايشي  
ويدل هذا المنشور أيضاً على انهما كانا متفقين باطناً على هذا العمل  
وهاهي صورة المنشور بالحرف الواحد نقلاً عن الجزء الاول من كتاب  
المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
من العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلاماً منه الى كافة عباد الله  
المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا أيها الاحباب ان الخليفة عبد الله خليفة  
الصدق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش  
المهدية المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد  
حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله  
هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا  
معه كنأدابكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله  
ولا تهموه في فعله بجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بأذن منا  
لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى

السكبايش ومن معهم ان يتركوا جميع الموائد المخالفة للكتاب والسنة  
 واتركوا نهب أموال المسلمين ولا تتعرضوا لأحد بعد ذلك وأقيموا الصلوة  
 في أوقاتها وأخرجوا زكاة أموالكم واحضروا عندنا سريعاً بدار الهجرة فأنها  
 واجبة على كل مسلم فاذا فهمتم ما ذكر فافعلوا جميع ما أمرناكم به وارجعوا  
 جماعة جهينة ما لهم كله فان سمعتم ما ذكر فعليكم امان الله ورسوله وتفوزوا  
 برضاء الله وان خالفتم أمرنا هذا فعليكم غضب الله ورسوله بمخالفتكم لامر  
 الله ولا بد من مجازاتكم وخراب دياركم والسلام التاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ  
 ولما وصل الكتاب الى المرسل اليهم اذعنوا بالخضوع للمهدي وهم يبتغون  
 له العداة وفعلوا ما أمرهم به ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تائباً عما  
 فرط من قومه واثقاً بامان المهدي

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠١ قبض التعايشي على  
 التوم وعجيل زعيم قبيلة الرزيقات التي ذكرناها في الكلام على دارفور وضرب  
 عنقهما فتأثر الناس لانهم لم يعلموا من سبب لذلك واجتمع الخليفة شريف  
 ابن عم المهدي وعمه عبد القادر ساتي على ومحمود عبد القادر وغيرهم من  
 ذوى قرابته ودخلوا على المهدي وسألوه هل أمر التعايشي بقتل ذينك  
 الرجلين فاجابهم سلباً وانحدرت الدموع من عينيه فقالوا له ان التعايشي  
 فعل هذه الفعلة لينفر الناس من مهديتك ويشوه سمعتك فاعزله وول  
 أحدنا مكانه وهاهو محمود عبد القادر خير كفؤ لهذه الخالفة فلم  
 يجهم بغير الاسترسال في البكاء وأخيراً أمرهم بالانصراف حتى يأتيه  
 النبي صلى الله عليه وسلم ويرشده الى حل هذه المشكلة وزاره  
 التعايشي فامرهم بلزوم بيتته ريثما يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم

## ذكر قتل التوم بن زعيم

الكبايش وعجيل زعيم الرزيقات

الكبايش اسم لقييلة بدوية رحالة تسكن صحراء بيوضة الواقعة بين دنقلة وكوردفان وماشيتها من الابل ويشتمل رجالها بنقل سلع التجار من كوردفان الى دنقلة وبالعكس وهي قبيلة كبيرة يربو عدد نفوسها على نصف مليون نسمة وعندهم الخيول بكثرة والسيوف والخود والدروع وسائر آلات الحرب التي من هذا القبيل وزعيمها فضل الله بن سالم

ولما وصلت دعوة المهدي الى كوردفان لم يصادف القائلون بها نجاحا عند الكبايش الذين كانوا يجاهرون بولاء الحكومة والبقاء على طاعتها ولما استولى المهدي على الابيض عاصمة كوردفان قصد الانتقام منهم لانهم كانوا يوالون الاعتداء على القبائل التي خضعت لنفوذه ومن ذلك أن الكبايش اعترضوا ظمنا لقييلة من جهينة كانت تدين بطاعة المهدي ونهبوها فكتب المهدي كتابا الى التوم وصالح ابني فضل الله زعيم الكبايش وعلي بن قریش من مشايخهم نقله هنا بنصه كما هو مثبت في صحيفة ٢٥ من الجزء الثاني من مجموعة المنشورات وهو

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى صالح ولد فضل الله والتوم أخيه وعلي ولد قریش انه ان كنتم متقادين لامر الله ورسوله وتابعين لامرنا في المهدي سلموا الدفع الله ولده محمد الجبيني وأهله جميع ما نهبتموه منهم من مال ورقيق ومواش ونهبوا على جميع أهاليكم

ولما فرغ المهدي من أمر هذه الحملة لم يعد قادراً على احتمال ما وقر في نفسه من المنه فاشخصه الى جهة الطيارة وكتب له بالامارة المطلقة عليها فغادر الابيض ولحق بقرية له خارج المدينة وبعد أسبوع انتدب التعايشي التي مقاتل من حملة البنادق والفين من الفرسان تحت قيادة حمدان ابني عنجه وسلمه كتاباً من المهدي يأمره فيه بمغادرة الابيض بمن معه من المقاتلة ولا يشعر أحداً بوجهة سيره حتى يدرك المنه ويقبض عليه على غرة ويضرب عنقه ويأتيه برأسه ويصادر جميع أمواله فسار حمدان وبلغ القرية قبيل الفجر واحاط بها احاطة السوار بالمعصم وقبض عليه على فراش نومه وقبض على أخيه ووكيله واوثقوا كتافا وقادهم الى الطيارة وضرب اعناقهم بجانب الحصن الذي ذبح فيه المنه حامية الطيارة

ولما دنا الجلاد ليضرب عنقه رفع رأسه وقال للحاضرين « اشهدوا أنني لم أذنب ذنباً غير قتلي للمصريين الذين كانوا بهذا الحصن وقد اغتررت بوعود الظالم المهدي وأعنته فانتقم الله مني وسلطه على ومن أعان ظالماً سلط عليه » وحملت الرأس للمهدي الذي أعلن بان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بان المنه منافق ايمانه لا يتجاوز رفاقه وانه ادعى الخلافة كذبا وبهتاناً ولذلك قتله وأظهر التعايشي كتاباً من المنه الى المهدي يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بانه الخليفة الرابع وانه وارث مقام ذي النورين عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه صلى الله عليه أمره بمقاومة المهدي اذا لم يرضخ لهذا القول

على أن هذا الكتاب ملفق لم يكتبه المنه بل اختلق ذريعة لتبرير عملهم وتسكين خواطر الذين ساعدوا المهدي على امتلاك البلاد واذلال العباد



فن خالفه فقد خالفنا ولا عهد له عندنا ولا يلومن الا نفسه والسلام التاريخ  
١٢ شوال سنة ١٢٩٩ »

## ذكر قتل المنه

ذكرنا ما كان من أمر المنه وقيامه بدعوة المهدي في كوردفان واستيلائه  
على الطيارة وقد بينا ما أتاه من الفظائع والمنكرات  
وكان المهدي يعمده بتبوأ منصب خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه  
ولما زحف المهدي على الأبيض اجتمع عليه «المنه» وزاد في اكرامه وكان يروح  
ويغدو الي المهدي وحوله نحو عشرين من خدامه شاهري السيوف حوله  
خلافا لما كانت عليه عادة المهدي من عدم السماح لغير الخلفاء ان يحيط بهم  
أناس كحراس اظهارا لعلو مراتبهم

وكان المنه يضابق المهدي ويستنجزه ما وعده به من منصب الخلافة  
فبعده من يوم لآخر لانه كان ينوى خدعة السيد محمد المهدي بن السنوسي  
المشهور بهذا المنصب كما سيأتي ذكر ذلك على حدة

وقد اغتر المنه بوعود المهدي وأخذ يذيع بين الناس انه رابع الخلفاء  
وكان شديد البغض للخليفة عبد الله التعايشي ويكثر من الوشاية به عند  
المهدي الذي كان لا تبدل ثقته في التعايشي ولكنه كان يدارى المنه ويخادعه  
لماله من المنزلة عند قبيلتي (الجمع والجوامع) اللتين تسكنان شرق اقليم كوردفان  
الذي هو طريق حملة الجنرال هيكس حيث كان المهدي يخشي انتفاض هاتين  
القبيلتين عليه وانضمامهما الى الحملة

الفرصة وأشار على المهدي أن لا يأذن له في العودة ويسأله مرافقته الى الخرطوم للجهاد معه فانكر عليه المهدي هذا الرأي فاقنعه بأنه لا يرغب في هذا الامر وانما يقصد اختباره ويتأكد من طاعته للمهدي ففعل المهدي فلم يظهر من الملك آدم غير الاستحسان والطاعة ثم عاد التعايشي لانفاذ بقية مقاصده فنقل الى المهدي ان الملك آدم ممتعض منه وانه ساخط من فعلته وقد أظهر سخطة لكثير من الامراء حيث قال لهم ان مهديكم كذاب ولا وعد له وقد غرر بي وابتعدني من بلادي ثم انه يريد مرافقتي له حتى يفرغ من الخرطوم وقد نكث العهد الذي أعطانيه حيث وعدني بالابوة بعد ايام يسيرة وما زال التعايشي يسعى به حتى أصدر المهدي منشورا زعم فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقتل الملك آدم أم دبالو وقاضيه الفقيه أحمد لانهما غير مصدقين بدعوته فضربت اعناقهما وسط الجيش الذي استقبلا فيه واستعرضاه والي الله بصير الامور

وهنا نورد صورة كتاب أصدره المهدي نقلا عن الجزء الثاني من كتاب منشورات المهدي المطبوع بعد سقوط الخرطوم صحيفة ٣٦ ومنه يفهم ان جبال تقلى دانت بالطاعة للمهدي وانه يعتبر ملكها كماكم من قبله وهو «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى أهل جبل الكدرو والصبي والمندل والنم نل وكافة أهل الجبال المؤمنين بالله ورسوله وتابعين لامرنا فقد أمرنا عليكم عمر بن الملك آدم فتقوموا كنكم بحروبكم معه الى قتال الدلج الترك والنصارى ولا تتأخروا عن القيام مع الملك عمر

تقدم لنا ذكرها وسماه عبدالقادر سلاطين وأمره بلزوم باب التعايشي والاثثار  
بأمره وسيأتي ذكر بقية أخباره

والفرس التي أهداها له ما دبو تسمى ( صقر الدجاج ) أي أنها سريعة  
في اقتفاء أثر النعام وادراك الصيد لأن صاحبها كان يقتنص بها

### ذكر قتل آدم أم دبالومك تقلي

ذكرنا فيما تقدم بعض الايضاح عن جبال تقلي وهنا نذكر ان المهدي  
لما كان فاراً من وجه الحكومة الى جبل قدير تقابل مع آدم أم دبالومك جبال  
تقلي فأكرم وفادته وأضافه خمسة وعشرين يوماً وأهدي اليه شيئاً كثيراً من  
التبر والماشية وأمدّه بخمسة فارس من قومه أوصلوه الى جبل قدير وففلوا  
راجعين الى جبال تقلي

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس رغب الى الملك آدم أن يزوره  
في الايض فأجاب الدعوة وقدم في عدد كبير من قومه ومعه مائتا فارس  
مسرلين بالدروع والخود وخيولهم مغطاة بمخيشات من القطن فخرج المهدي  
للقائه بجميع جيشه وأطلق له مائة مدفع ترحيباً بمقدمه واستعرض له جيشه  
وأطلقت نيران البنادق أيضاً ونصبت له السراياقات ونحرت النوق لطعامهم  
ومكثوا أكثر من أربعة أسابيع وبلغت درجة اكرام المهدي له انه كان يحمل  
قصة طعامه بنفسه الى أن يضمها بين يديه حتى حسده التعايشي الذي كان  
يخافه على مركزه من أي انسان يحس باقبال المهدي عليه

وكان الملك آدم استأذن المهدي في العودة الى بلاده فاعتزم التعايشي هذه

الخروج عليه فقبض عليه وعلى الملازم الاول ابراهيم زيان ويعقوب رمزي  
باشكاتب المجلس وكانا صديقين حميمين له وضربت أعناقهم وقيل عن الآخرين  
انهما شريكاه في تدبير المسكيدة وانهما يجمعان له الاسلحة والذخيرة رحم  
الله الجميع

### ذكر قدوم سلاطين باشا علي المهدي

لما تم لمحمد خالد الاستيلاء على دارفور كلها أرسل خطاباً الي المهدي  
ببشره بما أتيح له من النصر وقدم له أشياء كثيرة من الغنائم وأرسل له  
خيولاً عربية تعد بالآلاف فأطلق مائة مدفع ومدفعا اظهاراً للسرور وكتب  
له كتاباً بالتفويض العام في كل ما يراه لازماً لتلك البلاد بغير قيد ولا شرط  
وأذن له بالمبايعة وأمره بارسال سلاطين باشا فأدركه وقد غادر الأبيض ونزل  
( الرهد ) كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه فخرج للقاءه جمع من الناس وكان  
ممتطياً فرساً ومتابطاً كنانة ملووءة بالنبل

ولعل هذا الفرس هو الذي أخبر سلاطين باشا ان الشيخ مادبو أحد  
شيوخ العربان أهده له فاعتذر عن قبوله بأن حالته الحاضرة تمنعه من  
ركوب الخيل فلاطفه مادبو وقال له العبارة التي نقلها البحر وفها واتخذها مثلاً وهي باللغة  
العامية ( إلي عمره طويل يشوف كثير ) وقبل منه الفرس ورد له طبولاً  
حربية كان غنمها منه في احدي وقائمة وقال سلاطين باشا ان هاته الطبول  
عندهم بمثابة رايات الحرب عند الاوروبيين

ولما مثل سلاطين باشا بين يدي المهدي قبل يده وبايعه البيعة التي

## ذكر قتل عمر اغا ترحوه

ذكرنا أن المهدي بعث عمر بن الياس أم برير مع محمد خالد الى دارفور وقد تقدم لنا الاشارة الى المنكرات التي كان يأتيها ابوه الياس ام برير والي ماكان منه من الانحياز لجانب المهدي وشدة بغضه للحكومة

وكان في دارفور صنjq اسمه عمر اغا ترحوه مشهور بالشجاعة والاقدام وله اليد البيضاء في الحروب التي رفعت أوزارها بين الحكومة والمسمي هارون الرشيد المطالب بعرش دارفور وانه هو الذي قتل وزيره سعد الذي جاء قتله سبب فشل مولاه ولذلك قصة لاباس من ايرادها هنا

وهي أن القائمقام على بك شريف شهيد كوردفان الذي تقدم لنا ذكر قتله مع محمد سعيد باشا كان يقود قوة لمطاردة هارون ووزيره فقرامنه واوغلا في الغابات فتأثرهما حتى لحق التعب فرسانه فأحجموا عن المطاردة الا عمر اغا ترحوه فانه تابع المطاردة بنفسه بالرغم عما لحقه من التعب وفقدان الرفيق حتى أدرك الوزير وقتله وحز رأسه فنازعه خشم الموس (أغا) وقتها (باشا) وادعى انه الذي قتله وبعد التحقيق ظهر فساد دعواه فكافأت الحكومة عمر اغا ترحوه وجعلته قائداً على أربع مائة جندي من الباشبوزق

ولما استولى محمد خالد على (داره) أكرمه وجعله قائداً من قواده وبعثه مع عمر بن الياس لمصادرة أموال قبيلة من الاعراب أظهرت عدم الطاعة للمهدوية فجعل عمر بن الياس همه في احراز المال وانفاذه الي آبيه في الابيض ويقال انه أنفذ أكثر من ثلثمائة ألف ريال خاف أن يكون عمر اغا ترحوه عيناً عليه من قبل محمد خالد فرماه عنده بأنه يدبر مكيدة ضده وانه ينوي



الحامية ونهب أموال رجالها وسبي نساءهم وساق منها قطعاناً كالغنم بعث بها  
إلى المهدي وخلفائه

وقبض على السيد بك جمعه وكان محمد خالد ينوي قتله ولكنه عدل  
عن ذلك ونفاه بجهة (كوى) وبقي منفياً حتى غادر محمد خالد دارفور فأطلقه

### ذكر مسألة المحب خانة بدارفور

كان بحامية (داره) ضابط صغير اسمه محمد سليمان وهو من الارقاء الذين  
ترقوا تحت السلاح وبهد سقوط الفاشر جعله محمد خالد قائداً على الجنود  
السود الذين غنمهم من الحكومة وجعل على حراسة الجب خانات ضابطا  
مصريا اسمه محمد أفندي اللقاني فافقره محمد خالد في وظيفته ومعه عشرة من صف  
ضباط مصريون يشتغلون في الجب خانات بمثل تعبئة الخرطوش وغيرها  
وكان محمد سليمان طامحا لوظيفة محمد اللقاني ليكون ذا وظيفتين فاوعز الى  
رجل من أتباعه أن يقذف في الجب خانة قبسا من النار في الوقت الذي يكون  
العمال مشغولين فيه باشغالهم ففعل والتهب البارود وتقاذفت القنابل واحترق  
محمد اللقاني وخمسة من عماله ونجا خمسة منهم كانوا قد تغيبوا عن الجب خانة  
في قضاء حوائج لهم فدخل محمد سليمان على محمد خالد وقال له ألم أمضك  
النصح باجتنب اللقاني وسائر قومه المصريين فانهم احرقوا الجب خانة من  
تلقاء انفسهم ليموتوا ويتلفوها اضرارا بنا وان الخمسة الذين كانوا خارج الجب  
خانة هم الذين رموها بقبس النار فقبض عليهم وضربت اعناقهم لانهم كفار  
مصريون رحمة الله عليهم أجمعين

وكتب المهدي أماناً لعامر أفندي ومن معه من الضباط والموظفين  
واكد ان لا يتسهم أحد بسوء في أموالهم واعراضهم وقد كان ذلك ولم يصيبهم  
ما أصاب غيرهم من الظلم والحيف ومصادرة الاموال وهتك الاعراض  
وما ذاك الا لانهم سودانيون غير مصريين

## ذكر سقوط الفاشر

مدينة الفاشر هي عاصمة دارفور منذ دخولها في حوزة المصريين وكانت  
مقر السلاطين دارفور  
وقد ذكرنا ان سلاطين باشا كان مقيماً بها ولكنه غادرها على أثر وفاة  
مدير (داره) الايطالي وكان السيد بك جمعه مديراً عليها وقومنداناً لحاميتها  
وهو ضابط مصري

ولما استولى محمد خالد علي (داره) خاطب مدير الفاشر ودعاه للتسليم  
والدخول في طاعة المهدي على الشرط الذي قبلته حامية داره فاجابه بالرضا  
والقبول ولما اتصل به نبأ ما فعله محمد خالد بحامية داره وما عامل به الضباط  
من النهب والسلب وأنواع التعذيب صمم على نكث العهد والدفاع حتي آخر  
لحظة من الحياة فتقدم نحوه بجيش جرار ومعه مدافع وسواريح وجميع الاسلحة  
التي انفذها معه المهدي والتي غنمها من حاميات دارفور وهجم على الفاشر  
ليأخذها عنوةً فقابلته ببسالة عظيمة رالزمته النقهقر بخسائر جمة

وكانت الآبار التي تستقي منها الحامية خارج الاستحكامات ولا آبار  
بداخله فهجم العدول على تلك الآبار وردمها وأصبحت الحامية بلا ماء تقاسي  
الظماً ثلاثة ايام فاضطرت الي التسليم ودخل محمد خالد المدينة وضاعف عذاب

بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وأنا على يقين بأن الواحد منهم لا يموت  
 إلا بعد أن يقتل عشرة منكم فاخذ محمد يلاطفه ويلين له الكلام وأوصي  
 بتخفيف العذاب عن بعض الضباط وأطلق البعض . وكان بعض الحاضرين  
 يتوقع شرا يصيب سلاطين باشا على أثر تهديده لمحمد خالد نخاب ظنهم ولم  
 يلحقه مكروه

### ذكر سقوط مديرية كيكاييه

كيكاييه قاعدة الاقليم الشمالى من الفاشر وقد تقدم لنا ذكرها وكان  
 حاكمها ضابطا سودانيا يدعى آدم أفندي عامر وكان رفيقاً ثم انتظم في سلك  
 الجندية النظامية حتى بلغ رتبة البكباشي

ولما استولى محمد خالد على داره كتب آدم أفندي الى سلاطين باشا  
 بصفته مديرا عاما يستشيرهم عما يفعله فوق الكتاب في يد محمد خالد فامر  
 سلاطين باشا ان يكتب له كتابا يضمنه انه مصدق بمهدية المهدي وانه لا طاقة  
 له بمقاومته وينصح له ان يفعل مثله حذراً من ان يخسر الدنيا والآخرة فاطاع  
 سلاطين باشا وكتب كما شاء محمد خالد

ولما وصل الكتاب الى آدم أفندي اعلن دخوله في طاعة المهدي وخلع  
 طاعة الحكومة وأرسل وفدا الى المهدي ليبلغوه الامر فتقبل الوفد  
 بالحنافاة وكتب منشورا اتى فيه على آدم أفندي وجعله أميرا من قبله على  
 الاقليم وقائدا على الجند وأرسل له راية عليها شعاره وأمر ان يزحف بمن  
 معه من المقاتلة والاسلحة والمدافع وينضموا الى محمد خالد الذي كان وقتئذ  
 على وشك الزحف على الفاشر

واستكتب سلاطين كتابا الى السيد بك جمعه مدير الفاشر يأمره بالتسليم  
 للمهدي وجمع محمد خالد أموالا كثيرة وبني دارا سكناه وتزوج بأخت سلطان  
 دارفور وابتسم له ثغر السعادة وأخذ في الالهبة والاستعداد للزحف على الفاشر  
 وىروى عن بعضهم ان سلاطين باشا لما أنفذ محمد خالد لم يشأ ابلاغ  
 الضباط بما كان بينهما من الاتفاق وما دبراه لدفع شرور المهدي عن دارفور  
 ريثما ينظران عاقبة حملة الجنرال هيكس فثار الجنود وهجموا على دارمحمد خالد  
 ونهبوها حتى ألحقوا العار ببنااته وسجنوا كثيرا من ذوي قرابته والمنتمين  
 اليه وما زالوا مسجونين حتى أطلقهم سلاطين باشا يوم خروجه للقاء محمد خالد  
 ونقل لنا واحد من أولئك المسجونين ان محمد خالد لم يعمد الي نهب أموال  
 الضباط عملا بأوامر المهدي كما أشيع بل لينتقم منهم على فعلهم بال بيته  
 ونهبهم داره

على ان هذه الرواية قريبة من الصحة وقد سألتنا لماذا لم يشرك معهم  
 سلاطين باشا فقال لاني كنت عالما بانه غير راض عن فعلتهم وانهم كانوا قد  
 هددوه ظنا منهم انه أرسل محمد خالد ليسلم البلاد الى المهدي في حين أن إرساله  
 كان خدعة ليؤخر تقدم المهدي الى دارفور ريثما ينظرون ما يصير بينه وبين  
 حملة الجنرال هيكس وعلى كل حال كان وقوع دارفور في قبضة المهدي  
 ضربة قاضية

ونقل لنا كثير من الضباط ان سلاطين باشا لما رأي ما أتاه محمد خالد  
 مع المصريين من العذاب الاليم كادت نفسه تهزق وفقد صوابه وذهب الى  
 دار محمد خالد وقال له على رؤوس الاشهاد لو كنت اعلم انكم تعاملون  
 ضباطي بهذه المعاملة لاصليتكم حربا يشيب لها طفل الرضيع ولمسحت

بسوء وانتدب عمر بن الياس أم بربر ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل لمرافقة محمد خالد وعززه بجيش يزيد على أربعين ألفاً وخرج لوداعهم مسيرة ستة أميال ثم عاد الى الأبيض

ولما وصل محمد خالد الى ظاهر داره خرج للقائه سلاطين باشا ومعه الضباط والعساكر ودخلوا المدينة وأبرز محمد خالد كتاباً من المهدي الى سلاطين يعلمه فيه بأنه عين أميراً على دارفور وأكد عليه في طاعته وبعد تلاوة الكتاب شرع محمد خالد في استلام الجبه خانات والاسلحة وما في خزينة الحكومة وبعد الفراغ قبض على عموم الضباط والموظفين وصادر أموالهم وشرع في تعذيبهم ليدلوا على ما خباؤه من أموالهم وقتل كثيرين منهم بالتعذيب وكان من بين الضباط رجل اسمه حماده افندي رتبته صاغقول أغاسي وكان ذا ثروة تبلغ الخمسة آلاف جنيه غادر القاهرة بنحو ألفين منها وحصل على الباقي من الاقتصاد لانه كان مشهوراً بالبخل والحرص فأمسكه الدراويش وشرعوا في تعذيبه عدة أيام فكان يتحمل التعذيب بثبات غريب ويشتم معذبيه ويقول لهم لماذا تضربوني فيقولون له لتدل على مالك فيقول اذا كان مالي فأنى دخل لسمك في اخفائه أو اظهاره فيقولون انه مال المهدي فيقول لهم هل مات أبوه وتركه عندي أم كيف تقولون ماله فيشتدون عليه بالضرب والتعذيب ولسانه لايسكت عن سب المهدي عليه وأخيراً توفي من شدة التعذيب ولم تسمح نفسه أن يدلهم على ماله وقال لهم لو كان مهديا لعرف المسكان المنجوء فيه المال

ولما فرغ محمد خالد من مصادرة أموال المصريين بعث بالاموال الى المهدي وخلفائه وأرسل ألوفاً من نساء المصريين كمحظيات للمهدي وخلفائه



و ادعي ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم وأن اصحابه  
 سيفنمون اموالهم كما غنم اصحابه صلى الله عليه وسلم أموال الفرس والروم  
 وكان لمحمد الجزولي عم يدعى حمد التلب مات مع حملة الجنرال هيكل  
 وكانت له أموال فاستولى عليها ابن أخيه هذا وادعها تاجراً ذهب بها الى مصر  
 ولما ولي التعايشي قبض على محمد الجزولي وشدد عليه في اداء مال عمه  
 لانه لبيت المال وبقى معذباً في السجن عدة سنوات حتى مرض به ومات  
 بعد اخراجه منه بايام يسيرة ولم ينتفع بنوه بشيء مما اغتاله من مال عمه بل  
 ذهب كل ما كان يملكه لبيت المال واغتال التاجر ماودعه من المال وهكذا  
 مغبة الظلم ومصير الظلمة

### ذكر سقوط دارفور

ذكرنا ما كان من أمر سلاطين باشا وانفاذه محمد خالد زقل للمهدي  
 ولما هلك حملة الجنرال هيكل رفع أهالي دارفور رؤسهم الى الثورة  
 وجأهروا بخلع طاعة الحكومة واجتمع جيش كبير من الثوار وحاصروا  
 سلاطين باشا في داره فشاوّر ضباط الخامية وسائر الموظفين الذين  
 رأوا عدم قدرتهم على الدفاع وانهم اذا دافعوا لا يمكن ايصال نجدة اليهم بعد  
 هلاك حملة الجنرال هيكل وتقلص نفوذ الحكومة من كوردفان فكتب  
 سلاطين باشا كتابا الى المهدي عرض فيه التسليم على شرط ان يكون عمال  
 الحكومة آمنين على ارواحهم وأموالهم فاستدعى المهدي محمد خالد زقل  
 وكتب له منشوراً بالولاية على دارفور من قبله وأوصاه باستتفاء أموال  
 عمال الحكومة عدا سلاطين باشا فقد أوصاه باكرامه ومراعاته وأن لا يمس

ووثب احمد بن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكره وحشد نحو سبعين ألف مقاتل حاصر بهم سنار ومنع الحامية من انفاذ أمر اخلائها وسيأتي ذكر ذلك وزاد الطين بلة صدور أمر عال بترك السودان وأخذ أهل الخرطوم ينزحون الى بربر وأحصى من فيها من المصريين فبلغوا أكثر من مائتي ألف نسمة يتعذرا جلاؤهم عن الخرطوم في أقل من سنتين وعادت القلاقل ودخل السكان أجمعون في طاعة المهدي فكانوا يجتمعون خارج القرى والمدن ويضربون الطبول ويخلعون ملابسهم ويستبدلونها بالجلب المرقعة التي هي شعار المهدي ويرسلون منهم وفداً الى المهدي لتقديم الطاعة والخضوع ولم يعد للحكومة نفوذ وسقطت هيبتها وكان المهدي لا يقطع بان الحكومة عاجزة عن ارسال جنود تمنع تقدمه على الخرطوم ولذلك عاد الى الأبيض وصوب عن يمينه لاسقاط دارفور كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم ومحاqqه بالمهدي  
أشرنا الى أعمال محمد علاء الدين باشا حيث أباح وظائف الحكومة الى تجار السودانيين فجعلوا يتلفون الى المهدي بايقاقه على الاسرار التي تدبرها الحكومة وكان من بين أولئك التجار رجل اسمه محمد الجزولى توصل لمنصب وكالة المديرية مع عدم الاهلية ثم أرسلته الحكومة لجباية الضريبة من جهة المسلمية التي هي وطنه الاصلي فاجتمع لديه أكثر من اثني عشر ألف جنيه ثم اتصل به صدور أمر الحكومة بترك السودان فقبض على من معه من موظفي الحكومة وشخص الى المهدي بالأبيض ودفع له المال وأطلعه على ماعولت عليه الحكومة من ترك السودان فكاد يطير من الفرح وأطلق مائة مدفع

جبال فدير وفي أطراف دارفور ولا بد أن أكبر القواد يمدون أيديهم  
وينهبون ما بأيدي قبائل كوردفان فتقع النفرة بينهما ولا يخفي أن المهدي كان  
يقسم كل ما غنمه لاستمالة الناس وليوهمهم أنه منزله عن ادخار المال وأن  
أمنيته هي الدار الآخرة

وبناءً على هذه الأسباب يرى المتأمل أن الحكومة أخطأت الصواب  
بإرسال هذه الحملة بل قدمت السودان لقمة دسمة للمهدي ثم هي أصرت على خطئها  
ولم تشأ أنقاذ السودان بعد هذه الحملة وذلك أنها صمتت آذانها عن إرسال  
جنود مع غوردون باشا حيث كان في المكان إعادة حفظ الحالة التي كان عليها  
المهدي قبل إرسال الحملة ولكن إرادة الله غالبية على كل شيء لا راد لقضائه  
ولا حائل دون مشيئته

### ذكر ترك السودان

فقدت الحكومة كل جلد لما اتصل بها نبأ فشل حملة الجنرال هيكس  
وكان أول عمل أتمه أن كتبت إلى الحكمةدارية تأمرها بإجلاء الحاميات من  
الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزز حامية الخرطوم وأمرت بترحيل  
المصريين على نفقاتها تدريجاً للإجلاء عن الخرطوم فأخلت مراكز الدويم والكوة  
وفشوده من حامياتها وكان ذلك بمثابة أمر صريح من الحكومة لعموم سكان  
السودان بالانضمام إلى راية المهدي والخضوع لجبروته

وكان دعاة المهدي حوالى الخرطوم وسنار لا يجرأون على الظهور بالدعوة  
خوفاً من الحكومة فكتب لهم المهدي يبشرهم بما أتيح له من الفوز ويأمرهم  
بإظهار الدعوة ومناوأة الحكومة وسيأتى تفصيل ذلك على حدة

الايض في قبضة المهدي وان خير طريقة ليس تخدم فيها هذا الجيش هو اقامة معسكرات منيعة على ضفة النيل الايض عند حدود كردفان لمنع تقدم المهدي على الخرطوم من جهة ومن جهة أخرى تناوش حدوده لتضطره الى مهاجمتها اذ لا شك انه يعود مدحوراً منها وقد أدرك القاريء انه كان لا يستطيع الغلبة على حاميات الحكومة بغير الحصار وفقد الاقوات أو الماء كما حصل في سقوط الايض ومهلك هاته الحملة التعيسة وبديهي ان المهدي كان لا يستطيع الغلبة عليها مادامت محصنة على ضفة النيل وذخيرتها وميرتها تصل اليها من الخرطوم على طريق النيل

وبهذه الطريقة ينجو بقية السودان من الوقوع تحت برائن المهدي ويصبح من المستحيل عليه لاستيلاء على الخرطوم ونشر نفوذه في السودان كله على ان حصر المهدي في اقليم كردفان بضع سنين كان ذا نتيجة مرضية لجانب الحكومة لو لم ترسل الجنرال هيكل لان المهدي جمع حوله من المقاتلة مثل العدد الذي ذكرناه ولا بد له من نفقات تقوم بحاجات هذه النفوس ومن أين يقوى اقليم كردفان على القيام بهذه الاشياء وقد تناقص محصول الزراعة بسبب ان اكثر المزارعين صاروا جنداً وهجروا المزارع وسكنوا الايض مع المهدي وكانت تجارة الصمغ معين ثروة كبيرة لهذا الاقليم وقد أبطأها المهدي

وعليه لا يلبث المهدي اذا منع من التقدم الى الخرطوم أن يضطر الى وضع ضرائب فادحة على الاهالي لتقوم بنفقاته وحاميته ولا ريب ان تلك الضرائب تستنفد كل ثروة كردفان في عام واحد وفي الثاني تكون مجاعة يعجز معها من تقديم الاقوات للذين جاؤا معه من القبائل المستوطنة في

تقدموا نحوها

وفي صباح يوم الاثنين الرابع من محرم صلي المهدي بغلس وقسم جنده على ثلاث فرق وأمرهم بالهجوم على الحملة التي كانت غادرت شيكان سائرة الى الابيض بنحو ميل وكانت تسير بغير انتظام بسبب ما يقاسيه رجالها من الظمأ فهجم عليها العدو في غضون السير فلم تستطع المقاومة فانقض عليها وذبح كل الجنود ولم ينج منهم الا مائة وعشرون جنديا مصرياً وضابطان من رتبة ملازم اسم أحدهما محمد حلمي والآخر محمد عزمي وأخذ الدراويش يجردون القتلى من ملابستهم ويطلقون النيران في أجسامهم مدعين ان النار انماتاً كل أجسامهم اظهاراً لكفرهم وكرامة من كرامات المهدي وزعم المهدي ان احراق النار علامة على ان الملائكة هم الذين قتلوه لانهم حاربوا معه في هذه الواقعة كما حاربوا مع النبي صلي الله عليه وسلم في بدر. وقتل علاء الدين باشا والجنرال هيكس وحسين باشا مظهر ونجا تاجر من الابيض اسمه عبد الرحمن بان النقا وهو ابن الحاج بان النقا الذي تقدم لنا ذكره مع تجار الابيض وكان المهدي أوصى بعدم قتله لانه كان مسجوناً مع الحملة حيث ثبتت خيائته وانه كان عيناً للمهدي عليها

وفرق المهدي الناجين من رجال الحملة عبيداً للامراء واكد عليهم باستخدامهم في خدمة خيولهم وأقام ستة أيام في البركة ريثما أتم بيت المال جمع الغنائم والاسلحة وقفل راجعاً الى الابيض

هذه تفاصيل مهلكة حملة الجنرال هيكس التي لا يخفى ما خامر الناس من الحزن والذهول لما اتصلت بهم أنباءها في الخرطوم ومصر وقد كان عبد القادر باشا يرى أن لا لزوم لارسال هاته الحملة بعد ان سقطت



نحو خمسمائة الف مسلحين بالحراب والسيوف ونحو ستين الف فارس من  
المسلحين بالبنادق وأصلهم من جنود الحكومة السود الذين غنمهم منها  
وكان يقودهم حمدان أبو غنجه

وفي صبيحة الاحد ثالث محرم هجم حمدان ابو غنجه بالفرسان على ركن  
من أركان الزرية فوقف له الجنود وقفه الابطال فرجع بخسارة وقتل في  
هذه الهجمة الميرالاي رجب صديق بك وجورجي بك طيب الحملة وغنم  
العدو مدفعين من طرز متر ليوز ونحو عشرين جملاً وبالرغم عما كان فيه  
الجنود من المتاعب تمكنوا من دحر العدو واعادة النظام وأصيب عبيد  
الله بن النور من اكبر قواد المهدي برصاصة في فخذه الايمن وقتل محمد  
فوزي كاتب المهدي وأصله رقيق ربه الحكومة في مدرستها حتي صار  
تلغرافياً وأخيراً طرد من خدمة الحكومة لاسباب قانونية ثم لحق بالمهدي  
وقتل نحو الفين من مقاتلة العدو

وفي ذلك اليوم أي يوم الاحد فر جندي اسود وأبلغ المهدي ان الحملة  
قعدت الماء منذ أمس وان غدير (شيكان) نفذ ماؤه ولم يبق فيه غير الوحل  
وان الجنود يأكلون الطين والاوhal من شدة الظمأ وقد تمردوا على  
ضباطهم وسقطت هيبة النظام من قلوبهم حتي أن الضابط اذا أمر الجنود  
بشيء لا يجاوبونه بغير الضرب وقد مضى عليهم اكثر من أربع وعشرين ساعة  
لم يذوقوا فيها طعم الماء وفي صباح الغد أي الاثنين رابع محرم ربما زحفوا  
على الابيض لانهم علموا بوجودكم في البركة وخلو المدينة من المدافعين  
فلما سمع المهدي هذه الانباء جمع خلفاءه وقواده والتي عليهم خطبه قال  
فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهلاك الحملة في صبيحة الغد لو لم

انكليزي بست طلقات وثلاثون مدفعا من الطراز الجلي وستة عشر ساروخا  
 حربياً أما الذخيرة الحربية فيكثيرة جداً والاقوات كافية لمؤنة ستة شهور  
 وسارت الحملة من (الدويم) الى (شاة) ومنها الى عقبة وما كادت تغادر  
 ضفة النيل حتى رأت العدو يقلقها بالجلبة والصياح فاضطرت ان تسير  
 في شكل مربع يحيط بدواب الحمل وكانت لا تقدر على المبيت الا في داخل زريبة  
 من الشوك وكل جنود يتعدون الزريبة عن جلب الحشائش لعلف الدواب  
 يقومون في يد العدو وقد مات اكثر الدواب من قلة العلف ولحق الجنود تعب  
 كثير من قلة النوم لان العدو كان يقلقهم بصياحه في كل ليلة مرات عديدة  
 فيقومون الالهبة لصد هجمته فيعود بغير قتال وهكذا حتى مطلع الفجر  
 ولما بلغت الحملة منهاً اسمها (الرهدة) يبعد عن الابيض مسيرة أربع  
 مراحل قام المهدي يحرض قومه على الجهاد ويقول لهم اذا رأيتم العدو فكبروا  
 ثم قولوا ( اللهم نواصينا ونواصيهم بيدك وأنت القاتل لهم ) وقبض العدو  
 على الماني كان مهندساً في الحملة بينما كان يرسم بعض الغابات فارسله الى المهدي  
 واكد سلاطين انه هو الذي بلغه ما يقاسيه الجنود من التعب وما هم فيه من  
 الحور واعتنق هذا الالماني الاسلام وبقي أسيراً بيد المهدي حتى مات ببلاد  
 الحبشة فاراً من الاسر

وكان الخلاف مستحكماً بين الجنرال هيكس وعلاء الدين باشا حتى قيل  
 ان اكثر الجنود والضباط كانوا يظهرون لهيكل الكراهة وعدم الطاعة  
 وفي يوم الجمعة مستهل محرم سنة ١٣٠١ هجرية وصلت الحملة الى (شيكان)  
 وكان بها غدير مملوء بماء المطر وفي اليوم التالي زحف المهدي وعسكر في  
 ( البركة ) على غدير ماء كان يخشى ان تسبقه الحملة اليه وكان عدد مقاتله المشاة

قواد فرقة الخليفة شريف وكان من احزم امراء المهدي واعقلهم تزوج ابنت حامد شقيق المهدي وكان الامراء يرمونه بالانفاس في الملاذ والمكوف على الشهوات لانه كان لا يجاريهم في التغالى في الظهور بالزهد والتعشف كما عليه المهدي وخلفاؤه وقواده وجميع المقربين منه

وابتدأت الحملة سيرها من أم درمان براً وبحراً حتي بلغت ( الدويم ) وهي قرية على ضفة النيل الابيض تبعد عن الخرطوم بنحو عشر مراحل وهناك اجتمعت الالوية كلها وأخذت في الالهبة للمسير في الصحراء الى الابيض وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هـ بحرية

وأكره علاء الدين باشا نحو ثلاثين رجلاً من التجار والموظفين المسلمين على مرافقته واناب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها حسين باشا سهرى

ورافقه دليان أصلهما من قبيلة الجمع قدما الخرطوم بايعاز من المهدي وصارا دليلين لها ليسدكها الطريق المعطشة المملوءة بالغابات

وغادرت الحملة الدويم في أواخر شهر ذي الحجة وكان عدد مقاتليها أربعة الوية مصرية نظامية كل لواء يتبعه أربعة آلاف مقاتل فالجملة ستة عشر الفا ومعها الف جندي من السوارى لابسى الدروع والخود ونحو الف جندي سودانى وجنود أتراك غير نظاميين كلهم فرسان تحت قيادة الصناجق عبد العزيز بك ويحيى كامل بك وخير الدين بك

ورافق الحملة مكاتبان حريان لجريدتي التيمس والدالنيوز الانكليزيين وكان عدد الجمل المعدة لحم الاثقال يربو على ثلاثين الفا عدا البغال واسلحتها من طرزرا منجوتون وأربعة مدافع كروب قطار تسعة وستة مدافع متريوز

العبرة وبكى وقال ياسيدي إن حسان كان شاعرا مثلي ولكنه كان جباناً لا يقاتل مع مولاه وأنا شجاع اخترق صفوف القتال وأنا قائد عشيرتي فكيف أرضي بمقام حسان فقال له المهدي قد أضفنا لك مقام خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقام حسان فانت اذن حائز للمقامين فاستبشر وقبل يد المهدي. ومنح أحد الموالى مقام زيد بن حارثة وسمى نساءً بأمهات المؤمنين وسيأتي بيان ذلك في غير هذا الموضع

ومن هاته الاكاذيب انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان حملة الجنرال هيكس مخذولة وان ارواح كل جنودها تحت مصلاه وانه اذا شاء قبض على تلك الارواح فيموت الجند جميعه قبل ان يغادر الخراطوم وانه اختار ان يتركها حتى تقدم عليه ليحرز أصحابه ثواب المجاهدين في سبيل الله ويفوز من أراد الله به خيرا بالشهادة

وكان أولئك الجهلاء يتلقون هذه الاكاذيب بالارتياح والقبول ولا يجسر أحد على اظهار الشك فيها لان عقابه القتل فورا

وأرسل المهدي قائدا من قواده اسمه الحاج محمد أبو قرجه وعمر بن الياس أم برير ومعهما أربعون الف مقاتل من الجمليين والداقله وأمرهم ان يمسكروا في مكان يدعى (البساطه) بالقرب من أم درمان فاذا غادرت الحملة أم درمان ساروا من خلفها بمسافة لا تزيد كثيرا عن مرمي المقذوفات النارية وهنا نورد طرفا من ترجمة الحاج محمد أبو قرجه فنقول هو أول من حاصر الخراطوم ثم صار أميرا على السودان الشرقي واصله دنقلى استوطن اسلافه قرية (القطنية) التي تبعد عن الخراطوم بخمس مراحل على النيل الابيض وكانت تاجرا متوسط الحال لحق بالمهدي في جبل قدير وصار قائدا من

كل قبيلة تقف تحت رايتها وهو يمر عليهم ويقف عند كل راية يعظم من حولها  
 ويحضهم على الجهاد في سبيل الله فينتحبون بالبكاء ويمضون الانامل شوقا  
 الى الجهاد وفي الحقيقة ان الرجل كان واعظا بليغا يعرف كيف يتمكن من الالة  
 قلوب أولئك الجهلاء الا ان مواءمته كانت مشوبة باكاذيب وخرافات  
 لا يقبلها غير أولئك الجهلاء ويكاد يكون وعظه خلوا من الحكم الدينية ويرجع  
 إسنادها الى دعاويه الطويلة العريضة أمثال أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني  
 بكيت وكيت

على أن جميع هذه الاخبار المختلفة لا يخفى اختلاقتها على جاهل من عامة  
 المسلمين مثال ذلك أنه كان يقول لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أخبرني بان اصحابي أفضل من أصحابه لانهم يحاربون النيران ويخوضون  
 صفوف القتال والرصاص بخلاف أصحابه صلى الله عليه وسلم فانهم ما حاربوا  
 غير السيوف والرمح ولم يخوضوا غير صفوفها ولا يخفى ما في ذلك من الكذب  
 عمدا على الله ورسوله

وأدهى من ذلك كله دعواه أن فضله كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا ينقص عنه شيئا وأن خليفته عبد الله التماريشي أفضل من ابراهيم الخليل صلوات الله  
 وسلامه عليه والخليفة على بن حلو أفضل من موسى كليم الرحمن عليه السلام  
 والخليفة محمد شريف أفضل من عيسى روح الله وكلمته عليه السلام

ودخل عليه مرة شاعر ينظم اشعارا باللغة العامية يدعى ابن التويم وكان يتغالى  
 في مدح المهدي حتى افتي كثير من العلماء بكفره واسروا فتواهم حيث أيقنوا أنهم  
 ان اظهروها حكم عليهم بالكفر وقتلوا شر قتلة وقال للمهدي اطلب منك  
 اعطائي مقاما فقال له اعطيتك مقام حسان بن ثابت رضي الله عنه فخنقته



وأنوفهم وان لديهم نيرانا تسير في الجو كالسحاب ولا تترك شيأ مرت عليه من شجر ومدرالاجعلته رماداً ومثل ذلك كثير لو أردنا إirاده لضاقت عنه المجلدات. ويقول كثير من ضباط حامية دارفور انهم كانوا يستطيعون النجاة والفرار من وجه المهدي بطريق الاربعين حيث ينتهي سيرهم في دنقله وهذا زعم باطل لان حامية مؤلفة من بضعة آلاف شخص عدا عائلاتهم التي تبلغ أكثر من اثني عشر ألف نسمة كيف تستطيع الحرب في وسط صحراء لا يقطعها الراكب في أقل من أربعين يوما وليس في هذه المسافة ماء غير أربعة مناهل فقط

ولقي محمد خالد في الابيض مع المهدي حتى فرغ من حملة الجنرال هيكس فأعادته الى دارفور وجعله حاكما عاما عليها وسيأتي ذكر ذلك بعد حملة الجنرال هيكس

### ذكر حملة الجنرال هيكس باشا

لما قررت الحكومة بصفة رسمية ارسال حملة الجنرال هيكس أبلغ المهدي جواسيسه ما عولت عليه الحكومة فأصدر منشورا يحض الناس فيه على الجهاد في سبيل الله وأمر المقاتلة أن يعسكروا خارج المدينة فكانوا يقضون الليل في المعسكر ويعودون في الغداة الى المدينة وكان هو وخلفاؤه يفعلون كذلك وأصدر منشورا الى القضاة والنواب بتأجيل نظر ما يرفع اليهم من القضايا لي ما بعد الفراغ من الجهاد وكان ذلك قبل قدوم الحملة بنحو ستة شهور وأخذ يستعرض جيشه مرتين في الاسبوع. وصفة هذا الاستعراض أن

## العاقبة بالاريب وبالأ

وكان على (داره) مدير ايطالى توفى بالحى وناب عنه فى وظيفته وكيله محمد خالد زقل وكان سلاطين باشا عالما بقرباته للمهدى وقد نمت اليه أخبار ميله اليه ودعوته له سرّاً تخاف سلاطين باشا العاقبة فشخص الى (داره) من الفاشر وهناك بث العيون على محمد خالد فتحققت ظنونه وزادت هواجسه منه وزاد الطين بلة انه تحقق نفاقم الحطب وأحس بميل كثيرين من الاهالي لجانب المهدي وعلم ان المهدي لا يمنعه من ارسال جيش لاخذ دارفور عنوة الا تربصه لحمة الجنرال هيكس فنتاح محمد خالد فى مابلغته عنه فلم يجحد قرباته للمهدى ولكنه حلف ايماناً غليظة على انه باق على ولاء الحكومة والاخلاص لها فسأله سلاطين باشا أن يكون رسوله لدى المهدي ويحمل كتابه له ويعمل لتأخير زحفه على دارفور حتى الفراغ من حملة الجنرال هيكس فاذا كانت الغلبة عليها أسلم سلاطين باشا البلاد للمهدي وان كانت عليه كانت الحكومة جديرة بمكافئته وعلى ذلك بارح محمد خالد زقل دارفور وافداً على المهدي وكان من أمر الاحتفاء به ماوردناه

هذا مارواه سلاطين باشا وقد أصحب محمد خالد احمد أغا الجريدي قاوش أغاسى المديرية

وحكى لنا من نثق بروايته ان وفود زقل الى المهدي كان من الاشياء التى قدر بها المهدي على تسكين خواطر كثير من أنصاره الذين كانوا يحسبون ألف حساب لحمة الجنرال هيكس التى وصلت اليهم انباءها بغلو كثير فكانوا يتحدثون بما لديها من الاسلحة ومعدات القتال بكلام يبعد عن العقل مثل قولهم ان الجنود لا يحملون اسلحة بل الرصاص ينقذف من أفواههم ويعيونهم

## ذكر قدوم محمد خالد زقل من دارفور

وفي أواخر سنة ١٣٠٠ هجرية وفد محمد بك خالد زقل وكيل مديرية (داره) على المهدى قادمًا من دارفور برسالة من سلاطين باشا مدير عموم دارفور فاستقبله المهدي خارج المدينة وأطلق له مائة مدفع واستعرض جيوشه أمامه وقدم له هدايا كثيرة من الجواري الحسان وقرأ كتابا من سلاطين باشا على رؤس الشهاد في المسجد يقول فيه « اني تركت النصرانية منذ زمان مديد واعتنقت الاسلام ديننا واني مسلم ومؤمن بالمهدى ومصديق بدعواه وأنا مستعد لتسليم البلاد والدخول في دعوة المهدي » فأثني علي سلاطين باشا ودعا له بخير وكان ذلك قبل هلاك حملة الجنرال هيكس ببضعة شهور وهنا نورد ترجمة محمد خالد اتماما للفائدة فنقول انه دنقلي من أقارب المهدي يجتمع معه في الجد الرابع استوطن أبوه دارفور وولد المترجم بها وكان يشتغل بالتجارة حتى حصل علي ثروة عظيمة ثم صار وكيلا لمديرية (داره) وكان ذا دهاء وحيل وزقل لقب له

نعود الى ذكر كتاب سلاطين باشا فنقول يوجد هناك كتاب بعثه سلاطين باشا ولكن مضمونه لم يكن كما قرأه المهدي وليس بعيد ان يكون حرفه كمادته ليبعث به طمأنينة في قلوب انصاره حيث كانوا على وشك مناجزة الجنرال هيكس

وهنا ننقل تلك الاسباب عن سلاطين باشا نفسه فقد قال انه لما أحس بكثرة دعاة المهدي في البلاد أيقن أنه اذا عمد الى اعادتهم الى الطاعة بالقوة لاتبث الذخيرة أن تنفذ ولا يمكن الحصول على غيرها وحينئذ تكون

وعطّلوا سير البريد الذي لا يقدر على السير الا اذا كان حراسه نحو الخمسمائة وقد كان عبد القادر باشا يبحث على طريقة تعيد خطوط المواصلات مع دارفور ولو بطريق الصحراء المعروف بطريق الاربعين أو عن طريق بحر الغزال فاذا تم له عمل كهذا كان أقل نتاجه تعزيز حامية دارفور حتى تصبح قادرة على مطاردة دعاة المهديّة من البلاد والوقوف في وجه المهدي والحيلولة بينه وبين دارفور

ولو اتخذت الحكومة من الحيلة ما يمنع تقدمه على الخرطوم واتبعت مشورة عبد القادر باشا وعدلت عن ارسال حملة الجنرال هيكس كما سيأتي ذلك في محله لكانت النتيجة مرضية وقاضية على المهديّة في كوردفان ولكن سبق السيف العذل

على انني أقول كلمة وهي ان الحكومة الخديوية بعد اخذها لنصائح عبد القادر باشا مكنت المهدي من السودان ورضيت بالمذابح والفظائع التي ارتكبها المهدي وأول هذه المذابح حملة الجنرال هيكس التي أرسلتها كقطعان من الغنم تلتبها الذئاب من كل جهة

نقول ان حملة الجنرال هيكس أول هذه المذابح اذا قلنا ان الحكومة كانت معذورة بسبب الثورة العربية وغير قادرة على ملافاة ما تقدم من المذابح التي أولها واقعة (آبا) الى سقوط الأبيض

هذا وقد علمت ان المال الذي كان يطلبه عبد القادر باشا للقيام بهذه الاعمال لا يتجاوز مائة ألف جنيه وبهذا القدر الزهيد كانت الحكومة تقتصد بقية النفقات التي انفقها مؤخرًا على ازالة دولة المهديّة بعد ان دمرت البلاد وصيرتها خرابًا لا تسترد حالتها الاولى الا بعد قرن

وما كادت سلطة الحكومة تعم تلك البلاد حتي قام رجل من سلالة ملوكها يدعى هارون وعقد البيعة علي حربها ولقب نفسه بالرشيد واستصرخ سكان الجبال وبعد حروب كثيرة تمكنت الحكومة من طرده من البلاد حيث لجأ الي الجبال فاغتم غردون هذه الفرصة لتقليل الحامية واقتصاد النفقات ثم تمكن غردون بدهائه من القاء النفرة والشقاق بين النخاسين ليتمكن من اراحة دارفور منهم وذلك بما أتاه مع النور عنقره والسعيد حسين وابن الزبير

وعلى أثر ذلك ثابت البلاد الي السكينة وأخذت الي الطاعة فجاجأتها المهدوية بدعوتها وحروبها كما تبين ذلك

### ذكر راي عبد القادر باشا في دارفور

قبل ان نذكر استيلاء المهدي عليها نأتي على ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور لكيلا يفوت القارئ الوقوف عليه فنقول . قد ذكرنا ان عبد القادر باشا كان يري ان المهدوية يمكن حصرها في اقليم كوردفان حتي تدب عقارب الاختلاف بين انصارها وحينذاك يكون القضاء عليها كما قدمنا ان المهدي كان ذا طموح شديد لدارفور لتكون طريقة الي السودان الغربي أو ملجأ يعتصم به من وجه الحكومة اذا أحس بالفشل وقد كان في غضون حصاره الابيض يوالى ارسال الرواد ويسعي مجدداً لاستمالة البيوت القديمة ويعد من بقي من ذراري الملوك بارجاع الملك الي نصابه فقام دعاة كشيرون وجمعوا عصابات كثيرة في امكنة مختلفة

على انهم لم يأتوا أمراً جلابل جل ما أتوه انهم قطعوا الطرق بين المدن



له مغبة مثل هذا الجنون فقلا انه محاط باشرار من رجال النخاسة وانه لا يصني  
 لنصحنا الا اذا كان موافقا لما يشير به أولئك الاشرار فصدقهما وأمر السعيد  
 حسين بالتوجه الي (شكا) وجعله حاكما عليها وولي رفيقه جهة أخرى ثم استدعي  
 ابن الزبير ومحضه النصح وحذره وخامة عاقبة الخروج علي الحكومة فتظاهر  
 بالطاعة فامر به بمغادرة دارفور والحقا يحرق الغزال ثم كان من أمره فيها  
 ما تقدم لنا ايراده

ولما خرج ابن الزبير من عند غوردون استطال بالشتم على النور عنقره والسعيد  
 حسين فردا عليه أقبح رد وقال له لولا اننا لم يبلغ أبوك ذرة مما بلغ وانا  
 سبب كل خير له وها نحن فارقناه وسيكون من وراء فراقنا اياه ما يذهب بحياته  
 وقد صدقت الايام قولها وسيأتي ذكر السعيد الحسين وقتله في غضون حصار  
 الخرطوم لحياة ارتكبها

وقبل انصراف اسماعيل ايوب باشا من دارفور عين حسن حلمي باشا  
 الجويسر حاكما علي أقاليمها وحشد فيها جيشا كثيفا كانت نفقاته عبثا ثقيلا علي  
 كاهل الحكومة الحديثة لان دخل البلاد لا يقوم بعشر تلك النفقات لاسباب  
 منها ان الضرائب موزعة علي القبائل بغير قيد فيؤدي الجباة جزأ طفيفا مما  
 يجبونه ويأخذون الباقي لانفسهم

علي ان التعامل لم يكن بالذهب ولا بالفضة بل بقطع من القماش صنع  
 أوروبا وكل ثلاثة أذرع قيمتها خمسة غروش مصرية وبقطع من خرق تصنع  
 هناك اسمها (الدمور) ومن الاسباب الداعية لزيادة النفقة توالي الحروب  
 الاهلية والثورات الداخلية من المطالبين بالملك من وزراء السلاطين بالرغم  
 عما اتخذته الحكومة من الحيلة بالقبض علي اكثرهم وارسالهم للقاهرة

على كثيرين منهم وزجهم في السجون وضرب أعناق كثير منهم ثم هاجمته الجنود فحمل هو وجماعة من بطانته وآل بيته ممسكا بيده سيفاً حتى دخل وسط الجنود وهو يصيح أين صاحبكم الزبير بائع الشطيطة فصبوا عليه الرصاص كالطر فسقط قتيلاً هو وبطانته وذوو قرابته ودفنت جثته بالا كرام اللائق وتقدم الجنود نحو الفاشر عاصمة البلاد واستولوا عليها ونهبوا ما فيها حتى كانت الريالات مبعثرة على وجه الأرض والطرق مملوءة منها وفي اليوم التالي وصل اسماعيل أيوب باشا الفاشر ونال حظاً كبيراً من الغنيمة واشتد الخلاف بينه وبين الزبير باشا الذي شخص الى القاهرة لمقابلة الحديو فنعاه من العودة وكان من أمره ما نحن في غنى عن إيراده ومن ثم خضعت بلاد دارفور للحكومة وقسمت ادارتها الى ثلاثة أقاليم ( الفاشر ) وهي مقر الحاكم العام و ( داره ) و ( كبكاييه ) ولسكل اقليم مدير وعلى السكل المدير العام

ولما أبعد الزبير عن دارفور ظن ابنه سليمان انه وارثه وانه سيكون حاكماً مستقلاً على دارفور فخاب ظنه وفي غضون سياحة غوردون في اقليم دارفور دبر ابن الزبير مكيدة لقتله قبل أن يبلغ حصن ( داره ) وبينما كان ابن الزبير واعوانه يتشاورون في الامر اجتاز صفوفهم غوردون ودخل الحصن فاندھشوا حين سمعوا اطلاق المدافع للترحاب به

ولم يمض غير بضع دقائق حتى بعث يستدعي النور عنقره والسعيد حسين وكانا نخاسين مع ابن الزبير فخرأ وبعد أن جلسا أمر لهما بالقهوة والسجائر ثم سألهما عما دبراه مع ابن الزبير لاغتيال حياته فقالا ان ابن الزبير يريد القبض عليك واخذك أسيراً يستفك بك أباه من مصر فقال لهما ولماذا لم تنصحا وتبينا

صدقت انه ليحل لنا استرقاق العبيد وبائعي (الشطيطة) لان الزبير من قبيلة  
الجمليين واهل دارفور يسمونهم بهذا الاسم لانهم يذهبون الى بلادهم تجارا  
بهذا الصنف.

وفي أوائل سنة ١٢٩١ كان الزبير باشا والنور بك عنقره قد بلغا حدود  
دارفور وكان عرب الرزيقات التي تقدم لنا ذكرهم اعتدوا على قافلة من  
التجار كانت مجتازة بين دارفور وبحر الغزال فقتلوا رجالها ونهبوا متاعها فتذرع  
الزبير بهذا السبب وسأل سلطان دارفور تعويضاً عنها فامتنع وأرسل اليه  
بجيش جرار تحت قيادة وزيره أحمد شتا فتعالف الزبير مع عرب الرزيقات  
وقال لهم ان غلبني سلطان دارفور فكونوا معي عليّ وتأثروني بخيلكم واغنموا  
اسلابي وان أنا غلبته فكونوا معي عليه وافعلوا به ما تقدم فرضي الرزيقات  
بهذا الشرط وتقدم الوزير احمد شتا ورجاله في تيه عظيم نحو الزبير وسلاحهم  
الرماح والسيوف لا يعرفون ما بالبندقية وسروجهم مصفحة بالذهب فصب  
عليهم رصاصاً كالسيل فكانوا يظنونهم رعداً قاصفاً ويتلون الآية «ويسبح الرعد  
بحمده والملائكة من خيفته» وسقط ألوف منهم قتلى وقتل قائدهم وأكابر  
قواده وانهزم الباقي وتمزق شملهم كل ممزق وتأثرهم فرسان الرزيقات  
وأتخنوهم قتلاً ونهباً وأرسل الزبير يعلم اسماعيل أيوب باشا ويطلب منه المدد  
فسافر اليه مدير كوردفان في ثلاثة طواير من الجنود النظاميين ومعه مدافع  
وسوار يخ فاجتمع عليه وفتحوا مدينة (داره) وتحصنوا فيها وحذف اسماعيل أيوب  
باشا بمسكر كثيف من الخرطوم قاصداً دارفور ولما تحصن الجند في داره  
جمع السلطان ابراهيم جنده وتقدم نحو داره حتى صار على مقربة من الحصن  
فقاهاه الجنود بنار حامية اضطرتهم الى التقهقر فرماه قومه بالجنب فقبض

وفد على النفور له اسماعيل باشا رجل اسمه البلالي من أقرب مقربي سلطان دارفور وأصله من أهالي بورنو فاكرم وفادته واستشاره في أمر فتح دارفور فآخبره بأمر الشركات التجارية التي كانت متسلطة على دارفور وكان الزير باشا وكيلًا لشركة أبو عموري وهو تاجر مصري وكان يوسف باشا الشلالى وكيلًا لاحدى الشركات وكذا النور بك عنقره ومع الزير باشا نحو الفين من الجنود المعروفين باسم ( باذقر ) ومع كل من يوسف باشا والنور بك عنقره أكثر من هذا العدد

وقصد البلالي ان يكون رسولا من قبل الحديو الى هؤلاء الثلاثة ويمدهم بأرائه كي يهاجوا مملكة دارفور من الجنوب ليسهل على جنود الحديو مهاجمتها من الشرق وعلى هذا العزم غادر القاهرة بعد ان انعم عليه الحديوي بالرتبة الثانية ثم غادر الخرطوم ولحق ببحر الغزال ونزل ضيفا على الزير باشا وقبل انقضاء ايام الضيافة الثلاثة أرسل له بعض أتباعه في منتصف الليل وأمرهم بقتله فذبحوه على فراش نومه وحملوا رأسه الى الزير

ولما علم الحديو بذبح رسوله امتلا غيظًا وصمم على الانتقام من قاتله ومفاجأته بحملة كبيرة تقتص منه فانتدب اسماعيل ايوب باشا لقيادة هذه الحملة وجعله حاكمًا على السودان وماكاد يبلغ الخرطوم حتى ندم الزير على فعلته وأخذ يكتب الى الحكومة ويمدها بالاغارة على جنوب دارفور فارتأى اسماعيل ايوب باشا قبول وعده وتأجيل معاقبته لفرصة أخرى

وفي غضون ذلك كتب الزير الى سلطان دارفور يقول ان العبيد لادين لهم وهم عبدة أوثان يحل استرقاقهم شرعا فكتب اليه سلطان دارفور يقول



حدودهم وحشدوا جيوشا لصد تيار المصريين من بلادهم وكان الدفتردار ينوي التقدم الى بلادهم والقضاء على سلطنتهم فلم يثن عزمه غير نبأ قتل الامير اسماعيل باشا في شندي حيث قفل راجعا الى شندي كما تقدم لنا ذكر ذلك وبقيت مملكة دارفور حافظة لاستقلالها ولا يكن تجار المصريين الذين كانوا يألون الشركات في النيل الابيض قوضوا سلطتها من بحر النزال وكانت خاصمة لها وثقلت وطأة أولئك الحكام على الالهين حيث ضاعفوا الضرائب على أثر تقدم كوردفان وبحر النزال وتوالى الحروب الاهلية والثورات الداخلية فضعفت المملكة وكانت تنحل عزائم رجالها وأشهر هاته الثورات ثورة الرزيقات وهي قبيلة من البقارة يزيد عدد نفوسها على خمسمائة الف نسمة تسكن بادية جنوب دارفور وكانت هذه القبيلة شديدة الحمية وكثيرة الرغبة في الاستقلال وقد ناهضت مملكة دارفور مرات عديدة وفي كل مرة تدور عليها الدائرة فتثوب الى الطاعة ريثما تسترد قوتها فتعود الى الثورة والحروب

### ذكر فتح دارفور

يعلم الكل ما كان عليه المغفور له الخديوي اسماعيل باشا من حب اتساع المملكة ومتابعة الفتوحات ولذا وجه عنايته لفتح دارفور واستمال اليه كثيرا من تجارها وأغنيائها وذوى النفوذ في بلاط سلطانها وكان اقليم بحر النزال يومئذ بايدي التجار لم تنشر الحكومة الخديوية تقوذا عليه وقد تقدم لنا ان غردون هو الذي أدخلها ضمن أملاك الخديو وقد باشرت انفاذ ذلك حيث انني أول حاكم عين لها وفي سنة ١٢٨٢ هجرية



خطر العقوبة فابانت بعلمها أن أخاه راودها عن نفسها فاستشاط غيظا ونادى  
 بالرحيل فرحل الحى وانفرد هو باخيه في الغلاة وضربه بالسيف حتي عقر  
 رجله وتركه مصروعا على الارض ولحق بالظمن وأمر أتباعه ومواليه بلحاقه  
 وطلق المرأة وتابع مسيره الى واداي وأدرك الموالى احمد المعقور في وسط  
 الغلاة فضموا جراحه وأبلغوه أمر اخيه وأنه كان لا يقصد قتله بل أن يفترق  
 وسار احمد المعقور مع مواليه ونزلوا على ملك من الزنوج كان متسلطا على قسم  
 كبير من دارفور وكان كسائر زنوج افريقيا لادين له فاكرم وفادتهم وقرب  
 احمد منه وكان فادها وشجاعة فاحبه سكان البلاد ولم يمض أمد طويل  
 حتي توفي السلطان فاختر الشعب احمد المعقور ملكا عليهم فقام بالسلطنة  
 أحسن قيام وأخضع كل الاقاليم المجاورة له وترامت أخباره حتي بلغت الاعراب  
 النازلين بوداي فنزحوا اليه وشدوا عضده وانتشروا في البلاد واستأثروا  
 بخيراتهم وانقرض السكان الاقدمون ولم يبق غير قليل منهم استوطنوا بين  
 دارفو وبرقو وأسسوا مملكة هناك تعرق باسم (ابوريشه) وطالت ايام احمد  
 المعقور حتي ازال كل الصعوبات من المملكة وجعلها ميراثا لولده من بعده  
 وسار خليفته علي سيرة والده ثم حفيده السلطان دالى وكان عالما فاضلا رفع  
 منزلة العلماء ورتب القضاة ليحكموا بالشريعة الغراء وانتشر نفوذ سلطان  
 دارفور حتي بلغ كوردفان وضفاف النيل الابيض وانتشرت الدعوة الاسلامية  
 حتي عمت البلاد التي يحكمونها

وفي أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة افتتح الدفتردار كوردفان  
 وضمها الى املاك مصر

ولما دخلت كوردفان في حوزة الحكومة المصرية لزم سلاطين دارفور

لهم أعظم صلاة التجارة مع القطر المصري يجلبون العاج وريش النعام وغيرها  
من سلع السودان

وهؤلاء السكان تناسلوا من عنصر عربي استوطن دارفور منذ أجيال  
وسنأتي على إيضاح ذلك حتي يكون القارئ على بينة منه

وفي دارفور جبال كثيرة أشهرها ( جبال الحلة ) وبه قبور الملوك وفيها  
مدن كبيرة أشهرها ( الفاشر ) عاصمة تلك البلاد ومدينة ( داره ) و ( كبكايه )  
( كلـكل )

وفيها معادن كثيرة من النحاس والحديد والرصاص وأهل دارفور  
ميالون للهرج والقتال والحروب

### تاريخ دارفور القديم

لخصنا للقارئ تاريخ السودان القديم ونرى اهتماماً للفائدة أن نثبت له  
تاريخ دارفور القديم إلى انحلال دولتها وضمها إلى الاملاك الخديوية فنقول  
نرحل إلى السودان الغربي أعرب من تونس وما جاورها من البلاد  
الافريقية في أواخر القرن الثامن للهجرة واستوطنوا بلاد واداي وبرقو  
ويحكي أن أخوين من أولئك النازحين وصلا إلى دارفور اسم أحدهما علي  
والآخر احمد المعقور الذي أطلق عليه هذا الاسم بسبب أن أخاه علياً عقر  
رجليه بضربة سيف

وتحرير القصة أن علياً كان متزوجاً بامرأة بارعة الجمال وكان يحب أخذ احمد  
حتى كاشفته بهذا الحب وهو أنكره عليها وتعالى في تعنيفها حتى اضمرت له الشر  
وصممت على الإيقاع به عند أخيه لئلا يسبقها بإبلاغه شغفها به فتقع هي تحت

الاستئناف الي تاجر بربري اسمه (حمد التلب) لازري له أقل أهلية ترشحه  
لهذا المنصب غير أهلية الاصفر الرنان ومثل هذه المخرقة أشياء كثيرة  
لايسع المقام تفصيلها وقصاري القول ان الحكومة كانت لا تهتم بغير انفاذ  
حملة الجنرال هيكس ومحمد علاء الدين باشا كان لا يهتم بغير جمع الاموال من  
وراء نفقات تلك الحملة التمهية هذا ما عولت عليه الحكومة وأما المهدي فانه  
وقف وقفة المدافع ينتظر قدوم الحملة عليه وأرسل دعاة كثيرين الي دارفور  
يجمعون الناس على دعوته ويناهضون الحكومة فيها وسنأتى على سرد كل  
ما يهم القاريء الاطلاع عليه ثم نعقبه بذكر حملة الجنرال هيكس وبيد  
الله التوفيق

## ذكر دارفور

دارفور بلاد واسعة في الجنوب الغربي من كوردفان وسكانها ينقسمون  
الي ثلاثة أقسام قسم يسكن القرى والساكنة. والثاني يسكن البوادي ويعيش  
بألبان الماشية كما لوف عوائد الاعراب. والقسم الثالث يسكن رؤس الجبال  
وبين هؤلاء وسكان القرى تشابه في الاخلاق والعادات والمعيشة حيث  
يشتغل الفريقان بفلاحة الارض وافتراق حيث تجد سكان القرى منقسمين  
في المملكات ولهم مهارة في اجادة طبخ الاطعمة وتعدد الالوان الامر والذي  
يجعله أهل السودان كلهم وهم مشهورون بالسكرم وقرى الضيوف وبلادهم  
خصبة وأراضيهم تجود بمحصولات كثيرة وثمن القوت منخفض فيها جداً  
حتى أن الارذب من الدخن الذي هو اكثر محصولاتهم لا يتجاوز بضعة قروش  
مصرية والقمح يكاد يكون أجنس ثمننا من الدخن ويوجد بدارفور تجار أغنياء

## ذكر تعيين محمد علاء الدين حكمداراً للسودان

وخلف عبد القادر باشا محمد علاء الدين باشا وأعيدت نظمات الحكمديرية  
والنيت النظارة وكان علاء الدين باشا حكمداراً للسودان الشرقي وله مع  
سكانه صداقة مذ كان مديراً على كسله فلما قبض على زمام الحكمديرية وعهدت  
اليه الحكومة بشراء الجمال للعملة كان أول عمل أتاه انه أخذ من مال الخزينة  
نحو مائتي الف ريال وشخص بنفسه الى السودان الشرقي لشراء الجمال مع  
ان مثل هذه المأمورية يقوم بانجازها متعهد من التجار ولكن علاء الدين باشا  
سرب المال الى جيبه والزم مشائخ القبائل بتقديمها له مجاناً ولا غرامة في ذلك  
لان الجمال كثيرة عند أولئك الاعراب ويوجد منها عند كل شخص ما يربو  
على مائة راس وقد اشتهر عن علاء الدين باشا تناول المسكرات بكثرة ونقل  
لنا واحد من خدامه الذين كانوا معه بحملة هيكس انه شرب زجاجة كنيك  
قبل ان يقتل بعشرين دقيقة

وتلاعب علاء الدين باشا باثمان الاقوات التي تقدم للعمامة حيث  
اتفق مع المتعهدين على اثمان تبلغ ثلاثة أضعاف الاثمان الحقيقية وقبض أموالاً  
طائلة من ذلك

وقد سار على سنته حسين باشا الذي ناب عنه في الحكمديرية ونشأ  
من وراء تلاعبه مآضر بالخرطوم في غضون حصارها وسيأتي ذكر ذلك في  
مكانه ومن سن سنة سيئة فمليه وزررها ووزر من عمل بها. وباع علاء الدين  
باشا وظائف الحكومة الى كثير من التجار السودانيين فاغتموا الفرصة  
وتعلقوا للمهدي بايقافه على أسرار الحكومة وعهد بالرئاسة على مجلس

## ذكر فصل عبد القادر باشا والغاء نظارة السودان

في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ أثر انتصارات عبد القادر باشا على دعاة المهدي في جنوب سنار صدر امر عال بفصله عن حكمداية السودان والغاء النظارة وانشاء قلم مخصوص بنظارة المالية لمراقبة حسابات السودان وقد وقع بأفصله اسوأ وقع عند أهالي الخرطوم وسائر مستخدمي الحكومة والاعراب الموالين لها وقد رفعوا العرائض تباعا الى المغفور له الخديوى توفيق باشا يسألونه العدول عن هذا الامر فلم يفعل

ولم يكن هذا الامر حرام قاصراً على من ذكرناهم بل تناول النزلاء الاوروبيين وقناصلهم فانهم اشتبكوا في هذا الالتباس وما ذلك الا لان الكل موقنون بان الطريقة التي اتبعها عبد القادر باشا كانت السبب الوحيد في نجاة الخرطوم وسنار والجزيرة كلها وكان من وراء أعماله ما قنط المهدي من التغلب على الخرطوم وقد أصدر منشورات لسكر دعائه في الجزيرة يأمرهم بكتمان الدعوة مادام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان دعوته لا تفلح الا بعد مغادرته السودان

على ان الانسان يحار من اقدام الحكومة على هذا الامر الذي فتح باباً للقليل والقال حيث أوله كثيرون بانها غضبت عليه لانتصاره على العدو أو أنها كانت لا ترى بأساً في تقلص نفوذها من السودان وبسط سلطان المهدي عليه وقد محضها النصح وبين لها ان ارسال حملة الجنرال هيكس ضرب من الجنون وأن غلبة المهدي عليها ضربة لازب فلم تلتفت الى نصحه وضربت باقواله عرض الحائط كما فعلت معي حين نصحتها في شأن يوسف باشا الشلالى



والفصل فيها وانتدب نحو عشرة رجال دعاهم النواب وفوض اليهم النيابة عنه في نظر المسائل المعظمة التي لها دخل في بيت المال فكان كل فريق من النواب والامناء يحكمون فيما يعرض عليهم من المسائل بغير تحديد

وأخذ يوالي اصدار المنشورات بعضها في ذم الدنيا وخستها وبعضها في الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وفي ذات يوم جاءه أحد خدامه ( الملازميه ) وقال له انه رأى امرأة تزنى خلفه على المصحف الشريف وأمر بالمرأة فقتلت رجلاً بالحجارة وخطب في الناس وقال لهم ان أصحابه لا يكذبون ولا داعي لاربعة شهداء مادام الشاهد الواحد يحلف وقضي ان كل المظالم التي اقترفها الحكماء قبل ظهور دعوته لا يسمع فيها ادعاء وذلك لان ما اغتصبه أولئك الحكماء صار ملكاً لبيت ماله ورده يفقد بيت المال كل ما يملكه . وكان لكثير من الناس ودائع عند تجار الالبيض فأمر بعدم ردها الى أصحابها اكراما لحواطر أولئك التجار

هذا حال جيشه وأحكامه وأما تقدمه لامتلاك الخرطوم فقد انحلت عزمته عنه على اثر ما توالى على دعائه من الهزيمة والفشل وعدا ذلك فان الخرطوم أو انشد كان فيها نحو عشرين الف جندي وامتلاء قلب المهدي فرعاً وخوفاً من عبد القادر باشا وصرح في كثير من خطباته بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بترك التقدم على الخرطوم مادام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وكان يرفع يديه عقب كل صلاة ويقول ( يا قادر اكفنا عبد القادر ) وقد وجه عزمته نحو دارفور ورآى ان امتلاكها اقل صعوبة من امتلاك الخرطوم وسيأتي ذكر تفصيل استيلائه عليها

له لا بأس عليك منها وانها غنمة النبي صلى الله عليه وسلم  
على ان المهدي والتعايشي كانا راغبين في استحياء أحمد بك دفع الله  
وارضائه حتى ان التعايشي كان يود اعطائه راية يجمع حولها كل ذوى قرابته  
ويكون أميراً عليهم فاغتاظ الياش باشا أم برير من ذلك وحذر التعايشي من  
هذا الامر وقال له ان أحمد بك دفع الله اذا رفعت له راية وانضم اليه محمد  
يس فانهما بلا شك يعملان ضد المهدي وبعده مداولات كثيرة بين المهدي  
والتعايشي أصدر المهدي منشورا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقتلها  
فانتدب التعايشي قريبه يونس بن الدكيم ومعه خمسون فارساً وسار بهم الى  
منفاها وضرب عنقهما بعد ان صليا ركعتين وروى يونس بن الدكيم  
ان محمد يس لما قدم للقتل أظهر جبيناً وهدماً فانهره أحمد بك وقال له اخساً  
فالى أين تفر يا جبان ثم قال للسياف تقدم نحوى يا ابن الفاعلة فتقدم وضرب  
عنقه رحم الله الجميع

### ذكر ترتيب جيش المهدي واحكامه

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وترتيب جيشه في جبل قديرو أنه جعله فرقا  
ثلاثاً يقود كل واحدة منها خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل القيادة لآخيه  
محمد بن عبد الله الذي قتل بواقعة الأبيض ونقول الآن انه بعد انتشار نفوذه  
في إقليم كوردفان كله واستيلائه على الأبيض تكاثفت جيوشه وأسند القيادة  
العامة على جيشه للتعايشي وجعله مستشاره الذي لا يقطع أمراً دونه وعين  
أحمد بن علي قاضياً بدل أحمد بن جباره الذي قتل في واقعة الأبيض ونصب  
أربعة رجال دعاهم الامناء وفوض اليهم النظر في كل العرائض التي ترفع اليه

الى المهدي وجعله أميراً من أكبر قواده ان ابن أخته عمر أزرق رأى مناما بعد سقوط الأبيض. وهو ان الدراويش الذين قتلوا في واقعة يوم الجمعة وقفوا بين يدي الله عز وجل وقالوا ياربنا ان محمد سعيد باشا وضباط الأبيض قتلونا ظلماً وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضراً فالتفت الى المهدي وقال لك الخياريين قتل أولئك الظلمة أو نفيهم من الأرض أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فقال المهدي أقتل محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وانف بقية الضباط وقد قص على عمر أزرق هذه الرؤيا فامرته بتدوينها على قرطاس قدمته للمهدي في مجلس كان التعايشي حاضراً فيه ومعه الفقيه جلال الدين الفوراوي وكان من المعتقدين فقرأ المهدي عليهم الرؤيا وقال حقاً اني كنت حاضراً بهذه الحضرة ثم أمر بالضباط ومحمد سعيد باشا ففعل بهم ما بيناه

وقال آخرون انهم قتلوا بشار محمد عبد الله شقيق المهدي ويوسف شقيق التعايشي لان المهدي لما دخل المدينة وأخذ يفتش على جثة أخيه فعر عليها زرفت عيناه واستل سيفه وقال سيؤخذ بشارك في الآخرة ليوهم من حوله أنه لا ينتقم لنفسه

هذا وقد مكث الضباط في الاسترقاق وكتب التعايشي منشوراً أباح فيه أخذ كل حسناء من زوجها وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالحيلولة بينهم وبين أزواجهن الكفار

وقبض على أحمد بك دفع الله ومحمد ياسين وهذا كان ناظر أحد الأقسام بتهمة أنهما غير مصدقين بالمهدية فنفيهما ثم قتلا وكانا مسجونين عند الحاج خالد ويقال انه الذي رماهما بهذه التهمة وأخذ المهدي أم الحسن بنت أحمد بك دفع الله موطوءة بملك اليمين وكتب منشوراً قال فيه ان هاتفا الهيا قال

ذكر القبض علي محمد سعيد باشا والضباط وقتلهم

لم يمض أسبوعان على سقوط الابيض حتي قبض على محمد سعيد باشا  
وعلى بك شريف وجميع الضباط عدا القائمقام اسكندر بك والملازم الثاني  
يوسف منصور ودفع كل واحد منهم الي أحد المشايخ وجمع التعالشي الضباط  
وقال لهم ليذهب كل واحد منكم مع أحد المشايخ ليقوم بحاجاته وأوعز الي  
أولئك المشايخ أن يشددوا المراقبة عليهم وبقوهم كأرقاء عندهم وبعد أيام  
أصدر أمراً بقتل محمد سعيد باشا وعلي بك شريف ومحمود افندي حسن  
فقتل كل واحد منهم بالضرب بالعصى الغليظة على رأسه وبقي صغار الضباط  
في الاسر الي ما بعد هلاك الجنرال هيكس وزحف المهدي على الخرطوم  
وقد تضاربت الروايات عن الاسباب التي حملت المهدي على الايقاع  
بهؤلاء الضباط ونحن نورد هنا ما قالوه بايجاز فنقول

روي سلاطين باشا ان محمد سعيد باشا وجميع الضباط كتبوا كتابا بعد  
سقوط المدينة الي عبد القادر باشا يخبرونه بما حل بهم وشرحوا له الاسباب التي  
أدت الي هذا السقوط وكان من الذين وقعوا على هذا الكتاب الضابط يوسف  
منصور الذي ألح على اسكندر بك وأقنعه بالذهاب معه الي المهدي وتقديم أعذارها  
عما فرط منهما فأطاعه اسكندر بك لانه أيقن بأن المهدي ينتقم منه مع الباقيين  
مادام يوسف منصور مصراً على اخباره وعند وصولهما اكب يوسف منصور  
على أقدام المهدي يقبلها واعتذر فصنح عنه وكافأه بتعيينه قومنداناً على الطوبجية  
وعدل عن معاقبة اسكندر بك ولم يكافأه بشيء هذا مارواه سلاطين باشا  
وقد سمعت من الحاج خالد العمرابي أحد تجار الابيض الذين انضموا

## ذكر احصاء ما غنمه المهدي من الايضا

أحصي ما اجتمع في بيت المال فبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً من الريالات ومائتين وخمسين ألفاً من الجنيهات وأربعة آلاف أوقية من الذهب قيمتها ستة عشر ألف جنيه ومن أصناف البندقي والمجر والخيري ما يقدر بخمسة قناطر وأربعة آلاف أوقية من الذهب المصنوع حلياً وأكثر من أربعين قنطاراً من الفضة

وكان محمد سعيد باشا قد خبأ ماله الذي يبلغ نحو عشرة آلاف جنيه وأبي أن يظهره للمهدي وكان أمين بيت المال استدل على مكانه من احدي جوارى الباشا فأسر هذا الخبر للمهدي فكتمه وجلس في محرابه ودعا محمد سعيد باشا وأخذ يذكره بنعيم الجنة وخسة الدنيا ويقول له أظهر مالك فيقول له ليس عندي مال وأخيراً دعا أمين بيت المال وقال له على رؤس الاشهاد ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بالمكان الخبوء فيه مال محمد سعيد باشا فاذهب الى مكان كذا من الدار وانبشه تجده فيه فذهب ومعه خلق كثير فأخرج المال وأذيعت الاخبار بهذه الكرامة وعدّها كثير من الناس من أكبر كرامات المهدي

وبلغ عدد الارقاء الذين غنمهم ألفين وجمع من الملابس والفروشات وأثاث المنازل شيئاً لا يدخل تحت حصر وانتدب أمين بيت المال ابراهيم رمضان من أهالي أصوان لبيع الفروشات وانتدب ابراهيم بن عدلان لبيع الارقاء والمماشية وعين كثيراً من كتبة الحكومة كتبة في بيت المال وجلهم من الاقباط



وأخرج كل سكان المدينة وأقيم عليهم الحراس في صعيد واحد حيث  
يأخذهم عمال بيت المال الى منازلهم ويضربونهم ويعذبونهم ليدلوا على أموالهم  
الخبوءة ودفائنهم المستورة وكثير منهم مات من شدة التعذيب وقيد المدير محمد  
سعيد باشا ليدل على ماخبأه من ماله

### ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض

وفي صبيحة اليوم الذي ضرب أجلا للتسليم خرجت الحامية من المدينة  
على هيئة طاوور والموسيقى تصدح أمامها فقابلها المهدي راكبا ولما دنت منه  
وقفت وترجل هو عن حصانه وجلس على فروة وأذن لمحمد سعيد باشا وضباطه  
في الجلوس فجلسوا بين يديه وقبلوا يده ثم سأل واحدا من الضباط اسمه  
يوسف شعله عن اسمه فاجابه وكان يوسف شعله مأمورا بضواحي المدينة  
وكان مشهورا بالشدة فاجتمع تجار الابيض ساعثن حول المهدي وأشاروا  
عليه بقتل يوسف شعله الذي خاطب المهدي وقال له أنت خليفة الرسول  
والعفو منك مأمول فغنى عنه ونزع جيبته والبسه اياها ثم التفت الى محمد سعيد  
باشا وقال له أنت قتلت رسولي فاجابه القائم مقام اسكندر بك انا الذي قتلتهما  
فقال انهما كانا يرغبان في الشهادة وقد من الله عليهما بها ثم التفت الى أحمد  
بك دفع الله وقال له ان أخاك عبد الله مات كافرا مع يوسف باشا الشلاي  
وقد نصحته بالتسليم لي فلم يفعل وأخشى عليك أن تموت كافرا مثله وتحرم  
من دخول الجنة فقال له لا أحب دخول جنة لم يدخلها أخى عبد الله ثم انصرف  
عنهم ودعاهم الى طعام فأكلوا وحلفهم على المصحف أن لا ينجبوا أموالهم  
لأنها صارت غنيمة له خففوا ودخل المهدي المدينة وأقام بسرأي المدير

ولولا ما وقع في قلب العدو من الفزع والخوف بعد هزيمته الأولى لاستطاع الاستيلاء على المدينة بلا غناء

على أن الجنود كان ينتظر رفع الحصار بواسطة نجدة تقدم عليه من الخرطوم وقد كان ذلك متوقعا من عبد القادر باشا الذي تقدم لنا أن الحكومة لومته بالمال والجنود كان في استطاعته انقاذ الأبيض واستئصال الثورة من اقليمها كله وقد كان المهدي في غضون حصاره الأبيض يروعه كل يوم ما يرفعه اليه دعائه من توالى هزيمتهم امام عبد القادر باشا لكنه كان يتعزي برسوخ قدمه في كوردفان عموما والأبيض خصوصا



### ذكر سقوط الأبيض

وفي أو اخر شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية عقد الضباط ومحمد سعيد باشا مدير كوردفان مجلسا للمداولة فقر رأى الكل على طلب الامان من المهدي بعد أن ايقنوا أنهم غير قادرين على البقاء على هذه الحالة فكتبوا كتابا يسألونه أن يؤمنهم على ما يمكن كونه وأن لا يمد يده لغير الاموال الاميرية فكتب لهم بذلك وزاد أن حلف على المصحف الشريف أمام الملاء بالمحافظة على هذه الشروط . وفي اليوم التالي خرج محمد سعيد باشا ومن معه من الضباط ومن بقي من الجنود وقابلوا المهدي فامرهم باكواخ انزلوا فيها وأمر بمصادرة أموالهم وأموال كل الذين في المدينة فشرع عمال بيت المال في التنفيذ وأخرج الناس من منازلهم واوقف الحاج خالد العمرابي بقبيلته على الابواب يفتشون كل خارج وينزعون ملابسهم ووضعوا نسوة تفتش النساء فكن يجردن نساء المصريين من ملابسهن ويفتشن عوراتهن ويقبضن على كل حسناء منهن

وكذلك ثمن الاقة من لحوم السكالب وبلغ ثمن الكيلة من الغلة سبعمائة ريال  
وأخيراً عدم كل شيء من ذلك وحكى لنا واحد من المحصورين أن خادماً أحمد  
بك دفع الله كان يوماً حاملاً مائة ريال يطلب بها شراء دجاجة لمولاه فلم  
يجدها مع أن ثمن الدجاجة في الابيض كان لا يتجاوز نصف قرش مصري وثمان  
أرب الغلة لا يبلغ الريال وحكى لنا ضابط من المحصورين أن أربعة ضباط اشتروا  
دجاجة ضئيلة بمائة وخمسين ريالاً واقتسموها بينهم

وكان الجنود يخرجون على شكل مربع في كل غداة الى حوالي المدينة  
ليأخذوا حشيشاً اسمه ( الحسكنيت ) وهو كالخسك وفي جوفه حبوب تشبه  
الغلة يقتاتون بها ثم نفذ هذا الحشيش واشتدت المجاعة على الجنود الذين  
أكثروا من أكل الصمغ وتفشت امراض الاسهال والدوسنطاريا بينهم وازداد  
عدد الوفيات

ولما وصلت الحالة الى ماتقدم جمع المدير الضباط والموظفين والوجهاء  
وشاورهم في الامر فقرروا جميعاً أن يشاطروا الحكومة ما دخروه لقوتهم  
وأن يحسب لهم ثمن الارdeb بمائة وستة وتسعين ريالاً فتحصلت الحكومة  
على ثلاثمائة أردب وزعتها على الجنود فأصاب كل واحد أقل من كيلة كانوا  
يخطونها مع الصمغ ويقتاتون بها ثم فرغت هذه الاقوات وعاد المدير  
مفاوضة أولئك الناس فتحصل على كمية يسيرة من الغلة أصاب كل واحد من  
الجنود نحو رطلين منها ثم فقد الكل الاقوات وفر كثير من الجنود وأسلموا  
نفوسهم للمهدى واختل النظام وتمرد العساكر على ضباطهم حتي انهم كانوا  
يضربونهم ويهينونهم وتألفت عصابات من الجنود يوالون الهجوم على المنازل  
في المدينة ليسلبوا ما يجدونه من الطعام وصار الخندق خالياً من المدافعين

وفي ذات يوم زار الكولونيل ستيورات عبد القادر باشا في سراى الحكمه داريه  
 فجلس معه وابتدر ججلر باشا بكلام أغضبه وتبادلا عبارات الشتم وتطاولا على  
 بعضهما بالمضاربة بالكراسى فوقف بينهما عبد القادر باشا ومنعهما من المضاربة  
 وقصد محادثتهما وبعد أيام ترجيا المدول عن معاقبتها حيث اصطالحا واعتذر كل  
 منهما لصاحبه. ثم غادر الكولونيل ستيورات الخرطوم قاصدا سنار قالقضارف  
 فكسلا فصوص فمصر وأثنى على عبد القادر باشا واستحسن ادارته وأعماله العسكرية  
 ويقول البعض ان مأمورية الكولونيل المذكور كانت الوقوف على  
 حقيقة ما ذاعه ذوو المقاصد السيئة عن عبد القادر باشا حيث قالوا انه طامح  
 للاستقلال بالسودان وقد فند الكولونيل هذه الاشاعة وأظهر سوء قصد  
 الذين اذاعوها وروي بعضهم أن ساكن الجنان الخديو توفيق باشا كان يوالي الاسئلة  
 عن أعمال الكولونيل مما يدل على أن مأموريته كانت ذات اهمية عظيمة

### ذكر حصار الايضا

تركنا الكلام على المهدي وقد زحف بخيله ورجله وعسكر في (عد العشر) وتراجع  
 اليه المنهزمون ورتب مقاتلته حول المدينة وأعد المتاريس والطوابي ومنع  
 دخول الاقوات

أما الجنود فكانوا يخرجون الى منازل الاهالي وياخذون ما فيها من  
 الغلال والاقوات اذ لا ميرة في مخازن الحكومة ودام الحال علي ذلك حتي غاية  
 شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٩ هجرية فنفتد الاقوات

وفي مستهل محرم سنة ١٣٠٠ ابتدؤا يذبجون الماشية والمجاعة آخذة في  
 التنفسي وذبحوا الحمر الاهلية وبلغ ثمن الاقة من لحمها مائتين وخمسين ريالا

السودانية لانه لا يثبت بارضها

نعود الى ذكر الحملة فنقول إن العدو ناوشها عدة مرات مناوشات صغيرة  
كان يقصد بها أن يفرر بها حتى يبلغ الا ماكن الوعة كثيرة الغابات فادرك  
عبد القادر باشا هذه الحيلة وأرسل جواسيسه الى معسكر العدو وحيث تمكنوا من  
الوشاية بين القائد وأنصاره حتى ألحوا عليه بوجود الهجوم على الحملة فهاجمها  
في الغلس وقبيل منتصف النهار تمت الهزيمة عليهم وتركوا في ساحة القتال  
أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين وتابعت الحملة السير جنوبا حتى  
تمكن من تفريق العدو والقضاء عليه وقفلت راجعة الى سنار وجرح  
أربعة من أكابر قواد العدو جروحا بالغة وأتم عبد القادر باشا تحصين سنار  
وانقطعت أسباب القلاقل من الجزيرة وانحصرت المهدوية في إقليم كوردفان  
وانقشع كل خطر عن الخرطوم التي احتشدت فيها جنود حملة الجنرال هيكس

### مأ مورية الكولونيل ستيوارت

كانت الحكومة انتدبت الكولونيل ستيوارت بمأ مورية الى السودان  
وكانت سرية فلما وصل الى بربر عرض كتابا على مديرها من المعية السنية  
وطلب التصريح له باجراء تفتيش عام على كل دفاتر الحكومة ومصالحها فارسل  
المدير على جناح البرق يعلم عبد القادر باشا الذي أمره بالانقياد لكل ما يامر به  
به الكولونيل ثم قصد الخرطوم وكان معه ايطالى اسمه موسيو داليه سبق  
له التوظف في حكومة السودان وكان ذا بغض لجبلر باشا الالماني وكيل  
الحكمدارية فأخذ يسعى مجد في الايقاع به عند الكولونيل ستيوارت الذي  
كان بعده بتبواً منصب وكالة الحكمدارية بعد فصل وكيلها جبلر باشا الالماني



نفسه لا خفاق مساعي آخر في مسائل عمومية قد لا يلحقه منها ضرر بل أضرارها لاحقة بالحكومة ومادعاه الى هذا كله غير انه يكره لبغيضه احرار الفخار ونيل شرف الانتصار فانا لله وانا اليه لراجعون

وقد كان في امكان عبد القادر باشا لو اجابت الحكومة مطالبه أن يحول بين المهدي وبين كوردفان بوضع الحاميات في جميع المناهل التي على طريقه وقصارى القول أن عبد القادر باشا كان ذاتد بيرات جليلة يستحيل معها على المهدي أن يبلغ أربه من كوردفان ولو اتبعت الحكومة آراءه في العدول عن ارسال حملة الجنرال هيكس الى كوردفان لاستطاعت القضاء على المهدي في ذلك الاقليم وسنين ذلك كله فيما يأتى

### ذكر واقعة ابن عبد الغفار

وبعد واقعة سقدي مويه زحف عبد القادر باشا بجيش جرار الى جهة سنار للقاء الداعية ابن عبد الغفار الذى جمع حوله ثمانين الف مقاتل من قبائل جهينة والكواهلة وغيرهم وأغار بهم على مدينة ( كركوج ) وقتل خلقاً كثيرين من التجار وأحرق شيئاً كثيراً من بضاعتهم. ( و كركوج ) هذه مدينة كبيرة على ضفة النيل الازرق يقصدها التجار من كل انحاء السودان للحصول على الصمغ الذي هو من اكثر حاصلاتها ولكن ثمنه ينقص نحو الثلث عن ثمن صمغ كردفان لجودة هذا ورداءة ذاك والصمغ في كردفان صنف واحد وهو المعروف باسم ( المشاب ) بعكس صمغ كركوج فان أنواعه كثيرة يتفاضل بعضها عن بعض وأما السمس فانه من اكثر حاصلات تلك البلاد و ثمنه لا يتجاوز أربعين قرشاً لكل أردب ويطلب هذا الصنف لحاجة جميع الاقاليم الشمالية

كردفان في الطريق الشمالية التي يكثر فيها الماء بعكس الطريق الجنوبية  
 التي سارت فيها حملة الجنرال هيكس بحيث تكون جنوده كافية لحفظ خط  
 الرحمة وتأليف قوة تكون هاجمة ولا ريب ان هذا التدبير كان كافلا لانتقاذ  
 كردفان وارجاع المهدي بصفة الخاسر المغبون لو مدت الحكومة له يد المساعدة  
 ولكن من أين لها ذلك وهي واقعة وقتئذ تحت براثن الثورة المراسية  
 ومخالب الازمة المالية وقد كانت الجنود التي ناهض بها عبد القادر باشا  
 العدو في حروبه كلها في حالة يرثي لها من شظف العيش وقلة الملابس فقد  
 كانوا يلبسون الجلود ويقتاتون بالحوم الماشية التي يفتنونها من العدو ويلبسون  
 في أرجلهم أحذية من جلدها مع كثرة الحشرات والشوك في تلك البلاد التي  
 يجتازونها ومع هذا كله كانوا على جانب عظيم من الصبر والسكينة لا يتذمرون  
 ولا يتضجرون وقد مضى عليهم بضعة شهور لم يقبضوا مرتباتهم في خلالها  
 وقد بلغني ان عبد القادر باشا بعث يسترحم الحكومة في ارسال ثلاثين  
 الف جنيه لصرف تلك المرتبات وقال انه لا يليق بنا ان نسوق الجند وضباطهم  
 الى مواطن الموت وأولادهم ونساءهم يتضورون جوعاً فلم يلتفت الي قوله  
 حتي انه كان يسأل الحكومة المكافآت بالرتب والنياشين لكثير من الضباط  
 فتقابل مطالبه بالرفض والاباء . ويقولون ان سبب ذلك كله هو اسماعيل  
 أيوب باشا الذي كان وقتئذ أحد الوزراء فقد أوقف نفسه لما كسبه عبد  
 القادر باشا وحمل الحكومة على عدم الاصغاء لاقواله وهو أمر في غاية الغرابة  
 يبعد على الانسان تصديقه وقبوله لولا تواتر روايته وتصحيحها عند السكل .  
 وقد وقف القلم خجلا عند هذه المسألة ولولا أن تقرير حقيقة تاريخية ساقه  
 لما طوعني في هذا المجال اذ يبعد كل البعد أن يكون وزير من وزراءنا يقف

بان الجواسيس اخبروا بسقوط مدينة الابيض عاصمة كوردفان في قبضة المهدي فاستاء لهذه الفاجعة ولكنه تجدد ولم يوقف من كانوا حوله على شيء من هذه المصيبة التي نفضت سروره

## ذكر رأي عبد القادر باشا في انقاذ الابيض

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وانه لما وطن عزمه على الزحف الى كوردفان أرسل دعائه ليهبوا بالثورة والعصيان حوالي الخرطوم كي يشغلوا عبد القادر باشا عن الاهتمام بأمر كوردفان وتميز حمايتها وقدقرنت سياسته هذه بالنجاح حيث لم يستطع عبد القادر باشا الغلبة على أولئك الدعاة الابعده أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير على نفوذ الحكومة في ذلك الاقليم

على انه بعد أن نال عبد القادر باشا الظفر في واقعة (سقدي مويه) لم تزل امامه عقبة أخرى وهي وجود داعية يدعي ابن عبد القادر جمع حوله جيشا جرارا في جهة (كر كوج) جنوب سنار يخشي من تقدمه نحوها وقد لحق ابن المكاشفي بعد هزيمته من سقدي مويه بمجهة النيل الابيض ولكن معاودته الكرة على سنار كانت متوقمة وقد اطمأن في هذا الوقت عبد القادر باشا على مدينة الخرطوم حيث وصل اليها عدة الوية من الجنود المصرية التي يقودها الخبرال هيكلس باشا وزحفت فرقة منها لمطاردة ابن المكاشفي في جهات النيل الابيض كللت حركاتها بالنجاح

كان رأي عبد القادر باشا ان تمده الحكومة بالمال والرجال فيترك حامية تقاوم دعاة المهدي في الجزيرة وحول الخرطوم ويتقدم هو نحو

عن القلب وكان العدو في حماس شديد يقتحم النيران بخيله وبصبر تحت  
 تطاير المقذوفات ويلتحم بالجنود فدبر عبد القادر باشا حيلة قاومت اقتحام  
 فرسانه حيث صنع آلة صغيرة من الحديد عليها ثلاثة مسامير فاذا ألقيت على  
 الارض وقف أحدها وبهذه الحيلة خفت اضرار فرسان العدو حيث يضع  
 الجنود بينهم وبينه هاته الآلة وزحف عبد القادة باشا من ولد مدني في أواخر  
 ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية فالتقي باحمد بن المكاشفي في مشرع الداعي  
 ومعه ثمانون ألف مقاتل فالتشب القتال بينهما بضع ساعات أصيب في  
 خلالها عبد القادر باشا برصاصة خرقت ثيابه ودخلت في جوف ساعته ولم  
 تصبه بأذى وانهزم ابن المكاشفي وتكبده خسارة تزيد على عشرة آلاف قتيل  
 وتابع عبد القادر باشا سيره نحو سنار ورفع عنها الحصار ولحق ابن المكاشفي  
 بجبل (سقدي مويه) الذي يبعد عن سنار بمسيرة ست مراحل وأقام عبد  
 القادر بسنار يرتب معدات الدفاع ويلقى على الحكام الاوامر

### ذكر واقعة سقدي مويه

وبعد أيام انفذ عبد القادر باشا حملة من الجنود الباشبوزق تحت قيادة  
 صالح اغا الملك ومعه صنجقان عثمان بك الدالي والملك الحسين الى (سقدي  
 مويه) فذهبت الحملة والتقت بابن المكاشفي هناك وثبت القواد وأصلوا العدو  
 ناراً حامية وفر ابن المكاشفي في عدد قليل من أنصاره وغنموا كل مافي معسكره  
 من الذخيرة والرايات والطبول التي يدقونها وقت الحروب وعادت الحملة الى  
 سنار وأقيم لها احتفال باهر وزينت المدينة وبينما كان الناس يتبادلون عبارات  
 التهنة والسرور ويقدمونها الي عبد القادر باشا اذ ورد عليه نبأ برقي من الخرطوم

وصوله وانه سيفادر القاهرة بعد بضعة أيام هذا ما كتبتة الممية في حين أن  
ايقاف الحركات العسكرية بضع ساعات أقل نتأجه وقوع الخرطوم وسنار في  
خطر ربما كان انقاذها من مخالفه عسيراً

### ذكر واقعة معتوق

لم نقف على شيء مما أقنع به عبد القادر باشا الممية بضرورة متابعة  
الحركات الحربية فقد زحف بجنوده في اليوم التالي والتقى بابن كريف في غابة  
معتوق واصلاه ناراً حامية ففر منهزماً تاركاً نحو ألفي قتيل في ساحة الحرب  
وتأثره حتى تفرق أنصاره وبلغ عبد القادر باشا ( السكوه ) على شاطئ النيل  
الابيض ومن هناك قصد الخرطوم على احدى البواخر وطارد المصائب التي  
ظهرت حوالي الخرطوم وقبض على جماعة من زعمائها وأودعهم السجن  
وأخذ في الالهبة للحملة على احمد بن المكاشفي وانقاذ سنار

### ذكر واقعة الداعي

زحف عبد القادر باشا من الخرطوم في ثلاثة آلاف من الجنود  
المصريين النظاميين لانقاذ سنار وكان أحمد بن المكاشفي محاصراً لها منذ  
شهر تقريباً ومعه نحو ثمانين ألف مقاتل التفوا حوله من قبائل ( جهينة  
والسكواهلة ) وغيرهم ولما وصلت الحملة الي مدينة ولد مدني لحق بها الشيخ  
عوض الكريم بن أبي سن زعيم قبيلة الشكرية التي تقدم لنا تعريفها ومعه  
عدد كبير من فرسان قومه كانوا يسرون في طليعة الحملة يستكشفون المواقع  
والمكامن وبعد اقامة بعض أيام في ولد مدني رتب عبد القادر باشا هيئة  
الزحف وجعل صفوف القتال أربعة واعتني بأمر الجناحين اللذين يدافعان



وانتشرت دعوة المهدي في الجزيرة وعلى الخصوص في البلاد المتوسطة بين النيلين الازرق والأبيض مثل معتوق وعبود

## ذكر واقعة عبود

عبود قرية تبعد عن النيل الازرق بمسيرة خمس مراحل وكان فيها نقطة عسكرية فهب الأهلون وحاصروا من فيها من الجنود فأرسل عبد القادر باشا إلى طابور من المصريين كان معسكر أبني مدينة المسلمية يأمره بالتقدم لانتقاذ (عبود) فتمرد الجند لوشاية وصلت إليهم وقالوا لا نتقدم وحسبوا ان المسألة حيلة يقصدها هلاكهم في وسط الصحراء لانهم من العساكر العربيين الذين بعثتهم الحكومة بعد اخراج نار الثورة فتدارك عبد القادر باشا الامر وشخص بنفسه إلى المسلمية فاستقبله الجنود وقصوا عليه ما بلغهم فطيب خواطرهم وقال لهم اني سائر معكم بنفسى فتابوا إلى الطاعة وزحف معهم إلى عبود ومعه من الجنود الباشبوزق عثمان بك الدالى فلما اقتربوا من عبود فر العدو من حولها وأتخذت حاميتها وما كادت تمضي عليه بضع ساعات حتى وافاه نواباً بأن الداعية ابن كريف جمع نحو ثلاثين ألف مقاتل في معتوق التي تبعد عنه بمسيرة نحو يومين ووجهة سيره مجهولة ويخشى أن يقصدهم الخرطوم ووافاه نواباً آخر بتضيق احمد بن المكاشفي الحصار على سنار وجاءه ثالث بظهور عصائب حول الخرطوم يقودها الشيخ مضوي عبد الرحمن المحسى الذي ذكرنا نواباً شخوصه إلى المهدي في جبل قدير ثم جاءه تلغراف من المعية السنية مضمونه ان الحكومة قد عينت الجنرال هيكلس باشا رئيساً لاركان حرب الجيوش السودانية فيجب ايقاف جميع الحركات العسكرية إلى حين

لهم مائة فارس من الاعراب ومعهم كتاب يقول فيه ان النبي ضلي الله عليه وسلم أخبره بصدق رؤيا خليل حسنين وانه يبذل الامان لكل الذين في الجبل حتى القسوس الذين تعهد لهم بالحرية الدينية ودعاهم للقدوم اليه فلبوا جميعاً ولما مثلوا بين يديه قابلهم بالبشاشة وطيب خواطرهم أما خليل حسنين فكوفئ بادخاله ضمن عمال بيت المال وبقي القسوس حتي سقوط الابيض ثم صودرت أموالهم واجبروا على اعتناق الاسلام بعد تمذيب شديد اه

### ذكر واقعتي شات والمرايع

( شات ) قرية تبعد عن النيل الابيض بنحو عشرة أميال وهي أول منزل ينزله المسافرون من الدويم الى كودفان وبها تجار لا يتباع الصنع ويسكنها مصريون من أهالي مديرية أصوان وكان بها حامية من الجنود خندقوا على القرية فرّ بهم أحمد المكاشفي قادما من قبل المهدي بالولاية على سنار وقد عززه بأمرأ كثيرين من أهالي البحر الابيض أشهرهم ابن كريف عهد اليه المهدي بجمع قبائل البحر الابيض ونشر دعوته بينهم ونصرة أحمد ابن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكر أخيه عامر بن المكاشفي وما أناه في سنار ولما وصل أولئك الأمراء الى شات التف حولهم الوف من رجال ابن كريف فجمعوا على شات وذبحوا من فيها من الحامية وقتلوا النساء والاطفال وأتوا من المنكرات ما لم يسمع بمثله انسان حيث كانوا يسوقون الاسرى من النسوة عمراة كيوم ولا دهن ويتركن عرضة للحر والبرد حتي يمتن من الجوع والظما مقرنات في الاغلال يضربهن كل من مر بهن ثم اجتازوا النهر الابيض الى الجزيرة وكانت بها حامية من الجنود في مكان يدعي المربع ففتكوا بها

الثناء على عبد الله التعايشي وقال فيه انه أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان  
الحضر عليه السلام رفيقه ووزيره ومن رأى في حكمه اعوجاجا ظاهرا ففي  
باطنه من الحكمة كالتى فى قصة موسى عليه السلام مع الحضر وكان الذى  
أشار على المهدي بكتابة هذا المنشور أحمد بن سليمان أمين بيت المال تمهيدا  
لحكمه على أهالى باره والمنشور فيه اختلاف بين نسخه فالنسخة التي بيد امين  
بيت المال تخالف التي بيد التعايشي وهي التي طبعت فى مجلد المنشورات  
ويقول أمين بيت المال ان عبد الله التعايشي هو الذي أوعز الى كاتب سره  
فوزى بن محمود باريه باحداث الزيادة وسيأتي ذكر قتل فوزى وأمين بيت  
المال وانهما اقرا بالحقيقة عند القتل اه

### ذكر كنيسة جبل الدلن

كان جماعة من القسوس الكاثوليك شخصوا الى كوردفان وشادوا بها  
كنائس وتوغلوا فى بلاد المتوحشين وجباهم يدعون القبائل الى النصرانية  
وبنوا كنيسة فى جبل الدلن من أعمال كوردفان وكان بهذا الجبل حامية  
وضعها الحكومة للمحافظة على أولئك الدعاة ولمنع الاتجار بالارقاء تحت  
قيادة رجل من الاوربيين وكان كاتبه مصريا اسمه خليل حسنين وكان ميالا  
الى المهدي فى ذات يوم أصبح يقص على الجنود رؤيا منامية فخواها انه رأى  
المهدي وأنه بشره وسائر الذين فى الجبل بانهم من خيرة انصاره وصفوة محبيه  
وكسام حلا سندسية ووضع على رؤسهم تيجانا زمردية فوقعت هذه الرؤيا  
موقع القبول عند الجنود ومالت قلوبهم نحو المهدي وبعث خليل حسنين  
بكتاب الى المهدي يقص عليه الرؤيا ويعرض به دخولهم فى طاعته فارسل

والجنود على آخر رمق فقد وامعه الصبر لانهم لم يذوقوا النوم والراحة منذ وصلوا حدود كوردفان وهجمات العدو متوالية عليهم ليل نهار وكان العدو قد تجمع منه زهاء ثلاثين الف مقاتل ووثبوا على الحملة وبالرغم عما أبدته الجنود من الصبر تمكن العدو من الولوج في المربع وقتل القائد والجنود كلهم الا كوكبة تزيد على المائة قادها اليوزباشى السيد أفندي القوال وتمكن بها من الوصول الى باره وكان لعبد القادر باشا عيون يسيرون خلف الحملة وهم الذين أبلغوه خبر القضاء عليها حيث أذاع عكسه تسكيناً للخواطر وتطمينا لسكان الخرطوم

### سقوط باره

باره مدينة كبيرة في الشمال الشرقى من الابيض تبعد عنها بمسيرة أربع مراحل وفيها بساتين كثيرة بسبب وفرة مياهها وقربها اذ البئر لا يتجاوز عمقها مترين وأكثر سكانها من المصريين والأتراك ويوجد بها من الدنقلين عدد كبير

ولما قامت ثورة المهديين حصنتها الحكومة ووضعت فيها حامية فاغار العدو عليها عدة غارات ورجع مقهوراً منها ولما ثبتت قدم المهدي في محاصرة الابيض سقطت باره في قبضته على شرط ان لا يمس الاهلين بسوء في أموالهم وذرائعهم ولم يوف لهم بل تناول امراؤه الاموال ومدوا أيديهم الى النساء فذهبوا اليه وهو يومئذ محاصر للابيض متظاهرين فاحال ظلامتهم على عبد الله التعايشي فجمعهم وقال لهم ان الحضر عليه السلام قال له لا ترد اليهم ما أخذ منهم لانهم يخسرون الآخرة ويعودون الى ما كانوا فيه من شرب الخمر وأغلظ عليهم القول وتوعدهم ان عادوا الى التظلم وكان المهدي أصدر منشوراً ضمنه

لأنها في حاجة عظيمة الى القوات وأوعز اليه بان يكتب منشوراً الى جميع الفارين يخبرهم بان الذين ماتوا احياء في الجنة وسيلقام أهلوهم فيها وان النبي صلى الله عليه وسلم وعسده ان لا يقع لانصاره مكروه حتى يفتح الله عليهم المدينة وانه قد اباح لهم الغنيمة يأخذونها دون بيت المال فتراجع كثير من المنهزمين فزحف في اليوم الثالث وعسكر في جهة (عند العود) التي تبعد عن حصون المدينة بنحو خمسة آلاف متر وأقام المتاريس حول المدينة وضيق عليها الحصار وسنعود الى تمة ذلك

### حملة علي بك لطفي

في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٩ انفذ عبد القادر باشا حلمي طابوراً من الجنود النظامية تحت قيادة القائمقام علي بك لطفي لتعزيز حامية كردفان حيث انتهت اليه أنباء تقدم المهدي نحوها وكان مع الطابور نحو الفين من الجنود الباشبوزق تحت قيادة افراد من عمد القرى المجاورة للمدينة وقصد عبد القادر باشا من تجنيد الباشبوزق ان يكونوا على الدوام في طليعة الجنود يستكشفون العدو وينهون الحملة على كل كمين في طريقها ولولا ذلك لم تكن فائدة لاؤلك الجنود الذين يجملون المنظمات العسكرية وفي كثير من الوقائع كانوا السبب الاعظم في فشل الجنود بما ياتونه من الحركات التي لا تنطبق على الفنون العسكرية وما كادت الحملة تبلغ حدود كردفان حتى تألب لمناوئها قبائل الجمع والجوامع فاضطرت الى تشكيل قلعة تدافع بها الهاجمين وهي سائرة في الطريق التي يكثر فيه الماء وهو منحرف لجهة الشمال وينتهي سيره عند نقطة (باره) وبعد بضعة أيام وصلت الحملة الى مكان يقرب من باره يدعي (كوا)



## ذكر هجوم المهدي علي الأبيض

لما لحق الياس باشا ومن معه من التجار بالمهدي في كابه حرضوه على الهجوم على المدينة فامر أخاه محمد بن عبد الله قائد جيشه ان يزحف بالجيش بعد منتصف ليلة الجمعة لست ليال بقين من شهر شوال عام ١٢٩٩ هـ جريه وأن يتدنى بالهجوم في الغلس وخطب المهدي على الناس وحثهم علي الجهاد وقال لهم ان نيران البنادق لا تصيبكم وانها تحول ماء كما تحولت نار الخليل برداً وسلاماً فزحفوا واستاقوا غزلان الفلاة وغيرها من الحيوانات امامهم وفي الغلس بدأ هجومهم فوقف لهم الجند وقفة الاسود وأصلوهم نيراناً حامية حتى انتصف النهار وتكاثف الدراويش على الخندق مما يلي الجبه خانات فوجوا وتقهقر الجنود بانتظام وحالوا بينهم وبينها ثم هادوا الى مواقعهم الاولى من الخندق بعد ان قتل كل الذين ولجوا الخندق وفي منتصف النهار تمت الهزيمة علي العدو وخسر اثني عشر ألف قتيل عدا المجر وحين حيث كانوا يبلغون ثلاثة أضعاف هذا العدد وسقط محمد بن عبد الله شقيق المهدي وقائد جيشه قتيلين وقتل يوسف شقيق عبد الله التعايشي وقتل قاضي المهدي أحمد بن جباره وقتل الشيخ الامين أحد مؤسسي دعوة المهدي وانفض الامراب من حول المهدي وارتابوا في صدقه بعد اخباره لهم ان نيران البنادق تحول ماءً ولحقوا بديارهم ولم يعودوا الي معسكر المهدي بكابه . وقد وقعت هذه الهزيمة اسوأ موقع عنده ولم يبق حوله غير نفر قليل من ذوي قرابته والذين لحقوا به من مدينة الأبيض فصمم علي العودة الي جبل قدير أو الا اعتصام بجبال دارفور وأوديتها السحيقة فأشار عليه الياس باشا بالدنو من الأبيض ومحاصرتها

رمياً بالرصاص ففعل وأخذ المدير في اتساع حفر الخندق واعداد ما يلزم من المعاول والطوابي ومعدات الدفاع . ومكث المهدي أياماً ينتظر عودة رسوله ثم علم بقتلهما فأرسل ألف فارس تفرقوا في أطراف المدينة يرفعون أصواتهم بدعوة الناس الى اللحاق بالمهدي في كابه فخرج اليهم محمد بن العريق من التجار وكان رئيس المجلس المحلي واشتغل المدير بأعمال الدفاع

### ذكر استحكام الابيض

مدينة الابيض كبيرة وسكانها يزيدون عن مائة ألف نسمة وكانت الحكومة خندقت عليها ولكن رأى محمد سعيد باشا ان هذا الخندق لا يقوم بحراسته أقل من ستين ألف جندي وبداخل هذا الخندق خندق آخر يحيط بالاماكن الاميرية ومنازل الضباط وأعيان المصريين وقد أعدت الحكومة منازل لالياس باشا وغيره من التجار داخل الخندق الصغير وشددت عليهم في نقل أمتعتهم الى المنازل التي أعدت لهم فقروا ولحقوا بالمهدي في كابه عدا أحمد بك دفع الله و ابراهيم بن عدلان وهماهي أسماء أولئك التجار الذين كانوا سبباً في اغارة المهدي على كوردفان بل كانوا السبب في شقاء السودان كله وسفك دماء مئات الالوف من البشر لان المهدي كما قدمنا كان لا يتقنى غير طريق الى السودان الغربي وقد انتقم منهم كما انتقم من الياس باشا وسيأتي ذكر ذلك في مكانه وهم ( الياس باشا أم برير . محمد بن العريق . الحاج بان النقا ) ولحق بهم من مستخدمي الحكومة ( الریح حامد ) باشكاتب المجلس المحلي ومن قواد الباشبوزق ( طه بن الجملي ) و ( ابن تاي الله ) و ( ابن الحسين )

وترك أثقاله بجبل قدير ليعود مخفياً اذا قدرت له الهزيمة والفشل

## ذكر وصول المهدي الي كابه

(كابه) منهل جنوب البحر الابيض بمسافة عشرة أميال وماؤه من الامطار  
تجتمع في مكان منخفض ويقصده الاعراب لسقي ماشيتهم وهو اقرب منهل  
الى الابيض في طريق المهدي وقد استقبله فيها خلق كثير من أهالي كوردفان  
ومعه من المقاتلة مائتا ألف أوزيدون منهم نحو ثلاثين ألف فارس وما كاد يصل  
الي كابه حتى بعث رسولين بكتاب الي محمد سعيد باشا مدير كوردفان ومن معه  
من ضباط الحامية وجميع سكان الابيض يدعوه فيهم الي التسليم ويحذرهم من  
بطشه وفي ذلك الكتاب ما في غيره من الدعاوى التي يتجملها لنفسه ككفر من لم  
يصدق بمهديته وغير ذلك مما تقدم لنا ذكره وكشف اسمه على ورق الاشجار  
وبيض الدجاج فدخل الرسولان علي محمد سعيد باشا ودفعوا له الكتاب وجلسا  
بجانبه بغير اذن وأخذوا يسبانه ويتوعدانه بكل مكروه حتى قالوا له ان خيل  
المهدي لا بد أن تطأ موضع قدميك وتروث على بساطك هذا. وما وقفت  
سفاهة ذينك الرسولين عند هذا الحد بل تناولا شخص الجناب الخديوى  
فاستدعى المدير كل الضباط ووجوه السكان وقرأ عليهم كتاب المهدي  
فكان جواب الضباط انا لانسلم لهذا الشقي وفيما قطرة دم ووقف احمد بك  
دفع الله التاجر الذي تقدم لنا ذكره وقال كما قال الضباط وزاد عليهم انه أقسم  
بالوفاء. أما الياس باشا أم برير وسائر التجار فانهم سكتوا ولم يفوهوا بكلمة  
والرسولان مسترسلان في ميدان السفاهة والشتائم مما هييج غضب الضباط  
الذين ألحوا على المدير بقتلهما فأمر قومندان الجنود اسكندر بك محمد بقتلهما

قبل بلوغه الابيض واجتمع تجار كردفان بايعاز الياس ورفعوا عريضة الى عبد القادر باشا يسألونه عزل محمد سعيد باشا مدير كردفان وتولية الياس باشا بدله وكان قصدهم من ذلك أن يسلم المديرية الى المهدي بغير مقاومة متي صار الأمر الناهي عليها فادرك عبد القادر باشا الحيلة واجاب طلبهم وعزل محمد سعيد باشا وولي بدله على بك شريف وكيل المديرية وبعد بضعة ايام اعاد محمد سعيد باشا لانه كان لا يري في على بك شريف كفاءة عسكرية لمقاومة تيار المهدي

ولما وطن المهدي عزمه على الزحف ارسل دعاة كثيرين حوالى الخرطوم ليشغلوا عبد القادر باشا عن امداد كردفان وقد أفلجت سياسته حيث اشتعلت نيران الحروب واضطر عبد القادر باشا الى العدول عن الاهتمام بامر كردفان وانقطع ارسال المدد اليها وماتم له الانتصار على أولئك الدعاة الا بعد أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كردفان والقضاء الاخير على سلطة الحكومة فيها وسيأتي تفصيل ذلك على حدة

نعود الى المهدي فنقول انه ترك ائقاله ونساءه في جبل قدير ووكل حراستهم الى عمه السيد محمود بن عبد القادر

على ان المهدي لم يكن واثقاً بالغلبة على كردفان لقربها من الخرطوم وكانت عزمته متجهة الى الزحف على دارفور واخضاعها حيث يتخطاها الى جهات السودان الغربي كمالك بورقو وبورنو وأبو ريشه وغيرها من تلك الجهات وبالفعل كانت دعوته قد بلغت ديار (فلاته) من نواحي (تمبكتو) ولكن الياس أم بربر كان يقلقه بكثرة الحاحه عليه بالقدوم الى كردفان ويوقفه على ما فيه الحكومة المصرية من الفوضى بسبب الفتنة العراية فتقدم نحو كردفان

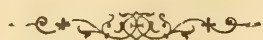
التي تسكن اقليم بربر من احداً تخاذها المدعو (النفيماب) سافر الى كوردفان في العهد القريب من فتحها فآثري من التجارة وكان له تداخل مع الحكم وميل منهم له بما يقدمه لهم من الرشا فاطلقوا يده حتي انه كان يقتل وينهب أموال الناس وفي الايام الاخيرة بذل مالا طائلاً لاحد الحكم فعينه مديراً على اقليم كوردفان فارخي العنان لنفسه وأصاب من الاموال وارتكب من المظالم ما أوجب عزله قبل مضي شهرين على ولايته وقد شق عليه العزل فسمى مجداً كيمود الي المنصب فلم يفلح وفقد وراء هذا السعي جل ثروته ولما أدركه اليأس علل نفسه بمساعدة المهدي عساه أن ينال منه ما لم يناله من الحكومة فخاب ظنه وانتقم الله منه بعبد الله التعايشي حيث قتله صبراً ونفى أولاده وقتلهم مثله (ومن أعان ظالماً سلط عليه)

وكان بين الياس باشا وبين احمد بك دفع الله من تجار كوردفان عداوة شديدة لانه يشاطره النفوذ وأحمد بك من قبيلة الجعليين أيضاً وكان شديد الولاء للحكومة وسيأتي ذكر قتله مع مدير كوردفان وكان ذا شهامة وشجاعة رحمه الله يحض الحكومة النصيح ويحذرها من الياس باشا فكانت تقابل أقواله بعدم الاصغاء نظراً لما اشتهر بينهما من العداوة

ولما أحس عبد القادر باشا بنوايا المهدي عن كوردفان أخذ يطلب من الحكومة الامداد لحشد جيش جرار في كوردفان يستطيع مقاومة المهدي واتخاذ الثورة التي عمت البلاد وكانت الحكومة اذ ذاك واقعة في الفتنة العراقية ومن جهة أخرى في الازمة المالية المعروفة في ذلك العهد فلم تجبه ولكنه مع ذلك لم يترك حيلة بل جند كثيراً من الصناجق الباشبوزق وسيرهم الي كوردفان وبمئ بطابور من الجنود النظامية سيأتي خبر الفتك به في الطريق



اذ وثب عليها رحمة بن نوفل شيخ قبيلة الجوامعة في الفين من قومه فثبت الجنود وانتشبت الحرب ثمان ساعات أسفرت عن هزيمة الجوامعة وانتصار المصريين وفقد العدو عدداً كبيراً من جيشه وأرسل الشيخ رحمه يستصرخ قومه فتألب منهم اكثر من خمسة آلاف وأحاطوا بموقع الحملة وفي الغد بدأوا بالهجوم عليها من الامام والخلف وساعدتهم وعورة المكان وكثرة الانخفاض والارتفاع في أرض تلك الجهة فانقضوا على الجنود وذبحوهم عن بكرة أبيهم وغنموا كل ما معهم من الاسلحة والذخيرة وكانت هذه المذبحة بمسد مذبحة الطيارة بليتين ولم تقف المديرية على شيء مما أصاب الطيارة الا بعد هلاك الحملة حيث اتصل بها الخبران معا



ذكر زحف المهدي من جبل قدير الى الابيض لما رسخت قدم المهدي في جبل قدير وتغلب على كل الذين ناهضوه اجتمع عليه خلق كثير من الاعراب سكان تلك الجبال وكان ما ذكرناه من أمر انتشار دعوته في اقليم كوردفان عدا الابيض عاصمة الاقليم وبعض المراكز التي تحتلها حاميات الحكومة وكان تجار كوردفان كلهم يكتبونه ويستحثونه على القدوم اليهم وفي مقدمة أولئك التجار (الياس باشا أم برير) وكان شديد الكره للحكومة كثير الميل لجهة المهدي وقد ذكرنا انه اطلعه على خبر المسكيدة التي دبرها عبد القادر حلمي باشا لاغتيال حياته

ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا الشلالى جمع كل ما غنمه من الساعات والاشياء ذات القيمة وأرسلها الى الياس باشا فباعها وأرسلها ثمنها له . واني أرى اتماما للفائدة اثبات ترجمة هذا الرجل فاقول . هو من قبيلة الجعليين

حراثة ارضه أو رعاية ماشيته وهؤلاء الاولاد يسمونهم ( عينة خالهم ) كما سبق ذلك ولا عيب في ذلك كله عندهم وبعد ان تزوج المرأة تحرص على الوفاء لزوجها وتنف عن الزنا. وقد أبطل المهديون هذه العادة وأقاموا الحدود الشرعية على مرتكبيها فبطل التظاهر بها وان ارتكبت خفية

ودخل هاتان القبيلتان في دعوة المهدي وخلعتا طاعة الحكومة على يد رجل يدعي (المنه) كان يعلم الصبيان القرآن في احدى القرى وكان متظاهراً بالصالح على جهل كثير فكتب اليه المهدي يعده بالخلافة فاجتمع حوله من قبيلتي الجمع والجوامعة ما يربو على خمسين ألف مقاتل هجم بهم على مدينة الطيارة وكان بها نحو خمسمائة جندي تحت قيادة اليازباشي محمد افندي شافعي ونحو عشرة آلاف من التجار فقتل المساكين كلهم ولم ينبج من التجار الا نحو عشرين نسمة وبقربطون نحو ألف امرأة حبلى وقتل الاطفال شرقتلة حيث كانوا يقذفونهم في الجو ويتلقونهم بالرماح وأحرق بضائع التجار ولم يسلم محل تجاري في كل انحاء السودان من خسارة بالغة في واقعة الطيارة لانها المدينة الوحيدة التي يقصدها تجار الصمغ من كل مكان للحصول عليه . وكان من الذين نجوا من هذا الخطب رجل من ( شنقيط ) فسأله سائل عما شاهده فقال جاء في الحديث الشريف ما اجتمع ثلاثة من أمي الا وفي أحدهم الخير وقد رأيت عشرة آلاف من الجمع والجوامعة يجتمعون على قتل صبي وكلهم يحرص على قتله ولا يقولون الا شراً — كأنهم ليس فيهم ثلاثة من أمة محمد — وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٢٩٩ وكانت المديرية ارسلت مائتي جندي من الباشبوزق وبلوكا من المشاة النظاميين ومعهم مدافع من الطراز الجبلي لتعزيز حامية الطيارة وبينما كانت هذه الحملة سائرة في طريقها

أى شركات كما تقدم لنا ذكرها في خط الاستواء وبحر النزال وسارت  
الحملة فكمّن لها العدو في الطريق ليحولوا بينها وبين الماء وناوشوها القتال ثم  
هجموا على أحد جناحيها فولجوا منه واشتغلوا بالنهب والسلب وقبضوا على  
الذخيرة فتمكن القائد من إعادة النظام بين الجنود وسار بهم غير ملتفت الى  
شيء حتى بلغ مكان الماء فخصمه واستراح هو وجنوده من وعناء السفر  
وتجمع الدصاة حوله فهاجمهم في الغلس وقتل منهم أكثر من ألفي مقاتل واسترد  
كل ما أخذوه منه لدى هجومهم عليه في الطريق

وقتل من قواد الجنود غير النظاميين بشير أغا الازيرق وسيف النصر  
أغا قائد المغاربة ومن قواد المتطوعين واحدا وعادت الحملة الى الأبيض



### ذكر واقعة الطيارة

(الطيارة) مدينة تجارية واقعة على مسافة مائة ميل جنوب الأبيض عاصمة  
كوردفان يقصدها التجار لا بتياع الصمغ الذي هو من محصولات البلاد  
الواقعة بين الأبيض والنيل الأبيض وهي قاعدة مركز الطيارة وسكان  
هاته البلاد قبيلتا (الجمع والجوامع) والاولي يطلق عليها اسم (بقاره) لان  
أكثر ماشيتها من هذا النوع والثانية تنزل القري وتشتغل بالزرع والضرع  
معاً وكلتاهما مشهورتان بالشجاعة والاقدام مثل سائر قبائل كوردفان وعاداتهم  
متشابهة ويكثرون من شرب المسكرات والفاحشة شائعة بين نساءهم حتي  
ان الرجل يبصر ابنته وأخته وسائر محارمه يباشرن الفاحشة بلا مبالاة ولا  
استحياء وانما العيب ان تزني المرأة بعد ان تزوج ومن أكبر العار ان تزوج  
قبل ان تلد أكثر من ثلاثة أولاد ذكور تدفعهم لا كبر اخوتها ليعينوه على

حمر كلها في قبضة المهديّة

وتقدم عبد الله النور الى البلاد الواقعة شرق الابيض وقصد نقطة  
اسحف التي تبعد عن مركز ( باره ) بنحو خمسة مشر ميلا وكان بها الصنجق  
محمد آغا ياسين المشهور ( بشبوا ) ومعه النور بك عنقره من نخاسي بحر الغزال  
فداهمهما عبد الله النور ففر النور بك عنقره وترك امتعته ونساءه وتقهقر محمد آغا  
ياسين بمن معه حتي وصل الى نقطة باره وغنم عبد الله النور طبلأ  
حرباً كبيراً كان غنمه النور عنقره من أحد ملوك دارفور وقت فتح تلك  
البلاد وقد ظل هذا الطبل موجوداً عند المهديين حتى سقوط أم درمان .  
والتقي عبد الله النور ودرأويشه بشرذمة من الجنود المصرية كان انفذها مدير  
كوردفان تحت قيادة نظم افندي واشتبك معها بحرب اسفرت عن انتصار  
الجنود وهزيمة الدراويش وخسارتهم ألفاً وخمسمائة قتيل ثم رأي قائد الحملة  
ان لا فائدة من هذه الحرب مادام الالهون كلهم مع العدو محاررين الحكومة  
مظهرين عدم طاعتهم لها فصدر الامر لها بالعودة الى الابيض

### واقعة البركة بكوردفان

اجتمع نحو مائة الف مقاتل من قبائل البديرية رئيسها عبد الصمد  
ابن أبي صفية ومن قبيلة حمر وغيرهم في جنوب مكان يدعى ( البركة ) وبينهم  
وبين الابيض مسافة خمسين ميلاً وجعلوا يوالون الفارة على اطراف المدينة  
وينهبون الماشية فارسل لهم محمد سعيد باشا مدير كوردفان حملة تحت  
قيادة البكباشي نظم افندي مؤلفة من طابور من المشاة النظاميين وانضم  
اليها أربعة ألوية من الجنود الباشبوزق والمتطوعين المعروفين باسم ( كبابين )

وهي رحالة في أوقات معلومة من السنة وتنزل القرى في إبان الزرع وأكثر بلادها لأماء فيها ويقضون حاجتهم من الطبخ والحبز بماء البطح وكل من عطش اكل منه وفي بعض الجهات يخزنون ماء المطر في جوف أشجار عظيمة تسمى ( التبلدى ) وعوائدهم كعوائد من ذكرناهم قبل من قبائل كوردفان ويكثر في هذه البلاد ريش النعام لان الاهلين يقتنونه بكثرة في منازلهم ولذا يكثر تردد التجار على بلادهم للحصول على هذا الصنف

ولانرجع الى ذكر عبد العزيز داعية المهدي فنقول انه قوبل بالاجابة والنفق قبيلة حمر حوله وأول عمل أناه انه هجم على البكباشى نظيم افندي مأمور تحصيل الاموال الاميرية بهذه الجهة على غرة وسلب كل مامعه من هذه الاموال وجرده من كل شىء حتى من ملابسه وقال له اشهد أن الله واحد وان المهدي المنتظر حق ففعل وكان في قلة من الجنود ولم يستطع الدفاع عن نفسه . وكان هذا الداعية جاهلا ابتدع من عندياته مسألة هذه الشهادة وكان يقول ان الشهادة لمحمد رسول الله قد ابطلت والنفيت

ثم ان البكباشى نظيم جاءه اثنان من شيوخ حمر وحمله الى بلدة ابو حراز التى تبعد عن الابيض عاصمة كوردفان بنحو أربعين ميلا وهناك جمع جنوده المتفرقة وتحصن بداخل زريبة من الشوك . وعاد عبد العزيز الى جبل قدیر حيث استدعاه المهدي ليؤدي ما عنده من الاموال التى انتهبها من نظيم افندي . ثم عزله وخلقه عبد الله بن النور فقادرجبل قدیر ومرّ على نقطة ( فوجة ) بين دار حمر ودارفور فقتل من فيها من الجنود وقتل عمال التلغراف وقطع الاسلاك ثم قصد أبو حراز وناهض البكباشى نظيم أفندي فلم يظفر به وتقهقر من وجهه حتى بلغ الابيض بعد عناء شديد ووقعت بلاد



المال ورثتها وقد كتب صك بينهما وبين محمد سعيد باشا مدير كوردفان  
 بالنيابة عن عبد القادر باشا الحكمدار وكان ممن حضر هذا التدبير (الياس باشا  
 أم برير) أحد تجار كوردفان وكان هوام مع المهدي وذهب الرجلان مصرين  
 على انفاذ هذا العزم فارسل الياس باشا راكباً سبقهما بكتاب الي المهدي أوقفه  
 فيه على ما دبره عبد القادر باشا لاغتيا له فاخذ حذره ولما بلغه قرب وصول  
 الرجلين من معسكره قام بين أصحابه خطيباً وأخبرهم ان النبي صلى الله عليه  
 وسلم أخبره بأمر الرجلين وما اتفقا عليه مع الكفار وأمرهم بقتلهم وإخبارهما  
 بان المهدي عالم بما جاء به فلما فعلوا اندهش ذاك الرجلان ولم يداخلاهما شك  
 في ان الامر كما هو وان المهدي علمه من هذا الوجه واعتقدا صدق مهديته  
 وألقيا ما بأيديهم من السلاح وقصدا تائبين من ذنبهما وعاهدا على الاخلاص  
 له وبإيماه بيعته المعلومة وصارا من خيرة انصاره واكابر قواد جيشه . والعامة  
 تبالغ في رواية هذه القصة وتزعم أن الرجلين اطلقا الرصاص على المهدي فلم  
 يصبه وخضعا له عند رؤيتهما هذه المعجزة والحقيقة هي التي أوردناها  
 وسيأتي ذكر قتل الياس باشا صبراً في سجن التعاشي

### ذكر حوادث كوردفان

وفي غضون اشتغال الحكومة بأمر الشريف أحمد بن طه وعامر بن  
 المسكاشفي قام بدعوة المهدي في كوردفان رجل اسمه عبد العزيز بجهة (دارحمر)  
 وكان المهدي أرسله بكتاب الى ابراهيم بن اسماعيل منعم شيخ قبيلة حمر  
 وابنه اسماعيل

وقبيلة حمر هذه قبيلة كبيرة تسكن في المنطقة التي بين كوردفان ودارفور

وقد نصبوا لهم سرادقا وصفوا المدافع في رحبته وليس حولهم متاريس ولا شيء من معدات الدفاع فسأله ماذا تقصد بهذا العمل فقال الدفاع عن المدينة فضحك عبد القادر باشا وأمر بالسرادق فقوض ورتب عسسا لحراسة المدينة وأخذ في جمع عدد من الارقاء وأنشأ ثلاثة طوابير منهم وكان يباشر تمرينهم على الحركات العسكرية بنفسه في كل غدو ورواح واختبر كل الضباط الذين كانوا في الخرطوم فلم يجد فيهم كفاءة ولا أهلية لما يشغلونه من الوظائف حتى أن ضباط الطوبجية كانوا لا يعرفون إطلاق المدافع الا اذا كانت من النوع الذي يطلق في أيام الاعياد والمواسم

وشرع في تحصين المدينة وخندق عليها ووضع على الابراج الحراس فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الامن حوالي الخرطوم

وكان في حدود الحبشة نحو ستة طوابير من الجنود النظامية فاستدعاهم للدفاع عن البلاد

### ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي

لما وصل عبد القادر باشا الخرطوم كان المهدي قد تقوت شوكرته في جبل قدير فاتفق عبد القادر باشا مع شخصين من أهالي كوردان مشهورين بالشجاعة والمخاطرة في سبيل احراز المال يدعي أحدهما (عبدالله بن ابراهيم) والآخر (أحمد بن الحسين) ودفع لهما ثلاثة آلاف ريال ووعدهما بثلاثين ألف ريال مجيدي يقبضانها أو ورثتهما على ان يذهبا الى المهدي في جبل قدير ويقتلاه رميا بالرصاص فاذا نجوا من شر الاعداء قبضا المال وان وقعا في أيديهم قبض

بعد عنها مسيرة مرحلتين فشرع في تحصينها وخندق عليها وأرسل حملة على العدو فشتت شمله وعاد الى الخرطوم بعد ان ترك بها حامية تقوم بحراستها ولما اتصل بالمهدى خبر قتل الشريف احمد بن طه استاء وكتب الى الشيخ عوض الكريم ابي سن والشيخ حمد النيل كتابا قال فيه (قتلتموه خذلة للدين ونصرة للكافرين فاعلموا أن ثأره بعد حين) وقبيلة الشكرية هذه قبيلة كبيرة رحالة تسكن شرق الخرطوم بين النيل الازرق ونهر اتره وما شيتها من الابل وهي كقبيلة جبينه الا أن رجالها معروفون بالشجاعة وقد بقيت هذه القبيلة على ولاء الحكومة وسيأتي ذكر رؤسائها الذين ماتوا في سجن التعاليشي وما آل اليه أمرها من الاضمحلال والفناء. والشيخ حمد النيل من أسرة تدعى (العركيين) واجدادهم معتقدون في السودان ومعروفون بالصلاح منذ ثلاثة قرون تقريبا وقد صادر المهديون ماله ومات حقيرا ذليلا في اسرهم انتقاما منه حيث ساعد الحكومة في قتل الشريف احمد بن طه

### ذكر وصول عبد القادر باشا حلبي الخرطوم

قدم عبد القادر باشا حلبي الخرطوم وقلوب السكان مملوءة بالخوف لقلّة الجنود في الخرطوم وخلو المدينة من كل تحصين ووجود كثير من عصابات الاشقياء حول المدينة متحفزين للوثبة عليها طمعا في السلب والنهب وكان السكان يقضون الليل في حراسة انفسهم فوق أعالي المنازل حذرا من أن يأخذهم العدو على غرة كآخذهم سنار

ولما وصل عبد القادر باشا الخرطوم قصد ظاهر المدينة فوجد المير الای حسن بك حلبي ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع من الطراز الجلي

الملك بمائة وخمسين جندياً فدخلها بعد حرب خسر فيها العدو نحو ألف نسمة  
وغادر ججلر باشا الخرطوم على باخرتين ومعه السر سواري عثمان بك الدالي  
والملك يوسف لانتقاد سنار

### واقعة الشريف احمد طه

بينما كان ججلر باشا سائراً مجدداً لامداد سنار اذ سمع الصباح من  
الضفة الشرقية فألقت البواخر مراسيها ثم وجد عمال الحكومة فأخبروه برجل  
يدعى ( الشريف احمد بن طه ) جمع نحو خمسة آلاف مقاتل وعسكر بهم عند  
أبو حراز وهي منتصف الطريق بين الخرطوم وسنار فأرسل اليه السر سواري  
الملك يوسف بكتاب يدعوه فيه الى الطاعة فقتله وجنوده واتصل بججلر باشا  
ان الاهلين متحفزون لخلع طاعة الحكومة فيكمث بأبو حراز وأرسل تلغرافا  
الى القضايف يطلب طابوراً من الجنود النظامية لان الجنود التي بالخرطوم  
قليلون جداً وبقاؤهم بها لحراسة المدينة ضروري وأنفذ السر سواري  
عثمان بك الدالي الى نقطة ( فداسي ) ليمنع الناس من اللحاق بالمعصاة وجاء  
الشيخ عوض الكريم أبو سن زعيم قبيلة الشكرية بنحو ألفين من قبيلته  
ومعه الشيخ محمد الفيل شيخ طريقة المركيين وحاصروا المعصاة ولما وصل  
الطابور الي أبو حراز كان عبيد القادر باشا حلبي قد وصل الي بربر فابلغ  
الحادثة بالتلغراف فتوجه الى المحطة وأخذ في الاستفهام عن مركز العدو فأخبر  
به فرسم كيفية الهجوم عليه ورتب القوة كأنه يقودها بشخصه وتقدمت  
نحو العدو الذي قابلها ببسالة شديدة فأوقعت به وقتل الشريف أحمد بن طه  
وحملت رأسه الي الخرطوم وتابع ججلر باشا مسيره الى سنار فوجد العدو قد

فقبض عليه وقال لنا ما الذي جاء بكما فقلنا سمعنا بخبرك وجئنا بآيمك فقال  
احسبنا ودنونا منه وبايعناه ولشدة ما اصابه من الدهول قال لصاحبي ما اسمك  
مع أن المعرفة قديمة بينهما وكان منذ بضعة ايام ضيفا بمنزله وبعد هنيهة قلنا له  
ان المدير اعطانا كتابا لك فصاح باعلى صوته مزقوا كتاب الكافر فتناوله اتباعه  
من أيدينا ومزقوه وقال لنا في الغد ادخل المديرية فرجونا ان يكتب لنا امانا  
ففعل وأمرنا بالانصراف الى منازلنا فالنصر فناه وكانت المدينة خلوا من  
التحصين وليس بها سوى ثكنة يقيم بها نحو مائة جندي ومدفع من الطراز  
الجبلي وفي الغد خرج المدير للقائه خارج المدينة بمائة جندي فانقض عليهم  
بمن معه وقتلهم ووقف محمد اغا النمر تلب عند المدفع حتى قتل ونجا المدير ووكيله  
ولحقا بسفينة في البحر ودخل المدينة عامر بن المكاشفي وقصد دار محمود  
سمعد الله فقتله واتهب ما فيها ودخل دار المديرية ووقف علي باب الخزانة  
وكان بها نحو مائتي ألف جنيه وقال اكسروا الاقفال فتقدم اليه رجل من  
أعيان مديرية المنيا كان منفيًا هناك اسمه الشيخ مصطفى أبو اسماعيل وقال له  
انها صارت لك فلا تتلف الاقفال بل اجعل عليها حراسا فاستحسن قوله  
ووضع عليها حارسا مسلحا بخبرة طويلة وذهب الى سلا ملك المديرية وبينما  
هو صاعد عليه فاجأته رصاصة لم يعرف المسكان الذي جاءت منه فأصاب  
احشاءه ووقع مغشيا عليه فاحتمله أصحابه وعادوا به الي معسكرهم وتراجع  
المنهزمون وعاد المدير ورتب الاهالي بكيفية دافعوا بها عن أنفسهم اذ حولوا  
رؤس المنازل الى متاريس والذي ساعدهم على الدفاع ان عامر بن المكاشفي  
كان يقول لقومه لا تحاربوا بالبنادق لانها سلاح الكفار ومكث العدو يهاجم  
المدينة ويضيق عليها الحصار ثمانية ايام حتى وصل اليها السر سوارى صالح



بعض دواب يحمل عليها نساءه وأولاده فخرج من القرية وانتهى الخبر  
إلى محمود سعد الله ناظر القسم فاقتفى أثره بنحو عشرين راكباً من عبيده فادركوه  
عند حى اعراب وأمسكوا نساءه وبناته والحتوا بهن العار على مرأى منه ومن  
سكان الحى وسلبوا ما معهم من الحلى وقطعوا آذانهن وهو موثق كتافاً امامهن  
وسلبوه والنساء الملابس وتركوهم عراة كيوم ولدتهم امهاتهم وانصرفوا بالدواب  
وما عليها وكان عامر لا يفتر عن تلاوة الآية (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا  
وان الله على نصرهم لقدير) وما بارح مكانه حتى تأب حوله نحو ألف مقاتل  
فادعى انه وزير المهدي ونسل اليه الناس من كل حدب وباعوه على  
طاعة المهدي ومحاربة الحكومة وزحف في اليوم التالي على مدينة سنار في  
سنة آلاف مقاتل والتقى في طريقه بمندوب المديرية الذي أخذ منه الالف  
ريال ومعه أحد الصناجق المدعو محمد أغا النمر تلب فقصد الايقاع بهما فقرا  
وأعلم المدير بأمره ولم يكن عالماً بشيء من ذلك فارسل يعلم الحكومة على  
جناح البرق فورد عليه الخبر بارسال اثنين من أعيان سنار بكتاب له فانتدب  
محمد عبد القادر الفادنى متمهد طلبات أقوات الحامية ومعه آخر من أعيان  
سنار كان صديقاً حميماً لعامر بن المكاشفى وسلمهما المدير كتاباً مملوءاً بالتهديد  
والوعيد واليک ما قالاه بعد عودتهما وأرسل إلى الحكومة بالتغراف  
لم يبتعد عن منازل المدينة أكثر من ميل واحد حتى قبضت علينا طليعة  
العدو واوسعتنا ضرباً وانزلتنا عن دوابنا ومزقت ملابسنا وساقتنا إلى (الديم)  
أى المعسكر والسيوف مسلولة حولنا وأوقفنا بين يدي عامر بن المكاشفى  
فرايناه في حالة جنون ولا يتكلم الا بالآية الشريفة «أذن للذين يقاتلون  
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» وسيفه موضوع على خفذه الايسر

السودان وهجر مسقط رأسه واستوطن في قرية بجنوب سنار ثم لحق بالمهدي منها فكتب اليه عهداً أن يبايع له ويجمع سكان القرى حوالى الخرطوم علي طاعة المهدي وحرب الحكومة. وغير هؤلاء كثير لم نذكرهم فراراً من التطويل وقد أصدرت الحكومة الاوامر بمصادرة أملاك كل الذين لحقوا بالمهدي من الاهلين ولكن الحكام أساؤا التصرف وجعلوا أوامر الحكومة وسيلة لملء جيوبهم بالاموال كما سنبينه في حادثة سنار



### واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار

بالقرب من مدينة سنار قرية المكاشفي والد عامر هذا وأحمد الذي ذكرنا نبأ لحاقه بالمهدي ووالدهما المكاشفي كان شيخاً معقداً وأصله من قبيلة (الكواهلة) التي تسكن حوالى سنار وتعيش بالبان الماشية والزرع ورجالها مشهورون بالكرم والشجاعة وعددهم قليل كما شيتهم وفي أواخر شهر جمادى الاولى علمت المديرية بشخص أحمد بن المكاشفي الى المهدي فارسلت مندوباً لمصادرة أمواله فلم يعثر له على مال فامسك أخاه عامراً وأوسعاه ضرباً وإهانة ولم يطلق سراحه حتى اقتدى منه بالف ريال هي كل ما يملكه من عقار وماشية فبلغ الخبر ناظر القسم محمود سعد الله فاحتدم غيظاً وقال كيف يدفع هذا القدر لمندوب المديرية وأنا ناظر القسم فذهب الى القرية وقبض على عامر وبالغ في ضربه وتعذيبه حتى اجتمع جماعة من مريديه ودفعوا له مائة وخمسين ريالاً ووعدوه بمثلها بعد أسبوع ثم ان عامراً لما رأي ذهاب كل ما يملكه وانه أصبح فقيراً عزم على مهاجرة دياره واللاحاق بالبادية لان له أصدقاء ومريدين فيها من اعراب جهينة فتصدق عليه أناس من أهل القرية

المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة

(ونقل) لنا بعض مشايخه انه كان مكباً على مطالعة كتاب إحياء علوم الدين تأليف حجة الاسلام الغزالي وقد أيد ذلك مطابقة بعض مشتملات منشوراته لما في هذا الكتاب. وكتب منشوراً يحث فيه الامراء والقضاة على قطع يد السارق قال فيه مانصه (تقطع يد السارق وان لم يبلغ ماسرقة نصاباً بل أقول لكم اقطعوا يده ولو كان ماسرقة أقل من بيضة دجاجة لا بارك الله في والٍ تركه ولا في أمير استعان به)

ذكر من لحق بالمهدي من اعيان السودان الاوسط ما كاد المهدي يصل الى جبل قدير حتى لحق به كثير من اعيان السودان الاوسط وبعدها بايعوه على الطاعة وحرب الحكومة كتب لبعضهم بالولاية على جهات من بلادهم وأمرهم بإشهار الحرب وكان من هؤلاء المهدي ابن أبي رؤف زعيم قبيلة (جهينة) التي تسكن جنوب سنار وهي قبيلة كبيرة رحالة ماشيتها من الابل ورجالها معروفون بالجبن والكسل وغالب أفرادها ذوو قنات قصيرة كالأقزام ومن الامثال السائرة في السودان (ان كل عشرة من جهينة لا يصرعون رجلاً واحداً) فكتب له المهدي عهداً بالامارة على قومه ومحاربة رجال الحكومة وطردهم من بلادهم.

ومنهم أحمد بن المكاشفي أذن له بمبايعة الناس له ودعوتهم له وسيأتي الكلام على ترجمة أحمد بن المكاشفي. ومنهم الشيخ مضوي المحسي وأصله من قرية (الميلفون) القريبة من الخرطوم وكان طالب علم بالازهر الشريف ثم عاد الى

في مدحه حتي انه كتب اليه يقول ان انتداب هذه الامانة كان من الله ورسوله  
وان اسمه مكتوب تحت ساق العرش احمد بن سليمان أمين الله ورسوله  
ومهديه وكان مقربا لديه لوقوفه على دخائل اسراره وكان المهدي يمنع أهل  
بيته من الطبخ والخبز مبالغة في الزهد ويمنع ان توقد في بيته نار لهذا الغرض  
وكان احمد بن سليمان يصنع له في منزله الاطعمة الفاخرة ويهشها له فيأكل منها  
وكان بعض جبهة الاعراب يظنون ان المهدي يعيش بلا كل وفي آخر الامر  
ظهر أمره مع أحمد بن سليمان ظهور الشمس في رابعة النهار وكان يختار له  
النساء ويبعث بهن اليه وبالجملة فقد كان صاحب سره ومشيريه في كل شيء  
وسياتي ذكر قتله في أيام التمايشي وذكر ما افشاه من الاسرار المهمة

### ذكر تحريم الدخان

أصدر المهدي وهو في (قدير) منشورا قال فيه بحرمة الدخان وتعالى في  
تحريمه حتى قال اذا وقع رجل على أمه في جوف الكعبة كان سخط الله  
عليه أخف من سخطه على مستعمل الدخان ووضع حدا لمن يستعمله ثمانين  
جلدة وحبس سبع ليال ولم نعلم لذلك من سبب دعاه الى هذه البدعة ووضع  
حد على شيء لم يعرف تحريمه قطعا من جهة الشريعة الغراء وقضى مرة على مدخن  
بمصادرة أمواله وأخري باسترقاقه وبيعه كما تباع الارقاء. وعقابه على شرب  
الخمر لا يختلف في شيء عن عقاب مستعملي الدخان. أما القاعدة التي سار عليها  
التمايشي بعده فهي مصادرة أموال وسبي ذراري السكيرين والمدخنين على السواء  
مع عقوبة الجلد

وأعلن المهدي ابطال تقليد الأئمة الاربعة وقال انه مجتهد وأخذ يكتب

علي أن يوسف باشا المذكور كان قبل هذه الحملة مديراً لسنار فحدث فيها من المظالم شيئاً لم يسبقه اليه احد وذلك انه قبض على سكان قريتين وباعهم واولادهم ارقاء فمزله رؤف باشا وابقاه في الخرطوم ريثما تتم التحقيقات ويساق الي المحاكمة وبعد عزل رؤف باشا عهد اليه ججلر باشا وكيل الحكمدارية قيادة هذه الحملة التعيسة

### ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك

ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا رتب جيشه على ثلاث فرق فالفرقة الاولى مؤلفة من قبائل السودان الغربي ورايتها سوداء وقائدها الخليفة عبد الله التعايشي . والفرقة الثانية رايها خضراء وقائدها الخليفة علي بن محمد حلو وهي مؤلفة من القبائل التي تسكن ضفتي النيل الابيض والقبائل التي تسكن الجبال التي حول جبل قدير والفرقة الثالثة من قبائل السودان الاوسط أي أقاليم الخرطوم وبربر ودنقلة وسنار وجعل قيادتها الى ابن عمه الخليفة محمد شريف بن حامد الذي لقبه بخليفة الكرار ولقب التعايشي بخليفة الصديق والخليفة علي بخليفة الفاروق وجعل القيادة العامة لاخته محمد عبد الله ولقبه بامير جيش المهدي وأسند القضاء بين الناس الى الشيخ احمد بن جباره أغا واصله ضابط في الجيش المصري القديم سوري الاصل له من الاولاد اكثر من سبعة ذكور لحق بالمهدي اكثرهم وصاروا من أمرائه وخواص دولته وسنأتي على شيء من سيرتهم بعد ولقبه بقاضي الاسلام وعقد له راية على ذوي قرابته ومواطنيه وجعلها تابعة لفرقة الخليفة محمد شريف وانتدب أحمد ابن سليمان أميناً لبيت المال وهو من قبيلة تدعى ( المحس ) بمديرية دنقلة وبالغ



الى الجراة ووقع بقلوبهم رعب شديد فاخذ أحمد بن سليمان أمين بيت المال  
بلجام دابة المهدي وحوّله راجعاً الى الجراة فوجم المهدي لشدة ما أصابه من  
الذهول حتي أدركه الخليفة محمد شريف الذي لقبه بخليفة الكرار وسأل احمد  
ابن سليمان الى أين تذهب بالمهدي فقال الى الجراة لنحشد جيشاً آخر نعود  
به الى الحرب فصفعه وأمسك بلجام الدابة وقال للمهدي نذهب ياسيدي  
لموت وأخذ يكررها ويقول نذهب لموت والذين كانوا حوله يقولون انه  
كان في ذهول صيره لا يبي شيئاً

ولما اتى محمد شريف ما آتاه انتبه المهدي كانه أفاق من سبات  
وأدرك انه اذا رجع الى الجراة مهزوماً وثب عليه سكان الجبال سيما  
أهل الجراة نفسها واغتنموا فرصة ضعفه وقضوا عليه وعلي دعوته القضاء  
الاخير فوطن نفسه على اقتحام المربع لموت أو ينتصر فتراجع عليه  
المنهزمون وزحف امامهم تحت نار حامية حتى دنوا من الزريبة فنزل  
عن راحلته واستقبل القبلة وصلى ركعتين وما كاد يفرغ من الصلاة حتى رأي  
انصاره اقتحموا المربع وولجوا في الزريبة وقتل صاحب رايتها أبو هداية وكان  
دنقلياً من أقاربه وقتل القائد يوسف باشامولياً وكان أراد الفرار بشخصه من جهة  
الشرق راجعاً الي فشوده فلم يتم له وبعد ذلك دخل المهدي الزريبة وأمر برؤس  
يوسف باشا ومشاهير القواد فنصبت حول الزريبة وأقام ثلاثة أيام مشتغلاً  
بجمع الغنائم ثم عاد الى محلته بجبل قدير ونجا نحو مائة جندي ولحقوا  
بفشوده فاخبروا بما شاهدوه وقد استنتجنا من أقوالهم ان جهل القائد بالقنون  
المسكينة كان السبب القوي في هلاك الحملة

وقالتم ان افندينا ولى النعم أمركم بعدم محاربتنا حتي نتمدي الحدود وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول لاننا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم بابا وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطعان والسيف والسنان والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردي ولعنة الله على من كذب وتولي اه

هذا ما كتبه المهدي الى يوسف باشا وقد وقفنا عليه في المجلد الاول من مجموعة منشورات المهدي التي طبعت بالخرطوم بعد سقوطها في قبضة المهدي ولم نقف على صورة الكتاب الذي بعثه له يوسف باشا

وزحف يوسف باشا بمحمله من فشوده في العشر الاخيرة من شهر جمادي الآخرة وانضم اليه جنود من حامية فشوده واحصي المهدي من معه من المقاتلة فكانوا اثني عشر الف مقاتل وزحف بهم للقاء يوسف باشا في الطريق وبات المهدي عند سفح جبل الجراة والحلة تبعد عنه بمسافة عشرة أميال فلما أصبح كتب منشوراً وزعه بين اتباعه يقول فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بان جميع أصحابي الذين باتوا بسفح جبل الجراة باتت أرواحهم في الجنة ومن دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين )

وفي اليوم التالي زحف على الحملة وكانت قد أحست بزحفه عليها فتحصنت داخل زريبة من الشوك وبدأ الهجوم عليها من جهة الجنود النظامية فقهقر بخسارة عظيمة وقتل أخوه حامد وجماعة من مشاهير رجاله الذين ساعدوه على دعواه ومنهم الشيخ آدم بن الاعيسر وأصله من بلاد (فلاتة) بالسودان الغربي وكان صهر المهدي علي ابنته زينب وانهزم الدراويش راجعين

وقولكم قوموا وتوجهوا الى مكة المكرمة محل المهدي فقول لكم  
اعلموا ان توجهنا اليها يكون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره  
الله فاني عبد مأمور وقد أجلسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي أنت  
المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لي ان الترك كفر وهم أشد  
الناس كفراً لانهم ساعدون في اطفاء نور الله وبابى الله الا ان يتم نوره ولو كره  
الكافرون

وقلم اطلبوا من الله اظهار كرامته تدل على مهديتكم فاعلموا اننا لا نطلب ذلك  
لقوله تعالى «ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر» ومع ذلك قد اظهر الله كرامته ليدتنا  
حيث وجد اسمنا منقوشاً على ورق الاشجار وببيض الدجاج ونحن لا نطلب  
من الله اظهار كرامته لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا فان اظهر لنا  
كرامات كانت بمشيئته وحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها

وقلم ما تبعنا غير الجهلاء وأراذل البقارة فاعلم ان أتباع الرسل عليهم  
الصلاة والسلام كانوا كذلك وقد قال تعالى حاكياً عن قوم نوح «وما نراك اتبعك  
الا الذين هم أراذلنا» الآية ولا بد ان يجعلك الله ومن معك غنيمة للبقارة  
وقلت لا تفتخر باسماعيل الامين ونواى فاعلم اني منصور على كل من  
ناوانى من أهل الثقلين وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بانه يحضر بذاته  
الكريمة أمام جيشى وان عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء  
أمام جيشي

وقلم إنكم امسكتكم أربعة رجال من طليعتنا وأرهقتموهم تعذيباً فاعلم أنهم  
مأجورون على ذلك ولا بد ان يوقعكم الله بأيدينا وتذوقوا العذاب بما صدقتم  
عن سبيل الله

عبد الله الي يوسف حسن الشلالى ومن معه من الجموع وصل الينا كتابك  
وصار معلوما لدينا وقوفكم على الانذار. ومجاهرتكم بالانكار. وكان قصدنا أن  
نضرب عن افادتكم صفحا . ونطوي دون اجابتكم كشحا . ولكن أردنا  
أن نبين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع. أما قولك إن إرسال  
الطلائع ينافي دعوي المهديّة لان علم الغيب ضرورى لها فنقول لك هذا جهل  
منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فانه كان يرسل الطلائع كخليفة  
اليماني وبلال والزبير بن العوام فلم يكن ذلك منافيا لرسالته صلى الله عليه وسلم  
فكيف يكون منافيا لمهديتنا . وقتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان  
ظلمنا وعدوانا فهذا كذب صريح لاننا لم تقتل الا أهل جبل الجراداة بعد أن  
كذبونا وحاربونا وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بان كل من شك في  
مهديتي كافر ودمه مهذور وماله واولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقى  
منهم لحكمنا رددنا عليهم أموالهم من أيدي اصحابنا مع انها حلال لهم. وقتلنا  
انا قتلنا العساكر غدرا في الوقعتين ( آبا وراشد بك ) وهو قول باطل لاننا  
ما بددناهم بالقتال بل هم الذين بدؤنا بالقتال ولما اجتمعت أرواحهم في الدار  
الآخرة شكوني الى الله عز وجل وقالوا ياربنا إن المهدي قتلنا بغير انذار فقلت  
ياربي أنذرهم فلم يسمعوا لي واتبعوا ساداتهم وعلماءهم وشهد علي صحة قولي  
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال ان المهدي أنذرهم فلم تسمعوا له واتبعت  
سادتكم وعلماءكم فاضلوكم السبيل وأمر بهم فسيقوا الى جهنم. وقتلنا هؤلاء  
العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحربنا بل ليقفوا على ما عندنا من الادلة وهو  
باطل ايضا لان الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الاغبياء  
وأعطتهم السلاح الناري بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن

وحكمدار عموم السودان

وبعد عشرين ليلة مضت غادر محمد رؤف باشا الخرطوم قاصداً مصر  
وناب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها ججلر باشا الالماني

### جملة يوسف باشا حسن الشلاي

تقدم لي القول اني كنت بمصر لما أرسلت الحكومة حملة الي المهدي  
تحت قيادة يوسف باشا حسن الشلاي حيث عرفتها حقيقته وأنه رجل نوتي  
جاهل بالفنون العسكرية كجهله بالكتابة والقراءة فلم تلتفت لنصحى بناء  
على الشهادات الجسنة التي شهد هاله وكيل الحكمدارية ججلر باشا وانه تعهد  
للحكومة بالقبض على المهدي فجدت الحكومة ستة آلاف جندي تحت  
قيادته منهم نحو الثلث من الجنود النظامية وضابط برتبة قائمقام واثان برتبة  
بكباشي واثان من مشاهير السناجق قواد للجنود غير النظامية (الباشبوزق)  
فشخص من الخرطوم في منتصف جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هجرية على  
عدة بواخر قاصداً فشوده ومنها الى جبل قدير فلحقه في الطريق عبد الله  
ابن دفع الله ومعه نحو الف مقاتل من متطوعي كوردفان وانضم اليه وتابعوا  
سيرهم حتى فشوده ومن هناك ارسل القائد العام بكتاب الي المهدي يدعوه  
فيه الى الطاعة ويحذره مغبة العصيان وعرض في خطابه بشيء كثير من  
الشتائم التي لا تليق فرد عليه المهدي بكتاب مشهور نقله هنا ليطلع القارئ  
عليه اتماً للفائدة وهو بنصه

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار . والصلاة على سيدنا محمد  
وآله الاخيار مع السلام . وبعد فمن العبد المعتمد بالله محمد المهدي بن السيد



ووفد اليه كل من الشيخ (نواى) زعيم قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وكوردفان وماشية هذه القبيلة من البقر ولذا يطلق عليها اسم (البقارة) وهي كسائر قبائل السودان الغربى في القوة والشجاعة والميل الى الهياج والحروب ووفد عليه ( اسماعيل بن الامين دلدوك ) زعيم قبيلة ( القديات ) التي هي كالحوازمة فى الاخلاق والعادات ومع كل واحد منهما ما تافارس من قومه وبايعاه على الطاعة وقال له الشيخ نواى أبايعك على المهدية وان لم تكن مهديا أبايعك على قتال الحكومة وخلع طاعتها

### واقعة جبل الجرادة

جبل الجرادة واقع في الشمال الشرقى من جبل قدير ويبعد عنه نحو ١٥ ميلا وسكانه خليط من اعراب ونوبيين كانوا قد امتنعوا من مقابلة المهدي والدخول فى دعوته لما احتمل جبل قدير وقد اظهروا عداؤهم له وتحفزوا للوثبة عليه فعاجلهم بعد انهزام راشد بك وزحف عليهم وأصلحهم حربا دارت دائرتها عليهم وأباح أموالهم غنيمة لانصاره ثم صفح عنهم ورد اليهم أموالهم بعد ما أذعنوا له بالطاعة وانتظموا فى سلك اتباعه ثم تابع غزواته فى سكان الجبال وكثرت عنده الاقوات

تعيين عبد القادر باشا حلي حاكماً للسودان

وفي ربيع الثانى سنة ١٢٩٩ فصل محمد رؤف باشا من الحكمدارية وخلفه عبد القادر باشا حلي حيث جعلت له وظيفة لم تكن معروفة قبل وهي اعتبار حاكم السودان كاحد نظار الحكومة الحديثة ويدعى ناظر

المملكة وخربها ثم لمت شعنها وعادت كما كانت



### حملة راشد أمين بك علي المهدي

كانت الحكومة عزلت الطيب مدير فشوده الذي ذكرنا قصة اطلاقه المهدي وخلفه في وظيفته المرحوم راشد أمين بك وكان ذلك قبل واقعة (آبا) ببضعة شهور

فلما وصل المهدي الى جبل قدير الذي يبعد عن فشوده بنحو ثمان مراحل جهة الغرب والطريق اليه كثيرة الوعر والغابات قام راشد من تلقاء نفسه وسار بحملة الى جبل قدير ومعه (كيكوم بك) زعيم قبائل (الشك) فنهض اليه المهدي وقتك بجنوده وكانوا يزيدون عن ثلاث فصائل (بلوكات) وغنم اسلحتهم وذخيرتهم وجاءت هذه المسألة ضغتنا على إبالة حيث زادت في قوة المهدي فاصبح لديه من الاسلحة النارية ما يزيد عن الف بندقية من طراز رامنجتون وقتل راشد بك المدير وكيكوم بك زعيم قبائل الشك

### ذكر من لحق بالمهدي من مشايخ كوردفان

قلنا ان المهدي لقي من سكان إقليم كوردفان لما زارهم ما قوي عزيمته على ادعاء المهدوية وقد أخذ عليهم العهد والمواثيق بنصرته والقيام بدعوته وقت الحاجة. ولما شخص الي (قدير) وترامت أخبار انتصاراته على جنود الحكومة في جزيرة آبا وعلى الذين اعترضوا سيره من سكان الجبال قبل أن يصل جبال قدير ثم كان من أمره الانتصار على حملة راشد بك مدير فشوده رفع أهالي إقليم كوردفان رؤسهم للفتنة وهرع ألوف منهم الى قدير ليايخوا المهدي

وقبول المهدي في مسيره الى جبل قدير بمقاومات كثيرة أكثرها من النوبة. والاعراب تذبذبوا بين النوبة والمهدي وانتهى الامر بفوزه على جميع الذين ناهضوه ولما وصل الى جبل قدير أظهر السكان تخوفهم من بقاءه بين ظهرانيهم وحاربوه فظهر عليهم ونزل بجيشه داخل دائرة الجبل واقام حرسا من أتباعه على الفرجة الشرقية وأخذ يدعو السكان للإسلام لانهم لا دين لهم والاعراب يزعمون انهم مسلمون وأكثرهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرها

## ذكر جبال تقلي

في الشمال الغربي من جبل قدير جبال تبلغ المائة متدانية من بعضها يطلق عليها اسم جبال تقلي وسكانها عنصر يعرف بهذا الاسم متناسلون من قبائل العرب والنوبة ولغة أكثرهم العربية وكلهم يخضعون للملك يدعونه ( الملك ) وبلادهم خصبة وفيها معادن التبر وقد حاولت الحكومة اخضاعهم فلم تفلح وفي الايام الاخيرة استمالت ملكهم ( ناصر ) فسافر الى مصر ليقدم خضوعه للمغفور له اسماعيل باشا خديو مصر فاجتمع قومه وملكوا عليهم ابن اخيه وحالوا بينه وبين العودة الى بلاده فاقطعته الحكومة أرضا بجهة ( معتوق ) من أعمال الخرطوم فبقى بها حتى أدركه الموت وبقيت هذه المملكة مرتجة الابواب في وجه الحكومة فحاول المهدي ايقاعها في قبضته بحيلة دعوته فلم يفلح حيث تصدى لتكذيبه واظهار افتراءه على الله ورسوله علماؤها سيما القاضي وحصل اجتماع بين المهدي والملك فسأله الدخول في دعوته فاعتذر من ذلك عملا بنصائح العلماء وسيأتى أن المهدي قتل هذا القاضي وظفر التعايشي بهذه

على بك لطفي واتحدا ودخلا جزيرة آبا وقبضا على أناس أبرياء لم يكن لهم  
علاقة مع المهدي ونكلا بهم شر تنكيل وقفلا راجعين هذا الى الخرطوم  
وذاك الى كوردفان وسار الرجل الى قدير وتوغل في وسط الجبال

### ذكر جبل ماسة وقدير

يوجد في الشمال الغربي من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو جبل  
المقطم وشكله كزاوية مستديرة مع فرجة من جهة الشرق وفي داخل الدائرة  
بركة يجتمع فيها ماء المطر يسمى هذا الجبل بجبل (القدير) ثم حذفت اداة التعريف  
فصار جبل قدير . ولم يكن اسم (ماسة) معروفا لهذا الجبل قبل ظهور دعوة  
المهدية وانما اتفق ان المرحوم الشيخ حسن العدوي من أشهر علماء  
المالكية بالازهر الشريف ذكر في كتابه مشارق الانوار « ان المهدي  
المنتظر ستكون هجرته الى جبال ماسة » فادعي المهدي ان ماسة اسم لجبل  
قدير مع ان كل السكان ينكرون هذا اذ لم يعرف به قبل هذا الوقت وبالنسبة  
لما للشيخ حسن العدوي من الشهرة في بلاد السودان راجت حيلة المهدي  
عند كثير من من البسطاء وعدوها من الآيات الدالة على صدق دعواه  
ويحيط بجبل قدير جبال كثيرة سكانها من السود يطلق عليهم اسم  
(النوبة) وبلادهم خصبة وفيها الماشية من البقر والغنم بكثرة والخنازير وهي  
أحب مايؤكل اليهم والخنزير الواحد يعدل ثلاثة من البقر وفي هذه البلاد البنحل  
بكثرة والعسل يكاد يضارع الماء كثرة ويسكن في سفوح هاتيك الجبال قبائل  
من الاعراب حلفاء للنوبة وبينهم صلات المصاهرة واعراق القرابة وبعض  
الاعراب استوطنوا الجبال وتشبهوا بالنوبة في كل اخلاقهم واطوارهم

توجه الى دار هجرتنا بجمبال (ماسة وقدير) وهي دار هجرة الانبياء كلهم الى نبينا محمد صلوات الله عليه وعليهم فطير القائمقام على بك لطفى رسالة برقية الى الحكمدار يخبره بما عزم عليه وسأله أن يأذن له بتدمير سفنهم بالقنابل وسط لجة النهر فكان جواب الحكمدار له (اياك أن تعترضهم وقد خابرت محمد سعيد باشا مدير كردفان وأمرته بالحملة عليهم براً. وبين كوردفان والمكان الذى يهبط اليه المهدي من الضفة الغربية مسيرة أكثر من عشر مراحل فاجتاز المهدي النهر والجنود تنظره ولا تستطيع ايصال السوء اليه فجاءت هذه المسألة كرامة ثانية له ولكننا نتيجة عمل الحكمدار ويعتقد كثير من الناس بسبب هذه الحادثة ان الحكمدار مصدق بمهدية محمد أحمد. أما نحن فلا نصدق ذلك بل نجزم بصحة ما قاله عن نفسه من عدم القدرة على ادارة بلاد واسعة كالسودان كما أثبتناه فى مبحث توليته على السودان

ولما هبط المهدي الى الشاطئ التف حوله كثير من رجالة دقيم وكنانة وقدموا له الاقوات وبايعوه على الطاعة والجهاد في سبيل الله وهذا نص البيعة « بايعنا الله ورسوله وبايعناك على طاعة الله وأن لا نسرق ولا نزنى ولا نأتى بهتان نفترية ولا نعصيك فى امر بمعروف ونهى عن منكر بايعناك على زهد الدنيا وتركها وأن لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله » ويبلغ عدد الذين رافقوه نحو عشرة آلاف مقاتل سلاحهم السيوف والرماح وجلهم فرسان. أما محمد سعيد باشا مدير كوردفان فإنه سار بقوة كبيرة ولم يقابل المهدي ولم يقف له على أثر وذلك لان الجبهة التي كان بها المهدي واقعة فى الجنوب الشرقي من الابيض قاعدة كوردفان وتبعد عنها بعشر مراحل ووجهة سير المهدي كانت الى الجنوب الغربى فادراكه اذاً من المستحيلات وغاية الامر ان مدير كوردفان انضم الى



بل من الكرامات التي خص بها . وعاد أبو السموذ بك بالباخرتين ووقع  
 الرعب في قلوب السكان وأيقن الكل ان أولئك الجنود الابرياء ذهب  
 ارواحهم ضحية سوء تصرف الحكمدار وقلة رويته وهجر الخرطوم عدد  
 كبير من السودانيين ولحقوا بالضواحي

### حملة علي بك لطفي

ولما وصل أبو السموذ بك الي الخرطوم كان نبا الفتك بالبلوكين قد سبقه  
 اليها بالتلفراف فأرسل الحكمدار الي العلماء والاعيان وقص عليهم  
 ما ذكرناه من أمر المهدي فأشار عليه الشيخ شاكرا الرئيس مفتي الاستئناف  
 بان يتوجه بنفسه علي البواخر الي جزيرة آبا ولا يكل أمر هذه الفتنة لغيره  
 فزجره الحكمدار وأغلظ عليه القول . ويروي عن بعض الحاضرين انه قال له  
 أتريد أن تترمل امرأتي ويفقدني أولادي ثم ان الحكمدار عين القائمقام علي  
 بك لطفي الشهير ( بابي كوكه ) ومعه بلوكان من المشاة ومدافع وسوار يخ ليخفر  
 جزيرة آبا ويمنع وصول الامداد اليها من ضفتي النيل . وقد يندهش الانسان  
 من هذه الاعمال الخرقاء وتدركه الحيرة من عمل الحكمدار هذا . اذ كيف  
 يعقل أن باخرتين تقومان بحراسة جزيرة يزيد طولها عن خمسة عشر ميلا وما  
 هي الفائدة من هذا الحصر . وأغرب من هذا وذاك أن المتمهدي قام بين  
 أتباعه وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يصنع من (الطورور)  
 أو (العبيج) وهو نوع يشبه الفلين لحفته وطفيانه على الماء شبه مراكب  
 يجتاز بها النيل الي الضفة الغربية وان الله سيأخذ علي ناصية الترك الكفار فلا  
 يستطيعون ايصال الاذي الينا حتى نبلغ مأمننا من الشاطئ الغربي ومن هناك

## واقعة جزيرة آبا

ولما عاد الرسل الى الخرطوم وقصوا على الحكمدار نتيجة مأموريتهم صمم علي ارسال قوة عسكرية تقبض عليه فانتدب بلوكين من المشاة المنظمين معهم مدفع من الطراز الجبلى وعين ضابطين من رتبة الصاغ قول اغاسى (ابراهيم افندى علي وعلى افندى عزمي) وسير معهما أبا السعود بك العقاد وقال لكل واحد منهم انت قائد الحملة فسافروا على باخرتين في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٩٧ فوصلوا الى جزيرة آبا قبيل غروب الشمس

هذا ما فعلته الحكومة أما المهدي فان اكثر الناس تفرقوا عنه ولم يبق معه غير نحو أربعائة رجل جلهم من الدنقلين أقاربه علي أثر عودة الرسل عنه لانهم أيقنوا بان الحكومة لا بد ان تخضعه بالقوة

ولما لقت الباخرتان مراسيهما بالجزيرة هبط الجنود الى الشاطي وأخذوا في الالهبة والاستعداد للزحف على محلة المهدي وكان السير متعذراً عليهم بسبب الاوحال المجتمعة من الامطار اذ كان الفصل صيفاً فبدأ الضابطان في العمل هذا يأمر الجنود والآخر ينكر عليه هذا الامر ويقول له انا الرئيس وانت المرؤس فيحتم غيظاً ويجاوب زميله بالشم ويقول لا بل انا الرئيس فتحاكما الى أبي السعود بك معاون الحكمدار فكان حكمه أنه الرئيس على كليهما فازداد الاشكال عقدةً ومكثوا على هذه الحال الى ما بعد نصف الليل فذا همهم المهدي بمن معه من المقاتلة ففتك بهم ولم يفلت منهم غير بضعة اشخاص منهم أبو السعود بك وقتل الضابطان وغنم المهدي اسلحتهم وذخيرتهم وترامت الاخبار في انحاء السودان بفلو كثير فيها واعتقد البسطاء انها من الاعاجيب السماوية

بأن النصر يسير بين يديّ أربعين ميلا وانه صلى الله عليه وسلم يحضر  
 بذاته الكريمة امام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون وأن الله تعالى أيدني بالاولياء  
 والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام الى زماننا هذا ومؤمني الجن  
 يجاهدون ممي ولا يهزم لي جيش وان الله ناصري ومؤيدي على كل من  
 حارمني من الثقلين وان أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم وعامتهم اكبر  
 مقاما في دار الخلد من الشيخ ( عبد القادر الجيلاني ) وختم منشوره بالخص  
 على الهجرة اليه ومغادرة الخرطوم للحاق به والجهاد معه وأرسل نسخا  
 عديدة من هذا المنشور الى أناس في الخرطوم منهم الشيخ الامين الضير  
 رئيس العلماء بالسودان فاطلع عليها الحكمدار محمد رؤف باشا الذي انتدب  
 ( أبا السعود بك العقاد ) أحد معاونيه وأصحابه جماعة من الدنقلين سكان  
 الخرطوم وأنفذهم رسلا اليه يدعونه الى الطاعة ويحذرونه الفتنة ويبلغونه  
 أوامر الحكمدار بدعوته الى الحضور عنده فذهبوا على الباخرة ( الفاشر )  
 فلما وصلوا الى جزيرة آبا قابلهم كل من فيها بالتكبير على الكفار وكان المهدي  
 يتعبد في سرداب في الارض فامتنع من مقابلتهم أولا ثم اذن لهم بلقائه فدخلوا  
 عليه والسيوف مسلولة على رأسه فسألوه عن دعواه فاجابهم بما أوردناه  
 من منشوره فقال له أبو السعود بك ان الحكمدار يدعوك الى الحضور  
 عنده فقال لا اذهب فقال له ياسيدي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي  
 الامر منكم فقبض على سيف كان على خذه الايسر وكشر أنيابه وقال أنا ولي  
 الامر الآن علي سائر الانس والجان فاستأذن الرسل وهم الناس بضر بهم  
 لولا ان شدد عليهم في الكف عنهم وقفوا راجعين الى الخرطوم

عنه وانبرى لتكذيبه أناس من نفس اتباعه ومريديه فأخذوا يبلغون  
 مأمور المركز حقيقة فيردهم عنه لانه سوداني من قبائل الاعراب التي دخلت  
 في دعوة وأخيراً رفع أولئك المبلغون العرائض الى الحكمدار محمد  
 رؤف باشا الذي أحال النظر فيها على (الطيب بك) مدير فشوده فسافر من  
 مقر وظيفته على باخرة حتى بلغ جزيرة (آبا) فامسك المتهدي وزجه في السجن  
 فقام اتباعه وقدموا للمدير رشوة مائة أردب من القمح وسفينة شراعية تحمل  
 هذه الرشوة فاطلقة وهدد الذين أبلغوا الحكمدار وتوعدهم بكل مكروه  
 اذا عادوا لمعارضته. وقال المهدي للمدير في غضون التحقيق ان الخضر عليه  
 السلام هو الذي بشرني بالمهدية فقال المدير للمبلغين اتركوا صاحب الخضر  
 وقفل راجعاً الى فشوده والمدير هذا هو الذي ذكرنا انه عين مديراً في أحد  
 أقاليم خط الاستواء بدل المرحوم محمد رؤف بك (باشا)

### ظهور دعوة المهدي

قلنا انه كان يدعو الناس سرّاً الى أوائل سنة ١٢٩٨ ثم كان من أمره  
 مع مدير فشوده ما قوي عزمته فأرسل الى جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشوراً  
 ختمه بخاتم نقش فيه محمد احمد عبد الله قال في طالعته بعد البسملة والحمدلة  
 «جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون  
 والاقطاب والخضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني  
 على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد  
 كفر وان الترك كفار وهم أشد الناس كفراً لانهم ساعدون في اطفاء نور  
 الله وبأيي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأخبرني صلى الله عليه وسلم

انتقام» هذه قصة اجتماع عبد الله التمايشي بمحمد احمد المتهدي ومنها يعلم أنه ذودهاء وحيل ومكر وخداع وسنأتي على ترجمته وبقية أعماله في غير هذا المكان

## دعوة المتهدي سرا

وبعد عودة المتهدي من الحلاوين أخذ يدعو الناس للمهدية سراً وبايعه على الطاعة خلق كثير من قبائل الاعراب النازلين حول جزيرة آبا منهم قبيلتا دقيم وكنانة وكان سبب اقبال هاتين القبيلتين على دعوته هو الخليفة (على بن حلو) الذي لقبه بخليفة الفاروق وكان دقيماً صاحب محمد احمد المتهدي وكان يستخلفه على محله بجزيرة آبا كلما سافر الى مكان وكان في أول عهده يعلم الصبية القرآن الشريف

وقبيلتا دقيم وكنانة يقال لهم (البقارة) وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة وقوة الباس وعاداتهم تقرب من عادات قبائل كوردفان حيث لا تزوج البكر قبل ان يكون لها أولاد من الزنا يعينون أخاها وكل ولد من هذا القبيل يدعى (عينة خاله) ونساؤهم مشهورات بالتربص في السبل وقطع الطرق على المارة لا لاخذ المال بل للفسق ومن امتنع من الرجال أمسكوه من مذاكيره حتى تفيض روحه أو يقع مغشياً عليه وقد أبطالت المهدية هذه العادة منهن فذهبت كأن لم تكن

وعاهده كثير من موظفي الحكومة السودانيين على موافاته بالاخبار واجتمع حوله زهاء ثلاثة آلاف رجل من الاعراب وعمال الحكومة لاهون



## ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالتمهدي

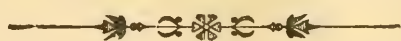
لا نورد في هذه السطور شيئاً من ترجمته وذلك لأنّني بها عند افضاء الخلافة اليه وانما نذكر هنا طرفاً من اجتماعه به نقلاً عن الاستاذ الشيخ محمد شريف نور الدائم قال «في سنة ١٢٩٥ جاءني رجل من البقارة يروم سلوك الطريقة السمانية على يدي فلقنته أورادها ومكث ملازماً لخدمتي واخبرني انه جاء مع والده من بلاد (الكلكة) جنوب مقاطعات دار فورقاصدين الاقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج وانهما فقيران لا يملكان غير عجل من انبقر ذللاه بزمام وامتطياه على مألوف عادة أهالي تلك البلاد ولما وصلا الى بلاد الجمع من تخوم كوردفان الشرقية مات أبوه ولحق به العجل فأقام بمنزلي نحو عامين فكان اكثر كلامه معي قوله انك المهدي المنتظر من ارتاب في ذلك فقد كفر فكنت انباه عن هذا القول ولا ينتهي وفي ذات يوم قلت له انا لست مهدياً وأبغض شيء الى سماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذ الذي طردته محمد أحمد وقلت له على سبيل السخرية والازدراء اذا كنت ممن يتوقعون ظهور المهدي عليك به وفي اليوم التالي سألت عنه فلم أجده وأخيراً علمت أنه لحق بمحمد أحمد المتمهدي وهو في الخلاوين يشيد قبّة الشيخ القرشي وانه حينما وقعت عينه عليه خر على الارض مدعياً انه أغمى عليه وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب اغمائه فقال نظرت أنوار المهدي على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي ومن ثم صاحبه وعاد معه الى جزيرة آبا وكان الدنقلدون أقارب المتمهدي يضطهدونه ويزدرونه وهو يقابلهم بالحلم والصبر حتى أفضت اليه الخلافة فاتمهم منهم شر

أتباعه وذهبوا الى محل البدعة فوجدوا المدعويين والموائد ممدودة والموسيقى تصدح والدفوف السودانية ( الدلوكة ) تعزف وجى بشخص يلبس عمامة وطيلسانا كالمعلماء فاجري صيغة العقد ودخل النحاس بالغلام فامسك المتهمدى سيفه وهم بضرب عنق النحاس وكل من قابله من أولئك الفسقة الضالين فامسكه صاحبه وحمله الى منزله فاجتمع معه جماعة من المشايخ وذهبوا الى محل الحكومة يشكون اليها أمر هذه المنكرات فقبولوا بالاهانة والازدراء وقال لهم مامور الضبطية ( الدنيا حرية ) فجاءت هذه الحادثة من الاشياء التي يتمسك بها المهدي على فساد وكفر رجال الحكومة فعاهده كثير من أعيان ووجوه المدينة بالطاعة لاول اشارة تبدو منه وقفل راجعا الى جزيرة ( آبا ) وبالبحث واجراء التحقيق من رجال الحكومة تحقق ان المسألة العوبة لم يكن لها أثر من الحقيقة

### وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبة علي ضريحه

تقدم لنا القول بان الشيخ القرشي من الذين ساعدوا المهدي على دعواه بما نطق به من الشهادات المسندة الى الكشف والاطلاع على المغيبات في حقه وانه هو الذي اشار عليه بالسياحة في البلاد ولدى عودته الى جزيرة آبا وافاه نبي هذا الشيخ وانه ترك وصية قال فيها « ان زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان وان الذي يشيد على ضريح قبة ويختن أولادى هو الامام المهدي المنتظر » فلما سمع المتهمدى ذلك طار فرحا وجمع نحو ثلثمائة رجل من أتباعه وذهب معهم الى الحلاوين وشيد القبة من اللبن الاخضر وختن أنجال الشيخ القرشي بعد أن أخذ اليهود على كثير من الناس بتصديق دعواه قبل أن يصدع بها

الطيب جد الشيخ محمد شريف فأدخله في سلك الطريقة وجدد له اجازة الخلافة وكان الشيخ القرشي هذا بالغاً من العمر نحو تسعين عاماً فاقدًا للقوي المميزة وبؤكدون انه ذو يد مع المهدي في تدبير الدعوى وانه مهد له اتحاله بما أخذ يتكلم به عنه من الشهادات الحسنة وانه يعلم ذلك بطريق الكشف والاطلاع على الغيب وأشار عليه بالسياحة في انحاء السودان لاستطلاع أفكار الناس وأخذ العمود عليهم بنصرته وموازرتة اذا صدع بدعوته ففعل ووجد من قلوب سكان كوردفان المملوءة بكرهية الحكومة ما قوى أملة بالنجاح



### حادثة الغلام بكوردفان

ثم عاد المتهدي من الخلاوين محل اقامة أستاذه الجديد الشيخ القرشي الى محله بجزيرة آبا والخلاوين اسم لقرى عديدة على ضفة النيل الازرق على بعد ست مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وسكان هاته القرى يطلق عليهم اسم (الخلاوين) وهم عرب تناسلو من قبيلة مريية تسكن في جنوب سنار تدعى (جهينة) وسناتي على ذكر شيء من أخلاق وعادات هذه القبيلة بعد اذ هي من أكبر أنصار المتهدي ومنها داعيته محمد بن البصير ولنعد الى ذكر المتهدي بعد عودته الى جزيرة آبافانه. شخص الى اقليم كوردفان فصادف نجاحاً عظيماً من الاهالى الذين عاهدوه على موازرتة ونصرته ثم عرج على الابيص عاصمة كوردفان فنزل ضيفاً على أحد المشايخ الدنافلة

وفي ذات يوم سمع ضوواء الطبول والموسيقىات بمنزل بجوار منزله ورأى من الناس الدهشة والاستغراب فسأل عن الاسباب فقيل له ان فلانا النخاس يريد ان يتزوج بغلام اسمه (قرفه) فلم يصدق واخيراً دعي اثنين من

لمزاولة صناعة المراكب كي يتحصل منها على مال يتزوج به ابنة عم له يدعى فاطمة بنت حاج فامتنع أولاً ثم رضى بعد الإلحاح وذهب الى مدينة الخرطوم واقترب بها وفي ليلة دخوله اجتمع النسوة والرجال ليرقصوا مختلطين كمادة السوادانيين فقام بينهم ومنهم من الرقص وابان حرمته فأنصرفوا غضاباً منه وكان في كل معاملاته يظهر الورع والتقوى والزهد والتشف وعلی أثر اقترانه بابنة عمه انقطع عن العمل فكان أخواه يحرضانه عليه ويستعينان عليه بزوجه التي كانت تهجره ليقبل نصحتها ويسير طوع ارادتها فلم يكثر بشئ من أقوالها ولم يتأثر من هجرها واخيراً جاءته في يوم من الايام وهو يقرأ في المصحف الشريف فأمسكته منه وألقته في الارض فاستشاط غيظاً وطلقها في الحال وخرج من منزلها وافتتح مكتباً لتعليم الفلمان القرآن الشريف ثم أبطل المكتب ولحق بجزيرة (آبا) في البحر الأبيض علي مسيرة عشر مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وكان بها رجل من قبيلته يدعى أحمد شرفي فتزوج ابنته وكان يقوم بكل ضرورياته من حرفته التي هي صناعة المراكب الشراعية أيضاً وكان أستاذه الشيخ محمد شريف نازلاً بمكان يدعى (المرايع) لا يبعد عن هذه الجزيرة الا بضعة أميال

وفي أوائل سنة ١٢٩٥ وقع نفور عظيم بينه وبين أستاذه بسبب انه كان يري منه الميل الى دعوي المهدوية وكثيراً ما كان هو يحرضه على دعواها فأصدر الاستاذ منشوراً الى أتباعه يلغهم فيه انه عزل محمد احمد المتمهدي من الخلافة وأبعده عن طريقته وذكر فيه عيوبه وطموحه الى الدعاوي الكاذبة توصلوا الى الملك والرئاسة فكبر الامر علي محمد احمد وكاد مريدوه ينفذون من حوله لولا أنه ذهب الي رجل مسن يدعى الشيخ القرشي من تلاميذ الشيخ احمد

المراكب فقر منهما ولحق بكتاب في شرقي النيل بقرية محاذية لقرية كرري  
وصاحب هذا الكتاب يدعى ( الفكي الهاشمي ) كان مشهوراً في تلك الجهة  
بتعليم القرآن بغير أجر فادركه اخواه واخرجاه من الكتاب وخذراه من  
العودة اليه فلم يكثر بتحذيرها وعاد الى ما كان فيه فقيده فتغيرت حاله  
ولازم الحزن والبكاء فرقا له وأعاداه الى الكتاب بعد ان اشترط عليه العود  
لتعليم صناعتها بعد حفظه القرآن الشريف وبعد بضع سنوات عاد اليهما وتعلم  
صناعة المراكب وأخذ في الاشتغال بها. ويقول الذين كتبوا سيرته انه لم يشتغل  
بهذه الصناعة زمناً بل صنع مركبا صغيرة فقط وتصدق بها على أرملة ثكلت  
ابنها ولكن الحقيقة انه اشتغل بهذه الصناعة زمناً كبيراً خلافاً لزمعهم ثم فارق  
اخوته الى جهة مجهولة فلم يهتدوا لمكانه وماتت اخته آمنة غما لفراقه ولحق  
بمدرسة لرجل من أهل شنقيط يدعي الشيخ محمود كان يعلم الناس الفقه  
وبعض العلوم الشرعية ثم فارق تلك المدرسة ولحق بمدرسة أخرى لرجل  
من أهالي ضواحي بربر يدعى « محمد الضكير » وهو الذي سيجيء انه صار  
داعية له ببربر واسقط المديرية بيده وكان ذا كراهة شديدة لعلم الفقه فانقطع  
لدروس التفسير والحديث

وفي سنة ١٢٧٩ هجرية عاد الى وطنه وذهب الى الشيخ محمد شريف  
نور الدائم حفيد الشيخ احمد الطيب أحد خلفا الشيخ محمد السمان  
المدني وكان معه بالمدينة المنورة فاخذ على يده عهد الطريقة السمانية ومكث  
ملازما لخدمته الى درجة أنه كان يطحن غذاءه بيده ويبلطخ طعامه لا من  
قلة من يقوم بها بل ليتزلف بهذا الى استاذه وكان ملازما للصوم والعبادة  
حتى تحصل من استاذه على اجازة الخلافة ثم جاءه اخواه وألحوا عليه بالعودة



ضربه خمسمائة جلدة أو يؤدى ولو بضعة قروش ويتفنون في طرق التعذيب حتى  
ابتدعوا مسألة (القط) حيث يوثق الرجل كتفا ويدخل قط في سراويله فضلا  
عن تناول أولئك الظلمة على أعراض الناس فيقبضون على كل امرأة حسناء  
عجز وليها عن أداء الضريبة ولهذه الاسباب امتلأت قلوب السودانيين بالضغينة  
وباتوا ولاهم لهم غير تدبير ثورة يتبها لهم بها الخلاص من هذا النير فاغتم  
محمد أحمد المتمهدي هذه الفرصة وادعى المهذوية فقبول بالتصديق والرضى من  
كل انسان حتى ان بعض المشايخ قال له أعاهدك سواء صدقت في دعواك  
أو كذبت مادمت على عداء الحكومة وحربها

### ترجمة المتمهدي

ولد محمد أحمد المتمهدي في جزيرة (الحناق) الواقعة جنوب مدينة (العرضي)  
قاعدة اقليم دنقلة من أبوين دنقلاوين (بربريين) من قبيلة تدعى الحناقية  
تسكن هذه الجزيرة وكان أبوه يدعى عبد الله بن فحل وصناعته النجارة ينشئ  
السفن الشراعية ويصنع آلات السواقي وكان مولده في سنة ١٢٥٠ هجرية وله أخوان  
يدعيان محمدًا وحامدًا كانا نجارين كأيهما وأخت اثني تدعى آمنة واسم أمه (جاره)  
وفي هذه السنة أجذبت بلادهم بسبب انخفاض النيل فهاجر أبوه وأخوته وهو  
رضيع لم يبلغ عمره ثلاثة شهور واستوطنوا قرية تدعى (كررى) شمال أم درمان  
بنحو خمسة عشر ميلا ولم يحل عليه الحول حتى مات أبواه وتركاه يتما تحت  
كفالة أخويه اللذين ذكراهما. ولما بلغ السابعة من عمره كانا يصطحبانه معهما  
ليعلماه صناعة المراكب ففي يوم رأي غلمانا ذاهبين الى الكتاتيب وبايديهم  
الالواح فرغب في ان يكون منهم فعنفه اخواه وحسنا له صناعة

الارقاء سيئة المغبة وكان مما لاريب فيه استيائهم من هذا الامر وخصوصاً ان القائمين بتحرير الارقاء كانوا أوروبيين ولشدة كراهتهم لهذا الامر حملوه على سوء القصد وظنوه اضطهاداً من المسيحيين للمسلمين وقد سمعت واحداً من المشايخ كان يفهم من حوله أن مسألة تحرير الارقاء لم يكن لها أصل من القوانين بل هي اضطهاد ديني كالذي حل بمسلمي الاندلس فقصدت مراجعته في هذا القول فصمت وتظاهر بعدم المعرفة ولما انصرفت عنه قال لمن حوله وهذا كافر أيضاً

وفي مدة حكم اسماعيل أيوب باشا اختلفت النظمات التي كانت تسير عليها المجالس التي تأسست في سنة ١٢٦٦ وتلاعب بها حيث جعل كل أعضائها من رجال السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصمغ والمنسوجات وعهدت الرئاسة الى رجال لا يفقهون كلمة من الكلمات التي تتركب منها جمل القانون وفي اكثر الاوقات يكونون أميين والقضايا لا يفصل فيها مع طول المدة فيظل الخصمان يتناظران بالرشوة حيث يحرص المجلس ويشدد على الخصم في الاستنطاق فيحذو حذو خصمه ويقدم المال فينقلب التشديد على الآخر وهكذا حتى يملا الانفاق فيتصالحان

وأما الحكام الاداريون فان أغلبهم من أهل البلاد وهم علة كل خراب وأصل جميع المظالم فقد كانوا يشتررون الوظائف بالاموال ولذلك لا يرون بدا من اعتياض ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة ولا ريب ان من فوقهم من الحكام لا يصغون لشكوي من أولئك الظالمين ماداموا قد تناولوا رشوة باهظة

منهم

وسألت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب باداء الضريبة يجوز

السودانيون يذكرون له هذه المبرات ويتبركون بسيرته في اكثر الاوقات وهم  
مجمعون على ان ايام ولايته كانت غرة في جهة السودان رحمة الله عليه . وخلفه  
ممتاز باشا في سنة ١٢٨٨ فارتكب من المظالم شيئاً لم يسبقه اليه احد حيث  
أحل الظلم لنفسه وحرمه على من دونه وأوعز الى الاهلين أن يطالبوا بالحكام  
والمأمورين بالرشاوى التي تناولوها منهم منذ ضم السودان لمصر ومن امتنع  
من أولئك الحكام أوقع به البلاء وضربه أكثر من خمسمائة جلدة ولم يمض  
سوى أيام قليلة حتي اجتمع عندد من المال شيء كثير ثم سافر الى سنار فماد  
منها بما يقرب من خمسمائة ألف ريال وفي آخر الامر ظهر سوء عمله ففسجن  
حتي توفي ولم يحسن في شيء مدة توليته غير تعليم الاهلين زراعة القطن

وفي مستهل سنة ١٢٩٠ خلفه في وظيفته اسماعيل أيوب باشا فتضاعفت  
المظالم وتوالت المصائب على السودان وبالرغم عن حنكته في الادارة كان ذا شغف  
شديد بجمع المال فزادت الضرائب في عهده حتى أصبح من المتعذر احتياها ومن  
هاته المظالم تمكن في نفوس الاهلين الجنوح الى الثورة والعصيان

وخلف غردون باشا اسماعيل أيوب باشا وقد تقدم لنا ذكره فسعي في إزالة  
المظالم فلم يفلح لانه كان بسبب جهله باللغة العربية منقاداً الى كاتب أسرارته التهامي  
بك وكان ظالماً يفوق اسماعيل أيوب باشا بمراحل فكان يقلب الحقائق  
لغردون باشا ويحسن القبائح وزاد الطين بلة ما جاء به غردون من تحرير  
الارقاء ومنع الاتجار بهم فان الاهلين عجزوا عن تحمل هذه المصيبة وباتوا  
آيسين من اصلاح معيشتهم لاسباب كثيرة . منها ان الاتجار بالارقاء معين  
ثروة كبيرة لهم . ومنها ان أهالي السودان لم يتعودوا فلاحه أراضيهم بأيديهم  
كما ان نساءهم لا يخدمن خدماً بيتية بأيديهن فكانت مفاجئتهم بأمر تحرير

بقصد اخضاعها فلم يفلح في أكثر غزواته وأخيراً رمى بأنه طامح للاستقلال  
 وبقي الى سنة ١٢٨٠ حيث توفي بالخرطوم ودفن بها ويقال ان بعض الموظفين  
 دسوا له السم لما آتسوا منه الرغبة في الاستقلال وهو أول من وضع الضرائب  
 على الاهلين وقسم الخراج الى قسمين. قسم على العقارات. وقسم على الاشخاص  
 اما ضرائب العقارات فكانت مخصوصة بالبلاد الواقعة شمال الخرطوم. واما  
 ضرائب الاشخاص فهي مخصوصة بسائر البلاد السودانية لانهم صالحوه على  
 ذلك وفرض ضريبة سنوية على القبائل الرحالة وتعين بدله عثمان بك فخرى  
 وفي سنة ١٢٨١ عزل وخلفه جعفر باشا صادق وفي ايامه ثار اللوء  
 الرابع من الجنود السودانية بمدينة ( كسلا ) وقتلوا ضباطهم ونهبوا المدينة وقتلوا  
 كل ابيض واحتلوا مواقع المدينة من الحصون المحيطة بها واستفحل امرهم  
 فانفذ المغفور له الخديو اسماعيل باشا المرحوم جعفر مظهر باشا ومعه آدم  
 باشا السوداني فتمكنوا من قهر العصاة والقبض عليهم واستئصال شأقتهم  
 واصدر الخديو دستورا بمنع تأليف قوة من الاسلحة الراكبة من السودانيين  
 وان لا يملو فن اطلاق المدافع ( الطوبجية ) وان لا يحتلوا مواقع منيعة  
 وأن لا يرقى منهم ضباط عظام. وبعد معاقبة الثوار عاد جعفر مظهر باشا الى  
 الخرطوم واسند اليه منصب الحكمدارية فرفع كثيرا من المظالم وسعي في  
 نشر العلوم بين الشعب ورفع منزلة العلماء واجرى عليهم المرتبات ولاغرو  
 فالفضل يعرفه من الناس ذووه اذ كان عالماً تقياً ورعاً فارق الخرطوم وعليه  
 دين يربو على الالف جنيه لان راتبه لم يقيم بحاجاته لكثرة انفاقه على  
 الفقراء والمعوذين ومن كرمه الخاتمي أنه كان يدعو لتناول الطعام على مائدته  
 الفاخرة اكثر من مائة شخص جلهم من العلماء في كل غداء وعشاء ولا يزال

وفي أوائل سنة ١٢٦١ عزل منيكي باشا وخلفه خالد باشا فبقي الى سنة ١٢٦٥ حيث فصل وتولى خلفا له عبد اللطيف باشا وفي هذه المدة بعث بعد ساكن الجنان عباس باشا الاول عزيز مصر المرحوم رفاعة بك فأسس مدرسة بالخرطوم على نمط المدراس المصرية وقتئذ وكان التعليم فيها حسنا ولكن ما لبثت أن عادت القهقري بعد عودة رفاعة بك الى مصر

وفي مستهل سنة ١٢٦٦ فصل خالد باشا وخلفه رستم بك فأسس المجالس في البلاد السودانية لأحكام بين الناس على طريقة المجالس المصرية اذ ذاك ولم تطل مدة ولايته فقد أدركته المنية في ربيع الاول من السنة التالية لولايته أي سنة ١٢٦٧ بالخرطوم ودفن فيها وتعين خلفا له سليم باشا الذي أكره على قبول هذا المنصب من قبل المغفور له عباس باشا الاول

وفي أواسط سنة ١٢٦٩ عين على باشا سرى حكمداراً للسودان بدل سليم باشا الذي كان يكثر من الضراعة والاسترحام ليعافي من هذه الوظيفة وفي ولاية هذا الحكمدار في سنة ١٢٧٣ شخص ساكن الجنان محمد سعيد باشا والي مصر الى الخرطوم فوصلها في شهر جمادى الاولى من هذه السنة وتعداها الى ما وراء سنار وقفل راجعا الى القاهرة بعد ان خفف كثيراً من الضرائب وألغى البعض وكان رحمه الله ذا ميل شديد لمسكة حديد الى البلاد السودانية وفي سنة ١٢٧٤ تعين حسن بك سلامه حاكماً على السودان وسمي باسم (مدير عموم قبلى وبحرى السودان) وألغيت الحكمداريه بأمر المرحوم محمد سعيد باشا ولم تعد الا بعد تولية المغفور له اسماعيل باشا وفي سنة ١٢٧٧ عزل حسن بك وخلفه محمد بك فلم يلبث أكثر من سنة حتى عزل وخلفه موسى باشا حمدي فجند عسكرياً كثيفاً ونازل كثيراً من قبائل الجبال



تستظل بها السابلة وحفر الآبار في الطرقات المغطشة ليستقي منها أبناء السبيل ولا تزال هذه الآثار باقية ومنسوبة الى (موحوبك) رحمه الله وجزاه الجزاء الحسن

وخلفه خورشيد باشا سنة ١٢٤١ هجرية وكان ذا دين وورع واستقامة شيد المساجد وأحسن الى العلماء وكان يخرج في كل ليلة متنكرا يتفقد حال الجنود والرعية وفي ذات يوم خرج على عادته آخر الليل فعثر على أمة تصنع رقاقاً من خمير الذرة يسميه السودانيون (القرف) فدخل عليها وسألها عن هذا النوع فاخبرته فطلب منها شيئاً منه فجزته له مع الابن فأكله واستلذه فآزالت تعرض عليه وهو يأكل حتى رأى انه كاد يستنفد ما عندها فامتنع وهم بالانصراف بعد أن ألما عن مولاها وكان ذلك في شهر رمضان فاستدعاه من الغد ليستسمحه من طعامه فظهر له مزيد السرور والفرح من هذه الضيافة التي لم يكن يتوقعها وبقي خورشيد باشا حاكماً على السودان مدة اثنتي عشرة سنة أي الى سنة ١٢٥٣ حيث خلفه المرحوم أحمد باشا ابوودان فافتتح السودان الشرقي وطارد عصائب اللصوصية من قبائل (البارية) وأسس مدينة (كسلا) وحصنها وكان مشهوراً بالشدة على المفسدين وأهل السودان يطلقون عليه اسم (المنصور) وفي أيامه انقطع دابر الفتن والفلاقل وأنشئت سبع مديريات في السودان

وفي أواخر سنة ١٢٥٧ هجرية عزل أحمد باشا ابوودان وخلفه أحمد باشا المنيكلي فسار على سيرة سلفه الا انه اعتنى بتأسيس أطيان تكون ملكاً للحكومة يزرع فيها قصب السكر فنجحت ولكنها أهملت ممن خلفوه وحاول انفاذ كثير من المشروعات الزراعية ومنها زراعة النيلة لكن من الاسف أن أعماله قوبلت بعدم الاكتراث ممن خلفه

الى الخرطوم وتعداها الى ماوراء سنار وعاد بقناطير مقنطرة من التبر وتمكن  
بحكمته من اعادة الامن الى ربوع السودان وبدل ماخالج افئدة السكان من  
الرعب بالامن والاخلاص الى السكينة اهـ

## ولاية السودان

في اوائل سنة ١٢٣٨ هجرية اسندت حكمه دارية السودان الى المرحوم  
عثمان بك فعمل لتسكين خواطر الاهلين واجتهد في تأمينهم واعانهم على  
حراثة اراضيهم ليتسنى لهم الخلاص من غخاب القحط الذي كان فاشيا في  
السودان عامئذ وشرع في تعمير مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة  
السودان المصرى وكان مركز الحكومة منذ الفتح في مدينة (ولد مدني)  
التي تبعد عن الخرطوم مسيرة اربعة ايام على ضفة النيل الازرق وهي  
ذات هواء جيد بالرغم عن كثرة نزول الامطار بها ولا تزال تلك المدينة  
موطنًا لكثير من المصريين

وفى سنة ١٢٣٩ خلف (موحوبك) عثمان بك في الحكمه دارية ولا بد ان  
يلاحظ القاري ان مدة عثمان لم تطل اكثر من سنة مع العلم بان مدة الذهاب والاياب  
بين مصر والخرطوم تستغرق نصف سنة على الاقل فتكون مدة الاقامة  
ومباشرة الاعمال هو النصف الباقي فنقول له ان اولئك الولاة كانوا على الدوام  
طامعين للاستقلال بالسودان وساكن الجنان محمد على باشا كان كثير الحذر منهم  
ولذلك كان يبادر بعزل كل من ارتاب في نواياه وقليل منهم من لم تكن نواياه  
مريبة وقد وجه موحوبك همته الى اتمام عمارة الخرطوم فشاد فيها القشلاقات  
لاقامة الجنود وأسس بناء دور الحكومة وغرس الاشجار الظليلة في السبل

أخذها رجل من التجار وكان الفساد قد دب فيها فطلاها بالعبر وخبأها في بيته وبعد اسبوعين جاءت الاخبار بقرب وصول الدفتردار وأخذ الملك نمر في الالهبة للفرار من وجه الدفتردار الذي قتل من عشيرة الملك نمر ما يربو على عشرين ألف رجل وسببا من الصييان والنساء ما يزيد على هذا العدد وأرسلهم الى القاهرة ولا تزال ذرايرهم موجودة بجمه (حوش الجاموس) وفي كثير من البيوتات القديمة . وتأثر الدفتردار الملك نمر وقتل من رجاله خلقا كثيرا وانتهى الامر بالتجاء الملك نمر الى بلاد الحبشة وبقي فيها حتي مات حقيرا ذليلا

وهبت ثورة من حزب ضد الملك يعرف باسم ( الشفائي ) فقتل عمر ابن الملك نمر واستأمن بقية أولاده الحكومة فأمنتهم وأذنت لهم بالاقامة في جهة الصوفي عند نهر (أبهر) ويقال ان تصدى حزب الشفائي لقتل ابن الملك نمر واضطرار أولاده لمفارقة الحبشة والسكنى في بلاد الحكومة كان بدسياسة من حكام السودان ليرتاحوا من مفاسدهم لانهم كانوا يوالون الفارة على بلاد الحكومة وينهبون ويسلبون ويعثون في الارض الفساد وبموتهم انقطعت هذه المفاسد واستتب الامن وعادت السكينة وانقطعت القلاقل

### شخص محمد علي باشا الى السودان

وعلى أثر المذابح التي أتاها جنود الدفتردار في شندى تمكن الرعب والفرع من قلوب السودانيين وعول كثير منهم على الهجرة ومفارقة البلاد التي وقعت تحت سلطة المصريين فشخص المغفور له محمد علي باشا الى السودان ليتدارك الحالة قبل اتساع الحرق وتمذر رتقه فسافر على طريق النيل فوصل

على ان هذه الرواية لا تخلو من انتقاد لان المطلع على اخلاق وعوائد  
اعيان السودان يرى انهم من الرفيع الى الوضيع لا يأنفون من تقديم الجوارى  
لاى ضيف ولو وضعافضلاً عن حاكم ذى مقام سام كالا مير اسماعيل باشا وبذلك  
يمكننى ان اؤكد فساد هذه الرواية وبعدها عن الحقيقة بمداً شاسعاً. وهناك  
رواية أخرى اوردها هنا لاننى اعتقد قربها من الحقيقة ان لم تكن هى  
الحقيقة عينها على ان السبب الذى أدى الى هذا الاختلاف هو أن الامير وسائر الذين  
كانوا يرافقونه ذهبوا ضحية تلك المكيدة ولم يفلت منهم أحد ولا ريب ان كل  
رواية عن هذا السبب يرجع اسنادها الى قاتليه ولا ريب أيضاً انهم لا يقولون  
الا ما يبرر فعلتهم ويختلقون اسباباً تمحو عنهم عاراً ارتكبوه بقتل الامير فى  
ضيافتهم وليس معه غير نحو عشرين مملوكاً من الجراكسة خدامه الخصوصيين  
أما الرواية التى أشرت الى أنها القريبة من الحقيقة فهى ان (الملك  
نمر) عرض على الامير اسماعيل باشا اموالاً طائلة وسأله أن يبعد عنه (الملك  
بشير بن عقيد) الذى تقدم لنا ذكر وفوده الى مصر ومرافقته الامير  
فيها وقد ذكرنا ان الاسباب التى أدت الى فراره هى احنة بينه وبين  
الملك نمر وانه سعى به الى الملك الذى ارسل فى طلبه فقر من وجه طالبه. وفى  
رواية وان يمكنه من قتله ففضب الامير عليه وانتهره فصمم على اغتيال الامير  
والقدر به قبل ان تأتى رجاله لانه كان يخشى ان يلحقه مكروه من الامير  
بعد ذلك فجمع قدراً كبيراً من البوص حول الغرفة التى ينزل فيها الامير  
وفى منتصف الليل أضرم النار فمات الامير من الاختناق بالدخان وفى غداة  
النهار أخرجت جثته وليس بها أثر من النار وجردت من ملابسها وأخذ  
النسوة يهينونها بالضرب والبصق والسحب على الارض وفى آخر النهار

## فتح كردفان

وبعد استيلاء المصريين على سنار أنفذ الامير اسماعيل صهره الدفتردار بجيش لفتح كردفان ودار فور وكان فيها قائد من قبل سلطان دارفور يدعي (المقدم مسلم) جمع لقتال المصريين سبعين ألف مقاتل من أهل دارفور فتلقاهم الدفتردار ومن معه بنيران حامية فانهزموا وهم وجلون من فرقة المدافع واكثرهم يظنون أن الله أرسل الرعد والصواعق تحاربهم مع المصريين وأخذوا يكررون الآية (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) واستولى الدفتردار على كوردفان وأخذ في الالهبة للزحف على دارفور ففاجأه نبأ مقتل الامير اسماعيل في (شندي) فمدل عن متابعة الزحف وقصد شندي محل الواقعة وكان ذلك في أواسط سنة ١٢٣٧ هجرية

## مقتل الامير اسماعيل باشا

بعد اتمام فتح مدينة سنار واعلان ضمها لاملاك الخديوية المصرية عاد الامير الى شندي ليجمع المال لنفقة اتمام فتح السودان الغربي فنزل ضيفاً عند زعيم شندي (المك نمر)

وهنا أبسط للقاريء حقيقة أرى من الواجب عليّ تقريرها فان الاقوال تباينت في ايضاح السبب الذي من أجله قتل المك نمر الامير اسماعيل باشا. فروي بعضهم ان الامير رأى امرأة هي أخت هذا الزعيم فسأله عنها فقال انها احدي جواري فقال له ممازحاً أطلب منك مائة مثلها فلم يحمل الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الامير انما يود التناول لهتك عرضه فأضمر له الشر وفعل مكيدته التي تراها في هذا المقام



عند وقوع بصرهم عليه فقر مهمم ولجأ الى مصر فاخذ محمد على باشا في الالهبة وسير الحملة وجعل قيادتها لابه الامير اسماعيل فغادرت القاهرة في أواخر عام خمس وثلاثين بعد الالف ومائتين من الهجرة فاجتازت اقليم دنقله من الشمال بدون مقاومة وفي جنوب هذا الاقليم تألبت قبيلة الشايقية وحاربت الجيش المصرى فرجعت مقهورة وسار الجيش الى الجنوب فقابله سكان اقليم (بربر) بالخضوع واجتاز النهر الى جزيرة الخرطوم فاعجب الامير منظر الخرطوم وموقعها بين النيلين وكتب الى والده بما أحرزه من النصر ثم زحف قاصداً (سنار) ولما دنا منها كتب الى الملك عدلان بن ادريس يدعوه الى التسليم ويحذره سوء العاقبة فكتب اليه الملك كتابا يقول له فيه «ان مدينة سنار محروسة بالحيول الرومية. وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية. فلا تغتر بالتصارك على الشايقية. بل تيقن اننا نحن الملوك وهم الرعية.» وما وصل الكتاب الى الامير اسماعيل حتي زحف بخيله ورجله عليه فالتقي الجيشان في وسط غابة «ابى سقرة» ولا سلاح لدى السودانيين غير الحراب والسيوف فاصلتهم العساكر المصرية ناراً حامية فانهزموا وتأثر الامير اسماعيل بمن معه المهزمين حتى دخلوا مدينة سنار فقصده الامير دار الملك فالفاه جالساً في إيوانه فدخل عليه فوقف خاضعاً بين يديه وصافحه وأسلمه سيفه علامة على الطاعة والخضوع وأجلسه على فراشه وجلس على الارض كواحد من الناس وكان يلتفت الى من حوله من اتباعه ويقول لهم «هكذا أراد الله فلا راد لقضائه» وبعد هنية قام اليه الامير اسماعيل وادناه منه واجلسه بقربه وحفظ له حرمة ولم يسلبه شيئاً غير الامر والنهي وحذا حذو الامير في اكرام هذا البيت كل الذين تولوا الحكم على السودان

السودان بل تخلص من ورطتين كبيرتين فقد علمت من شيخ ذى منصب معاصر لمحمد على باشا أن دولة أوروية كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع النيل فاهتم لهذا الخبر اكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الاوروبيين الذين جاء بهم من بلادهم الى هذا القطر فاقروا بالاجماع على أن وقوع منابع النيل تحت برائن هذه الدولة مما لا تحمد مغبته حيث تصير حياة مصر في يدها فصمم على انفاذ حملة الى السودان وكانت جنوده من الازغ غير النظاميين وكان يقاسى أهوالا من عدم انقيادهم له فيما كان يتوخاه من انشاء جنود نظامية على الطراز الاوروبي فعول على انفاذهم الى مجاهل السودان ليستريح من مشاكستهم وهناك احدي الخطتين اما الموت أو الظفر. فان كان الاول لا يعدم من جنوده الذين ينظمهم على الشكل الاوروبي عوضاً عن هؤلاء وان كان الثاني فيكون قد أمن الخطر التي تهدد حياة بلاده. وظل أولئك الفاتحون يجنون خيرات البلاد المفتوحة بأيديهم وانطلقت يد العزيز يجند كيف يشاء ويدرب الكتائب وينظمها بلا معارض ولا عذول

هذان هما السببان اللذان وجه اعزيمه المغفور له محمد على باشا الى فتح السودان فحيأت المقادير له قضاء اللبائتين والتخلص من الورطتين فوفد عليه زعيم قرية من قري الجعللين باقليم بربر اسمه (بشير بن عقيد) وقرية اسمها (العقيدة) في الضفة الغربية من النيل شمالي قرية (شندي) بنحو عشرين ميلا فاستقبله بالاكرام وعرض هذا الزعيم على محمد على باشا انفاذ حملة لفتح السودان وقص عليه سبب قدومه وهو ان زعيما يدعى (الملك نمر) وشي به عند الملك فارسل اليه يستقدمه فاعتذر فارسل خلفه شرذمة من رجاله وأمرهم بضرب عنقه

أشهر ملوك هذه الدولة الملك (العجيب بن المانجلاك) وتسمى هذه الدولة باسم الزرقاء لان ملوكها كانوا يلبسون فلتسوة سوداء لها قرنان طويلان

ثم دالت هذه الدولة بعد أن مضي عليها قرنان وقامت دولة الهمج وهم ممالك (الفون) ثاروا على مواليهم ونزعوا الملك من أيديهم وكانت دولتهم شبيهة بسابقتها الا أنهم أبطلوا الولاية ومنحوا كل شيخ قرية أو رئيس قبيلة سلطة مطلقة يحكم في قريته أو قبيلته بما يشاء بشرط أن يؤدي للملك كل ما يفرضه عليه من الخراج في كل عام فاغترف أولئك المشايخ من المظالم والمغارم مالا يحصى . ومن انواع هذه المظالم أن شيخا من مشايخ قرى الجميلين قبض على عشرين رجلا من رعاياه بتهمة أنهم سعوا به عند الملك فلما أوقفوا بين يديه قال لهم من لم يتمخض منكم كما يتمخض المرأة وولد بيضة كبيضة الدجاجة ضربت عنقه وبعد هنيهة ضرب اعناقهم بعد أن يتمخضوا ولم يلدوا بيضا

وأمثال هذه الافعال الوحشية كثيرة يضيق المقام دون ايرادها وآخر ملوك هذه الدولة (عدلان بن ادريس) الذي سيأتي ذكره وانه اسلم سيفه الى الامير اسماعيل باشا بن محمد على باشا . وقبل الختام نورد نكتة للملك عدلان ابن ادريس وهي أنه كان يد من الخمر في نهار رمضان وكانت له وصيفة اسمها (تام زينه) فاذا جلس في مجلسه والناس حوله دعاها وسألها أغربت الشمس فتجيبه غربت شمسك وشمس رعيتك لم تغرب فيتناول الكأس منها ويشربه وقد صدق هذا القول عليه وغربت شمس ملكه والدوام لله

### ضم السودان الى مصر

قضى ساكن الجنان محمد على باشا محي الديار المصريه لبائتين من فتح

وأما مظالم هذه الدولة فحدث عنها ولا حرج فان الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم ان يأخذوا كل بنت حسناء ويتمتعوا بها كوطوءة بملك اليمين ولا يمكن ان يقل عدد المحظيات في بيت الملك عن الالف ومن دونه عن والمائتين

وكانت البلاد الواقعة وراء سنار غنية بكثرة معادنها الذهبية ويجبى الى اولئك الملوك من خراجها القناطير المقنطرة فيصنعون منها الخلي التي من بينها شكل على هيئة راس (سفنكس) الذي هو من قدماء المصريين ويسمون هذا الشكل « دجاجة » وكان أهل الطبقة العالية من النساء لا يلبسن نعلاً الا من الذهب ولا ينن الاعلى أسرة من التبر

وكانت البلاد منقسمة الى مقاطعات ولكل مقاطعة منها وال يجبى الخراج بغير حد معلوم. وقد حدث في بعض السنين ان الملك صادر كل محصولات البلاد فوقعت في مجاعة بلغ فيها ثمن اوقية الذرة مثلها من الذهب وما حال الحول حتي هلك من الناس ما يربو على ثلاثة ارباع السكان

ومن عوائد هؤلاء الملوك ان لا يدخل عليهم أحد وعلى راسه قلنسوة أو عمامة بل يدخل مكشوف الرأس حافي الاقدام حاسرا ملابسه الى ما فوق سرتة ويجثو على ركبتيه ويقول « مانجل » اي ملك الملوك ويردها حتى يأمره الملك بالجلوس فيجلس على الارض جائساً على ركبتيه وهذه التحية واجبة على كل أحد للملك وسائر افراد اسرته من ذكر أو انثى

وكان من عوائد بنات الملوك أن يخرجن مكشوفات الوجوه كالافرنج وخلفهن اثلاث من الجواري بحلى كحلى سيداتهن تحمل كل واحدة على راسها طبقاً من الخوص فيه من ضروب الزينة كالذي عليها وعلى مولاتها ومن

على الضباط والتعديلات في بعضها فكان نصيبي من هذا الامر التجريد من كل رتبى وألقابى ونياشينى التى احرزتها بالمتاعب والمشقات واقنعجام لاهوال فى فتوحات خط الاستواء وبمد الله كل شىء واليه مصير كل شىء ولا حول ولا قوة الا به

## تاريخ السودان القديم

أورد فى هذا الباب طرفا من تاريخ السودان القديم نقلا عن مصادر يتمذر ايرادها فى مثل هذا الكتاب اذ لا يوجد تاريخ لهذه البلاد لم كانت عليه من البداوة فسكانها الاقدمون زنوج يطلق عليهم اسم (النوبة) وفى القرون الوسطى دخلها اعراب من صعيد مصر واختلطت أنسابهم بالنوبة وقامت منهم دولة عربية اخضعت لسلطانها كل السودان المصرى عدا كورد فان ودارفور وتدعى هذه الدولة بدولة (الفون) نسبة الى مؤسسها وكان مقرها بمدينة سنار التى تبعد عن الخرطوم مسيرة عشر مراحل جهة النهر الازرق وروى لنا شيخ من السودان ان العرب الذين استوطنوا السودان انتشر الجهل بينهم بعد انقراض جيلهم الاول وأصبحوا لا يعرفون من الاسلام غير الشهادتين فكانت المرأة اذا طلقت فى الصباح تزوجت بآخر قبل المساء وحي لنا ان شاعرا ينظم القصائد باللغة العامية دخل على أحد ملوك الفون فانشده قصيدة مدحه فيها وجاء فى آخرها ذكر (طه) صلى الله عليه وسلم فانكر الملك هذا الاسم وسأله مستفهما أمن الصحابة طه هذا فسكت الشاعر فاعاد عليه السؤال قائلا كيف لا تعرف طه فقال أظنه من صفار الصحابة لانني أعرف الا كابر كلى وعمر وأبى بكر وقس على ذلك من أمثال هذه الجهالة



وبينت للمجلس الحقيقة وهي أن سليمان داود بك أحرق الاسكندرية  
من تلقاء نفسه وان عرابي لما بلغه هذا الخبر أرسلني اليه ومعي  
القائمقام نسيم بك الطوبجي قبل غروب الشمس بساعة وقال لنا قولاً له  
ان هذه المدينة مصرية وفيها نزلاء أجانب وليست انكليزية حتى يجوز  
لنا احراقها انتقاماً من فعل مدركاتهم باستحكاماتنا وقال ادعوا ليحضر بلوائه  
الى باب شرق فلما ذهبنا اليه وجدناه واقفاً في ساحة المنشية يملأ الطلابات  
بزيت البترول ويقذفه على المدينة ويأمر عساكره بنهب ما في المنازل ولما  
أبلغناه الاوامر كان جوابه لنا « اني أرفض سماع هذه الاوامر ولا أفعل  
غير ما في ارادتي » وختم كلامه بقوله « يرى الحاضر ما لا يرى الغائب » فتركناه  
وعدنا لعرابي فاخبرناه فاستشاط غيظاً وأرسل اليه جماعة من الضباط. وأمرهم  
بنصحه فان لم يرضخ للامر طوعاً رضى كرهاً خاف العاقبة وترك الاسكندرية  
ولحق بعرابي في باب شرق فعنفه واكثر من لومه وبعد ان أخذ المجلس أقوالى  
واجهنى به فاعدته في وجهه فانكر فجئى بالقائمقام نسيم بك فأيد ما قلته ثم  
استشهد بضباط آخرين من ضباط لوائه قال انهم سمعوا مني ومن نسيم بك  
ابلاغه أو امر عرابي بحرق الاسكندرية فجئى بهم فشهدوا عليه مؤيدين كل  
أقوالنا ولم يكتف بهؤلاء حتى استشهد بغيرهم فشهدوا عليه لاله وأخيراً حكم  
عليه بالاعدام شنقاً



تجريد المؤلف من رتبة والقبابه

وعلى أثر ذلك أشخصت من الاسكندرية للقاهرة كما أمرني المجلس وبعد  
عشرين يوماً أتمها فيها صدر أمر عال بالتصديق على بعض الاحكام الصادرة

الفضائع وانتدبوا واحدا من ضباطهم صار يمر على السجن كل يوم وسأل  
المسجونين فردا فردا عن راحتهم ويتولى بنفسه قطع أسباب الشكوى وإذا  
أبلغه مسجون شكوى من أحد الخفراء عاقبة عقابا صار ما

وفي غضون ذلك قبض على عدد ليس بقليل من العلماء الازهرين  
بتهمة موالاته العربيين وسجن كل واحد منا مع واحد منهم وكان حبسي مع  
واحد منهم يسمى الشيخ احمد عبد الغني وكان فاضلا وكنت حسبت اني أجد  
منه أنيسا يسري عني بحديثه الهوم فنقضي معا وقتنا بشيء من التسلية لكنه  
لم يكن ذلك لانه كان يقضي أكثر أوقات الليل والنهار نائما لا يكاد ينتبه  
الا لاداء فريضة الصلاة أو تناول الطعام فعتبت عليه يوما وطلبت منه أن يقلل  
من نومه فاعتذر بأنه مادام متكديرا فلا يفارقه النوم فتعجبت من هذه العادة  
التي فطره الله عليها وتمنيت أن أكون مثله في هذه الحالة

وكنّا في كل يوم نساق للاستنطاق وكان صاحبي الشيخ احمد عبد الغني  
يدافع عن نفسه دفاعا كانت نتيجته سرعة الافراج عنه فبقيت بعده منفردا  
أتمني رفيقا بدله ولو كان نوما مثله آنس برؤيته وأسمع ترديد أنفاسه. وبعد  
ذلك ببضعة أسابيع أفرج عني بالضمانة بعد استيفاء المجلس أسئلتى

### مسألة احراق الاسكندرية

وبعد خروجي من السجن أخذت الى الاسكندرية لاستنطائي عن حادثه  
الحريق التي حدثت بها فذهبت اليها وتوجهت الى المجلس الذي شكل به التحقيق  
هذه المسألة تحت رئاسة محمد رؤف باشا حيث ادعى القائمقام سليمان داود بك  
أن (عربي) أرسلني اليه بأمره باحراق الاسكندرية فظهرت كذبه في ذلك

تثور منها الحشرات وغطاؤها السقف الذي يطرنا الكثير منها وزد على ذلك الظما فاننا قضينا تلك الليلة نستغيث ونطلب جرعة ماء فلا نجد لها حتى مطلع الشمس فدخل علينا الخفراء وكانوا ايطاليين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية كما اننا لانعرف مثلها من لغتهم والمكاملة بيننا بالاشارة والايماء وبعد مضي ليلتين في هذا العذاب جاءنا خبر قدوم خدامنا حاملين فرشنا واغطينا وبعض ملابس قتنا ولها الخفراء والقوها بين ايدينا بغير تمييز فأخذ كل واحد منا يميز فرشه وملابسه وأما الغذاء فان الخفراء حينما يأتيهم الخادم بطعام ويخبرهم باسم سيده يدفعونه لآخر ولسنا نعلم لذلك سببا سوى الاهمال وعدم الاعتناء ولم ندفع ضرر هذه المسألة الا بالاتفاق بيننا على تادية ثمن الاغذية من جيبنا حيث صار المتعهد يؤدي لكل واحد غذاءه دون أن يلحقه حيف وبعد خمسة وعشرين يوما غادرنا السجن الى مصر وقد حملنا على عربات العفش ولما وصلنا المحطة وجدنا شردمة من العساكر المصرية تنتظر قدومنا بها فاحاطت بنا حتى أوصلتنا سجن الضبطية حيث وجدنا به عرابي ( باشا ) ورفقاءه وكل الذين وقعت عليهم تهمة معاضدته وماتقابلت الوجوه ببعضها حتى أقبل بعضنا على بعض نتلاوم متخاذلين كما هو شأن المخدولين وبعد ثلاثة أيام نقلنا الى الدائرة السنية وسجنا فرادي حيث كان خفراؤنا من الجراكسة فانتقموا منا شر انتقام وكانوا يهينوننا بالدفع واللطم والشتائم القبيحة وغير ذلك من انواع سوء المعاملة حتى أنه لم يكن يؤذن للواحد منا بالذهاب الى المراض الا بعد اللتيا والتي ويقفون بالباب ويدعونه للخروج قبل قضاء الحاجة وان لم يبادر بالاجابة يلجون عليه ويخرجونه مسجوبا على وجهه. وقد اتصل بنا هذه المعاملة السيئة برجال الاحتيال فقاموا وقعدوا وشددوا التكير على الخفراء وحالوا بينهم وبين متابعة هذه

مرورنا للتحية العسكرية حتى جاءنا أحدياوران الجنرال وأمرنا بوضع الأسلحة  
والذخيرة في عربات السكة الحديدية ثم انصرف العساكر الى بلادهم وتلطف  
الياور في سؤالنا تسليم سيوفنا وأسلحتنا الخصوصية ورايات الالوية فقلعنا  
وعقب ذلك ساقونا وجميع الضباط وكانوا نحو مائتي ضابط الى سراي  
الرميل بصفة مسجونين وخفراءنا من الجنود الانكليزية وكانت معاملتهم لنا  
حسنة سيما تقديم الاغذية النظيفة والشاي والقهوة وبعد انقضاء أسبوع جاءنا  
الفریق اسماعيل كامل باشا ومعه ضباط من المعية فاطلقوا صفار الضباط وأبقوا  
كل حائر لرتبة القنصل فافوقها وبعضا من الحائزين لرتبة البكباشي وأبلغوهم  
جميعا خبر تجربتهم من رتبهم وألقاهم ونياسينهم وأنهم كسائر افراد الالهين ثم  
ساقونا الى الاسكندرية فدرای رأس التين وبها وجدنا المغفور له الخديو توفيق  
باشا واقفا على شرفة مطلة علينا وعلامات الاسف ظاهرة عليه حيث كانت  
الجنود الانكليزية محيطة بنا احاطة السوار بالمعصم



### ذكر السجن المظلم

وبعد وقوفنا تحت الشرفة بسرای رأس التين جاءنا عثمان باشا عر في  
محافظ الاسكندرية وقادنا الى سجن باب شرقى بالاسكندرية وأدخلنا من  
سرداب لايسع اكثر من شخص واحد الى سجن مظلم لا ترى فيه نور  
النهار ولا يبصر بعضنا بعضا من شدة الظلام وفي هذا السجن حشرات من  
نوع البراغيث والبق تتسابق على انتزاف دمناء لشدة تراكم بعضها على بعض نحس  
بحمل ثقیل فوق جسمنا فاضلا عن الآلام التي تنكبدنا من امتصاصها حيث يستحيل  
معها أن نزور الكرى اجفاننا . وبتنا تلك الليلة ولا فراش لنا غير الارض التي

## ذكر ما وقع للمؤلف مع العرايين

لأتوخي في هذا المقام شرح حادثة العرايين بل أبين للقاري ما لحقني من السجن والمحاكمة لدخولي في زميرتهم فأقول  
لما انهزم عرابي في واقعة التل الكبير وتأثره الانكليز أرسل الينا تلغرافا بابوقير يبيننا بنيمته وانكساره النهائي ولم نلبث أن جاءنا بعد ذلك تلغراف من المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق يخبرنا فيه بالقبض على عرابي وزجه في السجن ويأمرنا بالتوجه الى كفر الدوار وتسليم الاسلحة والذخائر لقائد الجنود الانكليزية هناك فامتلنا وذهبنا الى تلك الجهة فوجدنا بها الجنرال (وود) الذي صار بعد ذلك سردارا للجيش المصرى وعند ما أبصرنا أمر جنوده باخذ الالهبة والحذر فقلدوا الاسلحة ولذلك تركت عساكرى وذهبت بنفسى الى مكانهم عند قنطرة المحمودية ومعى فارسان فقابلنا الجنرال (وود) وسألني عن نفسى فقلت له الميرالاي ابراهيم فوزى قائد الألاى الاول من الفرقة الثالثة فقال وماذا قصد الآن فاخبرته بتلغراف الحديوي فقال أنت خاضع له قلت نعم فقال ترجل عن جوادك وسلم سيفك ففعلت فرد الى السيف وأمرني بالعودة الى عسكري لا مبرهم في وسط صفوف عساكره ونجري تسليم الاسلحة والذخائر عند محطة كفر الدوار وانصرف العساكر الى بلادهم فرجعت الى عساكرى وألقيت عليهم التعليمات المذكورة واكدت عليهم بلزوم الادب وقلت لهم في عرض كلامى اذا لم تكونوا شجعانا بواسل في بداية الحرب فكونوا مؤدبين في نهايتها فاطاع العساكر أو امرى واجتازوا صفوف الجنود الانكليزية بكل هدوء وسكينة وكانت الجنود الانكليزية تؤدي وقت



(باشا) البارودي وبدت حوادث العربيين

وفي ابان ذلك أرسلت حكمدارية السودان الى المعية السنية تلغرافاً تخبرها  
 باول حادثة جرت لها مع المهدي فامرت الحكومة بمحشد أربعة طواير  
 نصفها من السودانيين والنصف الآخر من المصريين وتاليف الاى منهم  
 لارساله الى السودان وتعيين المؤلف أمير الأي عليه وبعد حشد الجنود أخذنا  
 في تمرينهم على اطلاق النار بضواحي العباسية ثم بعد ثلاثة شهور أرسلت  
 الحكمدارية تلغرافاً الى المعية السنية تقول فيه إن ميزانيتها لا تحمل نفقات هذا  
 الأي وانها انتدبت لقتال المهدي يوسف باشا الشلاطي وجعلت تحت إمرته  
 جنوداً نظامية وباشبوزق وأكدت لها قدرته على مقاومة العصاة وإخضاعهم  
 وأنه لا بد أن يقضي القضاء الاخير على دعوة المهدي قبل أن تشب من طوقها.  
 ولما كنت عارفاً بيوسف باشا المذكور التزمت أن أعرف المعية عنه بأنه كان  
 نوتياً ثم صار نخاساً من الذين كانوا ببحر الغزال ولم يكن عسكرياً ولا ادارياً يقطع  
 فلم تلتفت لأقوالى وصدرت الاوامر بحل الأيى وكان من أمر يوسف باشا  
 مايجي ذكره في حوادث المهديوية وأضيف طابورا السودانيين الى لواء عبد  
 المال حلمي (باشا) وقتئذ والآخران الى ألوية المصريين ثم عينت بوظيفة  
 باشمعاون نظارة الحرية ومكثت بهذه الوظيفة حتى اطلاق الدونمة الانكليزية  
 القنابل على الاسكندرية ثم عينت أمير الأيى على أحد الايلات التي جندت  
 وقتئذ وهو الأيى الاول من الفرقة الثالثة وكانت اقامة هذا الايى بشعر  
 رشيد ثم أمرنا بالتوجه الى أبوقير وعسكرنا بها الى ما بعد واقعة التل  
 الكبير

له الحكومة مرتب الشهرين فوزعه على الخدام والطهارة الذين كانوا يتولون خدمته في قصر النزهة ولم يدخر منه غير نفقة وصوله الي بلاده ثم بارح القاهرة الي الاسكندرية فلوندره



تعيين محمد رؤف باشا حاكماً علي السودان

وبعد استقالة غردون باشا عينت الحكومة خلفاه المرحوم محمد رؤف باشا الذي جعل ادارته قاصرة على الغاء أكثر الخاميات اقتصاداً للنفقات وأنزل مرتبات الموظفين الي النصف ورافقه ضباط مصريون روى لنا واحد منهم هو القائمقام اسكندر بك محمد أنه سمعه يقول لم يحسن الجنب الخديو بتوليقي على عموم السودان لانني أعرف من نفى عدم القدرة على ادارة شؤون هذه الاقاليم وكان الاحسن أن يمينني مديراً علي اقليمى « بربر » ودنقله « فقط وفي أيامه ظهر المهدي وكان من أمره ماأناب علي شرحه



ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك

وفي أوائل سنة ١٢٩٧ تعيين المرحوم عثمان رفقي باشا ناظر الحرب المصرية فعينني في وظيفة مأمور عمليات اقليم الغربية بمرتب خمسين جنيناً مصرياً في الشهر غير نفقات السفر وبعد انتهاء العمليات عينت مأموراً لتعداد النفوس باقليم الجزيرة ثم عدت الي الغربية لفرز انفار القرعة ثم انتدبت لتحقيق مسألة دعوي جماعة من الضباط علي دولة البرنس ابراهيم باشا أحمد بانه غصب منهم تفتيش الزنكولون من أعمال الشرقية وبعد مباشرة التحقيق ظهر كذبهم وفساد دعواهم ثم فصل عثمان رفقي باشا من نظارة الحربية وعين خلفاه محمود سامي

ولما وصل كتاب السكولونيل غردون الى الممية السنية أمر الجناب  
الحديوي ناظر الحرية بتوظيفي فاعتذر بعدم وجود وظيفة لأتق فامر دباحاتي  
على الاستيداع بنصف الراتب الذي هو خمسة وعشرون جنيهها  
ولم تمض ثلاثة أيام علي احالي على الاستيداع حتي استدعاني السكولونيل  
غردون وعينني بوظيفة قائد عام لجنود السودان الشرق فاخذت في الاهبة  
للسفر لمقر وظيفتي

وبينا أنا كذلك اذ بلغني ان السكولونيل غردون قد استقال من وظيفته  
وأقالته الحكومة الحديوية فاسرعت وسألته ان يتوسط لي في قبول الاقالة  
من هذه الوظيفة ففعل وقبلت وساطته وصدر الامر بعودتي الي الاستيداع  
أما الاسباب التي بنيت عليها استقالة السكولونيل غردون فلم أفق على  
شي منها وغاية ماعلمته من أخبار الصحف وقتئذ أن الخلاف الذي كان قائما  
بين مصر والحبشة في مسألة تحديد النخوم لم يعمل فيه السكولونيل غردون بما  
كانت تمنح اليه الحكومة الحديوية من حسم الخلاف بالطرق الودية وملافاة  
الشحناء بالخبرات السلمية بل كان يود غير ذلك وكانت حالة الحكومة الحديوية  
اذ ذاك في ارتباك داخلية لا يجهلها القارئ وهي التي بدت طلائعها قبل  
استقالة المغفور له الحديوي اسماعيل باشا ويقرب من العقل تصديق  
هذه الرواية

وقررت الحكومة منحه عشرين الف جنيه مكافأة له على خدمته التي  
اداءها بالسودان فاعتذر عن قبولها وأظهر شما اذ قال انني ما خدمت الحكومة  
الحديوية لانال منها مكافأة بل كان قصدي خدمة المدينة ونفع النوع البشري  
وغاية ما يمكنني قبوله هو مرتب شهرين باق لي لم أقبضه حتي الآن فدفعت

## قدوم الكولونيل غردون مصر واستقالته

وفي أواخر سنة ١٢٩٦ هجرية قدم الكولونيل غردون الى مصر لمقابلة الحديو فتوجهت لزيارته بقصر الزهة بشبرا حيث كان نازلا فيه ضيفاً على الحكومة المصرية فقابلني بفتور وكان معه ضابطان أوريان كانا موظفين بخطط الاستواء حينما كنت مديراً ولما رأيت منه هذا الفتور استأذنته بالانصراف فخرجت وأنا مصمم على عدم العود الى زيارته وبعد خروجي انكر عليه الضابطان ما قاليني به من الجفاء وكانا قد بارحا خط الاستواء لتبديل الهواء في الباخرة التي سافر عليها الدكتور ينكر وغادرا الخرطوم الى القاهرة فأوروبا قبل ان يقفا على شيء من أمري ثم انهما كانا عائدين من اوروبا ولما رأياي مع الكولونيل غردون كانا يظنان انني قدمت معه كالمرة الاولى والضابطان المذكوران يدعي احدهما الكولونيل (مارنو بك) والثاني الكولونيل (منسون بك) فسألا الكولونيل غردون عن سبب هذا الجفاء فقص عليهما كل شيء من أمر ينكر فاكدا له تزييف كل ماوشى به ينكر وقصا عليه الحقيقة من أولها الى آخرها فلم يقتنع حتى أطلعه على مخاطبات من السائح ينكر والدكتور أمين تدل على انهما كان يلحان عليهما ليوافقاهما على دسائسهما ووشاياتهما على فابيا ترفعاً وأنفة من مثل هذه الدنآآت وعقيب ذلك ارسل الى الكولونيل غردون وبالغ في الاعتذار ورجاني ان اعتقد بان منزلتي لديه صارت أجل وأرفع مما كانت عليه وانه يتأسف كثيراً على ما لحقني من الاهانة فيما مضى فقبلت عذره واكدت حفظ الوداد فكتب في الحال الي نظارة الحرية والى المعية السنية رسالتين يثنى عليّ فيهما ويسألها توظيفي بوظيفة لا ثقة

سموكم مع الكولونيل غردون وأنا يومئذ حائز لرتبة الصاغقول اغاسي  
وقد أحسن سموكم على رتبة البكباشي في غضون تلك المقابلة وقد تنازل  
سموكم بإبلاغي ممنونية الكولونيل غردون مني وشاءه على بالنسبة لما كان  
مني من الخدم التي أدتها في فتوحات خط الاستواء وتنازل سموكم أيضا وخاطبني  
بالفاظ التشجيع والوعد بالترقي اذا ظلمات على النهج الذي أوجب ثناء الكولونيل  
غردون على

فالتفت سموه الى ناظر الحربية وقال له لو رأيت الكتب التي وردت  
على من الكولونيل غردون باللغتين العربية والفرنسوية بالثناء على هذا  
الرجل لعلمت انه مستحق لرتبة الفريق مثلك فاعتذر ناظر الحربية وأمره  
الجناب الحديري بمعاملي اسوة امثالي فانصرفت بعد اسداء الشكر للحضرة  
الفضيلة الحديوية وانصرف معي ناظر الحربية وفي نفسه شيء مني فدعاني  
لركوب عربته للعودة الى نظارة الحربية وبينما نحن سائرون لمحت منه امتعاضاً  
على الكولونيل غردون لانه يكيل الرتب جزافاً فانكرت عليه ذلك وقلت  
له بلغني انك لما كنت حائز الرتبة أميرالاي كنت أصغر سناً مني فقال كلاً  
فاني لما رقيت الى رتبة أميرالاي كان سني اثنين وثلاثين عاماً فقلت له وما  
تحسب سني قال عشرين سنة أو اكثر بقليل فقلت ان عمري ثلاثون سنة  
وقد نلت الرتب باستحقاق حيث كابدت مشقات وقاسيت صعوبات في فتح  
بلاد جديدة وانتهى الحديث بيننا بالوصول الى الديوان حيث أمرني بالتردد  
عليه ريثما يجد لي وظيفة تليق بي فمكثت متردداً نحو شهرين لم يعرض  
على ناظر الحربية وظيفة تليق أولاً تليق بي



وجهه أنت حائز رتبة أمير ألاي فقلت نعم فقال ومن أين قدمت فأجبت من  
السودان فقال ما اسمك قلت ابراهيم فوزي فقال هل عندك كتب من حاكم  
السودان قلت كلا فقال وبماذا نعرفك فقصصت عليه ما كان من امتناع  
حاكم السودان من اعطائي كتابا فقال ولاي شيء كان ذلك قلت لا أعلم ثم  
سألني عن براءة الرتبة التي أنا حائز لها فأجبت به بأن لدي البراءة من رتبة  
الملازم ثاني حتى رتبة الامير الاي فقال أود الاطلاع عليها وعند ذلك لم أتمكن  
كظم غيظي حيث قلت له أظن بأنني مختلف هذه الرتبة فان كان كذلك  
فان لديك الفرقة عثمان رفيق باشا الذي كان قائداً عاماً لمساكر السودان فسله  
عني ينبئك اليقين واذا شئت فان معية الجناب الحديوي تخبرك بما يجعلك في  
غنى عن توجيه هذه الاسئلة الي ثم انصرفت عنه وهو يلاطفني ويرجوني أن  
أقبله في الغد



### مقابلة المغفور له خريو مصر اسماعيل باشا

وبعد انصرا في عن ناظر الحربية ذهب هو الي سراي عابدين العامة  
وتشرف بمقابلة الجناب الحديوي وقص على مسامعه الكريمة حديثي فأمر  
ناظر الحربية باستدعائي بين يديه في الغد لمقابلة سموه وفي الغد ذهبت الي  
ديوان الحربية كما أمرت ولما دخلت على الناظر كان أول خطاب وجهه الي «أنت  
جئت» كأنه يرتاب في مجيئي ثم قال. بعد ساعتين تشرف بمقابلة الجناب الحديوي  
المعظم فظهرت السرور وبعد انقضاء الساعتين ركبت معه عربته ولما مثلت  
بين يدي الحديو قابلني بالبشاشة والاكرام وكان ناظر الحربية قد سبقني  
الي ذلك وبعد الجلوس سألني عن اسمي فقلت ابراهيم فوزي الذي قابل

ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر  
ولما وصلت الخرطوم قصدت سراي الحكومة والتمست مقابلة  
الكولونيل غردون فلم يأذن لي بمقابلته فعدت الى منزلي وأنا مصر على مغادرة  
السودان وعدم قبول أى خدمة فيه بعد الاهانة التى لحقتني من السائح الذي  
سعي بالوشاية فيّ عند من لم يتحر الحقيقة ولم يعتقد في الاوروبيين انهم بشر  
يجوز في حقهم الكذب والخيانة والغرض فعرضت اليه التمس التصريح لي  
بالشخص الى مصر فاستدعاني وخطبني بأنفة قائلاً أنت تريد السفر الى مصر  
قلت نعم قال ولماذا قلت اني مكثت سبع سنوات هنا وأود العودة الى وطني  
لتبديل الهواء والفرار من وجه السياح الكذابين مثل (ينكر) فقال أهو كذاب  
قلت نعم ولو أطلعني على سمائه بي عندك لا ظهرت لك كذبه وانني ما عاملته  
الآن بما لا مندوحة لي منه وهي واجبات وظيفتي وختمت حديثي باعادة  
الالتماس بالتصريح بالسفر الى مصر على نفقة الحكومة فقال قد أذنت لك  
وأمر بكتابة الاوامر بسفري على نفقة الحكومة ثم طلبت منه كتابا الى الحربية  
المصرية مؤذنا باحالي عليها فأعرض عن الاجابة فألححت في الطلب وصمم  
على الرفض فانصرفت عنه وهو مغمم من الغضب وأنا مغمم من الغيظ والكدر  
وما مضت أيام حتى غادرت الخرطوم وما زلت سائراً حتى وصلت القاهرة

ذكر ما وقع للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية  
وفي ثاني يوم وصولي لمصر ذهبت لديوان الحربية لابسا الملابس الرسمية  
حيث قابلت شاهين باشا ناظر الحربية والبحرية المصرية فتمثل لي واقفا ببشاشة  
وطلاقة وجه وبعد تناول القهوة سألني وأمارات الدهشة والاستغراب بادية على

العساكر الافيال الوحشية رميا بالنبل فتأخذ الحكومة أسنانها وتأكل العساكر لحومها اذ هي لذينة جدا ومحبوبة عندهم وبذلك تقتصد الحكومة ثمن اللحوم التي تجريها علي العساكر. وفضلا عن ذلك فان الاقاليم الاستوائية لا توجد بها دواب للحمل ونقل الاثقال من مكان لآخر فكانت هذه الافيال تؤدي وظيفة الحمل في زمن الحروب ونقل الذخائر من أهم حوائج الجند اذ يحمل الواحد منها اكثر من حمل خمس من الابل

وغير هذا وذاك اتى لما غزت بعض البلاد لادخالها في طاعة الحكومة وحملت الاثقال على تلك الافيال كان الاهلون في كل جهة مررنا بها يقابلوننا بالاعجاب ويتساءلون كيف أخضع هؤلاء الناس الفيل الذي هو أكبر حيوان وكيف ذلوه لارادتهم وقادوه كما تقاد الشاة ولما وصلت الي بلاد العصاة لم يقابلوني بغير تقديم الطاعة والتسليم هم وملوكهم وصرحوا لي بأنهم لا يستطيعون قتالي وقتال جنودى الذين ذلوا الافيال وكان ذلك شأني مع كل بلاد غزوتها بالافيال وأطلق الجنود اسم بلاد الافيال وقبائل الافيال على كل بلاد وقبائل دانت بطاعة الحكومة رهبة للافيال وأطلق الاهلون على اسم (الحاكم صاحب الافيال) وبعد مبارحتى خط الاستواء خيل لامين افندي باشا أن يذبح الافيال الداجنة ليتحقق الفرق بين لحومها ولحوم الافيال الوحشية ولاجراء تحليلات كيمياوية وقد فعل فانظر الي هذه السخافة

وكان في خط الاستواء ثيران من البقر تبلغ الالفين ذلت بأزمة حتى صارت قابلة لحمل الاثقال والركوب كالجمل فذبحها كلها ولو كانت الافيال والثيران باقية لما هلك اكثر الذين رافقوه مع المسترستانالي الرحالة عند مغادرته خط الاستواء كما سنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

وبعد بضعة أيام أصلح خلال الباخرة فاستأنفت سيرها الى الخرطوم  
وبعد وصولها ذهب صاحب البريد ليسلمه للكولونيل غردون فامتنع من  
استلامه وأصدر أمراً بفصل من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندي  
الطبيب وكيلاعنى حتى تصدر أوامر أخرى . ثم غادرت خط الاستواء قاصداً  
الخرطوم حيث أصدر الكولونيل غردون أمراً بتعيينه حاكماً عاماً على أقاليم  
خط الاستواء فوق ذلك موقع الدهشة والاستغراب لدى الموظفين الذين  
لا يرفعون لهذا الرجل أهلية إدارية أو عسكرية تبوؤه هذا المنصب الخطير وأيقن  
الكل بأن الدكتور (ينكر) هو الذي مهد له هذا السبيل وبوآه هذا المنصب  
ولا غرابة في ذلك فإن الدكتور شنيتر قدر على إخفاء دينه وتسمى  
بمحمد أمين فليس ببعيد علي منافق كهذا استمالة مثل الدكتور ينكر ماداما  
عالمين من الكولونيل غردون الاصغاء لكل مبادر بالوشاية ولو كان  
ذا قصد سيء



### قصة الأفيال في خط الاستواء

ومن الأعمال التي تدل على جهالة أمين افندي وبعده عن أصالة الرأي  
بعد السماء من الأرض ان الكولونيل غردون كان اشترى من أفيال الهند  
الداجنة عدة وجلبها الى خط الاستواء ولما عينت حاكماً على خط الاستواء  
سلمها اليّ وأمرني أن أقم لها زريبة من الشوك علي بعد ألف ومائتي متر  
من مدينة (اللاذوه) وكنا في غداة كل يوم نخرجها من الزريبة ونسرحا في  
الفلاة تقعات بالحشائش وتختطف بالافعال الوحشية وفي أصيل النهار تعود  
الي الزريبة فيتبعها منها بضعة أفيال أو أزيد بعد ادخالها في الزريبة فيقتل

الشمالية وأفهمته ما تقضى به الاوامر من ضبط مامعه وأخذه لجانب الحكومة  
فامتنع أولاً ثم رضح ثانياً وكان كثير الالفة والتودد الى طبيب الحكومة  
الدكتور شنيتزر الذى سمي نفسه بعد باسم (محمد أمين) ثم صار حاكماً على  
أقاليم خط الاستواء باسم أمين باشا

وفى غضون اقامة هذا السائح بخط الاستواء نقل الى كثير من تجار  
الاوروبيين هناك أنه مصمم على الوشاية بي عند غردون وانه لابد من  
ان وشايتيه ستقضى الى فصلى وانه يرشح أمين افندي طبيب الحكومة لولاية  
الحكم على أقاليم خط الاستواء بعد فصلى

على أننى لم اكثر بهذا القول وعددته من قبيل الهوس وخصوصاً ما ذكر  
من أمر أمين افندي الطبيب لاني وسائر من ممي من الموظفين نعتقد فيه فقدان  
الروية وعدم الخدق حتى فى صناعته التى انقطع لها ودرسها فكيف يكون  
شأنه اذا عين بوظيفة حاكم لأقاليم بخط الاستواء ادارتها عسكرية ومدار  
عملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ثم غادر الدكتور (ينكر) خط  
الاستواء على احدى البواخر فكتبت الى الكولونيل غردون أعلمه بكل  
ما وقع بينى وبين الدكتور (المذكور) وشرحت له ما علمته من أولئك التجار من  
نوايا ونوايا أمين افندي الطبيب ولما وصلت الباخرة الى مكان يدعى (شبهه)  
يبعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها فخرج  
السائح منها واستأجر نوفا وصل على ظهورها الى الخرطوم وقابل الكولونيل  
غردون وألقى عليه ماشاء من الاكاذيب والوشايات فاحتمهم غيظاً جرياً على عادته  
حيث كان من طباعه أن يصنى لـكل واش سبق غيره بالشكوى اليه من غير أن  
يتحرى صدقه ويقف على كنه قصده



الذين يسمونهم في اصطلاح العساكر ( غلمان الجهادية ) ولم يكن مملوكا للزبير  
باشا ولا لغيره قاده الطمع وحب الكسب الى الانتظام في سلك تجار الرقيق  
فانتظم في حملة أبي عموري التاجر وكان حليفا للزبير باشا ثم لابنه من بعده .  
ومدة الحرب بين جسي وابن الزبير لم تبلغ أسبوعين كان يدعو جسي باشا في  
خلاهما الى الطاعة والابتعاد عن سبل العصيان

### فصل المؤلف

من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين باشا بدله

وبعد عودتي من الرحلة التي لقيت فيها ادريس ابتر جاءني سائح اسمه  
الدكتور ( ينكر ) يطلب مني ان اجمع له مائة شخص من الاهالي يحملون أثقاله  
مدة تجوله في انحاء خط الاستواء وكانت العادة المتبعة عندنا اذ ذاك ان نسمح  
بمثل ذلك لكل سائح على شرط ان يؤدي أجرة كل شخص ثلاثة غروش  
من العملة الصاغ عن كل يوم وان يدفع لكل شخص أجرة ثلاثة شهور سلفاً  
وان يكون مكلفاً بلوازمهم اليومية من الطعام فعرضت عليه هذه الشروط  
فاكبرها وادعى ان لديه أوامر من غردون باحتساب كل نفقات سياحته على  
جانب الحكومة فطلبت منه الرقيم الصادر من غردون فلم أجده عنده شيئاً  
من ذلك وأخيراً دفع أجرة شهر واحد لكل حمال من الذين جمعناهم له  
وتعهد بدفع الباقي عند عودته وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن  
دفع ما بقى في ذمته من أجرة الحمالين وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرة  
الشهرين الباقيين ثم أخذ في أهبة السفر ومعه شيء كثير من العلاج  
فاخبرته باحتكار الحكومة هذا الصنف ومنعها الاتجار به وحمله الى الجهات

تعثر الحكومة على شيء يذكر من أسلابه وغاية ماغنمته لا يتجاوز سبع قناطير من سن الفيل ونحو خمسة آلاف من الريالات المجيدى واستولت على سندات بقيمة عشرين ألف ريال بمواعيد مختلفة يؤديها بعض تجار الرقيق لابن الزبير وعثر على أوراق دلت على ان أسباب العصيان كانت مدبرة بينه وبين والده ويقصد هذا من ذلك أن تكلفه الحكومة باخضاع ابنه حيث يبلغ أربه من العودة الي بحر الغزال

ثم عاد جسي باشا الى مقر وظيفته وقتل خلقاً كثيرين من النخاسين والذين لهم علاقة بابن الزبير ومكث مديراً على بحر الغزال سنة كاملة ثم استقال لاعتلال صحته فاquil وسار من بحر الغزال الي الخرطوم فسواكن حتي ادركته المنية بالسويس قبل ان يبلغ القاهرة وخلفه في وظيفته (موسي باشا شوقي) من الضباط المصريين فاستقر قدمه فيها لخلوها من النخاسين الذين هم مصدر كل الشرور والفتن . أما رابع فانه من أولاد العساكر السود

الاقدام والهجوم وكان معه نحو ١٠٠٠٠ نفر فانهز سليمان الفرصة وجمع ٣٠٠٠ نفر من الرقيق غير ان جسي اعتق بعض أنفاره مكافأة لهم علي خدمتهم ثم حصلت مناوشات انتصر فيها جسي وفي ٥ مايو حصلت ملحمة عظمت انهمز فيها العدو شر هزيمة فعزم جسي على أخذ القلعة بالهجوم ففاز بذلك وهرب سليمان نفسه ومعه نفران وترك جميع الذخائر والمكاتبات التي يستفاد منها خيانة أبيه زبير باشا وكذلك ترك ألف جنيه من ريالات فضة و ٦٣٠ رطل عاج وكيس ذهب وحوالات كانت مع التجار المصريين لشراء الرقيق والعاج وريش النعام يبلغ مقدارها نحو ٢٠٠٠٠ ريال أي ٤٠٠٠ جنيه وغير ذلك من المواد والمهمات وأصدر جسي أمراً بقتل كل من يتعدي علي أحد من الاهالي وشنق تسعة من كبار المذنبين عبرة ليعتبر بها باقي تجار الرقيق وقتل ثمانية من الزعماء في الواقعة الاخيرة وفي عزم جسي تجريد الاهالي من الاسلحة بدون فرق وطرد جميع تجار الرقيق

## تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزال

وبعد أن زج ادریس أبتري في السجن أصدر غردون باشا أمراً بتعيين جسی باشا وهو ايطالي الاصل مديراً على بحر الغزال وعهد اليه اخضاع سليمان ابن الزبير ومقاومة عصيانه ولدى وصوله الى بحر الغزال بدأ بمطاردته وحشد عشرة آلاف جندي لمقاومته وجرت بينهما وقائع عديدة كان النصر في جميعها حليف جنود الحكومة وفر سليمان بن الزبير الى برية بين بحر الغزال ودارفور تدعى ( حفرة النحاس ) فتأثره جسی باشا حتى أدركه وليس معه أكثر من أربعائة مقاتل من المبيد البازنجار خارت قواهم ولم يعودوا قادرين على مداومة القتال وكان راجح الذي قيل انه مملوك الزبير باشا من ضمن أولئك البازنجار فاستمال اليه نحو نصفهم وزين لهم الفرار والالتجاء الى القلوات الواقعة بين دارفور وبحر الغزال ريثما يتناسي الناس أمرهم فيعودوا الى أوطانهم بعد انطفاء جذوة غضب رجال الحكومة على تجار الرقيق فاطاعوه وفروا الى جهة الجنوب الغربي من حفرة النحاس وقبل أن يتبعوا عن معسكر ابن الزبير بعشرة أميال انقض عليه جسی باشا وقبض على من فيه وقتل ابن الزبير واثنين وعشرين رجلاً من أشهر النحاسين الذين معه <sup>(١)</sup> ولم

(١) جاء في العدد ٩٨٤ من جريدة الجوائب بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٢٩٧ نقلاً عن الجرائد المصرية . وقد قال أحد مكاتب التيمس ان الاخبار الواردة من غردون باشا عند ما كان في دارفور تفيد ان القائمقام جسي انتصر أخيراً على تجار الرقيق في اقليم بحر الغزال كما انتصرت الانكليز على الزولوس وذكر المسترجعي خبر نصرته بالايجاز . وخواه انه لما هجم سليمان أحد زعماء العصاة هزمه المسترجعي واقبى أثره مدة أميال فانقلب سليمان الى حصنه ولم يمكن المسترجعي أن يستمر مقتنياً أثره بسبب عدم وجود المؤنة معه فمكث لغاية ٢٨ ابريل الي أن أتته الذخيرة الكافية فشرع في

انه أقدم على هذا الامر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب ورجاني اعطاه  
عساكر لمقاومة عصياناه وردده عن طغيانه فقلت له لا بد أن تكون أنت  
السبب في عصيان هذا الرجل ثم استفهمت عن حقيقة ماجرى من القاضي  
والضابط اللذين اصطحبهما معه ادريس بك فحاولا أولاً مداراة مديرهم ثم رأيا  
أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان. وهو أن ادريس أبتز لما  
وصل الى زربية شركة المعلم غطاس أدب له مستخدمو الشركة وجلبهم من الدناقلة  
بنى جلده مائدة حوت كثيراً من أنواع المسكرات فلما لعبت بعقله بنت الحان  
أخذ يقول انه تعين مديراً غماً عن ابراهيم بك فوزي وانه أنفق في هذا السبيل  
ألف جنيه للقنصل فريدريك الذي تقدم لنا ذكر شأنه معه ولا بد من استعاضته  
بتوزيعه على موظفي المديرية ثم لا بد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن  
الزبير وتخريب زربته وقتله وصار يتفوه بالفاظ السباب والشتائم في حق ابن  
الزبير فلما بلغ ذلك سليمان بن الزبير قام هاجماً على مركز المديرية وكان منه ما كان  
مما أخبر به ادريس أبتز وكان ذلك قبل وصول ادريس أبتز الى مركز المديرية  
فلما نفي اليه الخبر اعتصم بالفرار لينجو بحياته وكان من أمر اجتماعه بنا في  
الطريق ما ذكرناه

وعلى أثر ذلك أرسلت ادريس أبتز الى غردون مخفوقاً بعشرة من العساكر  
وواحد من الضباط وكذلك أرسلت له الاوراق التي باشرت فيها التحقيق  
وفيها «ان ادريس ابتز كان قد أخذ العهد على أولئك الذين قصدوا مدارته في أول  
الامر بكتفهم ما حصل منه ثم عادوا الى الاعتراف بالحقيقة» وما بلغ ادريس ابتز  
الخرطوم حتي زجه غردون باشا في السجن

وسافر هو كذلك الى مقر وظيفته على وابور (الصفاية) وظللنا سائرين معاً حتى وصلنا الى بحيرة تدعى (ميمعة السنيوره) وهى التى بها مدخل بحر الغزال من الجهة الغربية وطريق خط الاستواء بالجهة الجنوبية وهناك افترقنا بعد ما كررت له النصيحة السابقة وما زلت سائراً فى بحر خط الاستواء حتى وصلت الى (اللاذوه مركز عموم الاقاليم الاستوائية) وهناك أصدرت منشوراً عمومياً أبلغهم به الاوامر الجديدة بتعيينى مديراً على تلك الاقاليم وقومندانا على عساكرها وبالاعمال اللازمة لاستتباب الامن العام وسعادة البلاد ثم رأيت أن لا أطيل الاقامة فى مركز وظيفتي قبل أن أمر على مراكز المديريات لتفقد حالة العمال والاهالى وهكذا سرت أنتقل من جهة الى جهة مدة أربعين يوماً ثم عدت الى اللاذوه ثانية وأقمت بها نحو خمسة عشر يوماً ثم بعدها متابعاً المرور شمالاً قاصداً مديرتي (بور وسبت) وبينما كنت سائراً بوابور الاسماعيلية فى مرمى هذا شمال مديرية (بور) قبل أن أدرك محطة (شانيه) بنصف ساعة اذ سمعت لغطاً كثيراً من العساكر الذين معي فسألهم عن سببه فأخبروني ان أناساً سائرين على الشاطئ حاملين راية حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم فى الهواء استغاثاتنا فقممت وأخذت منظاري بيدى وتحققت من أمرهم فأمرت برسو الوابور وانتظارهم وبعد هنيهة وصلوا اليانا واذا بادريس بك أبتى مدير بحر الغزال مقبلاً علينا فاندشت لرؤيته فى هذا المكان وسألته عن سبب قدومه فأخبرني ان سليمان بن الزبير قد هجم على مركز المديرية وأخذ كل ما فيه من الاسلحة والذخائر فاستفهمت منه عن السبب الذى حمله على فعله هذا مع انه أقام فى هذه المديرية سنة كاملة لم يقدم فى خلالها على مثل هذا الامر فأنكر إدريس بك السبب الحقيقى قائلاً



الجناب الخديوي بالقاهرة التمس فيها الاحسان على برتبة الاميرالاي والوسام  
الجيدى الثالث اه وما مضى يومان حتى جاءت الاجابة من لدن الحضرة الفخيمة  
الخديوية وكان ذلك فى شهر محرم سنة ١٢٩٥ هجرية

## استقالة المؤلف

( من مديرية بحر الغزال )

« وتعيينه حاكماً على مديريات خط الاستواء وتعيين ادريس أبتر بدله »  
ذكرت مالم بصحتي من الانحراف بسبب سوء تأثير هواء بحر الغزال  
عليها فلما رأيت اصرار غردون على الصفع عن ادريس أبتر واعادته الى بحر  
الغزال رأيت الفرصة مناسبة لان أستقيل محتجاً باعتلال صحتي والظاهر ان  
غردون رأى في هذه الاستقالة أيضاً فرصة مناسبة لارضائي وارضاء ادريس  
ابتر معاً فقبل استقالتى وعينى في الحال حاكماً عاماً على أقاليم خط الاستواء  
بدلاً من براوت بك الاميركاني الاصل الذى كان حاكماً عليها قبل ذلك . ثم  
أصدر أمره بتعيين ادريس أبتر مديراً على بحر الغزال والتمس له من الجناب  
الخديوي الرتبة الثالثة

ثم أمرت بمبارحة الخرطوم فأخذت فى أهبة السفر وعندئذ استدعاني  
الكوكونيل غردون للتوفيق بيني وبين ادريس ابتر فأصلح ما بيننا . ويقيني أن منعة  
تعيينه ستكون وبالاً على بحر الغزال ومع ذلك قد محضته النصيح فى أمور  
كثيرة أخصها أن يكف عن مناوأة سليمان بن الزبير وأوضحته له صعوبة  
عمله اذا لم يكن معه على صفاء

وبعد ذلك بارحت الخرطوم قاصداً مقر وظيفتى على وابور ( الاسماعيليه )

الى سوا كن فاستأذنته تلغرافياً في اعطاء الشركات ما يخصها من تلك السلع فاذن  
لى وبلغت قيمة ماخص الحكومة مما جلبت اليها مئة الف جنيه أو دعت  
بخزينة المالية بالخرطوم

### شأن ادريس ابتر بعد ذلك

تقدم لى الكلام على ادريس ابتر وزجى اياه في السجن لما تبينته من  
حاله فلما عدت الى الخرطوم جلبته معي اليها مخافة أن يكون في بقاءه هناك  
ما يجلب الشرور والمفاسد

وكانت عنده في بحر الغزال كمية وافرة من سن الفيل أخذناها منه كما  
أخذنا مثلها من الشركات الاخرى ونقدناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم.  
والمال كما يقال أقوى شفيع للانسان في كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال  
معه من استمالة قنصل المانيا بالخرطوم اليه وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون  
تلغرافيا بان ادريس ابتر قد سجن ظلماً وانه برىء من كل ما نسب اليه والقنصل  
المذكور كان من أخص اصدقاء الكولونيل غردون ويشق به ثقة عمياء ولدى عودة  
الكولونيل غردون من سوا كن ذهبت للقائه خارج المدينة على احدى البواخر  
ومعي الفريق عثمان رفقى باشا القائد العام للجند السودانية وقتئذ فأول كلام  
فاتحني به رغبته في عودة ادريس ابتر الى بحر الغزال فاخذت اشرح له بأدلة  
ما عساه يقع من عودة هذا الرجل وبينت له باسباب أعماله السيئة الماضية فلم  
يكترث بشيء من ذلك وأصر على ارجاءه وكان خطابه لى بالفاظ الاستعطاف لا  
الامر حتى انقطع حديثنا بالوصول الى المدينة والاشتغال بما أعد له من الاستقبال  
الرسمى وعلى أثر وصوله الى سراى الحكمدارية طير رساله تلغرافية الى

وقد سألت عن الذين يأكلون لحوم البشر منهم فعلمت أنهم أهل قبيلتين فقط من بلاد النَّمَم وليس ذلك من عادة القبائل كلها وأن أكل الانسان عند تينك القبيلتين ليس دائماً وفي كل حال بل اذا مرض أحدهم وغلب اليأس من شفائه أسلمته قبيلته الى الاخرى لتأكله كما تفعل الثانية بمريضها مع الاولى ومن ذلك يتبين ان اكل لحوم البشر في بلاد نَمَم ليس غذاءً عادياً لهم كما يتوهم البعض بل هي طريقة اتخذوها لبيان معزة أحدهم عند الموت ويرونها اسمي شأنًا من دفن الانسان في القبر أو احراقه بالنار مثلاً. ويرون في ذلك راحة لهم من غناء انشاء المقابر واحتياطاتها الصحية

أما سكان قورقورو وهي من ذلك الاقليم أيضاً فهم بيض الوجوه صفر الشعور زرق العيون كانهم أوروبيون يعيشون في القارة الاوربية ولكنهم يخالفونهم في زيادة الشقرة في اللون حتي ان الرائي ليستغرب وجود مثل هؤلاء الناس في وسط القارة الافريقية وعلى القرب من خط الزوال

وفي هذه البلاد حيوان يسمى ( البعام ) أشبه شيء بالانسان في صوته وقامته يستأنس كالقردة وله شعر مسترسل خلف ظهره وعلى جانبيه فائق في طوله جميل في منظره يتغزل به السودانيون كما تغزل العرب في عيون الجآذر والغزلان

وتجاور أهل قورقورو قبيلة تسمى ( تيكمتيكه ) أهلها أقصر ما رأيت قامت وهم على غاية من الوحشية في معيشتهم ونفورهم من غير ابناء قومهم وبعد ما تجولت في هذه المديرية زمناً أصابني مرض شديد اضطررت معه الى الاستئذان في العودة الى الخرطوم فعدت وأخذت معي ما جمعت من سن الفيل وريش النعام ولسكن عند وصولي اليها كان الكولونيل غردون قد ذهب

مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فرأيت أن أزجه في السجن  
لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره



### ببلاد نمم

ومما يتصل ببحر الغزال بلاد النمام وبلاد ( القورقرة ) التي تكثر فيها  
البغاة ذات الذنب الاحمر

ولذلك أخذت أنتقل من مشاريع التجار حتى وصلت الى تلك الجهات  
وأهل النمم حمر الالوان نحاسيون عراة الاجساد غير أن نساءهم يسترن  
عوراتهن بالحشائش الخضراء التي يغيرنها كلما جفت وكل ما يملكون من انواع  
الحيوانات وطيور الدجاج التي تفوق العد على قدر ما يناسب حال كل منهم  
وكذلك الكلاب ولحمها عندهم أغفر ما يأكلون وهو طعام امراءهم ولذا  
كانت قليلة عندهم

واراضيهم واسعة خصبة تثبت قصب السكر والذرة والموز ينبت وحده  
في غابات شاسعة لكثرة نزول الامطار هناك

وفي طرف من هذه البلاد جبل يسمى (جبل الدنبو) لاهليه رجالا ونساء  
شفف كبير بالغناء يضربون الالحان على السفافير وهي ضرب من الناي باتقان  
عجيب ومن عادتهم أن ينزلوا في رأس كل عام وقت الحصاد ويمروا على البلدان  
وأجرات المحاصيل للتسول بغنائهم فيجمعون قوت عامهم ويعودون الى  
بلادهم وهم يصطادون الوحوش والطيور والفيالة لاكل لحومها وهم أنعم  
أهالى تلك الجهات مراسا وأضعفهم جانبا لا يعتدون على أحد كما لا يعتدى  
أحد عليهم

يقال له (مشرع الرق) على الشاطئ الغربي من بحر الغزال وهناك تعطل سير السفن بسبب الغابات الكثيفة التي تسد البحر في نقط كثيرة منه فطلعنا الى محطة المشرع وهي صحراء واسعة فأقمنا بها زريبة من الشوك مربعة الاضلاع ونصبنا بها الخيام ورفعنا عليها علم الحكومة اعلانا بفتح هذه الجهة ثم أرسلنا رسلا الى مشايخ القبائل فحضروا وأعلمناهم بدخولهم في ولاية الحكومة فأظهروا الخضوع والسرور وتبادلوا البيع والشراء مع العساكر

ثم كتبنا منشوراً الى جميع الجهات اعلانا لوكلاء الكبابين (الشركات) والاهالي بصيرورتهم من رعايا الحكومة المصرية وأن يحضر أولئك الوكلاء والاعيان الى مركز (مشرع الرق) ولم تمض أيام قلائل حتى حضر قناوى بك أبوعمورى ونظاره (وكلاؤه) ومشايخه على القبائل طائعين وحضر أيضا وكلاء الخواجا غطاس وهو من مشاهير التجار وأصحاب القومبانيات الكبيرة وهكذا أخذ رؤساء التجار يفدون واحداً بعد آخر اظهاراً لطاعتهم وسرورهم بامتداد سلطة الحكومة المصرية عليهم وكنا نأخذ من رجالهم الاسلحة وحصص الحكومة من أنواع التجارات المحتكرة لها كالريش والصمغ وشن الفيل ومقدار هذه الحصص كان مقدراً بثلاثة أخماسها الا أنهم كانوا يظهرون التضمر من قلة ما تتركه الحكومة والتمسوا في نظير ذلك ان تعفيهم الحكومة من أجرة نقل بضائهم على مراكبها بين بحر الغزال والخرطوم

وقد استلزم الحال أن توجه الى أماكن هذه الشركات التجارية واحداً بعد آخر لقسم حصصها وضبط نصاب الحكومة منها واستصدرنا أمراً من حكمدار عموم السودان باجابة ما التمس أولئك التجار فصدر الأمر بذلك وفي خلال ذلك تبينت من أمر (ادريس أبتر) انه رجل غير مستقيم



## مدير يات بحر الغزال

﴿ تعيين المؤلف مديرا لبحر الغزال - وبداية حوادث ادريس أبتر ﴾

حضر الي الخرطوم على أثر تعيين غردون حكمدارا لعموم السودان وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر من جهة بحر الغزال رجل اسمه « ادريس أبتر » وهو دتقلاوى الاصل اشتغل بالتجارة مجتهدا فآثري وصار من رؤساء الكبابين . وطلب مقابلة غردون فأجيب طلبه وأخذ يقص على مسامعه من أعمال سليمان بن الزبير باشا - وكان رئيس قومبانية أيضا - ماهيج أعصابه من أعمال الظلم والقسوة والسلب والنك والتهتك الخ وحسن له ضم جهات بحر الغزال الى سلطة الحكومة الخديوية وذكر له من خيراتها ما حرك أمياله نحوها ولذلك سأل السدة الخديوية اصدار الامر الذي أشرنا اليه قبل فصدر ثم عقد مجلسا من كبار ضباط الجهادية هناك لانتخاب مدير لعموم بحر الغزال فاستقر رأيهم على تعييني مديرا لها وقد أسر الي غردون وقتئذ ان سليمان بن الزبير باشا طامح الي الاستقلال ببحر الغزال وانه يجند حوله جنودا ويستطيل على الشركات التجارية هناك حتى أوجس التجار منه خيفة ولهذا رغب أن أستصحب معي قوة كبيرة وبعض المدافع والذخائر الحربية والاسلحة الكافية فاستصحبت ستة بلوكات بضباطهم وعددهم وأخذت جملة فصائل من الباشيزوق بأسلحتهم ومدفعين جبليين وساروخين حربيين وبلوكين من الفرسان وسرنا هكذا على ثلاث وابورات وخمس عشرة سفينة شراعية قاصدين بحر الغزال بطريق البحر الابيض ولما وصلنا الي فشوده أخذنا من جندها ثلاثة بلوكات من الجهادية أيضا وتابعنا سيرنا حتي وصلنا الي مشرع

عشرة أيام في القاهرة ثم غادرها الى انكلترا . وكنت أخذت اجازة منه أن أقيم في مصر مدة الثلاثة أشهر التي عزم على قضائها في أوروبا الا أنه بعد مضي شهرين ورد لي منه وهو في انكلترا تلغراف أن أبارح القاهرة قاصدا عموم خط الاستواء بصفة وكيل حكمداره العام فصعدت بالامر

### تعيين غردون حكمدار العموم خط الاسواء

ولم أكد أصل الى بربر في طريقي حتى علمت من وكيل مديريتها بصدور أمر عال من الخديوي يعين به الكولونيل غردون حكمداراً عاماً لجميع البلاد السودانية المصرية ولسواحل البحر الاحمر وبذلك فصل اسماعيل باشا أيوب من وظيفة حكمدارية السودان . ثم علمت أيضاً بورود تلغراف للمديرية يفيد عودة غردون باشا الى مصر وقصده مباشرة مصوع . ثم حصلت الخبارة بيني وبينه بالتلغراف فأشار عليّ أن أبقى بالخرطوم الى حين وصوله . وقد كان ذلك فاني بارحت بربر قاصداً الخرطوم وهناك انتظرت الكولونيل غردون حتي وصل اليها واستقبل الاستقبال اللائق بل الفائق من كل وجه وأكثر من الاعطية والالعامات على مشايخ القبائل والاعيان مما لم يروه قبل من حكمدار . وكان فرمان تعيينه يمنحه السلطة المطلقة التي يتصرف بها على ما يراه موافقا لمادة السودان وتنظيم أحواله الخ

وعلى أثر ذلك صدر أمره بتعييني باشمعاونا لحكمدارية عموم السودان وكانت هي الوظيفة التالية لوظيفة وكيل حكمدار عموم السودان وفي ذلك الحين صدر أمر خديوي بضم جهات بحر النزال الى أملاك الحكومة المصرية وكانت لا تزال في سلطة أصحاب الكبابين (الشركات)

والعكس بالعكس مراعيًا في ذلك تخالف الاميال ونفرة القبائل التي كانت  
مستحكمة عملاً بقادة احكم كل جهة باعدادها وهكذا كلما احتاج الى عساكر  
يرسلها الى جهة ينتخبهم من اعدادها لتأييد سلطته بذلك على الجميع

### تعيين المولف مديراً لبور والغربية

وبعد مضي بضعة أسابيع على عودتنا من جهة (مرولي) أصدر غردون أمراً  
بتعييني مديراً عمومياً على مديرتي بور والغربية وهما من اكبر مديريات خط  
الاستواء وقد أعلن هذا التعيين في خطبة القاها على مجمع من الضباط  
وكان تاريخ تعييني هذا تاريخ ترقيتي الى رتبة البكباشي في أوائل سنة ١٩٠٤ هجرية  
وبعد ان استلمت الاوامر وكل ما يلزم من قوت وذخيرة قمت على وابور  
(المنصورة) الى مقر وظيفتي

وقد بقيت في هذه الجهة نحو ثلاثة أشهر أعمل طبق الاوامر التي  
كان يصدرها لي مدير عموم خط الاستواء الكولونيل غردون الذي ظل هذه  
المدة يغدو ويروح بين شمال القطر وجنوبه وشرقيه وغربيه  
وفي خلال هذه السنة بعث لي أمراً بالنزول الى القطر المصري في صحبته  
وعين بدلي القائم مقام الطيب بك الذي سيأتي الكلام عنه. وقد كان ذلك وعدنا  
على بركة الله الى القاهرة وقابل الكولونيل غردون يوم وصولنا المرحوم الحديو  
الاسبق وكنت معه في هذه المقابلة فأنعم علي برتبة القائم مقام وكان ذلك في  
شهر رمضان سنة ١٢٩٤ لان الكولونيل غردون أحسن الشهادة في حق كثير  
وبعد هذه المقابلة عدنا الى قصر النزهة حيث كان غردون نازلاً وظل

اشتد الحصار عليهم وقلَّ زادهم وعندهم تجارة واسعة وأموال كثيرة  
ويطلبون النجدة في أقرب وقت والا وقعوا في الأسر والقتل ونهب مالههم  
فاضطر الكولونيل غردون ان يجهز حملة بعث بها الى تلك الجهة تحت  
قيادة الصاغ محمد اغا عبد الكافي وأصله من ضباط الجهادية السود فسار الي  
(اللاتوكه) في طريق كلاه جبال وعرة يسكنها همج العبيد الذين كانوا يتعرضون  
له فيقاتلهم ويظفر بهم بأسلحته النارية وما زال كذلك حتي وصل الى الجهة التي  
يقصدها ورأى هناك وكيل السيد احمد العقاد واسمه طه بن محمد ومعه  
مصريون نخلصهم من الورطة التي كانوا فيها وجاء بهم وبأمتعتهم وبضعة آلاف  
حمار من حمر اللاتوكه هي ذات ألوان خضراء تمشى الهويناء كما يمشى البقر وتدر  
البانها كما تدر البقر وهم يستعملونها لذلك لا للركوب والحمل وعادوا بجميع  
ذلك الى (اللاذوه) وقد أخذ العجب منا كل مأخذ لرؤية هذه الحمر الغريبة  
في شكلها ومعيشتها ورأى الكولونيل غردون ان يوزعها على الضباط والعساكر  
فأشار ان تدرب شيئاً فشيئاً بالركوب والحمل وقد دربت حتى أمكن  
استعمالها لذلك بكل صعوبة ثم رأى ان يترك نقطة (اللاتوكه) فلا تكون  
تابعة للحكومة المصرية لبعدها وقلة خيراتها

ولما رأى الكولونيل غردون أن جهات خط الاستواء الشاسعة صارت  
في قبضة الحكومة المصرية مع ترمى اطرافها وقلة الجنود الذين عنده اختار  
ان يضم الى قوته بعض العبيد الذين كانوا عساكر مأجورين لزرائب التجار  
وقد قبلوا ذلك فاخذ منهم ألفي عبد انخرطوا في سلك عساكرنا وصاروا  
بعد ذلك أحسن الجنود دربة ونظاماً ولكن كان يراعى في اقامتهم بعدهم من  
مراكزهم الاصلية فالذي أصله من جهة الغرب يبعث به الى نقطة في الشرق

لا سائل عنهم حتي كانوا يمشون الوقت الطويل بلا قوت يكاد يقتلهم الجوع  
فاضطروا أن يرجعوا من حيث أتوا

ويظهر من ذلك أن ( الملك أم تيسه ) كان منافقا ينظر إلى مصلحة نفسه  
ويستعمل كل غش وتدليس في طريق الحصول عليها فانه كان يرغب في الدين  
الاسلامي قبل ان يتحقق من مسيحية غردون فلما عرف انه نصراني عول عن  
رغبته الاولى واعتنق النصرانية دينا . ولذلك كانت عنده الرايتان المصرية  
والانجليزية فاذا حضر سباح من الانجليز ادعي انه خاضع لسلطة الانكيز  
ورفع الراية الانجليزية واذا حضر أحد من قبل المصريين رفع العلم المصرى  
بحجة انه تابع للحكومة المصرية ولكن انتهى أمره لرفع العلم الانجليزي دائما  
ولذلك تركه الكولونيل غردون على حاله واعتبر ( مديرية مرولى )  
آخر حدود السلطة المصرية وكانت هذه المدينة مركزا للمديرية المسماة باسمها  
وأول من عين لها القائم مقام محمد ابراهيم بك وأصله من موالييد السودان  
وشهرته ابن جميعه

وبعد تأسيس المديرية على هذا الاعتبار رجعنا الى مركز ( اللادوه )  
وكانت طريقنا آمنة مطمئنة وفرح أهالى اللادوه بعودتنا فرحاً عظيماً وخصوصاً  
لفتحنا البلاد الكثيرة حتى صارت مدينتهم عاصمة لقطر شاسع كثير الخيرات  
والبركات يأملون ان يكون لها مستقبل عمران عظيم كمواصم الممالك الكبرى  
وتخلص هؤلاء الاهالي من سلطة التجار أصحاب الكباين ( الشركات )  
المستبدين . وعقب أن وصلنا الى اللادوه ببضعة أيام جاءت الاخبار من ( اللاتوكه )  
وهي جهة بينها وبين ( كندكرو ) مسافة اثني عشر يوما بان زرائب السيد أحمد  
العقاد وجماعة من التجار الآخرين مضايقة من العبيد مضايقة شديدة وقد



رأسه عمامة كعمائم أهل مكة وفي رجله الجوارب والنعال الأحمر ويسكن بناء منظماً وكان عنده شاب أصله من أبناء جنسه ولكنه تربى في زنجبار فعرف اللغتين الانكليزية والعربية فوق لغته الأصلية واسمه (مفتاح) فاتخذة ترجماناً له ولكثرة ما كان يأتيه السياح من جهة الزنجبار عرف الاخذ والعطاء ومبادلة الهدايا والسؤال عن الاحوال العمومية

لذلك كان الملك أمتيسه أقوى حكام مجاهل أفريقيا وكان أهله على درجة من التقدم نوعاً عن أهالي الجهات الأخرى وقد أحسنوا زراعة الكروم خلاف ما يخرج عندهم من أشجار الفواكه اللذيذة العديدة في غابات شاسعة يتشى المسافر في ظلها أياماً طويلة لا يكاد ينتهى لآخرها

ولما استقرت قدمنا في بلاد الملك أمتيسه وتبادل الكولونيل غردون معه مخبرات المودة خطر على باله أن يدعو للإسلام لانه دين الحكومة المصرية الرسمي لان الملك أمتيسه وقومه مجوس يعبدون الاصنام والتماثيل فأجابه بالقبول وطلب منه أن يرسل اليه علماء لتعليمه وقومه أحوال الدين الاسلامي ففي الحال أرسل الكولونيل غردون له اثنين من أئمة الاورط واثنين من الخلقين ليجريالهم طريقة الختان فاستقبلتهم الملك (أمتيسه) بالحنافاة والاکرام ثم ضرب موعداً لمقابلة الامامين فتوجها اليه وقابلاه ولكن قد وجدنا عنده أربعة من القسوس وأصلهم من المبعوثين البروتستانت جاؤا اليه من ناحية الزنجبار فجعل هؤلاء عن يمينه والآخرين عن شماله وأخذ يسأل كل فريق عن أصول دينه وكأنه لما تحقق بالسؤال من الامامين أن غردون مسيحي دينه دين هؤلاء القسوس اختار الدين المسيحي وكتب الى غردون يستشير في دخوله في النصرانية بعد ما ترك دينك الفقيمين ورفيقيهما الخلقين أياماً عديدة مهملين

مهما كانت عظيمة. ثم سأل الكولونيل غردون عن سبب مجيئه الى بلاد الملك أمتيه  
لينازعه فيها قاتلا عن لسان ملكه اننا راضون عن حالتنا وما نبثنا لكم الشكوي  
أو العوز لحاجة ونحن في غنى عن مدينةكم التي تسلمنا نعيمنا واستقلنا الذي  
نحن فيه

وبعد مخبرات دارت على هذا النمط اذن الملك أمتيه للكولونيل  
غردون أن يشيد المحطة التي يريد تشييدها في مرولي واذن للاهالي أن يعودوا  
الى بلادهم وأن يتبادلوا مع العساكر البيع والشراء. وكان ذلك سببا في زيارة  
مشايخ وأعيان البلاد للكولونيل غردون فأهداهم الهدايا الفاخرة وخلع  
عليهم الخلع النفيسة حتي استمالهم كثيرا بجانبه واستعان بهم على حفر الخندق  
واقامة الاستحكام اللذين اراد انشاءهما وبعد أن أتم بناء المحطة بكل لوازمها  
رفع عليها العلم المصري وأطلق ٢١ مدفعا اعلانا بفتح هذه المديرية وكان الملك  
أمتيه يتظاهرها تجاه كل ذلك بالمحبة والوداد ويقول اننا نكون يدًا واحدة وأستمد  
قوتي من الحكومة المصرية في بسط سلطتي على الرعية وتأمينها واسعادها  
وكان الكولونيل غردون أرسل الى مصر ليستحضر للملك أمتيه عربية  
يركبها -- وهي التي كان يركبها التعايشي في أيام دولته كما سيحيى --

أما أراضي مديرية مرولي فهي من أخصب الاراضي الافريقية وكانت  
بلادها عامرة وأهاليها متقدمين في الزراعة وماشيتها من البقر والغنم كثيرة  
وملابس أهلها منسوجة نسجا دقيقا من لحاء أشجار هناك يقشرونها ويدقونها  
دقا يصيرها أشبه شيء بالتيل في خيوطه الدقيقة. وألبستهم الازر يلفونها لفاقي  
أوساطهم ليستروا بها انصافهم السفلي

أما الملك أمتيه نفسه فكان يلبس القباطي الحريرية من صنع الزنجبار وعلى

أمّتيه وأرى أن أخباركم واصله اليه أولاً فأولاً عن كل حركة وسكون فاذا  
شئتم نجاتي فاحملوني معكم واحسبوني منكم أني سرتم فقبيله الكولونيل  
غردون وأكرمه وأمر بحمله على عنقريب من الحشب فوق أكتاف الرجال  
وظل معنا الى أن فتحنا مديرية مرولي

### كيفية فتح مرولي

لما وصلنا الي أول بلاد هذه المديرية من حوزة الملك وشرعنا في بناء  
مركز تتخذ محطة أولي لنا أخذ العبيد يناوشونا القتال حتى يشغلونا عن  
تشيد المحطة وظلمنا على ذلك زمناً طويلاً فلا هم مجتمعون لقتالنا بانتظام ولا هم  
تاركونا لهيئاً لنا مركزاً نقيم فيه مطمئنين

ثم بدا للسكرولونيل غردون أن يخبر أمّتيه فعاتبه على فراره الا هالي  
من وجوهنا وتركهم بلادهم حتي لا نستعين بهم على قضاء حوائجنا ثم أخطره  
بأننا آتون باسم الحكومة المصرية وهي قوية السلطان شديدة البأس لا تريد  
من هذه البلاد الا أن تعمم فيها المدنية والعدالة وتفتحها لخير التجارة التي بها  
يتبادل الناس منافعهم فان كان الملك أمّتيه يريد لبلاده خيراً صافى الحكومة  
المصرية واستظل تحت ظل علمها الوارف والآثمة بجنود لا قبل له بها وأرته  
من قوتها واقتدارها ما يدك الجبال الرواسي ويرغم أنوف الجبابرة . وهأنا  
مقيم بمرولي انتظر منكم الرد بما تستصوبون

فلم تمض أربعة أيام حتى حضر رسول من عند الملك أمّتيه يلوم غردون  
على تهديده الملك من حيث لا يعلم كنه قوته وهو في بلاده وقادر على أن ينزل  
به وبمن معه البلاء العظيم فلا تنفعه قوة الحكومة المصرية اذا استنجد بها

## الملك أمتيسه وامره في بلاد

وعلى ذلك جردنا حملة قوية كثيرة العدد والعدد ولم تترك في مركز فاتوكه سوي بلوك واحد بضباطه وسرنا على بركة الله الى جهة (مرولي) وهي تبعد عن المركز الذي كنا فيه مسيرة ثلاثة أيام في البحر وكلما أتينا بلدا في طريقنا وجدنا أهلها قد هجروها ولم نعث الا على شيخ طاعن في السن ضعفت رجلاه عن الانتقال به وكأنهم غفلوا عنه فلم يحملوه معهم فسألناه عن فرار الالهالي من وجهنا فأجاب انهم فروا حتي لا يقابلوكم بلا اذن من الملك أمتيسه وأنتم في مروركم لا بد أن تحتاجوا الى شيء من الطعام أو الى شربة ماء على الاقل فاذا بقوا في ديارهم لا يبعد أن يجيئوكم الى ماتسألون ولو بالدرهم وهذا مما يغضب الملك ويوجب نقمته عليهم كما حصل في أمر السباح الذين كانوا آتين من بلاد الزنجبار فقال له الكولونيل غردون اذن الالهالي غير ملومين على مهاجرتهم من بلادهم ثم التفت الى الرجل وقال اننا صرنا نخشى عليك السوء من ملكك لانك قابلتنا وجاوبتنا على سؤالنا فماذا تفعل اذا فقال الرجل أما أنا فستري مني ماذا أصنع ثم قبض بيده على حربة صغيرة وقال هاأنا ألوذ بكم فاعتبروني واحداً منكم وقد صرت أخشى أن ينم على الحजर والمدر والشجر الى الملك الذي له من كل شيء واش ورقيب . فضحك غردون وقال قد بالغت أيها الرجل فكيف تصل سطوة أمتيسه الي هذا الحد وكيف يكون له من كل شيء رقيب عليكم . فقال الرجل لان جميع الاشجار التي ترونها لا بد وأن تكون نخبة العدد العديد من أعوان الملك

الزمن كحضورين نخابر الالهين بالتسليم والطاعة فيأبون

فلما مللنا الإقامة عجزم السكولونيل غردون على مهاجمتهم . ففي صبيحة يوم أخذ معه خمسة بلوكات مسلحة بالرامنتون وترك بلوكا واحدا لخفارة الاستحكام وتوجه اليهم في غلس الظلام فلم تسكد العين تقع على العين حتي أصلتهم جنودنا نارا حامية فلم يصبروا عليها وولوا الادبار وامتلكنا ذرايرهم وقرامهم بجميع ما فيها من ماشية ودواب وأثاث فأخذنا هذه الاسلاب كلها وعدنا الى المركز على البركة ومن جملة ما أخذنا عدد كثير من نساء وأولاد المشايخ والاهالي وكان وجود هؤلاء معناداعية الى عودة المشايخ والاعيان الى طلب الغفر عنهم على أن يكونوا عبيدا للحكومة عوناً لها على أعدائها

فلما جاءت رسلهم الى السكولونيل غردون عصر يوم الواقعة المذكورة قبل منهم توبتهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق ( وهم يعتقدون في الله فقط ) على ما قالوه وسلمهم الاسرى والابقار والاغنام على أن يرسلوا مشايخهم وأعيانهم نجوا طائعين وعلامة الخضوع أنهم كانوا يضعون التراب في أفواههم كمادتهم ثم اتفق معهم على أن يسيروا به الى جهة ( مرولي ) من أراضى الملك أمتيسه وأن يأتوا له بالرجال ليحملوا الامتعة والذخائر الحربية بالاجرة فأجابوه سمعاً وطاعة ولكنهم قالوا ان أمتيسه ملك جبار عظيم السطوة شديد البأس كبير القوة وعنده الاسلحة النارية والمدافع ونخشي أن يعرف منا اننا نحن أدلاءكم اليه فيرسل لنا بعدئذ قوة من رجاله يسفكون دماءنا وينهبون اموالنا ويهتكون أعراضنا فقال لهم السكولونيل غردون لا بأس عليكم فانتم الآن رعية الحكومة المصرية ومن واجباتها أن تحفظكم من أعدائكم وتؤمنكم في دياركم وانا ذاهبون اليه ندعوه وقومه الى طاعة الحكومة الخديوية فان



المحطة وبين محطة (الدفليه) بواسطة الوابور الذي معنا وبواسطة جملة سفن شراعية  
انشتت خلال ذلك

وبعد أن اطمأن الكولونيل غردون على مركز الحكومة الذي شيدها  
في جهة (ماقتقوا) عدنا الى محطة الدفليه ثم توجهنا الى محطة اللادوه مركز  
العموم وكان قد تم صعود النيل فركبنا الواپورات الصغيرة التي معنا وعدنا  
ثانيا بطريق البحر تارة والبر اخري الى جهة الدفليه كي نرتب الواپورات الصغيرة  
والسفن بين كل شلال وآخر حتي تكون الملاحة متصلة بين اللادوه والدفليه تماما  
أما الواپورات الصغيرة المذكورة فقد كانت الحكومة أرسلتها لنا قطعاً  
داخل صناديق فركب بعضها بالخرطوم وبعضها حمل الي بركة (نيانزا) وصار  
تركيبه هناك في الترسانه كما أنشتت الشلبات الجديدة والسفن الشراعية الكبيرة  
وبالجملة فقد صارت الملاحة بين البحر الابيض وبين بحيرة الليانزا سهلة من  
كل وجه وأمكن التجار الارباويين والسياح التردد بينهما كما سهل نقل الجنود  
والمهمات والناوازم الحربية كلما أريد ذلك

وبعد أن عدنا الى الدفليه أخذنا أهبتنا من الذخائر الحربية والمؤنة الى  
ماقتقوا الشرقية (البركة) حيث استأجرنا نحو ألفي عبد منها لحمل هذه الذخائر  
والامتعة ورحلنا حملة الى جهة يقال لها (فاتوكه) وهي من بلاد (كبريكوا وأريونجا)  
والاول بمنزلة والـ والثاني بمنزلة السلطان على بلاد فاتوكه المذكورة وعند  
وصولنا اليها قابلنا مشايخها وأهلوها بالعداء على بركة مياه خاربنا هم نحو  
أربع ساعات فقتل منهم عدد كبير جداً ومن لم يمت منهم فرهاربا وبذلك  
استولينا على البركة وأخذنا في انشاء محطة على شاطئها ورفعنا علم الحكومة  
وأطلقنا المدافع اعلانا بفتحها ومكثنا في الاستحكام الذي اقناه نحو شهر من

ونزلنا الى البر وأمر الكولونيل غردون أن نبشر انشاء محطة بها فأقننا نعمل ذلك وكنا قد أحضرنا معنا مدافع وجملة آلات ومهمات حربية فاخرجناها الى البر واطلقنا واحداً وعشرين مدفعاً اعلاناً بفتح هذه الجهة

وما سمع الاهالى أصوات المدافع حتى أطبقوا علينا جموعاً كثيرة وكلهم شاكو السلاح من الحراب والنشاب كلهم قادمون على حرب وقد توجس الكولونيل غردون خيفة من حالهم هذه فامر العساكر ان تكون على التأهب والاستعداد للطوارئ ثم فكر في حيلة نافعة هي أن دعا مشايخهم وأعيانهم اليه فادخلهم معنا داخل الزريبة التي كنا انشأناها حتى لا يهجم علينا الاهالى. ولكي لا يتوهوا انهم رهائن عندنا أخذ يوزع عليهم الاعطية من ملابس وسيوف وزجاجات خمر فقرحوا واطمئنوا كثيراً وسألهم عن تجارة السن عندهم والقيم التي يتبادلونها فيها فقالوا انها النحاس الاصفر وانواع الخرز والودع الابيض وكان منها كثير في مخازن السرصمويل بيكر باشا وكنا أحضرنا جانباً منها معنا فلما راوها أعجبهم كثيراً

ولما وثق الكولونيل غردون بهم أذن لهم في الانصراف الى منازلهم فانصرفوا شاكرين وبعد قليل أرسلوا لنا عدداً وافراً من البقر والغنم هدية لنا فاعطاهم الكولونيل غردون جانباً من الودع والخرز مقابل هديتهم فقرحوا به فرحاً شديداً ثم أخذوا يتواردون علينا بالكميات الوفيرة من السن وهو يعطيهم قيمتها من تلك البضائع الرائجة عندهم حتى اجتمع في مخزن الحكومة في مدة عشرة أيام نحو الخمس مائة قنطار وقد كثر التردد من الاهالى على مركزنا ومن عساكرنا بينهم وكانوا بعد ذلك من أصدق رعايا الحكومة وبواسطتهم جرت فتوحات كثيرة في تلك الجهات وتمت المواصلات بين هذه

(ديوان خط الاستواء في الخرطوم) وعين عليه رئيساً على افندي سراج المشهور (بتهته) بعنوان (ملاحظ أشغال خط الاستواء)

ومن ذلك التاريخ صارت حكومة خط الاستواء قائمة بنفسها وسمى الكولونيل غردون حكمداراً للعموم خط الاستواء وصارت واردات خط الاستواء من سن فيل وریش ومسك ترسل من فوق لرئيس ديوان خط الاستواء في الخرطوم وهو الذي يؤدي حسابها ويرسلها حسب الاوامر التي تصدر له من الحكمدار

وبعد ان أتم الكولونيل غردون ترتيب ديوانه الجديد في الخرطوم عدنا الى جهة خط الاستواء. وسروراً بنجاحه التمس لنا الاحسان علينا برتبة صاغول أغاصى فلم يكن بينها وبين رتبة اليوزباشي غير شهرين أو ماحوالى ذلك ثم سافرنا على بركة الله بوابور (تلحوين) فلما وصلنا الى جبل اللادوه وكان عمال الترسانة قد وصلوا اليها وانتظرونا بها أمرهم بفك واپور الحديد ونقله قطعاً الى ترسانة البركة (دار صناعة) بالدفليه وتم ذلك فى نحو أربعة أشهر وفى خلال هذه المدة كان بناء الترسانة جارياً على قدم وساق ولما تم اصلاح وتركيب الوابور ركبناه وسرنا به فى لجج البركة نستكشف جهاتها حيث كان الاهالى يقفون على شواطئها كلما اقتربنا من واحد منها صفوفاً معجبين مندهشين من رؤية الوابورات اذ لم يكونوا رأوا السفن البخارية من قبل وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا ضخامته وتخيرون فى كيفية نقله مع جسامته الى البركة

وفى اثناء سيرنا وصلنا الى جهة (ماقنقوا) التي كانت فيها واقعة المرحوم عبد العزيز لينان فاستقبلونا استقبالا حسنا وهناك ألقينا مراسيننا

وبعد اقامة نحو الشهرين في اللادوه قام الكولونيل غوردون وأنا في صحبته قاصدا الخرطوم وشاهدا ثمرات أعمالنا في عودتنا من فرح أهالي كل جهة مررنا عليها وسرورهم بما صاروا فيه من الامن والرغد وحسن النظام الى ان وصلنا الخرطوم وقبولنا فيها بما يقابل به الفاتح الظافر

وعقب وصولنا الى مدينة الخرطوم وكان ذلك في أوائل سنة ١٨٩٢ هجرية اتفق الكولونيل غوردون واسماعيل باشا أيوب الحكمدار على قسم الواورات والصنادل ودار الصناعة وعملها قسمين. أحدهما يكون لحكمداية عموم السودان. والثاني لحكومة خط الاستواء وعرضا عن ذلك للمعية السنية فصدر أمر الخديو لحكمدار السودان بتنفيذه وقد كان ذلك فأخذنا نصف عمال الترسانة ونصف عددها وآلاتها وأرسلناها معهم الى بحيرة (نيانزا) حيث أمر الكولونيل غوردون بإنشاء دار صناعة في محطة الدفليه على شاطئ البحيرة الغربي ثم كان نصيبنا من الواورات (بوردين وتلجوين والصابيه والمنصوره وانبابه ونمرة ٩ ووابور الرافس ووابور الاسماعيليه) الذي كانت أدواته في المخزن لاصلاحه وأخذنا أيضاً نحو أربعين سفينه بين كبيرة وصغيرة وخمس شلبات كبار وضعنا فيها كل ما يلزمنا من التمينات والمهام وجميع ما يحتاج لخط الاستواء



### ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم

وبعد ترحيل الواورات المذكورة والامتنعة والادوات رأي الكولونيل غوردون ان ينشئ ديوانا خاصاً بعمل خط الاستواء منفصلاً عن حكمداية السودان ورتب له الكتاب والموظفين وأوجد له الدفاتر اللازمة وسماه

في نقطة يقال لها ( ماقنقوه ) ومن فضل الله جاءنا أهلها متوددين واستضافونا  
 فاسترحنا عندهم واكلنا وشربنا مسرورين من حسن معاملتهم وفي خلال  
 ذلك سأل السكولونيل غردون مشايخ الجبهة عن أحوالهم فقالوا نحن في فوضى  
 يأكل القوي منا الضعيف ويحكم العزيز الذليل فقال لهم غردون هل ترضون ان  
 يأتيكم حاكم مثل بقوة كبيرة وسلطة قادرة على توطيد الامن بينكم ودفع  
 القوى عن الضعيف فقالوا اننا من الفريق المهضوم الجانب المظلوم الضعيف  
 ولا ريب اننا نرضي بكل سلطة تأتي الينا لتساوي بيننا وبين ظالمينا ثم سألهم  
 السكولونيل غردون أي فريق بينكم الاقوياء المتسلطون عليكم فقالوا له قبيلنا  
 (أريونجا وبكريك) ولو طلبت مشايخ هاتين القبيلتين ما أجابوك ولا خضعوا لك  
 فقال لهم نحن الآن نطلبهم للحضور من قبيل التجربة وارسل لهم فابوا  
 وقابلوا الرسل بالسباب والشتائم

أما نحن فقد اخترنا ان نرجع الى جبهة ( الدفليه ) التي هي في البر الغربي  
 للبحيرة وهي الجبهة التي اخترناها نقطة للحكومة ولذلك عدنا بعد يومين  
 فرأينا عساكرنا في أشد القلق علينا لانهم ظنوا ان العاصفة التي هبت قد  
 أغرقتنا في البحيرة

وبعد اقامة نحو عشرة أيام في تلك الجبهة قنا قاصدين مديرية العموم التي مقرها  
 ( اللادوه ) وقد تركنا في الدفليه نقطة عسكرية تحت قومندان ومأمور الجبهة  
 وقد مررنا في عودتنا على كل المحطات التي انشأناها فوجدناها في أمن وسلام  
 ولما وصلنا اللادوه اخذ السكولونيل غردون يخبر المعية السنية في القاهرة  
 والحمدانية في الخرطوم بطلب ما يلزمه من الواورات والمهمات وسأل  
 ترقى كثير من الضباط الذين معه فكان نصيبي من ذلك رتبة اليوزباشي



في طريقكم ثم قالوا ( اذا كنتم تريدون ان تقيموا بيننا مراكز ومتاريس فلا بد ان نهاجكم ونقتلكم عن آخركم وأما اذا كنتم تريدون البحيرة الكبرى فهأى الطريق أماكم مفتوحة )

أما نحن فقد ظلمنا سائرین وعن كلامهم معرضين ومازلنا كذلك حتى وصلنا الى البحيرة وتسمى هناك البركة أو الميمة العظمى ونعني بها ( نيازنا ) ولما أقبلنا عليها شاهدنا صحراء منسعة جدا مكتظة بالأشجار وأنواع الخضرة وفيها نوع من النبق كبيض الدجاج في حلاوة العسل مع طيب الفاكهة فخططنا رحلتنا ونصبنا خيامنا للمبيت على شاطئ البحيرة وبنينا ليلتنا محترسين محاذرين من هجوم العبيد علينا ولكن لم ينتصف الليل حتي هاجمنا سيل نزل علينا من الجبال بقوة تيار جارف شديد فاخذ ما كان معنا من المؤنة والامتعة وألقاها في البحيرة وصرنا في حيرة شديدة حتى الصباح فوجدنا كل ما كان معنا قد ذهب طعمة للبحر الا الجبة خاتة فاننا كنا احتطننا لها من أول الامر فوضعناها على أشجار عالية فلم يمسسها ضرر

وما طلع النهار حتي أغار علينا العبيد بقوة هائلة ظانين ان السيل قد أخذ منا الجبة خاتة ولذلك لم نزل نطلق عليهم النار حتى لجؤا الى الفرار واكتسبنا منهم في هذه الواقعة نحو مائة رأس من البقر وخمسمائة من الغنم وصار طعامنا بعد ذلك اللحم والنبق بلا كسرة خبز ثم استولينا على عشر مراكب من سفن العبيد استعملناها في خدمتنا وفي استكشاف شواطئ البحيرة

وفي ذات ليلة ركبنا هذه السفن وسرنا بالمجازيف للاستكشاف فقامت علينا زوبعة ذهبت بنا كل مذهب في البحيرة وقد خشينا الفرق الا أن الله عز وجل قد نجانا منه وجمعنا بعد انقضاء الليل في هذا التيه على بر السلامة

هذه الشجرة وأمرنا أولادنا الصغار الذين يتعلمون رمي النشاب أن يرموه به فصاروا يرمونه حتى مات كما ترونه . قالوا ولكن روحه لم تقض الا بعد ثمانية أيام من صلبه مع استمرار رميه بالنشاب كل يوم فأثر ذلك فينا تأثيراً شديداً وحاولنا أن نخرج من جسمه السهم فتعذر علينا ذلك الابتزيق الجسم ولذلك اختار الكولونيل غردون تكسير أيدي النشاب الخشبية بالمنشار مع بقاء أسلحته فيه ودفنه على هذه الحالة وقد كان ذلك

وبعد ان وطدنا نفوذ الحكومة بين أهل الجبل وأقنابين ظهرانيهم عدة أسابيع قمنا قاصدين البحيرة الكبرى وبعد مسيرة يوم وصلنا جهة يقال لها اللابودية بها شلال عظيم جداً وأرضها منحطة ولذلك بعد ان عزمنا على انشاء المحطة بها اخترنا ان تنشأها على ربوة عالية بينها وبين الشلال مسيرة ساعة من الزمان وقد حضر لنا أهالي هذه الجهة طائعين مسلمين قيادهم لنا باسم الحكومة الحديوية وساعدونا على حفر الخندق وبناء الاستحكام الذي أنشأناه وبعد انجازهم عين الكولونيل غردون لهذه المحطة مأموراً تاركا معه شردمة من العساكر ثم قمنا سائرين في وجهتنا وبعد مسيرة يومين من مغادرة شلال اللابودية صعدنا جبالا مملوءا بالعبيد السود وأرضها خصبة كثيرة المواشي من بقروغنم وغيرها فلما رأنا السكان كانوا يسارعون الي قمم الجبال فيصعدون عليها ويقذفوننا بالحصى ويشتمون ويسبون ومحصل سبابهم (رجعوا ياترك الى حيث جئتم ارجعوا أيها الجائعون الذين أتيتم لتأكلوا أبقارنا وأغنمانا ارجعوا الى بلادكم فلا تراحمونا في أرزاقنا) وقد خاطبناهم نحن باننا ما جئنا الا للتفرج على بلادهم والسياحة الى البحيرة الكبرى فساءلنا بعضهم ولماذا أنشأتم المحطات وأقمتم الحصون وحفرتم الخنادق وتركتم النقاط العسكرية

العود ثم لم يلبث أن التحم القتال بينه وبين سكان الجبل واللاجئين اليه فانتصر عليهم بعد نصف ساعة قتالا ثم امتلك الجبل بكل ما فيه وللقضاء الحتم صاح أحد العساكر عليه قائلاً يا بريك قد فرغت الجبهة خانه فأخبر بمض التراجمة السود اخوانهم من سكان الجهة بهذا السر فثارت الاهالى مرة ثانية على العساكر وحاصروهم حصاراً شديداً قطعت النيران في اثنا ثم هجموا عليهم هجمة واحدة أفنواهم بها عن آخرهم وقد مثلوا بعبد العزيز بك تمثيلاً فظيعاً سيأتى بيانه

وقد تمكن شخص بروجى أسود من الهرب وعاد إلينا فاخبرنا بهذا الحادث المشؤم ولما رأى الكولونيل غردون ما أصاب العساكر طلب مدداً من الجهات الشمالية فجاءتنا في نحو عشرة أيام ستمائة نفر جرد منهم الكولونيل غردون ومن العساكر الذين كانوا لدينا حملة تحت قيادته اجتازها النهر وعند ما وصلنا أسفل الجبل قسم العساكر الى أربع فرق جعل على كل واحدة منها قائداً وكان هو القومندان العام وبذلك امتلكننا الجبل من الجهات الأربع وصعدنا بالتدريج فلما شـعروا بنا صاروا يرموننا بالنبال والنشاب فأحدثوا بنا اضراراً كثيرة لا شرافهم علينا من فوق وكان القائد العام ينتقل بيننا من مكان الى مكان مشجعاً مستنهضاً حتى صعدنا لاهلى قمة الجبل وتمكننا من قهرهم فقتل من قتل وأسر من أسر والذين بقوا على قيد الحياة طلبوا الامان فأمنهم غردون وأبطل اطلاق النيران عن الاهالى بالكلية وهناك رأينا جثث القتلى من عساكرنا محروقة بالنار ماعدا جثة عبد العزيز بك فقد رأيناها مصلوبة على جذع شجرة قد انفرست في جسمه نحو خمسمائة نشابة لاتزال مغروسة فيه فسألنا الاسرى عن سبب ذلك فقالوا اننا أمسكناه حياً واوثقناه بجذع

بالبناء والحفر كما أرادهم ثم أنشأنا زريبة أمامها خندق لاننا توقعنا الشر من أهالي هذه الجهة وقد كان الذي توقعناه فاننا بينا كنا نعمل عملنا لم نشعر إلا وقد دقت الطبول وصاحت الابواق وتبعت ذلك حركة مزعجة من جموع كثيرة تحاول الهجوم علينا فسارعت العساكر للتأهب والاستعداد داخل الزريبة وانتظرنا حتى كان بيننا وبين أولئك المهاجمين مرمى الرصاص ولكننا أمسكنا عن اطلاق النيران حتى يبدأوا بالعدوان فلما رمونا بالنبال والنشاب السامة رميناهم بنيران حامية لم يحتملوها فرجعوا الى الوراء ثم عادوا فعدنا وتقهقروا ثم عادوا الثالثة فحملنا عليهم حملة منكرة ارتدوا بها مكسورين ولكن أسهمهم قد أضرت بالعساكر كثيرا حتى لو أن سهمها منها أصاب رجلا بين ظفره ولحمه لما نجا بعد ذلك

وفي اليوم التالي لهذه المحاربة حضروا بأولادهم ونسائهم يحملون النيران في أيديهم ليلقوها على الزريبة كي تحترق وقد زحفوا علينا بسرعة غريبة وظللنا نحن نطلق النيران عليهم لنمنعهم من الوصول الى الزريبة فلم يرجعوا وتمكن بعضهم من الوصول اليها والقوا النيران عليها ولكن أخشاب الزريبة كانت رطبة فلم تحترق وتضاعفت خسائرهم فلجأوا الى الفرار وهجروا ديارهم نازحين الى جبل (مقي) القريب من الشلال للاستعانة بشيخه فما كان من الكولونيل غردون الا ان أمر المرحوم عبد العزيز بك لينان (نجيل المرحوم لينان باشا) أن يقتني أثرهم بستة بلوكات من العساكر مسلحة بالرامنتون وأعطاه الذخيرة اللازمة وساروخا حربيا فقام عبد العزيز بك بالقوة التي معه واجتاز النهر الى البر الشرقي وصار مع العساكر صاعداً الجبل ولكنه أخطأ اذ ترك بعض الجبهه خائفة وأخذ بعضها قاتلاً إن ما أخذ العساكر في جميعهم كاف لحين

الانسوي مديراً للرجاف وهذا الثالث من ضباط الجهادية السود أيضاً  
وبعد أن قرر مبادئ النظام في هذه الجهة بارحناها قاصدين الجنوب  
ومعنا نحو ستمائة عسكري من أولاد العرب والسودان ومررنا في طريقنا  
على شلال أمامه جزيرة عالية جداً فيها أشجار كبيرة فاستحسنها الكولونيل  
غردون لبناء مستشفى للمرضى لانها قريبة للرجاف بينها وبينه نحو ثلاث  
ساعات وقد رتب لها سفناً صغيرة (فلايك) ربطها بالسالك من الشاطئين  
ليسهل اجتياز النهر الى الجزيرة من الشاطئين لكل انسان وأمر ببناء  
منازل للعساكر فشرع الاهالى في بنائها بالفعل ولبثنا نحن في هذه الجهة  
ثلاثة أيام لم نشعر بعدها الا بالعبء قد هجموا علينا محاربين فانتشبت القتال  
بيننا وبينهم نحو خمس ساعات انهزموا عقبها شر هزيمة فلما علموا أن لا قبل  
لهم بمحاربتنا طلبوا الامان فامنحهم ثم سلموا طائعين فعفا عنهم (غردون) بعد  
ما أخذ عليهم العهود والمواثيق وذلك بان حلفوا بالكجور وهو كلام  
يعتقدون فيه أنه وسيط بينهم وبين الاله يدعون به فيستجاب لهم ان  
لا يعودوا مرة أخرى لمثل ما فعلوا وبعد أن تم الامر على ذلك واستقر  
السلام في هذه الجهة قمنا بعد اقامة نحو ثلاثة أسابيع فيها قاصدين البحيرة الكبرى  
التي أمامنا فسرنا مسافة عشرين ساعة مضت علينا في أقطار تنزل من فوق  
كالسيول المنهورة حتى وصلنا شلالاً يسمى (شلال مقي) وهو اكبر من  
الشلال السابق كثيراً والماء ينحدر عنه بدوى شديد يصم الآذان ولم يكن  
أحد منا يسمع كلام الآخر عند ما اقتربنا منه ولذلك ابتعدنا عنه قليلاً ونصبنا  
خيامنا حيث رأى (الكولونيل غردون) لزوم انشاء محطة هناك وقد بعث  
في طلب مشايخ البلاد والقري فلم يجبه أحد ولذلك أمر العساكر ان يشتغلوا



بهذا الخور وهذا الضعف وسترى أنه يكفي لهذه المديرية خمسون رجلاً بدل  
مئة وفي الحال أمر أن يحضر لديه مشايخ القرى ورؤساء القبائل وكانوا  
حاضرين في مركز الحكومة فجاءه وأخذ يخاطبهم بالفاظ لينة وكلام لطيف  
وأحسن عليهم بالكساوى الحمر والسيوف حتى انطلقت وجوههم بشرا  
وفاضت صدورهم سروراً ثم قال لهم بعد ذلك انى تارك بين ظهرانيم  
خمسین نفراً فقط من عساكر الحكومة لحراسة رايها وتشخيص سلطتها  
واتم المسؤولون بعد ذلك عن كل شيء يحدث في البلاد فاجابوه اننا عبيد  
الحكومة وما دمنا لا يهضم لنا حق ولا يقع علينا ظلم فلا يجمل بنا أن نقوم  
في وجه الحكومة ولا نحدث أقل تشويش وستسمع عنا كل خير ومحمدة  
أما الباعث الحقيقى للكونلونيل غردون على تقليل العساكر الى هذا  
الحد فوجهان

أولهما بعد الشقة وتعذر نقل اللوازم والمهمات للجيش. والثاني الانتفاع  
بمائه العساكر فى نقطة (اللاذوه) المحتاجة كثيراً الى العناية والحد

عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله  
وبعد أن انقضت حفلة مشايخ القبائل والقرى التفت الكولونيل  
غردون الى رؤف بك وقال له انك لا تصلح لوظيفتك هنا فعليك بالسفر  
الى القطر المصري وعين فى الحال بدله القائم مقام الطيب بك عبد الله وكان  
هذا بكباشى أول الالاي وهو رجل سوداني من قبائل العبيد مثل الذى  
عين لمديرية (بور) ثم أمر الوابورات بنقل العساكر الى جهة (اللاذوه) ثم  
تراأتى له ان ينقل الطيب بك عبد الله مديراً الى اللاذوه وعبد الله أغا

(الرجاف) فررنا في طريقنا على محطة كبيرة تسمى محطة (بور) والفينا بها نحو  
أربعمائة من العساكر بأسلحتهم مأجورين للتجار فاستقبلونا بالفرح ولبننا عندهم  
خمس أيام ثم أبلغ الكولونيل غردون رئيسهم بأنهم صاروا تابعين للحكومة  
وأن يقدموا له كشوفاً بالأسلحة والجنه خاانة والموجودات التي لديهم مما قررت  
الحكومة احتكاره لنفسها فاحضروها وتم بعد ذلك تشكيل مديرية سميت  
(مديرية بور) كما كان وعين على المديرية وكيلها رجلاً اسمه (آدم افندي  
عامر) وهو ضابط سوداني كان من رجال حملة بيكر باشا ومقيماً في هذه  
الجهة ثم قنا قاصدين جبل الرجاف وكندكرو حيث يقيم رؤف بك باشا  
كما أسلفنا وقد وصلنا هاته الجهة بعد عشرة أيام سفراً في البحر من (بور)  
وقابلنا رؤف بك بالعساكر المقابلة المعتادة في مثل هذا المقام وبعد الاستراحة  
هنيئة من الزمان أخذ الكولونيل غردون يسأله عن أعمال حكومته وأحوال  
الرعية فاخذ المرحوم رؤف بك يقص عليه أحاديث محارباته مع أهالي البلاد  
حتى قال اننا منذ ثلاث سنوات لم يستقر لنا بالسلم قرار فاجابه غردون بقوله  
وأنا يظهر لي أن كل هذه الاضطرابات والحروب ناشئة من سوء ادارتكم  
وعدم معاملتكم اياهم بالرفق والعدل وسترى أن كل هاته العساكر والضباط  
الموجودة لديك سترسل الى مأموريات أخرى ولا يبقى بدلهما غير مئة من  
العساكر يستتب بهم الا من العام تمام الاستتباب قال رؤف بك ان هذا  
لا يمكن أن يتم لان مئة نفر اذا تركوا وحدهم هنا لا يلبث العبيد ان ينزلوا  
عليهم فيقتلوهم عن آخرهم فقال الكولونيل غردون الآن حققت قول السير  
صمويل بيكر فيك وما كنت أعهد ضابطاً حائزاً الرتبة الميرالاي يكون مثلك

الكثيفة والحشائش الملتفة سداً منيعاً في طريقنا وقد حاولنا كثيراً أن نفتح الطريق فلم نفلح ولذلك أمر الكولونيل غردون أحد الوابورات بالرجوع إلى الخرطوم ليأتينا بالآلات التي تستعمل عادة لقطع حشائش النهر وقد كان وجاءتنا الآلات وباشرنا ففتح الطريق مدة أربعين يوماً حتى تمكننا من اجتياز الوابورات ونال العساكر ما نالهم في هذه الدفعة من العناء والتعب الذي لا مزيد عليه حيث الأمطار كانت تنساب عليهم ليل نهار كأفواه القرب ولذلك كافأهم الكولونيل غردون بصرف مرتب ثلاثة أشهر فوق مرتباتهم وأجرتهم

وبعد أن تم فتح الطريق سرنا في النهر مسيرة يومين وصلنا بعدها بحيرة كبيرة جداً تسمى (ميرة شانيه) وعليها مشرع كبير يسمى (غابة شانيه) كان كبار التجار مثل أبو عموري وكوچك على وغطاس وغيرهم ينزلون فيه للاتجار بسن الفيل فلما وصلنا إلى هذا المشرع استقبلنا شيخه وهو رجل أسود دنكاوي مسن اسمه الشيخ الحداد استقبالا حسناً ونزلنا جميعاً في أرضه حيث أقنا الخيام وأرسينا الوابورات تجاهنا وبعد استراحة يومين رسم الكولونيل غردون محل خندق وأمر العساكر بحفره فتم لهم ذلك في مدة عشرين يوماً وأنشأ هناك مركزاً ترك به اليوز باشي مصطفى أفندي فتجى ببلوكة وسماه مأمور جهات (شانيه) وشدد عليه الأوامر في معاملة الأهالي بالرفق وبمنع تجارة الرقيق منعاً باتاً كما أنه أبلغ رؤساء هاته الجهات أنهم صاروا تابعين لسلطة الحكومة الحديوية وأن ذلك المأمور الذي يتركه عليهم يمثل شخص الحكومة فواجب عليهم أن يطيعوه

وبعد أن وطد نفوذ الحكومة في هذه الجهة اقلعنا بوابوراتنا قاصدين

ميمة (أي بركة) كبرى تسمى (بحيرة السنيورا) ألقينا مراسينا عنده وركب  
 غردون ونحن معه وابوره الخصوصي سائراً في ذلك النهر نحو عشر ساعات  
 لاختبار الطريق هل هي سهلة أو فيها من العقبات ما يمنع وصولنا إلى أعالي  
 خط الاستواء فلما قطعنا هذه المسافة وجدنا النهر مسدوداً بالأعشاب الكثيفة  
 فعدنا إلى مرسى الوابورات أي إلى مدخل بحر الزراف وحولنا مسيرنا إلى  
 جهة خط الاستواء من جهة طريق البحر الأبيض وما زلنا سائرين حتى  
 وصلنا إلى تلك البحيرة وفيها من الجانب الغربي مدخل لبحر الغزال ومدخل  
 آخر لخط الاستواء موصل إلى جبل الرجاف فوقفنا عند ذلك المدخل حيث  
 أمر غردون بقطع أخشاب لوقود الوابورات بدلاً عن الفحم ثم سرنا نحن  
 على وابوره الخصوصي للاستكشاف داخل بحر الغزال فقطعنا مسافة ثلاثة  
 أيام وصلنا في نهايتها إلى مشرع يقال له (مشرع الرق) وهو متصل بمشاعر  
 بقيمة البحار الموجودة ببحر الغزال لفاية مديرية (شكا) ولكن كان من  
 المتعذر تجاوز هذا المشرع لانسداد النهر بالأعشاب الكثيفة الملتفة والحشائش  
 المشتبكة من الشاطئ إلى الشاطئ

على أننا لم نحاول اجتياز هذه العقبة الجديدة بل بقينا في مرسى المشرع  
 السالف الذكر وأمر الكولونيل غردون أصحاب المشرع أن يحضروا بين  
 يديه رؤساء الأهالي في تلك الجهة فأحضروهم وقابلهم بمقابلة حسنة ووزع عليهم  
 الهدايا استماله لقلوبهم ففرحوا وامتنوا وأظهروا تمام الإخلاص للحكومة  
 الحديوية كما أنهم أحضروا لنا الأخشاب اللازمة وعدنا بعد ذلك إلى البحيرة  
 حيث اجتمعنا بوابوراتنا والعساكر وقمنا جميعاً قاصدين مدخل البحر الموصل  
 إلى جبل (الرجاف) ولكن لم نلبث في سيرنا يومين حتى وقفت الغابات

الصباح أمر بلوكات المساكر وجماعات الاهالي بحفر خندق لمحطة سبت وقرر  
للعمل أجرة فوق مرتبات المساكر لهم وللاهابي مثل ذلك فلم يمتض  
أسبوعان حتى تم ماأراد وشيدت عليه الطوابي كما رسمها ثم أنشأ مركزا  
للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا وهو اليوزباشي محمد أحمد أفندي  
بجملته محافظا على محطة ( سبت ) تاركا له البلك الذي تحت قيسادته وأمره  
بحسن المعاملة والرفق بالاهالي وشدد عليه في منع الاتجار بالريقق وعدم  
مروره عليه ثم تركنا هذه المحطة قاصدين جبل الرجاف وكند وكرو حيث  
يقيم المرحوم رؤف بك ( باشا ) حاكما على تلك الجهة خلفا للسير صمويل  
بيكر باشا . فلما وصلنا في سيرنا الى مدخل ( بحر الزراف ) الذي يستقي من

وأرجو أن انشاء السفن يتم بعد خمسة أشهر أو ستة وأول فرض واجب على حسب  
ماتلقته هو اذخار المؤنة وهو من صعب الامور التي تقتضي حضوري في تلك الجهة ثم  
اني بحسب أمر الخديو أعلنت هذه الاوامر الآتية .

بمقتضى ما فوض الى الخديو المعظم من ادارة حكومة البحيرات الكائنة بخط الاستواء أعلن  
أولا . ان التجارة في العلاج خاصة بالحكومة . ثانياً أنه لا يسوغ لاحد أن يأتي الي هذه  
النواحي من دون تذكرة من حاكم السودان العمومي وهذه التذكرة انما يعمل بها  
بعد النظر فيها من حكومة قوندو كورو وغيرها . ثالثاً أنه لا يسوغ لاحد أن يجمع رجالاً متسلحين  
داخل هذه الجهات . رابعاً ان جلب السلاح والبارود ممنوع . خامساً ان كل من يخالف هذا  
المرسوم يجرى عليه الجزاء بحسب القوانين العسكرية انتهى ثم ورد خبر بالتلغراف بتاريخ  
٣ صفر من حضرة حاكم السودان الى حضرة خيرى باشا مضمونه انه في صباح هذا  
اليوم سافر الكولونيل غردون الى قوندو كورو في سفينة مخصوصة بعد ان أحضر له  
كل ما يلزمه وهو ممنون لفضل الخديو وشاكر له ثم ورد خبر آخر بتاريخ ٢٠ صفر  
مضمونه ان الباخرة المخصوصة التي سافرت بعد فتح الشلالات قد رجعت الى هنا وبشرت  
ببلوغ العرب وفي غد أرسل المجررات التي أرسلها المجردون لهذا العمل والتي حررها  
أيضاً الكولونيل المذكور عند ملاقاته الباخرة المذكورة



قطع مسافة سبعة أيام. وهناك قابلنا مديرها الرخوم يوسف بك حسن كرده  
بالخفاوة اللائقة كما كان لفردون مثل ذلك عند وصوله الى الخرطوم وأزيد. وشاهدنا  
ما وصلت اليه وقسئذ من درجة العمران والتقدم في الحضارة بعناية الحكومة  
وعلمنا أن أهاليها من العبيد الشك والنوير والدنكا آمنون مطمئنون

وبعد أن أقمنا بفشوده يومين تابعنا المسير الى محطة (سبت) وهي المحطة الكائنة  
على مقرن نهر سبت الآتي من بلاد الحبشة وتبعد هذه المحطة عن فشوده  
بنحو ١٨ ساعة بسير وابور البخار وهي أول جهات خط الاستواء من الشمال  
ولما القينا عصا التسيار هناك حيث العساكر كانت سبقتنا اليها عزم  
غردون على وضع أول حجر من أساس أعماله في وظيفته فلما مضى الليل وجاء

وصلت الى الخرطوم في ١٢ مارس ولقيت من حضرة اسماعيل أيوب باشا حاكم السودان  
من الاكرام والالطاف ما يستحق الذكر وقد فعل مساعدتي كل ما في وسعه أن يفعله اما  
اعتناء بالعساكر فجدير بالثناء فقد راقني أحوالهم وأحوال مأواهم ومستشفاهم وهيئتهم  
وانتظامهم وكذلك اعتناء بالمسكتب وما يتعلق به وقد شاهدت هذا المحل فوجدت فيه  
نحو مائتي تلميذ ورأيت أن معلمهم يعتنون بتعليمهم وتهذيبهم على أحسن منوال فراقني أن  
أرسل لي الجواب الحديو انموذجا من خطهم ولا بد من أن الحاكم الموما اليه قد أرسل الي  
جناب الحديو الخبر السار عن فتح الخليج في قوندو كورو (كوندكرو) مما سرني غاية  
السرور لعلمي بأن جنابه الرفيع يحسبه من الامور المهمة وهو في الواقع مفتاح الموقع  
فأرجو اني عن قريب أتوجه الى قوندو كورو فان كل ما لزمني من لوازم السفر قد حصل  
بهمة الحاكم المشار اليه فشكرآله علي ذلك ولست أقدر الآن على الحكم علي الباخرة  
الكبيرة الراسية اذ لا بد لي قبل الحكم عليها من رؤية البحيرة وفي عزمي أن أستصحب  
معي رجالا لانشاء سفن شراعية عند الوصول الي طوبو ويترجى عندي انه مع بذل  
الهمة والعناية يتيسر لنا مجاوزة الشلالات فالمرجو من جنابكم أن تصدروا لنا اذا من  
الحضرة الحديوية الى الحاكم المشار اليه عند انتهاء السفن في تسييرها الى البحيرة ولا  
بد لي من التلبث في قوندو كورو وطالهم ودون التوغل في السبرو حيث ان جناب الحاكم  
قد بذل أقصى مجهوده في فتح الجنوب فأعظم المسرات عندي أن أكون أول قادم اليه

مصاحبتنا ولقي من الحكمدار الاساءة من اجلنا فقد فوضت اليك امر فرز  
الاربعة بلوكات وضباطهم وأسلحتهم «فاجبته يا مولاي أنا الذي رغب خدمة  
بلده بمرافقتك . وعندئذ أعطاني أمرا للمرحوم أسماعيل أيوب باشا بمضمون  
ما قال فاستلمت الامر وتوجهت الى الحكمدار وسلمته المكتوب فأحسن  
مقابلي وأمرني بالتوجه الى القشلاق لمباشرة فرز العساكر وضباطهم وأسلحتهم  
من نوع الرامنتون حسب رغبة الكولونيل غردون ففعلت وأخذتهم الى سراي  
الشرق حيث استعرضهم فأعجبهم مرآهم وتناسب أعضائهم وحركاتهم وجودة  
أسلحتهم وخطبني أمام الجميع بعبارات الشكر والامتنان كما أنه خاطب الضباط  
والعساكر بما طيب خواطرهم وأطلق وجوههم بالبشر

ثم أمرني أن أجهزهم جميعا للسفر الى جهات خط الاستواء ماعدا نحو  
٥٠ نفرا يبقون بمعيتهم بصفة حرس خصوصي له

وعلى ذلك أعدنا أربعة وابورات لسفر العساكر المذكورة وهي ( بردين )  
( تلحوين ) و ( الصافية ) و ( المنصورة ) وانزلناهم في الوابورات التي سافرت  
إلي مقصدها في شهر شعبان سنة ١٢٩١<sup>(١)</sup>

أما أنا فقد تأخرت حسب أمره لاكون قومنداناً على حرسه . وبعد  
بضعة أيام صدر أمره بأعداد الوابور الرفاس المسمى ( خديو ) ليركبه ونحن  
في معيته وقد كان وسرنا على بركة الله في النيل الأبيض فوصلنا ( فشوده ) بعد

(١) جاء في العدد ٦٩٦ من جريدة الجوائب الصادرة في يوم الاربعاء ٢٧ ربيع أول  
عام ١٢٩١ هجرية تحت عنوان مصر ما يأتي

ذكر في ايجبت المطبوع في الاسكندرية ان الكولونيل غردون الذي عينه الخديو  
المعظم والياً على خط الاستواء خلفاً عن السرمامل باكر أرلر قياً من الخرطوم  
بتاريخ ١٤ مارس الى حضرة سعادتاو خبري باشا مهر دار الجناب الخديو قال فيه

. وكان أحد المستخدمين من أصحاب غردون حاضراً خلال الفرز  
 وشاهد ما كان مني ملاحظاً ما كان من الحكمدار العام فلما عاد الى مقر غردون  
 أخبره بسوء انتخاب العساكر والضباط وذكر له قصة انتهاء الحكمدار  
 العام لي عند ما أبدت رغبتى فى السفر الى خط الاستواء فلم يكن منه الا ان  
 بعث شكوى تلغرافية الى الحديو الاسبق قائلاً ان اسماعيل باشا أيوب  
 يعرقل مساعى ويضع فى سبيل نجاح مأموريته العقبات. وهو لذلك انتخب  
 أسوأ العساكر وأردأ الاسلحة عدة لى فى مأموريته. فورد فى الحال الرد الى  
 اسماعيل أيوب باشا بتوبيخ شديد بأمره فيه أن يجيب طلب غردون  
 فى كل ما يطلب حتى لو أمرك أن تصحبه وجب أن تمتثل أمره فوق هذا  
 فى نفس الحكمدار العام أسوأ وقع ووصلت صورة هذا التلغراف الى غردون  
 باشا من قبل المعية السنية ليحيط علماً بما كان من صدور الامر الجديد لحكمدار  
 السودان حسب رغبته. ولا يبعد أن كتابة نص التلغراف على هذه الصورة  
 كان بطلب من الوكالة الانكليزية فى مصر كما جرت العادة فى مثل ذلك  
 والذي كان من اسماعيل أيوب باشا بعد ذلك أن دعانى اليه وطيب خاطري  
 بكلام لطيف قائلاً انما كان انت هارى لك شفقة عليك. ثم علمت ان الكولونيل  
 غردون طلبنى منه بالاسم فاشار على أن أتوجه له فى سراى الشرق وان أذكر له  
 عرضاً ان الذي أبلغه خبر معاكسة الحكمدار العام له مبالغ أو مخطيء فى النقل  
 وعلى ذلك ذهبت الى سراى الشرق وتقابلت مع الطبيب المذكور غردون  
 فرأيت منه رجلاً حليماً شفوفاً كريم الاخلاق متواضعاً فى حديثه وحركاته  
 وسكناته مع مخايل شرف النفس وعلمو الهمة وبعد أن سلمت عليه فأحسن  
 لقيائى خاطبني قائلاً « اذا كنت أنت الاسبران ابراهيم فوزى الذى رغب

وقد أقام غردون في سراي الحكومة الكائنة في ضاحية المدينة من  
الجانِب الشرقى المشهورة بقصر راسخ بك

## مرافقة مؤلف هذا الكتاب

للكولونيل غردون في الخدمة

وبعد ثلاثة أيام من وصول غردون باشا طلب من حكام دار عموم السودان  
فرز أربعة بلوكات من عساكر الجهادية أبناء العرب مسلحين بأسلحة رامتون  
وان يكون ضباطهم من المعروفين بالخبرة العسكرية والنشاط والاقدام فاجابه  
الحكام الى طلبه ولكنه لم يحسن انتخاب العساكر والضباط ولا أعطي  
الاسلحة من الطرز الجديد المطلوب . وفضلا عن ذلك فان اكثر الضباط  
امتنعوا عن قبول هذه المأمورية لبعدها الشقة ولعلمهم بما يقاسون من عذاب  
السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة التى يقصد غردون اخضاعها لسيطرتها  
. ويقال ان الخديو الاسبق لم يكن مع ذلك مرتاحاً لتعيين غردون في مأمورية  
بالسودان خيفة ان يكون من ورائه تنفيذ مقاصد انكلترا التى كانت لا تخفى  
عليه فعينه وهو كاره وأراد أن يحدث فى طريقه العراقيل فاوعز الى اسماعيل  
أيوب باشا سرا بما أوعز حتى اذا حصلت حركة ضده فى السودان اعتذر  
اسماعيل باشا بها وتخلص من ورطة ما توقعه . ولكن لست آخذ على مسئوليتي  
تحقيق هذه الرواية التى كان يصعب على مثل وقتئذ تحقيقها

وكنت انا اذ ذاك ضابطاً صغيراً أوشبه ضابط برتبة الاسبران ( وكانت  
هذه من رتب الجيش فوق الصف ضابط وتحت الملازم الثاني ) فظهرت  
رغبة شديدة في مصاحبة غردون فاحتقر اسماعيل أيوب باشا مني هذه الرغبة

## تعيين الكولونيل غردون

حاجا على خط الاستواء

لما مهدت انكلترا أمر التداخل في شؤون السودان واقنعت المرحوم اسماعيل باشا الحديو الاسبق بتعيين غردون في وظيفة سامية به فاقنع أصدر أمره في أواخر سنة ١٢٩٠ هـ (يناير سنة ١٨٧٤) بابتدائه لمأمورية سامية في أعلى النيل وكان السير صوب بلبيكر مأموراً لخط الاستواء خاضعاً للحكماء في عموم السودان فتم الاتفاق على أن يخلفه غردون في وظيفته ولكن ليكون الخلف مستقلاً في أعماله وقد كان ومنح مائة ألف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لملته الابتدائية وكان غردون قد حضر قبل تعيينه بخو شهرين الى مصر فلما تم تعيينه وتلقى الاوامر من المرحوم الحديو الاسبق شرع ببعض الاوامر التي تلقاها من خارجية انكلترا كما يعلم هذا بالبداية توجه الى السودان فوصل مدينة الخرطوم حيث كان المرحوم اسماعيل باشا أيوب حاكماً عاماً لعموم السودان فاستقبله بابهة عظيمة واستعرض له فرقة من العساكر لاداء تحية القدوم واطلقت له المدافع فأكبر الناس شأن هذا القادم وعلموا أنه ليس كبقية حكام الاقاليم. وبديهي ان اسماعيل أيوب باشا لم يستقبله هذا الاستقبال الفائق محابة وتبرعا من قبيل المجاملات الشخصية بل لابد ان تكون أوامر الحديو قد سبقت غردون الى الخرطوم فكان من الحكماء انفاذا

وهو ما دخل بسببه شيء في نفس الحكماء العام من هذا المأمور الجديد الذي سينازعه في سلطته من جهة ويكون كرقب عليه من جهة أخرى



## كتاب خصوصي من شقيقة غردون باشا

من غريب الصدف اننا يوم شرعنا في طبع هذه المقدمة ورد لنا الكتاب الآتي

سوتها بيلتون في ١١ مايو سنة ١٩٠١

عزيري فوزي باشا

انا شقيقة المرحوم الجنرال غردون باشا وكنت متشوفة منذ زيارة

(هيدنيوفيلد) أن اكتب لك

وقد استلمت أخيرا نسخة من جريدة اجبسيان غازيت وفيها خلاصة

حادثة معك وهي وان كانت محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

اني أشكرك من صميم قلبي على علو شرفك الذي أبديته وتبديه لذكرى

المرحوم غردون مع الصدق والاخلاص للذين خدمته بهما حال حياته وبعد مماته

وعندي كتاب نيوفلد وأعرف منه تاريخك ويمكنك أن تعرف مقدار

اهتمامي بكل شيء يتعلق بتلك الحادثة المؤلمة ونهايتها المحزنة ولذلك أحب أن

اسمع منك كل ما تقدر أن تقوله لي عن رئيسك وصديقك

هل عندك صورة غردون والا فانا أرسلها لك ان كنت تريدها وأؤمل

أن هذا الكتاب يترجم لك كما أنني أحب أن أعرف كل شيء عن أصدقاء أخي

الذين خدموه بالاخلاص في مدة حياته . هل البستاني حي حتى الآن

آمل أن يصلني منك خبر ولا زلت (المخلصة المحبة)

هيلين موفيت

وقد وضعنا صورة هذا الكتاب في مقدمة كتابنا ليكون شبه سؤال

جوابه في خاتمة هذا الجزء التي وان تكن خاتمة محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

(ابراهيم فوزي)

ومن يزعم أنه رافق الطيب الذكر غردون باشا كما رافقت. وعرف مقاصده  
 كما عرفت. وشاهد من دولة المهدي ما شاهدت. وكابد من اضطهادات التعاليسي  
 ما كابدت. فليكتب للقراء كما كتبت. وليقل انك أخطأت وما أصبت. والا فأنا قد  
 أصبت وما أخطأت فيما خططت وبه عليه توكلت « ابراهيم فوزي »



﴿ ابراهيم فوزي باشا ﴾

أضع هذا الكتاب مشتملاً على كل ما وقفت عليه أو اتصل بي من حوادث الاقطار  
السودانية في خلال المدة التي اشترت اليها. وذقت طعوم السراء والضراء بين يديها.  
ولم أكتف في سرد الوقائع بما بقي في خاطري من رسومها بل استعنت بجماعة  
من كبار موظفي الحكومة السودانية الذين كانوا قبل دولة الدراويش الدائلة  
متفرقين في أقسامها ليكون لنا على كل واقعة أو حادثة ومن كل جهة شاهد رؤية في  
الاكثر. وكذلك قد اطلعت على أكثر ما كتب سلاطين باشا ومسيو نيوفيلد  
وغيرها ممن شاركوني في مشاهدات حوادث السودان ومصائبه واستأنست  
فيما غاب لفظه عني بشيء من المنشورات التي ثبتت بالتواتر روايتها كما ثبت في  
نفسى من قبل مغزاها

وبالجملة فاني لم آل جهداً في تحقيق كل واقعة تسكنت عنها وحادثة رويتها  
ومقصد بيته. ولنزحلته. حتى صرت بعد ذلك أعتقد اني وفيت التاريخ حقه كما  
يستطيع عاجز مثلي قليل البضاعة من الكتابة

وبعد أن وضعت مسودات الكتاب بالتفصيل والاسهاب. استمرت قلم بعض  
الكتاب الفضلاء في تهذيب ألفاظه وتنقيح عباراته وحذف المكرر منه وترتيب  
وقائعه على ما يناسب الموضوع زماناً ومكاناً فجاء بحمد الله كما يراه القارئ وله الحكم فيه  
تخطئة أو تصويبا. على أنه لا يبعد أن يطلع عليه من يكون روى واقعة على غير ما رويت  
أو شاهد حادثة يعتقد أنها على خلاف ما شاهدت لكنني أعذره من أول الامر كما  
ينبغي له أن يعذرني فحوادث السودان ككل حوادث الثورات وعواصف الاضطرابات  
لها عند كل واقف بينهما مهب ريح وفيها لكل ناظر وجه يتجلاها فيه. لكن هذا  
الاختلاف لا يغير من حقيقة الحادثة عند من نظر اليها من الجهة التي اطلع عليها  
كذلك كستاني هذا قد تضمن حقائق الحوادث من الوجه الذي شاهدها عليه



✧ غردون فادی مصلحة قومه بنفسه ✧

كل شىء من علو السياسة وسقوطها. وآيات رفعة الامم وهبوطها. مجتمع بين دفتى تاريخ السودان. كما مجتمع النور والظلام في الليل الحالك. توقد فيه النار منارا للساك ودليلا للحيران. لذلك رأيت من واجب قومي وأمتي بل ومن حقى على نفسي أن

مقدمة الكتاب

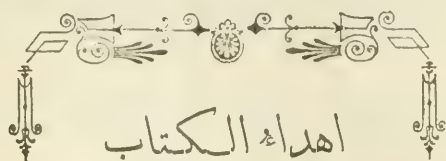
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« أما بعد » . فلما كنت أول من رافق غردون باشا في خدمة السودان  
وآخر من ودعه عند الرmq الاخير من حياته في عاصمته . وأول أسير مصري  
مسجون افتكه كتشنر باشا . وآخر من عاد من أسرى المهـدية الى وطنه .  
وكانت حوادث السودان في غضون هذه المدة التي انقضت بين أول عمل  
قام به غردون باشا الذي فيه قبر . وآخر عمل من كتشنر باشا الذي طار به  
ذكره ونشر . من أجل حوادث الزمان اعتبارا . وأعظمها ادكارا . منها يعرف  
الانسان كيف يخطيء الحاكم في حكمه . وكيف يقضي على ساطانه بظلمه .  
وكيف يطوي سجل النظام . وتقوم مقامه فوضى الاحكام في الانام . وكيف  
تعمي الجهالة صحبها . وتغري الضلالة ربها . بل كيف يقدم الرجل العظيم نفسه فداء  
لمقاصد قوم . وكيف تدخر الاقدام الراسخة في سياسة الامم هذا الفداء العظيم ليومه .





﴿ مولانا الحديو المعظم عباس حلمي الثاني حفظه الله ﴾



## اهداء الكتاب

﴿ الى سدة مولاي وولى نعمتي الحديو المعظم ﴾

عباس باشا حلس الثاني

الافخم

« هذه يامولاي معلومات ومشاهدات شخص من رعيك فضى »  
« في السودان أكثر عمره بين ضابط صغير . وقائد كبير . وسجين »  
« أسير . رأى كل ضروب الرخاء والشقاء . خلال المدة التي قضاها »  
« في تلك الارزاء . وهى حوالى الثلاثين سنة ماتسنت لمصري غيري . »  
« ولذلك رأيت أن أجعلها بين دفتي كتابي هذا الذى سميته « السودان »  
« بين يدي غردون وكتشتر » لان جميعها عبارة عن مقدمة ونتيجة »  
« انطوتا في معنى هذا الاسم فتقبل يامولاي هذه الخدمة التى قام بها »  
« جهده المستطاع عبد من أخلص مخلصي رعيك لاسدتك . لم ينس في كل »  
« أطواره واجب ولاء عبوديتك . (ابراهيم فوزي) »



كِتَابُ  
السَّوَابِ  
بَيْنَ يَدَيِ الْفَرْزِ وَكَشِيرِ

آلِف  
*Kitab al-Sawab*

أبراهيم فوزي باشا

الجزء الأول

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما معا

(تم طبعه في شهر صفر سنة ١٣١٩ هجرية)

٤١٩٢١

صحيفة	صحيفة
٣٨٢ ذكر ارسال البواخر الى المتمة	٣٥٦ ذكر ماتدينه غردون من النقود
٣٨٢ ذكر المجاعة في الخرطوم	٣٥٧ ذكر مدالية حصار الخرطوم
٣٨٦ ذكر سقوط أم درمان	٣٥٧ وظائف المؤلف بعد الاصابة
٣٨٨ كتاب المهدي الى فرج الله الزين	٣٥٨ ذكر أحمد الموم وأحرقه الجبه خانة
وصاحبه عبد النبي	وبقية حوادثه
٣٨٩ ذكر الاخبار التي تبودلت بين	٣٦١ بعثة الكولونيل ستيوارث ومقتله
غردون والمهدي	٣٧١ ذكر أخبار كوتسيه الايطالي
٣٩٠ كتاب المهدي الاول الى غردون	٣٧٢ وصول عبد الرحمن النجوى الى
الكتاب الثاني	الخرطوم
٣٩٢ الكتاب الثالث وهو الانذار	٣٧٥ ذكر مفادرة المهدي الرهد الى
الاخير	الخرطوم
٣٩٣ ذكر فرار الصنجنين عمر والعطا	٣٧٦ وفودا وليفر يابن الفرنسوى على
٣٩٤ ذكر مادبره غردون لانتقاذ	المهدي
الاوربيين	٣٧٧ ذكر وصول المهدي الى أم درمان
٣٩٦ ذكر سقوط الخرطوم ومقتل	٣٧٨ كتاب المهدي الى أهالى الخرطوم
غردون	يدعوهم الى التسليم والخضوع
٤٠٠ مقاله غردون لي حيث استدعاني	٣٧٩ هجوم المهدي على أم درمان
الى غرفته قبل ان يحل به المنون	٣٨١ واقعة الجريف

صحيفة	صحيفة
جبل الداير	٣١٥ ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر
٣٣٦ ذكر صفات جبل الداير	٣١٦ ذكر قدوم محمد الخير بدعوة
٣٣٩ ذكر رد طالقة الثلاث	المهدي الى بربر
٣٤٠ منشور المهدي المتضمن حل	٣١٧ ذكر واقعة شندی
وطي طالقة الثلاث	٣١٨ سقوط بربر
٣٤٣ زحف أبي قرجة على الخرطوم	٣١٩ كتاب المهدي الى محمد الخير
٣٤٤ ذكر تفشي الجسدي بين	والموعظة التي شفع بها ذلك
ال دراويش	الكتاب
٣٤٥ واقعة الجريف	٣٢٧ ذكر إمارة أبي قرجة على البحرين
٣٤٦ واقعة الحلفاية وهزيمة الدراويش	من قبل المهدي
فيها	٣٢٨ ذكر حروب صالح بك الملك
٣٤٧ واقعة أبي حراز	في فداسي
٣٤٨ واقعة القطينة وقتل ساني	٣٣١ كتاب المهدي لصالح بك
٣٤٨ واقعة العيلقون	٣٣٢ كتاب آخره
٣٤٩ واقعة أم ضبان وقتل محمد علي	٣٣٣ ذكر زحف المهدي من الأبيض
باشا وحملته	الى غدير الرهد
٣٥١ أوراق البون	٣٣٤ خطبة المهدي التي قال فيها «ان
٣٥٣ ذكر وصول البواخر الى سنار	الدجال سيأتي الى الأبيض بعد
٣٥٤ ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب	شخصي منها»
غردون	٣٣٥ ذكر حرب المهدي مع أهل



## صحيفة

- ٢٥٨ كتاب من المهدي الى لبتن بك  
 ٢٥٩ ذكر عودة غردون الى السودان  
 ٢٦٠ ذكر الغفو عن المؤلف وارجاع  
 رتبة وألقابه ووساماته اليه  
 ومرافقته غردون الى السودان  
 ٢٦٥ ذكر سفر غردون باشا  
 ٢٦٧ ذكر كتاب غردون الى المهدي  
 وهديته  
 ٢٦٨ الخرطوم وغردون  
 ٢٦٩ ذكر وصول غردون الى أبو حمد  
 ٢٧١ ذكر مغادرة غردون بربر  
 ٢٧٤ وصول غردون الى الخرطوم  
 ٢٧٦ ذكر عبد القادر بن أم مريوم  
 ٢٧٧ ذكر عوض الكريم بن أبي سن  
 ٢٧٩ كتاب المهدي الى عوض أبي  
 سن وأسرته  
 ٢٨٣ كتاب ثان لهم أيضا  
 ٢٨٥ غردون وابن البصير  
 ٢٨٦ خطاب المهدي لئردون  
 ٢٩٤ قدوم رسولي المهدي الى غردون

## صحيفة

- بالكتب والهدية  
 ٢٩٥ مأمورية غردون الحقيقية  
 ٢٩٨ ذكر تلغرافات غردون الى السير  
 بارنج وما أجابه به  
 ٣٠١ مقصد غردون بمخاطبته السير  
 بارنج  
 ٣٠٢ أول حصار الخرطوم  
 ٣٠٣ واقعة الحلفاية واصابة المؤلف  
 برصاصة والاحسان اليه برتبة  
 اللواء  
 ٣٠٥ واقعة القبة  
 ٣٠٦ ترجمة السعيد حسين وحسن  
 ابراهيم  
 ٣٠٧ واقعة الحلفاية الثانية  
 ٣٠٩ ذكر حصار الفكي المصطفي  
 الخرطوم من جهة الضفة الغربية  
 ٣١٠ خطاب المهدي للفكي المصطفي  
 ٣١٢ حوادث بربر  
 ٣١٤ ذكر محمد الخير داعية المهدي في  
 بربر

صحيفة	صحيفة
٢٣٤ ذكر بنات محمد بن الحاج أحمد أم بربر	الاسلاك التلغرافية بين الخرطوم وبربر
٢٣٦ كتاب من المهدي الى محمد أحمد أم بربر	٢١٠ كتاب آخر من المهدي للشيخ العبيد
٢٣٧ ذكر نهب أموال النوم شيخ عرب الكبابيش	٢١٢ كتاب المهدي الى اتباع الشيخ العبيد
٢٣٨ ذكر قدوم الشيخ الحسين زهرا على المهدي	٢١٣ ذكر غارة الشيخ مضوي عبد الرحمن على ارباص الخرطوم ونهبه الماشية وهزيمته
٢٤٠ قصيدة الشيخ الحسين زهرا التي قدمها للمهدي مشيراً فيها الى وجوب اسناد الوظائف الى الكفاة	٢١٤ ذكر الداعية محمد بن الطيب البصير
٢٤٦ ذكر انذارات المهدي للشيخ محمد الامين	٢١٥ ذكر واقعة العسكري بالخلاوين ٢١٦ كتاب المهدي الى الشيخ السنوسي
٢٤٨ ذكر كتاب من المهدي للشيخ محمد الامين	٢٢٠ ذكر نحر الدين مدعي الخلافة ٢٢١ نص كتابين أرسلهما المهدي لمدعي الخلافة
٢٥١ كتاب ثان له أيضاً	٢٢٤ ذكر جمع الغنائم وعسر بيت المال وما أصدره المهدي من المنشورات في ذم اخفاء الغنائم
٢٥٤ سقوط شكا وحفرة النحاس	
٢٥٦ سقوط بحر الغزال وأسر لبتن بك مديرها	

صحيفة	صحيفة
١٨٥ ملحق لذلك المنشور	١٥٨ ذكر سقوط مديرية كباية
١٨٧ ذكر لحاق الشيخ الطاهر بثمان	١٥٩ ذكر سقوط الفاشر
دقنه وذبح المسجونين	١٦٠ ذكر مسألة الجب خانة بدارفور
١٨٩ ذكر واقعة سنكات وقتل	١٦١ ذكر قتل عمرأغا ترحوه
توفيق بك	١٦٢ ذكر قدوم سلاطين باشا على
١٨٩ ذكر حملة محمود طاهر باشا	المهدي
١٩٠ حملة بيكر باشا	١٦٣ ذكر قتل آدم أم دبالومك تقلى
١٩٢ واقعة الجنرال جراحم في التيب	١٦٥ ذكر قتل المنه
١٩٤ ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن	١٦٧ ذكر قتل التوم بن زعيم الكبابيش
١٩٤ ذكر واقعة طميه	وعجبل زعيم الرزقات
١٩٦ ذكر تقدم الجنرال جراحم الى بربر	١٦٩ منشور المهدي الذي أصدره
١٩٧ ذكر حوادث كسلا	لاقتناع أهل بارة الخ
١٩٨ منشور رابع للمهدي	١٧٢ حوادث السودان الشرقي
٢٠٤ الخراطوم قبل قدوم غردون اليها	١٧٣ ومن الطف النوادر التي سمعها الخ
٢٠٤ ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر	١٧٥ ذكر الشيخ الطاهر المجذوب
٢٠٥ ذكر صفات الشيخ العبيد وما	١٧٦ ترجمة عثمان دقنه
اشتهر عنه	١٧٨ ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي
٢٠٧ ذكر كتاب من المهدي الى	١٧٨ منشور ثان للمهدي
الشيخ العبيد	١٨١ ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن
٢٠٩ ذكر ائتلاف اتباع الشيخ العبيد	١٨٢ منشور ثالث للمهدي

صحيفة

الى الابيض

١٠٨ ذكر وصول المهدي الى كابه

١٠٩ ذكر استحكام الابيض

١١٠ ذكر هجوم المهدي على الابيض

١١١ حملة على بك لطفى مرة أخرى

١١٢ سقوط بارة

١١٣ ذكر كنيسة جبل الدلن

١١٤ ذكر واقعتي شات والمربع

١١٥ ذكر واقعة عبود

١١٦ ذكر واقعة معتوق

١١٦ ذكر واقعة الداعي

١١٧ ذكر واقعة سقدي مويه

١١٨ ذكر رأى عبد القادر باشا في

إنقاذ الابيض

١٢٠ ذكر واقعة ابن عبد الغفار

١٢١ مأمورية الكولونيل ستيوارت

١٢٢ ذكر حصار الابيض

١٢٤ ذكر سقوط الابيض

١٢٥ ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض

١٢٦ ذكر احصاء ما غنمه المهدي

صحيفة

من الابيض

١٢٧ ذكر القبض على محمد سعيد باشا

والضباط وقتلهم

١٢٩ ذكر ترتيب جيش المهدي

واحكامه

١٣١ ذكر فصل عبد القادر باشا والغاء

نظارة السودان

١٣٢ ذكر تعيين محمد علاء الدين

حكم دارا للسودان

١٣٣ ذكر دارفور

١٣٤ تاريخ دارفور القديم

١٣٦ ذكر فتح دارفور

١٤١ ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور

١٤٣ ذكر قدوم محمد خالد زقل من

دارفور

١٤٥ ذكر حملة الجنرال هيكس باشا

١٥٣ ذكر ترك السودان للفوضى

١٥٤ ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم

ولحاقه بالمهدي

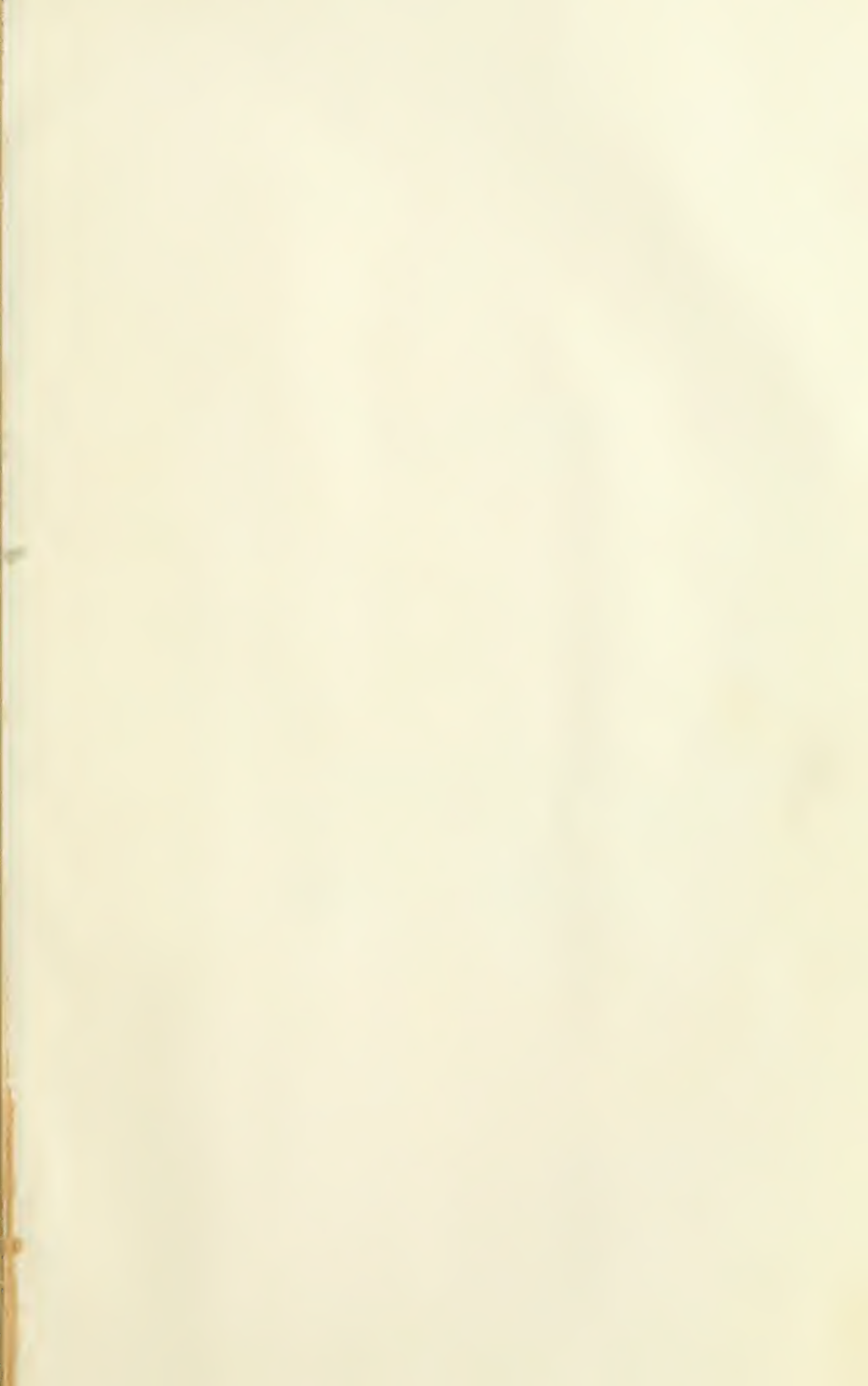
١٥٥ ذكر سقوط دارفور

صحيفة	صحيفة
٨٤ حملة راشد بك ايمن على المهدي	٤٥ مسألة احراق الاسكندرية
٨٤ ذكر من حق بالمهدي من مشايخ كردفان	٥٥ تجريد المؤلف من رتبة وألقابه
٨٥ واقعه جبل الجراة	٥٦ تاريخ السودان القديم
٨٥ تعيين عبد القادر باشا حلمي حاكما للسودان	٥٧ ضم السودان الى مصر
٨٦ حملة يوسف باشا حسن الشلاي	٦١ فتح كردفان
٩١ ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك	٦١ مقتل الامير اسماعيل باشا
٩٢ ذكر تحريم المهدي للدخان	٦٣ شخوص محمد علي باشا الى السودان
٩٣ ذكر من حق بالمهدي من اعيان السودان الاوسط	٦٤ ولاية السودان
٩٤ واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار	٧٠ ترجمة المتمهدي
٩٧ واقعة الشريف أحمد طه	٧٣ حادثة الغلام بكر دفان
٩٨ ذكر وصول عبد القادر باشا حلمي الى الخرطوم	٧٤ وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبعة على ضريحه
٩٩ ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي	٧٥ ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالمتمهدي
١٠٠ ذكر حوادث كردفان	٧٦ دعوة المتمهدي سرا
١٠٢ واقعة البركة بكر دفان	٧٧ ظهور دعوة المهدي
١٠٣ ذكر واقعة الطيارة	٧٩ واقعة جزيرة آبا
١٠٥ ذكر زحف المهدي من جبل قدير	٨٠ حملة على بك لطفي
	٨٢ ذكر جبل ماسة وقدير
	٨٣ ذكر جبال تقلي



﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب « السودان بين غردون وكشنر » ﴾

صحيفة	صحيفة
٨٣ تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزال	(بعد المقدمة) ١ تعيين الكولونيل غردون حاكماً على خط الاستواء
٤٠ فصل المؤلف من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين باشا بدله	٢ مرافقة مؤلف هذا الكتاب للكولونيل غردون في الخدمة
٤٢ قصة الاقبال في خط الاستواء	١٠ عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر	١٧ ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية	٢٢ الملك أمتيسه وأمره في بلاده
٤٥ مقابلته المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا	٢٣ كيفية فتح صرلي
٤٧ عودة الكولونيل غردون لمصر واستقالته	٢٨ تعيين المؤلف مديراً لبور والغربية
٤٩ تعيين محمدرؤف باشا حاكماً على السودان	٢٩ تعيين غردون حاكماً عاماً لعموم خط الاستواء
٤٩ ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك	٣٠ مديريات بحر الغزال
٥١ ذكر ما وقع للمؤلف مع العربيين	٣٢ بلاد نتم
٥٢ ذكر السجن المظلم	٣٤ شأن ادريس أتر بعد ذلك
	٣٥ استقالة المؤلف من مديرية بحر الغزال





DT  
108  
.15  
F39  
v.1-2

Fawzī, Ibrāhīm Pāshā  
Kitāb al-Sūdān

PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

